مختصر

تاريخ دمشق لابن عساكر

للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور

٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

١ - ٢

فضائل الشام - السيرة النبوية

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر

تاريخ دمشق لابن عساكر

مختصر

تاريخ دمشق لابن عساكر

للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور

٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

الجزء الأول

فضائل الشام وخطط دمشق

تحقيق

روحية النحاس   رياض عبد الحميد مراد   محمد مطيع الحافظ

دار الفكر

الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م
(١٥٠٠ نسخة)

سورية - دمشق - شارع سعد الله الجابري - ص.ب (٩٦٢) - س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ - برقياً : فكر - تلكس Tx FKR 411745 Sy

الصف التصويري : على أجهزة C.T.T. السويسرية
الإفشاء (أوفست) : في المطبعة العلمية بدمشق

كلمة للناشر

في سنة ١٩٥١ م أخرج مجمع اللغة العربية بدمشق إلى النور مجلداً واحداً من الكتاب الضخم (تاريخ مدينة دمشق) لابن عساكر ، فعرف الناس فضل هذا الكتاب العظيم وقدره ، واستعادت الذاكرة ثناء القدماء عليه ، سواء من الذين ترجموا لابن عساكر أم من غيرهم .

وعلى الرغم من مثبطات التفكير في نشر هذا الكتاب ، بسبب حجمه الكبير (٨٠ مجلدة) ، وصعوبة الحصول على كل أجزائه المخطوطة ، فقد غدا بين أيدي الناس منه اليوم سبع مجلدات مطبوعة ، وقرابة نصف (التهذيب) الذي صنعه بدران المتوفى ١٣٤٦ هـ .

ثم إن (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية) بدمشق ، اهتبل مناسبة مرور تسع مئة سنة على ولادة (ابن عساكر) ، فأقام عام ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م بدمشق ، مهرجاناً تاريخياً كبيراً ألقيت فيه أبحاث جليلة متأنية .

هناك تلاقت الآراء في أن الأمل غير وطيد بجمع كل أجزاء الأصل المطول لتاريخ ابن عساكر ، وفي ضرورة البحث في كتب التاريخ والتراجم عما هو منقول من ابن عساكر لسد ثغرات النقص في الكتاب الكبير ، وفي ضرورة تضافر الجهود ابتغاء التعجيل بنشر هذا المؤلّف العظيم .

هذا المهرجان ، وما طرح فيه من أفكار ومناقشات حرك فينا رغبة صادقة

في أن تقوم دارنا ـ دار الفكر ـ بدور فعال ، تسهم به في تحقيق ماتلاقت عليه الآراء ، وهفت إليه النفوس . وشيئاً فشيئاً انقلبت الرغبة إلى عزيمة ، والفكرة إلى عمل .

وأشار علينا بعض الفضلاء من أهل العلم بالتوجه إلى مختصر ابن منظور ، ورأوا فيه ما يخدم التاريخ الأصل ، ويتمم نواقصه ، فشرح الله تعالى صدورنا لذلك ، ودأبنا في جمع أجزائه المخطوطة ، وشكلنا لهذا الغرض لجان تحقيق ومراجعة ، ووضعنا منهجاً للتحقيق ، يهدف إلى تقديم نص صحيح موثق واضح ، دون إثقاله بالتعليقات إلا ما كان ضرورياً منها .

وكانت البداية بعون الله تعالى وتوفيقه ، وصدرت المجلدات الأولى من (مختصر تاريخ دمشق) ، وكان مما أثلج صدورنا أننا سرنا بالتعاون مع الإخوة الفضلاء من المحققين ، على درب الوفاء للعزيمة التي عقدناها ، راجين المولى حُسن العمل وتمامه ، وستصدر المجلدات التالية تباعاً ، كلما تم العمل بواحد منها أو أكثر ، بحول الله تعالى ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ .

دمشق ٢٨ ربيع الأول (الأنور) ١٤٠٤ هـ
١ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٤ م

دار الفكر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

أولاً ـ ابن عساكر وابن منظور

نحمدك اللهم على ما أوليتنا ، وأنعمت علينا حمداً يليق بكرمك وإحسانك ، ونصلي على نبيك المصطفى صلاة نتقرب بها إليك ، ونسلم عليه تسليماً خالصاً لوجهك الكريم .

وبعد . فليس من شك في أن تراث أمة من الأمم مرآة حضارتها عَبر القرون . منه نعرف علاقات أفرادها بعضهم ببعض ، ومنه نكشف مدى صلتها بالدول النائية عنها أو الدانية منها . ومنه كذلك نستشف حربها وسلمها ، جهلها أو علمها .

وتراث أمتنا العربية واسع الآفاق ، متعدد الألوان ، موغل في الزمن . ويقف تاريخ ابن عساكر واحداً من هذا التراث العظيم . إنه كتاب غني عن التعريف . ترجم فيه مصنفه لكل من دخل مدينة دمشق من الأماثل والأفاضل ، أو اجتاز بنواحيها من العلماء والأكابر ، وتوسّع في عمله حتى ترجم للمخنثين والمغمورين . فرسم بذلك لبلاد الشام الصورة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، في جاهليتها وصدر إسلامها ، في العصر الراشدي وفي العصر الأموي ثم ذهب بعيداً في عصر بني العباس حتى وصل إلى عصره (القرن السادس) .

إنه تاريخ امتد قروناً وقف له مؤلفه جلّ عمره . وانتهى بوفاته سنة ٥٧١ هـ .

يقع الكتاب في قسمين رئيسين ، خصّ ابن عساكر القسم الأول منه بمدينة دمشق ، فتحدث عنها حديثاً مستفيضاً : اشتقاق تسميتها ـ فضائل أهلها ـ طيب هوائها ـ سنة افتتاحها ـ شرف جامعها ـ حصر مساجدها ـ الأنهار المحتفرة بها . وتسمية أبوابها ونسبة

هذه الأبواب . وذلك كله بعد أن ذكر اشتقاق اسم (التاريخ) ومبتدئه ، وتطرق إلى تاريخ الهجرة النبوية ، واشتقاق تسمية الأيام والشهور .

تلك هي مقدمة التاريخ الكبير .

أما القسم الثاني من الكتاب فقد ضمّنه تاريخ بلاد الشام مقتفياً في ذلك طريقة المحدّثين من حيث العناية بالسند كالعناية بالخبر . وحين ترجم للقواد والخلفاء والأمراء ، لم يفُتْه أن يسوق تراجمَ المحدّثين والفقهاء والشعراء . متبعاً ترتيب الحروف العربية بادئاً بمن اسمه أحمد قبل من اسمه إبراهيم تبرّكاً بالرسول الكريم .

فليس غريباً وفوائد الكتاب لا يعدّها عادّ ، ولا تقع عليها يدُ حاصرٍ أن يحظى حديثاً باهتمام الباحثين دراسة ، مثلما حظي قديماً بعناية المؤرخين اختصاراً وتذييلاً ومنتخبات[١] .

وقد بدأ المجمع العلمي (مجمع اللغة العربية بدمشق) اهتمامه بإخراج الكتاب في عهد رئيسه الأول الأستاذ محمد كرد علي ، ثم تتابع هذا الاهتمام في عهد الدكتور حسني سبح ، فظهرت منه أجزاء . لكن الصعوبات ما زالت تعوق طريق إخراجه كاملاً . ومن أهمها أنه لا سبيل للحصول على نسخة واحدة كاملة « وإنما اجتمع لدى المجمع نسخ ناقصة وأجزاء متفرقة »[٢] .

وإننا لنجد فيا جُمع خرماً هنا ، ورطوبة أو أَرَضة هناك مما يتعذر تحصيله أو إيجاد وسيلة إلى ترميه ؛ فلم يبق والحالة هذه مندوحة عن اللجوء إلى المختصرات ، لأن الصورة تبقى هي نفسها أو تكاد ، ونعني صورة بلاد الشام الحضارية ، وإن تكن صورة ذات إطار كبير وأسسٍ عامه .

وقد لجأنا إلى مختصر ابن منظور لأنه يخدم التاريخ الأصل ، بل لا يكاد ينفصل عنه . ولهذا اعتُمد عليه في بعض المواضع[٣]

---

(١) انظر مقدمة الدكتور صلاح الدين المنجد للمجلدة الأولى ص ٣٧ ، وما كتبه بروكلمان في تاريخ الأدب العربي . الطبعة الثانية ج ٦ / ٧١ .

(٢) انظر مقدمة الدكتور شكري فيصل جزء (عاصم ـ عائذ) ص ١٢ .

(٣) انظر جزء (عبادة ـ عبد الله بن ثوب) ص ٤١٥ حاشية (١) .

مختصر ابن منظور إذن يتم كثيراً من النقص في النسخ المخطوطة لابن عساكر ، أو يملأ الفراغ في التراجم المبتورة في النسخ المتيسرة ، ولا غنى للمحقق في واحد منهما عن لآخر . وعسى أن يكون نشر هذا المختصر مشجعاً على إكمال نشر الأصل .

قرأ ابن منظور الكتاب ووعاه ، ثم أقدم عليه يختصره من ناحيتيه : الأسانيد والمتون . هذب السند حتى لم يُبق إلا على جزء يسير منه أحياناً ، وهذب الروايات ، فحذف المتعدد منها تارة ، وجمع بين روايات في رواية واحدة تارة أخرى . ولعلّ صنيعه هذا قرّبه من عمل المؤرخين بقدر ما أبعده من طريقة المحدّثين .

وكان في ذلك كله أميناً ، يختصر من غير تَزيُّد في العبارة ، ولا تبديل في ألفاظ الرواية . ولهذا كثيراً ما كان يشير بحرف « ط » فوق اللفظ أو في هامش الورقة كلما انبهم عليه لفظ ، أو أشكل عليه معنى ، أو وقف على رواية غامضة . وربما أشار إلى ذلك بكلمة « كذا » أو اكتفى بوضع « ضبّة » فوق اللفظ .

إن عمله هذا يجعلنا نطمئن إلى أننا ـ حين نقرأ مختصر ابن منظور ـ لسنا بعيدين عن رواية ابن عساكر نفسها . وهذه مزيّة مشجعة على إخراج الكتاب .

والنسخة التي حصلنا عليها بخط ابن منظور نفسه . وقد كتبت بين ٦٩٠ ـ ٦٩٥ هـ ، أي بعد وفاة ابن عساكر بما يزيد على القرن بقليل ، فهي إذن نسخة قريبة عهد بالأصل . الأمر الذي يضفي عليها قيمة أكبر .

ثانياً ـ ابن عساكر(١)

نشأ ابن عساكر في بيئة علمية جعلت منه حافظاً ، متقناً ، ثقة ، فضلاً عن تحصيله العلم من جهة أبيه وأمه .

---

(١) للتوسع في ترجمته انظر مقدمة الدكتور صلاح الدين المنجد للمجلدة الأولى ، ومقدمة الدكتور شكري فيصل لجزء (عاصم ـ عائذ) ، و(الكلمات والبحوث والقصائد الملقاة في الاحتمال بمؤرخ دمشق الكبير ابن عساكر في ذكرى مرور تسع مئة سنة على ولادته) ـ طبع المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة ١٩٧٩ م بدمشق و (ابن عساكر في ذكرى مرور تسع مئة سنة على ولادته) ـ ترجمة ابن عساكر في المراجع القديمة والحديثة ، وفهارس المخطوطات طبع سنة ١٩٧٩ م .

وهو أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، الملقب بعد وفاته بابن عساكر . صحب أبوه كبار الفقهاء في عصره ، وقرأ أخوه الأكبر القرآن بالروايات ، وكان أخوه الثاني قاضياً ، ولأبناء أخيه هذا يدٌ في نشر الحديث وتدريسه . أما جده لأمه يحيى بن عبد العزيز فقد سمع محدّثَ دمشق عبد العزيز بن أحمد الكتاني . ولم يكن خالاه أبو المعالي وأبو المكارم بأقلّ شأناً وهما القاضيان بدمشق .

لا غرو بعد هذا أن ينشأ على حب العلم ، فعاش اثنتين وسبعين سنة حفَل معظمها بالتلقّي والتحديث والتأليف . سمع الحديث ، وكاتب فيه ، ورحل من أجله ، وواتته ذاكرة حافظة ، وذهن وقّاد ، ونهم لا يشبع ، فأتقن الحديث رواية ودراية ، وتصدّر دار السُّنّة بدمشق ولما يبلغ الخامسة والثلاثين ، ثم انصرف إلى التأليف والتصنيف ، وأخذ نفسه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقرّبه نور الدين زنكي وبنى له دار السُّنّة ، وحضر مجالس الحديث عنده ، وأجلّه صلاح الدين الأيوبي أيضاً ، ولزم مجالس تدريسه ثم حضر جنازته إلى حيث دفن بالباب الصغير بدمشق ، بعد أن أسبغ عليه معاصروه ألقاباً تليق بعلمه وإتقانه ، فهو الحافظ ، وهو الثقة ، وهو ناصر السُّنّة .

وقد كثرت تآليفه ، وتنوعت موضوعات كتبه . ولكن تاريخه الكبير يكاد يكون أجلّها وأعظمها شهرة . وقد سماه « تاريخ مدينة دمشق ـ حماها الله ـ وذكر فضلها وتسمية من حلّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها » . ألّفه على مراحل ، ثم وكل أمر تبييضه إلى ابنه القاسم الذي بيّضه بخطه .

وقد لقي الكتاب عناية واهتماماً بدءاً من ابن المصنف « القاسم » (ت ٦٠٠ هـ) الذي ذيّله وانتخب منه ، وانتهاءً بالتهذيب الذي صنعه عبد القادر بدران (ت ١٣٤٦ هـ) وإن يكن عمله غير كامل . وبين هذين التاريخين تقع مختصرات عدة ومنتخبات شتى للكتاب ، منها مختصر ابن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ .

ثالثاً ـ ابن منظور

آ ـ اسمه ونسبه :

هو جمال الدين ، أبو الفضل محمد بن مُكَرَّم بن علي ـ وقيل رضوان ـ بن أحمد بن أبي القاسم بن حَبْقَة[1] ، ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي المصري .

وتقف بعض المصادر عند جده « ابن منظور » الذي إليه نُسب ، وبه عُرف[2] ، ويقف بعضها الآخر عند جده « أحمد »[3] . ولكن المؤلف نفسه أورد نسبه كاملاً متصلاً إلى آدم عليه السلام في كتابه لسان العرب[4] .

وقد أجمعت المصادر على أن ولادته كانت سنة ٦٣٠ هـ ـ واختلفت في مكان هذه الولادة . فمنهم من أغفله[5] ، ومنهم من قال : إنه ولد في طرابلس الغرب[6] ، ومنهم من قال : إنه ولد في مصر[7] .

ورجح الأستاذ علي الفقيه حسن أن تكون ولادته في طرابلس الغرب ، لأن جده الأعلى (رويفع بن ثابت) كان حاكماً عليها ، وفيها مات ودفن . وأسرته ما زالت هناك إلى يومنا الحاضر ، ولا زال أعقابهم « آل المكرّم » إلى اليوم بتاجوراء التابعة لطرابلس الغرب . ولا ننسى أن ابن منظور نفسه تولّى قضاء طرابلس الغرب[8] .

---

(١) في بغية الوعاة : « حقة » . وما هنا عن لسان العرب .

(٢) بغية الوعاة ٢٤٨/١ ، والأعلام ٣٢٩/٧ ، ومعجم المؤلفين ٤٦/١٢ .

(٣) فوات الوفيات ٣٩/٤ ، والدرر الكامنة ٢٦٢/١ .

(٤) لسان العرب : « جرب » .

(٥) الدرر الكامنة ٢٦٢/٤ ، وبغية الوعاة ٢٤٨/١ ، وفوات الوفيات ٣٩/٤ .

(٦) المجلة الجديدة بالقاهرة س ٣ ، ع ٣ ، ص ٢٦ ـ ٢٩ ، والأعلام ٣٢٩/٧ ، ومعجم المؤلفين ٤٦/١٢ ، ومجلة مجمع اللغة العربية ٤٦٦/٣٢ ـ ٤٦٩ .

(٧) مجلة الزهراء ج ٧ ـ ٨/م ٤٧٧/٥ « نقلاً عن التاج » ، ودائرة المعارف الاسلامية ٣٩٧/١ ، وتراث الإنسانية ٣٥٥/١ ، وانظر أيضاً مقدمة الأستاذ إبراهيم الأبياري لكتاب مختار الأغاني ص (م) .

(٨) مجلة مجمع اللغة العربية ٤٦٦/٣٢ ـ ٤٦٩ .

ومهما يكن من أمر ولادته فإن نسبته إلى مصر إن لم تكن لحقته بسبب ولادته فيها فبسبب آخر هو أنه قضى معظم فتوّته وشبابه في مصر يتلقى العلوم على علمائها .

ب ـ حياته العلمية :

في بيئتـه الصغيرة ، وهو لا يزال فتى صغيراً ، يلهو في مرابع طفولتـه ، كانت أذنـاه وعيناه تتفتحـان على رؤى وأصـداء علميـة نبهت الفتى الـذكي الفطن . فقـد نقل لنـا ابن منظور في مقدمة كتابه نثـار الأزهـار ـ وهو الجزء الأول من كتـابـه سرور النفس الـذي اختصر فيه كتاب فصْل الخطاب للتيفاشي ـ شيئاً من ذلك فقال :

« كنت في أيام الوالد ـ رحمه الله ـ أرى تردّد العقلاء إليـه وتهـافت الأدبـاء عليـه ، ورأيت الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف بن أحمد التيفاشي العبسي في جملتهم ، وأنـا في سن الطفولة لا أدري ما يقولونه ، ولا أشـاركهم فيما يلقونـه ، غير أني كنت أسمعـه يـذكر للوالـد كتـابـاً صنّفـه ، أفنى فيـه عمره ، واستغرق دهره ، وأنـه سماه (فصـل الخطـاب في مدارك الحواس الخمس لأولي الألباب) وأنه لم يجمع ما جمعه فيه كتاب ... وكنت شـديـد الشوق إلى الوقوف عليه . وتوفي الوالد رحمه الله في سنـة خمس وأربعين وستمائـة ، وشغلت عن الكتـاب ... » ولكنـه حصل بعـدئـذ ـ سنـة ٦٩٠ هـ ـ على أجزاء متفرقـة من مسوّدة الكتاب فرتّبه وهذّبه فكان ما سماه بنثار الأزهار وسرور النفس .

بالإضافة إلى هذا الجو العلمي الذي يرسمه لنا هذا النص نجد فيه أيضاً شيئاً آخر هو منزلة أبيه العلمية ووفاته سنة ٦٤٥ هـ . وما نعلمـه عن الأب لا يتجـاوز مـا ورد هنـا إلا قليلاً وهو أنه كان فاضلاً .

إن ما سمعه من أبيه ومن هذا العالم جعله يميل إلى العلوم صغيراً ، ويشغف بها ولّما يبلغ الحلم .

فقد ذكر مترجموه أربعة من مشايخه ولم يذكروا غيرهم ، وهم :

١ ـ مرتضى بن أبي الجود حاتم بن المسلم الحارثي[1] المتوفى سنة ٦٣٤ هـ .

---

(١) ترجمته في العبر ١٤٠/٥ ، وتذكرة الحفاظ ١٤١٩/٤ ، والنجوم الزاهرة ٢٩٩/٦ .

٢ ـ عبد الرحيم بن يوسف بن هبة الله بن الطُّفَيْل[1] المتوفى سنة ٦٣٧ هـ .

٣ ـ يوسف بن عبد المعطي بن منصور بن المَخيّلي[2] المتوفى سنة ٦٤٢ هـ .

٤ ـ علي بن الحسين بن علي بن منصور البغدادي الحنبلي[3] المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .

والذي يسترعي النظر في هذه المرحلة أن جميع مشايخه ماتوا قبل أن يبلغ الحلم ، فبعد وفاة أبيه سنة ٦٤٥ هـ لا نسمع أنه أخذ عن شيخ غير هؤلاء ، وكأن الحياة شدّته إلى مشاغلها فأنسته العلم والعلماء .

وأما تلامذته فلا يذكر مترجموه إلا أربعة منهم وهم : ابنه قطب الدين والبرزالي والسُّبكي والذهبي .

كذلك لا نعلم السَّنة التي تولّى فيها ديوان الإنشاء بمصر ، والسنة التي ولي فيها قضاء طرابلس ، وكل ما نجده قول مترجميه : « خدم في ديوان الإنشاء طول عمره وولي قضاء طرابلس » .

ويُجمعون على أنه كان صدراً رئيساً فاضلاً في الأدب مليح الإنشاء عارفاً بالنحو واللغة والتاريخ . ويستدلّون على ذلك بكتبه أولاً وبتولّيه القضاء وديوان الإنشاء ثانياً .

ثم إنهم يوردون له نماذج من شعره ، فيها دعابة وظرف ، نختار منها النموذج التالي[4] :

الناس قد أثموا فينا بظنّهمُ ... وصدّقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرّك في تصديق قولهمُ ... بأن نُحقّقَ ما فينا يظنّونا
حملي وحملُك ذنباً واحداً ثقةً ... بالعفوِ أجملُ من إثمِ الورى فينا

ويقولون إنه كان يتشيّع بلا رفض ، وأنه عمي في آخر عمره ، وأنه توفي بمصر سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

---

(١) ترجمته في العبر ١٥٣/٥ ، والنجوم الزاهرة ٣١٧/٦ .

(٢) ترجمته في العبر ١٧٣/٥ ، وتذكرة الحفاظ ١٤٢٨/٤ وفيها أنه توفي سنة ٦٤١ .

(٣) ترجمته في العبر ١٧٨/٥ ، والنجوم الزاهرة ٣٥٥/٦

(٤) فوات الوفيات ٣٩/٤ ، والدرر الكامنة ٢٦٣/٤

ج ـ مؤلفاته :

يمكننا أن نميّز نوعين اثنين في مؤلفات ابن منظور ، وكلا النوعين يرجعان إلى أصل واحد هو جمع الأخبار واختصارها ، والنوعان هما :

الأول : يعتمد على جمع الأخبار وتبويبها :

ـ إما تبويباً ألفبائياً كما في لسان العرب .

ـ وإمّا تبويباً فكرياً كما في أخبار أبي نواس .

والثاني : يعتمد على اختصار المطولات كالأغاني ، وتاريخ ابن عساكر والعقد الفريد .

وإن ولعه بالاختصار نبّه القدماء إليه حتى قال ابن حجر :

« وكان مغرى باختصار كتب الأدب المطولة : اختصر الأغاني ، والعقد ، والذخيرة ، ونشوار المحاضرة ، ومفردات ابن البيطار ، والتواريخ الكبار . وكان لا يملّ من ذلك . قال الصفدي : لا أعرف في الأدب وغيره كتاباً مطوّلاً إلا وقد اختصره »[1] . بل إن كثيراً منها تركها مكتوبة بخطه . قال ابنه قطب الدين : « إنه ترك بخطه خمس مئة مجلدة ، ويقال إن الكتب التي علقها بخطه من مختصراته خمس مئة مجلدة »[1] . فهل هذا من مبالغات ابنه نقلها عنه معظم الذين ترجموا له ؟.

أما اختيار ابن منظور الاختصار على التأليف فذلك أمر يعود بعضه إلى شخصيته التي استوعبت هذه الكتب . ولعل جلّه يرجع إلى عصره (القرن الثامن الهجري) .

وسنورد ما وجدنا من مؤلفات ابن منظور ومختصراته مرتبة على أحرف الهجاء :

١ ـ أخبار أبي نواس (ط)

٢ ـ اختصار كتاب الحيوان للجاحظ (٢٥٥ هـ)

---

(١) الدرر الكامنة ٢٦٣/٤

٣ ـ سرور النفس بمدارك الحواس الخمس . في مجلدين . هذب فيه كتاب فصل الخطاب بمدارك الحواس الخمس لأولي الألباب لأحمد بن يوسف التيفاشي (٦٥١ هـ) .

٤ ـ لسان العرب (ط)

٥ ـ لطائف الذخيرة ، اختصر فيه ذخيرة ابن بسام (٣٠٣ هـ) .

٦ ـ مختار الأغاني في الأخبار والتهاني (ط)

٧ ـ مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٥٧١ هـ) . وهو كتابنا هذا .

٨ ـ مختصر [ذيل] تاريخ بغداد للسمعاني (٥٦٢ هـ) . منه مكروفلم في مجمع اللغة العربية بدمشق .

٩ ـ مختصر زهر الآداب وثمرة الألباب لأبي إسحاق الحصري القيرواني (٤٥٣ هـ) في أربعة أجزاء

١٠ ـ مختصر صفة الصفوة لأبي الفرج ابن الجوزي (٥٩٧ هـ) .

١١ ـ مختصر العقد الفريد لابن عبد ربه (٣٢٧ هـ)

١٢ ـ مختصر مفردات ابن البيطار (٦٤٦ هـ) . كتاب في الطب . منه نسخة مخطوطة في التيمورية .

١٣ ـ مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة (جامع التواريخ) لأبي علي التنوخي (٣٨٤ هـ) منه نسخة في الأمبرزيانه .

١٤ ـ مختصر يتيمة الدهر في شعراء أهل العصر للثعالبي (٤٢٩ هـ) .

١٥ ـ المنتخب والمختار في النوادر والأشعار . منه نسخة في شستربتي .

١٦ ـ نثار الأزهار في الليل والنهار . وهو الجزء الأول من سرور النفس (ط) .

د ـ مظان ترجمته :

أ ـ الكتب العربية

(خ) فهرس المؤلفين بالظاهرية

(ط) ١ ـ اداب اللغة ١٤١/٣

٢ ـ إيضاح المكنون ـ البغدادي ٣٤١/١

٣ ـ بغية الوعاة ـ السيوطي ١٠٦

٤ ـ حسن المحاضرة ـ السيوطي ٢١٩/١ ، ٣٠٧

٥ ـ الدرر الكامنة ـ ابن حجر ٢٦٢/٤

٦ ـ روضات الجنات ـ الخوانساري ٢٠٣

٧ ـ شذرات الذهب ـ ابن العماد ٢٦/٦

٨ ـ الفهرس التمهيدي ٤٢٥

٩ ـ فهرس المخطوطات المصورة ـ فؤاد السيد ٣٢٩/١ ، ٤٦/٢ ، ١٣٤ ، ٢٦٢

١٠ ـ فهرس المخطوطات المصورة ـ لطفي عبد البديع ٢٣٥/٢

١١ ـ فهرست الخديوية ١٨١/٤

١٢ ـ فوات الوفيات ـ ابن شاكر الكتبي ٢٦٥/٢

١٣ ـ كتبخانه سنده ـ كوبرلي زاده محمد باشا ٧٥ ، ٩٠ ، ١٠٢

١٤ ـ كتبخانه عاشر آفندي ٧٠

١٥ ـ كتبخانه عموجه حسين باشا ٣٦

١٦ ـ كتبخانه ولي الدين ١٥١

١٧ ـ مرآة الجنان ـ اليافعي ٢٥١/٤

١٨ ـ مصفى المقال ـ آغا بزرك

١٩ ـ مفتاح السعادة ـ طاش كبري ١٠٦/١

٢٠ ـ نكت الهميان ـ للصفدي ٢٧٥

٢١ ـ هدية العارفين ١٤٢/٢

ب ـ المجلات

١ ـ المجلة الجديدة بالقاهرة س ٣ ، ع ٣ ، ص ٢٦

٢ ـ الزهراء ٤٧٦/٥

٣ ـ لغة العرب ٦٤٣/٨ ، ٧٤٦

٤ ـ مجلة المجمع العلمي العربي ٤٦٦/٣٢

٥ ـ مجلة معهد المخطوطات ٢٦٩/٥

جـ ـ الكتب الأجنبية :

1- Arabic manuscripts in the princeton 109

2- Brockelmann: g,11: 21, 22, s,11: 14,15

3- Huart 380

رابعاً ـ نسخة المختصر

هي نسخة مصورة في معهد المخطوطات العربية في القاهرة . وكان المعهد قد صورها من المكتبات التركية (مكتبة أحمد الثالث ، ومكتبة كوپريلي)[1] وغيرهما . وثمة جزء من النسخة نفسها في مكتبة غوتا برقم ١٧٧٦ ، وجميع ذلك بخط ابن منظور نفسه .

ومقياس النسخة ١٨/٢٤ سم . في كل ورقة ٢١ سطراً ، وفي كل سطر ١١ كلمة تقريباً .

والخط نسخي مقروء معظمه ، إلا ما كان من رسم بعض الحروف كرسم الفاء والواو . فكثيراً ما كان ابن منظور يصل الواو بما يليها من حروف الكلمة فتلتبس بالفاء على القارئ .

وإهمال النقط واضح إلا في القليل ، الأمر الذي يجعل قراءة بعض الألفاظ صعباً إن لم يكن متعذراً أحياناً .

ونادراً ما تُضبط الأعلام . وما أكثر ما تُرك ذلك .

تقع النسخة في تسعة وعشرين جزءاً . على غلاف كل جزء تملكات ، منها لابن حجي ، ولابن الطحان (٩٢١ هـ) ولمحمد بن أحمد بن إقبال العلائي . وعلى بعضها وقف لمكتبة أحمد الثالث .

أما الأجزاء :

---

(١) انظر مجلة المورد ـ المجلد الرابع ـ العدد الرابع سنة ١٩٧٥ م ص ٢٨٧ ، وفهرست المخطوطات المصورة ج ٢ ـ التاريخ ـ القسم الأول رقم ٤٥١ ، والقسم الثاني برقم ٧٨٨ ، والقسم الثالث ص ٢٦٢ ، والقسم الرابع ص ٣٧٠

١ ـ فالجزء الأول يشمل مقدمة تتحدث عن مدينة دمشق ، وأبواباً من السيرة النبوية الشريفة .

٢ ـ والجزء الثاني يتضمن تتمة أبواب السيرة .

وقد آثرنا أن نضمّ ما ورد من أبوابها في الجزء الأول إلى تتمتها في الجزء الثاني ، فنجعلها في جزء مستقل هو الجزء الثاني . ويكون الجزء الأول خاصاً بمدينة دمشق .

٣ ـ والجزء الثالث تبدأ به التراجم من أحمد بن أحمد بن وركشين ...

ثم تتوالى بعد ذلك مقسّمة على الأجزاء بالطريقة نفسها التي التزمها ابن عساكر ، من حيث الترتيب المعجمي لأسماء المترجمين وأسماء آبائهم وأجدادهم .

وإذا كان ابن منظور لم يجعل خاتمة مختصره في تراجم النساء كما فعل ابن عساكر فإنّه لم يهملهنّ على الإطلاق ، وإنما جاءت الترجمة لهن خلال التسلسل الهجائي لتراجم الرجال . أما الكنى فوردت في نهاية المختصر .

خامساً ـ نهج التحقيق

لما كانت الغاية من التحقيق تقديم النص صحيحاً مطابقاً للأصول ، وتوثيقه نسبةً ومادةً ، وتوضيحه وضبطه اتبعنا المنهج الآتي :

آ ـ كتابة النص :

أهمل ابن منظور نقط الحروف غالباً ، وعلى الأخصّ نقط الياء الأخيرة سواء وقعت موصولة أم مفصولة . وكثيراً ما كان يسهل الهمزات ، ويتبع « واو » المضارع الدال على المفرد الغائب ألفاً . وقد تتداخل عنده بعض الحروف فتتعذر قراءة بعض الكلمات .

وقد أخذنا أنفسنا باعتماد قواعد الإملاء الحديثة من النقط الكامل ، وتثبيت الهمزات ، وجهدنا في التفريق بين الحروف الملتبسة ، وأثبتنا ما يمليه المعنى .

أما رسم المئة التي تأتي معدودة فإن للمحدثين فيها أشكالاً . هي مثلاً « خمسائة » و« خمسئة » و « خمس مئة » . وقد آثرنا الرسم الأخير لأن ابن منظور نفسه اختاره . وجعلنا أرقام أوراق المخطوطة ضمن النص بين معقوفتين .

ب ـ توضيح معالم النص :

١ ـ قسمنا النص بحسب أفكاره ، فخصصنا للفكرة الجديدة فقرة جديدة .

٢ ـ اهتممنا قدر المستطاع بوضع علامات الترقيم من نقط ، وفواصل ، وإشارات تعجب أو استفهام ، ونحو ذلك مما يزيد النص وضوحاً .

٣ ـ استخدمنا المعقوفات لما استدركناه على مادة الكتاب سواء أستعنّا على ذلك بالرجوع إلى المصادر وأمّات الكتب ، أم ماساق إليه المعنى وحده .

٤ ـ استعملنا نوعين من حروف الطباعة ، فجعلنا حروف المتن أكبر من حروف الأسانيد .

أما ما نقله ابن منظور من تعليقات ابن عساكر على المتن أو على السند فقد بدأنا به فقرة جديدة ، وجعلناه بحرف المتن .

٥ ـ وضعنا الآيات القرآنية بين قوسين مزهرتين .

جـ ـ ضبط النص :

قمنا غالباً بشكل الايات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال والشواهد والمشتبه من الأعلام ، والغريب من الألفاظ . وما قد يلتبس من التراكيب . مستفيدين في بغيتنا هذه من المصادر الموثوق بها .

د ـ التعليق على النص :

لم نشأ أن نغرق الكتاب بمزيد من الحواشي . فاجتزأنا بالمفيد من التعليقات . مع الاهتمام بالنقاط التالية :

١ ـ الرجوع إلى تاريخ ابن عساكر . المطبوع منه والمخطوط . عند تيسّر نسخ جيدة يمكن الاطمئنان إليها والاعتماد عليها .

ولم نعتمد نسختي الظاهرية المخطوطتين (أسعد باشا ، وسليمان باشا) إلا في القليل ، لأنها كثيرتا التصحيف والتحريف . وأثبتنا من الفروق بين مختصر ابن منظور وبين تاريخ ابن عساكر ما فيه غناء .

٢ ـ ذكر مظانّ الترجمات حين تدعو الحاجة ، كأن يكون هناك خلاف في اسمه أو نسبه أو كنيته . أو يكون فيه تصحيف أو تحريف .

٣ ـ الاكتفاء بتعريف موجز للأعلام والمواضع وما في حكمها من غير استقصاء .

٤ ـ ذكر اسم المصدر أو المرجع ـ الجزء والصفحة ـ في الحاشية . أما المعاجم فقد كنّا نذكر أسماءها والمادة المعنيّة غالباً .

هـ ـ التخريج :

١ ـ خرّجنا الآيات فذكرنا اسم السورة ورقمها ثم رقم الآية ، في الحاشية .

٢ ـ شرحنا الغريب من الأحاديث النبوية ، والألفاظ الواردة في النص .

٣ ـ لم نخرج الشعر تخريجاً كاملاً ، وإنما أشرنا إلى الدواوين إن كان للشاعر ديوان . ورجعنا أحياناً إلى كتب الأدب . ولم نفصّل في اختلاف الروايات .

٤ ـ لم نلتزم بالعودة إلى الكتب التي نقل منها المؤلف .

وبعدُ . فإننا نتوجه إلى الله تعالى عزّ وجلّ أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه بعيداً عن كلّ رياء أو تلهّف لشهرة .

ويطيب لنا أن نخصّ بالشكر « دار الفكر » والقائمين عليها لما دأبوا عليه من الوقوف وراء كلّ عمل تراثيّ من شأنه أن يعيد صرح أمتنا الفكري . فشكر الله لهم ذلك ، وحفّتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده .

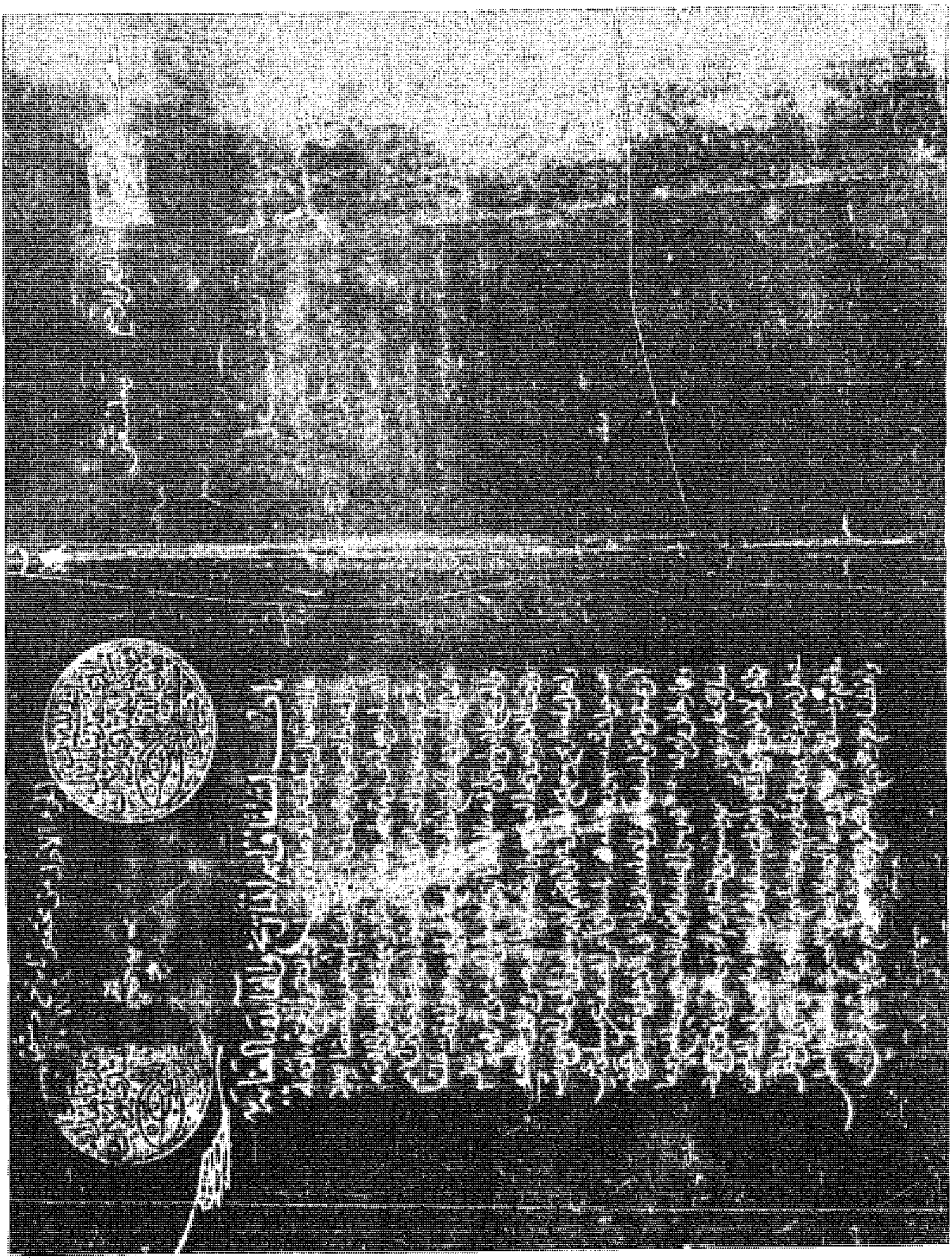
﴿ وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين ﴾ .

دمشق : ٢٢ المحرم الحرام ١٤٠٣ هـ
٨ تشرين الثاني ١٩٨٢ م

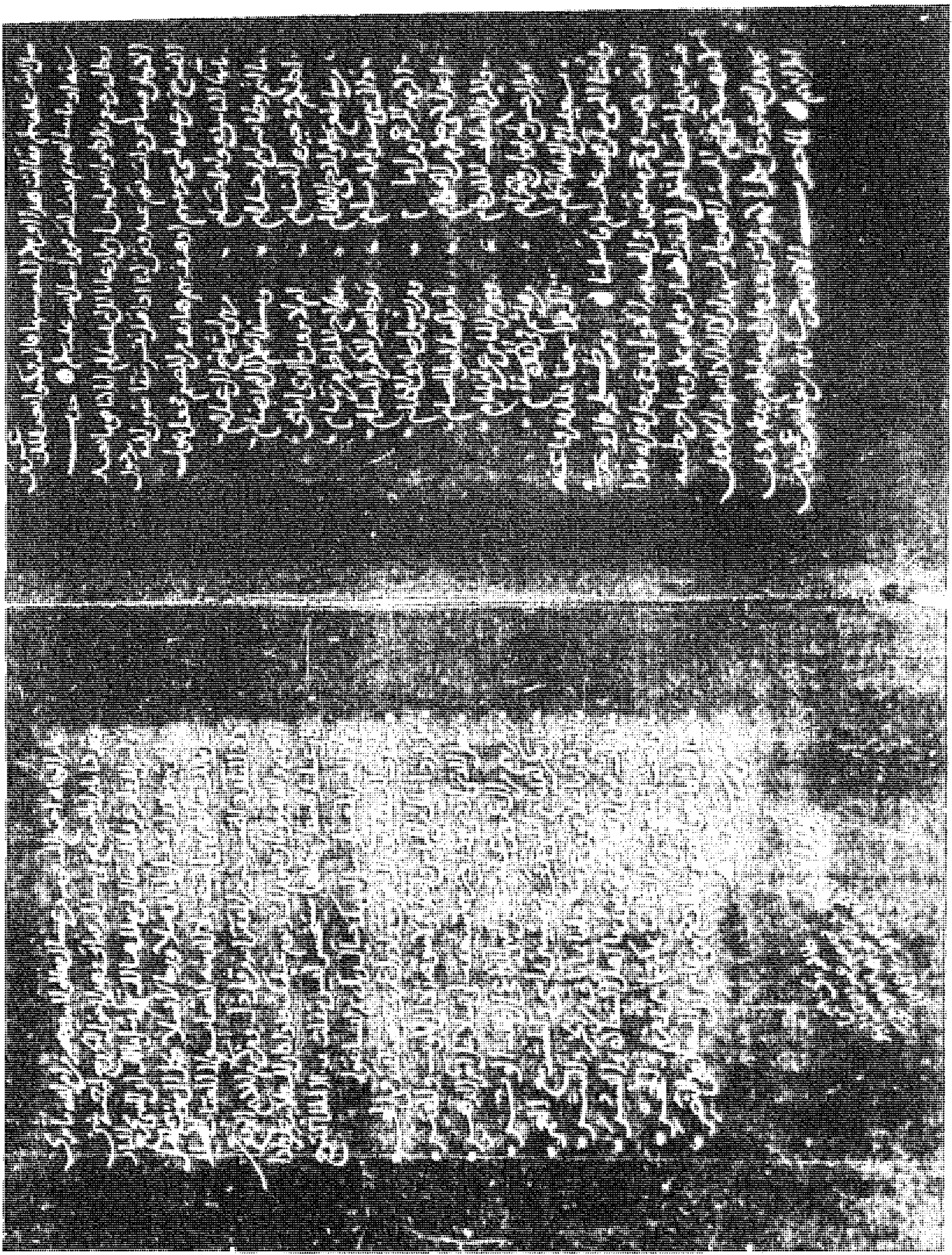
روحية النحاس　　رياض مراد　　محمد مطيع الحافظ



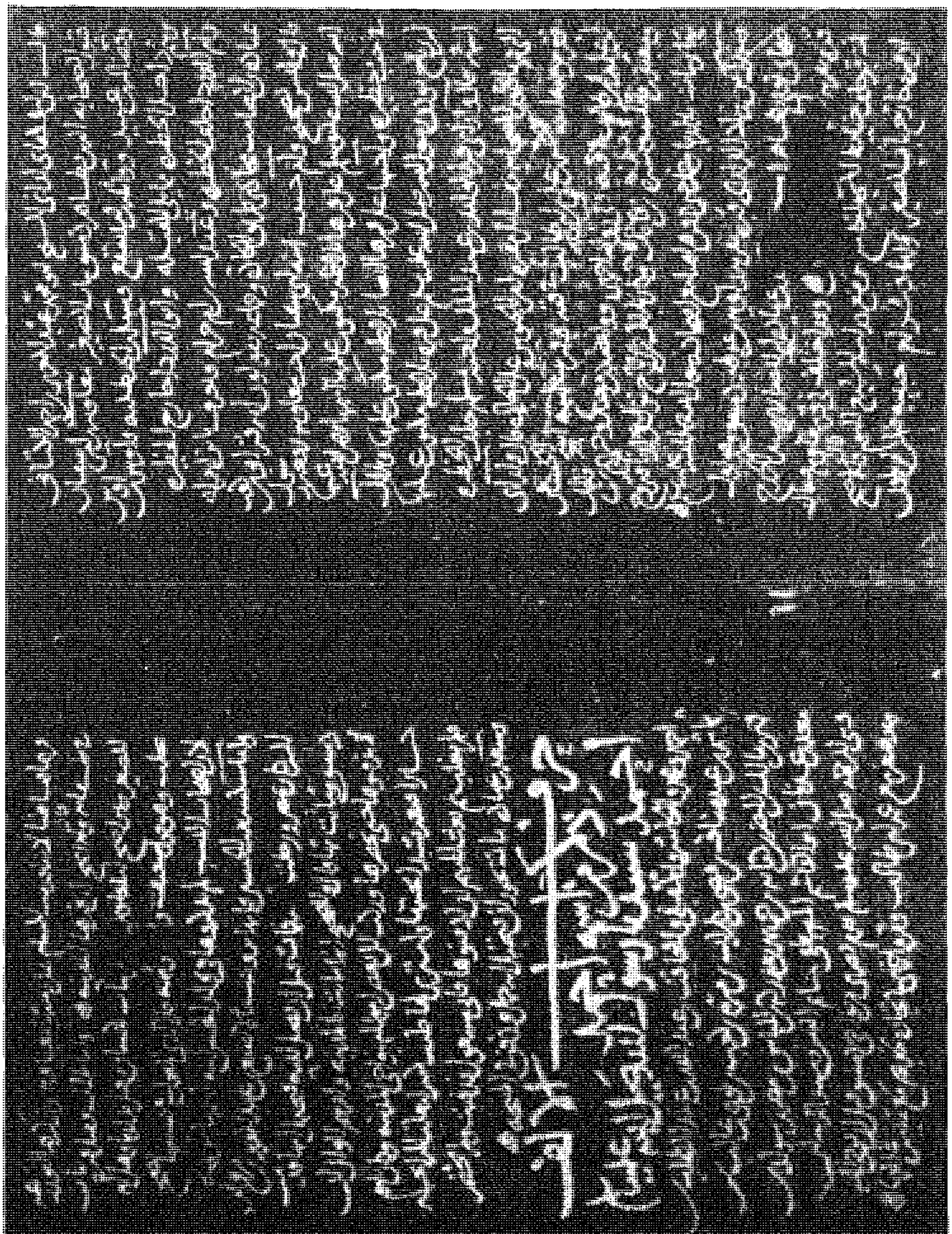
ورقة عنوان الكتاب وعليه التملكات



الورقة الأولى من الأصل بخط العلامة ابن منظور



الورقة الأخيرة من الجزء الأول من تقسيم ابن منظور



الوجه الأخير من الورقة الأخيرة من الجزء الأول

[١ / ب] بسم الله الرحمن الرحيم

وبه أستعين(١)

أ] باب اشتقاق اسم التاريخ والفائدة بالعناية به

قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُل هِيَ مَواقِيتُ لِلنَّاسِ والحجّ ﴾(٢) ، بالأهلة .رَكُ عددُ الأعوام ، وتعرَفُ أوقاتُ الحج والصيام ، ويُعتبر بها انقضاء عدد النساء من ولتهن ومدة حملهنّ ووضع أجنتهنّ ، ووقت مَحِلِّ الديون اللازمة ، وتصرُّم مُدَد عقود أجائر(٣) ، واختلاف الفصول ، وبها تُحدّ حوادث الأمم الخالية

وفي كتاب الخراج لقدامة قال :

تأريخ كلِّ شيء آخره ، وهو في الوقت غايتُه والموضع الذي انتهى إليه . يقال : فلان أريخ قومه ، أي إليه ينتهي شرفهم . ويقال : وَرَّختُ الكتاب توريخاً ، لغة تميم ، وأرّخته أريخاً ، لغة قيس . ولكلِّ مملكة وأهل ملَّة تاريخ . وجماع القول في تواريخهم أنهم يؤرخون الوقت الذي تحدث فيه حوادث مشهورة هامة .

بإسنادنا عن المصنف عن مشايخه عن ابن عباس :

في قوله ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ ﴾(٢) قال : نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن عَنَمة هما رجلان من الأنصار ، قالا : يا رسول الله ، ما بالُ الهلال يبدو ويطلع دقيقاً مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوي ويستدير ، ثم لا يزال ينقص ويدقّ حتى يعود كما

---

(١) بعد هذه اللفظة بياض في الأصل بمقدار وجه ورقة ، سقطت معه خطبة الكتاب .

(٢) سورة البقرة ١٨٩/٢ .

(٣) كذا في الأصل . وفي تاريخ ابن عساكر « الإجارات »

كان ، لا يكون على حالٍ واحدٍ ؟! فنزلتْ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ للنَّاس ﴾(١) في حَلّ دَيْنهم ولصومهم ولفطرهم وعِدّة نسائهم والشروط التي تنتهي الى أجل معلوم .

وبسنده عن قتادة في هذه الآية قال :

فجعلها الله سبحانه لصوم المسلمين وإفطارهم وحَجّهم ومناسكهم وعدد نسائهم ومحالّ ديونهم في [٢/ب] أشياء ، والله أعلم بما يُصلح خلقه . وقال عز وجل ﴿ هُوَ الذي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً والقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنينَ والحِسَاب ما خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إلاّ بالحقّ يُفَصِّلُ الآياتِ لقَوْمٍ يَعْلَمون ﴾(٢) .

---

(١) سورة البقرة ١٨٩/٢ .

(٢) سورة يونس ٥/١٠ .

باب في مبتدأ التاريخ واصطلاح الأمم عليه

وبسنده عن مشايخه عن أنس عن النبي ﷺ

أن جبريل حدّثه قال : مضى من الدنيا ستة آلاف وسبع مئة سنة . قال : وكل قطرة مطر تنزل من السماء يوكّلُ بها ملكٌ من الملائكة يضعها موضعها قال : ونبأ في الأرض من الأنبياء مئة ألف وأربعون ألفاً وثلاث مئة من المرسلين حتى جاء سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء لانبيّ بعده . قال : وما بقي من الدنيا إلا كما بقي من النهار إذا غابت الشمس | وبقي حمرة الشمس |[1] على الحيطان .

وبسنده عن ابن عباس قال :

كانت فترتان : فترة بين إدريس ونوح عليهما السلام ، وفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما ، فكان أول نبي بعث إدريس بعد آدم ، فكان بين موت آدم وبين أن بُعث إدريس مئتا سنة ، لأن ادم عاش ألف سنة إلا أربعين عاماً ، ووُلد إدريس وآدم حيّ فمات آدم وإدريس ابنُ مئة سنة ، فجاءته النبوة بعد موت آدم بمئتي سنة ، وكان في نبوته مئة سنة وخمس سنين ، فرفعه الله وهو ابن أربع مئة سنة وخمس سنين ، وكان الناس من آدم إلى ادريس أهل ملة واحدة متمسّكين بالإسلام وتصافحهم الملائكة ، فلما رُفع إدريس اختلفوا وفتر[2] الوحي فيما بين إدريس ونوح مئة سنة ، وكانت نبوة نوح ألف سنة إلاّ خمسين عاماً وعمّر بعد الغرق خمسين عاماً ، ويقال مئتي عام والله أعلم . وكان سام بن نوح بعدما مات نوح ابن مئة سنة وعاش [٣/أ] بعده مئتي سنة . وكان بين نوح وهود ثمان مئة سنة وعاش هود أربع مئة سنة وأربعاً وستين سنة . وكان بين هود وصالح مئة سنة . وعاش صالح ثلاث مئة سنة إلا عشرين عاماً . وكان بين صالح وبين إبراهيم ست مئة سنة وثلاثون سنة .

---

(١) ساقط في الأصل واستدرك من المجلدة الأولى من الأصل المطبوع ص ٢٤

(٢) لبست تتمة الخبر في المطبوع .

وعاش ابراهيم مئة سنة وخمساً وسبعين سنة ، وقيل مئتي سنة وسنة . وعاش إسماعيل مئة سنة وتسعاً وثلاثين سنة . وعاش إسحاق مئة سنة وثمانين سنة . وعاش يعقوب بن إسحاق مئة سنة وتسعاً وأربعين سنة . وكان بين موسى وإبراهيم سبع مئة سنة وكان الأنبياء بين موسى وعيسى متواترة وكذلك بين نوح الى موسى . قال عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرى ﴾[1] بَعْضُها على إِثْرِ بَعْضٍ ﴿ كُلَّما جاء أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً ﴾ الى قوله : ﴿ ثم أَرْسَلْنا مُوسَى وأَخاه هَارُونَ ﴾[1] فمن زعم أنه يعلم عدتهم وأسماءهم إلا الله فقد كذب ، إن الله يقول لنبيّه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[2] . وكان بين موسى وعيسى - فيما رُوي عن كعب - ست مئة سنة ، وفيما روي عن ابن عباس خمس مئة سنة .

وبإسناده عن محمد بن إسحاق بن يسار قال :

كان من آدم إلى نوح ألف ومئتا سنة ، ومن نوح الى إبراهيم ألف ومئة واثنتان وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمس مئة وخمس وستون سنة ، ومن موسى الى داود خمس مئة وتسع وستون سنة ، ومن داود إلى عيسى ألف وثلاث مئة وست وخمسون سنة ، ومن عيسى الى محمد ﷺ ست مئة سنة ، فذلك خمسة آلاف وأربع مئة واثنتان وثلاثون سنة ، وهذا الإجمال صحيح .

وبإسناده عن عكرمة قال :

كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على الإسلام .

وعن ابن عباس قال :

كان بين موسى بن عمران وعيسى بن مريم ألف سنة وتسع مئة سنة ، ولم يكن بينهما فترة ، وإنه أرسل بينهما ألف نبي من بني إسرائيل سوى من أرسل من غيرهم [٣/ب] وكان بين ميلاد عيسى والنبي ﷺ خمس مئة سنة وتسع وستون سنة ، بعث في أولها ثلاثة أنبياء وهو قوله عز وجل : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبوهُما فَعَزَّزْنا بِثَالِثٍ ﴾[3] والذي عُزِّز به

---

(١) المؤمنون ٢٣/٤٤ - ٤٥

(٢) المؤمن ٤٠/٧٨

(٣) يس ٣٦/١٤

شمعون ، وكان من الحواريين ، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً أربع مئة سنة وأربعاً وثلاثين سنة وإن حواريي عيسى بن مريم كانوا اثني عشر رجلاً ، وكان قد تبعه بشر كثير ولكنه لم يكن فيهم حواري إلا اثنا عشر رجلاً ، وكان من الحواريين القَصّار والصيّاد ، وكانوا عمالاً يعملون بأيديهم ، وإن الحواريين من الأصفياء ، وإن عيسى حين رُفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت نبوته ثلاثين شهراً ، وإن الله رفعه بجسده ، وإنه حيّ الآن ، وسيرجع الى الدنيا فيكون فيها ملكاً ثم يموت كما يموت الناس ، وقرية عيسى تسمّى ناصرة ، وأصحابه يسمَّوْن الناصريين ، وكان يقال لعيسى : الناصري ، فلذلك سميت النصارى .

وبالإسناد عن أبي الوليد هشام بن عمار قال :

بلغني أنّ من آدم إلى يوم غرقت الأرض ألفي سنة ومئتي سنة واثنتين وأربعين سنة ، ومن يوم غرقت الأرض إلى أن ظهر إبراهيم ألف سنة وخمس عشرة سنة ، ومن أيام إبراهيم إلى خروج بني إسرائيل من مصر أربع مئة سنة وثمانين سنة ، ومن خروج بني إسرائيل إلى بنيان بيت المقدس سبع مئة سنة وستاً وأربعين سنة ، ومن بنيان بيتِ المقدس إلى أن سباهم بخت ناصر[1] أربع مئة سنة وعشرين سنة ، ومن بخت ناصر[1] الى خروج عيسى بن مريم ست مئة سنة وثلاثين سنة وستة أشهر ، ومن عيسى إلى أن بَعثَ الله محمداً ﷺ بالحق ست مئة سنة وإحدى وعشرين سنة .

وبسنده عن ابن شهاب

أن قريشاً كانت تعدّ قبل عدد رسول الله ﷺ من زمن الفيل ، كانوا يعدّون بين الفيل وبين الفجار أربعين سنة ، وكانوا يعدّون بين الفجار وبين وفاة هشام بن المغيرة ست سنين ، وكانوا بعدّون بين وفاة هشام وبين بنيان الكعبة تسع سنين ، وكانوا يعدون [٤/أ] بين بنيان الكعبة وبين أن خرج سيدنا رسول الله ﷺ إلى المدينة خمس عشرة سنة ، منها خمس سنين قبل أن ينزّل عليه ثم كان العدد بعدُ .

---

(١) كذا في الأصل .

وبه عن كعب قال :

بدأ الله خلق السماوات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثم جعل مع كل يوم ألف سنة .

وبإسناده عن الزهري والشعبي قالا :

لما هبط آدم من الجنة وانتشر ولده أرّخ بنوه من هبوط آدم ، فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحاً فأرّخوا ببعث نوح ، حتى كان الغرق فهلك مَن هلك ممن كان على وجه الأرض ، فلما هبط نوح وذريّته وكلٌ مَن كان في السفينة إلى الأرض قسمَ الأرضَ بين ولده أثلاثاً : فجعل لسامٍ وسطاً من الأرض ، وفيها بيت المقدس والنيل والفرات ودجلة وسَيْحان وجيحان وقَيْسون وذلك ما بين قَيْسون الى شرقي النيل ، وما بين مَنْخَر ريح[1] الجنوب إلى مَنْخَر الشمال ، وجعل لِحامٍ قسمة غربي النيل فما وراءه الى منخر ريح الدَّبور ، وجعل قسم يافث في قيسون فما وراءه الى منخر ريح الصَّبا . فكان التاريخ من الطوفان الى نار إبراهيم . فلما كثر ولد إسماعيل افترقوا : فأرّخ بنو إسحاق من نار إبراهيم إلى مبعث يوسف ، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى ، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان ، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى ، ومن مبعث عيسى إلى مبعث سيدنا رسول الله ﷺ . وأرّخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم إلى بناء البيت حين بناه إبراهيم وإسماعيل ثم أرّخوا من بناء البيت حتى تفرقت معدّ ، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرّخوا مخرجهم ، ومن بقي بتهامة من بني إسماعيل يؤرخون من خروج مَعَدّ وفِهر وجُهينة من بني زيد من تهامة حتى مات كعب بن لؤي ، فأرّخوا من موت كعب بن لؤي إلى الفيل ، فكان التاريخ من الفيل حتى أرّخ عمر بن الخطاب من الهجرة ، وذلك سنة سبع عشرة أو ثمانِ عشرة .

وبسندنا عنه عن مشايخه عن عبد العزيز بن عمران قال :

لم يزل للناس تأريخ ، كانوا يؤرخون في الدهر الأول من هبوط آدم من الجنة [٤/ب] لم يزل ذلك حتى بعث الله نوحاً فأرّخوا من دعاء نوح على قومه ، ثم أرّخوا من الطوفان ، ثم لم يزل كذلك حتى حُرّق إبراهيم فأرخوا من تحريق إبراهيم ، وأرّختْ بنو

---

(١) في الأصل والتاريخ : « الريح الجنوب » . وما أثبتناه من تاريخ الطبري ١٩٣/١ ، ومنخر الريح : موضع هبوبها .

إسماعيل من بنيان الكعبة ، ولم يزل كذلك حتى مات كعبُ بن لؤي فأرّخوا من موته فلم يزل كذلك حتى كان عام الفيل فأرّخوا من عام الفيل . ثم أرّخ المسلمون بعدُ من مُهاجَر سيدنا رسول الله ﷺ . وقد كان للعرب أيضاً تأريخ .

وقال أبو عبيدة :

لم يزل لفارس تأريخ يعرفون أمورهم به ، وتأريخ حسابهم منذ هلك يَزْدَجرد بن شهريار .

قال : ولبني إسرائيل تأريخ آخر بسنيّ ذي القرنين .

ذكر اختلاف الصحابة في التاريخ

وما نقل فيه من الاتفاق منهم

وباسنادنا عنه عن مشايخه عن الزهري

أنّ رسول الله ﷺ أرّخ التأريخ حين قدم المدينة في شهر ربيع الأول .

قال أبو حفص :

وقدم ﷺ المدينـة يوم الاثنين ارتفـاع النهـار لثنتي عشرة ليلـة من ربيع الأول ، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة .

وعن ابن شهاب

أن النبي ﷺ أمر بالتأريخ يوم قدم المدينة في شهر ربيع .

وقد رُوي ابتداء التأريخ ، ولم يبيّن مَن أمر به .

قال : والمحفوظ أن الآمر بالتأريخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وروي عن ابن عباس قال :

كان التأريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله ﷺ المدينة .

وفي رواية عن محمد بن سهل والبخاري :

وفيها ولد عبد الله بن الزبير .

وبسنده عن عمرو بن دينار قال :

كان التأريخ في عشر سنين من سني رسول الله ﷺ ، وفي تلك السنة ولد ابن الزبير .

وبسنده عن سهل بن سعد قال :

أخطأ الناس العدد ، لم يعدّوا من مبعث النبي ﷺ ، ولم يعدّوا من متوفاه ، إنما عدّوا من مَقْدَمه المدينةَ .

وكان تأريخ قريش في الجاهلية بمكة من مُتَوَفَّى هشام بن المغيرة .

وبسنده عن ميمون بن مهران [٥ / أ] قال :

وقع إلى عمر رضي الله عنه صكّ مَحِلُّه[1] في شعبان فقال عمر : أي شعبان هذا ؟ الذي مضى أو الذي هو آت أو الذي نحن فيه ؟ ثم جمع أصحابَ رسول الله ﷺ فقال لهم : ضعوا للناس شيئاً يعرفونه فقال قائل : اكتبوا على تأريخ الروم ، فقيل : إنه يطول ، وإنهم يكتبون من عدد ذي القرنين ، وقال قائل : اكتبوا على تأريخ الفرس ، فقيل : إن الفرس كلما قام ملك طرحَ ما كان قبله ، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة ، فوجدوه أقام بها عشر سنين فكَتَب أو فكُتِب التأريخ على هجرة رسول الله ﷺ .

وبسنده عن ابن سيرين

أنّ رجلاً من المسلمين قدم من أرض اليمن فقال لعمر : رأيت شيئاً يسمونه التأريخ ، يكتبون من عام كذا وشهر كذا ، فقال عمر : إن هذا لحسنٌ فأرّخوا ، فلما أجمع على أن يؤرخ شاور ، فقال قوم : مولد النبي ﷺ ، وقال قوم : بالمبعث ، وقال قائل : حين خرج مهاجراً من مكة وقال قائل : الوفاة حين توفي . فقال : أرّخوا خروجَه من مكة إلى المدينة . ثم قال : بأيّ شهر نبدأ فنصيّره أوّلَ السنة ؟ فقالوا : رجب ، فإنّ أهل الجاهلية كانوا يعظمونه ، وقال آخرون : شهر رمضان ، وقال بعضهم : ذو الحجة فيه الحج ، وقال آخرون : الشهر الذي خرج من مكة ، وقال آخرون : الشهر الذي قدم فيه . فقال عثان : أرّخوا المحرّم أول السنة ، وهو شهر حرام ، وهو أول الشهور في العدّة ، وهو منصرف الناس عن الحج ، فصيّروا أول السنة المحرم فكان أول ما أرخ في الإسلام من مهاجَرِ النبي ﷺ ، فقال الناس : سنة إحدى وسنة اثنتين إلى يومنا هذا ، وكان التأريخ في سنة سبع عشرة ، ويقال في سنة ست عشرة في ربيع الأول .

---

(١) حلَّ الدَّيْنُ يحلُّ : وجب ، وحان مَحِلّ الدَّيْن . « أساس البلاغة » .

وعن ابن المسيب قال :

أوّلَ مَنْ كتب التـاريـخ عمر ، لسنتين ونصف من خـلافتـه ، فكتبـه لستٌ عشرةَ من المحرم ، بمشورةٍ من علي بن أبي طالب ، رضي الله عنهما .

وعن محمد بن عمر قال :

حجّ عمر في سنة [٥ / ب] ستٌ عشرةَ وخلَّف على المـدينـة زيـد بن ثـابت ، وفيها كُتب التـأريخ في شهر ربيـع الأول ، يعني أن في ربيـع الأول كُتب التـأريـخ لا أنّـه جُعـل ابتداء التأريخ من ربيع الأول ، وإنما جُعل من المحرم .

ذكر تاريخ الهجرة

وبإسناده عن أبي حفص الفلاّس :

قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم الاثنين ، ارتفاعَ النهار لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول .

وعن يزيد بن أبي حبيب

أنّ النبي ﷺ أقام بمكة عشراً ، وخرج منها في صَفَر ، وقدم المدينة في شهر ربيع الأول .

وقال ابن القوّاس :

كان أول المحرم سنة الهجرة ، يوم الخميس اليوم السابع عشر من أفروردين ماه سنة ثلاث وثلاثين لكسرى ابرواز ، واليوم الثامن من أيار سنة ثلاث وثلاثين وتسع مئة لذي القرنين .

القول في اشتقاق تسمية الأيام والشهور

وعن ابن عباس قال :

إن الله تعالى خلق يوماً فسماه الأحد ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء ثم خلق خامساً فسماه الخميس . فخلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، ولذلك يقول الناس : يوم ثقيل ، وخلق موضع القرى والأشجار يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والآفة يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، وفرغ من الخلق يوم السبت .

وعن أبي عمرو بن العلاء المقرئ ·

كانت العرب في الجاهلية يسمُّون الأحد أوَّلَ ، والاثنين أهْوَن ، والثلاثاء دِبار[1]، والأربعاء جُبار ، والخميس مُؤنِس ، والجمعة عَرُوبَة ، والسبت شِيار .

قال : وكان أبو عمرو بن العلاء يقول :

إنما سُمِّيَ المحرمُ لأنّ القتالَ حَرُمَ فيه ، وصَفَرٌ لأن العرب كانت تنزل فيه بلاداً يقال لها صَفَر[2]، وشهرا ربيعٍ كانوا [٦ / أ] يَرْبَعُون فيهما ، وجُمادَيان كان يَجْمدُ الماء فيهما ، ورَجَبٌ كانوا يُرَجِّبون فيه النخلَ ، وشعبانٌ تَشَعَّبتْ فيه القبائل ، ورمضانٌ رَمَضَتْ فيه الفِصال من الحرّ[3]، وشَوّالٌ شالَتْ الإبل بأذْنابها للضِراب ، وذو القعدة قعدوا فيه عن القتال ، وذو الحجة كانوا يحجّون فيه . فأما أول السنة فالمحرّم .

---

(١) في اللسان والقاموس « جبر ، دبر » : الثلاثاء جبار والأربعاء دبار . ودبار فيهما بالضم أو بالكسر .

(٢) هو جبل بنجد . معجم البلدان والمشترك وضعاً « صفر » .

(٣) قال ابن الأثير : « وهي أن تحمى الرمضاء وهي الرمل فتبرك الفصّال من شدة حرها وإحراقها أخفافها » النهاية واللسان « رمض » .

وبسنده عن ابن عباس

في قوله : ﴿ وَالفَجْرِ وَلَيالٍ عَشْر ﴾[1] قال : هو المحرم فجر السنة .

وبسنده عن عُبيد بن عُمير قال :

المحرم شهر الله ، وهو رأس السنة ، فيه يُكْسَى البيت ، ويُؤَرَّخُ التاريخ ، ويُضْرَبُ فيه الوَرِق ، وفيه يومٌ تابَ فيه قومٌ فتاب اللهُ عليهم .

---

(١) سورة الفجر ٨٩ / ١

السبب الذي حمل الأئمة

على أن قيّدوا المواليد وأرّخوا التواريخ

وبسندنا عنه عن مشايخه عن أبي عمر الخراساني قال : قال سفيان الثوري :

لما استعمل الرواة الكذب استعملنا لهم التاريخ . أو كما قال أبو عمر .

وبسنده عن حفص بن غياث قال :

إذا اتّهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين ، يعني احسبوا سنّه وسنّ من كتب عنه .

وقال حسان[1] بن زيد :

لم نستعن على الكذابين بمثل التاريخ ، نقول للشيخ : سنة كم ولدت ؟ فإذا أقرّ بمولده عرفنا صدقه من كذبه .

قال أبو حسان[2] الراوي :

فأخذتُ في التاريخ ، فأنا أعمله من ستين سنة .

قال الحسن بن الربيع :

قدمت بغداد فلما خرجتُ شيَّعَني أصحاب الحديث ، فلما برزتُ الى خارج ، قال لي أصحابُ الحديث : توقفْ فإن أحمد بن حنبل يجيء ، فتوقفت ، فجاء أحمد بن حنبل ، فقعد فأخرج ألواحه فقال : يا أبا علي أمْلِ عَلَيّ وفاةَ عبد الله بن المبارك ، في أي سنةٍ مات ؟ فقلت : سنة إحدى وثمانين ، فقيل له : ما تريد بهذا ؟ فقال : أريد الكذابين .

---

(١) في هامش الأصل « حماد بن زيد » ، وهو إشارة إلى أن ابن عساكر سيصحح اسم الراوي في آخر الخبر . انظر تاريخ دمشق سخة الظاهرية ذات الرقم (٣٣٦٦) ق ١٢/ ب والمطبوع ٤٦/١

(٢) هو أبو حسان الزيادي « ابن عساكر » . مخطوطة الظاهرية « ١٢/ ب

قال أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد التميمي الحافظ :

ينبغي لطالب الحديث ومَن عُني به أن يبدأ بكَتْبِ حديثِ بلده ، ومعرفة أهله ، وبفهمه وضبطه حتى يعلم صحيحه وسقيمه ، ويعرف أهل الحديث به وأحوالهم معرفة تامة [٦/ ب] إذا كان في بلده علمٌ وعلماءُ قديماً وحديثاً ، ثم يشتغل بعدُ بحديث البلدان والرحلة فيه .

ذكر أصل اشتقاق تسمية الشام

وبإسنادنا عنه عن مشايخه عن هشام بن محمد عن أبيه قال :

كان الذي عَقَدَ لهم ـ يعني ولد نوح عليه السلام ـ الألويةَ ببـابل يونـاطن[1] بن نوح ، فنزل بنـو سـام المَجْـدَلَ سُرّةَ الأرض ، وهـو فيما بين سـاتيـدَمـا إلى البحر ، وفيما بين اليمن إلى الشـام ، وجعل الله النبوّةَ والكتـابَ والجمـالَ والأُدْمـةَ والبيـاضَ فيهم ، ونزل بنو حـام مجرى الجَنوب والدَّبور ويقال لتلك الناحية الـدَّارُوم ، وجعل الله فيهم أُدْمـةً وبيـاضـاً قليلاً وأعمر بـلادَهم وسماءهم ورفـع عنهم الطـاعـون ، وجعـل في أرضهم الأَثْـل والأَراكَ والعُشَرَ والغـافَ والنخلَ ، وجرت الشمس والقمر في سمائهم . ونزل بنو يافث الصَّفون مجرى الشمال والصَّبـا ، وفيهم الحمرةُ والشقرةُ ، وأخلى الله أرضَهم فاشتـدّ بردُهـا ، وأجلا سماءهـا ، فليس يجري فوقهم شيء من النجوم السبعة الجارية ، لأنهم صاروا تحت بنات نعش والجدي والفرقـدين ، وابتُلوا بالطاعون ، ثم لحقتْ عاد بالشِّحْر ، فعليه هلكوا بوادٍ يقال لـه مُغيث ، فلحقت بعـدهم مَهْرَة بـالشِّحْرِ ، ولحقت عَبيل بمـوضـع يثرب ، ولحقت العماليـق بصنعـاء قبـل أن تسمى صنعـاء ثم انحدر بعضهم إلى يثرب فأخرجوا منها عَبيلاً فنزلوا موضع الجُحْفَـة ، فـأقبل سيلٌ فـاجتَحَفَهم فـذهب بهم فسميت الجُحْفَـة . ولحقت ثمـودُ بـالحِجْر ومـا يليـه فهلكـوا ثَمَّ . ولحقت طَسْم وجَدِيس باليمامة ، وإنما سميت اليمامة بامرأةٍ منهم ، فهلكوا . ولحقت أُمَيْم بأرض أُبـار فهلكوا بها وهي بين اليمامة والشِّحْر ولا يصل إليها اليوم أحد ، غلبت عليها الجن ، وإنما سُمّيتْ أبار بـأُبـار بن أميم . ولحقتْ بنـو يقطن بن عـامر بـاليمن فسميت [٧/أ] اليمن حيث تيـامَنـوا إليها . ولحق قوم من بني كنعان بن حام بالشأم فسميت الشـأم حين تشـاءموا إليهـا ، وكانت الشأمُ يقال لها أرض بني كنعان ، ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها ، ونَفَوْهم عنهـا ، فكانت

(١) كذا في الأصل . وفي تاريخ الطبري ٢٠٨/١ : « بوناظر »

الشأم لبني إسرائيل ، ووثبت الروم على بني إسرائيل ، فقتلوهم وأجلَوْهم إلى العراق إلا قليلاً منهم . وجاءت العربُ فغلبوا على الشام .

وكان فالغ ـ وهو فالخ بن أرْفَخْشذ بن سام بن نوح ـ هو الذي قسم الأرض بين بني نوح كما سمينا في الكتاب .

قال : ويقطن هو قحطان بن عابر بن شالخ . وطَسْم وأُميم وعِمْليق وهو عَرِيْب بنو لوذ[1] بن سام بن نوح . وثمود وجَديس ابنا جاثر[2] بن إرم بن سام بن نوح . وعادٌ وعَبيل ابنا عَوْص بن إرَم بن سام بن نوح . والروم بنو لنطن[3] بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام .

قال أبو الجلد[4] :

الأرض أربعةٌ وعشرون ألف فرسخ ، منها ألفُ فرسخ للعرب ، ولسائر الناس البقيةُ .

قال :

والشام فيه وجهان : يجوز أن يكون مأخوذاً من اليد الشُؤْمَى : وهي اليسرى ، ويجوز أن يكون فَعلى من الشُؤْم ، وقد أشأم : أتى الشام .

وقال أبو الحسين بن فارس :

أما الشّأم فهو فَعْلٌ من اليد الشُؤْمى : وهي اليسرى ، يقال : أخذ شأمةً أتى على يساره ، وشأمتٌ القومَ ذهبتٌ على شمالهم . وقال قوم : هو من شُوم الإبل وهي سودها وحِضارها[5] هي البيض . ورجل شآمٍ من أهل الشام .

وقال ابن المقفّع :

سُمّيت الشام بسام بن نوح ، وسام اسمه بالسريانية شام وبالعبرانية شيم .

---

(١) في القاموس المحيط والمجلدة الأولى من ابن عساكر ص ٧ : « لاوذ » .

(٢) كذا في الأصل ، وفي تاريخ الطبري ٢٠٤/١ : « غاثر » .

(٣) رسمت اللفظة في المتن مضطربة وفوقها ضبة ، وفي الهامش مايلي : بيانه : لنطن .

(٤) عند ابن عساكر ٨/١ « أبي الخلد »

(٥) في الأصل بفتح الحاء والذي في اللسان « حضر » بالكسر .

وقال الكلبي :

سُمّيت الشام بشاماتٍ لها حمر وسود وبيض ، ولم ينزلها سام قط .

وقيل :

سُمّيت الشام لأنها عن شمال الأرض كما أن اليمن أيمن الأرض .

وقالوا :

تشاءم للذين نزلوا الشام .

وقال بعض الرواة :

اسم الشام الأول سورية ، وكانت أرضَ بني إسرائيل ، قُسّمت على اثني عشر سهماً فصار لكل قسمٍ [٧/ب] تسعة أسباط ونصف في مدينةٍ يقال لها شامرين وهي من أرض فلسطين ، فصار إليها مَتْجَر العرب في ذلك الدهر ، ومنها كانت مِيرتُهم فسمّوا الشام بشامرين ثم حذفوا فقالوا الشام .

ذكر تاريخ مدينة دمشق ومعرفة من بناها

قال إسحاق بن أيوب القرشي :

جَيْرون من بناء سليمان بن داود ، بَنَتْه الشياطين ، وكان الشيطان الذي بناه يُدعى جيرون ، وهي سقيفة مستطيلة على عُمُد ، وسقائف على عُمُد وحوله مدينة تُطيف بجيرون .

وقال خُصَيْف :

لما هبط نوح من السفينة وأشرف من جبل حِسْمَى[1] رأى تَلَّ حرّان[2] بين نهرين : جلاب وديصان فأتى حرّانَ فخَطّها ، ثم أتى دمشق فخطّها . فكانت حرّانُ أولَ مدينة خُطت بعد الطوفان ، ثم دمشق .

وقيل :

إن أصحاب الرسّ كانوا بحَضُور[3] فبعث الله إليهم نبيًّا يقال له حنظلة بن صفوان فكذّبوه وقتلوه ، فسار عاد بن عوص بن إرَم بن سام بن نوح بولده من الرّسّ فنزل الأحقاف ، وأهلك الله أصحابَ الرّسّ . وانتشر ولد عاد في اليمن كله ، وفشوا مع ذلك في الأرض ، حتى نزل جيرون بن سعد بن عاد بن عوص دمشق وهي مدينتها ، وسماها جيرون وهي إرم ذات العماد . وليس أعمدةُ الحجارة في موضع أكثرَ منها بدمشق ، فبعث الله هود بن عبد الله بن رباح بن خالد بن الجلود بن عاد بن عوص بن إرَم بن سام بن نوح نبياً إلى عاد يعني إلى أولاد عاد بالأحقاف فكذبوه فأهلكهم الله .

---

(١) حسْمى : أرض ببادية الشام قرب تبوك (معجم البلدان)

(٢) تل حران قرية بالجزيرة على طريق الموصل والشام والروم ، بينها وبين الرها يوم وبينها وبين الرقة يومان

(٣) حضور : بلدة باليمن من أعمال زبيد

وقيل :

جَيْرون وبَريد كانا أخوين ، وهما ابنا سعد بن لقمان بن عاد ، وهما اللذان يُعرف جَيْرون وبابُ البَريد بدمشق بها .

وقال منصور بن يحيى بن سعيد الموصلي :

المدن القديمة : الكعبةُ ومصرُ ودمشقُ والجزيرةُ والأُبلَّةُ[1] [٨/ أ] ونِينَوَى[2] وحَرّانُ والسُّوسُ[3] الأقصى .

وقال وهب بن مُنَبِّه :

دمشق بناها العازر غلام إبراهيم الخليل ، وكان حبشيّاً وهبه له نمرود[4] بن كنعان حين خرج إبراهيم من النار ، وكان اسم الغلام دمشق ، فسمّاها على اسمه ، وذلك بعد الغرق ، وكان إبراهيم جعله على كل شيء له ، وسكنها الروم بعد ذلك بزمان .

وحكي :

أن بيوراسب الملك الكيوناني بنى مدينة بابل ، ومدينة صور ، ومدينة دمشق .

وحكى الدمشقيون قالوا :

كان في زمن معاوية بن أبي سفيان رجلٌ صالحٌ بدمشق وكان يقصده الخضر عليه السلام في أوقاتٍ يأتيه فيها ، فبلغ معاويةَ بن أبي سفيان ذلك فجاء إليه راجلاً فقال له : بلغني أن الخضر ينقطع إليك فأُحبّ أن تجمع بيني وبينه عندك ، فقال له : نعم ، فجاءه الخضر عليه السلام ، فسأله الرجل ذلك فأبى عليه وقال : ليس إلى ذلك سبيل . فعرّف الرجل ذلك لمعاوية فقال : قل له : قد قعدنا مع مَن هو خير منك وحدثناه وخاطبناه وهو محمد رسول الله ﷺ ، ولكن سَلْهُ عن ابتداء بناء دمشق ، كيف كان ؟ فقال : نعم ، صرتُ

---

(١) الأبلة بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة

(٢) نينوى : قرية بالموصل

(٣) السوس : بلدة بالمغرب

(٤) نمرود يجوز فيها الإهمال والاعجام كما في التاج « نمرد ونمرذ » .

إليها فرأيت موضعها بحراً مستجمعاً فيه المياه ، ثم غبت عنها خمس مئة سنة ، ثم صرت إليها فرأيتُها غيضةً ، ثم غبت عنها خمس مئة سنة ، ثم صرت إليها فرأيتها بحراً كعادتها الأولى ، ثم غبتُ عنها خمس مئة عام ، وصرتُ إليها فرأيتها قد ابتدئ فيها بالبناء ، ونَفرٌ يسيرٌ فيها .

وقال أبو البَخْتري :

ولد إبراهيم على رأس ثلاثة آلاف ومئة وخمسين سنة من جملة الدهر الذي هو سبعة آلاف سنة . قال : وذلك بعد بنيان دمشق بخمس سنين .

وقيل : إن دمشق بناها دمسقس غلام الاسكندر .

قالوا : لما رجع ذو القرنين من المشرق وعمل السدّ بين أهل خراسان وبين يأجوج ومأجوج وسار يريد المغرب ، فلمّا أن بلغ الشام وصعد على عقبة دمّر أبصر هذا الموضع الذي فيه اليوم مدينة دمشق وكان هذا [٨ / ب] الوادي الذي يجري فيه نهر دمشق غيضة أرز . والأرزة التي وقعت في سنة ثلاث مئة وثلاث عشرة من بقايا تلك الغيضة . فلما نظر ذو القرنين إلى تلك الغيضة وكان هذا الماء ـ الذي في هذه الأنهار اليوم مفترق ـ مجتمعاً في وادٍ واحد . فأخذ الإسكندر ، ذو القرنين ، يتفكر كيف يبني فيه مدينة ، وكان أكثرُ فكره وتعجُّبه أنه نظر إلى جبل يدور بذلك الموضع وبالغيضة كلها ، وكان له غلام يقال له دمسقس على جميع ملكه . ولما نزل ذو القرنين من عقبة دمّر سار حتى نزل في موضع القرية المعروفة بيلدا من دمشق على ثلاثة أميال ، فلما نزل ذو القرنين أمر أن يحفر له في ذلك الموضع حفيرة ، فلما فعلوا ذلك أمر أن يردّ التراب الذي أخرج منها إليها ، فلما ردّ التراب إليها لم تمتلئ الحفيرة : فقال لغلامه دمسقس : ارحلْ فإني كنت نويت أن أُؤَسّس في هذا الموضع مدينةً ، فأما إذ بان لي منه هذا فما يصلح أن يكون ها هنا مدينة . فقال له : لِمَ ؟ قال : إنْ بُني هاهنا مدينة فإنها ما يكون يكفي أهلَها زرعُها .

قال :

وعلامة ذلك أن أهل غوطة دمشق لا تكفيهم غلاّتهم حتى يشتروا لهم من المدينة ـ ورحل ذو القرنين حتى صار إلى البَثَنيّة وحوران ، وأشرف على تلك السّعة ، ونظر إلى تلك التربة الحمراء ، فأمر أن يُناول من ذلك التراب ، فلما صار في يده أعجبه ، فأمر أن

ينزل هنـاك ، وأمر أن يُحْفَر في ذلـك الموضـع حَفيرة ، فلمـا حفروا أمر أن يُردَّ ذلـك التراب الذي حفروا الى المكان الـذي أُخرج منـه ، فردّوه ففضل منـه ترابٌ كثيرٌ ، فقـال ذو القرنين لغلامه دمسقس : ارجع إلى الموضع الذي فيه الأرز إلى ذلك الوادي فاقطع ذلك الشجر وابنِ على حافّةِ الوادي مدينةً وسمّها على اسمك ، فهنـاك يصلح أن يكون مـدينـة ، وهـذا الموضع بحرها[1] ومنه ميرتُها ـ يعني البَثَنِيَّةَ وحوران ـ فرجع دمسقس ورسم المدينة وبناها وعمل لها حصنـاً ، والمـدينـة التي كانت رسم دمسقس هي المـدينـة الـداخلـة ، وعمل لهـا ثلاثـة أبواب جيرون ، مع ثلاثة [٩ / أ] أبواب البريد ، مع باب الحديد الـذي في سوق الأسـاكفـة ، مع باب الفراديس الداخلة . هذه كانت المدينة ، إذا أغلقت هذه الأبواب فقد أغلقت المـدينـة ، وخارج هذه الأبواب كان مرعى فبناها دمسقس وسكنها ، ومات فيهـا . وكان قـد بنى هـذا الموضع الذي هو المسجد الجامع اليوم ، كنيسة يعبد الله فيها إلى أن مات .

وقيل :

إن الذي بنى دمشق بناها على الكواكب السبعة ، وأن المشتري بيتُهُ دمشق ، وجعل لها سبعة أبواب ، وصوّر على كل باب أحد الكواكب السبعة ، وصوّر على بـاب كيسـان زحل ، فخربت الصور كلها التي كانت على الأبواب إلاّ باب كيسان ، فإن صورة زحل عليـه بـاقيـة الى الساعة .

وقيل :

باب كيسان لزحل ، باب شرقي للشمس ، باب تومـا للزهرة ، بـاب الصغير للمشتري ، باب الجابية للمريخ ، باب الفراديس لعُطارد ، باب الفراديس الآخر المسدود للقمر .

ولما قدم عبد الله بن علي دمشق وحاصر أهلها ، فلما دخلها هـدم سورهـا ، فوقع منهـا حجر ، عليه مكتوبٌ باليونانية ، فأرسلوا خلف راهب ، فقالوا له : تقرأُ ما عليه ؟ فقـال : جيئوني بقيرٍ فطبعه على الحجر فإذا عليه مكتوب :

« ويكِ إرمَ الجبابرة مَنْ رامك بسوءٍ قصمه اللهُ ، إذا وهى منك جيرونُ الغربي من باب

---

(١) البحر : الريف . والعرب تسمي المدن والقرى : بحاراً . اللسان : « بحر » .

البريد ، ويلكِ من الخمسة أعين ، نقضُ سورك على يَـدَيْـه ، بعـد أربعـة آلاف سنـة تعيشين رغداً ، فإذا وهى منك جيرون الشرقي أُديل لك ممن تعرض لك »

قـال : فـوجـدنـا الخمســة أعين : عبـد الله بن علي بن عبـد الله بن عبــاس بن عبـد المطلب[1].

ويقال : إن ملك دمشق بنى حصن دمشق الذي حول المسجد داخل المدينة على مسحة مسجد بيت المقدس ، وحمل أبواب مسجد بيت المقـدس فوضعهـا على أبوابـه ، فهـذه الأبواب التي على الحصن هي أبواب مسجد بيت المقدس .

(١) الخبر في قرة العيون في أخبار باب جيرون ٨

[اشتقاق تسمية دمشق]

وأما اشتقاق تسمية دمشق فقيل : دمشق فِعَلّ ، من قول العرب : ناقة دَمْشَق اللحم ، إذا كانت خفيفة . [٩ / ب] . ويقال : إن سيف الدولة سأل عن دمشق : هل يقال فيها دِمَشْقة[١] أم لا ؟ فأجيب إنها لا يقال إلا بغير هاء ، فأعاد الجواب : إن عبد الرحمن بن حنبل[٢] الجمحي قال وهو بعسكر يزيد بن أبي سفيان عند حصارهم دمشق[٣]: [الطويل]

أبلغْ أبا سفيانَ عنّا بأنّنا على خيرِ حالٍ كانَ جيشٌ يكونها
وأنّا على بابَيْ دِمَشْقَةَ نَرْتَمي وقد حان من بابَيْ دِمَشْقَةَ حَيْنُها

وقيل : إن رجلاً من حكماء الروم قال : إنّما سميت دمشق بالرومية وإن أصل اسمها دوومسكس أي مسكٌ مضاعفٌ لطيبها لأن (دوو) للتضعيف و (مسكس) هو المِسْك ، ثم عُرّبت ، فقيل : دمشق .

ويقال : إنه ولد لإسماعيل بن إبراهيم اثنا عشر رجلاً ، فسمّاهم ، قالا[٤]: ودمّا ، وهو دِيما ، وبه سُمّيتْ دُومة الجندل .

وولد للوط أربعة بنين وابنتان ، فأما البنون فاسمهم : مآب وعمّان وجُلان ، وملكان ، والبنات زغر والريّة . فعمّان مدينة البلقاء سُمّيت بعمّان بن لوط ، ومآب البلقاء سُمّيت بمآب بن لوط ، وعين زُغَر سميت بزُغَر بنت لوط ، والريّة سُمّيت بالريّة بنت لوط .

---

(١) في الحاشية بخط مخالف : « انما قصد دمشقة لأجل الوزن ، والمشهور دمشق بغير هاء والله أعلم »

(٢) في اسم أبيه خلاف عرضه الزركليّ في الأعلام ـ ط دار العلم للملايين ـ ٣ / ٣٠٥ ورجح « حنبل » التي وردت في الأصل دون نقط .

(٣) البيتان في الإصابة ٢ / ٣٩٥

(٤) أي ابن إسحاق والكلبي . وانظر الخبر في طبقات ابن سعد ١ / ٥١

ويقال : سُمّيت صَيْدا التي بالشام بصَيْدون بن صدقا بن كنعان بن حام بن نوح[(١)]، وهو أول مَنْ وَلَدَهُ إرَم[(١)]، وسميت أريحا التي بالشام بأريحا بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وسُمّيت البلقاء ببالق بن عمان بن لوط لأنه بناها وسكنها .

ويقال : البلقاء من عمل دمشق سُمّيت ببلقاء بن شويرة من بني عَمّان بن لوط ، وهو بناها

ويقال : ولد للوط أربعة ، رجلان مُآب وعمّان ، وامرأتان : زُغَر والريّة . فعمّان مدينة البلقاء سميت بعمّان بن لوط ، ومآب من مدائن البلقاء سُمّيت بمُآب بن لوط ، وزغر سميت بزُغر ابنة لوط ، والريّة بريّة بنت لوط .

ويقال : إن الكسوة إنما سميت بذلك لأنّ غسان قَتَلَتْ بها رُسُلَ ملك الروم إليه لأخذ الجزية منهم واقتسمت [١٠ / أ] كسوتهم .

وأما مؤتة - مهموزة والهمزة ساكنة - فهي الأرض التي قُتل فيها جعفر بن أبي طالب . وجيْرون : من قولك : جَرَنَ الشيءُ إذا املاسّ ، والجارن : الأملس من كل شيء .

وجلّق من قولك : جَلّقَ راسَه إذا حلقه .

والجابية : من الجابية وهي الحوض ، والجمع جوابٍ .

وأذْرُح من قولك : هو ذَريحيّ ، أي شديد الحمرة .

والبلقاء : من البَلَق .

وتدمرُ من قولك : دَمَر أي دخل .

وبيروت : فَيْعول من البُرْت وهو الرجل الدّليل .

وجَبَلة : من الجبل ، وكل شيء اجتمع وعَظُمَ فهو جبل .

وصُور : جمعٌ من جمع صورة ، ويقال : هو من صارَهُ يصُورهُ أي أماله .

وعكّا من قولك : عككْتُه : أي حبستُه ، والعَكّة : شدة الحر .

(١ - ١) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

حث النبي ﷺ أمته على سكنى الشام
وإخباره بتكفل الله عز وجل لمن سكنه من أهل الإسلام

وبإسنادنا عن المصنف عن مشايخه عن عبد الله بن حَوالة قال : قال رسول الله ﷺ :

إنكم ستُجنَّدون أجناداً ، جنداً في الشام ، وجنداً في العراق ، وجنداً باليمن . قال : قلت : يا رسول الله : خِر لي . قال : عليكم بالشام ، فمن أبى فليلحق بيمنه ، وليستق من غُدره ، فإنّ الله قد تكفَّل لي بالشام وأهله .

قال سعيد بن عبد العزيز :

وكان ابنَ حَوالة رجلاً من الأزْد ، وكان مسكنه الأردنّ ، وكان إذا حدَّث بهذا الحديث ، قال : وما تكفَّل الله به فلا ضيعةَ عليه .

وفي رواية عبْد الله بن الأسقع قال :

عليكَ بالشام فإنها صفوةُ اللهِ من بلاده ، يسوق إليها صفوتَه من عباده .

وفي حديث آخر عن عبد الله بن حوالة الأزدي أنه قال :

يا رسول الله ، خِر لي بلداً أكون فيه ، فلو علمتُ أنك تبقى لم أختر على قربك ، قال : عليك بالشام ، ثلاثاً ، فلما رأى النبي ﷺ كراهيته إياها قال : هل تدري ما يقول الله في الشام ؟ إنّ الله يقول : يا شامُ يدي عليك ، ياشام [١٠/ ب] أنتِ صفوتي من بلادي ، أُدْخِلُ فيك خِيرةً من عِبادي ، أنتِ سوط نقمتي وسوط عذابي ، أنتِ الأندر[١] ، وإليك المَحْشَر . ورأيتُ ليلةَ أُسْري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة ، قلت : ما تحملون ؟ قالوا : عمود الإسلام ، أُمرنا أن نضعه بالشام ، وبينا أنا نائم إذ رأيت الكتاب

---

(١) الأندر : البيدر ، أو كُدْسُ القمح ، « القاموس »

اختُلِس من تحت وسادتي ، فظننتُ أنّ الله قد تخلّى[1] من أهل الأرض ، فأتبعته بصري ، فإذا هو بين يدي حتى وُضع بالشام . فمن أبى فليلحق بيمنه ، وليستق من غُدُره ، فإن الله قد توكّل لي[2] بالشام وأهله .

وعن عبد الله بن حوالة قال :

كنا عند رسول الله ﷺ فشكونا إليه العريَ والفقرَ وقلّة الشيء ، فقال رسول الله ﷺ : أبشروا ، فوالله لأنا من كثرة الشيء أخوفني عليكم من قلته ، والله لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله أرض فارس وأرض الروم وأرض حِمْير حتى تكونوا أجناداً ثلاثة : جنداً بالشام ، وجنداً باليمن ، وجنداً بالعراق ، وحتى يُعطَى الرجلُ المئةَ فيتسخَّطها .

قال ابن حوالة :

قلتُ : يا رسول الله ، ومن يستطيع الشام وبه الروم ذوات القرون ؟ قال : والله ليفتحنها الله عليكم وليستخلفَنّكم فيها حتى تظلّ العصابة البيضُ منهم قمصهم ، المحلّقة أقفاؤهم ، قياماً على الرُّوَيْجِلِ الأسود منكم المحلوق ، وما أمرهم من شيء فعلوه ، وإنّ بها اليوم رجالاً لأنتم أحقر في أعينهم من القِرْدان في أعجاز الإبل .

قال ابن حوالة :

فقلت : يا رسول الله ، اختر لي إن أدركني ذلك . قال : إني أختار لك الشام ، فإنه صفوةُ الله من بلاده ، وإليه يجتبي صفوتَهُ من عباده . يا أهل اليمن ، عليكم بالشام فإنّ صفوةَ الله من أرضه الشامُ ، ألا فمن أباه فليسق من غُدُر اليمن فإن الله قد تكفّل لي بالشام وأهله .

قال أبو علقمة : فسمعت عبد الرحمن بن جبير يقول :

فعرف أصحاب رسول الله ﷺ [١١/ أ] نعت هذا الحديث في جَزْء بن سُهيل السُّلَمي وكان على الأعاجم في ذلك الزمان ، كان إذا راحوا إلى مسجدٍ نظروا إليه وإليهم قياماً حوله فعجبوا لنعتِ رسول الله ﷺ فيه وفيهم .

---

(١) تخلى منه وعنه . القاموس .

(٢) اللفظة مستدركة في هامش الأصل

قال أبو علقمة :

أقسم رسول الله ﷺ في هذا الحديث ثلاث مرات ، لا نعلم أنه أقسم في حديثٍ مثله[1] .

وعن العرباض بن سارية السلمي عن النبي ﷺ

أنه قام يوماً في الناس فوعظهم موعظةً بليغةً وَجِلَتْ منها القلوبُ وذرفتْ منها العيونُ فقال : أيها الناس ، يوشك أن تكونوا أجناداً مجندة ، جند بالشام ، وجند بالعراق ، وجند باليمن ، فقام عبد الله بن حوالة فقال : يا رسول الله ، إن أدركني ذلك فاختر لي ، قال إني أختار لك الشام فإنه عقر دار المسلمين وصفوة الله من بلاده ، يجتبي إليها صفوتَه من خلقه ، وأما أنتم[2] فعليكم بيمنكم اسقوا من غُدركم ، فإن الله قد تكفَّل لي بالشام وأهله .

وعن عبد الله بن حوالة قال :

كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقال : يا بن حوالة ، كيف أنتَ إذا أدركتك فتنةٌ تفورُ في أقطار الأرض كأنها صياصي[3] بقر ؟! قلت : ما تأمرني يا رسول الله ؟ قال : عليك بالشام .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :

ستخرج نار من حضرموت ، أو من بحر حضرموت ، نار قَبْلَ يوم القيامة تحشر الناس . قال : قلنا : يا رسول الله ، فما تأمرنا ؟ قال : عليكم بالشام .

وفي رواية : ستخرج نار من حضرموت تسوقُ الناسَ الى المَحْشَر تَقِيلُ إذا قالوا ، وتسير إذا ساروا .

وعن كعب قال :

توشك نارٌ تخرج من اليمن تسوق الناسَ الى الشام ، تغدو معهم إذا غَدَوْا وتروح معهم إذا راحوا ، فإذا سمعتم بها فاخرجوا إلى الشام .

---

(١) الحديث كله في المعرفة والتاريخ ٢٨٨/٢ - ٢٩٠

(٢) كذا في الأصل ، وفي المجلدة الأولى ص ٧١ « وإمّا أبيتم » ولعلها أفضل .

(٣) صياصي : ج صيصة وهي قرن البقر « القاموس »

وعن بَهْزِ بن حَكِيم عن أبيه عن جدّه أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذرّ :

إذا رأيتَ البناء قد بلغ سَلْعاً فعليكَ بالشام . قال : فإنْ حِيلَ بيني وبين ذاك [١١/ ب] أفأضرب بسَيْفي من حال بيني وبين ذلك ؟ قال : لا ، ولكن اسمعْ وأطِعْ ولو لعبدٍ حبشيٍّ مُجَدَّع .

وعن بَهْزِ بن حَكِيم عن أبيه عن جده قال :

قلتُ : يا رسولَ الله ، بأبي وأمي ، ما تأمرني ؟ خِرِ لي ، قال : ها هنا ، ونحا بيده نحو الشام ، إنكم محشورون رجالاً وركباناً تُجَرُّون على وجوهكم .

وعن حَكِيم بن معاوية عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ :

تُحشرون ها هنا ـ وأوْمأ بيده إلى الشام ـ مشاةً وركباناً وعلى وجوهكم ، تُعرَضون على الله ، على أفواهكم الفِدام(١) ، فأول ما يُعرب عن أحدكم فخذه .

وعن معاوية بن حَيْدَة القشيري(٢)

أنه قدم على النبي ﷺ فقال : والذي بعثك بالحق ما خلصتُ إليك حتى حَلَفْتُ لقومي عَدَدَها ـ يعني أنامل كفيّه ـ تالله لا أتّبعك ولا أومن بك ولا أصدّقك ، وإني أسألك بالله : بم بعثك ربُّك ؟ قال : بالاسلام . قال : وما الإسلامُ ؟ قال : أنْ تُسلِم وجهَكَ لله ، وتخلّي له نفسَكَ . قال : فما حقُّ أزواجنا علينا ؟ قال : أطعمْ إذا طعمتَ ، واكسُ إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تُقبِّح ولا تَهْجر إلا في البيت ، وكيف ﴿ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾(٣) ثم أشار قِبلَ الشام فقال : هاهنا تُحشرون ، هاهنا تُحشرون رُكباناً ورجالاً ، وعلى وجوهكم وأفواهكم الفِدام ، وأولُ شيء يُعرب عن أحدكم فخذه .

---

(١) قال ابن الأثير : الفدام ما يشدّ على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية الشراب الذي فيه ، أي أنهم يُمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم ، فشبه ذلك بالفدام . « النهاية فدم »

(٢) في الأصل : معاوية بن حكيم بن حيدة القشيري . وهو معاوية بن حيدة بن معاوية . روى عنه ابنه حكيم . انظر الإكال ٥٧٦/٢ .

(٣) سورة النساء ٤ / ٢٠

وعن عبد الله بن عباس قال :

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني أريد الغزوَ في سبيل الله ، فقال : عليك بالشام ، فإن الله قد تكفَّل لي بالشام وأهلِه . الزمْ من الشام عسقلانَ ، فإنها إذا دارت الرحا في أمتي كان أهلها في راحة وعافية .

وعن أبي أمامة قال :

لا تقوم الساعة حتى يتحوّل خيار أهل العراق إلى الشام ، ويتحول شِرارُ أهل الشام إلى العراق . وقال رسول الله ﷺ : عليكم بالشام .

وعن إياس بن معاوية قال : قال رسول الله [١٢ / أ] ﷺ :

إنَّ الله قد تكفلَّ لي بالشام وأهلِها ، وإنَّ إبليسَ أتى العراق فباضَ فيها وفرّخَ ، وأتى مصرَ فبسط عَبْقَرِيَّهُ[١] واتَّكأ ، وقال : جبل الشام جبل الأنبياء .

قال : وهذا الحديث مرسل ومنقطع بين رواته

وعن أبي الضحاك قال :

أتيتُ ابن عمر فسألتهُ أين أنزل فقال : إنّ الناصية[٢] الأولى من أصحاب رسول الله ﷺ ساروا بأمر رسول الله ﷺ حتى نزلوا الشامَ ، ثم نزلوا حمص خاصةً ، فانظرْ ما كانوا عليه فأْته .

وعن عطاء الخراساني قال :

لما هممتُ بالنقلة من خراسان شاورتُ مَنْ بها من أهل العلم أين يرون أن أنزل بعيالي ، كلُّهم يقول لي عليك بالشام ، ثم أتيتُ البصرة فشاورت مَنْ بها : أين يرون لي أن أنزلَ بعيالي ؟ كلهم يقول : عليك بالشام . ثم أتيتُ الكوفةَ فشاورتُ مَنْ بها من أهل العلم أين يَرَوْنَ لي أن أنزل بعيالي ؟ فكلُّهم يقول لي : عليك بالشام . ثم أتيتُ مكةَ فشاورتُ مَنْ بها مِنْ أهل العلم أين يرون لي أن أنزل بعيالي ؟ فكلهم يقول لي : عليْك بالشام . ثم أتيتُ

---

(١) العبقري : ضرب من البُسُط « القاموس »

(٢) نواصي الناس : اشرافهم « القاموس »

المدينةَ فسألتُ مَنْ بها من أهل العلم : أين يرون لي أن أنزل بعيالي ؟ فكلهم يقول : عليك بالشام .

وعن عبد الرحمن بن سابط الجمحي قال :

قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : إن لي رحماً وقرابةً وإن منزلي قد نبا بي بالعراق والحجاز فَخِرْ لي فقال : أرضى لك ما أرضى لنفسي ولولدي . عليكَ بدمشق ثم عليك بمدينة الأسباط بانياس ، فانها مباركةُ السهل والجبل ، نقل الله عنها أهلها حين بدّلوا تطهيراً لها .

بيان أن الإيمان يكون بالشام

عند وقوع الفتن والملاحم

عن عبد الله بن عمرو قال : قال النبي ﷺ :

أُريتُ عمودَ الكتاب انتُزع من تحت وسادتي فذُهب به إلى الشام ، فأوّلتهُ المُلْكَ .

وزاد في حديث آخر :

ألا وإنّ الإيمان ، إذا وقعت الفتنُ ، بالشام .

[١٢ / ب] وعن مدرك بن عبد الله الأزدي قال :

غزونا مع معاوية مصر فنزلنا بِلْبيس(١) فقال عبد الله بن عَمرو لمعاوية : يا أمير المؤمنين ، أتأذن لي أن أقوم على فرسي في الناس ؟ فأذِنَ ، فقام على فرسه ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : رأيتُ في منامي أن عمودَ الكتاب حُمل من تحت وسادي ، فأتبعته بصري فإذا هو كالعمود من النور ، فعُمد به إلى الشام . ألا وإنّ الإيمان ، إذا وقعت الفتن ، بالشام ـ ثلاث مرات .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

هبَّ النبيُّ ﷺ من نومه مذعوراً وهو يُرَجِّع فقلتُ : مالكَ بأبي أنتَ وأُمّي ؟ فقال : سُلَّ عمودُ الإسلامِ من تحت رأسي فأوحشني ، ثم رميتُ ببصري فإذا هو قد غُرِزَ في الشام . فقيل لي : يا محمدُ ، إنّ اللهَ قد اختار لكَ الشام ولعباده ، فجعلها لكم عزًّا ومحشراً ومنعةً

---

(١) بلبيس ـ عند ياقوت بكسر البائين وعند البكري بفتح البائين ـ قال ياقوت : والعامة تقول بِلْبَيْس ، مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام . وانظر معجم ما استعجم ، ومعجم البلدان .

وذكراً . من أراد الله به خيراً أسكنه الشام ، وأعطاه نصيباً منها . ومَن أراد به شرّاً أخرج سهماً من كنانته ، وهي معلقة في وسط الشام ـ وزاد في رواية : فرماه بها ـ فلم يسلم في دنيا ولا آخرة .

وعن عبد الله بن حوالة قال : قال رسول الله ﷺ :

رأيت ليلة أُسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة ، فقلت : ما تحملون ؟ فقالوا : عمود الإسلام ، أُمرنا أن نضعهُ بالشام . وبينا أنا نائم رأيتُ عمود الكتاب اختُلِسَ من تحت وسادتي فظننتُ أنّ الله قد تخلّى من أهل الأرض فأتبعتهُ بصري ، وإذا هو نورٌ ساطع بين يديّ حتى وُضع بالشام .

فقال ابن حوالة : يا رسول الله ، خر لي ، فقال : عليكَ بالشام .

وعن عبد الله بن حوالة قال :

فخرتُمْ يا أهل الشام أن قذف اللهُ بالفتن عن أيْمانكم وعن شمائلكم ، والذي نفسُ ابن حوالة بيده ليقْذِفنَّكُمُ اللهُ بفتنةٍ يخرج منها زيافُكم[1].

وعن ابن شوذب قال :

تذاكرنا الشام . قال : فقلت لأبي سهل : أما بلغك أنه يكون [١٣ / أ] بها كذا ؟ قال : بلى ، ولكن ما كان بها فهو أيسر مما يكون بغيرها .

وقال كعب :

لن تزال الفتنة مراماً بها مالم تبدْ منْ قبل الشام .

---

(١) درهم زائفة وزائفة . رديء . ج زياف وأزياف اللسان : « زيف » .

ما جاء عن النبي ﷺ

أنّ الشام عند وقوع الفتن عُقْرُ دار المؤمنين

عن سَلَمَة بن نُفَيْل الكِنْدي ، وكان قومه بعثوه وافداً إلى رسول الله ﷺ قال :

بينا أنا مع رسول الله ﷺ تمسّ ركبتي ركبته ، مُستقبلَ الشام بِوجهه ، مُولياً إلى اليمن ظهره ـ وفي حديث : مولياً ظهره إلى اليمن ـ إذ أتاه رجلٌ فقال : يا رسول الله ، أذال[1] النـاسُ الخيلَ ، ووضَعوا السلاحَ ، وزعموا أنّ الحربَ قد وضعتْ أوزارَها . فقال رسولُ الله ﷺ :

كذبوا بل الآن جاء القتالُ . لا يزال قوم من أمتي يقاتلون على أمر الله عزّ وجلّ ، يزيغ الله بهم قلوبَ أقوامٍ ، وينصرهم عليهم ، حتى تقوم الساعة ، أو حتى يأتي أمرُ الله . الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ إلى يوم القيامة . وهو يوحي إليّ أنني مقبوضٌ غير مُلَبَّث ، وأنكم مُتبعيَّ أَفْناداً[2] ، وعقرُ دار المؤمنين بالشام .

وعن كلثوم بن زياد أنه سمع سليمان بن حبيب يخبر

أن أبا الدرداء كان ممن تقدّم إلى حمص ، فبلغ عمر أنه أحدث بها بناء ، فكتب بردّه إلى دمشق ، فردّه فكان بها . فلما قُتل عمر أتاه جلساؤه من أهل حمص يسألونه الرجعة إلى حمص ، فتأبى عليهم فاستشفعوا عليه بمعاوية ، فقال أبو الدرداء : يا معاوية ، أتأمرني بالخروج من عقر دار الإسلام ؟ !

عُقْر الشيء : أصله .

---

(١) « أذال الناس الخيل : أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها » النهاية : ذيل .

(٢) أي ذوي فندٍ أي ذوي عجز وكفر للنعمة . وفي النهاية أي جماعات متفرقين قوماً بعد قوم واحدهم فَنْد . النهاية واللسان : « فند » .

ما جاء في أنّ الشام صفوة الله من بلاده
وإليها يجتبي خِيرتَه من عباده

عن أبي أمامة قال : قال النبي ﷺ :

صفوةُ اللهِ من أرضه الشامُ ، وفيها صفوتُه من خلقِه وعبادِه ، وليَدْخُلَنَّ الجنّـةَ من أمتي ثُلّةٌ لا حسابَ عليهم ولا عذاب .

وعن أبي أمامة أيضا عن النبي ﷺ [١٣ / ب]قال :

الشـامُ صفوةُ اللهِ من بلاده ، يجتبي إليهـا صفوتَـه من عبـاده . فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطةٍ ، ومن دخلها من غيرها فبرحمةٍ .

وعن أنس بن مالك قال :

قلت للنبي ﷺ : يا رسولَ الله ، أينَ الناسُ يومَ القيامـةِ ؟ فقـال : في خيرِ أرضِ الله وأحبِّها إليه : الشام ، وهي أرضُ فلسطين ـ والإسكندريةُ من خير الأرضين ـ المقتولون فيها لا يبعثهم إلى غيرها ، فيها قُتلوا ومنها يُبْعثون ، ومنها يُحشرون ، ومنها يدخلون الجنة .

وعن علقمة قال :

قدم كعبٌ على عمرَ المدينةَ فقال له عمر : يا كعبُ ، مـا يمنعُك من النزول بـالمـدينـةِ فإنّها مهاجَرَ رسول الله ﷺ وبها مدفَنُه . قال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّي وجدتُ في كتابِ الله المُنْزَل في التوراة أنّ الشّـامَ كنزُ الله في أرضـه ، وبهـا كنزُ الله من عبـاده . وأراد عمر العراق ، فقال له كعب : أُعيذُكَ بالله يا أميرَ المؤمنين من العراق ، فـإنّهـا أرضُ مكرٍ وأرضُ السحر ، وبها تسعةُ أعشار الشرّ ، وبها كلّ داءٍ عُضالٍ ، وبها كل شيطانٍ ماردٍ .

وعن كعب قال :

أَحَبُّ ـ يعني البلاد ـ إلى الله تعالى الشامُ ، وأحبُّ الشام إلى الله القدسُ ، وأحبُّ القدسِ إلى الله جبلُ نابلس . لَيَأْتِيَنَّ على الناس زمانٌ يتماسحونه[1] بالحبال بينهم .

وعن كعب أنه كان يقول :

يا أهلَ الشام ، إنّ الناسَ يريدون أن يضعوكم ، والله يرفعكم . وإن الله يتعاهدكم كما يتعاهدُ الرجلُ نَبْلَه في كنانته ، لأنها أحبُّ أرضِه إليه ، يُسكنها أحبَّ خلقه إليه ، من دخلها مرحومٌ ، ومن خرج منها فهو مغبونٌ .

وعن كعب أنّه قال :

مكتوبٌ في التوراة أنّ الشام كنزُ الله جلّ وعزّ من أرضه ، بها كنزُ الله عزّ وجلّ من عباده . يعني بها قبور الأنبياء : إبراهيم وإسحاق ويعقوب .

وعن وَهْب بن منبّه قال :

إنّي لأَجِدُ تَرْدادَ الشامِ في الكتبِ حتى كأنّه ليس لله حاجة إلا بالشام .

وعن ثابت بن معبد [١٤ / أ] قال :

قال الله : يا شامُ ، أنتِ خِيْرتي من بلادي ، أُسْكنك خيرتي من عبادي .

---

(١) في التاج : تماسحا إذا تبايعا .

اختصاص الشام
ببسط ملائكة الرحمة أجنحتها عليها

عن زيد بن ثابت قال :

كنّا مع رسول الله ﷺ نؤلّف القرآن في الرقاع ، فقال رسول الله ﷺ : طوبى للشام . فقلنا : لأيٍّ ذلك ؟ قال : إن ملائكة الرحمن ـ وفي رواية : ملائكة الرحمة ـ باسطةٌ أجنحتها عليها .

وفي حديث آخر عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله ﷺ ونحن عنده :

طوبى للشامِ . فقلنا : ما بالهُ يا رسولَ الله ؟ قال : إنَّ الرحمنَ لباسطٌ رحمتَه عليه .

وعن واثلة بن الأسقع قال :

إنّ الملائكةَ تَغْشى مدينَتَكم هذه ، يعني دمشقَ ، ليلةَ الجمعة ، فإذا كانَ بكرة افترقوا على أبواب دمشق براياتهم وبنودهم فيكونون سبعين رجلا ، ثم ارتفعوا . ويدعون الله لهم : اللهم اشفِ مريضَهم ، ورُدَّ غائبَهم .

دعاء النبي ﷺ للشام بالبركة

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :

اللّهم باركْ لنا في مدينتنا ، وفي صاعنا وفي مُدّنا ، وفي يَمننا وفي شامنا ، فقال رجلٌ : يا رسولَ الله ؛ وفي عراقنا ؟ فقال رسولُ الله ﷺ : اللهم بارك لنا في مدينتنا وفي صاعنا وفي مُدّنا ، وفي يمننا وفي شامنا ، فقال رجل : يا رسولَ الله : وفي عراقنا ؟ فقال رسول الله ﷺ بها الزلازلُ والفتنُ ، ومنها يطلع قرنُ الشيطان ـ وفي رواية : قرنا الشيطان .

وعن عبد الله بن عمر قال :

صلّى رسولُ الله ﷺ صلاةَ الفجر ثم انفتل[1] ، فأقبلَ على القوم فقال : اللهم باركْ لنا في مدينتنا ، وباركْ لنا في مُدّنا وصاعنا ، اللهم بارك لنا في حَرَمِنا ، وباركْ لنا في شامنا ويَمَننا ، فقال رجل : والعراق يا رسول الله ؟ فسكتَ ، ثم أعادَ فقال : اللهم باركْ لنا في مدينتنا ، وباركْ [١٤ / ب] لنا في مُدّنا وصاعِنا ، اللهم بارك لنا في حَرَمِنا ، وبارك لنا في شامِنا ويَمَننا . قال : قال رجل : والعراق يا رسول الله ؟ ! قال : فسكت ثم أعاد فقال : اللهمّ بارك لنا في مدينتنا ، وباركْ لنا في مُدّنا وصاعنا . اللهمّ باركْ لنا في حرمنا ، وباركْ لنا في شامِنا ويمننا . قال : قال رجلٌ : والعراق يا رسول الله ! قال ؟! مِن ثَمَّ يطلعُ قَرنُ الشيطان وتهيج الفتنُ .

وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال :

اللّهم باركْ لنا في شامنا ، اللّهم باركْ لنا في يمننا ، قال : قالوا : وفي نجدنا ؟ قال : هنالك الزلازلُ والفتنُ وبها يخرج قرنُ الشيطان .

---

(١) انفتل : انصرف « اللسان » .

وعن ابن عمر عن رسول الله ﷺ أنه قال :

اللهمّ باركْ لنا في مكّتنا ، وباركْ لنا في مدينتنا ، وباركْ لنا في شامِنا ، وبـارك لنـا في يمنِنا ، وباركْ لنا في صاعِنا ، وبارك لنا في مُدّنا ، فقـال رجلٌ : يـا رسولَ الله ، العراق ومصر ؟! فقال : هناك يَنبت قرنُ الشيطان ، وثَمّ الزلازلُ والفتنُ .

وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال :

اللهمّ باركْ لنا في شامنا ويَمَنِنا ، فقـال رجلٌ : وفي مشرقنـا يـا رسول الله ؟! قـال : من هناك يطلعُ قرنُ الشيطان ، وبها تسعة أعشار الشرِّ .

وعن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

اللهمّ باركْ لنا في مدينتنا ، وفي صاعنـا ومُـدّنـا ، ويمننـا وشـامنـا ، ثم استقبلَ مطلع الشمس فقال : من هاهنا يطلعُ قرنُ الشيطان ، من هـا هنـا الزلازلُ والفِتَنُ - وفي روايـة : والفَدّادون[1] .

وعن معاذ بن جبل قال : قال النبي ﷺ :

اللهمّ باركْ لنا في صاعنا ومُدّنا ، وفي شامنا وفي يَمَنِنا وفي حِجازنا . قال : فقـام إليـه رجلٌ فقال : يا رسولَ الله ، وفي عراقنا ؟! فأمسكَ النبيُّ ﷺ عنه ، فلما كان في اليوم الثاني قال مثلَ ذلك . فقام إليه الرجل[2] فقال : يا رسولَ الله ، وفي عراقنا ؟! فأمسكَ النبيُّ ﷺ عنه ، فلما كان في اليوم الثالث قام إليه الرجلُ فقال : يا رسول الله ، وفي عراقنا ؟! فأمسكَ النبيُّ ﷺ عنه [١٥ / أ] فولّى الرجلُ وهو يبكي ، فدعـاه النبي ﷺ ، فقـال : أمِنَ العراقِ أنتَ ؟ قال : نعم ، قـال : إنّ أبي إبراهيم عليـه السلام همّ أن يـدعو عليهم فـأوحى اللهُ تعـالى إليه : لا تفعلْ ، فإنّي جعلتُ خزائنَ علمي فيهم ، وأسكنتُ الرحمةَ قلوبَهم .

وعن ابن عباس قال :

دعا نبيُّ الله ﷺ فقال : اللّهم بـاركْ لنـا في صـاعنـا ومُـدّنـا ، وبـاركْ لنـا في مَكّتِنـا

---

(١) الفدادون : الجمّالون والرعيـان والبقّـارون والحمّـارون والفلاحون وأصحـاب الوبر الـذين تعلو أصواتهم . وفي الحديث :« هلك الفدادون لأنهم جفاة وأهل خيلاء » . « القاموس ، واللسان ، والنهاية : فدن .

(٢) في الأصل : رحل والتصويب من تاريخ بغداد ١ / ٢٤ ـ ٢٥

ومَدِينتنا ، وباركْ لنا في شامِنا ويَمَنِنـا ، فقـال رجل من القوم : يـا نبيَّ اللهِ ، وعراقنـا ؟! فقال : إن هنا يطلع قَرْنُ الشيطان وتهيجُ الفتنُ ، وإن الجفاء بالمشرق .

وعن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ :

اللهمَّ باركْ لنا في مدينتنا ، اللهمَّ باركْ لنا في شامنا ، اللهمَّ باركْ لنا في يَمَنِنا ، فقـال له رجل : يا رسولَ الله ، فالعراق ؟! فإنَّ فيها ميرتَنَا وفيها حاجاتُنـا . قـال : فسكتَ ، ثم أعادَ عليه فسكتَ ، فقال : بها يطلعُ قرنا الشيطان ، وهناك الزلازلُ والفتنُ .

بيان أنّ الشّام أرض مباركة

عن زهير بن محمد قال : حُدثتُ أن رسول الله ﷺ قال :

إنّ اللّهَ تعالى باركَ ما بين العريشِ والفراتِ ، وخَصّ فلسطينَ بالتقديسِ - يعني التطهُّر .

وعن أبي بن كعب :

﴿ ونَجَّيْناهُ وَلوطاً إلى الأَرْضِ الَّتي بَارَكْنا فِيها ﴾[1] قال : الشام . وما من ماءٍ عذبٍ إلا يخرجُ من تلك الصخرةِ التي ببيتِ المقدسِ .

وعن ابن عباس

في قول الله عزّ وجلّ ﴿ وجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ يعني بين مساكنهم[2] ﴿ وبَينَ القُرَى الّتي بارَكْنا فيها ﴾ يعني : الأرضَ المقدَّسة ﴿ قرًى ﴾ فيا بين منازلهم والأرض المقدسة ﴿ ظاهِرَةً ﴾ يعني : عامرة مُخصبة ﴿ وَقَدَّرْنا فيها السَّيْر ﴾ يعني : فيا بين مساكنهم وبين أرض الشام ﴿ سيرُوا فيها ﴾[3] يعني : إذا ظعنوا من منازلهم إلى أرض الشام من المقدسة .

وقال معاوية بن أبي سفيان :

إن ربّكَ قال لإبراهيم : اعمر من العريش إلى الفرات [١٥ / ب] الأرض المباركة . وكان أول من اخْتَتَنَ وقَرى الضيفَ . واخْتَتَنَ وهو ابنُ ثمانين سنةً .

وعن سفيان

في قول الله عز وجل ﴿ وَأَوْرَثْنا القَوْمَ الذّين كانُوا يُسْتَضْعَفونَ مَشارِقَ الأرْضِ

---

(١) سورة الأنبياء ٢١ / ٧

(٢) في الأصل : « بينهم ، وبين يعني مساكنهم » . سبق قلم .

(٣) سورة سبأ ٣٤ / ١٩

ومَغارِبَها ﴾[1] قال : الشام . وفي رواية عن الحسن قال : مشارق الشام ومَغاربَها .

وعن قتادة

في قوله تعالى ﴿ مشَارِقَ الأرضِ ومغارِبَها الّتي بَـارَكْنَـا فِيهـا ﴾ قـال : التي بـاركَ اللهُ فيها : الشّامَ .

وعنه

في قوله تعالى : ﴿ وَلَقَـدْ بَوَّأْنـا بني إسرائيل مُبَوَّأ صـدقٍ ﴾[2] قـالَ : بَوَّأَهُمُ اللهُ تبـارك وتعالى الشامَ وبيتَ المقدس .

وعن كعب الأحبار قال :

إنّ اللهَ تعالى باركَ في الشامِ من الفراتِ إلى العريش .

وعن كعب قال :

جاء إليه رجلٌ فقال : إني أريدُ الخروجَ أبتغي فضلَ الله . قال : عليك بالشامِ ، فإنّـه ما نَقَص من بركة الأَرَضين يُزاد بالشام .

وعن أبي عبد الملك الجزري قال :

إذا كانت الدنيا في بلاءٍ وَقَحْطٍ كانَ الشامُ في رخـاءٍ وعـافيـة ، وإذا كان الشـامُ في بلاءٍ وقَحْـطٍ كانت فلسطينُ في رَخـاءٍ وعـافيـةٍ[3]، وإذا كانتْ فلسطينُ في بلاءٍ وقَحْـطٍ كانتْ بيتَ المقدسِ في رخاءٍ وعافية[3]. وقال : الشامُ مباركةٌ ، وفلسطينُ مقدّسةٌ ، وبيت المقـدسِ قُـدْس القُدْس .

وروي

أنّ ذا القرنين لّما أتى العراقَ استنكر قلبه ، فبعثَ إلى تراب الشام فأُتي بـه فجَلَس عليـه فرجَع إليه ما كان يعرف من نفسه .

---

(١) سورة الأعراف ٧ / ١٣٧

(٢) سورة يونس ١٠ : ٩٣

(٣ ـ ٣) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

ماجاء في أنّ الشام
الأرض المقدسة المذكورة في القرآن

عن أبي حرب بن أبي الأسود الدئلي عن عمه قال :

لقيتَ أبا ذَرّ بالرَّبَذَة فقال : كنتُ نائماً في مسجد رسول الله ﷺ فمرّ بي فضربني برِجْله ثم قال : لا أراك نائماً فيه ، فقلت : بأبي وأمي ، غلبَتْني عَيْني فنمتُ ، قال : كيف تصنعُ إذا أُخرجت منه ؟ قال : ألحق بالأرض المقدسة أرضِ الشّام . قال : فكيف تَصْنَع إذا أُخرجتَ منها ؟ قال : قلتُ : أرجع إليه . قال : فكيف تصنعُ إذا أُخرجتَ منه ؟ قال : قلتُ : آخذ سيفي ثم أضرب به . قال : أو تَصْنَعُ خيراً من ذلك وأقربَ رُشْداً ؟ قال : تسمع لهم [١٦/أ] وتطيع وتنساقُ حيثما ساقوك . قال : فوالله لألقيَنّ الله وأنا مطيعٌ لعثمانَ رضي الله عنه .

وعن أبي ذر قال :

جعَلَ رسولُ الله ﷺ يتلو عليّ هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَتّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرجاً ﴾(١) حتى فرغ من الآية . ثم قال : ياأبا ذَرّ ، لو أنّ الناسَ كلّهم أخذوا بها لكفتْهم . قال : فجعل يتلُوها ويُردّدها عليّ حتى نعستُ . ثم قال : ياأباذَرّ ، كيف تصنع إن أُخرجتَ من المدينة ؟ قال : قلتُ : إلى السعة والدعة أنطلق حتى أكونَ حمامةً من حَمام مكةَ . قال : فكيف تصنع إن أُخرجتَ من مكةَ ؟ قال : قلتُ : إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدّسة . قال : فكيف تصنع إن أُخرجتَ من الشام ؟ قال : قلت : إذن والذي بعثَكَ بالحق أضعُ سيفي على عاتقي . قال : أوَ خيرٌ من ذلك ؟ قال : تسمعُ وتطيعُ وإن كانَ عبداً حبشياً .

وعن عروة قال :

كان في كتابِ أبي بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد : أنِ اعجلْ إلى إخوانكم

---

(١) سورة الطلاق ٦٥ /٢

بالشام ، فوالله لقريةٌ من قُرى الأرض المقدسة يفتحها الله علينا أحبُّ إليّ من رُسْتاقٍ من رَساتيق العراق .

وعن قيس بن سَكَن قال : سمعتُ علياً ونحن بمَسْكِن[1] يقول :

يا معشر المسلمين المهاجرين ﴿ ادخُلوا الأرضَ المقدَّسَةَ الّتي كَتَبَ اللهُ لكُمْ ولا تَرْتَدّوا على أدبارِكُم فتنقَلِبُوا خاسِرِيْن ﴾[2] قال : فتلكؤوا . قال : فلما رأى ذلك ، قال : أفٍ لكم ، إنّها سُنّةٌ جرتْ عليكم .

وعن أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي المفسّر قال :

قولُه ﴿ يا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ ﴾[2] . قال قتادة : هي الشام كلها . وقال عكرمة والسُّدّي : هي أريحا . وقال الكلبي : دمشق وفلسطين . ومعنى المقدسة : المطهّرة ، وتلك الأرض طُهّرت من الشرك ، وجُعلت مسكناً وقراراً للأنبياء .

وعن ثور بن يزيد قال :

قُدْسُ الأرض الشامُ ، وقُدس الشام فلسطينُ ، وقُدْسُ فلسطينَ بيتُ المقدس ، وقُدْس بيت المقدس الجبلُ ، وقُدْسُ الجبل المسجدُ ، وقُدْس المسجد القبّةُ .

وعن وهب أنّه كان يقول :

[١٦/ب] إنّ اللهَ كتب للشام : إني قَدّسْتُك وبارَكْتُك ، جعلتُ فيك مقامي وأنت صَفْوتي من بلادي ، وأنا سائقٌ إليك صفوتي من عبادي ، فاتّسعي لهم برزقك ومساكِنك كما يتّسع الرحمُ إن وُضع فيه اثنان وَسِعَهُ ، وإنْ ثلاثةٌ مثل ذلك ، وعيني عليك بالظلّ والمطر ، من أول السنين إلى آخر الدهر ، فلن أنساك حتى أنسى يميني ، وحتى تنسى ذاتُ الرَّحم ما في رحمها .

وعن الوليد بن صالح قال :

في الكتاب الأوّل : إنّ الله عز وجل يقول : يا شامُ ، أنتِ الأنْدَرُ ، ومنكِ المَنْشَرُ ، وإليكِ المحشر . فيكِ ناري ونوري ، مَنْ دخلك رغبةً فيك فبرحمتي ، ومَنْ خرجَ رغبةً عنكِ فبسخطي ، تَتّسعُ لأهلها كما تَتّسِعُ الرحمُ للولد .

---

(١) موضع قريب من أوانا على نهر دُجيل عند دير الجاثليق « معجم البلدان »

(٢) سورة المائدة ٥ /٢٣

إعلام النبي ﷺ أمته

أن بالشام تسعة أعشار الخير

عن عبد الله بن عمر[1] قال : قال رسول الله ﷺ :

الخيرُ عشرةُ أعشار : تسعةٌ بالشـام ، وواحـدٌ في سـائر البلـدان ، والشرُّ عشرةُ أعشـارٍ : واحدٌ بالشام ، وتسعةٌ في سائر البلدان . وإذا فَسَدَ أهلُ الشام فلا خير فيكم .

وعن عبد الله بن مسعود قال :

إنّكم بحيثُ تبلبلت الألسنُ بين بابل والحيرة . وإن تسعةَ أعشـارِ الخير بـالشـام ، وعُشْر بغيرها ، وإن تسعةَ أعشارِ الشرِّ بغيرها ، وعُشْرٌ بها ـ وفي زيادة : وسيأتي عليكم زمـانٌ يكون أحبٌّ مالِ الرجل فيه أحْمِرةٌ ينتقلُ عليها إلى الشّام .

وعن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا كان سنةُ خمسٍ وثلاثين ومئة خرجَ مَرَدَةُ الشّيـاطين ، كان حَبَسهم سليمـانُ بن داود في جزائر البحور ، فـذهبَ منهم تسعـةُ أعشـارٍ إلى العراق يجـادلونهم ، وعشرٌ بـالشـام ـ وفي بعض الروايات : يجادلونهم بالقرآن .

وعن كعب قال :

الخيرُ عشرةُ أجزاءٍ : فتسعةُ أجزاء [١٧ /أ] الخير في الشام ، وجزءٌ في سائر الأَرَضين .

وعن أبي إدريس قال :

قدمَ علينا عمرُ بن الخطاب الشامَ فقال : إنّي أُريد آتي العراق ، فقال له كعب الأحبـار : أُعيذك بالله يا أمير المؤمنين من ذلك . قال : وما تكره من ذلك ؟ قال : بها تسعةُ أعشـار الشرّ وكلُّ داءٍ عُضال ، وعُصاة الجن ، وهاروتُ [وماروتُ[2]] وبها باضَ إبليس وفرَّخ .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي تاريخ ابن عساكر ١٤٢/١ : ابن عمرو .

(٢) ليست اللفظة في الأصل . والاستدراك من تاريخ ابن عساكر المطبوع ١٤٨/١ .

ما جاء في أنّ الشام مهاجر إبراهيم الخليل

وأنه من المواضع المختارة لإنزال التنزيل

عن شَهْر بن حَوْشَب قال :

لما جاءتنا بيعةُ يزيد بن معاويةَ قدمتُ الشامَ ، فأُخبرت بمقامٍ يقومه نَوْفٌ فجئْتهُ ، إذ جاء رجلٌ فانتبذ الناسَ ، عليه خميصةٌ ، فإذا هو عبد الله بن عمرو بن العاص . فلما رآه نَوْفٌ أمسكَ عن الحديث ، فقال عبد الله : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : إنها ستكون هجرةٌ بعد هجرة ، ينحاز الناسُ إلى مُهاجَر إبراهيم ، لا يبقى في الأرض إلاّ شِرارُ أهلها ، تَلْفِظُهم أَرَضُوهم ، تَقْذَرُهم نفسُ الله ، تحشرهم النارُ مع القردةِ والخنازير تَبيتُ معهم إذا باتوا ، وتَقيلُ معهم إذا قالوا ، وتأكل مَن تَخَلَّفَ .

قال :وسمعتُ رسول الله ﷺ يقول : سيخرجُ أناسٌ من أمتي من قِبَل المشرق ، يقرؤون القرآن لا يجاوزُ تَراقيهم . كلما خرج منهم قرنٌ قُطع ، كلما خرج منهم قرنٌ قطع - حتى عدّدها زيادةً على عشرِ مرات ، كلما خرج منهم قرنٌ قُطع - حتى يخرجَ الدجّالُ في بقيّتِهم .

وعن شَهْر بن حَوْشَب أيضاً قال : سمعت عبد الله بن عمر يقول :

لقد رأيتُنا ، وما صاحبُ الدينار والدرهم بأحقَّ من أخيه المسلم ، ثم لقد رأيتنا بأَخَرَةٍ نُهان ، وللدينارُ والدرهمُ أحبُّ إلى أحدنا من أخيه المُسلم . ولقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ : لئن اتبّعتُمْ أذنابَ البقر ، وتبايعتُم بالعِينَةِ[1] ، وتركتم الجهادَ في سبيل الله تبارك وتعالى ، ليُلزمنّكم الله عزّ وجلّ مَذلةً في أعناقكم ، لا تُنزع منكم حتى ترجعوا إلى ماكنتم عليه ، وتتوبوا إلى الله عز وجل .

---

(١) وهي أن يبيع التاجر سلعة بثمنٍ إلى أجل ثم يشتريها بأقلّ من ذلك الثمن « القاموس والنهاية » .

وسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : لَتَكونَنّ [١٧ /ب] هجرة بعد هجرة إلى مُهاجَر أبيكم إبراهيم ﷺ حتى لا يبقى في الأرَضين إلا شرارُ أهلها ، وتلفِظُهمْ أرَضُوهم ، وتَقذَرُهم روحُ الرحمن ، وتحشرُهم النار مع القِردةِ والخنازير ، تَقيلُ حيثُ يَقيلون ، وتَبيتُ حيث يَبيتون ، وما سقط منهم فلها .

ولقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : يخرجُ من أُمَّتي قومٌ يُسيئُون الأعمالَ ، يقرؤون القرآن لا يُجاوزُ حناجرهم يحقِرُ أحدُكم عملَه مع عملهم ، يقتلون أهل الإسلام . فإذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم ، ثم إذا خرجوا فاقتلوهم . فطوبى لمن قَتَلهم ، وطوبى لمنْ قتلوه . كلما طَلَعَ منهم قرنٌ قَطَعه الله تبارك وتعالى . فردّد ذلك رسول الله ﷺ عشرين مرةً أو أكثر ، وأنا أسمع .

وفي حديث آخر : حتى يخرجَ في أُخرامِهم الدّجالُ .

وعن قتادة

في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ [(١)] . قال : إلى الشام كان مهاجَرُهُ .

وعن كعب الأحبار قال :

يوشكُ بالرّعدِ والبرقِ أن يُهاجرَ إلى الشام ، حتى لا تكون رَعدةٌ ولا بَرْقةٌ إلا ما بين العريش والفرات .

وعن الأوزاعي قال :

يهاجِرُ الرعدُ والبرقُ إلى مُهاجَر إبراهيم ، حتى لا تَبْقى قطرةٌ إلا فيما بين العريش والفرات .

[(٢)] وعن شُريح بن سراج الحنفي عن عباد بن منصور قال :

كنا عنده فنشأت سحابة برعد وبرق وظلمة فقال : حدثنا أبو قِلابة[(٢)] أنّ الرعدَ والبرقَ سيُهاجر من أرض العراق إلى أرض الشام ، حتى لا يبقى بها رعدٌ ولا برق .

---

(١) العنكبوت ٢٩ /٢٦

(٢ ـ ٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل

وعن ضَمْرة بن ربيعة قال :

سمعتُ أنَّه لم يُبعث نبيٌّ إلاّ من الشام . فإن لم يكن منها أُسْرِيَ به إليها .

وعن أبي أُمامة أن رسول الله ﷺ قال :

أُنزِلَتْ عليَّ النبوة في ثلاثةِ أمكنة : بمكة وبالمدينةِ وبالشام .

وفي رواية أخرى قال :

أُنزلَ القرآن في ثلاثة أمكنةٍ : مكة والمدينة والشام .

قال الوليد :

يعني بيتَ المقدس .

اختصاص الشام بالإضاءة عند مولد النبي ﷺ

عن أبي أمامة قال :

قيل : يارسولَ الله ما كان بدءُ أمرِكم ؟ قال : دعوةُ أبي إبراهيم [١٨ / أ] وبشرى أخي عيسى عليه السلام ، ورأتْ أمي كأنّا خرج منها شيءٌ أضاءتْ له قصورُ الشام .

وعن عِرْباض بن سارية قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إني عبدُ الله وخاتِمُ النبيين ، وإنّ آدمَ لمنجدلٌ في طينته ، وسأخبركم عن ذلك : دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأتْ ، وكذلك أمهاتُ النبيين يَرَيْنَ .

قال [في][1] رواية : وإنّ أمّ رسول الله ﷺ رأتْ حين وضعته نوراً أضاءتْ له[2] قصورُ الشام .

وعن عُتْبة بن عَبْد أنّه حدّثهم

أنّ رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ فقال : كيف كان أول شأنك يا نبيَّ الله ؟ فقال : كانت حاضِنتي من بني بكر بن سعد[3] ، فانطلقتُ أنا وابنٌ لها في بَهمٍ لنا ولم نأخذْ معنا زاداً ، فقلت لأخي : يا أخي اذهب فأتنا بزادٍ من عند أمّنا فذهبَ أخي ، ومكثت أنا عند البَهم ، فأقبل إليّ طيران أبيضان كأنها نسران ، فقال أحدهما لصاحبه :أهو هو ؟ فقال الآخر : نعم . قال فأقبلا يبتدراني ، فأخذاني فبطحاني للقفا ، فشقّا بطني فاستخرجا قلبي ، فشقّاه فأخرجا منه عَلَقتين سوداوين ، فقال أحدهما لصاحبه : ائتني بماء ثلج ، فغسلا به جوفي ، ثم قال : ائتني بماء برد فغسلا به قلبي . ثم قال : ائتني بالسَّكينة ، فذرّها في قلبي ثم أطبقه . قال

---

(١) ليست اللفظة في الأصل .

(٢) في الأصل : « لها » . وأثبتنا مافي تاريخ ابن عساكر ١ / ١٥٨

(٣) صحح ابن عساكر الاسم في نهاية الخبر : « كذا قال . والصواب : سعد بن بكر » .

أحدهما لصاحبه : حُصه[1] فحاصه ، وختم عليه بخاتَم النبوة . فقال أحدهما لصاحبه : اجعله في كِفّة ، واجعل ألفاً من أمته في كِفّة فإذا أنا أنظر إلى الألف فوقي ، أُشفق أن يخرّ عليّ بعضهم . فقال أحدهما لصاحبه : لو أنّ أمّتَه وزِنَتْ به لَمال بهم . ثم انطلقا وتركاني ، وفَرِقتُ فَرَقاً شديداً ، ثم انطلقت إلى أمي فأخبرتها بالذي لقيتُ ، فأشفقتْ أن يكون قد التَبسَ بي ، فقالت : أُعيذُكَ بالله ، فرحّلت بعيراً لها فحملتني على الرحل ، وركبت خلفي حتى بلغنا إلى أمي ، فقالت : قد أدّيْتُ أمانتي وذمّتي ، وحَدَّثْتُها بالحديث الذي لقيتُ ، فلم يَرُعْها ذلك وقالت : إني رأيتُ خرج منيّ نورٌ أضاءَ له قصورُ الشامِ[2] .

[١٨ / ب] وعن عثمان بن أبي العاتكة وغيره

أنّ آمنة بنت وهب لما وضعته كفأت عليه بُرمةً حتى تتفرغ له . قالوا : فوجدت البُرْمة قد انشَقّتْ عن نورٍ أضاءتْ منه لها عن قصورٍ كثيرةٍ من قصورِ الشام .

وعن الضحاك ـ وهو ابن مزاحم الهلالي ـ أن النبي ﷺ قال :

أنا دعوةُ إبراهيم ، قال وهو يرفع القواعد من البيت : ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾[3] حتى أتمّ الآية .

قال البيهقي :

إنما أراد ، واللهُ أعلم ، أنه كذلك في قضاء الله وتقديره قبل أن يكون آدم عليه السلام . وأما دعوة إبراهيم عليه السلام فإنه لما أخذ في بناء البَيْتِ دعا الله تعالى فقال : ﴿ رَبَّنا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آياتِكَ ويُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ والحكمةَ ، وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكيمُ ﴾[3] فاستجاب اللهُ دعاءه في نبيّنا محمد ﷺ . وأما بشارةُ عيسى عليه السلام به فهو أن الله تعالى أمر عيسى عليه السلام فبشّر به قومه ، فعرفه بنو إسرائيل قبل أن يُخلق .

---

(١) حاص الثوب يحوصه حوصاً إذا خاطه « النهاية : حوص »

(٢) الحديث في مسند الإمام أحمد ٤ / ١٨٤

(٣) سورة البقرة ٢ / ١٢٩

ما جاء في أنّ الشام أرض المحشر والمنشر

عن أبي ذر قال :

قيل : يارسول الله ، صلاةٌ في بيت المقدس أفضلُ أم صلاةٌ في مسجد رسول الله ﷺ ؟ قال : صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من أربعِ صلواتٍ فيه ، ولنعم المصلّى هو أرضُ المحشر والمَنْشَر ، وَلَيأْتِيَنّ على النّاس زمانٌ وَلَبَسْطَةُ قوسِهِ من حيث يرى منه بيت المقدس أفضلُ وخيرٌ من الدنيا جميعاً .

وعن أسماء

أنّ أبا ذرّ الغِفاري كان يخدم النبيّ ﷺ فإذا فرغَ من خدمته أوى إلى المسجدِ ، وكان هو بيته ، فجلس إليه رسول الله ﷺ فقال له : كيف أنتَ إذا أخرجوكَ منه ؟ قال إذن ألحقُ بالشامِ ، فإن الشامَ أرضُ الهجرةِ وأرضُ الحشرِ وأرضُ الأنبياءِ . وذكر الحديث .

[١٩ / أ] وعن حكيم بن معاوية عن أبيه قال :

أتيتُ رسولَ الله ﷺ ، فقلت : ما أتيتُكَ حتى حلفتُ عددَ أصابعي هذه ألاّ آتيك - أرانا عفان وطبّق كفيه - فبالذي بعثكَ بالحقّ ماالذي بعثك به ؟ قال : الإسلام . قال : وما الإسلامُ ؟ قال : أن تُسلم قلبك لله عزّ وجلّ ، وأن تُوجّه وجهَكَ إلى الله ، وتُصلّي الصلاةَ المكتوبةَ ، وتؤدي الزكاةَ المفروضةَ ، أخوان نصيران ، لا يقبل الله جلّ وعزّ من أحدٍ توبة أشرك بعد إسلامه . قلت : ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : تُطعمها إذا طعمتَ ، وتكسوها إذا اكتسيتَ ، ولا تضرب الوجه ، ولا تُقبّح ، ولا تَهْجُر إلا في البيت . قال : تُحشرون هاهنا - وأومأ بيده إلى نحو الشام - مُشاةً وركباناً وعلى وجوهكم ، وتُعرضون على الله ، وعلى أفواهكم الفِدام[1] ، فأولّ ما يُعرب عن أحدكم فخذُه ، وقال : ما من مولًى يأتي

(١) الفدام تقدم شرحها في ص ٥٣

مولى له فيسأله من فضلٍ عنده فيمنعه إلا جعله الله [عليه][1] شُجاعاً ينهَشه قبل القضاء .

قال عفان : يعني بالمولى ابنَ عمّه .

قـال : وقـال : إن رجـلاً ممن كان قبلكم رَغَسَـهُ[2] اللهُ مـالاً وولـداً ، حتى ذهب عصرٌ وجاء آخر . فلما احتُضِر قال لولـده : أي أبٍ كنتُ لكم ؟ قـالوا : خير أب ، فقـال : هل أنتم مُطيعيَّ وإلا أخـذتُ مـالي منكم ، انظروا إذا أنـا متُّ أن تحرقـوني حتى تَـدَعـوني حُمَماً ، ثم اهرُسوني بالمِهْراس ، وأدار رسول الله ﷺ يده حـذاء ركبتيـه . قـال رسول ﷺ ففعلوا والله ـ وقال نبي الله ﷺ بيـده هكـذا ـ ثم اذْرُوني في يومٍ راحٍ[3] لعلي أُضِلُّ اللهَ ففعلوا والله ذاك ، فإذا هو قـائمٌ في قبضـة الله تعـالى فقـال : يـابن آدم ، مـاحملـك على مـا فعلت ؟ قـال : من مخافتك . قال : فتلافاه الله عزّ وجلّ بها .

وفي رواية عند قوله : وأول ما يُعرب عن أحدكم فخذُه :

وتلا رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا كُنْتُمْ [١٩ / ب] تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ولا أَبْصارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ ﴾[4]

وعن عبد الرحمن بن غَنْم

أن اليهود أتَوا رسول الله ﷺ يوماً فقالوا : ياأبـا القـاسم ، إن كنت صـادقـاً أنّـك نبيّ فالحقْ بالشام ، فإن الشـام أرض المحشر وأرض الأنبيـاء . فصـدّق رسول الله مـا قـالوا ، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشـام ، فلمـا بلغ تبوك أنزل الله عليـه آيـات من سورة بني إسرائيل بعـد مـا ختمت السـورة : ﴿ وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِـزُّونَـكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُـوكَ مِنْهـا وَإِذاً لا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إلاّ قَلِيلا ﴾[5] إلى قولـه : ﴿ تَحْوِيلا ﴾ فـأمره الله بـالرجوع ، إلى المـدينـة وقال : فيها محياك ومماتك ، ومنها تُبعث .

---

(١) ليست اللفظة في الأصل ، والاستدراك من تاريخ ابن عساكر .

(٢) أرغسه الله مالاً : أكثر له وبارك فيه كرغسه « القاموس »

(٣) يوم راح : شديد الريح

(٤) سورة السجدة ٤١ : ٢٢

(٥) سورة الإسراء ١٧ : ٧٦ وتتمة الآية : ﴿ سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا ﴾

وعن ابن عباس قال :

كان النبي ﷺ قد حاصرهم - يعني بني النَّضِير - حتى بلغ منهم كلَّ مبلغ ، فأعْطَوْه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقُنَ لهم دماءهم ، وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم ، وأن يُسيِّرهم إلى أذْرِعات الشام . وجعل لكل ثلاثةٍ منهم بعيراً وسقاء . والجلاء إخراجُهم من أرضهم إلى أرضٍ أخرى .

وعن ابن عباس قال :

من شكّ أنّ المحشر هاهنا - يعني الشام - فليقرأ هذه الآية : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَروا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ من دِيارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ ﴾[1] قال لهم رسول الله ﷺ يومئذ : اخرجوا . قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى أرض المحشر .

وفي حديث الجارود :

لما قدم على عُمر قال له الجارود : أما أن تُسيّرني إلى الشام فأرضُ المحشر والمنشر .

وعن ابن عمر

أنّ مولاةً له أتَتْه فقالتْ : إني قد اشتدّ عليّ الزمان ، وأنا أريد أن أخرجَ إلى العراق . قال : فهلاّ إلى الشام أرضِ المحشر ، اصبري لكاعِ فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : مَن صبر على شدّتها ولأوائها كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة .

وعن خُلَيْد وسعيد عن [٢٠ / أ] قتادة قال :

أنجاهما الله إلى الشام أرض المحشر والمنشر ، وبها يُجمع الناس رأساً واحداً ، وبها ينزل عيسى بن مريم ، وبها يُهلك الله المسيحَ الكذاب .

وعن الصُّنَابحي يرفعه قال :

شكَتِ الشامُ إلى الرحمنِ عزّ وجلّ فقالتْ : أيْ ربِّ ، جعلتَني أضْيَقَ الأرض وأوْعَرَها ، وجعلتَني لا أشربُ الماء إلا عاماً إلى عام . فأوحى الله تعالى إليها : إنك داري وقراري ، وأنت الأندر ، وأنت مَنْبتُ أنبيائي ، وأنتِ موضع قدسي ، وأنت موضع موطئي ، وإليك

---

(١) سورة الحشر ٥٩ : ٢

أسْوقُ خِيْرتي من خَلقي ، وإليك محشرُ عبادي ، ولم تزل عيني عليك من أول يومٍ من الـدهر إلى آخر يوم من الدهر بالظلّ والمطر ، وإذا يُعْجِز أهلكَ المالُ لم يُعجزْهم الخبزُ والماءُ .

وعن الحسن قال :

نزلتْ قُرَيْظَةُ على حُكم سعـد بن معـاذ ، فقتل رسول الله ﷺ منهم ثلاث مئـة وقـال لبقيتهم : انطلقوا إلى أرض المحشر ، فأنا في آثاركم ـ يعني أرض الشام ـ فسيَّرهم إليها .

وعن بلال بن سعد أن النبي ﷺ قال :

إذا وقعت الفتن فهاجروا إلى الشام ، فإنها من الله بمنظر ، وهي أرض المحشر .

وعن الحسن قال :

الشام أرض المحشر والمنشر .

ما جاء في أنّ بالشام[1]
يكون مُلك أهل الإسلام

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

الخلافةُ بالمدينة والمُلكُ بالشام

وعن علي بن أبي طالب

أنّ يهودياً كان يُقال له جيريجرة[2] كان له على رسول الله ﷺ دنانير ، فتقاضى النبيَّ ﷺ فقال له : يا يهودي ، ما عندي ما أعطيك . قال : فإني لا أفارقك يا محمد حتى تعطيني مالي . فقال نبيُّ الله ﷺ : إذن أجلسُ معك ، فجلس معه رسول الله ﷺ ، فصلّى رسول الله ﷺ الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ الآخرة والغداة ، وكان [٢٠ / ب] أصحابُ رسول الله ﷺ يتهدّدونه ويتوعّدونه . ففطن رسول الله ﷺ [فقال][3] : ماالذي تصنعون به ؟ قالوا : يا رسول الله ، يهوديٌّ يحتبسك ؟! فقال رسول الله ﷺ : منعني ربي أن أظلم مُعاهِداً ولا غيره . فلما ترحّل النهار قال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله ، وشَطرٌ مالي في سبيل الله ، أما والله ما فعلتُ الذي فعلتُ بك إلا لأنظر إلى نعتك في التوراة : (محمد بن عبد الله ، مولده بمكة ، ومُهاجَره بطَيْبة ، ومُلكه بالشام ، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ، ولا صخّابٍ في الأسواق ، ولا متزين بالفحش ، ولا قولُه الخنا) . أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وهذا مالي فاحكم فيه بما أراك الله . وكان اليهودي كثير المال .

---

(١) في الأصل : « للشام » والتصويب من تاريخ ابن عساكر ١٧٢/١

(٢) كذا في الأصل ، وفي الإصابة ـ ط ، السعادة ـ ١ / ٢٣١ جريبج الإسرائيلي . قال ابن حجر : « ووجدته في موضع آخر : جريجرة» .

(٣) ليست اللفظة في الأصل وزيدت للسياق

وعن يونس بن مَيْسَرة بن حَلْبَس قال : قال رسول الله ﷺ :

هذا الأمر كائن بعدي بالمدينة ثم بالشام ثم بالجزيرة ثم بالعراق ثم بالمدينة ثم ببيت المقدس . فإذا كان ببيت المقدس فثمَّ عُقْر دارها ، ولن يَخرجها قوم فتعود إليهم أبداً .

يعني بقوله : (بالجزيرة) أمر مروان بن محمد الحمار . وبقوله (بالمدينة بعد العراق) يعني به المهدي الذي يخرج في آخر الزمان . ثم ينتقل إلى بيت المقدس ، وبها يحاصره الدَجَّال ، والله أعلم .

وعن كعب قال :

أجد في التوراة : (أحمد عبدي المختار ، لافَظٌّ ولا غليظ ولا صخّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولدُه بكّا ، وهجرته طابا ، ومُلْكه بالشام ، وأمته الحّادون يحمدون الله على كل حال ، ويُسبِّحونه في كل منزلة ، ويُوضِّئُون أطرافهم ، ويأتزرون على أنصافهم ، وهم رعاة الشمس ، وصَفُّهم في الصلاة ، وصفهم في القتال سواء ، رُهبان بالليل أُسْدٌ بالنهار ، لهم دويّ كدويّ النحل ، يصلّون الصلاة حيثما أدركتهم .

وفي حديث آخر : تسمعُ مُناديهم في جو السماء .

وفي حديث آخر : [٢١ / أ] قلوبُهم أناجيلهم .

وعن كعب أنه قال :

إنا نجد في كتاب الله محمداً سلطانه بالشام .

ما جاء من أنّ الشام سُرَّة الدنيا

عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال :

المدينة بين عينَيْ السماء ، عين بالشام وعين باليمن ، وهي أقل الأرض مطراً .

وعن عبد الله بن عمرو قال :

صُوِّرت الدنيا على خمسة أجزاء ، على أجزاء الطير : الرأس والصدر والجناحين والذَّنَب . رأس الدنيا الصين ، والجناح الأيمن الهند ، والجناح الأيسر الخَزَر ، وخلف الهند أمةٌ يُقال لها : واق واق ، وخلفَ واق واق مَنْسك ، وخلف مَنْسك ناسك ، وخلف ناسك يأجوج ومأجوج من الأمة ما لا يعلمه إلا الله . والجانب الآخر من الخزرَ ليس خلفه إلا البحر . ووسط الدنيا العراق والشام والحجاز ومصر ، وذَنَب الدنيا من ذات الحَمَّام[1] إلى المغرب ، وشرُّ شيء في الطير الذَّنَب .

وعن كعب الأحبار قال :

نجدُ صفةَ الأرضِ في كتاب الله ـ يعني التوراة ـ على صفة النّسر : فالرأس الشام ، والجناحان المشرق والمغرب ، والذنَب اليمن . فلا يزال الناس بخير[2] ما لم يُفْدَغ الرأس ، فإذا فُدِغ الرأس هلكَ الناس . وأيمُ الذي نفسُ كعبٍ بيده ، ليأتيَنَّ على الناس زمانٌ لا تبقى جزيرةٌ من جزائر العرب ـ أو قال : مصرٌ من أمصار العرب ـ إلا وفيهم مِقْنَب خيلٍ من الشام ، يقاتلونهم عن الإسلام ، لولاهم لكفروا .

وعن كعب قال :

إن الله خلق الدنيا بمنزلة الطائر : فجعل الجناحين المشرقَ والمغربَ ، وجعل الرأسَ

---

(١) بلد بين الاسكندرية وإفريقية وهو إلى إفريقية أقرب . معجم البلدان والقاموس والتاج .

(٢) بعد هذه اللفظة في الأصل : « مانقل الرأس ونزع الرأس من الجسد ... » .

الشامَ ، وجعل رأس الرأس حمص وفيها المنقـار ، فـإذا نُقِفَ المنقـارُ يتـأفف النـاس ، وجعل الجؤجؤ دمشق وفيها القلب ، فإذا تحرّكَ القلبُ تحرّك الجسد ، وللرأس ضربتـان [٢١ / ب] ضربة من الجناح الشرقي ، وهي على دمشق . وضربة من الجناح الغربي ، وهي على حمص ، وهي أثقلهما . ثم يُقبل الرأس على الجناحين ، فينتفهما ريشة ريشة .

وقال كعب :

ويلٌ للجنـاحين من الرأس ، وويلٌ للرأس من الجنـاحين ، يُردّدهـا ثلاثـاً . فـالرأسُ الشام ، والجناحان المشرق والمغرب .

وعن قتادة قال :

إن الرأس الشـام ، وإن مصر الـذنب ، وإن العراق الجنـاح . وكان يُقـال : ويـل للجناحين من الرأس .

وعن إياس بن معاوية قال :

مُثّلت الدنيا على طائر : فمصر والبصرة الجناحان ، والجزيرة الجُؤْجُؤُ ، والشام الرأس ، واليمن الذنب .

روى محمد بن إسحاق عن بعض اهل العلم قال :

خلق الله الأرضَ على صورة الطير : فرأسُها الشامُ ، وجؤجؤُهـا مكـةُ ـ ومنهـا دُحيت الأرضُ ـ وسائر أطرافها جميعُ الأرَضين . وخُلقتْ مكـةُ قبل بيت المقـدس بـأربعين عـامـاً . وكان موضعُ الكعبةِ ربوةً حمراء على وجه الماء . فلما أن خلقَ اللهُ الأرضَ خلقها سبعَ أرَضين ، غِلَظُ كلّ أرضٍ مسيرةُ خمس مئة عـام ، وفيما بين كلِّ أرضٍ إلى التي تليهـا فَتْقٌ يُمْسِـك بعضَهـا بعضاً .

وذكر علماء الأوائل أن أقاليم الأرض سبعة ، وأن الهند رسمتها ، فجعلت صفـة الأقـاليم كأنها حلقة مستديرة يكتنفها ست دوائر : فالدائرة الوسطى هي إقليم بابل ، والدوائر الست المحدقة بالدائرة الوسطى ، كل دائرة منها إقليم من الأقاليم الستـة . فـالإقليم الأول منهـا إقليم بـلاد الهنـد ، والإقليم الثـاني إقليم الحجـاز ، والإقليم الثـالـث إقليم مصر ، والإقليم الرابـع إقليم بـابل ، وهو الممثـل بـالـدائرة الـوسطى التي اكتنفتهـا سـائر الـدوائر ـ وهـو أوسـط الأقـاليم وأعمرها ، وفيه جزيرة العرب ، وفيه العراق الذي هو سرّة الدنيا ، وحدّ هـذا الإقليم ممـا يلي

أرض الحجاز وأرض نجد : الثَّعْلَبِيَّة[١] [٢٢ / أ] من طريق مكة ، وحدُّه مما يلي الشام : وراء مدينة نصيبين من ديار ربيعة بثلاثة عشر فرسخاً . وحدّه مما يلي أرض خراسان : وراء نهر بلخ . وحدُّه مما يلي الهند : خلف الدَّيْبُل[٢] بستة فراسخ ، وبغداد في وسط هذا الإقليم . والإقليم الخامس بلاد الروم والشام . والإقليم السادس بلاد الترك . والإقليم السابع بلاد الصين[٣] .

---

(١) من منازل طريق مكة ـ الكوفة « معجم البلدان » .

(٢) مدينة على ساحل بحر الهند « معجم البلدان » .

(٣) قارن مع ماورد في تاريخ بغداد ١ / ٢٢ ـ ٢٣ وقد مثل الخطيب للدوائر بالرسم التالي :



والصورة ذاتها في تاريخ ابن عساكر ١ / ١٨١

ما جاء من أنّ الشام
يبقى عامراً بعد خراب الأمصار

عن عوف بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال :

تَخرَبُ الأرضُ قبل الشام بأربعين سنة .

قال أبو عبد رب : سمعت تُبَيْعاً أكثر من ثلاثين مرة يقول :

تَخرَب الأرض وتَعْمُرُ الشام حتى تكون من العمران كالرمانة ، ولا يبقى فيها خربة في سهل ولا جبل إلا عَمِرت . وليُغرَسَنَّ فيها من الشجر ما لم يغرس في زمان نوح ، وتبنى فيها القصور اللائحة في السماء ، فإذا رأيتَ ذلك فقد نزل بك الأمر .

قال أبو عبد رب :

فإن كنتُ صدقتُ بالحديث حين سمعتُه ، ولم أصدّقْ بالأمر حين رأيتُه فما أنا بمؤمن .

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاصي ضد ذلك فقال :

أوّلُ الأرضِ خراباً الشام .

وعن بِشْر بن غَنْم قال :

لتُهدمَنَّ مدينةُ دمشق حجراً حجراً .

قال : لعله أراد بذلك ما وجد من هدم عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس سورَها حين افتتحها .

وعن حسن بن القاسم الأزرقي قال :

وقف رسول الله ﷺ على ثَنِيَّة تبوك فقال : ما ها هنا شام ، وأشار بيده إلى جهة الشام ، وما ها هنا يمن وأشار إلى جهة المدينة .

وعن أبي الأُغَيْس القرشي ، وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ قال :

سُئل عن البركة التي بُورك في الشام : أين مبلغ حدّه ؟ قال : أول حدوده عريش مصر ، والحدّ الآخر طرف الثنيّة ، والحدّ الآخر الفرات ، والحدّ الآخر جبلٌ فيه قبر هود النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلّم .

[٢٢ / ب] وعن أبي حاتم محمد بن حبّان بن محمد بن حبان بن أحمد البُسْتي قال :

أوّل الشام بالِس[١] ، وآخره عريش مصر .

---

(١) بالِسُ : بلدة بين حلب والرقة « معجم البلدان » .

باب تمصير الأمصار

عن أبي نَضْرة قال :

أتينا عثمان بن أبي العاص يومَ جمعةٍ لنعرض على مُصحفه مُصحفاً ، فلما حضرت الجمعةُ أمر لنا بماء فاغتسلنا وطيَّبنَا . ثم رُحْنا إلى الجمعة ، فجلسنا إلى رجلٍ يحدّث ، ثم جاء عثمان بن أبي العاص فتحوَّلْنا إليه فقال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

يكون للمسلمين ثلاثةُ أمصارٍ : مصرٌ بملتقى البحرين ، ومصرٌ بالحيرة ، ومصرٌ بالشام . فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال . وذكر الحديث .

وعن جابر قال : سمعت عمر بن الخطاب سنة عشرين يقول :

الأمصار سبعة : فالمدينة مصر، والشام مصر، ومصر والجزيرة والبحرين والبصرة والكوفة .

قال أبو حاتم السجستاني :

لما كتب عثمان رضي الله عنه المصاحفَ حين جَمع القرآنَ كتب سبعةَ مصاحف ، فبعث واحداً إلى مكة ، وآخر إلى الشام ، وآخر إلى اليمن ، وآخر إلى البحرين ، وآخر إلى البصرة ، وآخر إلى الكوفة ، وحبسَ بالمدينة واحداً[1] .

وقال[2] إبراهيم : قال[2] رجل من أهل الشام :

مصحفُنا ومصحفُ أهل البصرة أحفظُ من مُصحفِ أهل الكوفة . قال : قلت : لِمَ ؟ قال : إنّ عثمان لّما كتب المصاحف بَلَغَهُ قراءةُ أهل الكوفة على حرفِ عبد الله ، فبعث به إليهم قبل أن يُعرض . وعرض مصحفنا ومصحف أهل البصرة قبل أن يبعث به .

وعن الحسن أنّه قال :

لا جُمعةَ إلا في الأمصار . فقلت له : يا أبا سعيد ، ما الأمصار ؟ قال : المدينة والبصرة والكوفة والبحرين والجزيرة والشام ومصر .

(١) كتاب المصاحف ٣٤

(٢ - ٢) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

ما ورد في فضل دمشق من القرآن

[٢٣ / أ] وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ

أنّه تلا هذه الآية : ﴿ وآوَيْناهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرارٍ ومَعين ﴾[1]. قال : هل تدرون أين هي ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : هي بالشام ، بأرضٍ يُقال لها الغوطة ، يُقال لها دمشق ، هي خير مدائن الشام .

وقال ابن عباس :

هي أنهار دمشق .

وعن سعيد بن المسيّب قال :

هي دمشق ذات قَرار ومَعين ، الغوطة .

وعن يزيد بن شجرة قال :

دمشق هي الربوة المباركة .

وعن محمد بن خالد بن أمية الهاشمي قال :

ثم إنّ الله تبارك وتعالى أمر عيسى بن مريم عليهما السلام وأُمّه أن يسكنا دمشق ، وهي إرَم ذات العِماد .

وقال الحسن : في قوله :

﴿ ذَاتِ قَرارٍ وَمَعين ﴾[1] ذات مَعيشة تَقوتهم وتحملهم ، وماء جارٍ . قال : هي الربوة ، هي دمشق .

وقال الحسن البصري :

﴿ ذاتِ قَرارٍ وَمَعين ﴾[1] قال : ذات ثمار وكثرة ماء . قال : هي دمشق .

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣ / ٥٠

وعن سعيد بن جُبَير :

﴿ رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ ﴾[1] قال : الربوة النَّشَزُ من الأرض . والقرار : المستوي .

قال منصور بن أبي مُزاحِم :

وهذا التفسير موجود في صفة ربوة دمشق ، فلا يمتنع أن يكون هو الحق . وقيل : إن الربوة الرملة .

وحدّث مُرّة البَهْزي في خلاء وجماعة أنه سمع رسول الله ﷺ [يقول][2]

لا تزال طائفةٌ من أمّتي على الحقّ ، ظاهرين على مَن ناوَأهم ، وهم كالإناء بينَ الأَكَلة ، حتى يأتيَ أمرُ الله وهم كذلك قال : فقلنا : يا رسول الله ، مَن هم ؟ وأين هم ؟ قال : بأكناف بيت المقدس .

قال : وحدثني أن الرملة هي الربوة ، وذلك أنها تسيل مُغرّبة ومُشرّقة .

وعن الأقرع بن شُفَيّ العَكّي قال :

دخل عليّ النبي ﷺ في مرض فقلت : لا أحسب إلا أنّي ميتٌ من مرضي ، فقال النبي ﷺ : كلا لَتَبْقَيَنَّ ، ولَتُهاجِرَنَّ إلى أرض الشام ، وتموت وتُدفن بالربوة ، من أرض فلسطين .

ورُوي في حديث آخر أنّه قال له :

إنّك لا تموتُ إلا بالربوة . فماتَ ودُفن بالرملة . فكانت عكّ إذا مات [٢٣ / ب] الرجل منهم بالأردن له طرق ، حُمل فدفن بالرملة ، لمكان الأقرع .

وقال أبو هريرة :

﴿ رَبْوَةٍ ذاتِ قَرارٍ ومَعِين ﴾[1] هي الرملة من فلسطين ، وقيل إنها بيت المقدس .

وقال قتادة :

وقيل إنها الاسكندرية .

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣ / ٥٠

(٢) ليست اللفظة في الأصل .

وعن زيد بن أسلم :

وقيل إنها مصر .

وعن وهب بن مُنَبِّه :

وقيل إنها الكوفة .

وقال أبو جعفر :

﴿ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾[1] : الكوفة . والمَعين : الفرات .

وعن محمد بن مسلم قال :

سألت الصادق عن قول الله عز وجل : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وأُمَّهُ آيَةً وآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ ومَعِينٍ ﴾[1] قال : الربوة : النَّجَف ، والقَرار : المسجد ، والمعين : الفرات .

ثم قال : إن نفقة بالكوفة الدرهمُ الواحد يعدل بمئة درهم في غيرها ، والركعة بمئة ركعة . ومَن أحبّ أن يتوضأ بماء الجنة ، ويشرب من ماء الجنة ، ويغتسل بماء الجنة ، فعليه بماء الفرات ، فإنّ فيه مَثْعَبين[2] من الجنة ، وينزل من الجنة كل ليلة مثقالان من مِسْك في الفرات . وكان أمير المؤمنين علي يأتي النجف ويقول : وادي السلام ، ومجمع أرواح المؤمنين ، ونعم المضجع للمؤمن هذا المكان . وكان يقول : اللهم اجعلْ قبري بها .

قال أبو الغنائم :

في النجف ماءٌ طيبٌ تنزله العربُ ، يقال له السلام .

وعن أنس قال :

لما نزلت سورة التين على سيدنا رسول الله ﷺ فرح بها فرحاً شديداً حتى تبيّن لنا شدةُ فرحه ، فسألنا ابن عباس عن تفسيرها فقال : ﴿ والتّينِ ﴾ : بلاد الشام ، ﴿ والزَّيْتون ﴾ : بلاد فلسطين ، ﴿ وطُورِ سِينِين ﴾ الذي كلَّمَ الله موسى عليه . ﴿ وهذا البلدِ الأمِين ﴾ : مكة ، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيم ﴾ : محمد ﷺ . ﴿ ثم رَدَدْنَا أَسْفلَ سافلين ﴾ : عبدة اللات والعُزّى . ﴿ إلاّ الذين آمَنوا وعمِلُوا الصّالحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ

(١) سورة المؤمنون ٢٣ / ٥٠

(٢) المَثْعب : واحد مثاعب الحياض اللسان : ثعب .

مَمْنُون ﴾ أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، ﴿ فما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بالدِّين أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الحاكِمِين ﴾ إذ بعثك فيهم نبيّاً ، وجمعك على التقوى يا محمد .

وعن كعب قال :

﴿ والتِّين ﴾ : مسجد [٢٤ / أ] دمشق ، ﴿ والزَّيْتون ﴾ : بيت المقدس ، ﴿ وطُور سِينين ﴾ : جبل موسى .

وعن خالد بن مَعْدان :

في قوله ﴿ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها في البِلاد ﴾[1] قال : يعني دمشق .

وقال الحسن :

﴿ التّين والزَّيْتون ﴾ : جبالٌ ومساجدُ بالشام .

وعن قتادة :

في قوله تعالى : ﴿ والتِّينِ والزَّيتونِ ﴾ قال : ﴿ التِّين ﴾ الجبل الذي عليه دمشق ، ﴿ والزَّيْتون ﴾ : الذي عليه بيت المقدس ﴿ وطُور سينين ﴾ : جبل بالشام مبارك حسن .

وقوله : ﴿ إِرَمَ ذاتِ العِمادِ ﴾ قال المَقْبُري : هي دمشق .

---

(١) سورة الفجر ٨٩ / ٨

ما ورد في أنّ دمشق من مدن الجنّة

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

أربعُ مدائن من مدائن الجنة ، وأربعُ مدائن من مدائن النار . فأما مدائن الجنة : فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق . وأما مدائن النار : فالقسطنطينية وطبرية وأنطاكية المحترقة وصنعاء

قال أبو عبد الله السّقَطي :

ليس هي صنعاء اليمن ، إنما هي صنعاء بأرض الروم .

وذكر البلاذري

أنَّ أنطاكية المحترقة ببلاد الروم ، أحرقها العباس بن الوليد بن عبد الملك .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

إنّ اللهَ اختار من الملائكة أربعةً : جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل . واختار من النبيين أربعةً : إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم . واختار من المهاجرين أربعةً : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . واختار من الموالي أربعةً : سلمان الفارسي وبلال الأسود ، وصهيب الرومي وزيد بن حارثة . واختار من النساء أربعاً : خديجة بنت خُويلد ومريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مُزاحم . واختار من الأهلّةِ أربعةً : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب . واختار من الأيام أربعةً : يوم الجمعة ويوم الفطر ويوم النحر ويوم عاشوراء . واختار من الليالي أربعاً : ليلة القَدْر وليلة النحر وليلة الجمعة وليلة نصف شعبان . واختار من الشجر أربعاً : السِدْرَة ، والنَّخلة ، والتينة ، والزيتونة . واختار من المدائن [٢٤ / ب] أربعاً : مكة وهي البلدة ، والمدينة وهي النخلة ، وبيت المقدس وهي الزيتونة ، ودمشق وهي التينة . واختار من الثغور أربعةً : اسكندرية مصر وقزوين

خراسان ، وعَبادان العراق ، وعسقلان الشام . واختار من العيون أربعاً : يقول في مُحكم كتابه : ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيانِ ﴾[1] وقال : ﴿ فيهما عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴾[1] فأما اللتان تجريان فعينُ بيسان وعين سُلوان ، وأما النضاختان فعين زمزم وعين عكا[2] . واختار من الأنهار أربعةً : سَيْحان وجَيْحان والنيل والفرات . واختار من الكلام أربعاً : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي[3] العظيم[3] .

وعن كعب الأحبار أنه قال :

خمس مدائن من مدائن الجنة : بيت المقدس ، وحمص ، ودمشق ، وبيت جبرين[4] ، وظَفَار اليمن . وخمس مدائن من مدائن النار : القسطنطينية ، والطُوانة[5] ، وأنطاكية ، وتدمر ، وصنعاء اليمن .

وفي حديث آخر : عمورية بدل الطوانة .

وعن عبد الله بن عمرو قال :

الجنة مطوية في قرون الشمس بدمشق في كل عام .

---

(١) الرحمن ٥٥ / ٥٠ و ٦٦

(٢) في تاريخ ابن عساكر ١١/١ : « عكار » .

(٣) فوق اللفظتين في الأصل إشارتا تضبيب ، ولا وجود لهما في تاريخ ابن عساكر .

(٤) بيت جبرين : بُلَيْد بين بيت المقدس وغزّة « معجم البلدان »

(٥) الطُوانَةُ بلد بثغور المصيصة بين انطاكية وبلاد الروم « معجم البلدان : طوانة والمصيصة » .

ما جاء في أن دمشق مهبط عيسى بن مريم

عن النواس بن سمعان قال : قال رسول الله ﷺ :

ينزلُ عيسى بن مريم على المنارة البيضاء شرقيّ دمشق .

وزاد في حديث آخر : بين مَهْرُودتَيْن(١) وتفسيره : بين مُمَصَّرَتَيْن(٢) .

وعنه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال :

أُريتُ أنّ ابن مريم عليه السلام يخرج من يمنة المغارة البيضاء شرقي دمشق واضعاً يده على أجنحة الملكين ، بين ريْطتين ممشّقتين(٣) ، إذا أدنى رأسه قطّر ، وإذا رفع رأسه تحادر منه جُمانٌ كاللؤلؤ ، يمشي عليه السكينة ، والأرضُ تُقْبَض له ، ما أدرك نفسه من [٢٥ / أ] كافر مات ، ويُدرك نفسه حيثما أدرك بصره ، حتى يُدرك بصرُه في حصونهم وقُرَيّاتهم ، حتى يُدرك الدّجّال عند باب لُدّ فيموت . ثم يعمد إلى عصابة من المسلمين عَصَمهم اللهُ بالإسلام ويترك الكفار ينتفون لحاهم وجلودهم . فتقول النصارى : هذا الدجال الذي أُنذِرْناه ، وهذه الاخرة ، ومن مسّ ابن مريم كان من أرفع الناس قدراً ، ويعظم مسّه ، ويمسح على وجوههم ، ويحدثهم بدرجاتهم من الجنة . فبيناهم فرحون بماهم فيه خرجت يأجوج ومأجوج ، فيوحى إلى المسيح عليه السلام أني قد أخرجتُ عباداً لي لا يستطيع قتلهم إلا أنا ، فأحرز عبادي إلى الطور ، فيمرّ صدر يأجوج ومأجوج على بحيرة الطبرية فيشربونها ، ثم يقبل أخرهم فيركزون رماحهم فيقولون : لقد كان هاهنا مرةً ماءٌ ، حتى إذا كانوا حيالَ بيت المقدس قالوا : قد قتلنا مَنْ في الأرض فهلموا لنقتلَ مَنْ في السماء ، فيرمون نَبْلهم إلى السماء ، فيردّها الله مخضوبةً بالدم ، فيقولون : قد قتلنا مَنْ في السماء ويتحصّن ابنُ مريم وأصحابه

---

(١) المُرْد : عروق يصبغ بها والمهرود المصبوغ بها ويُروى بالدال والذال . القاموس واللسان والنهاية : هرد .

(٢) الممصره من الثياب التي فيها صفرة خفيفة

(٣) ثوب ممشّق : مصبوغ بالمشق وهو المغرة ، اساس البلاغة ، والنهاية : مشق

حتى يكون رأس الثور ورأس الجمل خيراً من مئة دينار اليوم .

قال : كذا قال : (المغارة) . قال : وهو تصحيف وإنما هو المنارة .

وعن ابن عياش الحضرمي قال :

يخرج عيسى بن مريم عند المنارة عند باب الشرقي ثم يأتي مسجدَ دمشق حتى يقعدَ على المنبر ، ويدخل المسلمون المسجدَ ، والنصارى واليهود ، كلهم يرجوه حتى لو ألقيتَ شيئاً لم يُصب إلا رأس إنسان من كثرتهم . ويأتي مُؤَذِّنُ المسلمين فيقوم ، ويأتي صاحب بوق اليهود وصاحب ناقوس النصارى . فيقول صاحب اليهود : أقرِع ، فيُكتبُ سهم المسلمين وسهم النصارى وسهم اليهود ، ثم يُقرع عيسى فيخرج سهم المسلمين ، فيقول صاحب اليهود : إن القرعة ثلاث ، فيُقرع فيخرج سهم المسلمين ، ثم يُقرع الثانية فيخرج سهم المسلمين ، فيؤذّن المؤذّن ، ويخرج اليهود والنصارى من المسجد [٢٥ / ب] ثم يخرج يتبع الدجال بمن معه من أهل دمشق ، ثم يأتي بيت المقدس ، وهي مغلقة قد حصرها الدجّال فيأمر بفتح الأبواب ، ويتبعه حتى يدركه بباب « لُدّ » ، ويذوب كما يذوب الشمع ، ويقول عيسى : إن لي فيك ضربةً فيضربه فيقتله الله عز وجل على يديه ، فيمكث في المسلمين ثلاثين سنة أو أربعين سنة ، الله أعلم أيّ العددين . فيخرج على أثره يأجوج ومأجوج ، فيُهلك الله يأجوج ومأجوج على يديه ، ولا يَبقى منهم عينٌ تطرف ، وتُرَدُّ إلى الأرض بركتها ، حتى إن العصابة ليجتمعون في العنقود ، وعلى الرّمانة ، ويُنْزَع من كل(1) [و ذكر كلاماً انقطع من الكتاب معناه] من كل ذات حُمَةٍ حُمَتها ، يعني سمّها ، حتى إن الحية تكون مع الصبيّ ، والأسد مع البقرة ، لا تضرّه شيئاً ، ثم يبعث الله عزّ وجلّ ريحاً طيبّةً تقبض روحَ كلّ مؤمن ، ويبقى شرارُ الناس تقوم عليهم الساعة .

وعن كعب قال :

يهبط المسيح عليه السلام عند القنطرة البيضاء ، على باب دمشق الشرقي ، تحمله غمامة ، واضعاً يديه على منكبَيْ مَلكين عليه رَيْطتان ، مؤتزر إحداهما ، مُرتدٍ الأخرى ، إذا أكبّ رأسه يقطر منه الجمان .

---

(١) بعدها في الأصل بياض بمقدار ثلاث كلمات .

ما جاء في أن دمشق

فُسطاط المسلمين يوم الملحمة

وعن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

يوم الملحمة الكبرى فسطاط المسلمين بأرضٍ يُقال لها الغوطة ، فيها مدينة يقال لها دمشق ، خير منازل المسلمين يومئذ .

وعن إبراهيم بن الجُنَيد قال : سمعت يحيى بن مَعين ـ وقد ذكروا عنده أحاديثَ من ملاحم الروم ـ فقال يحيى :

ليس من حديث الشاميين شيءٌ أصح من حديث صدقة بن خالد عن النبي ﷺ :

مَعْقِل المسلمين أيام الملاحم دمشق .

وعن عوف بن مالك قال :

أتيتُ رسول الله ﷺ وهو في بناءٍ له ، فسلّمتُ عليه ، فقال لي : عوف ؟ فقلت : نعم ، فقال لي : ادخلْ . فقلت : أكلّي أم بعضي ؟ قال : بل كلك ، فقال لي : يا عوف ، اعدُد ستاً بين يدي [٢٦ / أ] الساعة : أوّلهن موتي ، فاستبكيتُ حتى جعل يُسَكّتني ، ثم قال لي : قل إحدى ، قلت إحدى . قال : والثانية فتح بيت المقدس ، قل ثنتان ، فقلت : ثنتان . قال : والثالثة : مُوْتانٌ[1] يكون في أمتي يأخذهم مثل قُعَاص[2] الغنم ، قل ثلاث . فقلت : ثلاث . قال : والرابعة فتنة تكون في أمتي وعَظّمها ، ثم قال : قل أربع ، فقلت : أربع ، قال : والخامسة يفيض فيكم المال حتى إن الرجل ليُعطَى المئة دينار فيتسَخطها ، قل خمس ، فقلت : خمس . قال : والسادسة هُدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيسيرون إليكم على ثمانين غايةً ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً . ففسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة ، في مدينةٍ يُقال لها دمشق .

---

(١) الموتان ـ بوزن البُطْلان ـ الموت الكثير الوقوع . (النهاية واللسان : موت) ـ .

(٢) القُعاص : داء في الغنم لا يَلبثها أن تموت . القاموس : « قعص » .

وفي رواية أخرى :

راية في الموضعين .

وفي رواية عند ذكر الروم :

فيغدرون فيوافونكم على ثمانين غياية .

وفي رواية :

غابة .

والغاية : الراية . والغَياية بياءين : السحابة . والغابة بنقطة واحدة[1] : السحابة .

وعن النبي ﷺ قال :

ستُفتح عليكم الشام ، فإذا خُيِّرتم المنازل منها ، فعليكم بمدينة يقال لها دمشق ، فإنها مَعقِلُ المسلمين من الملاحم ، وفُسطاطهم منها بأرضٍ يُقال لها الغوطة .

وعن سعيد بن عبد العزيز

أن مَنْ أدرك من علمائنا كانوا يقولون : يخرج أهل مصر من مصرهم إلى ما يلي المدينة ، ويخرج أهل فلسطين والأردن إلى مشارف البلقاء وإلى دمشق ، ويخرج أهل الجزيرة وقِنّسرين وحمص إلى دمشق . وذلك لما كان حدثنا به سعيد عن مكحول عن رسول الله ﷺ أنّه قال :

فُسطاطُ المؤمنين يوم الملحمة الكبرى بالغوطة مدينةٌ يقال لها : دمشق .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ :

إنها ستُفتح الشام ، فعليكم بمدينة يقال لها : دمشق ، فإنها خيرُ مدائن الشام ، وهي مَعقِل المسلمين من الملاحم ، وفُسطاط المسلمين بأرضٍ منها يقال لها : الغوطة ، ومعقلهم من الدجال : بيت المقدس ، ومعقلهم من يأجوجَ ومأجوجَ : الطور .

وعن الأوزاعي [٢٦ / ب] قال :

قدمت المدينة في خلافة هشام ، فقلت : مَنْ هاهُنا من العلماء ؟ قالوا : هاهنا

---

(١) ليس في كتب اللغة « غابة » بمعنى السحابة . وفي الأساس : « أتونا في غابة أي في رماح كثيرة كالشجراء الملتفة . وفي الحديث : فتسيرون إليهم في ثمانين غابة تحت كل غابة اثنا عشر ألفا » . وفي ابن عساكر : « ومن رواه غابة بياء تحتها نقطة واحدة . قال : أراد الأجمة » وأما السحابة فهي العَنَانَة والعانّة . اللسان : « عنن » .

محمد بن المُنكدر ، ومحمد بن كعب القُرَظي ، ومحمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ومحمد بن علي بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فقلت : والله لأَبْدأَنَّ بهذا قبلهم ، قال : فدخلت المسجد ، فسلّمتُ فأخذ بيدي فأدناني فقال : من أي إخواننا أنت ؟ فقلت له : رجل من أهل الشام . قال : من أي أهل الشام ؟ قلت : رجل من أهل دمشق . قال : نعم ، أخبَرني أبي عن جدّي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : للناس ثلاثُ معاقل ، فمعقلهم من الملحمة الكبرى التي تكون بعمق أنطاكية : دمشق ، ومعقلهم من الدجّال : بيت المقدس ، ومعقلهم من يأجوجَ ومأجوجَ : طُور سيناء .

وعن حسان بن عطية قال :

ذكر رسول الله ﷺ كيف يحوزُ الأعداء أُمَّتَه من بلد إلى بلد . فقال : يا رسول الله ، فهل من شيء ؟ قال : نعم ، الغوطة ، مَدينة يقال لها دمشق ، هي فُسطاطهم ومعقلهم من الملاحم ، لا ينالها عدوّ إلا منها .

قال حفص ، أحد رواة الحديث : يقول ـ لا ينالهم عدوّهم إلا منها ـ من الأُمة . قال : وهو يوم دخلَها عبدُ الله بن علي بجنوده .

وعن يزيد بن أبي حبيب عن أبي سالم الجَيْشاني قال :

انطلقتُ إلى المدينة أسأل عن علم الأحداث ، فقيل لي : أين أنت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؟ فإنه كان صعلوكاً فرّغه أبوه لذلك . قال : فقدمتُ فأخبرتُ عبدَ الله بن عمرو بذلك ، قال : نعم : فسلوني عما شئتم أُخبركم به ، فوالله لو شئتُ لأخبرتكم بالسَّنَة التي يخرجون فيها من مصر . قلت : يا أبا محمد ، أخبرني وخبِّرْ لي . قال : نعم ، إنك لن تبرح مُؤامّاً[1] بك ما لم يأت أهل المشرق أهل المغرب ، فإذا كان ذلك خَفَق الدين وخَفَقت السُّنَّة ، ووقعت بين العرب البغضاء ، فأقلّ المؤمنين مَن يحجزه إيمانه ، وأقلّ المُعاهدين من يكفُّه ساعيه[2] ، فإن استطعتَ أن تسكن السروات[3] فكنْ بها ، وإن عجزت

---

(١) المؤامّ بالتشديد : المقارب ، من الأمم ، وفي حديث ابن عباس : لا يزال أمر الناس مؤامّاً ، ما لم ينظروا في القدر والولدان ، أي لا يزال جارياً على القصد والاستقامة . اللسان : « أمم »

(٢) الساعي الذي يقوم بأمر أصحابه عند السلطان (اللسان) .

(٣) السروات : سراة بين تهامة ونجد ، ومعدن البُرم هو السراة الثانية وهو في بلاد عدوان ، والسراة الثالثة أرض عالية وجبال مشرفة على البحر من المغرب وعلى نجد من المشرق ... وقال أبو عمرو بن العلاء ، أفصح الناس أهل السروات وهي ثلاث ، وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن ... » (معجم البلدان) .

فالإسكندرية ، فإن عجزت فالطُور أو سوق [٢٧ /أ] مازن فإذا أقشعتْ شيئاً ـ أبيت اللعن ـ وأصابَ المأمومةَ ، وذاتَ الأصابعِ ذُناباتُها ، فعليكَ بالفحص .

قال عبد الرحمن بن شُرَيح : سمعت أبا قَبِيل يزعم أن المأمومة أبيات الأشاعر بدمشق يوماً بها ، وذات الأصابع حَرْلان(١) .

ثم رجع الحديث إلى يزيد بن أبي حبيب في الفحص . قال : وهي الغوطة . قال : فإنها فُسطاط المسلمين ، فإذا امتنعت الحمراء والبيضاء ، وظن الأولياء عن الأولياء فعليك بمدينة الأسباط ، فإن العافية تحوزُها كما يحوز السيل الدِّمَن . لو أرى أني أُدرك ذلك لَسبقَ رحيلي خبري ، ولا أنت تُدركه .

يعني بمدينة الأسباط : بانياس .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

ما أودّ أن لي مصر وكورها بعد الخمسين والمئة أسكنها ، ولَدمشقُ خيرٌ لو كنتم تعلمون .

وعن نافع بن كيسان الدمشقي قال :

لقيتُ يزيد بن شجرة الرُّهاوي فقلت : إني أردتُ أن آتي فلسطين . قال : لا تفعلْ ، فإني أُحدّثك في دمشق أحاديث ليست في غيرها ، إن حبل الناس إذا اضطربَ كانت عصمتَهم ، وإن أهلها مدفوعٌ عنهم ، وإنه لا ينزلُ بأرضٍ جوعٌ ، ولا بلاء ولا فتنة إلا خُفِّف ذلك عنهم .

وعن عمرو بن جابر الحَضرمي قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول :

مَن سكن دمشق نجا ، فقلت : أعن رسول الله ﷺ ؟ قال : فعن رأيي أُحدّثك ؟! .

وعن ابن مُحَيريز قال : قال رُوَيفع(٢) بن ثابت الأنصاري ، وكان من أصحاب الشجرة :

اسكنْ فلسطين ما استقامتِ العرب ، فإذا نادَوا بشعار الجاهلية فاسكن دمشق ، وشرقُها خير من غربها .

---

(١) حرلان : ناحية بدمشق بالغوطة ، فيها عدة قرى ، وهي مما يلي الصفوانية شرقي باب توما (غوطة دمشق ٢٠٩) (معجم البلدان) .

(٢) وكتب ابنُ منظور في الهامش : « هذا رويفع بن ثابت رحمه الله جَدُّنا لأبينا ، بالنسب المتصل إليه » ، وإلى جانب العبارة « صح ». قلت : وقد ذكرت كتب التراجم اتصال نسب ابن منظور بهذا الصحابي ، ويقولون في نسبته : (الأنصاري الرويفعي الإفريقي) . انظر الأعلام ٧ / ٣٢٩ .

وعن عُقْبة بن نافع بن عبد الحارث :

أنه أوصى بنيه حين حضرته الوفاة فقال : يـا بَنِيَّ احفظوا مـا أوصيكم بـه تنتفعوا : ألاّ تَدّانوا وإن لبستم العباء ، ولا يدخلْ أحد منكم في بيعة الرايات السود طائعاً إنْ أدركتموهـا ، ولا تَدَعُنَّ حظكم من دمشق وإن لم تُصيبوا البيت إلاّ بدية .

وعن كعب قال :

[٢٧ / ب] مَعقـل المسلمين من المـلاحم دمشـق ، ومعقلهم من الـدجّـال نهرُ أبي فُطْرُس[1] ، ومعقلهم من يأجوج ومأجوجَ الطُور .

وعنه أيضا قال :

معـاقـل المسلمين ثـلاثـة : فمعقلهم من الروم دمشق ، ومعقلهم من الـدجـال الأردن ، ومعقلهم من يأجوجَ ومأجوجَ الطُور .

وعن مكحول قال :

لَتمخَرَنّ الرومُ الشام أربعين صباحاً ، لا يمتنع منها إلا دمشقُ وعَمّان .

وعن أبي الأعْيَس عبد الرحمن بن سلمان الخَوْلاني[2] قال :

سيأتي ملك من ملوك العجم يظهر على المدائن كلّها إلا دمشق .

وعن[3] يزيد بن شُريح التيمي عن كعب[3] قال :

يهلـك مـا بين حمص وثنيّـة العُقـاب سبعون ألفـاً ، من الوغى . قلتُ : مـا الـوغى ؟ قال : العطش .

وعن كعب قال :

لن تزالوا بخير مـا لم يركب أهلَ الجزيرة أهلَ قِنَّسرين ، وأهلُ قنسرين أهـلَ حمص ، فيومئذ تكون الجَفْلة و يفزعُ الناس إلى دمشق .

---

(١) نهر أبي فطرس : موضـع قرب الرملة من أرض فلسطين ، وهـو مصب نهر بـالاسم ذاتـه ينبع من جبـال نابلس ، ويصب في البحر بين أرسوف ويافا . (معجم البلدان) .

(٢) استدركت اللفظة في هامش الأصل .

(٣ ـ ٣) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل ، وإلى جانبه : « صح » .

باب في أن البركة في دمشق مُضعَّفة

عن عثمان بن عفان رضي الله عنه :

النفقة في أرض الهجرة مضاعفة بسبع مئة ضعف ، وأنتم المهاجرون أهلَ الشام لو أن رجلاً اشترى بدرهم لحماً من السوق فأكله وأطعم أهله كان له بسبع مئة .

وعن سعيد بن سفيان القاري[1] قال :

توفي أخي وأوصى بمئة دينار في سبيل الله ، فوافق ذلك صُلحَ ابن فرعون فلم يكن عامئذٍ غازية ، فقدمتُ المدينة في حجّ أو عُمرة ، فدخلت على عثمان بن عفان ، وعنده رجل قاعد ، وعليّ قَباء من بُزْيون[2] ـ وكان أصابه من الغنيمة بأرض الروم ـ وكان جَيْبه وفُروجه مكفوفة بحرير . فلما رآني ذلك الرجلَ أقبلَ عليّ يُجاذبني قَبائي ليخرقه . فلما رأى ذلك عثمان قال : دع الرجل فتركني ثم قال : لقد عجلتم . فسألتُ عثمان فقلت : يا أمير المؤمنين ، توفي أخي وأوصى بمئة دينار في سبيل الله فوافق ذلك صُلْح ابن فرعون فلم تجئنا غازية ، فما تأمرني ؟ قال : هل سألت أحداً قبلي ؟ قلتُ : لا [٢٨ / أ] . قال : لئن استفتيتَ أحداً قبلي فأفتاك غير الذي أفتيتك به ضربتُ عُنُقَه . إن الله عزّ وجلّ أمرنا بالإسلام فأسلمنا كُنّا فنحن المسلمون . وأمرنا بالهجرة فهاجرنا فنحن المهاجرون أهلَ المدينة ، ثم أمرنا بالجهاد فجاهدتم ، فأنتم المجاهدون أهلَ الشام . أنفقها على نفسك ، أو على أهلك وعلى ذوي الحاجة ممن حولك فإنك لو خرجت بدرهم ثم اشتريت به لحماً فأكلت أنت وأهلك كُتب لك بسبع مئة درهم .

فخرجتُ من عنده فسألتُ عن الرجل الذي جاذبني ، فقيل : هو علي بن أبي طالب

---

(١) اللفظة في الأصل مهملة . وهو سعيد بن سفيان القاريّ نسبة إلى بني قارة بطن من العرب ، انظر الأنساب ٤٣٧

(٢) البِزْيَوْن والبُزْيُوْن : السندس . (القاموس) « بزن » .

عليه السلام . فأتيته في منزله ، فقلت : ما رأيت مني ؟ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : أوشك أن تَسْتحلّ أمتي فروج النساء والحرير ، وهذا أول حريرٍ رأيتُ على أحد من المسلمين ، فخرجت من عنده فبعتهُ من الخياط .

وعن عبد الرحمن بن ساباط[1] الجُمحي قال :

قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص : إن لي رحماً وقرابة ، وإنّ منزلي قد نبا بي بالعراق والحجاز . قال : أرضى لك ما أرضى به لنفسي ولولدي ، عليك دمشق ، عليك دمشق ، ثم عليك بمدينة الأسباط بانياس ، فإنها مباركة السهل والجبل ، يعيش أهلها بغير الحجرين : الذهب والفضة ، نقل الله عنها أهلها حين بَدّلوا ، تطهيراً لها ، وإن البركة عشر بركات خصّ الله بانياس من[2] ذلك ببركتين ، لا يَعيل ساكنها ، يعيش من برّها وبحرها ، وإذا وقعت الفِتن كانت بها أخفّ منها في غيرها ، فاتخذْها وارتدْ بها ، فوالله لَفدّان بها أحبّ إليّ من عشرينٍ بالوَهْط . والوهط بالطائف .

قال عبد الوهاب بن نَجْدةِ الحَوْطي :

أتيت صَدَقة بن حبيب ، شيخاً كان عندنا ، فسمعته يقول : سمعت أبا الكوثر يقول : كنت بدار يوحنا بحمص ، وقد بُسط فيها لمعاوية بن أبي سفيان ، فإذا رجل قد جاء من نحو زقاق اللقانق ، فسلّم على معاوية فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فقال له : ادنُ يا أبا إسحاق ، ما ترى في حمص وطيبها ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، لَموضع من دمشق صغير [٢٨ / ب] أحبّ إلي من دارٍ بحمص . قال : ولم ذاك يا أبا إسحاق ؟ قال : لأنها مَعقِل الناس في الملاحم . قال معاوية : لا جَرَم ، لا تركت بها حرمة .

وعن ربيعة بن عبد الله بن الهُدَيْر قال :

منزلٌ في دمشق خير من عشرة منازل في غيرها من أرض حمص ، ومنزلٌ داخل دمشق خيرٌ من عشرة منازل بالفراديس ، وإياك وأرباضَها ، فإن في سكناها الهلاك .

---

(١) كذا في الاصل . وهو عبد الرحمن بن سابط ، ويقال : ابن عبد الله بن سابط ، تابعي مكي ، ثقة ، توفي سنة ١١٨ هـ . وانظر في ترجمته التاريخ الكبير ق ١ / ج ٣ / ٣٠١ ، والجرح والتعديل ج٢ / ق٢ / ٢٤٠ ، ٢٤٩ ، والعبر ١ / ١٤٩ ، والعقد الثمين ٥ / ٣٥٤ . وتهذيب التهذيب ج ٦ / ١٨٠ ، وقد مر الخبر مختصراً ص ٥٥ : « عبد الرحمن بن سابط » .

(٢) استدركت لفظتا « بانياس من » في هامش الأصل وإلى جانبها « صح » .

وعن يونس بن مَيْسرة بن حَلْبَس

أن رجلاً سكن طبرية بعيالـه شهراً فكفـاهم بهـا عشرة أمْـداد[1] من قمح ، ثم تحوّل إلى دمشق فكفاهم خمسة أمْداد قمح[1] .

وعن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال :

قلت لأبي سلاّم الأسود : ما نقلك من حمص إلى دمشق قال : ما سألني عن هـذا عربيٌّ قبلَك . قال : لأن البركة فيها مضاعفة .

وفي رواية قال :

بلغني أن البركة تُضعف بها ضعفين .

وعن مكحول :

أنه سأل رجلاً : أين تسكن ؟ قال : الغوطة . قال له مكحول : ما يمنعـك أن تسكن دمشق ، فإن البركة فيها مُضعّفة .

وحَدّث يحيى بن يحيى قال[2] :

قـال لي عُبيـدُ بن يعلى ـ وهـو رجـل من أهـل بيت المقـدس ، كان بعسقـلان وكان عالماً ـ : ارحَلْ من فلسطين ، والْحَقْ بدمشق ، فإن بركات الشام كلها مَسُوقات إلى دمشق .

وعن كعب الأحبار قال :

كل بناء بناه العبدُ يُحاسبُ عليه إلا بناء دمشق .

حدث[3] أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجَهْشياري[4] قال :

وجدتُ عملاً لما كان يُحمل إلى بيت المال بمدينـة السلام من جميع النواحي ، فمن ذلـك من دمشق أربع مئة ألف وعشرون ألف دينار .

وذكر المدائني أن وظيفة دمشق التي وظفها معاوية أربع مئة ألف دينـار ، وهـذا بعـد صرف ما لا بدّ من صرفه في ديوان الجند والولاة ، وأرزاق الفقهاء والمؤذنين والقضاة . وهـذا يدل على كثرة دخلها وعِظَم البركة في مُستغلها . والله أعلم .

(١) كتبت في الأصل : « أمداً » في الموضعين . .

(٢) في الأصل : « وحدث ابن يحيى بن يحيى » . وما هنا عن ابن عساكر .

(٣) في هامش الأصل لفظتا : « ارتفاع الشام » وكأنها عنوان لمضون الخبر .

(٤) انظر الوزراء والكتاب ٢٨٧ .

ما جاء في أن أهل دمشق لا يزالون على الحق

[٢٩ / أ] عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال :

لا تزال عصابةٌ من أمتي يُقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها ، لا يضرُّهم خذْلان مَنْ خَذَلهم ، ظاهرين على الحق ، إلى يوم القيامة .

ومن حديث آخر : أنه قال :

لا يزالُ بدمشق عصابة يقاتلون على الحق حتى يأتي أمرُ الله وهم ظاهرون .

وعن أبي هريرة : عن رسول الله ﷺ قال :

لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها ، وعلى أبواب أنطاكية وما حولها ، وعلى باب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب الطالَقان[1] وما حولها ظاهرين على الحق ، لا يُبالون مَنْ خَذَلهم ولا مَنْ نَصَرهم حتى يُخرج الله كنزه من الطالقان ، فيُحيي به دينه كما أُميتَ من قبل .

قال : وهذا الإسناد غريب ، وألفاظ غريبة جداً .

وعن أبي هريرة : عن رسول الله ﷺ قال :

لا يزال لهذا الأمر - أو على هذا الأمر - عصابة على الحق ، لا يضرّهم خلافُ مَنْ خالفهم حتى يأتيهم أمرُ الله .

وروي أن أبا هريرة وابن السِمْط كانا يقولان :

لا يزال المسلمون في الأرض حتى تقوم الساعة ، وذلك أن رسول الله ﷺ قال : لا تزال من أمتي عصابة قوّامة على أمر الله لا يضرّها مَن خالفها ، تقاتل أعداء الله ، كلما

---

(١) الطالَقان موضعان : الأول بين مرو الرّوذ وبلخ ، والثاني بلدة وكورة بين قزوين وأَبْهَر . وهي عدة قرى يتملها هذا الاسم . انظر المشترك وضعاً ومعجم البلدان .

ذهب حرب نشب حربُ قوم آخرين ، يُزيغ الله قلوب قوم ليرزقهم منه[1] ، حتى تأتيهم الساعة كأنها قِطَع الليل المظلم ، فيفزعون لذلك حتى يلبسوا له أبدان الدروع .

وقال رسول الله ﷺ : هم أهل الشام ، ونكتَ رسولُ الله ﷺ بإصبعه ، يومىء بها إلى الشام ، حتى أوجعها .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

لن تبرح هذه الأمةُ منصورين أينما توجّهوا ، لا يضرّهم مَنْ خَذَلَهم من الناس حتى يأتي أمرُ الله ، أكثرُهم أهل الشام .

وفي رواية :

لن تبرح هذه الأمة منصورةً تُقَذِّف كل مَقْذَف ، منصورين أينما توجّهوا [٢٩ / ب] لا يضرّهم من خَذَلهم من الناس ، هم أهل الشام .

وفي رواية :

لا يُبالون مَن خالفهم حى ينزل عيسى بنُ مريم عليه السلام .

قال أبو عمرو يُفصّل فيه :

فحدثتُ بهذا الحديث قتادة فقال : لا أعلم أولئك إلا أهل الشام .

عن عُمير بن هانىء قال : سمعت معاوية بن أبي سفيان على هذا المنبر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

لا تزال طائفةٌ من أمتي قائمة بأمر الله ، لا يضرّهم مَن خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس . فقام مالك بن يُخامِر السكسكي فقال : يا أمير المؤمنين ، سمعتُ معاذ بن جبل يقول : وهم أهل الشام ، فقال معاوية ورفع صوته : هذا مالك يزعم أنه سمع معاذاً يقول : وهم أهل الشام .

وفي رواية مُسلم بن هُرْمُز :

أنه سمع معاوية يقول في خطبته ـ وذكرَ الحديثَ ـ وقال في آخره : وأنا أرجو أن تكونوا أنتم يا أهل الشام .

---

(١) فوق اللفظة في الأصل « ضبة » .

وفي رواية يونس بن حَلْبَس الجَنَدي[1]:

ثم نزعَ بهذه الآيـة : ﴿ يـا عِيسَى إنّي مُتَوَفِّيـكَ وَرَافِعُـكَ إليَّ ، وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّـذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ ﴾ - يا مُحَمَّد - ﴿ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيامَةِ ﴾[2].

وعن عبد الله بن عمر : عن رسول الله ﷺ قال :

إذا هلك أهل الشام فلا خير في أمتي . وذكر باقي الحديث .

وعن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :

لا تزال طـائفـة من أمتي ظـاهرين على الحق ، يقـذف الله بهم كل مَقْـذَف ، يقـاتلون فضول الضلالة ، لا يضرّهم من خالفهم حتى يقاتلوا الأعور الدجال ، وأكثرهم أهلُ الشام .

وعن ثَوْبان أن نبي الله ﷺ قال :

إن الله زَوَى[3] لي الأرضَ حتى رأيتُ مشارقها ومغـاربها ، وأعطـاني الكَنْزَيْن الأحمر والأبيض ، وإن مُلك أمتي سيبلـغ مـا زُوي لي منهـا . وإني سـألت ربي لأمتي ألا يُهلكهم بسَنَـة، ولا يسلـط عليهم عـدواً من غيرهم فيستبيحهم ، ولو اجتمع عليهم مَن بينَ أقطـارهـا ، حتى يكـون بعضهم يُهلـك بعضـاً ، وبعضهم يُفني بعضـاً ، وبعضهم [٣٠ / أ] يسبي بعضـاً . وإنه سترجع قبـائل من أمتي إلى الشرك وعبـادة الأوثـان ، وإنَّ أخْوَفَ مـا أخـاف على أمتي الأئمـةُ المضلون ، وإنهم إذا وضعوا السيف فيهم لم يُرفع عنهم إلى يوم القيـامـة . وإنـه سيخرج من أمتي دجالون كذابون قريب من ثلاثين ، وإني خـاتم النبيين ، لا نبيَّ بعـدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة حتى يأتي أمرُ الله .

وعن ابن عَوْن الأنصاري : أن النعمان بن بشير خطب يوماً على المنبر فقال : قال رسول الله ﷺ :

لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لا يبالون مَن خالفهم حتى يأتي أمرُ الله . قال النعمان : فمن قال : إني أقول عن رسول الله ﷺ ما لم يَقُلْ فإن تصديق ذلـك في كتـاب الله . إن الله عز وجل يقول : ﴿ يَا عِيسَى إنّي مُتَوَفِّيـكَ وَرَافِعُـكَ إليَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّـذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إلى يَوْمِ القِيَامَةِ ﴾[2] .

---

(١) صحح ابن عساكر في تاريخه هذه النسبـة بعـد أن أورد الخبر . قـال : « والصواب : الجُبْلاني » انظر نسخـة الظاهرية . والنسبة إلى جُبلان بطن من حمير ، انظر الأنساب ١٢٢ .

(٢) سورة آل عمران ٣ / ٥٥ .

(٣) زوى : جمع « القاموس والنهاية : « زوي » .

باب غناء أهل دمشق في الملاحم
وتقديمهم في الحروب

عن أبي هريرة : أن رسول الله ﷺ قال :

إذا كانت الملاحم خرج من دمشق بَعْثٌ من الموالي هم خيار عباد الله ، أبعثُهم فَرَساً وأجودهم سِلاحاً .

وفي رواية أخرى :

إذا وقعت الملاحم بعثَ الله من دمشق بعثاً من الموالي ، هم أكرم العرب فرساً ، وأجودُه سلاحاً ، يؤيد الله بهم الدين .

وفي رواية عطية بن قيس :

خرج بعثٌ من دمشق ، هم خيار عباد الله الأولين والآخرين .

وعن ابن مُحَيْرِيز قال :

خيرُ فوارس تُظِل السماءُ فوارسُ من قيس ، يخرجون من غوطة دمشق ، يقاتلون الدَّجال .

قال الوليد : أخبرني إسماعيل وغيرُه

أنه كان في كتاب معاوية إلى عبد الله بن قُرْط : بلغني كتابك في مواضع رايات الأجناد المعلومة ، فهي على مواضعها الأولى . فإذا حضر أهلُ الشام جميعاً فأهلُ دمشق وحمص ميمنة الإمام .

قال الوليد بن مسلم :

وحدثني [٣٠ / ب] شيخ من قدماء الجند ممن كان يلزم الجهاد في الزمان الأول أن

أهل الشام كانوا إذا غَزَوْا الصوائف كانوا ينزلون أجناداً ، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ في مسيرهم ، إذا ساروا إلى الشام ينزلون أرباعاً . قال الشيخ : وكما كانت بنو إسرائيل مع موسى ـ عليه السلام ـ ثم بعده تنزل في عساكرها أسباطاً . وكان بين كل جُنْدَين فُرْجة ، وطريقٌ للعامّة ، ومجالٌ للخيل ، ومركز لها ، إنْ كانت فزعة من ليلٍ أو نهار . قلت : فأين كان ينزل والي الصائفة ؟ وفيمن ؟ قال : كان ينزل بخاصته ورهطه في القلب ، في أهل دمشق ، ثم ينزل أجناد الشام يمنة ويسرة .

قال : وحدثني شيخ من قدماء المشيخة ممن كان يلزم الجهاد أنهم كانوا إذا كان اللقاءُ تقدم رَبع قريش من أهل دمشق حتى يكونوا عند راية الأمير والجماعة ، ثم رَبع كِنْدة من جند دمشق عن يمنتهم .

قال الوليد : وقالوا : ـ يريد المشيخة

لأن دمشق كانت عند سَيْرِ أصحاب رسول الله ﷺ إلى الشام وجهَ[1] الشام ، إليها ساروا ، وبها بدؤوا ، فلما فتحوا كان غيرها من مدائن الشام لها تبعاً . قال : فاتخذها أصحاب رسول الله ﷺ داراً وفُسطاطاً ومجتمعاً ، وفيها منزلُ والِيهم الأعظم وبيت مالهم .

قال سليمان بن أبي شيخ :

سألت أبا سفيان الحميري : كم كان جند بني أمية ؟ قال : ثلاث مئة ألف ، وخمسون ألفاً من أهل الشام . ومئة وخمسون ألفاً من أهل العراق .

---

(١) في الأصل : « ووجه » وما هنا عن ابن عساكر .

ما جاء في أن أهل دمشق
يُعرفون في الجنة بالثياب الخضر

عن عروة بن رُوَيم

أن رجلاً لقي كعب الأحبار فسلمَّ عليه ودعا له ، فسأله كعب : ممن هو ؟ قال : من أهل الشام . قال : لعلك من الجند الذين يدخل الجنة منهم سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب ؟ قال : ومَن هم ؟ قال : أهل حمص . قال : لستُ منهم . قال : فلعلك من الجند الذين يُعرفون [٣١ / أ] في الجنة بالثياب الخضر ؛ قال : ومَن هم ؟ قال : أهل دمشق . قال : لستُ منهم . قال : فلعلك من الجند الذين هم تحت ظل عرش الرحمن ؟ قال : ومَن هم ؟ قال : أهل أردن ، قال : لستُ منهم . قال : فلعلك من الجند الذين ينظر [الله][1] إليهم في كل يوم مرتين ؟ قال : ومَن هم ؟ قال : أهل فلسطين . قال : نعم ، أنا منهم .

وفي رواية :

في أهل حمص ـ الذين يَشفع شهيدهم بسبعين .

---

(١) ليست لفظة الجلالة في الأصل ولا في تاريخ ابن عساكر .

دعاء النبي لأهل الشام أن يهديهم الله
ويُقبل بقلوبهم إلى الإسلام

عن أنس

أن رسول الله ﷺ نظر نحو الشام فقال : اللهم أقبِلْ بقلوبهم ، ثم نظر نحو اليمن فقال : اللهم أقبلْ بقلوبهم ، ثم نظر نحو العراق فقال : اللهم أقبل بقلوبهم ، ثم قال : اللهم باركْ لنا في ثمرة أرضنا ، وباركْ لنا في صاعنا ومُدّنا .

وعنه

أن النبي ﷺ نظر قِبَلَ العراق والشام واليمن ـ قال : لا أدري بأيتهن بدأ ـ ثم قال : اللهم أقبِلْ بقلوبهم إلى طاعتك ، وأحِطْ من ورائهم .

وعن جابر بن عبد الله

أنه سمع النبي ﷺ يوماً وهو على المنبر نظر قِبلَ الشام فقال : اللهم أقبل بقلوبهم ، اللهم أقبل بقلوبهم . ونظر قِبل العراق فقال نحو ذلك ، وقِبل كل أفق فقال مثل ذلك . وقال : اللهم ارزقنا من ثمرات الأرض ، وبارك لنا في مُدنا وصاعنا . وقال : مثل المؤمن كمثل السنبلة تخرُّ مرة وتستقيم مرة ، ومثل الكافر كمثل الأرزة لا تزال تستقيم حتى تخرَّ ولا تشعرَ .

ما رُوي في أن أهل الشام مرابطون
وأنهم جند الله الغالبون

عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ :

أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله ، فمن احتل منها مدينة فهو في رباط . ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد .

[٣١ / ب] وعن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال :

سيُفتح على أمتي من بعدي الشام وشيكاً ، فإذا فتحها فاحتلها فأهل الشام مرابطون إلى منتهى الجزيرة ، رجالهم ونساؤهم وصبيانهم وعبيدهم ، فمن احتل ساحلاً من تلك السواحل فهو في جهاد ، ومن احتل بيت المقدس وما حوله فهو في رباط .

وعن أرطاة بن المنذر

أن عمر قال لجلسائه : أيُّ الناس أعظمُ أجراً ؟ قال : فجعلوا يذكرون له الصوم والصلاة . قال : ويقولون : فلان وفلان بعد أمير المؤمنين . فقال : ألا أخبركم بأعظم الناس أجراً ممن ذكرتم ، ومن أمير المؤمنين ؟ قالوا : بلى . قال : رُوَيجل بالشام آخذ بلجام فرسه ، يكلأ من وراءَ ، بيضةَ المسلمين ، لا يدري أَسَبُعَ يفترسه ، أم هامة تلدغه ، أو عدوٌ يغشاه ؟ فذلك أعظم أجراً ممن ذكرتم ، ومن أمير المؤمنين .

وعن إبراهيم اليماني قال :

قدمتُ من اليمن فأتيتُ سفيانَ الثوري فقلت : يا أبا عبد الله ، إني جعلت في نفسي أن أنزل جُدّة فأرابط بها كلَّ سنة ، واعتمر في كل شهر عُمرة ، وأحجَّ في كل سنة

حجة ، وأقربُ من أهلي ، أحَبُّ إليك أم آتي الشام ؟ فقال لي : يا أخا أهل اليمن ، عليك بسواحل الشام ، عليك بسواحل الشام . فإن هذا البيت يحجّة في كل عام مئة ألف ، ومئة ألف وثلاث مئة ألفٍ ، وما شاء الله من التضعيف ، لك مثلُ حجّهم وعُمرهم ومناسكهم .

وعن مالك بن أنس قال :

قال لي أبو جعفر المنصور يوماً : ما على ظهرها أحد أعلم منك ؟ قلت : بلى . قال : فسمِّهم لي . قلت : لا أحفظ أسماءهم . قال : قد طلبت هذا الشأن في زمان بني أمية فقد عرفته . أما أهل العراق فأهل إفك وباطل وزور . وأما أهل الشام فأهل جهاد وليس فيهم كثير علم . وأما أهل الحجاز ففيهم بقية العلم ، وأنت عالم الحجاز .

وعن خُرَيم بن فاتك الأسدي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

أهل الشام سَوْط الله تبارك وتعالى في أرضه يَنتقم [٣٢ / أ] بهم ممن يشاء من عباده ، حرامٌ على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم ، ولا يموتون إلا غماً وهماً .

وعن عطاء بن السائب قال :

سمعت عبد الرحمن الحضرمي ، أيام ابن الأشعث يخطب ، وهو يقول : يا أهل الشام ، أبشروا فإن فلاناً أخبرني أن رسول الله ﷺ قال : يكون قوم من آخر أمتي يُعطَوْن من الأجر مثل ما يُعطَى أولهم ، ويقاتلون أهل الفتن ، يُنكرون المنكر ، وأنتم هم .

وعن قتادة

في قوله تعالى : ﴿ وإنّ جُنْدَنا لَهُمُ الغالبون ﴾[1] قال : هم أهل الشام .

وعن كعب قال :

أهل الشام سيف من سيوف الله ، ينتقم الله بهم ممن عصاه في أرضه .

وعن عون بن عبد الله بن عُتْبة قال :

قرأت فيما أنزل الله عز وجل على بعض الأنبياء أن الله يقول : أهل الشام كنانتي ، فإذا غضبتُ على قوم رميتهم منها بسهم .

---

(١) سورة الصافات ٣٧ / ١٧٣

وعن أبي بكر النّهشلي قال :

كنت في الجمع - يعني جَمْع الكوفة - يوم جاء أهل الشام يقاتلون أهل الكوفة ، فإذا شيخ حسنُ الخضاب ، حسنُ الهيئة ، على دابةٍ له ، وهو يقول : اللهم لا تنصرنا عليهم ، اللهم فرّق بيننا وبينهم ، اللهم ، اللهم . قال : قلت : يا عبد الله ، ألا تتقي الله ؟ ألا تخرج ترى قوماً قد جاؤوا يريدون يقاتلون مقاتلتنا ويَسبُون ذرارينا ، وأنت تقول: اللهم لا تنصرنا عليهم ، اللهم ، اللهم . قال : ويحك ، إني سمعت عبد الله بن مسعود يقول : لا يغلب أهلَ الشام إلا شرارُ الخلق .

وعن زيد بن واقد قال : سمعت مكحولاً يقول :

الحمد لله الذي أطعمنا الطعام ، وأسقانا الشراب ، وجعلنا من أهل الشام ، ويا ربّ لا تُبقني بعد هشام .

ما جاء أن بالشام تكون الأبدال

عن شُريح بن عُبيد قال :

ذُكر الشام عند علي بن أبي طالب وهو بالعراق فقالوا : العنْهم يا أمير المؤمنين . قال : لا ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : الأبدالُ [٣٢ / ب] يكونون بالشام ، وهم أربعون رجلاً ، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً ، فيُسقى بهم الغيث ، ويُنتصر بهم على الأعداء ، ويُصرف عن أهل الشام بهم العذاب .

وعن شَهْر بن حَوْشَب قال :

لما فُتحت مصر سَبُّوا أهل الشام ، فأخرج عوف بن مالك رأسه من بُرْنسه ثم قال : يا أهل مصر ، أنا عوف بن مالك ، لا تسبّوا أهل الشام ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : فيهم الأبدال ، وبهم تُنصرون ، وبهم تُرزقون .

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال :

البُدَلاء أربعون : اثنان وعشرون بالشام ، وثمانية عشر بالعراق . كلما مات منهم واحد أبدل الله تبارك وتعالى مكانه آخر ، فإذا جاء الأمر قُبضوا كلُّهم ، فعند ذلك تقوم الساعة .

وعن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال :

دعائم أمتي عصائب اليمن ، وأربعون رجلاً من الأبدال بالشام ، كلما مات رجلٌ أبدلَ اللهُ مكانه ، أما إنّهم لم يبلغوا ذلك بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكنْ بسخاء الأنفس ، وسلامةِ الصدور ، والنصيحة للمسلمين .

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال :

يكون اختلافٌ عند موت خليفةٍ ، فيخرج رجل من المدينة هارباً إلى مكة ، فيأتيه ناسٌ من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره ، فيبايعونه بين الركن والمقام ، ويُبعث إليه بعثٌ من الشام فيُخسَف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل

الشام ، وعصائب أهل العراق فيبايعونه . ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب ، فيَبعَث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم ، وذلك بعث كلب ، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب ، فيقسم المال ، ويعمل فيهم بسنة نبيهم ﷺ ، ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض ، فيمكث سبع سنين ، ثم يُتوفّى ويصلي عليه المسلمون .

وفي رواية [٣٣ / أ] تسع سنين .

وعن ابن عباس يرفعه قال : قال رسول الله ﷺ :

مكة آية الشرف ، والمدينة معدِن الدين ، والكوفة فُسطاط الإسلام ، والبصرة فخر العابدين ، والشام معدِن الأبرار ، ومصر عش إبليس وكهفه ومستقره ، والسِّنْد مِداد إبليس ، والزنى في الزّنج ، والصدق في النّوبة ، والبحرين منزل مبارك ، والجزيرة معدِن القتل ، وأهل اليمن أفئدتهم رقيقة ، ولا يعدمهم الرزق ، والأئمة من قريش ، وسادة الناس بنو هاشم .

وعن علي رضي الله عنه قال :

قبة الإسلام بالكوفة ، والهجرة بالمدينة ، والنُجَباء بمصر ، والأبدال بالشام ، وهم قليل .

قال كعب :

الأبدال ثلاثون .

وفي حديث آخر :

الأبدال بالشام ، والنجباء بالكوفة .

وفي آخر :

والأخيار من أهل العراق .

وعن علي عليه السلام قال :

إذا قام قائمُ آلِ محمد جمع الله له أهل المشرق وأهل المغرب ، فيجتمعون كما يجتمع قَزَع[١] الخريف ، فأما الرفقاء فمن أهل الكوفة ، وأما الأبدال فمن أهل الشام .

---

(١) « القَزَع ـ محركة : قِطع من السحاب متفرقة . اللسان : «قزع » .

وعن علي أنه قال وهو بالكوفة :

ما أشدّ بلايا الكوفة ، لا تسبُّوا أهل الكوفة ، فوالله إنّ فيهم لمصابيح الهدى ، وأوتاد ذِكر ، ومتاعاً إلى حين ، والله لَيَدُقّنّ الله بهم جناح كفر لا ينجبر أبداً . إن مكة حرم إبراهيم ، والمدينة حرم رسول الله ﷺ ، والكوفة حرمي . وما من مؤمن إلا وهو من أهل الكوفة ، أو هواه لينزع إليها . ألا إن الأوتاد من أبناء الكوفة ، وفي مصر من الأمصار ، وفي أهل الشام أبدال .

وعن الحسن البصري قال :

لن تخلو الأرض من سبعين صِدّيقاً ، وهم الأبدال ، لا يَهلك منهم رجل إلا أخلف مكانه مثله ، أربعون بالشام ، وثلاثون في سائر الأرضين .

وعن أم عبد الله بنة خالد بن مَعْدان عن أبيها قالت :

قالت الأرض للربّ تبارك وتعالى : كيف تَدَعُني وليس عليّ نبيّ ؟ قال : سوف أدَعُ عليك أربعين صِدّيقاً بالشام .

وقال الفُضيل بن فَضالة :

الأبدال بالشام [٣٣ / ب] : في حمص خمسة وعشرون رجلاً ، وفي دمشق ثلاثة عشر ، وببيسان اثنان .

وقال الحسن بن يحيى :

بدمشق من الأبدال سبعة عشر نفساً ، وببيسان أربعة .

وعن ابن شَوْذَب قال :

الأبدال سبعون : فستّون بالشام ، وعشرة بسائر الأرضين .

وعن(١) عثمان بن عطاء عن أبيه(١) عطاء قال :

الأبدال أربعون إنساناً . قال : قلت له : أربعون رجلاً ؟ قال : لا تقل أربعين رجلاً ، ولكن قل أربعين إنساناً ، لعل فيهم نساءً .

(١ ـ ١) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل وإلى جانبه « صح »

وقال أبو سليمان :

المجتهدون بالبصرة ، والفقهاء بالعراق ، والزهاد بخراسان ، والبُدَلاء بالشام .

وقال الكتاني :

النُقباء ثلاث مئة ، والنُجباء سبعون ، والبُدَلاء أربعون ، والأخيار سبعة ، والعُمُد أربعة ، والغوث واحد . فمسكن النقباء المغرب ، ومسكن النجباء مصر ، ومسكن الأبدال الشام ، والأخيار سياحون في الأرض ، والعمد في زوايا الأرض ، ومسكن الغوث مكة . فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ، ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأبدال ثم الأخيار ثم العُمُد . فإن أجيبوا ، وإلا ابتهل الغوثُ ، فلا تتمّ مسألته حتى تجاب دَعْوته .

حدث شيخٌ من أهل صنعاء من جلساء وهَبْ بن مُنبّه قال[1] :

رأيت رسول الله ﷺ في المنام ، فقلت : يا رسول الله ، أين بُدَلاءُ أمتك ؟ فأومأ بيده نحو الشام . قال : قلت : يا رسول الله ، أما بالعراق منهم أحد ؟ قال : بلى ، محمد بن واسع ، وحسان بن أبي سِنان ، ومالك بن دينار الذي يمشي في الناس بمثل زهد أبي ذر في زمانه .

وعن ابن عُمر عن النبي ﷺ قال :

خيار أمتي خمس مئة ، والأبدال أربعون . كلما مات بَديل أدخل الله مكانه من الخمس مئة ، وأدخل في الأربعين مكانهم . فلا الخمس مئة ينقصون ، ولا الأربعون ينقصون . قالوا : يا رسول الله ، دُلَّنا على أعمال هؤلاء . قال : يَعْفون عمّن ظَلَمهم ، ويُحسنون إلى من أساء إليهم ، ويُواسون فيما آتاهم الله ، وتصديقُ ذلك في كتاب الله عزّ وجلّ : ﴿ والكاظِمينَ الغيظَ والعافِيْنَ عنِ الناسِ [٣٤ / أ] واللهُ يُحِبُّ المُحْسنين ﴾[2].

وفي رواية أخرى :

خيار أمتي في كل قرن .

وعن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :

إن للهِ عزّ وجلّ في الخلق ثلاث مئة ، قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ، وللهِ تعالى في

---

(١) حلية الأولياء ٣ / ١١٤

(٢) سورة آل عمران ٣ / ١٣٤

الخلق أربعون ، قلوبهم على قلب موسى عليه السلام . ولله في الخلق سبعة ، قلوبهم على قلب إبراهيم عليه السلام ، ولله تعالى في الخلق خمسة ، قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ، ولله تعالى في الخلق ثلاثةٌ ، قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ، ولله في الخلق واحد ، قلبه على قلب إسرافيل عليه السلام . فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة ، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاث مئة ، فإذا مات من الثلاث مئة أبدل الله مكانه من العامّة . فَبِهم يُحيي ويُميت ويُمطر ويُقيت ، ويدفع البلاء .

قيل لعبد الله بن مسعود :

كيف بهم يحيي ويميت ؟ قال : لأنهم يسألون الله عزّ وجلّ إكثار الأمم فيكثرون ، ويدعون على الجبابرة فيُقصمون ، ويَستسقُون فيُسْقَوْن ، ويسألون فتُنبت لهم الأرض ، ويدعون فتُدفع بهم أنواع البلاء .

وعن أبي الزناد قال :

لما ذهبت النبوة ، وكانوا أوتادَ الأرض أخلف الله مكانهم أربعين رجلاً من أمة محمد ﷺ يقال لهم الأبدال ، لا يموت الرجل منهم حتى ينشئ الله مكانه آخر يخلفه ، وهم أوتاد الأرض ، قلوبُ ثلاثين منهم على مثل يقين إبراهيم ، لم يَفضُلوا الناسَ بكثرة الصلاة ولا بكثرة الصيام ، ولا بحسن التخشع ، ولا بحسن الحلية ، ولكن بصدق الورع ، وحسن النية ، وسلامة القلوب ، والنصيحة لجميع المسلمين ، ابتغاءَ مرضاة الله ، بصبر دَجِير[1] ، ولبٍّ حليم ، وتواضع في غير مذلة . وَاعْلَمْ أنهم لا يلعنون شيئاً ، ولا يؤذون أحداً ، ولا يتطاولون على أحدٍ تحتهم ، ولا يحقرونه ، ولا يحسدون أحداً فوقهم ، ليسوا بمتخشّعين [٣٤ / ب] ولا مُتماوتين[2] ، ولا مُعْجبين ، لا يُحبّون لِدُنيا ، ولا يُحبّون الدنيا ، ليسوا اليومَ في وحشة ، وغداً في غفلة[3] .

---

(١) في اللسان : « دجر » ورجل دَجِر ودَجْران ، النشيط الذي فيه مع نشاطه أثر .

(٢) المتماوت : الناسك المرائي . القاموس : « موت » .

(٣) كذا في الأصل والتاريخ . ولعل العكس هو الأفضل .

ما جاء في نفي الخير عند فساد أهل الشام

عن معاوية بن قُرّة عن أبيه عن النبي ﷺ قال :

إذا هلك أهل الشـام فلا خير في أمتي ، ولا تزال طـائفـة من أمتي ظـاهرين على الحق حتى يُقاتلوا الدجال .

وفي رواية عنه[1] :

إذا فسد أهل الشـام فلا خير فيكم ، ولن تزال طـائفـة من أمتي منصورين ، لا يضرّهم مَن خَذَلَهم حتى تقوم الساعة .

وعن الحسن أنه قال :

خيار أهل الشام خير من خياركم ، وشرار أهل الشام خير من شراركم . قـالوا : لِمَ تقول هذا يا أبا سعيد ؟ قال : لأن الله تعالى قال : ﴿ ونجّيناهُ ولوطاً إلى الأرضِ الّتي بارَكْنا فِيها لِلْعالَمِينْ ﴾[2].

---

(١) استدركت اللفظة في الهامش .

(٢) سورة الأنبياء ٢١ / ٧١

ما جاء من أن بالشام تكون بقايا العرب

عن أبي هريرة قال :

بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل معاذ بن جبل ـ أو سعد بن معاذ ـ فقال رسول الله ﷺ حين رآه : إني لأرى في وجهه لأحي[1] طالع . قال : فجاء حتى سلم على رسول الله ﷺ فقال : أبشر يا رسول الله ، فقد قتلَ اللهُ كسرى . فقال رسول الله ﷺ : لعن الله كسرى ، ثلاثاً ، ثم قال : إن أول الناس فناءً ، أو هلاكاً ، فارس ، ثم العرب من ورائها ، ثم أشار بيده قِبَل الشام ، إلا بقية ها هنا .

وفي رواية :

أولُ الناس هلاكاً فارس ، ثم العرب ، إلا بقايا هاهنا ـ يعني الشام .

---

(١) كذا في الأصل . وفي الهامش كتب حرف « ط » لعله إشارة إلى عدم وضوح اللفظة . وفي تاريخ ابن عساكر ٢٦٨/١ : « لأحسن » .

بابُ انحياز بقية المؤمنين

آخر الزمان إلى الشام

عن القاسم بن عبد الرحمن قال :

مَدّ الفراتُ على عهد عبد الله بن مسعود ، فكره الناس ذلك ، فقال عبد الله : يا أيها الناس لا تكرهوا مدّه فإنه يوشك [٣٥ / أ] أن يُلتمس فيه ملء طست من ماء فلا يوجد ، وذلك حين يرجع كل ماء إلى عنصره . ويكون الماء وبقية المؤمنين بالشام .

وعن عبد الله بن عمرو قال :

يأتي على الناس زمان ، لا يبقى على الأرض مؤمن إلا لحق بالشام .

وعن أبي أُمامة قال :

لا تقوم السّاعة حتى يتحول أشرار الناس إلى العراق ، وخيار أهل العراق إلى الشام ، حتى تكون الشام شاماً والعراق عراقاً .

وعن شُرَحْبيل بن مُسْلم عن أبيه قال :

بلغنا أنه لن تقوم الساعة حتى يخرج خيار أهل العراق إلى الشام ، ويخرج شرار أهل الشام من الشام[1] إلى العراق ، فأكرَهُ أن يدركني أجلي وأنا بالعراق .

---

(١) استدركت لفظتا « من الشام » في هامش الأصل وإلى جانبها « صح »

ما ذكر من تمسك أهل الشام بالطاعة

عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال :

دخل إبليس العراق فقضى حاجته منها ، ثم دخل الشام فطردوه حتى بلغ بُسَاق[1]، ثم دخل مصر فباض فيها وفرّخ وبسط عبقريّه[2] .

وفي رواية :

حتى بلغ جبل بُسَاق .

وعن ابن عمر قال :

نزل الشيطان بالمشرق فقضى قضاءه ، ثم خرج يريد الأرض المقدسة الشام ، فمُنع ، فخرج على بُسَاق ، حتى جاء المغرب فباض بيضَهُ ، وبسط بها عبقريّه .

وعن مُحرِز أبي حارثة القَيْني وأبي عثمان الغساني - يعني : يزيد بن أُسَيد قالا :

لما قدم كتاب عثمان إلى أهل الشام في القراءة قالوا : سمعنا وأطعنا ، وما اختلف في ذلك اثنان . انتهوا إلى ما اجتمعت عليه الأمة ، وعرفوا فضله .

وعنهما :

أن معاوية قال لابن الكواء : أخبِرْني عن أهل الأحداث من أهل الأمصار . فذكرهُ إلى أن قال : وأما أهل الأحداث من أهل الشام فأطوعُ الناس لمرشدهم ، وأعصاهم لمغويهم .

وعن أم الدرداء قالت :

قدم أبو الدرداء على عثمان حاجّاً ، فقال له عثمان : يا أبا الدرداء ، إني قد استنكرت مَن يليني ، ولم أسأل أحداً من أهل الآفاق عمن يليه إلا وقد وجدته استنكر من [٣٥ / ب]

---

(١) بُساق : عقبة بين التيه وأيلة . معجم البلدان

(٢) العبقري : الطنافس الثخان . وقيل : البسط المُوَشيّة . اللسان والنهاية : « عبقر » .

يليه ، فما أعرف شيئاً ، فكيف بكم ؟ فقال : ما يعصينا أهل بلادنا ولا يستبدّون علينا . قال : فالزَمْها ، فوالله لَينقلَنّ الله الأمر إليكم ، فقد استُنكرتِ الأشياءُ ، فما تُعرَفُ إلا الصلاة يا أبا الدرداء ، وإنها من آخر ما يُنكر من هذا الأمر .

وعن عبد الملك بن عُمَيْر قال :

كان عامة خطبة يزيد بن أبي سفيان وهو على الشام : عليكم بالطاعة والجماعة ، فمن ثَمّ لا يعرف أهل الشام إلا الطاعة .

وعن زهير بن الأرقم قال :

خَطَبَنا علي بن أبي طالب فقال : ألا إن بُسْراً قد طلع من قِبل معاوية ، ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون عليكم باجتماعهم على باطلهم وتفرُّقكم عن حقكم ، وبطاعتهم أميرهم ومعصيتكم أميركم ، وبأدائهم الأمانة وبخيانتكم . استعملتُ فلاناً فغلّ وغدر ، وحمل المال إلى معاوية ، واستعملت فلاناً فخان وغَدر ، وحمل المال إلى معاوية حتى لو ائتمنتُ أحدكم على قَدَح خشيتُ على علاقته . اللهم إني قد أبغضتهم وأبغضوني ، فأرحهم مني ، وأرحني منهم[١] .

وعن خَبّاب بن عبد الله :

أن معاوية بعث خيلاً فأغارت على هِيت[٢] والأنبار[٣] ، فاستنفر عليّ الناس ، فأبطؤوا وتثاقلوا ، فخطبهم فقال :

أيها الناس ، المجتمعةُ أبدانُهم المتفرقةُ أهواؤهم ، ما عزّت دعوةُ مَن دعاكم ، ولا استراح قلبُ مَن قاساكم ، كلامكم يوهي الصُّم الصِلاب ، وفعلكم يُطمع فيكم عدوكم ، فإذا دعوتكم إلى المسير أبطأتم وتثاقلتم ، وقلتم : كيت وكيت ، أعاليل أباطيل . سألتموني التأخير دفاعَ ذي الدَّيْن المَطُول ، حِيدي حياد ، لا يمنع الضيمَ الذليل ، ولا يُدْرَك الحق إلا بالجد والصدق ، فأيّ دارٍ بعد داركم تمنعون ؟ ، ومع أي إمام بعدي تقاتلون ؟ المغرورُ والله مَن غررتموه ، ومن فاز بكم فاز بالسهم الأخْيَب ، أصبحتم والله لا أُصدق قولكم ، ولا أُطمع في نصركم . فرق الله بيني وبينكم ، وأعقبني بكم مَن هو خير لي منكم ، وأعقبكم مني مَن هو شرٌّ لكم مني

---

(١) انظر نهج البلاغة ١ / ١١٠ وعلاقة القدح : مايعلق به . اللسان : « علق » .

(٢) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار « معجم البلدان »

(٣) الأنبار : مدينة على الفرات في غربي بغداد « معجم البلدان »

[٣٦ / أ] أما إنكم ستلْقون بعدي ثلاثاً : ذلاً شاملاً ، وسيفاً قاطعاً ، وأَثَرةً قبيحة ، يتخذها فيكم الظالمون سُنّة ، فَتبكي لـذلـك أعينكم ، ويـدخل الفقر بيوتكم . وستـذكرون عنـد تلـك المـواطن ، فتـودون أنكم رأيتمـوني ، وهرقتم دمـاءكم دوني ، فـلا يبعـدِ الله إلا مَن ظَلَم . والله لوددتُ أني أقدر أن أصرفكم صرف الدينار بالدراهم ، عشرةً منكم برجل من أهل الشام .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّا وإيّاك كما قال الأعشى[1] : [البسيط]

عُلِّقتُهـــا عَرَضـــاً وعُلِّقتْ رجـــلاً   غيري وعُلِّـقَ أخرى غيرَهـــا الرَّجـــلُ

عَلِقْنا بحَبْلك ، وعَلِقْتَ أنت بأهل الشام ، وعَلِق أهل الشام معاوية .

وعن دَغْفَل قال :

قال المال : أنا أسكن العراق ، فقال الغدر : أنا أسكن معـك . وقـالت الطـاعـة : أنـا أسكن الشام ، قال الجفاء : أنا أسكن معك . قال العيش : أنا أسكن مصر ، قال الموت : أنـا أسكن معك . وقالت المروءة : أنا أسكن الحجاز ، فقال الفقر : وأنا أسكن معك .

قال أبو زكريا[2] ـ يعني يحيى بن عثمان بن صالح[2] :

وسمعت أنه كان مكتوبـاً على صخرة ببـاب العريش يقرؤه من دخل مصر : ادخل إلى بلدٍ وفيّ ، وعيشٍ رخي ، وموتٍ وَحِيّ[3] .

وعن إسماعيل[4] بن يسار قال :

لو أنزل أخَـوان من حصن ، فسكن أحـدهـا الشـام ، وسكن الآخر العراق ، ثم لقيتَ الشامي لوجدته يذكر الطاعة وأمر الطاعـة والجهـاد ، ولو لقيت الآخر لوجـدتـه يسـأل عن السُّنّة ، يقول : كيف سنةُ كذا وكذا ؟ وكيف الأمر في كذا وكذا ؟

قال أبو هانئ المُكتّب :

سئل عامر عن قتال أهل العراق وأهل الشام ، فقال عامر : لا يزالون يظهَرون علينـا

---

(١) البيت من معلقة الأعشى في ديوانه ٤٣

(٢ ـ ٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل وبجانبه صح . والعبارة في تاريخ ابن عساكر في آخر الخبر .

(٣) شيء وحِيٌّ : عَجِلٌ « القاموس » : « وحى » .

(٤) كذا في الأصل . وهو سليمان بن يسار . حدث عنه يحيى بن سعيد الأنصاري وانظر التاريخ ١ / ٣٠٧ .

ـ أهل الشام ـ لأنهم جهلوا الحق واجتمعوا ، وعلمتم وتفرقتم . فلم يكن الله ليُظهر أهل فُرقةٍ على جماعة أبداً .

وعن سليمان بن موسى قال :

إذا كان علم الرجل حجازياً ، وخلقه عراقياً ، وطاعته شامية فقد كمل .

وعن سليمان بن موسى قال :

إذا وجدتَ الرجلَ علمُه عِلْمٌ حجازي ، وسخاؤه سخاء عراقي ، واستقامته استقامة شامي فهو رجل .

وعن عبد الله بن الربيع قال :

قال أبو جعفر [٣٦ / ب] لإسماعيل بن عبد الله : صف لي الناس ، فقال : أهل الحجاز مبتدأ الإسلام وبقية العرب ، وأهل العراق ركن الإسلام ومُقاتلة عن الدين ، وأهل الشام حصن الأمة وأبنية الأئمة ، وأهل خراسان فرسان الهيجاء وأعنّة الرجاء ، والترك منابت الحصون وأبناء المغازي ، وأهل الهند حكماء ، استغنوا ببلادهم فاكتفوا بها عمّا سواها ، والروم أهل كتاب وتديُّن نحّاهم من القرب إلى البعد ، والأنباط كان مُلْكهم قديماً فهم لكل قوم عبيد. قال : فأيُّ الولاة أفضل ؟ قال : الباذل للعطاء ، والمُعرض عن السيئة . قال : فأيُّهم أخرق ؟ قال : أنهكهم للرعية ، وأتعبهم لها بالخُرق والعقوبة . قال : فالطاعة على الخوف أبلغُ في حاجة المُلْك أم الطاعة على المحبة ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، الطاعة عند الخوف تُسِرّ الغَدْر ، وتُتابع عند المعاينة . والطاعة على المحبة تُضمر الاجتهاد ، وتُتابع عند الغفلة . قال : فأي الناس أولاهم بالطاعة ؟ قال : أولاهم بالمضرَّة والمنفعة ، قال : ما علامة ذلك ؟ قال : سرعة الإجابة وبذل النفس . قال : فمن ينبغي للمَلِك أن يتخذه وزيراً ؟ قال : أسْلَمُهم قلباً ، وأبعدهم من الهوى .

قال أبو الحسن الميموني :

ذكر أبو عبد الله كورة من نحو الشام ، فقال : قَدَرِيّة ، ويتكلمون به في مَساجدهم ، ويتعرَّضون للناس . ولكن أهل دمشق وأهل حمص خاصةً أصحابُ سنّة ، وهم إن رأوا الرجل يُخالف السُّنة أخرجوه من بينهم . كانت حمص مسكن ثور بن يزيد . فلما عرفوه بالقَدَر أخرجوه من بينهم ، فسكن بيت المقدس .

ذكر توثيق أهلَ الشام بالرواية وعلمهم

قال جُبير بن نُفَيْر :

دخلنا على عبد الله بن عمر نسألُه ونسمع منه ، فقال لنا : إن الله بعث محمداً ﷺ بشيراً ونذيراً ، فاتبعتْه [٣٧ / أ] ناصيةٌ[١] من الناس . كان الرجل يخرج من بين أبويه فيُبايعُه ، فقاتَلوا على الدين حتى أمّن الله الناس ، وحتى لزموا كلمة الحق . فلما مات النبي ﷺ تشايع الناس وتحزّبوا ، فقامت تلك الناصية ، فقاتلوا الناس حتى ردّوا الناس إلى كلمة الإسلام ، وحتى قالوا : لا إله إلا الله وإن نبيكم ﷺ حقّ . فلمّا اجتمعوا انطلق تلك الناصية براية محمد ﷺ ومعهم الشرائع التي جاء بها النبي ﷺ والهجرة ، مهاجرين حتى نزلوا الشام وتركوا الناس أعْراباً . فمن رآهم فلم يتعلّم من هديهم وينتهي إليه ، وعَمِيَ عنه ثم ابتغاه من الأعراب فهو أقلُّ علماً وأشدُّ عمًى .

وعن الزُّهْري قال : قالت عائشة :

يا أهل العراق ، أهلُ الشام خير منكم ، خرج إليهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ كثير ، فحدثونا بما نعرف ، وخرج إليكم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ قليل فحدّثتمونا بما نعرف وما لا نعرف .

قال : وقال الزهري :

إذا سمعتَ بالحديث العراقي فاردُد به ، ثم اردُده .

وقال البيهقي :

فأَرْوِدْ به ، ثم أَرْوِدْ[٢] به . وهو الصواب .

قال الوليد بن مُسْلم :

دخلتِ الشّامَ عشرة آلاف عينٍ رأتْ رسولَ الله ﷺ .

---

(١) نواصي النّاس : أشرافهم . القاموس : « نصي » .

(٢) أرودْ : رفَق . القاموس : « رود » .

وعن إبراهيم قال :

لقيني شـامي فقـال : إن مصحفنـا ومصحف أهـل البصرة أثبتُ من مصحف أهـل الكوفة . قال : قلنا : لِمَ ؟ قال : لأن أهل الكوفة عُوجلوا ، ويقرؤون على قراءة عبد الله ، فعُوجل مُصحفهم قبل أن يُعْرَض ومصحفنا ومصحف أهل البصرة لم يُبعث به حتى عُرِض .

وعن أبي عُبيد الله مسلم بن مِشْكَم قال : قال لي أبو الدرداء :

اعدُدْ من يقرأ عندنا ، يعني في مجلسنا هذا ، قـال أبو عبيـد الله : فعـددت ألفـاً وستَّ مئـةٍ ونيفـاً ، فكانوا يقرؤون ويتسابقـون عشرةً عشرة ، لكل عشرةٍ منهم مقرئ . وكان أبـو الـدرداء قـائمـاً يستفتـونـه في حروف القرآن ـ يعني المقرئين ـ فـإذا أحكم الرجـل من العشرة القراءة تحول إلى أبي الدرداء . وكان [٣٧ / ب] أبو الدرداء يبتدئ في كل غداةٍ إذا انفتل من الصلاة ، فيقرأ جزءاً من القرآن ، وأصحـابـه مُحْـدقون بـه يسمعون ألفـاظـه ، فـإذا فرغ من قراءته جلس كلُّ رجل منهم في موضعـه ، وأخـذ على العشرة الـذين أضيفوا إليـه ، وكان ابن عامر مُقدَّماً فيهم .

وعن يزيد بن أبي مالك عن أبيه قال :

كان أبو الدرداء يـأتي المسجـد ثم يصلي الغـداة ثم يقرأ في الحلقـة ويُقرِئ ، حتى إذا أراد القيام قال لأصحابه : هل من وليمةٍ نشهدها أو عقيقة أو فطرة ؟ فإن قالوا : نعم قام إليهـا ، وإن قالوا : لا قال : اللهم إني أُشهدك أني صائم .

وإن أبا الدرداء هو الذي سَنّ هذه الحَلق يقرأ فيها .

وقال الشيخ ، وهو أبو عمرو الكلبي :

عهدت المسجـد الجـامع ـ يعني بـدمشق ـ وإنّ عنـد كل عمود شيخـاً ، وعليـه النـاس يكتبون العلم .

وقال الأوزاعي :

كانت الخلفاء بالشام ، فإذا كانت بَلِيَّةٌ سـألوا عنهـا علمـاء أهل الشـام وأهل المـدينـة ، وكانت أحاديث العراق لا تجاوز جُدُرَ بيوتهم .

وقال سفيان بن عيينة :

مَن أراد المناسك فعليه بأهل مكة ، ومَن أراد مواقيت الصلاة فعليـه بـأهل المـدينـة ،

ومن أراد السِيَر فعليه بأهل الشام ، ومن أراد شيئاً لا يُعرَفُ حقُّه من باطله فعليه بأهل العراق .

وفي حديث آخر عنه قال :

من أراد الإسناد والحديث الذي يُسكَن إليه فعليه بأهل المدينة ، ومن أراد المناسك والعلم بها والمواقيت فعليه بأهل مكة ، ومن أراد المقاسم وأمر الغزو فعليه بأهل الشام ، ومن أراد شيئاً لا يُعْرَف حقُّه من باطله فعليه بأهل العراق .

وقال الشافعي :

إن أردتَ الصلاة - يعني - فعليك بأهل المدينة ، وإن أردت المناسك فعليك بأهل مكة ، وإن أردت الملاحم فعليك بأهل الشام ، والرأي عن أهل الكوفة .

وقال ابن المبارك :

ما دخلت الشام إلا لأستغني عن حديث أهل الكوفة .

وقال موسى بن هارون :

أهل البصرة يكتبون لعشر سنين ، وأهل الكوفة لعشرين ، وأهل الشام لثلاثين .

وقال [٣٨ / أ] أبو عبد الله الزُّبَيْري :

نسختُ كُتُب الحديث في العشرين لأنها مُجْتَمع العقل . قال : وأُحبّ أن يُشتَغل دونها بحفظ القرآن والفرائض .

وقال عطاء الخراساني :

ما رأيت فقيهاً أفقه - إذا وجدته - من شامي .

(١) قال صدقة بن خالد(١) : قال عبد الرحمن بن يزيد بن جابر :

كان يُقال : من أراد العلم فلينزل بداريّا بين عَنْس وخَوْلان .

زاد غيره عن يزيد بن محمد ، قال يزيد :

عَنْسُ وخَوْلان قريتان بدمشق ، فيهما مسجدان . يتجمّع في واحد عَنْس وفي واحد خَوْلان . فإذا كان هذا في أهل داريّا - وهي قرية من قرى دمشق - فما ظَنك بأهل البلد الكبير الذي يحوي الخلق ؟ .

(١ - ١) ما بينهما في هامش الأصل وبجانبه « صح »

باب صفة أهل الشام بالدين والثقة

عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال :

باعت امرأة طَسْتاً في سوق الصُفر بدمشق ، فوجده المشتري ذهباً فقال لها : أما إني لم أشتره إلا على أنه صُفر وهو ذهب ، فهو لكِ . فقالت : ما ورثناه إلا على أنه صُفر ، فإن كان ذهباً فهو لك . قال : فاختصما إلى الوليد بن عبد الملك ، فأحضر رجاء بن حَيْوَة فقال : انظر فيا بينهما . فعرضه رجاء على المرأة فأبت أن تقبله ، وعرضه على الرجل فأبى أن يقبله . فقال : يا أمير المؤمنين ، أَعطها ثمنه واطرحه في بيت مال المسلمين .

وعن يزيد بن جابر قال :

رأيت سواراً من ذهب ، وزنه ثلاثون مثقالاً ، مُعلقاً في قنديل من قناديل مسجد دمشق أكثر من شهر ، لا يأتيه أحد فيأخذه .

وعن جعفر بن محمد ، قال :

كنت مع أبي ، محمد بن علي بمكة في ليالي العشر قبل التروية بيوم أو يومين ، وأبي قائم يُصلي في الحِجْر وأنا جالس وراءه ، فجاءه رجل أبيض الرأس واللحية ، جليل العظام ، بعيد ما بين المنكبين ، عريض الصدر ، عليه ثوبان غليظان ، في هيئة المُحْرِم ، فجلس إلى جنبه ، فعلم أبي أنه يُريد أن يُخفّف الصلاة ، فسلّم ثم أقبل عليه فقال له الرجل : يا أبا جعفر ، أخبرني عن بدء خلق هذا البيت كيف كان ؟ فقال له أبو جعفر [٣٨ / ب] محمد بن علي : ممن أنت ؟ قال : رجلٌ من أهل الشام ، فقال له محمد بن علي : إن أحاديثنا إذا سقطت إلى الشام جاءتنا صحاحاً ، وإذا سقطت إلى العراق جاءتنا وقد زِيْد فيها ونُقص ثم قال له : بَدْءُ خَلْق هذا البيت . وذكر الحديث .

باب النهي عن سبّ أهل الشام

عن علي بن أبي طالب أن رسول الله ﷺ قال :

تكون في آخر الزمان فتنة ، يُحَصَّل فيها الناس كما يحصَّل الذهب في المعدن ، فلا تسبوا أهل الشام ، ولكن سبّوا شرارهم ، فإن فيهم الأبدال . يوشك أن يُرسَل على أهل الشام سَيب من السماء فيفرِّق جماعتهم ، حتى لو قاتلتهم الثعالب غلبتهم ، فعند ذلك يخرج خارجٌ من أهل بيتي في ثلاث رايات ، المُكثر يقول : هم خمسة عشر ألفاً ، والمُقِلّ يقول : هم اثنا عشر ألفاً ، أمارتهم : أمِتْ أمِتْ ، يلقون سبع رايات تحت كل راية منها رجل يطلب المُلْك ، فيقتلهم الله جميعاً ، ويردُّ الله إلى المسلمين ألفتهم ونعمتهم ، وقاصيهم ودانيهم .

وعنه أيضاً قال :

يا أهل العراق لا تسبُّوا أهل الشام ، فإن فيهم الأبدال .

قال رجاء بن حَيْوَة :

اذكرْ لي رجلين من أهل بيسان ، فإنه بلغني أنه اختص بيسان برجلين من الأبدال ، لا يقبض الله رجلاً منهم إلا بعث الله مكانه رجلاً . ولا تذكرْ لي متماوتاً ولا طعاناً على الأئمة ، فإنه لا يكون منهم الأبدال .

وعن صفوان بن عبد الله بن صفوان

أن رجلاً قال يوم صِفِّين : اللهمَّ العنْ أهل الشام . فقال علي : لا تسبوا أهل الشام جماً غفيراً ، فإن فيهم قوماً كارهين لما يَرون ، وإن فيهم يكون الأبدال .

وعن أبي هريرة قال :

لا تسبُّوا أهل الشام ، فإنهم جُنْد الله المُقدَّم .

ما ورد فيمن قُتل من أهل الشام بصِفِّين

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

أربع ملاحم في الجنة : [٣٩ / أ] الجمل في الجنة ، وصفين في الجنة ، وحَرّة في الجنـة ، وكان يكتم الرابعة .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال :

سمع علي يوم الجمل أو يوم صفين رجلاً يغلو في القول ، يقول الكَفَرة . قال : لا تقولوا ، فإنهم زعموا أنا بغَيْنا عليهم ، وزعمنا أنّهم بَغَوا علينا .

وعن سالم بن عُبَيد الأشجعي قال :

رأيت علياً بعد صفين ، وهو آخذ بيدي ونحن نمشي في القتلى ، فجعل علي يستغفر لهم حتى بلغ قتلى أهلِ الشام فقلت له : يا أمير المؤمنين ، إنّا في أصحاب معاوية ، فقال علي : إنما الحسابُ عَلَيّ وعلى معاوية .

وعن عبد الرحمن بن نافع القارئ قال :

قدمتُ العراق فدخلت دار علي بن أبي طالب التي كان يسكن ، فإذا الموالي حلقتان يتحدثون ، فجلست معهم . فخرج علي وهم يذكرون قتلى علي ومعاوية ، فقالوا : قِبْلتنا واحدة ، وإلٰهنا واحد ، ونبيُّنا واحد ، فأين قتلانا وقتلاهم ؟ فأقبل علي ، فلما رآهم قصد إليهم فسكتوا ، فقال علي : ما كنتم تقولون ؟ فسكتوا . فقال علي : عزمتُ عليكم لَتُخْبِرُنّي ، فقالوا : ذكرنا قتلانا وقتلى معاوية ، وأنّ قِبْلَتنا واحدة ، وإلٰهنا واحد ، ودينَنا واحد ، فقال علي : فإني أُخبركم عن ذلك ، إن الحساب عَلَيّ وعلى معاوية .

وعن سَعْد بن إبراهيم قال :

خرج علي بن أبي طالب ذات يوم ومعه عديّ بن حاتم الطائي ، فإذا رجل من طيّء قتيل ، قد قتله أصحاب علي ، فقال عدي : يا ويح هذا ، كان أمسِ مُسلماً واليوم كافراً . فقال علي : مهلاً ، كان أمس مؤمناً وهو اليوم مؤمن .

وعن مكحول :

أن أصحاب علي سألوه عمن قتلوا من أصحاب معاوية . قال : هم المؤمنون .

وعن عُقْبة بن عَلْقَمة اليَشْكُري قال :

شهدتُ مع علي صفين ، فأُتِيَ بخمسة عشر أسيراً من أصحاب معاوية ، فكان من مات منهم غسّله وكفنّه وصلّى عليه .

وعن عبد الرحمن بن جُنْدَب قال :

سئل علي عن قتلاه وقتلى معاوية ، قال : يُؤتى بي وبمعاوية يوم القيامة ، فنجتمع عند ذي العرش ، فأينا فَلَج[1] ، فَلَج أصحابه .

وعن علي رضي الله عنه قال :

[٣٩ / ب] من كان يريد وجه الله منا ومنهم نجا ـ يعني : صفين .

قال عبد الله بن عُروة :

حدثني رجل شهد صفين قال : رأيتُ علياً خرج في بعض تلك الليالي ، فنظر إلى أهل الشام فقال : اللهمّ اغفر لي ولهم . قال : فأُتِيَ عمّار فأُخبر ، فقال : جُروا له الحصير ما جَرّه لكم .

وعن عبد الله بن رياح أن عماراً قال :

لا تقولوا كَفَر أهل الشام ، ولكن قولوا : فَسَقُوا أو ظلموا .

وعن رياح بن الحارث قال : قال رجل من أهل الكوفة :

كفر أهل الشام وربِّ الكعبة ، فقال عمار : لا تقل كفروا ، ولكنهم قوم مفتونون ، بَغَوْا علينا ، فحقٌ علينا قتالهم .

وعنه قال : كنت إلى جَنْب عمّار بن ياسر بِصِفِين ، وركبتي تَمسُّ ركبته ، فقال رجل :

كفر أهل الشام فقال عمار : لا تقلْ ذلك : نبيّنا ونبيّهم واحد ، وقِبْلَتُنا وقِبْلتهم واحدة . ولكنهم قومٌ مفتونون ، جارُوا عن الحق ، فحقٌ علينا أن نقاتلهم حتى يرجعوا إليه .

---

(١) الفَلْج : الظفر والفوز . القاموس : « فلج »

ذكر ماورد في ذم أهل الشام وبطلانه

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال :

الجفاء والبغي في الشام .

قال : هذا حديث لا يمكن الاعتماد عليه لضعف إسناده .

وعن أنس أنه سمع النبي ﷺ يقول :

إذا ركب الناس الخيل ولبسوا القُباطيّ ونزلوا الشام ، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء عَمَّهم اللهُ بعقوبة من عنده ،

ذكر في إسناده عَمرو بن زياد الثَّوْباني[1]، وقال : كان مُنكر الحديث ، يسرق الحديث ويحدِّث بالبواطيل .

عن أبي هريرة قال :

سينعِق الشيطان بالشام نعقةً يُكذِّب ثلثاهم بالقَدَر .

قال ابنُ أَبْزَى :

بلغ عمر أن أناساً تكلموا في القَدَر فقام خطيباً فقال : يا أيها الناس ، إنما هلك مَن كان قبلكم في القَدَر ، والذي نفسي بيده لا أسمع برجلين تكلما فيه إلا ضربتُ أعناقهما . قال : فأمسك الناس عنه ، حتى نبغت[2] نابغة أو نبغة بالشام .

وعن الشيباني قال : قال لي الأوزاعي :

يا أبا زُرْعة هلك [٤٠ / أ] عُبّادنا وخيارنا في هذا الرأي ، يعني القَدَر .

كان المتكلِّم في القَدَر بالشام : غَيْلان القَدَري ، وتبعه على ذلك أتباع ، فأخذه

(١) في الأصل : « عبد الوهاب الثقفي » . وانظر تعليق ابن عساكر في التاريخ ٣٣٥/١

(٢) نبغ فيهم النفاق إذا ظهر بعد ما كانوا يخفونه منه . اللسان : « نبغ » .

هشام بن عبد الملك فصلبه ، وكفى أهلَ الشام أمرَه . وقد كانت القَدَرية بالبصرة أكثر ، وضررهم على أهل السنة أكبر ، فإنهم صنفوا في نفيه التصانيف ، وألف أهل الاعتزال فيه التآليف ، فأفناهم الله وأبادهم .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

إن الله عزَّ وجلَّ خلق أربعة أشياء وأردفها أربعة أشياء : خلق الجَدْب ، وأردفهُ الزهد ، وأسكنه الحجاز ، وخلق العفّة ، وأردفها الغَفْلة ، وأسكنها اليمن ، وخلق الزَّيْف ، وأردفه الطاعون ، وأسكنه الشام ، وخلق الفجور ، وأردفه الدرهم ، وأسكنه العراق .

قال : وهذا حديث فيه مجاهيل لا يُحْتَج به .

وعن سليمان بن يسار قال :

كتب عمر بن الخطاب إلى كعب الأحبار أنِ اخترْ لي المنازل فكتب إليه :

يا أمير المؤمنين ، إنه بلغنا أن الأشياء اجتمعت فقال السخاء : أريد اليمن ، فقال حسن الخُلُق : أنا معك . وقال الجفاء : أريد الحجاز ، فقال الفقر : وأنا معك ، وقال البأس : أريد الشام ، فقال السيف : وأنا معك . وقال العلم : أريد العراق ، فقال العقل : وأنا معك . وقال الغنى : أريد مصر ، فقال الذلّ : وأنا معك . فاختر لنفسك يا أمير المؤمنين .

فلما ورد الكتاب على عمر بن الخطاب قال : فالعراق إذاً ، فالعراق إذاً .

ورواه ابن عائشة أيضاً .

قال ابن عساكر : والمحفوظ عن كعب سوء القول في العراق ، وضعَّف هذه الأحاديث .

وعن أنس بن مالك قال :

لما حشر الله الخلائق إلى بابل بعث إليهم ريحاً شرقيّة وغربيّة وقبْليّة وبحريّة ، فجمعتهم إلى بابل ، فاجتمعوا يومئذٍ ينظرون ، لما حُشِروا له إذ نادى منادٍ : مَن جعل المغرب عن يمينه والمشرق عن يساره ، واقتصد إلى البيت الحرام بوجهه ، فله كلام أهل السماء . فقام يعرب بن قحطان فقيل له : يا يعرب بن قحطان بن هود : أنت هو . فكان أولَ مَن تكلم بالعربية [٤٠ / ب] ولم يزل المنادي ينادي : مَن فعل كذا وكذا فله كذا

وكذا ،حتى افترقوا على اثنين وسبعين لساناً . وانقطع الصوت وتبلبلت الألسن ، فسُمّيت بابل . وكان اللسان يومئذ بابلياً . وهبطت ملائكة الخير والشر ، وملائكة الحياء والإيمان ، وملائكة الصحة والشقاء ، وملائكة الغنى ، وملائكة الشرف ، وملائكة المروءة ، وملائكة الجفاء ، وملائكة الجهل ، وملائكة السيف ، وملائكة البأس ، حتى انتهوا إلى العراق ، فقال بعضهم لبعض : افترقوا . فقال مَلَك الإيمان : أنا أسكن المدينة ومكة ، فقال ملك الحياء : أنا معك ، فأجْمَعت الأمة على أن الإيمان والحياء ببلد رسول الله ﷺ . وقال ملك الشقاء : أنا أسكن البادية ، فقال ملك الصحة : وأنا معك ، فأجْمَعت الأمة على أن الصحة والشقاء في الأعراب . وقال ملَك الجفاء : أنا أسكن المغرب ، فقال ملك الجهل : أنا معك ، فأجمعت الأمة على أن الجفاء والجهل في البربر . وقال ملَك السيف : أنا أسكن الشام ، فقال له ملَك البأس : أنا معك . وقال ملَك الغنى : أنا أقيم هاهنا ، فقال له ملَك المروءة : أنا معك . فقال ملك الشرف : وأنا معكما ، فاجتمع ملكُ الغنى والمروءة والشرف بالعراق .

وعن حكيم بن جابر قال :

أُخبرت أن الإسلام قال : أنا لاحِقٌ بأرض الشام ، قال الموت : وأنا معك . قال المُلْك : وأنا لاحق بأرض العراق قال القتل : وأنا معك . قال الجوع : وأنا لاحق بأرض العرب ، قالت الصحة : وأنا معك .

قال : إنما أراد بذلك كثرةَ ما كان بها من الطاعون ، أو القتل في الجهاد ، وكلاهما شهادة . وذلك مَدْح ليس بذم .

قال الجاحظ :

أشياءُ اتفقتْ ثمانيةَ أزواج ستة عشر صنفاً ، ثم اتفقت أزواجاً فصارت ثمانية أزواج : فقال الدين : أسكنُ الحَرَمَيْن مكة والمدينة ، قالت الأمانة : أنا معك . قال الغنى واليسار : أسكن مصر ، قال الذل : أنا معك . قال السخاء : أسكنُ الشام ، قالت الشجاعة : وأنا معك . قال العقل : أسكن العراق ، قالت المروءة : وأنا معك . قال العلم : أسكن خراسان ، قال الورع : وأنا معك . [٤١ / أ] قالت التجارة : أسكنُ خُوْزستان وأصبهان ، قالت النَّذالة : وأنا معك . قال الجفاء : أسكن المغرب ، قال الجهل : وأنا معك . قال الفقر : أسكن اليمن ، قالت القناعة : وأنا معك .

وهذا مَدْحٌ ليس بذمّ .

وعن عبد الله بن أبي الهُذَيل :

أن عمر رضي الله عنه أُتي برجل قد أفطر في رمضان . فلما رُفع إليه عَثر ، فقال : على وجهك ـ أو بوجهك . [تُفطر][1] وصبيانُنا صيام ؟ فضربه الحدّ . وكان إذا غضب على إنسان سَيَّره إلى الشام ، فسيَّره إلى الشام .

لم يكن عمر رضي الله عنه ينفي إلى الشام لدناءة حال أهله عنده ، وإنما كان ينفي إليها لكثرة ما كان بها من الطاعون رجاءَ أن يكفيَه الطاعون أمر مَن يَغضب عليه ، فينفيه إليها ليكون الطاعون شهادةً له ، ومكفراً عنه ما فَرَط منه .

وعن أبي عَسِيب مولى رسول الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

أتاني جبريل عليه السلام بالحُمّى والطاعون ، فأمسكتُ الحمى بالمدينة ، وأرسلتُ الطاعون إلى الشام . فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ، ورجسٌ على الكافر .

وعن علي بن زيد بن جُدْعان قال :

قال رجل لعمرو بن العاص : صف لي الأمصار . قال : أهل الشام أطوع الناس للمخلوق وأعصاهم للخالق ، وأهل مصر أكيَسُهم صغاراً ، وأحمقهم كباراً ، وأهل الحجاز أسرع الناس إلى الفتنة وأعجزهم فيها ، وأهل العراق أطْلَب الناس للعلم وأبعدهم منه .

قدم عبد الله بن الكواء على معاوية ، فقال له معاوية : أخبرني عن أهل البصرة . قال : يقاتلون معاً ، ويُدبرون شتى . قال : فأخبرني عن أهل الكوفة . قال : أنظَرُ الناس في صغيرة وأوقعه في كبيرة . قال : فأخبرني عن أهل المدينة . قال : أحرَصُ الناس على الفتنة ، وأعجزه فيها . قال : فأخبرني عن أهل مصر قال : لقمةُ آكل . قال : فأخبرني عن أهل الجزيرة . قال : كُناسة بين مدينتين . قال : فأخبرني عن أهل الموصل : قال : قلادةُ وليدةٍ ، فيها من كل خَرَزة . قال : فأخبرني عن أهل الشام . قال : جُند أمير المؤمنين ، ولا أقول فيهم شيئاً . قال : لَتقولَنّ . قال : [٤١ / ب] أُطْوع الناس لمخلوق وأعصاهم لخالق ، ولا يَحسبون للسماء ساكناً .

---

(١) ليست اللفظة في الأصل واستدركت عن التاريخ ٣٤١/١

وفي حديث آخر :

أطوعُ الناس لمخلوق في معصية الخالق ، وأجرؤهم على الموت لا يُدرى ما بعده . دمشقيُّهم يشتمل ولا يدري ، وحمصيهم يسمع ولا يعي .

قال : والمرادُ في هذه الحكايات ما كان عليه أهل الشام من طاعة أئمتهم وأمرائهم ، واقتدائهم في الفتن والحروب بآرائهم ، من غير نَظَرٍ في عواقب الفتن كما فعلوا في سالف الزمن من قتالهم علي بن أبي طالب ، وهو الإمام المرتضى ، وفعلهم يوم الحرّة ، وحصار ابن الزبير . وتلك أمورٌ قد خَلَتْ ، وفتن قد مضت ، عصم الله منها .

وابن الكوّاء لا يُعْتَمد على ما يرويه ، فكيف يُعتمد على ما يقوله عن نفسه ؟ .

قال أبو المُخَيِّس :

كنت جالساً عند الأحنف ، فأتاه كتابٌ من عبد الملك بن مروان يدعوه إلى نفسه ، فقال : يدعوني ابنُ الزرقاء إلى طاعة أهل الشام ؟! ولَوَدِدت أن بيننا وبينهم جبلاً من نار ، من أتانا منهم احترق ، ومن أتاهم منا احترق .

وهذا ، لِما كان يجري بين أهل الشام والعراق من الحروب . وَأما الآن فقد ألّف الله بين القلوب .

وعن الأوزاعي قال :

لا نأخذ من قول أهل العراق خَصلتين ، ولا من قول أهل مكة خصلتين ، ولا من قول أهل المدينة خصلتين ، ولا من قول أهل الشام خصلتين : فأما أهل العراق فتأخير السحور وشرب النبيذ ، وأما أهل مكة فالمتعة والصَّرف[1] ، وأما أهل المدينة فإتيان النساء في أدبارهن والسماع ، وأما أهل الشام فبيع العصير وأخذ الديوان .

قال :

وهذان الأمران قد ذهبا . أما بيع العصير فليس في الشام اليوم عالم يبيحه ، وأما الديوان فقد منعهُموه السلطان .

---

(١) الصَّرْف : بيع الذهب والفضة بذهب أو فضة ، وبيع النقد بالنقد . القاموس الفقهي : ٢١٠

وعن النعمان بن المنذر الغساني قال :

كنت مع مكحول بالصائفة قال : فأتاه فِتيان من أهل العراق قال : فجعلوا يسألونه ، قال : فجعل يخبرهم قال : فقالوا له : [٤٢ / أ] عمّن ومن حدثك ، قال : فنشِط لهم مكحول ، فجعل يُسند لهم ، قال : فلما تهيأ قيامه ضحك ، ثم قال : هكذا ينبغي لكم يا أهل العراق ، لا يصلحكم إلا هذا ، وأما أصحابنا هؤلاء أهل الشام فيأخذون كما تيسّر . قال : ثم قام .

قال الأعمش :

كنا إذا جاءنا الحديث وأنكرناه قلنا : شامي

وقيل لعبد الرحمن بن مهدي :أي الحديث أَصَحُّ ؟ قال : حديث أهل الحجاز ، قيل : ثم من ؟ قال : حديث أهل البصرة ، قيل : ثم من ؟ قال : حديث أهل الكوفة ، قالوا : فالشام ؟ قال : فنفض يده .

في هذه الحكاية نظر ، والعَدَوي ، بعضُ رواتها ، كذّاب ، ويَحتمل إن كان صحيحاً أنه إنما قال ذلك لأن الغالب على أحاديث أهل الشام أحاديثُ الفتن والملاحم .

وأما إذا جاء الحديث مُسنَداً من رواية ثقاتهم ، بعضهم عن بعض فهو صحيح ، تلزم به الحجّة كما يلزم بأحاديث غيرهم .

قال حُميد بن إبراهيم :

سألت عمرو بن عُبَيد عن هذه الآية : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بما أَنْزَلَ اللهُ فَأُولئِكَ هُمُ الفَاسِقُون ﴾[1] قال : قلت : هم أهل الشام ؟ قال نعم .

عَمرو هُوَ العدوي لا يُحتج بما يرويه عن غيره ، فكيف بما يقوله برأيه في كتاب الله مما لا يعضده بالحجة ؟

قال الأوزاعي :

كانوا يستحبّون أن يحدّثوا أهلَ الشام بفضائل أهل البيت ، ليرجعوا عما كانوا عليه .

وقال الثوري :

إذا كنتَ بالشام فحدّثْ بفضائل علي ، وإذا كنت بالعراق فحدث بفضائل عثمان .

---

(١) سورة المائدة ٥ / ٥٠

وهذا ، لما كان في أهل الشام من الانحراف عن أهل بيت الرسول ، وأما الآن فقد أُمن ذلك ، لما وقفوا عليه من فضائلهم .

حدث أبو يحيى السّكري قال :

دخلت مسجد دمشق فرأيت في مسجدها حَلَقاً ، فقلت : هذا بلد قد دخله جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وعليهم ، وملت إلى حلقة في المسجد في صدرها شيخ جالس فجلست إليه ، فسأله رجل ممن بين يديه فقال : يا أبا المهلب ؛ مَن علي بن أبي طالب ؟ [٤٢ / ب] قال : خنّاق كان بالعراق ، اجتمعت إليه جمعيّة فقصد أمير المؤمنين يحاربه فنصرَه الله عليه . قال : فاستعظمت ذلك وقمت ، فرأيت في جانب المسجد شيخاً يصلي إلى سارية ، حَسن السّمت والصلاة والهيئة فقصدت إليه فقلت له : يا شيخ ، أنا رجل من أهل العراق جلستُ إلى تلك الحلقة . وقصصت عليه القصة ، فقال لي : في هذا المسجد عجائب . بلغني أن بعضهم يطعن على أبي محمد حجّاج بن يوسف فعليّ بن أبي طالب مَن هو ؟

وقد روي مثل معنى هذه الحكاية عن أهل حمص . وكلتا الحكايتين ضعيف .

وأما ما تحكيه العامة من تأخير معاوية صلاة الجمعة إلى يوم السبت ورضى أهلِ الشام بذلك فأمرٌ مُختلَق لا أصل له ، ومعاوية ومَن كان في عصره بالشام من الصحابة والتابعين أتقى لله وأشد محافظة على أداء فريضة ، وأفقه في دينه من أن يخفى عنهم أنّ ذلك لا يجوز .

قال :

ولم أجد لذلك أصلاً في شيء من الروايات . وإنما يُحكى بإسناد منقطع أن بعض مغفَّلي أهل الشام امّتحن بذكر ذلك في العراق في زمن الحجاج ، فلعل بعض الناس بلغه ذلك فعزاه إلى أهل الشام .

قال :

كان للحجاج قاضٍ في الكوفة من أهل الشام يقال له أبو حِمْير ، فحضرت الجمعة فمضى يريدها فلقيه رجل من أهل العراق فقال : أبا حِمْير ، أين تذهب ؟ قال : إلى الجمعة . قال : أما بلغك أن الأمير قد أخّر الجمعة اليوم ؟ فانصرف راجعاً إلى بيته . فلما

كان من الغد قال له الحجاج : اين كنت يا أبا حِمْير لَمْ تحضر معنا الجمعة ؟ قـال : لقِيَني بعض أهـل العراق فـأخبرني أن الأمير أخّر الجمعـة فـانصرفت . قـال : فضحـك الحجـاج وقال : أبا حمير أما علمت أن الجمعة لا تؤخَّر ؟

قال :

وهذه الحكاية إن صحّت تدل على بُطلان ما يُدّعى على معاوية من ذلك ، لأنه لو كان تقـدَّم ذلـك من معـاويـة لـما خفِي على أبي حِمْير حتى كان يقـول للحجـاج : فقـد [٤٣ / أ] فعل مثلَ هذا معاوية ، ولا على الحجّاج حتى يقول لأبي حِمْير : هـذا كما قـال معاوية لأهل الشام . والله يعيذنا من إشاعة الكذب في السلف ، ويمنّ علينا بالثبات على الحق .

قال :

وإنما يتم من الأمر ما هذا سبيله على من اشتهر منه تغفيله .

كما روي عن أبي علي محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيري قال : سـألت أبـا عمرو هلالاً يعني : ابن العلاء ـ عن أبي بكر بن بدر قال :

ذكروا أنه خرج يوم خميس قد لبس ثيابه يريد الجمعة ، فمر بميمون بن مِهران فقـال له : أين تريد : فقال : الجمعة ، فقال له ميمون : قـد أخّروهـا إلى غـدٍ ، فرجع إلى أهلـه فقال لهم : قال لي ميمون بن مهران إنهم قد أخّروا الجمعة إلى غد .

فأما ما كان في عصر معاويـة من الصحـابـة والتـابعين فلا يجوز أن يلحق بهم مـالا يليق . وقد كان معاوية يأمر بحضور الجمعـة أهل القرى القـاصيـة ، فكيف يُظَنّ بـه أنـه أخّرها عن حاضرتها ؟!

كما روي عن يونس بن حَلْبَس قال : سمعت معاوية بن أبي سفيـان على هـذا المنبر منبر دمشق ـ يقول :

ياأهل قَرَدا ، ياأهل زاكية ، ياأداني البَثَنِيّة ، الجمعة الجمعة ، وربمـا قـال : يـاأهل قَيْن ، ياأقاصي الغوطة ، الجمعة الجمعة ، لا تَدَعوها .

ذكر ما جاء من أخبار
ملوك الشام قبل الإسلام

عن ابن عباس قال :

كان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس لأنهم أهل كتاب . وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم لأنهم أهل أوثان . فذكر ذلك المسلمون لأبي بكر ، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : أما إنهم سيظهرون . فذكر أبو بكر لهم ذلك فقالوا : اجعل بيننا وبينكم أجلاً ، إن ظَهَروا كان لك كذا وكذا ، وإن ظَهرنا كان لنا كذا وكذا ، فجعل بينهم أجلَ خمس سنين ، فلم يظهروا ، فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال : ألا جعلتَه ـ أراه قال : دون العشرة ـ قال : فظهرت الروم بعد ذلك ، فذلك قوله : ﴿ ألم غُلِبَتِ الرُّومُ في [٤٣ / ب] أدنى الأرضِ ، وهُمْ مِنْ بعدِ غَلَبِهم سيَغْلِبُونَ في بِضْعِ سِنِيْن ﴾ قال : فغُلبت الروم ثم غَلَبت بعد : ﴿ للهِ الأمرُ من قبلُ ومِنْ بَعْدُ ويومئذٍ يفرحُ المؤمِنُون بنَصْرِ اللهِ ﴾[1]

قال سفيان :

وسمعت أنهم ظَهَروا يوم بدر .

وعن عبد الله بن عباس[2]

أنه سمع عمر بن الخطاب يسأل الهرمزان عظيم الأهواز ، وكان نزل على حُكْم عمر

(١) سورة الروم ٣٠ / ١ ـ ٣

(٢) الخبر في المعرفة والتاريخ ١ / ٣٠١

فأسلم فعفا عنه ، فسأله عمر عن جيوش فارس التي بعث كسرى مع شهربراز ، وما الذي كشف فارس عنهم فقال الهرمزان :

كان كسرى بَعَثَ شهربراز وبعث معه جنود فارس ، فملك الشام ومصر وخرّب عامة حصون الروم ، وطال زمانُه بالشام ومصر وتلك الأرض ، فطفق كسرى يستبطئُهُ ويكتب إليه : إنك لو أردتَ أن تفتح مدينة الروم فتحتها ، ولكنك رضيت بمكانك فأردت طول السلطان ، فأكثَر إليه كسرى من الكتب في ذلك وأكثر شهربراز مراجعته واعتذاراً إليه ، فلما طال ذلك على كسرى كتب إلى عظيم من عظماء فارس مع شهربراز يأمره بقتل شهربراز ويلي أمر الجنود ، فكتب إليه ذلك العظيم يذكر أن شهربراز جاهدٌ ناصح وأنه هو أنبل ، وهو أمثل بالحرب منه ، فكتب إليه كسرى يعزم عليه ليقْتُلَنّه ، فكتب أيضاً يراجعه ، ويقول إنه ليس لك عبد مثل شهربراز ، وإنك لو تعلم ما يوازي من مكابدة الروم عَذَرْتَه . فكتب إليه كسرى يعزم عليه ليقتلَنّهُ ولَيَلِيَنّ أمر الجنود ، فكتب إليه يراجعه أيضاً فغضب كسرى ، فكتب إلى شهربراز يعزم عليه ليقتلَنّ ذلك العظيم ، فأرسل شهربراز إلى ذلك العظيم من فارس فأقرأه كتاب كسرى فقال له : راجع فيّ ، فقال له : قد علمتَ أن كسرى لا يُراجَع وقد علمت محبتي إياك ، ولكنه قد جاءني مالا أستطيع تركه ، فقال له ذلك الرجل : أفلا تَدعني أرجع إلى أهلي فآمرهم بأمري ، وأعهد إليهم عهدي ؟ فقال بلى ، وذلك الذي أملك لك [٤٤ /أ] فانطلق إلى أهله ، فأخذ صحائف كسرى الثلاث التي كتب إليه ، فجعلهنّ في كمّه ، ثم جاء حتى دخل على شهربراز ودفع إليه الصحيفة الأولى فاقترأها شهربراز فقال له شهربراز : أنت خير مني ، ثم دفع إليه الصحيفة الثانية فاقترأها ، فنزل عن مجلسه وقال : اجلس عليه ، فأبى أن يفعل ، ودفع إليه الصحيفة الثالثة فاقترأها . فلما فرغ شهربراز من قراءته قال : أقسم بالله لأسوأنّ كسرى . فأجمع شهربراز المكر بكسرى ، وكاتب هرقل وذكر له أن كسرى قد أفسد فارسَ ، وجهّز بعوثها ، وابتليت بملكه ، وسأله أن يلقاه بمكان نَصَف يُحكمان فيه الأمرَ ويتعاهدان ، ثم يكشف عنه شهربراز جنود فارس ويخلي بينه وبين السّير إلى كسرى .

فلما جاء كتاب شهربراز دعا رهطاً من عظماء الروم فقال لهم حين جلسوا : أنا اليوم أحزم الناس ، أو أعجز الناس ، وقد أتاني أمرٌ لا تحسبونه ، وسأعرض عليكم فأشيرُوا

عليّ فيه ، ثم قرأ عليهم كتاب شهربراز ، فاختلفوا عليه في الرأي ، فقال بعضهم : هذا مكر من كسرى ، وقال بعضهم : أراد هذا العبد أن يلقاك كسرى فيشمت بك ثم لا يبالي ما لقي . فقال هرقل : إنّ الرأي ليس حيث ذهبتم ، إنه لعمري ما طابت نفس كسرى بأن يشتم هذا الشتم الذي أجد في كتاب شهربراز ، وما كان شهربراز لِيكتُب بهذا الكتاب وهو ظاهر على عامّة ملكي إلاّ لأمرٍ حدث بينه وبين كسرى ، وإني والله لألقينّه ، فكتب إليه هرقل إنه قد بلغني كتابُك ، وفهمتَ ما ذكرتَ فيه ، وإني لاقيك ، فموعدك مكان كذا وكذا ، فاخرج بأربعة آلاف من أصحابك فإني خارج في مثلهم ، فإذا بلغت مكان كذا وكذا فضع ممن معك خمس مئة ، فإني سأضع بمكان كذا وكذا مثلهم ، ثم ضع بمكان كذا خمس مئة ، فإني سأضع بمكان كذا مثلهم ، حتى نلتقي أنا وأنت في خمس مئة . وبعث هرقل الرسل من عنده [٤٤ / ب] إلى شهربراز فأمرهم أن يقوموا على ذلك ، فإن فعل شهربراز لم يرسلوا إليه ، وإن أبى ذلك عجلوا إليه بكتابٍ ، فرأى رأيه ، ففعل ذلك شهربراز . وسار هرقل في أربعة آلاف التي خرج بها ولم يَضَع منهم أحداً حتى التقى للموعد ، ومع هرقل أربعة آلاف ومع شهربراز خمس مئة ، فلما رآهم شهربراز أرسل إلى هرقل : أغدرت ؟ فأرسل إليه هرقل : لم أغدر ولكن خفتَ الغدر منْ قِبلك ، وأمر هرقل بقبّةِ ديباج فضُربت لهما بين الصَّفّين ، فنزل هرقل فدخلها وأدخل ترجمانه ، وأقبل شهربراز حتى دخل عليه ، فانتحيا ومعهما ترجمان حتى أحكما أمرهما ، واستوثق كل واحد منهما بالعهد والمواثيق ، حتى إذا فرغا من أمرهما خرج هرقل ، فأشار إلى شهربراز أن يقتل الترجمان لكي يخفى أمْرُهما وسِرّهما ، فقتله شهربراز ، ثم انكشف شهربراز فجيّش الجنود ، وسار جيش هرقل إلى كسرى حتى أغاروا على كسرى ومن بقي معه ، فكان ذلك أولَ هَلَكَة كسرى ، ووفى هرقل لشهربراز بما أعطاه من ترك أرض فارس وسبيها ، فانكشف حين ولّى ، وقَتَلت فارس كسرى ، ولحق شهربراز بفارس والجنود التي معه .

حدث محمد بن مهاجر الأنصاري ، وذكر مسير هرقل إلى بيت المقدس فقال :(١)

إن كسرى وفارساً ظهرت على الروم بالشام وما دون خليج القسطنطينية ، وسار

---

(١) الخبر في المعرفة والتاريخ ٣ / ٣٠٤

بجنوده حتى نزل بخليجها وأخذ في كَبْسِه[1] بالحجارة والكلس ليتخذوا طريقاً يبساً ، فبينما هو على ذلك إذ بلغه أن ملك الهند وملك الخزر قد خلّفاه في بلاده من العراق . فانصرف عن القسطنطينية وخلف على ما ظهر عليه من مدائن الشام عاملاً في حكمه من أساورته وخيولهم فنزل ذلك العامل حمص وضبط له ما خلفه عليه ،ومضى كسرى إلى عراقه ، فإذا الحرب قد [٤٥ / أ] نشِبت بين ملِك الهند وبين ملِك الخزر ، فكتبا إليه كلاهما يسألانه النُّصرة على كل واحد منهما على أن يردّ مَن والاه على صاحبه جميعَ ما استباح وسبى من بلاده ويزيده كذا وكذا ، فرأى كسرى وأساورتُه أن يظاهِر ملِك خزر على ملك الهند لجواره ملك خزر ، ومقارعته إياه في كل يوم ، ولجرأة ملك الهند عليه ، وتناوله الفرصة منه إذا أمكنته من بعد . فوالى كسرى ملكَ خزر على ملك الهند وقهراه ، واستنقذا ما كان أصاب من بلاده من سبي أوغير ذلك ، وزاده هدية ثلاثين ألف مملوك ، وانصرف عنه جنوده فملّكَ كسرى على الثلاثين ألف مملوك الذين خلّفهم ملكُ خزر عنده ، رجلاً ، وسيّرهم إلى ما خلف القسطنطينية ، وأسكنهم تلك البلاد وهي يومئذ خراب .

قال محمد بن مهاجر :

فهم اليوم برجّان[2] .

وعن العلاء بن الزبير الكلابي[3] عن أبيه قال :

رأيت غلبة فارس الروم ، ثم رأيت غلَبة الروم فارساً ، ثم رأيت غَلبة المسلمين فارس والروم ، وظهورَهم بالشام والعراق ، وكلّ ذلك في خمس عشرة سنة .

---

(١) كَبست النهر والبئر كَبساً طممتها بالتراب اللسان : « كبس »

(٢) البرجان من ولد يونان من يافث ، وهي مملكة واسعة . انظر في ذلك أخبار الزمان للمسعودي ص ٩٧

(٣) في الأصل : العلاء بن الزبير الغلابي . وهو الكلابي . نسبة إلى بني كلاب بن ربيعة . حدث عن أبيه . حدث عنه أسيد الكلابي . لم يترجم له سوى ابن عساكر في تاريخه ، وأورد الخبر عن كتاب يعقوب بن سفيان : « المعرفة والتاريخ » ١ / ٢٧٩ . أما الاستيعاب ٢ / ٥١٠ ،وأسد الغابة ٢ / ١٩٦ والإصابة ١ / ٥٤٤ ، وهو في الأخير « الكلاعي » فقد أوردت كلها الخبر في ترجمة أبيه الزبير بن عبد الله .

باب تبشير النبي أمته بافتتاح الشام

عن سفيان بن أبي زهير قال : قال رسول الله ﷺ :

يُفتح اليمن فيأتي قوم يبسُّون[1] فيتحملون بأهلهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ، ثم تُفتح العراق فيأتي قوم يبِسُّون فيتحمّلون بأهاليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم ، لو كانوا يعلمون ثم تفتح الشام فيأتي قوم يبِسّون فيتحمّلون بأهاليهم ومن أطاعهم ، والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون .

وعن بُسْر بن سعيد أنه سمع في مجلس الشَنَئيين[2] يذكرون أن سفيان بن أبي زهير أخبرهم

أن فرسه أعيت عليه بالعقيق ، وهم في َبعث رسول الله ﷺ فرجع إليه يستحمله ، فزعم سفيان كما ذكروا أن رسول ﷺ خرج يبتغي له بعيراً . [٤٥ /ب] فلم يجده إلا عند أبي جَهْم بن حُذيفة العَدَويّ فسامه : فقال أبو جهم : لا أبيعكه يا رسول الله ، ولكن خذه فاحمل عليه من شئت ، فزعم أنه أخذه منه ، ثم خرج حتى إذا بلغ بئر الإهاب زعم أن رسول الله ﷺ قال : يوشك البنيان أن يبلغ هذا المكان ، ويوشك الشام أن يُفتح فيأتيه رجال من أهل هذا البلد ، ويعجبهم ريفه ورخاؤه ، فيسيرون والمدينة خير لهم ، لو كانوا يعلمون ، إن إبراهيم عليه السلام دعا لأهل مكة ، وإني أسأل الله أن يبارك لنا في صاعنا ومُدنا ، وأن يبارك لنا في مدينتنا بما بارك لأهل مكة .

وعن أبي ذر قال :

استعيذوا بالله من زمن التباغي وزمن التلاعن . قالوا :وما ذاك ؟ قال : لا تقوم الساعة حتى يكون قتال [قوم][3] دَعْوتَهم دعوى جاهلية ، فيقتل بعضهم بعضاً ، ولا تقوم

---

(١) بسستَ الدابة وأبسستُها إذا سقتها وزجرتها ، وهو من كلام أهل اليمن . اللسان : بس .

(٢) في الأصل (الشنيّين) وفي تاريخ ابن عساكر ٣٧٠/١ « الشنائيّين » والنسبتان صحيحتان . انظر : اللباب ٣٠/٢ و ٣١ ، واللسان ، والقاموس : « شنأ » ، والأعلام (ط . الجديدة) ١٧٧/٣

(٣) اللفظة مستدركة عن تاريخ ابن عساكر ٣٧١/١

الساعة حتى توقف العربية التي تنتسب إلى سبعة آباء ، بالأسواق ، لا يمنع الرجل أن يبتاعها إلا حموشة[1] ساقيها ، وكان يقال : المحرومُ من حرم غنيمة كلب .

قال : وقال رسول الله ﷺ :

أوّل الناس هلاكاً قريش ، وأوّل قريش هلاكاً أهل بيتي .

قال : ويقال :

اشتُكِيَ إليه وباء المدينة فقال : اللهم انقُلْ وباءها إلى مَهْيَعة[2] ، اللهم حببها إلينا ضعف ما حبَّبت إلينا مكة .

قال : ويقال :

استقبل الشام فقال : يُفتح ما هاهنا فيبِسّ الناس إليه بسّاً ، ويُفتح المشرق فيَبِسّ الناس إليه بسّاً ، والمدينة خير لهم ، لو كانوا يعلمون ، وبورك لهم في صاعهم ومُدّهم .

وقال :

من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شهيداً يوم القيامة .

وعن أبي زُغب الإيادي قال :

نزل بي عبد الله بن حوالة صاحب النبي ﷺ وقد بلغنا أنه فرض له في المئتين فأبى إلا مئة . قال : قلت : أحقّ ما بلغنا أنه فرض لك في [٤٦ /أ] مئتين فأبيت إلا مئة ؟ فوالله ما منعه وهو نازل عليّ أن يقول : لا أمّ لك ، أو لا تكفي ابن حوالة مئة في كل عام ؟ ثم أنشأ يحدثنا عن رسول الله ﷺ قال :

إن رسول الله ﷺ بعثنا على أقدامنا حول المدينة لنغنم ، فقدمنا ولم نغنم شيئاً . فلما رأى رسول الله ﷺ الذي بنا من الجهد قال رسول الله ﷺ : اللهم لا تَكِلهم إليّ فأضعف عنهم ، ولا تكلهم إلى الناس فيهونوا عليهم ويستأثروا عليهم ، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها ، ولكن توحّد بأرزاقهم ، ثم قال : لَتُفتَحَنّ لكم الشام ، ثم لتُقسَمَنّ لكم كنوز فارس والروم ، وليكونَنّ لأحدكم من المال كذا وكذا ، وحتى إن أحدكم ليُعطى مئة دينار فيتسخّطها ، ثم وضع يده على رأسي فقال : يا بن حَوالة ، إذا رأيت الخلافة قد نزلت

(١) الحموشة : الدقة . اللسان : « حمش » .

(٢) مَهْيَعَة : هي الجحفة أو قريب منها ، وتقع على طريق المدينة من مكة وهي ميقات أهل مصر والشام .

الأرض المقدسة فقد أتت الزلازل والبلابل والأمور العظـام . والسـاعـة أقرب إلى النـاس من يدي هذه إلى رأسك .

وعن البَراء بن عازب قال :

لما كان حيث أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخنـدق عرضت لنـا في بعض الخنـدق صخرة عظيمة شديدة ، لا تأخذ فيها المعاول ، فاشتكينـا ذلـك إلى النبي ﷺ فجـاء رسول الله ﷺ فلما رآها ألقى ثوبه وأخذ المعول فقال : بسم الله ثم ضرب ضربة فكسر ثلثها وقـال : الله أكبر أعطيتُ مفـاتيح الشـام ، والله إني لأبصر قصورهـا الحمراء السـاعـة ، ثم ضرب الثـانيـة فقطع الثلث الآخر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ، والله إني لأبصر قصر المـدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة وقال : بسم الله فقطع بقيـة الحجر وقـال : الله أكبر أعطيت مفـاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء في مكاني هذا الساعةَ .

وعن أبي أمامة الباهلي قال :

سمعت رسـول الله ﷺ [٤٦ /ب] يقـول : إن الله استقبـل بي الشـام ، وولّى ظهري اليمن فقال لي : يا محمد ، إني جعلت ما وراءك مدداً لك ، وجعلت مـا تجـاهـك عصمـة لـك ورزقاً ، ثم قال : والـذي نفسي بيـده ، لا يزال الله يزيـد الإسلام وأهلـه ، ويَنقُص الشرك وأهلـه حتى يسير الراكب بين النُّطفتين لا يخشى إلا جـوراً ، يعني جـور السلطـان . قيـل : يا رسول الله ، وما النطفتان ؟ فقـال بحر المشرق والمغرب . قـال : فقـال النبي ﷺ والـذي نفسي بيده ، والذي نفسي بيده ليبلغنّ هذا الدين ما بلغ الليل .

وعن عبد الله بن بُسْر قال :

أهديت للنبي ﷺ شاة والطعام يومئـذ قليل ، فقـال لأهلـه : اطبخوا هـذه الشـاة ، وانظروا إلى هذا الدقيق فاخبزوه ، واطبخوا واثرُدوا عليه . قـال : وكانت للنبي ﷺ قصعـة يقال لها : الغرّاء ، يحملها أربعة رجال ، فلما أصبح وسبّح الضحى أتى بتلـك القصعـة والتقوا عليها ، فإذا كثر الناسُ جثا رسول الله ﷺ فقال له أعرابي : مـا هـذه الجلسـة ! فقـال النبي ﷺ : إن الله جعلني عبداً كريماً ولم يجعلني جباراً عنيـداً ، ثم قـال : كلوا من جوانبهـا ودعوا ذروتها يبارك الله فيها . ثم قال : خذوا فكلوا ، فوالذي نفس محمد بيـده لتُفتَحنّ عليكم أرض فارس والروم حتى يكثر الطعام ، ولا يذكر اسم الله تعالى عليه .

وعن سليمان قال :

كنت جالساً مع رسول الله ﷺ في عصابة من أصحابه فجاءت عصابة فقالوا : يا رسول الله ، إنا كنا قريب عهد بالجاهلية ، كنا نصيب من الزنى فائذن لنا في الخِصاء ، فكره رسول الله ﷺ مَسْألتهم ، حتى عُرف ذلك في وجهه ، ثم جاءت عصابة أخرى فقالوا : يارسول الله ، إنا كنا قريب عهد بالجاهلية كنا نصيب من الآثام ، فائذن لنا في الجلوس في البيوت نصوم ونقوم حتى يدركنا الموت ، فسُرّ رسول الله [٤٧ / أ] ﷺ بمسألتهم حتى عرف البشر في وجهه وقال : إنكم ستُجندون أجناداً ، وستكون لكم ذمة وخراج وأرض يفتحها الله لكم ، منها ما يكون على شفير البحر ، ومدائن وقصور ، فمن أدرك ذلك منكم ، فاستطاع منكم أن يحبس نفسه في مدينة من تلك المدائن أو قصر من تلك القصور حتى يدركه الموت فليفعل .

وعن عوف بن مالك أن النبي ﷺ قال لأصحابه :

الفقر تخافون أو العَوَز أو تهمّكم الدنيا ؟ إن الله عزّ وجلّ فاتحٌ لكم أرض فارس والروم ، ويصب عليكم الدنيا صباً حتى لا يُزيغكم إلا هي .

وعن عمر بن الخطاب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إنها ستفتح عليكم الشام وتجدون فيها بيوتاً يقال لها الحمامات ، وهي حرام على رجال أمتي إلا بأُزُر ، وعلى نساء أمتي إلا نفساء أو سقيمة .

وعن معاذ بن جبل سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ستهاجرون إلى الشام فتُفتح لكم ، ويكون فيكم داء كالدُّمّل أو كالحَرّة يأخذ بمَرَاقّ[1] الرجل يستشهد الله به أنفسهم ، ويزكي به أعمالهم .

وعن أبي أيوب أن رسول الله ﷺ قال :

سيُفتح عليكم الشام ، وستُضرب عليكم بعوث يكره الرجل فيها البعث ، ثم يتخلف عن قومه ثم يتبع القبائل فيقول : من أكفيه من أكفيه ؟ ألا وذاك الأجير إلى آخر قطرة من دمه .

---

(١) المراقّ : مارقّ من أسفل البطن . اللسان ، والنهاية : « مرق ، رقّ » .

وعن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ :

تنزلون مَنزلاً يقال له الجابية أو الجُوَيْبية يصيبكم فيه داء مثل غدّة الجمل يستشهد الله به أنفسكم وذراريكم ويزكي به أموالكم .

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ كان يقول :

اتقوا الله يا عباد الله ، فإنكم إن اتقيتم الله أشبعكم من خير الشام وزيت الشام .

وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما في قوله عزّ وجلّ :

﴿ وَعَدَكُم اللهُ مغَانِمَ كَثِيرَةً [٤٧ / ب] تَأخُذُونَها ﴾ إلى قوله : ﴿ على كُلِّ شَيْءٍ قَديراً ﴾[١] المغانم : فتوح من لَدُن خيبر . ﴿ تأخذونها ﴾ تلونها وتغنمون ما فيها . عجّل لكم من ذلك خيبر ﴿ وكفَّ أَيْديَ النَّاسِ ﴾ : قريش ، ﴿ عَنْكُم ﴾ بالصلح يوم الحديبية ، ﴿ ولِتَكُونَ آيَةً لِلمُؤمِنِين ﴾ شاهداً على ما بعدها ، ودليلاً على إنجازها ، ﴿ وَأُخرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها ﴾ : على علم وقتها ، أفيئُها عليكم ، فارس والروم ، ﴿ قَدْ أَحاطَ اللهُ بها ﴾ قضى الله بها أنها لكم ، منها الأيام والقوادس[٢]والواقوصة[٣] والمدائن والحمر[٤] بالشام ومصر والضواحي . فاجتمعت هذا الصفات فيمن قاتل فارس والروم وسائر أعاجم ذلك الزمان .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى في قوله :

﴿ وأَثَابَهُم فَتْحاً قَرِيْبا ﴾[٥] قال : خيبر ، قال : ﴿ وأُخْرَى لَمْ تَقدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحاطَ اللهُ بها ﴾ قال : فارس والروم[٦] .

وعن الواقدي : قال :

ويقال : مكة[٧] .

---

(١) سورة الفتح ٤٨ / ٢٠ ، ٢١

(٢) ج القادسية التي عند الكوفة ، جاءت في شعرهم كذلك ، كأنها جمعت بما حولها . معجم البلدان

(٣) هو واد بالشام في أرض حوران ، نزله المسلمون أيام أبي بكر الصديق على اليرموك لغزو الروم . معجم البلدان

(٤) الحمر ج : الحمراء . وهي سبعة مواضع منها الحمراء : حصن من أعمال بيت المقدس ، وحمراء ثلاث من قرى مصر . انظر المشترك وضعاً ، والقاموس ، ومعجم البلدان : « حمراء » .

(٥) سورة الفتح ٤٨ / ١٨

(٦) انظر طبقات ابن سعد ٢ / ١١٥

(٧) انظر مغازي الواقدي ٢ / ٦٢٢

وعن ابن عباس في هذه الآية :

﴿ وأُخْرى لم تقدروا عليها ﴾ قال : ما فتح الله من هذه الفتوح .

وعن مجاهد في قوله :

﴿ أُولي بأسٍ شَدِيْد ﴾[1] قال : هم فارس والروم .

(١) سورة الفتح ٤٨ / ١٦

باب سرايا رسول الله ﷺ وبعوثه

وهي غزوة دومة الجندل وذات أطلاح وغزوة مؤتة وذات السلاسل[1]

ذكر الواقدي

أن غزوة دومة الجندل أول غزوات الشام ، وهي من المدينة على ثلاث عشرة مرحلة ، ومن الكوفة على عشر مراحل في بريّة مَرْتٍ[2] ، ومن دمشق على عشر مراحل ، وهي أرض نخل وزرع ، يسقون على النواضح ، وحولها عيون قليلة ، وزرعهم الشعير وهي مدينة عليها سور ، ولها حصن عادي مشهور في العرب يدعى مارد .

والثانية مؤتة ، والغزوة الثالثة تبوك ، والغزوة الرابعة غزوة أسامة بن زيد يُبنى[3] من أرض فلسطين في سنة عشر ، والغزوة الخامسة غزوة أسامة [٤٨ / أ] بن زيد آبل الزيت في سنة إحدى عشرة ، وهي التي أمّره عليها ﷺ وهو مريض ، فغزاها بعد وفاته ﷺ .

قال : ولم يفرق أحد بين غزوة يُبنى وبين غزوة آبل الزيت غير الواقدي . وعندي أنها غزوة واحدة أغار فيها على الموضعين جميعاً . والله أعلم .

عن ابن عمر[4] قال :

دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف قال : تجهز فإني باعثك في سريّة من يومك هذا أو من غدٍ إن شاء الله . قال ابن عمر : فسمعت ذلك فقلت : لأدخلَنّ فلأُصَلّيَنّ مع النبي ﷺ الغداةَ فلأسمعَنّ وصيته لعبد الرحمن بن عوف . قال : فغدوت فصليت فإذا أبو بكر

---

(١) انظر في سرد الغزوات : مغازي الواقدي : ٢ / ٥٦٠ - ٥٦٢ و ٧٥٢ و ٧٥٥ ، ٧٦٩ .

(٢) المرت القفر لا نبات فيه : التاج والقاموس : « مرت » .

(٣) انظر ص ١٧١ من هذا الجزء .

(٤) استدركت اللفظة في هامش الأصل .

وعمر وناس من المهاجرين ، فيهم عبد الرحمن ، وإذا رسول الله ﷺ قد كان أمره أن يسير من الليل إلى دومة الجندل ، فيدعوهم إلى الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ لعبد الرحمن : ما خلّفك عن أصحابك ؟ قال ابن عمر : وقد مضى أصحابه في السفر ، فهم معسكرون بالجُرْف ، وكانوا سبع مئة رجل فقال : أحببت يا رسول الله أن يكون آخر عهدي بك وعليّ ثياب سفري . قال : وعلى عبد الرحمن بن عوف عِمامة قد لفّها على رأسه . قال ابن عمر : فدعاه النبي ﷺ فأقعده بين يديه فنفض عمامته بيده ثم عمّمه بعمامة سوداء ، فأرخى بين كتفيه منها ثم قال : هكذا فاعتمّ يا بن عوف ، قال : وعلى ابن عوف السيف متوشّحه ، ثم قال رسول الله ﷺ : اغز بسم الله وفي سبيل الله فقاتل من كفر بالله ، لا تغلّ ولا تغدِر ولا تقتل وليداً . قال ابن عمر : ثم بسط يده فقال : أيّها الناس ، اتقوا خمساً قبل أن يُحَلّ بكم ، ما نقص مكيال قوم إلا أخذهم الله بالسنين ، ونقص من الثمرات لعلهم يرجعون ، وما نكث قوم عهدهم إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما منع قوم الزكاة إلا أمسك الله عنهم ، قطْر السماء . ولولا البهائم لم يُسقَوا ، وما ظهرت الفاحشة في قوم إلا سَلّط عليهم [٤٨ / ب] الطاعون ، وما حكم قوم بغير آي القرآن إلا ألبسهم الله شيعاً ، وأذاق بعضهم بأس بعض .

قال : فخرج عبد الرحمن حتى لحق أصحابه ، فسار حتى قدم دومة الجندل ، فلما حلّ بها دعاهم إلى الإسلام ، فمكث بها ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، وقد كانوا أبوا أوّل ما قدِم يعطونه إلا السيف ، فلما كان اليوم الثالث أسلم الأُصبغ بن عمرو الكلبي وكان نصرانياً وكان رأسهم ، فكتب عبد الرحمن إلى النبي ﷺ يخبره بذلك ، وبعث رجلاً من جهينة يقال له : رافع بن مَكِيث ، وكتب يخبر النبي ﷺ أنه قد أراد أن يتزوج فيهم فكتب إليه النبي ﷺ أن تزوج ابنة الأصبغ تماضر ، فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها ثم أقبل بها . وهي أم أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف .

وأما سريّة ذات أطلاح فرُوي عن الزهري قال : بعث رسول الله ﷺ كعب بن عُمير الغفاري في خمسة عشر رجلاً حتى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام ، فوجدوا جمعاً من جمعهم كبيراً ، فدعوهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ، ورشقوهم بالنَّبل . فلما رأى ذلك أصحاب النبي ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قُتِلوا فأفلت منهم رجل [كان][1] جريحاً في

---

(١) اللفظة مستدركة عن تاريخ ابن عساكر ١ / ٢٨٧ .

القتلى ، فلما بَرَد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فشقّ ذلك على رسول الله ﷺ وهمّ بالبعثة إليهم فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم .

وأما غزوة مؤتة فكان سببها فيما رَوى عُمر بن الحكم قال : بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عُمير الأزدي ، ثم أحد بني لِهْب إلى ملك بُصرى بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عَمرو الغساني فقال : أين تريد ؟ قال : الشام [٤٩ / أ] قال : لعلك من رُسُل محمد ، قال : نعم ، أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ ، فأُوثق رباطاً ثم قدّمه فضرب عنقه صبراً ، ولم يُقتل لرسول الله ﷺ رسولٌ غيره ، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر ، فاشتد عليه ، وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث ومَن قتله ، فأسرع الناس وخرجوا فعسكروا بالجُرْف ، ولم يبيِّن رسول الله ﷺ الأمراء ، فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر جلس ، وجلس أصحابه حوله ، وجاء النعمان بن مِهَضّ اليهودي فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : زيد بن حارثة أمير الناس فإن قُتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ، فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم ، فقال النعمان بن مهضّ : أبا القاسم ، إن كنت نبياً فسمَّيتَ من سمَّيت قليلاً أو كثيراً أُصيبوا جميعاً ، إن الأنبياء في بني إسرائيل إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا : إن أصيب فلان ، فلو سمى مئة أصيبوا جميعاً ، ثم جعل اليهودي يقول لزيد بن حارثة ، اعهدْ ، فلا ترجع إلى محمد أبداً إن كان نبياً ، فقال زيد : فأشهد أنه نبيّ صادق بارّ . فلما أجمعوا المسير وقد عقد رسول الله ﷺ لهم اللواء ودفعه إلى زيد بن حارثة ـ لواءً أبيض ـ مشى الناس إلى أمراء رسول الله ﷺ يودّعونهم ويَدْعون لهم ، وجعل المسلمون يودِّع بعضهم بعضاً ، والمسلمون ثلاثة آلاف ، فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون ؛ دفع الله عنكم وردّكم صالحين غانمين .

قال(١) البيهقي :

فلما ودَّعوا عبد الله(١) بن رواحة بكى ، فقالوا : ما يُبكيك يا بن رواحة ؟ قال : أما والله ما بي حب الدنيا ولا صبابة إليها ، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ : ﴿ وإن مِنكُم

(١ ـ ١) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل وبجانبه « صح » .

إلا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ [٤٩ / ب] حَتْماً مَقْضِيّاً ﴾[1] فلست أدري كيف لي بالصَّدَر بعد الورود .

ثم خرج القوم حتى نزلوا مَعان ، فبلغهم أن هرقل قد نزل بمآب[2] في مئة ألف من الروم ومئة ألف من المستعربة ، فأقاموا بمعان يومين . وقالوا : نبعث إلى رسول الله ﷺ فنخبره بكثرة عدونا . فإما أن يمدّنا ، وإما أن يأمرنا أمراً ، فشجع الناسَ عبدُ الله بن رواحة ، قال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون لَلّتي خرجتم لها ، إياها تطلبون : الشهادة ، وما نقاتل الناس بعَددٍ ولا كثرة ، وإنما نقاتلهم بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فإنْ يُظهرنا الله به فربما فعل ، وإن تكن الأخرى فهي الشهادة ، وليست بشرّ المنزلتين ، فقال الناس : والله لقد صدق ابن رواحة ، فانشمر الناس وهم ثلاثة آلاف حتى لَقُوا جموع الروم بقرية من قرى البلقاء يقال لها : شَرَاف ثم انحاز المسلمون إلى مؤتة ، قرية فوق أحساء .

وقيل : كانوا ستة آلاف من المهاجرين والأنصار وغيرهم .

قال عطّاف بن خالد المخزومي :

وخرج رسول الله ﷺ مشيّعاً لهم حتى بلغ ثنيّة الوداع فوقف ووقفوا حوله ، فقال : اغزوا باسم الله ، فقاتلوا عدوّ الله وعدوكم بالشام ، وستجدون بها رجالاً في الصوامع معتزلين الناس فلا تعرِضوا لهم ، وستجدون آخرين ، للشياطين في رؤوسهم مفاحيص[3] ، فافلِقوا هامهم بالسيوف ، ولا تقتُلُنّ امرأة ولا صغيراً ضَرَعاً[4] ، ولا كبيراً فانياً ، ولا تعزِقُنّ نخلاً ، ولا تقطعُن شجراً ولا تهدِموا بناء .

وعن أبي هريرة قال :

شهدتُ مؤتة . فلما رأينا المشركين رابنا مالا قِبَل لنا به من العدد والسلاح والكُراع[5] والديباج والحرير والذهب ، فبرِق بصري ، فقال لي ثابت بن أقرم : يا أبا هريرة ، ما لك ، كأنك ترى جموعاً كثيرة ! قلت : نعم ، قال : لم تشهدنا ببدرٍ أنّا لم ننصر بالكثرة ؟ .

---

(١) سورة مريم ١٩ / ٧١

(٢) ماب : مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء : معجم البلدان .

(٣) مفاحص : ج مفحَص القطاة : حيث تفرخ فيه من الأرض . اللسان والنهاية « فحص » .

(٤) الضرع والضارع : الصغير من كل شيء ، وقيل الضعيف الضاوي . اللسان : « ضرع » .

(٥) الكراع : قيل هو اسم يجمع الخيل والسلاح . اللسان : كرع .

وعن عبد الله بن أبي بكر قال :

لما التقى الناس بمؤتة [٥٠ / أ] جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وكُشف له ما بينه وبين الشام ، فهو ينظر إلى مُعْتركهم ، فقال رسول الله ﷺ : أخذ الراية زيد بن حارثة فجاءهُ الشيطان فحبّبَ إليه الحياة وكرّه إليه الموت ، وحبّب إليه الدنيا فقال : الآن ؟ أحين استحكم الإيمان في قلوب المؤمنين ، تحبب إليّ الدنيا ؟! فمضى قُدُماً حتى استُشهد ، فصلى عليه رسول الله ﷺ وقال : استغفروا له ، وقد دخل الجنة وهو يسعى ، ثم أخذ الراية جعفر بن أبي طالب فجاءه الشيطان فمنّاه الحياة ، وكرّه إليه الموت ، ومنّاه الدنيا فقال : الآن ؟ حين استحكَم الإيمان في قلوب المؤمنين تُمنّيني الدنيا ! ثم مضى قُدُماً حتى استُشهد فصلى عليه رسول الله ﷺ ، ودعا له . ثم قال رسول الله ﷺ : استغفروا لأخيكم فإنه شهيد دخل الجنة ، فهو يطير في الجنة بجناحين من ياقوت حيث شاء من الجنة . ثم أخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فاستُشهد ثم دخل الجنة مُعترضاً ، فشقّ ذلك على الأنصار ، قيل : يا رسول الله ، ما اعتراضه ؟ قال : لمّا أصابته الجراح نكل ، فعاتب نفسه فشجع فاستُشهد فدخل الجنة ، فسُرّي عن قومه .

وروي أنه لما قتِل عبدُ الله بن رواحة انهزم القوم أسوأ هزيمة رأيتها قط ، في كل وجهٍ ، ثم إن المسلمين تراجعوا فأقبل رجل من الأنصار ، يقال له ثابت بن أقرم فأخذ اللواء وجعل يصيح بالأنصار ، فجعل الناس يثوبون إليه من كل وجه ، وهم قليل ، وهو يقول : إليّ أيها الناس ، فاجتمعوا إليه ، قال : فنظر ثابت إلى خالد بن الوليد فقال : خذ اللواء يا أبا سليمان فقال : لا آخذه ، أنت أحقّ به ، أنت رجل لك سنّ وقد شهدتَ بدراً ، قال ثابت : خذه أيها الرجل ، فوالله ما أخذته إلا لك فأخذه خالد ، فحمله ساعة وجعل المشركون يحملون عليه فتثبت حتى تكركر[1] المشركون ، وحمل بأصحابه ، ففضّ جمعاً من جمعهم ، ثم دهمه منهم بشر كثير [٥٠ / ب] وانحاش[2] بالمسلمين فانكشفوا راجعين .

قال عطاف بن خالد :

لما قتل ابن رواحة مساء بات خالد بن الوليد ، فلما أصبح غَدَوْا ، وقد جعل مقدّمته

---

(١) تكركر : تجمع . اللسان .

(٢) انحاش عنه : نفر . اللسان : حاش .

ساقةً ، وساقته مقدّمة ، وميمنته ميسرة ، وميسرته ميمنة ، فأنكروا ما كانوا يعرفون من راياتهم وهيئتهم ، وقالوا : قد جاءهم مدد ، فرُعِبوا ، فانكشفوا منهزمين ، فقُتّلوا مقتلةً لم يُقتلها قوم .

وروي أن زيد بن حارثة سار بهم على حبال[1] بين الشَّراة والبلقاء على ريفها وعمارتها فمرّ بقرية من قرى حبال يقال لها اكبث ، فشد أهلها على ساقة المسلمين ، فأصابوهم بجراحة ، وقتلوا رجلاً من المسلمين فبلغ ذلك جماعة الجيش ، فاستأذنوا زيد بن حارثة في الرجعة إليهم والانتقام منهم ، فقال زيد : لا أرى ذلك ، لأن عدوّكم أمامكم قد جمعوا لكم ، ودنَوا منكم ، فأكرَه أن يَفُلّوا حدّكم ونشاطكم بقتال غيرهم ، ثم لا آمن أن يجمعوا لكم فيكونوا من ورائكم ، فتكونوا بين عسكرين ، فمضى زيد ومن معه حتى لَقُوا عدوّهم بين قريات ثلاث : بين مؤتة ، والعَمْقة ، وزقوقين فصَافّوهم هنالك .

وروي أن خالداً لما أخذ الراية قاتلهم قتالا شديداً ثم انحاز الفريقان كلٌّ عن كلٍ قافلاً عن غير هزيمة ، فقفل المسلمون على طريقهم التي أبدوا منها حتى مرّوا بتلك القرية والحصن الذين كانوا شدّوا على ساقتهم ، وقتلوا رجلاً منهم ، فحاصروهم في حصنهم حتى فتحه الله عليهم عَنوة ، فقتل خالد بن الوليد مقاتلتهم في نقيع إلى جانب حصنهم صبراً . فبها سُمّي ذلك النقيع نقيع الدم إلى اليوم ، وهدّموا حصنهم هدماً لم يُعْمر بعده إلى اليوم .

وفي حديث أبي قتادة :

ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ، ولم يكن من الأمراء . قال : فرفع رسول الله ﷺ أصبعيه فقال : اللهم هو سيف من سيوفك ، فانتصر به . قال : فيومئذ سمي خالد : سيف الله . [٥١ / أ] ثم قال رسول الله ﷺ : انفروا فأمِدّوا إخوانكم ولا يتخلفَنّ أحد . قال : فنفر الناس في حرّ شديد مشاة وركباناً .

قال عوف بن مالك الأشجعي :

خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة فوافقني مدديّ[2] من أهل اليمن ليس معه غير سيفه فنحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المددي طائفةً من جلده فأعطاه إياه ،

(١) حبال بالكسر : من قرى وادي موسى من جبال السراة قرب الكرك بالشام « معجم البلدان » .

(٢) المددي : منسوب إلى المدد ، وهي العساكر التي تلحق بالمغازي في سبيل الله . اللسان .

فاتخذ كهيئة الدَرَقَة ، ومضَيْنا ، فلقينا جموع الروم . قال : وفيهم رجل على فرس له ، أشقر ، عليه سرج مذهب وسلاح مذهب ، فجعل الرومي يُغري بالمسلمين وقعد له المدديّ خلف صخرة فمر به الرومي فعَرْقب[1] فرسه فخرّ ، وعلاه فقتله فحاز فرسه وسلاحه . فلما فتح الله عز وجل على المسلمين بعث خالد بن الوليد فأخذ من السلب . قال عوف : فأتيته فقلت : يا خالد ، أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسَّلب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكني استكثرته ، قال عوف : فقلت : لتردنّه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ ، فأبى أن يردّه عليه ، قال عوف : فاجتمعنا فقصصت عليه قصة المددي وما فعل خالد ، فقال رسول الله ﷺ : يا خالد ، ما حملك على ما صنعت ؟ قال : يا رسول الله ، استكثرته ، فقال رسول الله ﷺ : ردّ عليه ما أخذت منه ، فقلت : دونك يا خالد . ألم أقل لك ! فقال رسول الله ﷺ : ما ذاك ؟ فأخبرته ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : يا خالد، لا تردّ عليه ، هل أنتم تاركو لي أمرائي ، لكم صفوة أمركم وعليهم كدرُه .

وأما غزوة ذات السلاسل فهي بعد غزوة مؤتة ، وقال ابن إسحاق : إنها قبل غزوة مؤتة :

روي أنه بلغ رسولَ الله ﷺ أن جمعاً من بَلِيّ وقضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله صلى [٥١ / ب] الله عليه وسلم عمرو بن العاص فعقد له لواءً أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبعثه في سَراة المهاجرين والأنصار ـ في ثلاث مئة ـ عامر بن ربيعة وصُهيب بن سنان وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل وسعد بن أبي وقاص ، ومن الأنصار : أُسيد بن حُضَيْر ، وعَبّاد بن بشر ، وسَلَمة بن سلامة ، وسعد بن عبادة ، وأمره أن يستعين بمن مرّ به من العرب ، وهي بلاد بليّ وعُذرة وبَلْقَين . وذلك أن عمرو بن العاص كان ذا رحم بهم : كانت أم العاص بن وائل بَلَويّة ، فأراد رسول الله ﷺ يتألفهم بعمرو ، فسار ، وكان يكْمُن النهار ، ويسير الليل ، وكانت معه ثلاثون فرساً . فلما دنا من القوم بلغه أنّ لهم جمعاً كثيراً ، فنزل قريباً منهم عِشاء ، وهم شاتون ، فجمع أصحابه الحطب يريدون أن يصطلوا ، وهي أرض باردة ، فمنعهم فشقّ ذلك عليهم حتى كلّمه في ذلك بعضُ المهاجرين فغالظه ، فقال عمرو : قد أُمرتَ أن تسمع لي

---

(١) عرقب الدابة : قطع عرقوبها . اللسان .

وتطيع ، قال : نعم ، قال : فافعل ، وبعث رافع بن مَكيث الجهني إلى رسول الله ﷺ يخبره أن لهم جمعاً كبيراً ، ويستمده بالرجال ، فبعث أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواءً وبعث معه سَراة المهاجرين : أبو بكر وعمر ، والأنصار وأمره رسول الله ﷺ أن يلحق عمْرو بن العاص فخرج أبو عبيدة في مئتين وأمره أن يكونا جميعاً ولا يختلفا ، فساروا حتى لحقوا بعمرو بن العاص ، فأراد أبو عبيدة أن يؤم الناس ويتقدم عمراً ، فقال له عمرو : إنما قدمت مدداً لي ، وليس أن تؤمني وأنا الأمير ، وإنما أرسلك النبي ﷺ إليّ مدداً ، فقال المهاجرون : كلا بل أنت أمير أصحابك ، وهو أمير أصحابه ، فقال عمرو : لا بل أنتم مددٌ لنا ، فلما رأى أبو عبيدة الاختلاف وكان حَسَن الخلق ليّن الشيمة قال : انظرَن يا عمرو ، تعلمَن أن آخر ما عهد [٥٢ / أ] إليّ رسول الله ﷺ أن قال : إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا ، وإنك والله إن عصيتني لأطيعَنّك ، فأطاع أبو عبيدة ، فكان عمرو يصلي بالناس ، فآب إلى عمرو جمع فصاروا خمس مئة ، فسار الليل والنهار حتى وطئوا بلاد بليّ ودوّخها[1] ، وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه قد كان بهذا الموضع جمع ، فلما سمعوا به تفرقوا حتى انتهى إلى أقصى بلاد بَليّ وعذرة وبَلْقَين ، في آخر ذلك جمعاً ليس بالكثير ، فتقاتلوا ساعة وترامَوا بالنبل ، ورُمي يومئذ عامرُ بن ربيعة بسهم فأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهربوا وأعجزوا هرباً في البلاد وتفرّقوا ، ودوّخ عَمرو ما هناك ، وأقام أياماً لا يسمع لهم بجمع ولا بمكانٍ صاروا فيه ، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشّاء والنَّعَم ، وكانوا ينحرون ويذبحون ، فلم يكن في ذلك أكثر من ذلك . لم يكن غنائم تُقْسَم إلا ما لا ذِكْر له .

وفي بعض روايات هذا الخبر :

حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام يقال لها السلاسل ، فبذلك سُمِيّت هذه الغزوة : ذاتَ السلاسل .

وفي هذه الرواية أن رسول الله ﷺ قال :

إني لأُؤَمِّر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه ، لأنه أيقظ عيناً ، وأبصر بالحرب .

وفي رواية :

أن أبا عبيدة لما أطاع عمرو بن العاص وَجَدَ عُمر من ذلك وقال : أتطيع ابن

---

(١) دوّخ المكان : جال فيه .

النابغة[1] وتؤمّره على نفسك وعلى أبي بكرٍ وعلينا ؟! ما هذا الرأي . فقال أبو عبيدة لعمر : يـابن أمّ ، إن رسول الله ﷺ عهد إليّ وإليه ألاّ نتعـاصيـا ، فخشيت إن لم أطعـه أن أعصي رسول الله ﷺ ، فيدخل بيني وبين الناس ، وإني والله لأطيعنّـه حتى أقفل . فلما قفلوا كلّم عمر بن الخطـاب رسول الله ﷺ وشكا إليـه ذلـك ، فقـال رسـول الله ﷺ : لن أوَمّر عليكم بعدها إلا منكم [٥٢ / ب] يريد المهاجرين . فكانت تلـك غزوة ذات السلاسل ، أُسر فيهـا ناس كثير من العرب وسُبوا .

قال عمرو بن العاص :

بعثني رسول الله ﷺ على جيش ذات السلاسل ، وفي القوم أبـو بكر وعمر ، فحـدثت نفسي أنـه لم يبعثني على أبي بكر وعمر إلا لمنزلـة لي عنـده ، قـال : فـأتيتـه حتى قعـدت بين يديه ، وقلت : يا رسول الله ، من أحب الناس إليـك ؟ قـال : عـائشـة ، قلت : إني لست أسألك عن أهلك . قال : فأبوها . قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر . قلت : ثم من ؟ حتى عدد رهطاً . قال : قلت في نفسي : لا أعود أسأل عن هذا .

ولما بعث عمرو بن العاص في ذات السلاسل سأله أصحابه أن يأذن لهم أن يوقدوا نـاراً ليلاً فمنعهم ، فكلموا أبا بكر فكلمه في ذلك فأبـاه . فقـال : قـد أرسلوك إليّ ! لا يوقـد أحـد منهم ناراً إلا ألقيته فيها .

قـال : فلقوا العـدو فهزموهم ، فـأرادوا أن يتبعوهم فمنعهم . فلمـا انصرف ذلـك الجيش ذكر ذلك للنبي ﷺ وشكوه إليه ، فقـال : يـا رسول الله إني كرهت أن آذن لهم أن يوقـدوا ناراً فيرى عدوّهم قلّتهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مَدَد فيعطفوا عليهم ، فأحمد رسول الله ﷺ أمره . قال : يا رسول الله ، من أحب الناس إليك ؟ قال : لم ؟ قال : لأحب من تحب . قال : عائشة . قال : من الرجال ؟ قال : أبو بكر .

---

(١) النابغة : أم عمرو بن العاص ، وهي سبية من عَنَزَة . انظر جمهرة أنساب العرب ١٦٣

باب غزوة تبوك

قال ابن عباس :

لبث رسول الله ﷺ بعد خروجه من الطائف ستة أشهر ، ثم أمره الله بغزوة تبوك ، وهي التي ذكر الله ساعة العسرة[1] ، وذلك في حرّ شديد ، وقد كثر النفاق ، وكثر أصحاب الصفة ، والصفةُ بيت كان لأهل الفاقة يجتمعون فيه فتأتيهم صدقة النبي ﷺ والمسلمين ، وإذا حضر غزو عمد المسلمون إليهم فاحتمل الرجلُ الرجلَ أو ما شاء الله بشبعةٍ [٥٣ / أ] فجهزوهم وغزوا معهم واحتسبُوا عليهم ، فأمر رسول الله ﷺ المسلمين بالنفقة في سبيل الله والحِسْبَة ، فأنفقوا احتساباً ، وأنفق رجال غير محتسبين ، وحُمل رجال من فقراء المسلمين ، وبقي أناس . وأفضل ماتَصَدق به يومئذ أحد عبد الرحمن بن عوف ، تَصَدق بمئتي أوقية ، وتصدق عمر بن الخطاب بمئة أوقية ، وتصدق عاصم الأنصاري بتسعين وَسْقاً[2] من تمر . وقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، إني لا أرى عبد الرحمن إلا قد احترب[3]، ما ترك لأهله شيئاً ، فسأله رسول الله ﷺ هل تركت لأهلك شيئاً ؟ قال : نعم ، أكثر مما أنفقته وأطيب ، قال : كم ؟ قال : ما وعد الله ورسوله من الرزق والخير . وجاء رجل من الأنصار يقال له أبو عقيل بصاع من تمر فتصدق .

وعمد المنافقون حين رأوا الصدقات ، فإذا كانت صدقة الرجل كثيرة تغامزوا به وقالوا : مُراءٍ ، وإذا تَصَدق الرجل بيسير طاقته من تمر ، قالوا : هذا أحوج إلى ما جاء به ، فلما جاء أبو عقيل بصاعه من تمر قال : بتّ ليلتي أجر بالجرير على صاعين والله ما كان عندي من شيء غيرهما وهو يعتذر ويستحي ، فأتيت بأحدهما وتركت الآخر لأهلي ، فقال

(١) إشارة إلى الآية الكريمة في سورة التوبة ٩ / ١١٧ : ﴿ الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ﴾ .

(٢) الوَسْق : ستون صاعاً أو حمل بعير . القاموس : « وسق » .

(٣) في المطبوع « اختزب » .

المنافقون : هذا أفقر إلى صاعه من غيره ، وهم في ذلك ينتظرون يصيبون من الصدقات غنيهم وفقيرهم ، فلما أزف خروج رسول الله ﷺ أكثروا الاستئذان وشكوا شدة الحر وخافوا ، زعموا الفتنة إن غزوا ، ويحلفون بالله على الكذب ، فجعل رسول الله ﷺ يأذن لهم لا يدري ما في أنفسهم ، وبنى طائفة منهم مسجد النفاق يرصدون به الفاسق أبا عامر ، وهو عند هرقل قد لحق به ، وكنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن عُلاثة العامري ، وسورة براءة تنزل في ذلك أرسالاً . ونزلت فيها آية ليست فيها رخصة لقاعد . فلما أنزل الله عز وجل : ﴿ انفِرُوا خِفَافاً [٥٣ / ب] وثِقَالاً ﴾[1]. اشتكى الضعيف الناصح لله ورسوله والمريض والفقير إلى رسول الله ﷺ ، وقالوا : هذا أمر لا رخصة فيه . وفي المنافقين ذنوب مستورة لم تظهر حتى كان بعد ذلك ، وتخلّف رجال غير مستيقنين ولا ذوي علة ونزلت هذه السورة بالبيان والتفصيل في شأن رسول الله ﷺ [فسار][2] بمن اتبعه حتى بلغ تبوك ، فبعث منها علقمة بن مُجَزِّز المُدْلِجي إلى فلسطين ، وبعث خالد بن الوليد إلى دُومة الجندل ، فقال : أسرعْ لعلك أن تجده خارجاً يتقنّص فتأخذه ، فوجده فأخذه وأرجف المنافقون في المدينة بكل خبرِ سَوْءٍ . فإذا بلغهم أن المسلمين أصابهم جهد وبلاء تباشروا به وفرحوا ، وقالوا : قد كنا نعلم ذلك ونحذّر منه ، وإذا أُخبروا بسلامة منهم وخيرٍ أصابوه حزنوا وعرف ذلك منهم فيهم كل عدو لهم بالمدينة ، فلم يبق أحد من المنافقين أعرابي ولا غيره إلا استخفى بعمل خبيث ومنزلة خبيثة واستعلن ، ولم يبق ذو علة إلا هو ينتظر الفرج فيما يُنزل الله في كتابه ، ولم تزل سورة براءة تنزل حتى ظنّ المؤمنون الظنون ، وأشفقوا أن لا ينفلت منهم كبير أحدٍ أذنب في شأن التوبة قط ذنباً إلا أُنزل فيه أمر بلاء حتى انقضت ، وقد وقع بكل عامل تبيان منزله من الهدى والضلالة .

وعن كعب بن مالك عن رسول الله ﷺ

أنه كان إذا أراد المسير في الغزاة أذّن في المسلمين بالجهاز ، وكتمهم أين يجاهدون مكيدةً للعدو ، وما كان رسول الله ﷺ يؤذّن بالجهاز إلا وعندي بعير فأقوى به على الخروج معه حتى كانت تبوك ، فكانت في حَرٍّ شديدٍ وحين أقبلت الثمرة ، فأذّن رسول الله ﷺ بالجهاز

---

(١) سورة التوبة ٩ / ٤١

(٢) مكان اللفظة بياض في الأصل . وأشير إلى ذلك بحرف « ط » في الهامش . وما هنا عن تاريخ ابن عساكر ١ / ٤٠٩

إلى تبوك وبيّنها للمسلمين ووافق ذلك عندي [٥٤ / أ] بعيرين ، فرأيت أني قويّ على الخروج ، فتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون ، وأغدو أنا لأتجهز ، فوالله لكأنما أُربط فأرجع وما قطعت شعرة وعندي بعيران ، وأنا أرى أني قويّ على الخروج إذا أردت . فخرج رسول الله ﷺ والمسلمون ، ثم ذهبتُ أنظر ، فإذا ما أرى رجلاً تخلّف إلا رجلاً مغموصاً[1] عليه في دينه ، غير أني قد رأيت رجلين من الأنصار صحيحَيْن كدتُ أسكن إليهما : هلال بن أمية الواقفي ومرارة العَمْري ، حتى إذا أيست من الخروج قلت : أعتذر إلى رسول الله ﷺ إذا رجع .

قال ابن إسحاق :

ثم خرج رسول الله ﷺ يوم الخميس ، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري . فلما خرج رسول الله ﷺ ضرب عسكره على ثنيّة الوداع ، ومعه زيادة على ثلاثين ألفاً من الناس ، وضرب عبد الله بن أُبيّ عدو الله على ذي حِدة عسكراً أسفل منه نحواً من كذا وكذا ، وما كان فيما يزعمون بأقل العسكرين . فلما سار رسول الله ﷺ تخلّف عنه عبد الله بن أُبيّ فيمنْ تخلّف من المنافقين وأهل الرَّيْب ، وخلّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب عليه السلام على أهله وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون وقالوا : ما خلّفه إلا استثقالاً له وتخفّفاً منه ، فلما قال ذلك المنافقون أخذ علي بن أبي طالب رضي الله عنه سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازلٌ بالجُرْف ، فقال : يا رسول الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني تستثقلني وتَخَفُّفُ مني . فقال رسول الله ﷺ : كذبوا ، ولكني خلّفتك لما تركت ورائي ، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك ، ألا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نبيّ بعدي ، فرجع إلى المدينة ، ومضى رسول الله ﷺ لسفره .

وعن كعب بن مالك قال :

لم أتخلّف عن رسول الله ﷺ [٥٤ / ب] في غزوة غزاها ، حتى كانت غزوة تبوك إلا بدراً ولم يعاتب النبي ﷺ أحداً تخلّف عن بدر ، إنما خرج يريد العير فخرجت قريش مُغْوثين[2] لعيرهم ، فالتقوا عن غير موعد كما قال الله عزّ وجلّ . ولعمري إن أشرف مشاهد

(١) أي مطعوناً في دينه متهماً بالنفاق . النهاية : « غمص » .

(٢) أي مغيثين فجاء به على أصله ولم يُعلّه كاستحوذ واستنوق ، ولو روي مُغَوِّثين بالتشديد من غَوَّث بمعنى أغاث ـ لكان وجهاً . النهاية : « غوث » .

رسول الله ﷺ في الناس لبدر ، وما كنتُ أُحبُّ أني شهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث توافقنا على الإسلام ، ولم أتخلف بعدُ عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها ، حتى كانت غزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها ، فأذّن رسول الله ﷺ الناس بالرحيل وأراد أن يتأهبوا أهبة عدوّهم ، وذلك حين طاب الظلال وطابت الثار ، فكان قلّما أراد غزوة إلا ورّى بغيرها ، وكان يقول : الحرب خدعة ، فأراد النبي ﷺ في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أهبته ، وأنا أيسرُ ما كنت ، قد جمعت راحلتين ، وأنا أَقْدَرُ شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ[1]، وأنا في ذلك أصغو إلى الظلال وطيب الثار . فلم أزل كذلك حتى قام النبي ﷺ غادياً بالغداة ، وذلك يوم الخميس ، وكان يحب أن يخرج يوم الخميس .

وعن محمد بن مسلم الزهري قال :

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك وهو يريد الروم وكفار العرب بالشام ، حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ولقيه بها وفد أَذْرُح ووفد أَيْلَة ، فصالحهم رسول الله ﷺ على الجزية ، ثم قفل رسول الله ﷺ من تبوك ولم يجاوزها .

وفي حديث غيره

فبينما رسول الله ﷺ ذات يوم في جهازه في غزوة تبوك إذ قال للجَدّ بن قيس : ياجَدّ ، هل لك في بنات بني الأصفر ؟ قال : يارسول الله ﷺ لقد علم قومي أنه ليس من أحد أشدّ عجباً بالنساء مني ، وإني أخاف إن رأيت نساء بني الأصفر أن يفتنّي ، فائذن لي يارسول الله . فأعرضَ عنه [٥٥ / أ] رسول الله ﷺ وقال : قد أذنتُ ، فأنزل الله تعالى ﴿ ومِنْهُم مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لي وَلا تَفْتِنِّي ألاَ في الفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾[2] يقول : ماوقع فيه من الفتنة بتخلّفه عن رسول الله ﷺ ورغبته بنفسه عن نفسه أعظم مما يخاف من فتنة نساء بني الأصفر ﴿ وإنّ جَهَنّم لَمحيطَةٌ بالكَافِرينْ ﴾[3] يقول لمن وراءه . وقال رجل من جملة المنافقين : لاتنفروا في الحر . فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ نارُ جَهَنّم أَشَدُّ حَرّاً لَوْ كَانُوا

---

(١) أي خفيف الظَّهر من العيال . النهاية : « حوذ » .

(٢) التوبة ٩ / ٤٩

(٣) التوبة ٩/ ٥٠

يَفْقَهُون ﴾[1] ثم إن رسول الله ﷺ جَدّ في سفره ، وأمر الناس بالجهاز وحضّ أهل الغنى على النفقة والحُملان في سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى وأحسنوا ، وأنفق عثمان رضي الله عنه في ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحدٌ أعظم منها وحمل على مئتي بعير .

ومما جمع من أحاديث تبوك قالوا :

كانت الضافطة[2] وهم الأنباط يقدمون المدينة بالدَّرْمَك[3] والزيت في الجاهلية وبعد أن دخل الإسلام ، فإنما كانت أخبار الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط ، فقدمت منهم قادمةٌ ، وذكروا أنّ الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ، وأن هرقل قد رَزق أصحابه لسَنَة ، وأجليت معه لخم وجذام وغسان وعاملة ، وزحفوا وقدّموا مقدّماتهم إلى البلقاء وعسكروا بها ، وتخلف هرقل بحمص . ولم يكن ذلك ، وإنما ذلك شيء قيل لهم فقالوه ، ولم يكن عدو أخوف عند المسلمين منهم ، وذلك لما عاينوا منهم ، إذ كانوا يقدمون عليهم تجاراً ، من العدد والعُدة والكُراع ، وكان رسول الله ﷺ لايغزو غزوة إلا ورّى بغيرها لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا ؛ حتى كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍ شديدٍ ، واستقبل سفراً بعيداً ، واستقبل غزواً وعدداً كبيراً ، فجلا للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبة عدوهم [٥٥ / ب] وأخبرهم بالوجه الذي يريد . وبعث رسول الله ﷺ إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى عدوهم فبعث إلى أسلم بُريدة بن الحُصَيْب ، وأمره أن يبلغ الفُرع ، وبعث أبا رُهْم الغِفاري إلى قومه أن يطلبهم ببلادهم . وخرج أبو واقد الليثي في قومه ، وخرج أبو جَعْد الضّمري في قومه بالساحل ، وبعث رافع بن مَكيث وجندب بن مَكيث في جهينة ، وبعث نُعيم بن مسعود في أشجع ، وبعث في بني كعب بن عمرو عدّة : بُدَيْل بن ورقاء وعمرو بن سالم وبسر بن سفيان ، وبعث في سُليم عدة منهم العباس بن مرداس .

وحضّ رسول الله ﷺ المسلمين على الجهاد ، ورغّبهم فيه ، وأمرهم بالصدقة ، فحملوا صدقات كبيرة ، فكان أول من حمل أبو بكر الصديق جاء بماله كله أربعة آلاف درهم فقال له

(١) التوبة ٩ / ٨١

(٢) في الأصل : « الظافطة » والضافط والضفّاط : الذي يجلب الميرة والمتاع إلى المدن والمكاري الذي يكري الأحمال . وكانوا يومئذ قوماً من الأنباط يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت وغيرهما . النهاية « ضفط »

(٣) هو الدقيق الحُوّارى . النهاية : « درمك » .

رسول الله ﷺ : هل أبقيت لأهلك شيئاً قال : الله ورسوله أعلم ، وجاء عمر رضي الله عنه بنصف ماله فقال له رسول الله ﷺ : هل أبقيت شيئاً ؟ قال : نعم نصف ماجئت به . وبلغ عمر ماجاء به أبو بكر الصديق فقال : ماستبقنا إلى خير قط إلا سبقني إليه ، وحمل العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ مالاً ، وحمل طلحة بن عُبيد الله إلى النبي ﷺ مالاً ، وحمل عبد الرحمن بن عوف إليه مالاً مئتي أوقية ، وحمل سعد بن عبادة إليه مالاً ، وحمل محمد بن مَسلمة إليه مالاً ، وتصدق عاصم بن عدي بتسعين وَسْقاً تمراً ، وجهز عثمان بن عفان ثلث ذلك الجيش ، وكان من أكرمهم نفقةً حتى كفى ثلث ذلك الجيش مؤونتهم ، حتى إن كان لَيقال : ما بقيت لهم حاجة حتى كفاهم شُنُق[1] أسقيتهم فيقال : إن رسول الله ﷺ قال يومئذ : ما يضرّ عثمان مافعل بعد هذا . ورغب أهل الغنى في الخير والمعروف ، واحتسبوا في ذلك الخير [٥٦ / أ] وقوى ناسٌ دون هؤلاء مَن هو أضعف منهم ، حتى إن الرجل ليأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول : هذا البعير بينكما تعتقبانه ، ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض مَن يخرج ، حتى إن كنّ النساءَ ليُعِنَّ بكلّ ماقدرْنَ عليه .

لقد قالت أم سنان الأسلمية : لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي النبي ﷺ في بيت عائشة فيه مَسَكة[2] ومعاضد[3] وخلاخل وأقرطة وخواتيم وخدمات[4] مما يبعث به النساء يُعِنَّ به المسلمين في جهازهم ، والناس في عسرة شديدة ، وحين طابت الثمار وأُحبّتِ الظلالُ ، فالناس يحبون المقام ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه . وأخذ رسول الله ﷺ وسلم الناس بالانكماش والجد ، وضرب رسول الله ﷺ عسكره بثنيّة الوَداع ، والناس كثير لايجمعهم كتاب قل رجلٌ يريد أن يتغيّب إلا ظن أن ذلك سيخفى له مالم ينزّل فيه وحي من الله عزّ وجلّ . فلما استمر برسول الله ﷺ سفره ، وأجمع المسير استخلف على المدينة سِباع بن عُرْفُطَة الغِفاري ، ويقال محمد بن مسلمة ، لم يتخلف عنه في غزوة غيرها ، ويقال ابن أم مكتوم وأثبتهم محمد بن مسلمة . وقال رسول الله ﷺ : استكثروا من النعال ، فإن الرجل لا يزال راكباً مادام منتعلاً . فلما سار رسول الله ﷺ تخلف ابن أُبيّ عن

(١) ج شِناق : وهو الخيط أو السير الذي تعلق به القربة ، والخيط الذي يشدّ به فمها . النهاية : « شنق »

(٢) المَسَك : الأسورة والخلاخيل واحدته مَسَكَة . اللسان : « مسك »

(٣) المعضدة والمعضد : الدملج لأنه على العضد يكون ، والجمع معاضد . اللسان : « عضد »

(٤) الخَدَمَة : الخلخال . اللسان ، والنهاية « خدم »

رسول الله ﷺ فيمن تخلّف من المنافقين وقال : يغزو محمد بني الأصفر مع جَهد الحال والحرّ والبلد البعيد إلى مالا قِبل له به ! يَحسِب محمد أنّ قتال بني الأصفر اللعبُ ؟! ونافق ممن هو معه على مثل رأيه ثم قال ابن أُبيّ : والله لكأني أنظر إلى أصحابه غداً مُقرّنين في الحبال ، إرجافاً برسول الله ﷺ [٥٦ / ب] وأصحابه .

فلما رحل رسول الله ﷺ من ثنيّة الوداع إلى تبوك وعقد الألوية والرايات ، فدفع لواءه الأعظم إلى أبي بكر ، ورايته العظمى إلى الزبير ، ودفع راية الأوس إلى أُسَيد بن حُضير ، ولواء الخزرج إلى أبي دُجانة ، ويقال إلى الحُباب بن المنذر بن الجموح . قال : ومضى رسول الله ﷺ من المدينة فصبّح ذا خُشُب[١] فنزل تحت الدُّومة ، وكان دليله إلى تبوك علقمة بن الفَغْواء الخزاعي ، فقال رسول الله ﷺ تحت الدومة ، فراح منها مُمسياً حيث أبرد ، وكان في حرّ شديد .

قالوا : وكان الناس مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفاً . ومن الخيل عشرة آلاف فرس ، وأمر رسول الله ﷺ كل بطن من الأنصار أن يتخذوا لواء أو راية . والقبائل من العرب فيها الرايات والألوية ، وكان رسول الله ﷺ قد دفع راية بني مالك بن النجار إلى عُمارة[٢] بن حزم . فأدرك رسول الله ﷺ زيد بن ثابت فأعطاه الراية . قال عمارة : يا رسول الله ، لعلك وجدت علي ، قال : لا والله ، ولكن قدّموا القرآن . وكان زيد أكثر أخذاً للقرآن منك . والقرآن مقدم ، وإن كان عبداً أسود مجدّعاً ، وأمر في الأوس والخزرج أن يحمل راياتهم أكثرهم أخذاً للقرآن . وكان أبو زيد يحمل راية بني عمرو بن عوف ، وكان معاذ بن جبل يحمل راية بني سَلمة .

قال : وكان هرقل قد بعث رجلاً من غسان إلى النبي ﷺ ينظر إلى صفته وإلى علاماته ، إلى حمرة في عينيه وإلى خاتم النبوة بين كتفيه . وسأل فإذا هو لا يقبل الصدقة ، فوعى أشياء من حال النبي ﷺ ثم انصرف إلى هرقل يذكر ذلك له ، فدعا قومه إلى التصديق به فأبوا حتى خافهم على ملكه وهو في موضعه لم يتحرك [٥٧ / أ] ولم يزحف .

---

(١) خُشُب : واد على مسيرة ليلة من المدينة . له ذكر كثير في الحديث والمغازي . معجم البلدان

(٢) كتب الاسم الصحيح في هامش الأصل . وهو موافق لما في الإصابة ٥١٥/٢ ، وفي المتن « عبادة » وفوقه صبّة

وكان الذي خبر النبي ﷺ من تعبئة أصحابه ودنوّه إلى أدنى الشام باطلاً لم يرد ذلك ولم يهمّ به ، وشاور رسول الله ﷺ أصحابه في التقدم ، فقال عمر بن الخطاب : إن كنت أُمرت بالمسير فسر ، قال رسول الله ﷺ : لو أُمرت به ما استشرتكم فيه ، قال : يا رسول الله ، فإن للروم جموعاً كثيرة وليس بها أحد من أهل الشام ، وقد دنوتَ منهم حيث ترى ، وقد أفزعهم دُنُوّك ، فلو رجعت هذه السنة حتى ترى أو يحدث الله تعالى لك في ذلك أمراً .

وعن معاذ بن جبل قال :

إنهم خرجوا مع رسول الله ﷺ عام غزوة تبوك ، فكان رسول الله ﷺ يجمع بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء ، فأخر الصلاة يوماً ثم خرج فصلى الظهر والعصر جميعاً ، ثم دخل ثم خرج فصلى المغرب والعشاء جميعاً ثم قال : إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك . وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار ، فمن جاءها فلا يمسّ من مائها شيئاً حتى آتي ، قال : فجئناك وقد سبق إليها رجلان ، والعين مثل الشراك ، تبض بشيء من ماء فسألهما رسول الله ﷺ : هل مسستما من مائها شيئاً قالا : نعم . فسبّهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ، ثم غرفوا من العين بأيديهم قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء ، ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها ، فجرت العين بماء كثير ، فاستقى الناسُ . ثم قال رسول الله ﷺ : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً .

وعن سعيد بن أبي راشد مولى لآل معاوية قال :

قدمت الشام فقيل لي : في هذه الكنيسة رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ قال : فدخلنا الكنيسة فإذا أنا بشيخ كبير : [٥٧ / ب] فقلت له : أنت رسول قيصر إلى رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم . قال : قلت : حدثني عن ذلك . قال : إنه لما غزا تبوكاً كتب إلى قيصر كتاباً وبعث به مع رجل يقال له دِحْية بن خليفة . فلما قرأ كتابه وضعه معه على سريره ، وبعث إلى بطارقته ورؤوس أصحابه فقال : إنّ هذا الرجل قد بعث إليكم رسولاً ، وكتب إليكم كتاباً يخيركم إحدى ثلاث : إما أن تتبعوه على دينه ، أو تُقِرّوا له بخراج يجري عليكم ويُقِرّكم على هيئتكم في بلادكم ، أو أن تُلقوا إليه بالحرب . قال فنخروا[1] نَخرةً حتى خرج بعضهم من برانسهم وقالوا : لا نتبعه على دينه ، ونَدَع ديننا ودين آبائنا ، ولا نُقِر له

---

(١) نخروا : أي تكلموا . وكأنه كلام مع غضب ونفور . وقيل إن اللفظة حبشية . اللسان والنهاية : « نخر »

بخراج يجري لـه علينـا ، ولكن نَلقي إليـه الحرب . فقـال : قـد كان ذاك ولكني كرهت أن أفتات[1] دونكم بأمر ، قال عباد : فقلت لابن خثيم : أو ليس قد كان قارب وهمّ بـالإسلام فيما بلغنا ؟ قال : بلى لولا أنه رأى منهم . قال : فقال : ابغوني رجلاً من العرب أكتب معه إليـه جواب كتابه . قال : فأتيتُ وأنا شاب وانطُلق بي إليه فكتب جوابـه وقـال لي : مهما نسيت من شيء فاحفظ عني ثلاث خلال : انظر إذا هو قرأ كتـابي هـذا هل يـذكر الليل والنهـار ، وهل يذكر كتابه إلي ، وانظر هل ترى في ظهره علماً ، قال : فأقبلت حتى أتيته وهو بتبوك في حلقة من أصحابه منتحين . فسألت فأخبرت به فدفعت إليه الكتاب ، فدعا معاوية فقرأ عليه الكتاب . فلما أتى على قوله : دعوتني إلى جنة عرضهـا السموات والأرض فـأين النـار ؟ قال رسول الله ﷺ : إذا جـاء الليل فـأين النهـار ؟ قـال : فقـال : اني كتبت إلى النجـاشي فحرقه ، فحرقـه الله محرق الملـك . قـال عبـاد : فقلت لابن خثيم : أليس قـد أسلم النجـاشي ونعاه رسول الله ﷺ بالمـدينـة إلى أصحـابـه فصلى عليـه ؟ قـال : بلى . ذاك فلان بن فلان وهـذا فلان بن فـلان [٥٨ / أ] قـد ذكرهمـا ابن خثيم جميعـاً ونسيتهما[2] وكتبت إلى كسرى كتاباً فمزقـه ، فمزقـه الله ، ممزق الملـك . وكتبت إلى قيصر كتـابـاً فـأجـابني فيـه ، فلن يزال النـاس يخشـون[3] منهم بـأسـاً مـا كان في العيش خير . ثم قـال لي : ممن أنت ؟ قلت : من تنوخ . قال : يا أخا تنوخ ، هل لـك في الإسلام ؟ قلت : لا ، إني أقبلت من قِبَل قوم وأنـا فيهم على دين ، ولست مستبدلاً بـدينهم حتى أرجع إليهم فضحـك رسول الله ﷺ أو تبسم . فلما قضيت حاجتي قمت ، فلما وليت دعاني فقال : يـا أخـا تنوخ ، هلمّ فـامض للـذي أُمرت به ، قال : وكنت نسيتها ـ فـاستـدرتُ من وراء الحلقـة وألقى بردة كانت عليـه عن ظهره ، فرأيت على غضروف كتفه مثل المِحْجَم الضخم .

وفي رواية : فضحـك رسول الله ﷺ ـ يعني حين دعـاه إلى الإسلام ، فـأبى أن يسلم ، وتلا هذه الآية : ﴿ إنَّكَ لا تَهدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكنَّ الله يَهدِي مَنْ يَشَاء ﴾[4] ثم قـال رسول

---

(١) يقال لكل من أحدث شيئاً في أمرك دونك : قد افتات عليك فيه . النهاية

(٢) في الأصل : « نسيتها » وما هنا عن الإمام أحمد ٧٥/٤ والحديث بطوله في مسند الامام أحمد ٧٤/٤ ـ ٧٥

(٣) في الأصل (يخسرون) وفي هامشه إشارة إلى هذا الخطأ بحرف (ط) ، ومـا هنـا عن مسنـد الإمـام أحمد ٧٥/٤

(٤) سورة القصص ٢٨ / ٥٦

الله ﷺ : إنـك رسول قـوم وإن لـك حقـاً ، ولكن جئتنـا ونحن مُرْمِلـون ، فقـال عثمان بن عفان : أنا أكسوه حلة صُفُورِيةً[1] وقال رجل من الأنصار : علي ضيافته .

قال ابن إسحاق :

فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى تبوك أتاه يُحنّة بن رؤبـة صـاحبُ أيلـة فصـالح رسول الله ﷺ وأعطاه الجزيـة ، وأتـاه أهل جَرْبـاء وأذرُح[2] فـأعطوه الجزيـة ، وكتب رسول الله ﷺ لهم كتاباً فهو عندهم . فكتب ليُحنّة بن رؤبة : بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمنة من الله ومحمد النبي ورسوله ليحنّة بن رؤبة وأهل أيلة أساقفهم وسائرهم في البر والبحر ، لهم ذمـة الله وذمة النبي ومن كان معـه من أهل الشـام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحـدث منهم حـدثـاً فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وأنـه طيب لمن أخـذه من النـاس وأنـه لا يحل أن يمنعوا مـاءً يردونـه ولا طريقـاً يريـدونـه [٥٨ / ب] من بَرّ أو بحر . هـذا كتـاب جهيم بن الصلت وشرحبيل بن حسنة بإذن رسول الله ﷺ .

قال ابن إسحاق :

وكتب لأهل جَرْباء وَأَذْرُح : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمـد النبي لأهل أذرح : إنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وإن عليهم مئة دينار في كل رجب وافيـة طيبـة ، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسـان إلى المسلمين . ومن لجأ إليهم من المسلمين . وذكر بـاقي الحديث .

وأعطى رسول الله ﷺ أهل أيلة بُرده مع كتابه الذي كتب لهم أماناً لهم ، فـاشتراه أبو العباس عبد الله بن محمد بثلاث مئة دينار .

ثم إن رسول الله ﷺ دعا خالد بن الوليد فبعثه إلى أكيدر دُومة .

وعن قيس بن النعمان السكوني قال :

خرجَتْ خيلٌ لرسول الله ﷺ فسمع بهـا أُكيـدر دُومـة الجنـدل فـانطلق إلى رسول الله

---

(١) الصُّفُورية : جنس من الثياب . القاموس وحاشيته : « صفر »

(٢) جرباء : موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام قرب جبال الشراة من ناحية الحجاز ، وهي قريبة من منطقة أذرح من البلقاء . ومعجم البلدان « جرباء وأذرح »

ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنه بلَغنـا أن خيلـك انطلقت ، وإني خفت على أرضي ومـالي ، فاكتب كتاباً لا يعرضوا من شيء لي ، فإني مُقِرٌّ بالذي عليَّ من الحق ، فكتب لـه رسول الله ﷺ . ثم إن أُكَيدر أخرج قَباء من ديباج منسوج مما كان كسرى يكسوهم فقـال : يـا رسول الله ، اقبل عني هذا فإني أهديته لك . فقال لـه رسول الله ﷺ : ارجع بقبـائـك فـإنـه ليس يَلبس هذا في الدنيا إلا حُرِمَهُ - يعني في الآخرة - فرجع بـه حتى أتى منزلـه ، وإنـه وجـد في نفسه أن يردّ عليه هـديتـه فقـال : يـا رسول الله ، إنـا أهل بيت يشقّ علينـا أن تُردّ علينـا هديتنا ، فاقبل مني هديتي فقال رسول الله ﷺ : انطلق فادفعه إلى عمر بن الخطاب قـال : وقد كان عمر قد سمع ما قال رسول الله ﷺ فبكى ، فدمعت عيناه . [٥٩ / أ] وظن أنه قـد لحقه شيء . فانطلق إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، أحدث فيَّ أمر ؟ قلت في هذا القباء ما قلت ثم بعثت به إليّ ، فضحك رسول الله ﷺ حتى وضع يده أو ثوبه على فيـه . ثم قال : ما بعثت به إليك لتلبسه . ولكن تبيعه وتستعين بثمنه .

ذكر بعث النبي ﷺ أسامة بن زيد

وأمره بشنّ الغارة على مُؤته ويبنى وآبل الزيت

عن أبي مُوَيْهِبة[1] مولى رسول الله ﷺ قال :

رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعدما قضى حجة التمام ، فتحلل به السيرُ وضرب على الناس بعثاً ، وأمّر عليهم أسامة بن زيد ، وأمره أن يوطئ آبل الزيت من مشارف الشام بالأردنّ ، فقال المنافقون في ذلك ، وردّ عليهم النبي ﷺ إنه لَخليق لها ، أي حقيق بالإمارة ، ولَئن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبله وإن كان لها لخليقاً . وطارت الأخبار ـ لتحلل السير[2] بالنبي ﷺ ـ أن النبي ﷺ قد اشتكى ، ووثب الأسود باليمن ومسيلمة[3] باليمامة . وجاء النبيَّ ﷺ الخبر عنهما ، ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعدما أفاق النبي ﷺ . ثم اشتكى في المحرم وجعه الذي توفاه جلّ وعزّ فيه .

وعن ابن عباس قال :

كان النبي ﷺ قد ضرب بعث أسامة ولم يستتبّ لوجع النبي ﷺ ، ولخلع مسيلمة والأسود ، وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة حتى بلغ النبي ﷺ فخرج عاصباً رأسه من الصُّداع ، لذلك من الشأن ، ولبشارة أُريَها في بيت عائشة . وقال : إني أُريت البارحة فيما يرى النائم في عَضُدي سوارين من ذهب فكرهتها فنفختها فطارا . فأولتها هذين الكذابين : صاحب اليمامة ، وصاحب اليمن ، [٥٩/ ب] وقد بلغني أن أقواماً يقولون في إمرة أسامة ، ولَعمري لَئن قالوا في إمارته لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله ، وإن كان أبوه لخليقاً لها ، وإنه لها لخليق ، فأنفذوا بعثَ أسامة . وقال : لعن الله الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد .

---

(١) ويقال : أبو موهبة وأبو موهوبة الاصابة ١٨٨/٤

(٢) تحللّ السفرُ بالرجل : اعتلّ بعد قدومه . اللسان : « حلل »

(٣) لفظتا « باليمن ومسيلمة » مستدركتان في هامش الأصل . وبعدهما : « صح »

فخرج أسامة فضرب بالجُرف ، وأنشأ الناس في العسكرة ، ونجم طليحة ، وتمهل الناس . وثقل رسولُ الله ﷺ فلم يستتم الأمر . انتظر أولهم آخرهم حتى توفى اللهُ عزّ وجلّ نبيه ﷺ .

وعن أسامة بن زيد

أن النبي ﷺ كان وجّهه وجهاً ، فقُبض النبي ﷺ ولم يتوجه في ذلك الوجه .

ثم استُخلف أبو بكر ، فقال أبو بكر لأسامة : ما الذي عهد إليك رسول الله ﷺ ؟ فقال : عهد إلي رسول الله ﷺ أن أغير على أُبْنَى صباحاً وأحرق .

أهل الشام يقولون : يُبنى بالياء . وكلا القولين صواب . قال عبد الله بن عمرو الغزّي : سمعت أبا مسهر قيل له : أُبنى قال : نحن أعلم . هي يُبنى فلسطين .

وعن الحسن بن أبي الحسن قال :

ضرب رسول الله ﷺ بعثاً قبل وفاته على أهل المدينة ومَن حولهم ، وفيهم عمر بن الخطاب ، وأمّر عليهم أسامة بن زيد . فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قُبض رسول الله ﷺ فوقف أسامة بالناس ثم قال لعمر : ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه يأذن لي فأرجع بالناس فإن معي وجوه الناس وحدهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ وثقَل(1) رسول الله ﷺ وأثقال المسلمين أن يتخطفهم المشركون . وقالت الأنصار : فإن أبى إلا أن نمضي فأبلغه عنا ، واطلب إليه أن يولّي أمرنا رجلاً أقدمَ سناً من أسامة . فخرج عمر بأمر أسامة فأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة . فقال أبو بكر : لو اختطفتني الكلاب والذئاب لم أردّ قضاءً قضاه رسول الله ﷺ قال : فإن الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم [٦٠ / أ] يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة . فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر وقال : ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب ، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه ؟! فخرج عمر إلى الناس فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : امضوا ثكلتكم أمهاتكم مالقيت في سببكم اليوم من خليفة رسول الله ﷺ . ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم فأشخصهم وشيّعهم وهو ماشٍ وأسامة راكب . وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر ، فقال له

---

(1) الثَّقَل : كل شيء نفيس مصون . القاموس . « ثقل »

أسامة : يا خليفة رسول الله ﷺ لتركبَنّ أو لأنزلن . فقال : والله لا تنزل ، ووالله لا أركب . وما عليّ أن أغبّر قدمي ساعة في سبيل الله . فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعَ مئة حسنة ، تُكتب له ، وسبع مئة درجة ترفع له ، وتُمحى عنه سبع مئة خطيئة . حتى إذا انتهى قال له : إن رأيت أن تعينني بعمر بن الخطاب ، فا فعل . فأذن له . وقال :

يا أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشرٍ فاحفظوها عني : لا تخونوا ولا تُغلوا ولا تغدِروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعزقوا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ، ولا بعيراً إلا لمأكلة . وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فَدَعوهم وما فرغوا أنفسهم له . وسوف تقدَمون على أقوام يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وسوف تلْقَون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيوف خفقاً . اندفعوا باسم الله . أفناكم الله بالطعن والطاعون .

وفي رواية :

فلما ثقل رسول الله ﷺ أقاموا حتى شهدوه . فلما فرغوا أنفذه أبو بكر رضي الله عنه على ما قال رسول الله ﷺ [٦٠/ ب] وخرج أبو بكر إلى الجُرُف فاستنفر أسامةَ وبَعْثَه ، وسأله عمرَ فأذِن له ، وقال له : اصنع ما أمر به نبي الله ﷺ ، ابدأ ببلاد قضاعة ثم ائت آبل ، ولا تقصرنّ في شيء من أمر رسول الله ﷺ ، ولا تعجلن لما خُلّفت عن عهده ، فمضى أسامة مغذاً[1] على ذي المروَة ، والوادي . وانتهى إلى ما أمَرَه به النبي ﷺ من بثّ الخيول في قبائل قضاعة والغارة على آبل ، فسَلم وغَنِم ، وكان فراغه في أربعين يوماً سوى مقامه ومقيله راجعاً .

وحدث زيد بن أسلم قال :

مات رسول الله ﷺ وعُماله على قضاعة : على كلب امرؤ القيس بن الأصبغ الكلبي من بني عبد الله . وعلى القين عمرو بن الحكم . وعلى سعد هذيم معاوية بن فلان الوائلي . فارتد وديعة الكلبي فيمن آزره من كلب ، وبقي امرؤ القيس على دينه وارتد زميل بن قطبة القيني

(١) في الأصل : ماصورته : « بتغبا » . وما هنا عن ابن عساكر ١ / ٤٣٢

فيمن آزرَه من بني القين وبني عمرو ، وارتد معاوية فيمن ازره من سعد هذيم . فكتب أبو بكر إلى امرئ القيس بن فلان وهو جدّ سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما فثار بوديعة ، وإلى عمرو فأقام لزُمَيل وإلى معاوية العذري فأقام لمعاوية ، فلما توسّط أسامة بلاد قضاعة بثّ الخيول قِبَلهم ، وأمرهم أن يَنهضوا من أقام على الإسلام إلى من رجع عنه ، فخرجوا هراباً حتى أرزَوا[1] إلى دُومة ، واجتمعوا إلى وديعة ، ورجعت خيول أسامة إليه فمضى فيها أسامة حتى أغار على الحَمْقَتَيْن[2] ، فأصاب في بني الضُبيب من جُذام . وفي بني حيليل[3] من لخم ولِفّها من القبيلتين . وجازهم من آبل ، ثم انكفأ سالماً غانماً .

وعن عروة قال :

لما فرغوا من البيعة واطمأن الناس قال أبو بكر لأسامة : امض لوجهك الذي بعثك له رسول الله ﷺ ، فكلمه رجال من المهاجرين والأنصار ، وقالوا : أمسك أسامة وبعثه ، فإنا نخشى أن تميل علينا العرب إذا سمعوا بوفاة رسول الله ﷺ . فقال أبو بكر [٦١/ أ] وكان أحزمهم أمراً : أنا أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ ؟! لقد اجترأتُ على أمر عظيم ، والذي نفسي بيده لأن تميل عليّ العرب أحبّ إليّ من أن أحبس جيشاً بعثهم رسول الله ﷺ . امض يا أسامة في جيشك للوجه الذي أمرتَ به . ثم اغزُ حيثُ أمرك رسول الله ﷺ من ناحية فلسطين ، وعلى أهل مؤتة ، فإن الله سيكفي ما تركت ، ولكن إن رأيت أن تأذن لعمر بن الخطاب فأستشره واستعن به ، فإنه ذو رأي ومناصحٌ للإسلام فافعل ، ففعل أسامة . ورجع عامة العرب عن دينهم وعامة أهل المشرق وغطفان وبنو أسد وعامة أشجع ، ومسكت طيء بالإسلام . وقال عامة أصحاب النبي ﷺ : أمسِكْ أسامةَ وجيشه ووجِّههم نحو من ارتد عن الإسلام من غطفان وسائر العرب ، فأبى ذلك أبو بكر أن يحبس أسامة ، وقال : إنكم قد علمتم أنه قد كان من عهد رسول الله ﷺ إليكم في المشورة فيما لم تمض من نبيّكم فيه سنّة ، ولم ينزل عليكم به كتاب ، وقد أشرتم . وسأشير عليكم . فانظروا أرْشَدَ ذلك فائتمروا به ، فإن الله لن يجمعكم على ضلالة . والذي نفسي بيده ، ما أرى مِن أمرٍ أفضل في

---

(١) أرزى إليه : التجأ . القاموس : « رزى »

(٢) الحمقتان من مشارف الشام . معجم البلدان .

(٣) ورد في كتب الأنساب خليل وخُلَيْل . انظر الاشتقاق ٢٩ و ٤٦٩ ١ / ٢٩٠ - ٢٩١ . ومعجم قبائل العرب وجمهرة أنساب العرب ٢٣٥ ، ٢٣٦

نفسي من جهادِ مَنْ منع منا عِقالاً كان يأخذ رسول الله ﷺ ، فانقاد المسلمون لرأي أبي بكر ، ورأوا أنه أفضل من رأيهم ، فبعث أبو بكر أسامة بن زيد لوجهه الذي أمره به رسول الله ﷺ . فأصاب في العدوّ مصيبة عظيمة ، وسلّمه الله وغنّمه هو وجيشه ، وردّهم صالحين ، وخرج أبو بكر في المهاجرين والأنصار حين خرج أسامة حتى بلغ نقعاً حذاء نجد وهربت الأعراب بذراريهم . فلما بلغ المسلمين هربُ الأعراب كلموا أبا بكر وقالوا : ارجع إلى المدينة وإلى الذراري والنساء ، وأمّر رجلاً من أصحابك على الجيش . واعهد إليه أمرك فلم يزل المسلمون بأبي بكر حتى رجع . وأمّر خالدَ بن الوليد [٦١/ ب] على الجيش . فقال له : إذا أسلموا وأعطَوا الصدقة فمن شاء منكم أن يرجع فليرجع . ورجع أبو بكر إلى المدينة .

قال الواقدي : قالوا :

لم يزل رسول الله ﷺ يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر وأصحابه ووجد عليهم وجْداً شديداً ، فلما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة أمر رسول الله ﷺ الناس بالتهيؤ لغزو الروم ، وأمرهم بالانكماش في غزوهم ، فتفرق المسلمون من عند رسول الله ﷺ وهم مجدون في الجهاد . فلما أصبح رسول الله ﷺ من الغد يوم الثلاثاء لثلاث ليال بقين من صفر دعا أسامة بن زيد فقال : يا أسامة ، سر على اسم الله وبركته حتى تنتهيَ إلى مقتل أبيك ، فأوطئهم الخيل ، فقد ولّيتك هذا الجيش ، فاغز صباحاً على أهل أُبنى وحرق عليهم وأسرع السير تسبق الخبر ، فإن أظفرك الله فأقلل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاّء وقدّم العيونَ أمامَكَ والطلائع . فلما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر بُدئ رسول الله ﷺ فصُدع وحُمّ . فلما أصبح يوم الخميس لليلة بقيت من صفر عقد له رسول الله ﷺ بيده لواء ثم قال : يا أسامة ، اغز باسم الله ، في سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغدروا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا تمنّوا لقاء العدو فإنكم لاتدرون لعلكم تُبتلون بهم ، ولكن قولوا : اللهم اكفناهم ، واكفف بأسهم عنا ، فإن لقوكم قد أجلبوا وصيّحوا فعليكم بالسكينة والصمت ، ﴿ ولا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾[1] ، وقولوا : اللهم ، إنا نحن عبادك وهم عبادك ، نواصينا ونواصيهم بيدك ، وإنما تغلبهم أنت ، واعلموا أن الجنة تحت البارقة .

---

(١) سورة الأنفال ٨ / ٤٧

وعن أسامة بن زيد

أن النبي ﷺ أمره بأن يَغير على أهل أُبنى صباحاً وأن يحرق . قالوا : ثم قال رسول الله ﷺ لأسامة : امض على اسم الله . فخرج بلوائه معقوداً ، فدفعه إلى بريدة بن [٦٢/ أ] الحُصيب الأسلمي ، فخرج به إلى بيت أسامة ، وأمر رسول الله ﷺ أسامة فعسكر بالجُرْف ، وضرب عسكره في موضع سقاية سليمان اليوم ، وجعل الناس يؤخذون بالخروج إلى العسكر ، فيخرج من فرغ من حاجته إلى معسكره ومن لم يقض حاجته فهو على فراغ ، ولم يبق أحد من المهاجرين الأولين إلا انتدب في تلك الغزوة : عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة ، وسعيد بن أبي وقاص ، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ، في رجال من المهاجرين . والأنصار عدة : قتادة بن النعمان ، وسلمة بن أسلم بن حريش .

فقال رجال من المهاجرين ، وكان أشدهم في ذلك قولاً عياش بن أبي ربيعة : يُستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين ؟ فكثرت القالة في ذلك ، فسمع عمر بن الخطاب بعض ذلك القول ، فرده على من تكلم به ، وجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره بقول من قال ، فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً ، فخرج قد عصب رأسه عصابة وعليه قطيفة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ؟! والله لئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارتي أباه من قبله ، وأيم الله ، إن كان للإمارة لَخليق ، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة ، وإن كان لمن أحب الناس إلي . وإنّ هذا لمن أحب الناس إلي ، وإنهما لمخيلان لكل خير ، فاستوصوا به خيراً ، فإنه من خياركم . ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته ، وذلك يوم السبت لعشر ليال خلون من ربيع الأول .

وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله ﷺ فيهم عمر بن الخطاب ، ورسول الله ﷺ يقول : أنفذوا بعث أسامة . ودخلت أم أيمن فقالت : أي رسول الله ، لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تماثلَ ، فإن أسامة إن خرج على حاله هذه لم ينتفع بنفسه ، فقال رسول الله ﷺ : أنفذوا بعث [٦٢/ ب] أسامة ، فمضى الناس إلى المعسكر ، فباتوا ليلة الأحد . ونزل أسامة يوم الأحد ، ورسول الله ﷺ ثقيل مغمور وهو

اليوم الذي لدّوه[1] فيه . فدخل على رسول الله ﷺ وعيناه تهملان ، وعنده العباس والنساء حوله ، فطأطأ عليه أسامة فقبله ورسول الله ﷺ لا يتكلم ، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يصبها على أسامة . قال أسامة : فأعرف أنه كان يدعو لي .

قال أسامة : فرجعت إلى معسكري ، فلما أصبح يوم الاثنين غدا من معسكره وأصبح رسول الله ﷺ مفيقاً ، فجاءه أسامة فقال : اغد على بركة الله ، فودعه أسامة ورسول الله ﷺ مُفيق مُريح مفيق[2] ، وجعل نساؤه يتماشطن سروراً براحته . ودخل أبو بكر فقال : يا رسول الله ، أصبحت مفيقاً بحمد الله . واليوم يوم ابنة خارجة[3] فائذن لي ، فأذن له ، فذهب إلى السُّنح وركب أسامة إلى معسكره ، وصاح في أصحابه باللحوق إلى العسكر فانتهى إلى معسكره ونزل ، وأمر الناس بالرحيل ، وقد متع النهار ، فبينا أسامة بن زيد يريد أن يركب من الجُرف أتاه رسول أم أيمن وهي أمه تخبره أن رسول الله ﷺ يموت ، فأقبل أسامة إلى المدينة معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فانتهوا إلى رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يموت .

فتوفي عليه السلام حين زاغت الشمس يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول ، ودخل المسلمون الذين عسكروا بالجُرف إلى المدينة ، ودخل بريدة بن الحصيب بلواء أسامة معقوداً حتى أتى به باب رسول الله ﷺ فغرزه عنده .

فلما بويع لأبي بكر أمر بُريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ولا يحله أبداً حتى يغزوهم أسامة ، فقال بريدة : فخرجت باللواء حتى انتهيت به إلى بيت أسامة ثم خرجت به إلى الشام معقوداً مع أسامة ثم رجعت به إلى بيت [٦٣ / أ] أسامة فما زال معقوداً في بيت أسامة حتى توفي أسامة .

فلما بلغ العرب وفاة رسول الله ﷺ وارتدّ من ارتدّ منها عن الإسلام قال أبو بكر لأسامة : انفذ في وجهك الذي وجّهك فيه رسول الله ﷺ . وأخذ الناس بالخروج وعسكروا

---

(١) اللدود من الأدوية : مايسقاه المريض في أحد شقي الفم . النهاية · « لدد » .

(٢) فوق اللفظة في الأصل ضبة

(٣) هي زوجته ، حبيبة بنت خارجة . الإصابة ٢٦٩/٤

في موضعهم الأول وخرج بريدة باللواء حتى انتهى إلى معسكرهم الأول ، فشقّ على كبار المهاجرين الأولين ، ودخل على أبي بكر عُمرُ وعثمان وأبو عبيدة وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فقالوا : يا خليفة رسول الله ﷺ ، إن العرب قد انتقضت عليك من كل جانب وإنك لاتصنع بتفريق هذا الجيش المنتشر شيئاً . اجعلهم عُدّة لأهل الردة ، ترمي بهم في نحورهم . وأخرى لاتأمن على أهل المدينة أن يغار عليها ، وفيها الذراري والنساء ، فلوا استأنيت لغزو الروم حتى يضرب الإسلام بجرانه ويعود أهل الردة إلى ما خرجوا منه ، أو يفنيهم السيف ، ثم تبعث أسامة حينئذ . فنحن نأمن الروم أن تزحف إلينا . فلما استوعب أبو بكر كلامهم قال : هل منكم أحد يريد أن يقول شيئاً ؟ قالوا : لا . قد سمعت مقالتنا . فقال : والذي نفسي بيده ، لو ظننت أن السباع تأكلني بالمدينة لأنفذت هذا البعث ، ولا بدأت بأول منه ، ورسول الله ﷺ ينزل عليه الوحي من السماء يقول : أنفذوا جيش أسامة ، ولكن خصلة ، أكلّم أسامة في عمر يخلّفه يقيم عندنا ، فإنه لا غنى بنا عنه . والله ما أدري يفعل أسامة أم لا ؟ والله إن أبى لا أكرهه ، فعرف القوم أن أبا بكر قد عزم على إنفاذ بعث أسامة . ومشى أبو بكر إلى أسامة في بيته فكلمه في أن يترك عمر ففعل أسامة ، وجعل يقول له : أذنتَ ونفسك طيبة ؟ فقال أسامة : نعم . قال : وخرج فأمر مناديه ينادي : عزمة مني ألا يتخلف عن أسامة مِنْ بعثه مَنْ كان انتُدب معه في حياة رسول الله ﷺ ، فإني لن أوتى بأحد أبطأ الخروج معه [٦٣/ ب] إلا ألحقته به ماشياً وأرسل إلى النفر من المهاجرين الذين كانوا تكلموا في إمارة أسامة فغلّظ عليهم وأخذهم بالخروج ، فلم يتخلف عن البعث إنسان واحد .

وخرج أبو بكر يشيع أسامة والمسلمين . فلما ركب أسامة من الجُرف في أصحابه وهم ثلاثة آلاف رجل وفيهم ألف فرس ، فسار أبو بكر إلى جانب أسامة ساعة ثم قال : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك ، إني سمعت رسول الله ﷺ يوصيك ، فانفذ لأمر رسول الله ﷺ فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه ، إنما أنا منفّذ لأمر أمرَ به رسول الله ﷺ ، فخرج سريعاً ، فوطئ بلاداً هادئة لم يرجعوا عن الإسلام : جُهَينة وغيرها من قضاعة . فلما نزل وادي القرى قدّم عيناً له من بني عذرة يدعى حُرَيثاً ، فخرج على صدر راحلته أمامه مُغذاً حتى انتهى إلى أُبْنَى ، فنظر إلى ما هناك ، وارتاد الطريق ، ثم رجع سريعاً حتى لقي

أسامة على مسيرة ليلتين من أُبْنَى ، فأخبره أن الناس غارّون[1] ولا جموع لهم ، وأَمَرَه أن يُسرع للسير قبل أن تجتمع الجموع وأن يشنها غارةً .

وروى المنذر بن جهم قال :

قال بريدة لأسامة : يا أبا محمد ، إني شهدت رسول الله ﷺ يوصي أباك أن يدعوهم إلى الإسلام ، فإن أطاعوه خيّرهم إن أحبوا أن يقيموا في ديارهم ويكونوا كأعراب المسلمين فلا شيء لهم في الفيء ولا في الغنيمة ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، وإن تحولوا إلى دار الإسلام كان لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين . قال أسامة : هكذا وصية رسول الله ﷺ لأبي ؟ ولكن رسول الله ﷺ أمرني ، وهو آخر عهده إلي أن أسرع السير وأسبق الأخبار وأن أشنّ الغارة عليهم بغير دعاء فأحرق وأخرّب . فقال بريدة : سمعاً وطاعة لأمر رسول الله ﷺ . فلما انتهى إلى أُبْنَى فنظر إليها منظر العين عبّأ [٦٤/ أ] أصحابه وقال : اجعلوها غارة ، ولا تُمعِنوا في الطلب ولا تفترقوا واجّمّعوا ، وأخفُوا الصوت واذكروا اسم الله في أنفسكم ، وجردوا سيوفكم وضعوها فيمن أشرف لكم . ثم دفع عليهم الغارة ، فما نبح كلب ، ولاتحرك أحد ، ولا شعروا إلا بالقوم قد شَنّوا عليهم الغارة ينادون بشعارهم : يا منصور أمِتْ ، فقتل من أشرف له وسبى من قدر عليه ، وحرّق في طوائفها بالنار ، وحرق منازلهم وحروثهم ونخلهم ، فصارت أعاصير من الدخاخين ، وأقام الخيل في عرصاتهم ، ولم يُمعِنوا في الطلب . أصابوا ما قرُب منهم ، وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم . وكان أسامة خرج على فرس أبيه الذي قتل عليها أبوه يوم مؤتة ، كانت تدعى سَبْحة ، وقتل قاتل أبيه في الغارة . خبرّه به بعض من سُبي ، وأسهم للفرس سهمين ولصاحبه سهماً وأخذ لنفسه مثل ذلك . فلما أمسَوا أمر الناس بالرحيل ، ومضى ومضى الدليل أمامه حريث العذري ، فأخذوا الطريق الذي جاء منها ، ودأبوا ليلتهم حتى أصبحوا بأرض بعيدة ثم طوى البلاد حتى انتهوا إلى وادي القرى في تسع ليال ، ثم قصد يغذّ السير إلى المدينة وما أصيب من المسلمين أحد فبلغ ذلك هرقل وهو بحمص ، فدعا بطارقته فقال : هذا الذي حذرتكم فأبيتم أن تقبلوه مني ، قد صارت العرب تأتي من مسيرة شهر ، فتغير عليكم ثم تخرج من ساعتها ولم تُكلم . قال أخوه يناق : فابعث رابطة تكون بالبلقاء فبعث رابطة واستعمل

---

(١) غارون : أي غافلون . النهاية « غرر »

عليهم رجلاً من أصحابه ، فلم يزل مقيماً حتى قدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

قالوا : واعترض لأسامة في منصرفه قوم من أهل كثكث ، قرية هناك ، وقد كانوا اعترضوا لأبيه في بدأته ، فأصابوا من أطرافه فناهضهم أسامة بمن معه ، فظفر بهم وخرّق عليهم وساق من نعمهم وأسر منهم أسيرين فأوثقهما وهرب من بقي ، فقدم بهما المدينة ، فضرب أعناقهما .

[٦٤ / ب] وعن يحيى بن النضر

أن أسامة بن زيد بعث بشيره من وادي القرى بسلامة المسلمين وأنهم قد أغاروا على العدو وأصابوهم . فلما سمع المسلمون بقدومهم خرج أبو بكر في المهاجرين وخرج أهل المدينة حتى العواتق ، وبشروا بسلامة أسامة ومن معه من المسلمين ، ودخل يومئذ على فرسه سبحة ، كأنما خرجت من ذي خُشُب ، عليه الدرع واللواء أمامه ، يحمله بريدة ، حتى انتهى به إلى المسجد فدخل فصلى ركعتين وانصرف إلى بيته معه اللواء . وكان مخرجه من الجرف لهلال شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة ، فغاب خمسة وثلاثين يوما سار عشرين في بدائه ، وخمس عشرة في رجعته .

وعن أبي هريرة قال :

والذي لا إله إلا هو ، لولا أن أبا بكر استُخلف ما عُبِد الله ، ثم قال الثانية ثم قال الثالثة ، فقيل له : يا أبا هريرة ! فقال : إن رسول الله ﷺ وجّه أسامة بن زيد في سبع مئة إلى الشام ، فلما نزل بذي خشب قُبض النبي ﷺ وارتدت العرب حول المدينة فاجتمع إليه أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا له : يا أبا بكر ، ردّها ولا توجّه هؤلاء إلى الروم وقد ارتدت العرب حول المدينة ، فقال : والذي لا إله إلا هو ، لو جرّت الكلاب بأرجل الناس ما رددت جيشاً وجّهه رسول الله ﷺ ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ . فوجه أسامة . فجعل لا يمر بقبيل يريدون الارتداد إلا قالوا : لولا أن لهؤلاء قوة ماخرج مثل هؤلاء من عندهم ، ولكن ندَعهم حتى يلقوا الروم ، فلقُوا الروم فهزموهم وقتلوهم ، ورجعُوا سالمين فثبتوا على الإسلام .

ذكر اهتمام أبي بكر بفتح الشام وحرصه عليه

قال ابن إسحاق :

كان فتح اليمامة واليمن والبحرين ، وبعث الجنود إلى الشام في سنة ثنتي عشرة .

وقال أيضاً :

إن أبا بكر لما حدث نفسه بأن يغزو الروم [٦٥ / أ] فلم يُطلع عليه أحداً إذ جاءه شرحبيل بن حسنة ، فجلس إليه فقال : يا خليفة رسول الله ، أتُحدث نفسك أن تبعث إلى الشام جنداً ؟ فقال : نعم ، قد حدثت نفسي بذلك ، وما أطلعت عليه أحداً . وما سألتني عنه إلا لشيء . قال : أجل ، إني رأيت يا خليفة رسول الله فيما يرى النائم كأنك تمشي في الناس فوق خَرْشَفَة[1] من الجبل ، ثم أقبلتَ تمشي حتى صعدت فيه من القِنان العالية ، فأشرفت على الناس ومعك أصحابك ، ثم إنك هبطت من تلك القنان إلى أرض سهلة دمثة ، فيها الزرع والقرى والحصون ، فقلتَ للمسلمين : شُنّوا الغارة على أعداء الله وأنا ضامن لكم بالفتح والغنيمة ، فشدّ المسلمون وأنا فيهم معي راية ، فتوجهت بها إلى أهل قرية ، فسألوني الأمان فأمنتهم ثم جئت ، فأجدك قد انتهيت إلى حصن عظيم ، ففتح الله لك ، وألقوا إليك السَّلَم . ووضع الله لك مجلساً فجلستِ عليه ، ثم قيل لك يفتح الله عليك وتُنصر فاشكر ربك واعمل بطاعته ، ثم قرأ ﴿ إذا جاءَ نَصْرُ اللهِ والفَتْح ﴾ إلى آخرها . ثم انتبهتُ ، فقال له أبو بكر : نامت عيناك ، خيراً رأيت ، وخيراً يكون إن شاء الله ، ثم قال : بشَّرت بالفتح ونعيتَ إلي نفسي ، ثم دمعت عينا أبي بكر ثم قال : أما الخرشفة التي رأيتنا نمشي عليها حتى صعدنا إلى القنّة العالية ، فأشرفنا على الناس ، فإنا نكابد من أمر هذا الجند والعدو مشقة ويكابدونه ، ثم نعلو بعدُ ويعلو أمرنا ، وأما نزولنا من القنة العالية إلى الأرض السهلة الدمثة والزرع والعيون والقرى والحصون فإنا ننزل إلى أمر أسهل مما كنا فيه من الخصب

---

(١) الخرشفة : الأرض الغليظة . اللسان : « خرشف »

والمعاش . وأما قولي للمسلمين : شنوا على أعداء الله الغارة ، فإني ضامن لكم الفتح والغنيمة فإن ذلك دنوّ المسلمين إلى بلاد المشركين ، وترغيبي إياهم على الجهاد والأجر والغنيمة التي تقسم لهم [٦٥ / ب] ، وقبولهم . وأمّا الراية التي كانت معك ، فتوجهت بها إلى قرية من قراهم ودخلتها ، واستأمنوا فأمّنتهم فإنك تكون أحد أمراء المسلمين ويفتح الله على يديك . وأما الحصن الذي فتح الله لي ، فهو ذلك الوجه الذي يفتح الله لي ، وأما العرش الذي رأيتني عليه جالساً فإن الله يرفعني ويضع المشركين . قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ ﴾[1] وأما الذي أمرني بطاعة الله وقرأ علي السورة فإنه نعى إلي نفسي ، وذلك أن النبي ﷺ نعى الله إليه نفسه حين نزلت هذه السورة ، وعلم أن نفسه قد نُعيت إليه ، ثم سالت عيناه فقال : لآمرنّ بالمعروف ولأنْهَيَنّ عن المنكر ولأجهدَنّ فيمن ترك أمر الله ، ولأجهزنّ الجنود إلى العادلين[2] بالله في مشارق الأرض ومغاربها حتى يقولوا : الله أحد أحد لا شريك له ، أو يؤدوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون . هذا أمر الله وسنّة رسول الله ﷺ ، فإذا توفاني الله عزّ وجلّ لا يجدني الله عاجزاً ولا وانياً ولا في ثواب المجاهدين زاهداً . فعند ذلك أمّرَ الأمراء . وبعث إلى الشام البعوث

وعن عبد الله بن أبي أوفى الخزاعي قال :

لما أراد أبو بكر غزو الروم دعا علياً وعمر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبا عبيدة بن الجراح ، ووجوه المهاجرين والأنصار من أهل بدر وغيرهم فدخلوا عليه . قال عبد الله بن أبي أوفي وأنا فيهم فقال : إن الله عزّ وجلّ لا تُحصى نعماؤه ولا يبلغ جزاءها الأعمالُ ، فله الحمد ، قد جمع اللهُ كلمتَكم وأصلح ذاتَ بينكم وهداكم إلى الإسلام ونفى عنكم الشيطان ، فليس يطمع أن تشركوا به ولا تتخذوا إلهاً غيره ، فالعرب اليوم بنو أم وأبٍ ، وقد رأيتَ أن أستنفر [٦٦ / أ] المسلمين إلى جهاد الروم بالشّام ليؤيد الله المسلمين ، ويجعل الله كلمته العليا مع أن للمسلمين في ذلك الحظ[3] الوافر لأنه من هلكَ منهم هلك شهيداً . وما عند الله خيرٌ للأبرار ، ومن عاش عاش مدافعاً عن الدين مستوجباً على الله ثواب المجاهدين ، وهذا رأيي الذي رأيت ، ما شار امرؤ علي برأيه ، فقام عمر بن

(١) سورة يوسف ١٢ / ١٠٠

(٢) عدل بالله أي أشرك وجعل له مثلاً . النهاية : « عدل »

(٣) اللفظة مستدركة في الهامش

الخطاب فقال : الحمد لله الذي يخص بالخير من يشاء من خلقه . والله ما استبقْنا إلى شيء من الخير قط إلا سبقتنا إليه ، ﴿ ذلكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ ﴾[1] قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي رأيت . فما قضى أن يكون حتى ذكرته ، فقد أصَبْتَ أصابَ الله فيك سبيلَ الرشاد ، سرّب إليهم الخيل في إثر الخيل ، وابعث الرجال بعد الرجال ، والجنود تتبعها الجنود . فإن الله ناصر دينه ، ومعزّ الإسلام وأهله .

ثم إن عبد الرحمن بن عوف قام فقال : يا خليفة رسول[2] الله ، إنها الروم وبنو الأصفر ، حدّ حديد وركن شديد ، ما أرى أن تقحم عليهم إقحاماً . ولكن نبعث الخيل فنغير في قواصي أرضهم ثم نرجع إليك . فإذا فعلوا ذلك بهم مراراً أضروا بهم وغنموا من أدنى أرضهم فقووا بذلك على عدوهم ، ثم تبعث إلى أراضي أهل اليمن وأقاصي ربيعة ومضر ثم تجمعهم جميعاً إليك ، فإن شئت بعد ذلك غزوتهم بنفسك وإن شئت أغزيتهم ثم سكت وسكت الناس . قال : فقال لهم أبو بكر : ماذا ترون ؟ فقال عثمان بن عفان : إني أرى أنك ناصح لأهل هذا الدين شفيق عليهم ، فإذا رأيت رأيا تراه لعامّتهم صلاحاً فاعزم على إمضائه ، فإنك غير ظنين . فقال طلحة والزبير وسعد وأبو عُبيدة وسعيد بن زيد ومن حضر ذلك المجلس من المهاجرين والأنصار : صدق عثمان ، ما رأيتَ [٦٦ / ب] من رأيٍ فأمْضِهِ ، فإنا لا نخالفك ، ولا نتهمك . وذكروا هذا وأشباهه ، وعليٌّ في القوم لم يتكلم . قال أبو بكر : ماذا ترى يا أبا الحسن ؟ فقال : أرى أنك إن سرتَ إليهم بنفسك أو بعثت إليهم نُصرتَ عليهم إن شاء الله فقال : بشرّك الله بخير ! ومن أين علمت ذلك ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا يزال هذا الدين ظاهراً على كل من ناوأه حتى يقوم الدين وأهله ظاهرون . فقال : سبحان الله ما أحسن هذا الحديث . لقد سررتني به سرّك الله .

ثم إن أبا بكر رضي الله عنه قام في الناس فذكر الله بما هو أهله وصلى على نبيه ﷺ ثم قال : أيها الناس ، إن الله قد أنعمْ عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بالجهاد وفضلكم بهذا الدين على كل دين فتجهزوا عباد الله إلى غزو الروم بالشام ، فإني مؤمّرٌ عليكم أمراء ، وعاقد لكم ، فأطيعوا ربكم ولا تخالفوا أمراءكم لتحسُن نيتكم وشربكم وأطعمتكم . فـ ﴿ إنّ اللهَ مَعَ الّذِينَ

---

(١) المائدة ٥ / ٥٤

(٢) الكلمة مستدركة في هامش الأصل .

اتّقَوْا والّـذينَ هُمْ مُحْسِنُـون ﴾[1] فسكت القـوم ، فـو الله مـا أجـابـوا فقـال عمر : يـا معشر المسلمين ، مالكم لا تجيبون خليفة رسول الله ﷺ وقـد ﴿ دَعَـاكم لِمـا يُحْيِيْكُم ﴾[2] . أمـا إنـه ﴿ لَوْ كَانَ عَرَضاً قريباً وسَفَراً قاصِداً ﴾[3] لابتـدرتموه . فقـام عمرو بن سعيـد فقـال : يـا بن الخطاب ، ألنا تضرب الأمثال أمثال المنافقين ؟! فما منعـك مما عبت علينـا فيـه أن تبتـدئ به ؟! فقال عمر : إنه يعلم أني أجيبه لو يدعوني ، وأغزو لو يغزيني . قال عمرو بن سعيـد ، ولكن نحن لا نغزو لكم إن غـزونـا ، إنمـا نغـزو لله . فقـال عمر : وفّقـك الله فقـد أحسنت . فقال أبو بكر لعَمرو : اجلس رحمك الله فإن عمر لم يُرد بما سمعت أذى مسلم ولا تأنيبه ، إنما أراد بما سمعت أن ينبعث المتثاقلون إلى الأرض إلى الجهـاد [٦٧ / أ] فقـام خـالـد بن سعيـد فقال : صدق خليفـة رسول الله ﷺ . اجلس ابن أخي . فجلس . وقـال خـالـد : الحمـد لله الـذي لا إلـه إلا هو الـذي بعث محمـداً بـالهـدى ودين الحق ليظهره على الـدين كلـه ولو كره المشركون . فالله مُنجز وَعْده ومُظهر دينه ومُهلِك عـدوّه ، ونحن غير مخـالفين ولا مختلفين ، وأنت الوالي النـاصح الشفيق ، ننفر إذا استنفرتنـا ونطيعـك إذا أمرتنـا . ففرح بمقـالتـه أبو بكر وقال : جزاك الله خيراً من أخ وخليل ، فقد كنت أسلمت مرتغبـاً وهـاجرت محتسبـاً ، وقـد كنت هربت بـدينـك من الكفـار لكيمـا يطـاع الله ورسولـه وتعلو كلمتـه ، وأنت أمير النـاس ، فسر يرحمك الله ثم إنـه نزل ، ورجع خـالـد بن سعيـد فتجهز ، وأمر أبو بكر بلالاً فـأذّن في النـاس أن انفروا أيهـا النـاس إلى جهـاد الروم بـالشـام ، والنـاس يرون أن أميرهم خالد بن سعيـد ، وكان النـاس لا يشكون أن خـالـد بن سعيـد أميرهم ، وكان أول خلق الله عسكر ، ثم إن النـاس خرجـوا إلى معسكرهم من عشرة وعشرين وثـلاثين وأربعين وخمسين ومئـة ، كل يـوم ، حتى اجتمع أنـاس كثير . فخرج أبـو بكر ذات يـوم ، ومعـه رجـال من الصحابة حتى انتهى إلى عسكرهم فرأى عّدة حسنة لم يرض عدتها للروم ، فقـال لأصحـابـه : ما ترون في هؤلاء ؟ أن نشخصهم إلى الشام في هذه العدة ؟ فقال عمر : ما أرضى هذه العـدة لجموع بني الأصفر . فقال لأصحابه : ماذا ترون فقـالوا : نحن نرى مـا رأى عمر ، فقـال : ألا

---

(١) سورة النحل ١٦ / ١٢٨

(٢) سورة الأنفال ٨ / ٢٣

(٣) سورة التوبة ٩ / ٤٢

أكتب كتاباً إلى أهل[1] اليمن ندعوهم إلى الجهاد فنرغبهم في ثوابه ، فرأى ذلك جميع أصحابه . قالوا : نِعْم ما رأيت . افعل . فكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . من خليفة رسول الله ﷺ إلى من قرئ عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن : سلام عليكم [٦٧ / ب] فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد . فإن الله تعالى كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله . والجهاد فريضة مفروضة ، والثواب عند الله عظيم ، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام وقد سارعوا إلى ذلك . وقد حسُنت في ذلك نيّتهم وعظُمت حِسبتهم ، فسارِعوا عبادَ الله إلى ما سارعوا إليه ولتحسن نيتكم فيه ، فإنكم إلى إحدى الحسنيين ، إما الشهادة وإما الفتح والغنيمة ، فإن الله تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل ، ولا يزال الجهاد لأهل عداوته حتى يدينوا بدين الحق ويُقِروا بحكم الكتاب . حفظ الله لكم دينكم ، وهدى قلوبكم ، وزكا أعمالكم ، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين . وبعث بهذا الكتاب مع أنس بن مالك رضي الله عنه .

قال ابن حزم :

ولما أجمع أبو بكر أن يبعث الجيوش إلى الشام كان أول من سار من عماله عمرو بن العاص وأمره أن يسلك على أيلة عامداً لفلسطين ، فقدم عمرو أمامه مقدمة عليهم سعيد بن الحارث السهمي ودفع لواءه إلى الحجاج بن الحارث السهمي وكان جند عمرو الذين خرجوا معه من المدينة ثلاثة آلاف فيهم ناس كثير من المهاجرين والأنصار . وخرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه يمشي إلى جنب راحلة عمرو بن العاص وهو يوصيه ويقول : يا عمرو اتق الله في سرّ أمرك وعلانيته . واستَحْيِهِ فإنه يراك ويرى عملك ، وقد رأيت تقديمي إياك على من هو أقدم سابقة منك ، ومن كان أعظم غناء عن الاسلام وأهله منك ، فكن من عمال الآخرة ، وأرد بما تعمل وجه الله . وكن والداً لمن معك ولا تكشفن الناس عن أستارهم ، واكتف بعلانيتهم . وكن مجداً في [٦٨ / أ] أمرك ، واصدُق اللقاء إذا لاقيت ، ولا تجبن ،

(١) استدركت اللفظة في هامش الأصل وبجانبها « صح » .

وتقدم في الغلول وعاقب عليه ، وإذا وعظت أصحابك فأوجز وأصلح نفسك تصلح لك رعيتك . في وصيةٍ له طويلة وعهدٍ عهده إليه يعمل به .

وفي رواية :

قال أبو بكر لعمرو بن العاص : إني قد استعملتك على مَن مررت به من بليّ وعذرة وسائر قضاعة ومن سقط هناك من العرب ، فاندبهم إلى الجهاد في سبيل الله ورغّبهم فيه ، فمن تبعك منهم فاحمله وزوّده . ورافق بينهم ، واجعل كل قبلية على حدتها ومنزلتها .

وبعث أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثلاثة أمراء إلى الشام : عمرو بن العاص . ويزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة . فكان عمرو هو الذي يصلي بالناس إذا اجتمعوا ، وإن تفرقوا كان كل رجل منهم على أصحابه . وكان أمر الناس إلى عمرو بن العاص يوم أجنادين ويوم فحل ، وفي حصار دمشق حتى فتحت .

ورد في الأصل : فحل بكسر الحاء . قال : والمحفوظ بسكونها .

ولما رأى عمرو بن العاص كثرة الجموع بالشام كتب إلى أبي بكر يذكر أمر الروم وماجمعوا ويستمده ، فشاور أبو بكر من عنده من المسلمين . فقال عمر بن الخطاب : يا خليفة رسول الله ﷺ : اكتب إلى خالد بن الوليد ، يسير بمن معه إلى عمرو بن العاص فيكون له مدداً ، ففعل أبو بكر . وكتب إلى خالد بن الوليد . فلما أتاه كتاب أبي بكر قال : هذا عمل عمر . حسدني على فتح العراق . وأن يكون على يدي ، فأحب أن يجعلني مدداً لعمرو بن العاص وأصحابه فأكون كأحدهم فإنِ كان فتح شرِكنا فيه ، أو أن أكون تحت يدي بعضهم فإن كان فتح كان ذكره له دوني ، وكتب أبو بكر الصديق إلى عمرو بن العاص أني كتبت إلى خالد بن الوليد يسير إليك مدداً لك ، فإذا قدم عليك فأحسن مصاحبته ، ولا تَطاوَل عليه ، ولا تقطع الأمور دونه لتقديمي إياك عليه ، وعلى غيره . شاورهم ولا تخالفهم .

وعن موسى بن عقبة [٦٨ / ب] قال :

ثم بعث أبو بكر ثلاثة أمراء إلى الشام : خالد بن سعيد على جند ، وعمرو بن العاص السهمي على جند ، وشُرحبيل بن حسنة على جند . ثم نزع خالد بن سعيد وأمّر على جنده

يزيد بن أبي سفيان ، فأدركه بذي المروة[1] ، فكأن عَمْراً وجَد على خالد بن سعيد . ولما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة جاءه كتاب أبي بكر يأمره بالمسير إلى الشام ، فمضى خالد على وجهه وسلك على عين التمر[2] فمرّ بدُومة فأغار عليها فقتل بها رجالاً ، وهزمهم وسبى ابنة الجودي ، ثم مضى حتى قدم الشام وبه يومئذ أبو عبيدة بن الجراح على جند ، ويزيد بن أبي سفيان على جند ، وعمرو بن العاص على جند وشرحبيل بن حسنة على جند ، فقدم عليهم خالد بن الوليد فأمدّهم يوم أجنادين وهزم الله عدوّه .

وحجّ أبو بكر في خلافته سنة ثنتي عشرة . فلما قفل من الحج جهز الجيوش إلى الشام فبعث عمرو بن العاص قِبلَ فلسطين ، فأخذ الطريق المغرّبة على أيلة ، وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة وأمرهم أن يسلكوا التبوكية من علياء الشام . ولما بعث أبو بكر الجيوش لقتال أهل الردة وأتته وفود العرب مُقِرّة بما كانت أنكرت راجعةً إلى ما كانت خرجت منه ، ورأى أبو بكر حسن خلافة ربه نبيه ﷺ في تركته وجماعة أمته ومنّه عليهم بنصره وكفايته مؤونته على كل مرتدٍ ومرتاب ، وقوته عليهم جميعاً واجتماع كلمتهم على الإيمان بالله والعمل بفرائضه دعاهم إلى جهاد قيصر وكسرى ومن يليهما من أهل ملكهما ، وإقامة فريضة الله عليهم بذلك ، والعمل بسنّةِ رسول الله ﷺ فيما كان من مسيره بنفسه وجماعة أمته إلى قيصر ومن يليهم ، فأجابه إلى ذلك جماعة من المهاجرين والأنصار [٦٩ / أ] ومهاجرة الفتح وأمداد أهل العالية واليمن فاجتمع له منهم أربعة وعشرون ألفاً . وولّى عليهم الأمراء ، وعقد لهم الألوية وجهزهم بما قدر عليه من الأموال والظهر . ولم يرض ببعثه السرايا ولا الاقتصار عليها فمضَوْا لما وجّههم له ، فوليهم الله بحسن الصحبة في العاقبة وسعة الرزق والتمكين في البلاد والنصر والفَلْج والظهور على من تعرَّض قتالهم بأجنادين ثم فحْل ثم مرج الصفر ثم نزلوا على دمشق وحاصروا أهلها .

وأمر أبو بكر خالداً أن ينزل تيماء ولا يبرحها ، وأن يدعو من حوله بالانضمام إليه وألا يقبل إلا ممن لم يرتدّ ، ولا يقاتل إلا من قاتله حتى يأتيه أمره . فأقام واجتمع إليه جموع كثيرة . وبلغ الروم عظم ذلك العسكر فضربوا على العرب الضاحية البعوث بالشام إليهم ،

(١) ذو المروة : قرية بوادي القرى ، وقيل بين خُشُب ووادي القرى . معجم البلدان .

(٢) بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة ، افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن الوليد في سنة ١٢ هـ . معجم البلدان .

فكتب خالد بن سعيد[1] إلى أبي بكر بذلك وبنزول من استنفرت الروم ، ونفر إليهم من بَهراء وكلب وسلح وتنوخ ولخم وجُذام وغسان من دون زَيْزاء[2] بثلاث ، فكتب إليه أبو بكر أن أقدِم ولا تُحجم ، واستنصِر الله ، فسار إليهم خالد . فلما دنا منهم تفرقوا وأعروا منزلهم . فنزله خالد . ودخل عامّة مَن كان تجمع له في الإسلام .

وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك . فكتب إليه أبو بكر : أقدِم ولا تقتحمن حتى لا تؤتى من خلفك ، فسار فيمن كان خرج معه من تيماء وفيمن لحق به في طرف الرمل حتى نزلوا فيما بين آبل[3] وزَيْزاء والقسطل[4]، فسار إليه بطريقٌ من بطارقة الروم يدعى باهان ، فهزمه وقتل جنده . وكتب بذلك إلى أبي بكر واستنفره . وقدم على أبي بكر أوائل مستنفَري اليمن ومَن بين مكة وبين اليمن وفيهم ذو الكلاع . وقدم عليه عكرمة قافلاً وغازياً فيمن كان معه من تهامة وعُمان والبحرين والسرو ، فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استُبدل ، [٦٩ / ب] فكلهم استبدل ، فسمّي ذلك الجيش جيش البدال . وقدموا على خالد بن سعيد ، وعند ذلك اهتاج أبو بكر للشام ، وعنّاه أمره . وقد كان أبو بكر رد عمرو بن العاص على عَمالةٍ كان رسول الله ﷺ ولاها إياه من صدقات سعد هُذيم ، وعذرة ومن لفّهم من جُذام وحَدَس[5] قبل ذهابه إلى عُمان ، فخرج إلى عُمان وهو على عِدة من عمله إذا هو رجع ، فخرج إلى عُمان فأنجز له ذلك أبو بكر . فكتب أبو بكر عند اهتياجه للشام إلى عمرو أني قد كنت رددتك إلى العمل الذي كان رسول الله ﷺ ولاّ كَه مرةً وسماه لك أخرى ، مبعثك إلى عمان إنجازاً لمواعيد رسول الله ﷺ فقد وليته ثم وليته وقد أحببت ، أبا عبد الله ، أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك ، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحبّ إليك ، فكتب إليه عمرو : إني سهم من سهام الإسلام . وإنك بعد الله للرامي بها ، والجامع لها ، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي ، وكتب إلى الوليد نحو ذلك فأجابه بإيثار الجهاد .

---

(١) في الأصل خالد بن أبي سعيد ، وهو تحريف وقد مرّ الاسم قبلاً في ص ١٨٣ ، ١٨٦ .

(٢) زَيزاء : من قرى البلقاء في طريق الحاج . معجم البلدان .

(٣) آبل الزيت بالأردن من مشارف الشام . معجم البلدان .

(٤) القسطل : موضع قرب البلقاء من أرض دمشق في طريق المدينة . معجم البلدان .

(٥) في الأصل « جديس » وما هنا عن ابن عساكر ١ / ٤٥٢ وحَدَسٌ بطن عظيم من العرب« القاموس » .

قال سعيد بن المسيب :

لما بعث أبو بكر الجنود نحو الشام : يزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة قال : لما ركبوا مشى أبو بكر مع أمراء جنوده يودّعهم حتى بلغ ثَنيّة الوداع فقالوا : يا خليفة رسول الله ، أتمشي ونحن ركبان ؟! فقال : إني احتسبت خُطاي هذه في سبيل الله .[1] وفي رواية : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من اغبرّتْ قدماه في سبيل الله حرّمها الله على النار[1] ـ ثم جعل يوصيهم فقال : أوصيكم بتقوى الله . اغزوا في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ، فإن الله ناصر دينه ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تجبُنوا ولا تُفسدوا في الأرض ، ولا تعصُوا ما تؤمرون ، فإذا لقيتم العدو من المشركين إن شاء الله فادعوهم إلى ثلاث خصال فإن هم أجابوكم[2] فاقبَلوا منهم وكفّوا عنهم : ادعوهم إلى الإسلام ، فإن هم أجابوكم[2] فاقبلوا منهم وكفوا عنهم ، ثم ادعوهم إلى التحول [٧٠ / أ] من دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن هم فعلوا فأخبروهم أن لهم مثلَ ما للمهاجرين ، وعليهم ما على المهاجرين . وإن هم دخلوا في الإسلام واختاروا دارهم على دار المهاجرين فأخبروهم أنهم كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله الذي فرض على المؤمنين ، وليس لهم في الفيء والغنائم شيء حتى يجاهدوا مع المسلمين . فإن هم أبوا أن يدخلوا في الإسلام فادعوهم إلى الجزية ، فإن هم فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم . وإن هم أبَوا فاستعينوا بالله عليهم فقاتلوهم ، إن شاء الله ، ولا تعزِقُنّ نخلاً ولا تحرقُنّها[3]، ولا تعقروا بهيمة ، ولا شجرة تثمر ، ولا تهدموا بيعة ، ولا تقتلوا الولدان ولا الشيوخ ولا النساء ، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له ، وستجدون آخرين اتخذ الشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصاً[4]، فإذا وجدتم أولئك فاضرِبوا أعناقهم إن شاء الله .

(١ ـ ١) مابين الرقين مستدرك في هامش الأصل ، وبعده « صح » .

(٢ ـ ٢) في الموضعين : « أجابوك » وما هنا عن ابن عساكر ١ / ٤٥٥

(٣) في الأصل « ولا تعزقنها » وما هنا عن المطبوع ١ / ٤٥٦

(٤) أورد ابن الأثير في النهاية وابن منظور في اللسان : « فحص » كلام أبي بكر برواية (مفاحص : أي أن الشيطان قد استوطن رؤوسهم فجعلها له مفاحص كما تستوطن القطا مفاحصها وهو من الاستعارات اللطيفة لأن من كلامهم إذا وصفوا إنساناً بشدة الغي والانهاك في الشر قالوا : قد فرّخ الشيطان في رأسه وعشش في قلبه فذهب بهذا القول ذلك المذهب)

قال ابن اسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير وقال لي :

هل تدري لم فرّق أبو بكر وأمر بقتل الشمامسة ونهى عن قتل الرهبان ؟ فقلت : لا أراه إلا لحبس هؤلاء أنفسهم ، فقال : أجل ، ولكن الشمامسة يلقون القتال فيقاتلون ، وان الرهبان رأيهم ألا يقاتلوا . وقد قال تعالى : ﴿ وقاتِلُوا في سبيل اللهِ الّذينَ يقاتلونكم ﴾[1].

وقال اسحاق بن أبي فروة

إن خالداً ومن معه هبطوا من ثنيّة الغوطة ، تقدمهم راية رسول الله ﷺ السوداء التي يقال لها العُقاب ، فبها سميت يومئذ ثنيّة العقاب .

قال ابن اسحاق :

وسار خالد حتى أغار على غسان بمرج راهط ثم سار حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح ، وشرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان فاجتمعوا فرابطوها ، حتى صالحت بصرى على أخذ الجزية ، وفتحها الله على المسلمين فكانت أول مدينة من مدائن الشام فتحت في [٧٠ / ب] خلافة أبي بكر .

قال : وصالح خالد في وجهه ذلك أهل تدمر ، ومرّ على حُوّارين[2] فقتل وسبى .

وعن عبد الرحمن بن جُبير

أن أبا بكر الصديق كان جهّز بعد النبي ﷺ جيوشاً على بعضها شرحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، فساروا حتى نزلوا الشام فجمعت لهم الروم جموعاً عظيمة . فحُدّث أبو بكر بذلك فأرسل إلى خالد بن الوليد وهو بالعراق ، وكتب أن انصرف بثلاثة آلاف فارس فأمدّ إخوانك بالشام ، والعجل العجل ، فأقبل خالد مُغِذّاً جواداً ، فاشتق الأرض بمن معه حتى خرج إلى ضُمَيْر فوجد المسلمين معسكرين بالجابية ، وتسامع الأعراب الذين كانوا في مملكة الروم بخالد ففزعوا له ، ففي ذلك يقول قائلهم : [من الطويل]

---

(١) البقرة ٢ / ١٩٠

(٢) حُوّارين : حصن من ناحية حمص مر عليه خالد بن الوليد . معجم البلدان .

ألا يــا اصبَحِينــا قَبْلَ خَيـلِ أبي بَكرِ لَعَـلّ منــايــانــا قَريبٌ ومــا نَـدرِي

فنزل خـالـد على شرحبيل بن حسنـة ويزيـد وعمرو فـاجتمع هـؤلاء الأربعـة أمراء . وسارت الروم من أنطاكية وحلب وقنسرين وحمص وما دون ذلـك ، وخرج هرقل كراهيـة لمسيرهم متوجهاً نحو الروم وسار باهان الرومي ابن الرومية إلى الناس بمن كان معه .

روى عبد الحميد بن جعفر عن أبيه

أن المسلمين سـاروا وعليهم هـؤلاء الأمراء : يـزيـد بن أبي سفيـان وعمرو بن العـاص وأبو عبيـدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنـة . كلّ على عسكر ، ومن كانت الـواقعـة مما يلي عسكره فهو على أصحابه ، وساروا ، معهم النساء والذرية بالخيل والسلاح ، ليس معهم حمار ولا شاة ، فأخـذوا على طريق فلسطين حتى نزلوا بقريـة يقـال لهـا : ثـادَن من قرى غزة . ومما يلي الحجاز ، فلقيهم بها بطريقٌ من بطـارقـة الروم فـأرسل إليهم أن يُخرجوا إليـه أحـد القواد ليكلمه . قال : فتواكلوا ذلك وقالوا لعمرو بن العاص : أنت لذلك . فخرج إليه عمرو فرحّب بـه البطريـق ومتّ إليـه بقرابـة العيص [٧١ / أ] بن إسحـاق بن إبراهيم . وقـال : مـا الـذي جـاء بكم ، فقـد كانت الآبـاء اقتسمت الأرض ، فصـار لكم مـا يليكم ، وصـار لنـا ما يلينا ، وقد عَرفنا أنكم إنما أخرجكم من بلادكم الجهـد ، وسنـأمر لكم بمعروف ، وتنصرفون . فقال عمرو : أما القرابة فهي على ما ذكرت ، وأما القسمة فإنها كانت قسمـة شططـاً علينـا ، فنحن نريد أن نزاد حتى تكون قسمة معتدلة ، لنأخذ نصف ما في أيديكم من الأنهار والعمارة ونعطيكم نصف مـا في أيـدينـا من الشـوك والحجـارة . وأمـا مــا ذكرت من الجهـد الــذي أخرجنا ، فإنا قدمنا فوجدنا في هذه البلاد شجرة يقال لهـا الحنطـة ، فذقنـا منهـا طعـامـاً لا نفـارقكم حتى نصيّركم عبيـداً أو تقتلـونـا تحت أصـول هـذه الشجرة . قــال : فــالتفت إلى أصحابه فقال : صدقوا ، وافترقا ، فاقتتلوا فكانت بينهم معركـة انصرف القوم على حـاميـة ، ومضى المسلمون في آثارهم حتى طووهم عن فلسطين والأردن إلا ما كان من إيلياء وقيسـاريـة تحصّن فيها أناس فتركوهم ومضوا إلى ناحية البثنيّة ودمشق .

وحدث أبو عثمان الصنعاني شُراحيل بن مرثد قال :

بعث أبو بكر الصـديق رضي الله عنـه في خلافتـه خـالـد بن الوليـد إلى أهل اليمامـة ، وبعث يزيد بن أبي سفيان إلى الشام . قـال : فكنت ممن سـار مع خـالـد إلى اليمامـة . فلما

قدمنا قاتلنا قتالاً شديداً وظفرنا بهم . وهلك أبو بكر واستخلف عمر بن الخطاب فبعث أبا عبيدة بن الجراح إلى الشام ، فقدم دمشق فاستمد أبو عبيدة عمرَ ، فكتب عمر إلى خالد أن سر إلى أبي عبيدة بالشام فدعا خالد بن الوليد الدليل فقال : في كم نأتي إلى الحيرة ؟ فقال : في كذا وكذا . قال : فعَطّش خالد الإبل ثم سقاها ، واستقى وسقى الخيل ، ثم كعم[1] أفواه الإبل وأدبارها ، وقال له الدليل : إن أنت أصبحت عند الشجرة نجوت ونجا من معك ، وإن أصبحت دون الشجرة فقد هلكت وهلك من معك [٧١ / ب] فسار خالد بمن معه فأصبح عند إضاءة الفجر عند الشجرة فنحر الإبل ، وسقى ما في بطونها الخيل ، وأطعم لحومها المسلمين ، وسقى المسلمين من المزاد التي كانت تُحمل معه ، ثم أتى الحيرة أو الكوفة ، فصالحه أسقفها .

قال ابن عساكر : كذا قال ، وإنما كان هذا بعد رجوعه عن الحيرة . وأبو عبيدة كان بالشام في أيام أبي بكر .

وكان أبو بكر قد وجه خالد بن سعيد بن العاص إلى الشام حيث وجه خالد بن الوليد إلى العراق وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالداً . وإن خالد بن سعيد سار حتى نزل على الشام ولم يقتحم ، واستجلب الناس وعزّ فهابته الروم وأحجموا عنه ، فلم يصبر على أمر أبي بكر ، ولكن تورّدها فاستطردت له الروم حتى أوردوه الصُّفّرَيْن ثم تعطّفوا عليه بعدما أمن ، فوافقوا ابنه سعيد بن خالد مستمطراً فواقعوه فقتلوه ومن معه ، وأتى الخبر خالداً فخرج هارباً حتى أتى البرّ فتنزل منزلاً ، واجتمعت الروم إلى اليرموك فنزلوا به . وقالوا : والله لنشغلن أبا بكر في نفسه عن تورُّد بلادنا بخيوله . وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالذي كان ، فكتب أبو بكر إلى عمرو بن العاص ـ وكان في بلاد قضاعة ـ بالسَّير إلى بلاد اليرموك ففعل . وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وأمر كل واحد منهما بالغارة . وألا تَغِلُوا[2] حتى لا يكون وراءكم أحد من عدوّكم . وقدم عليه شرحبيل بن حسنة بفتح من فتوح خالد فسرحه نحو الشام في جند ، وسمّى لكل رجل من أمراء الأجناد كورة من كور الشام ، فتوافوا باليرموك . فلما رأت الروم توافيهم ندموا على الذي ظهر منهم ،

---

(١) كعم البعير : شد فاه لئلا يعض أو يأكل . القاموس « كعم » .

(٢) وغل في الشيء يغل : دخل وتوارى أو بعد وذهب . القاموس : « وغل » .

ونسَوا الـذي كانوا يتواعـدون أبـا بكر بـه ، واهتموا وهَمَّتْهم أنفسهم وأشجوهم وشجوا بهم . ثم نزلوا الواقوصة ، وقال أبو بكر : والله لأنسينّ الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد . فكتب إليه بالمسير إلى أبي عبيدة بالشام ، وأمره أن يستخلف [٧٢ / أ] المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس . فإذا فتح الله على المسلمين الشام فارجع إلى عملك بالعراق .

وبعث خالد بالأخماس إلاّ ما نفّل منها مع عمير بن سعد الأنصاري ، وبمسيره إلى الشام ، ودعا خالد الأدلة ، فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة ثم طعن في البر إلى قراقر ثم قال : كيف لي بطريقٍ أخرج فيه من وراء جموع الروم ؟ فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ، فكلهم قال : لا نعرف إلا طريقاً لا تحمل الجيوش يأخذه الفذّ والراكب فإياك أن تُغَرِّر بالمسلمين . فعزم عليه ولم يجبه إلى ذلك إلا رافع بن عميرة على تهيئة شديدة . فقال له خالد وللمسلمين : لا يهولنّكم ، فإنا عبادُ الله ، وفي سبيل الله ، وعلى طاعة خليفة رسول الله ، ونحن وإن كثرنا بعد أن نتزود كالقليل المنكمش ، فناشدوه فثاب فيهم فقال : لا يختلفَن هديكم ، ولا يضعفَن يقينكم ، واعلموا أن المعونة تأتي على قَدْر النية ، والأجر على قَدْر الحِسبة ، وإن المسلم لا ينبغي له أن يكترث لشيء يقع فيه مع معونة الله له ، فقالوا له : أنت رجل قد جمع الله لك الخير ، فشأنك فطابقوه ونووا واحتسبوا واشتهوا مثل الذي اشتهى خالد .

ولما سار خالد من الحيرة يَمُد أهل الشام استعمل على الضعفاء عمير بن سعد ، واستعمل على من أسلم بالعراق المثنى بن حارثة الشيباني ، ثم سار حتى نزل عين التمر وأغار على أهلها ، ورابط حصونَها مقاتلةً كانت لكسرى وضعهم فيها حتى استنزلهم ، فضرب أعناقهم وسبى من عين التمر بشراً كثيراً ، فبعث بهم إلى أبي بكر . وذلك أول سبي قدم المدينة . من ذلك السبي أبو عَمرة جد[1] عبد الله بن أبي عَمْرة وعبيد مولى المعلى وأبو عبيد الله مولى بني زهرة وَخَيِر مولى أبي داود ويسار مولى قيس بن مخرمة .

قال ابن إسحاق :

وكان فيهم عمير بن زيتون الذي ببيت المقدس ، ويسار مولى أبيّ بن كعب ، وهو أبو الحسن [٧٢ / ب] بن أبي الحسن البصري ، وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاري . ووجدوا في

---

(١) في الأصل : « أبو » . وما هنا عن تاريخ ابن عساكر ١ / ٤٦٧

كنيسة اليهود صبياناً يتعلمون الكتابة في قريـة من قرى عين التمر يقـال لهـا نُقَيرة[1] . وكان فيهم حمران بن أبـان مـولى عثمان ، وقتـل هـلال بن عطيـة بن بشر النمري وصلبـه . ثم سـار ففوّز من قراقر ـ وهـو مـاء لكلب ـ إلى سُوى وهـو مـاء لبَهراء بينهما خمس ليـال ، فلم يهتـد الطريق ، فطلب دليلاً فدُل على رافع بن عميرة الطائي ، فأتاه رافع فاستـدلـه على الطريق فقال : انشُد الله في نفسك وجيشك ، فإنها مفـازة خمس ليـال ليس فيهـا مـاء مع مضلّتهـا ، وإن الراكب المُنفرد يسلكها فيخاف على نفسه التهلكة ، وما يسلكها إلا مغرور . ما علمت أحداً أخذ فيها بثقل . فقال خالد : إنه لا بد منه . وقد كتب إلي الأمير بعزمه . فـأحضرنـا رأيك ونصيحتك ، ومُرنا بأمرك . قال رافع : فـابغني عشرين من الإبل سمان عظـام ، فـأتي بهن فظمّـأهن حتى جهـدن ، فـأوردهـا المـاء فشربن حتى تمـلأن ثم أمر بمشـافرهـا فقُطعن ثم كعمهن كيلا تجتررن ، ثم حلّ أذنابهن ، ثم قال لخـالـد : تزود واحمل مَن أطـاق أن يصرّ على أذن ناقته ماء فليفعل فإنها المهالك ، ففعل ، وساروا فسار معهم وسـار خـالـد معـه بـالخيول والأثقال . فكلما سار يوماً وليلة اقتطع منهن أربعة فأطعم لحمانهـا . وسقى مـا في أكراشهـا الخيل ، وشرب الناس مـا كانوا حملوا . وبقي منزل واحـد ونفـدت الإبل وخشي خـالـد على أصحابه في اخر يوم ، فأرسل خالد إلى رافع أن الإبل قد نفدت فما ترى ؟ قال : قد انتهيت إلى الري فلا بأس عليك . اطلبوا شجرة بمثل قعـدة الرجل ، فعنـدهـا المـاء . ورافع يومئـذ رمد ، فطلبوها فلم يصيبوها فرجعوا إلى رافع ، فقالوا : إنا لم نصبها ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون . هلكتم وهلكتُ لا أبالكم . اطلبوهـا [٧٣ / أ] فطلبوهـا فـأصـابوهـا قـد قطعت الشجرة وقد بقي منها بقية ، فكبّر وكبّر النـاس . فقـال : احتفروا فـاحتفروا عينـاً عـذبـة مروية ، فتزوّدوا وسقوا وحملوا . فقال رافع : إن هذه المفازة ما سلكتها قـط إلا مرة واحـدة مع أبي وأنا غلام .

وفي رواية : فقال رافع . والله ما وردت هذا المـاء مـذ ثلاثين سنـة . فقـال شـاعر من المسلمين : قيل هو أبو أحيحة القرشي[2] : [من الرجز]

لله عينـــا رافـــع أنّى اهتـــدى   فـــوّزَ من قَراقرٍ إلى سُــــوى
خمسـاً إذا مـا سـارهـا الجبسُ بكى   مـا سـارهـا من قبلـه إنس يُرى

(١) في الأصل : « بقير » ونقيرة · قرية من قرى عين التمر . معجم البلدان .

(٢) البيتان في معجم البلدان : « سوى » . وفي الأصل : « سوا ، الجيش ، أرى » .

ثم إن خالد بن الوليد أغار على أهل سُوى ؛ وهو ماء بَهراء ، قبل الصبح ، وهم يشربون شراباً لهم في جفنة قد اجتمعوا عليها ومغنيهم يقول : [من الطويل]

ألا علّلاني قَبْلَ جيشِ أبي بكرِ لعلَّ منايانا قريبٌ وما ندرِي

فزعموا أن ذلك المغني قتل تحت الغارة ، فسال دمه في الجفنة .

ثم استقام بخالد الطريقُ فتواصلت به المياه ، حتى إذا أغار على مرج العذراء وبه ناس من غسان فأصاب منهم ، ثم مضى حتى نزل مع أبي عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة على قناة بصرى فنزل معهم حتى صالحت بصرى على الجزية ، وكانت أول جزية وُقّعت بالشام في عهد أبي بكر .

وكتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد : أما بعد . فدع العراق وخلّف أهله فيه الذين قدمت عليهم وهم فيه . ثم امض مخففاً في أهل القوة من أصحابنا الذين قدموا معك العراق من اليمامة ، وصحبوك من الطريق وقدموا عليك من الحجاز حتى تأتي الشام فتلقى أبا عبيدة بن الجراح ، ومن معه من المسلمين ، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ما روي من توقع المشركين

لظهور دولة المسلمين

[٧٣ / أ] عن عبد الله بن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره

أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش ، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادّ[1] فيها أبا سفيان وكفار قريش فأتوه ، وهو بإيلياء ، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم وترجمانه فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ؟ قال أبو سفيان : فقلت : أنا أقربهم به نسباً ، فقال : أدنوه مني ، وقربوا أصحابه فجعلوهم عند ظهره ، ثم قال لترجمانه قل لهم : إني سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذب فكذّبوه ، قال أبو سفيان : فوالله لولا الحياء أن يأثروا عليّ كذباً لكذّبته عنه ، ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : هو فينا ذو نسب ، قال : فهل قال هذا القول منكم أحدٌ قطُّ قبله ؟ قلت : لا ، قال : فهل كان من آبائه ملكٌ ؟ قلت : لا ، قال : فأشراف الناس اتبعوه أو ضعفاؤهم ؟ قلت : بل ضعفاؤهم قال : أيزيدون أم ينقصون ؟ قلت : بل يزيدون . قال : فهل يرتدّ أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول الذي قال ؟ قال : قلت : لا . قال : فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها . ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه ؟ قلت : نعم ، قال : فكيف كان قتالكم إياه ؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منا وننال منه . قال : فماذا يأمركم ؟ قال : يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة وبالصدقة والعفاف والصلة ، فقال : للترجمان قل له : إني سألتك عن نسبه ،

---

(١) مادّ فيها أي أطال المدة وهي فاعل من المدّ . النهاية « مدد »

فذكرت أنه فيكم ذو نسب ، وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك : هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد منكم قال هذا القول قبله قلت : رجل يَأْتَمُّ بقولٍ قيلَ قَبْلَه . وسألتك : هل كان من آبائه مَلِك ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان من آبائه مَلِك [٧٤ / أ] قلت : رجل يطلب مُلك أبيه . وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن لِيذَر الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل . وسألتك : أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم ؟ فذكرت أنّ ضعفاءهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . وسألتك : أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم . وسألتك : أيرتدّ أحد منهم سَخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين يخالط بشاشة القلوب . وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الرسل لا يغدِرون . وسألتك : بم يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً . وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة وبالصدقة والعفاف والصلة ، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدميّ هاتين ، وهو نبيّ ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، ولكن لم أكن أظن أنه منكم ، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشّمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه ، ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دِحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا هو :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم ، سلام على من اتبع الهدى . أما بعد : فإني أدعوك بداعية الإسلام ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الإرّيسين[1] ﴿ ياأهلَ الكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وبَيْنَكُم ألاّ نعبد إلاّ اللهَ ولا نُشْرِكَ به شَيْئاً ﴾[2] الآية .

قال أبو سفيان : فلما قال ماقال وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخبُ وارتفعت الأصواتُ وأُخرجْنا ، فقلتُ لأصحابي حين أُخرجنْا : لقد أَمِرَ[3] أمرُ ابن أبي كبشة ، إنه يخافه ملكُ بني الأصفر ، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ

(١) قال ابن الأثير : « اختلف في هذه اللفظة صيغة ومعنى » فقيل هم الخدم والخول لصده إياهم عن الدين وقيل : فرقة من قوم هرقل قتلت نبيها . وقيل الملوك . وقيل العشارون . النهاية واللسان : « أرس » .

(٢) آل عمران ٣ / ٦٤

(٣) أي كثر وارتفع شأنه . يعني النبي ﷺ النهاية : « أمر » .

الإسلامَ ، وكان ابن قاطور وهو صاحب إيلياء وهرقل سَقّفَه على نصارى الشام يحدث [٧٤ / ب] أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح يوماً خبيثَ النفس ، فقال له بعض بطارقته : لقد أنكرْنا هيئتك ، فقال ابن قاطور : وكان هرقل رجلاً حزاء ينظر في النجوم فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلةَ حين نظرتُ في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمم ؟ قالوا : ليس يختتن غير اليهود ، فلا يهمنّك شأنهم واكتبْ إلى مدائن ملكك فليقتلوا من فيهم من اليهود ، فبيناهم على أمرهم ذلك أتي هرقل برجلٍ أرسل به ملك غسان يخبّره عن خبرَ رسول الله ﷺ فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا مختتنٌ هو أم لا ؟ فنظروا إليه فحدّثوه أنه مختتنٌ ، فسأله عن العرب أيختتنون ؟ فقال : نعم هم يختتنون ، فقال هرقلُ : هذا ملكُ هذه الأمة قد ظهر ، فكتب هرقل إلى صاحبٍ له برُوميّة ، وكان نظيرَه في العلم ، وسار هرقل إلى حمص ، فلم يرِم حمص حتى أتاه كتابٌ من صاحبه يوافقُ هرقل على خروج رسول الله ﷺ وأنه نبيٌ ، فأذِنَ هرقل لعظماءِ الروم في دسكرةٍ له بحمص ثم أمر بأبوابها فغلّقتْ ثم اطلع فقال لهم : يا معشر الروم هل لكم في الفلاحِ والرشد وأن يثبت ملككم ؟ تتبعوا هذا الرجل . فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد أُغلقتْ ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيسَ من إيمانهم فقال : ردّوهم عليّ ، وقال : إني إنما قلت مقالتي التي قلتُ لكم آنفاً أختبر بها شدّتكم على دينكم فقد رأيتُ الذي أحبُّ فسجدوا له ورضوا عنه ، فكان ذلك آخر شأن هرقل .

المحفوظ ابن الناظور ، ويقال بالطاء المهملة .

وقد كان أميرُ جند الروم باليرموك قد بعثَ عيناً من عرب الشام فدخل على المسلمين عسكرهم ، فرجع إليه فأخبرهم أنهم بالليل رهبانٌ وبالنهار فرسانٌ ، هم فيما بينهم كالعبيد وعلى مَنْ سواهم كالأسود ، إذا قالوا صدقوا ، وإذا عاهدوا أَوْفَوْا ، يأخذون لله حقوقَه ولو من [٧٥ / أ] أنفسهم ، فقال : أفٌ لك ، لئن كنت صادقاً لَلْموتُ خيرٌ من الحياة ، ولَيرَنّ علينا منهم شرٌّ طويل .

وفي رواية : ولو سرق ملكهم قطعوا يده ، ولو زنى رَجموه .

وقد كان هرقل قبل مَهْزم خالد بن سعيد حجّ بيت المقدس ، فبينما هو مقيمٌ به أتاه الخبرُ بقرب الجنود منه ، فجمع الرومَ وقال : أرى من الرأي أن لا تقاتلوا هؤلاء القوم وأن

تصالحوهم فوالله لئن تعطوهم نصف ما أخرجت الشامُ ، وتأخـذون نصفاً ، وتبقى لكم جبالُ الروم خيرٌ لكم من أن يغلبوكم على الشام ويشاركوكم في جبال الروم ، فنخر أخوه ونخر ختنه وتصدَّع عنه من كان حوله . فلما رآهم يعصونه ويردّون عليه بعث أخاه وأمرَّ الأمراء ووجه إلى كل جند جنداً ، فلما اجتمع المسلمون أمرهم بمنزلٍ جامعٍ واسعٍ حصينٍ ، فنزلوا بالواقوصة وخرج فنزل حمص . فلما بلغه أن خالداً قد طلع على سُوى فانتسف أهله وأمواله وعمد إلى بصرى فافتتحها وأباح عذرا قال لجلسائه : ألم أقل لكم لا تقاتلوهم فإنه لا قوامَ لكم مع هؤلاء القوم ، إن دينَهم دينٌ جديد يجدد لهم ثِبارهم[1] ولا يقوم لهم أحد حتى يبلى ، فقالوا له : قاتلْ عن دينك ولا تجبِّن الناس واقضِ الذي عليك . قال : وأي شيء أطلب بهذا إلا توفير دينكم ؟ ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك بعث إليه المسلمون : إنا نريد كلام أميركم وملاقاته ، أفتَدَعونا نأتيه نكلمه ، فأبلغوه فأذن لهم فأتاه أبو عبيدة كالرسول ويزيد بن أبي سفيان كالرسول والحارث بن هشام وضرار بن الأزور وأبو جندل بن سهيل ، ومع أخي الملك يومئذ في عسكره ثلاثون رواقاً وثلاثون سرادقاً كلها من ديباج ، فلما انتهوا إليها أبَوْا أن يدخلوا عليه فيها ، وقالوا : لا نستحلُّ الحرير فابرز لنا فنزل إلى فُرشٍ له ممهدةٍ وبلغ ذلك هرقل فقال : ألم أقلْ لكم هذا أوّل الذّل . أما الشام فلا شام ، وويل للروم من المولود المشؤوم ، ولم يتأتَّ بينهم وبين المسلمين صلحٌ فرجع أبو عبيدة وأصحابه واتعدوا ، فكان القتال حتى جاء الفتح .

[٧٥ / ب] حدث رجلان من غسان ، قال[2] :

لما كان المسلمون بناحية الأردن تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر ، فقال أحدنا لصاحبه : هل لك أن ندخل المدينة فنتبيّن من سوقها قبل حصارها ، فبينا نحن فيها نتسوق إذ أتانا رسول بِطْرِيقها اصطَراخيه ، فذهب بنا إليه ، فقال : أنتما من العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : وعلى النصرانية ؟ قلنا : نعم ، قال : ليذهب أحدُكما إلى هؤلاء فليتحسسْ لنا من خبرهم ورأيهم ، وليثبُت الآخر على متاع صاحبه ، ففعل ذلك أحدنا فلبث لبثاً ثم جاءه فقال : جئتك من عند رجال دقاق يركبون خيولاً عتاقاً[3] ، أما الليل فرهبان ، وأما

(١) في القاموس « ثبر » : « وهو على ثِبارِ أمر ، ككتاب ، على إشراف من قضائه » .

(٢) أي قال الراوي يحيى بن يحيى الغساني .

(٣) في الأصل : « عتاق » . وفوق اللفظة ضبّة . إشارة إلى الصواب الذي أثبتنا .

النهار ففرسان ، يريشون النبل ويبرونها ويثقفون القنا ، لو حدثت جليسك حديثاً مافهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر ، فالتفت إلى أصحابه فقال : أتاكم منهم مالا طاقةَ لكم به .

قال ابن إسحاق :

كان أصحاب الرسول ﷺ لا يثبت لهم العدو فُواقاً[1] عند اللقاء ، فقال هرقل وهو على أنطاكية لما قدمت منهزمةُ الروم ، قال لهم : أخبروني وَيْلكم عن هؤلاء القوم الذين يقاتلونكم أليسوا هم بشرٌ مثلكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فأنتم أكثر أم هم ، قالوا : بل نحن أكثر منهم أضعافاً في كل موطن ، قال : فما بالكُمْ تُهْزَمون كلما لقيتموهم ، فقال شيخٌ من عظمائهم : من أجل أنهم يقومون بالليل ، ويصومون بالنهار ، ويوفون بالعهد ، ويأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر ، ويتناصفون بينهم ، ومن أجل أنا نشرب الخمر ونزني ونركب الحرام وننقض العهد ونغصب ونظلم ، ونأمر بما يُسخط الله وننهى عما يرضي الله ، ونفسد في الأرض . قال : أنت صدقْتني .

(١) الفواق : ما بين الحلبتين من الراحة للناقة . النهاية : « فوق »

ذكر ظفر جيش المسلمين
بأجنادين وفحل ومرج الصُّفّر

قال ابن شهاب :

كانت وقعةُ أجنـادين وفحل في سنـة [٧٦ / أ] ثلاث عشرة : أجنـادين في جمـادى ، وفحل في ذي القعدة .

قالوا :

وكانت وقعـة أجنـادين يوم السبت صلاة الظهر لليلتين بقيتـا من جمـادى الأولى سنـة ثلاث عشرة .

قال ابن إسحاق :

استُخلف عمر على رأس اثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً من مهـاجَرَ رسول الله ﷺ ، وكان الناس بالشام إلى خالـد بن الوليـد ، والأمراء على منـازلهم ، فسـاروا قِبَل فحْل من الأُردنّ ، وكانت فحْل في ذي القعدة سنـة ثلاث عشرة ، وعلى رأس سـتـة أشهر من خلافة عمر ، (١)وقيل إن فحل كانت في رجب(١)

قال الواقدي :

وفي سنة أربع عشرة كان فتح مرج الصّفّر ، فأقام المسلمون بها خمس عشرة من المحرم ، وفيها زحف المسلمون إلى دمشق في المحرم فحاصروها ستة أشهر إلا يوماً .

وقال ابن إسحاق :

وقعة مرج الصفر يوم الخميس لاثنتي عشرة بقيت من جمادى الأولى سنـة ثلاث عشرة ، والأمير خالد بن الوليد .

(١ ـ ١) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل

حدث سعيد وابن جابر قال .

ثم كانت بعد أجنادين وقعة مرج الصُفَّر . قال سعيد : التقوا على النهر عند الطاحونة ، فقُتلت الروم يومئذ حتى جرى النهر ، وطحنت طاحونتها بدمائهم ، فأنزل الله على المسلمين نصره ، وقتلتْ يومئذ أمُّ حكيم أربعةً من الروم بعمود فسطاطها .

حدث عبد الله بن عمرو بن العاص في بيت المقدس ، قال :

شهدنا أجنادين ونحن يومئذ عشرون ألفاً ، وعلى الناس يومئذ عمرو بن العاص ، فهزمهم الله ، فصارت فئة إلى فحْل في خلافة عمر . فسار إليهم في الناس عمرو بن العاص فنفاهم إلى فحل . فأهل الشام قاطبة وعامة رواتنا يقولون إن أجنادين كانت قبل فحْل ، وهي في ولاية أبي بكر . وكانت فحل في ذي القعدة في خلافة عمر على رأس خمسة أشهر من خلافته . وكانت أجنادين أول وقعة بين المسلمين والروم نصر الله المسلمين ، وهي إحدى ملاحم الروم التي أُبيروا فيها .

قال الواقدي :

كانت أجنادين في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ، وبُشِّر بها أبو بكر رضي الله عنه وهو بآخر رمق .

قال :

ومضى خالد بن الوليد إلى أصحابه حتى نزل على قناة بصرى ، فيجد الأمراء مقيمين [٧٦ / ب] لم يفتحوا شيئاً قال : ما مقامكم بهذا الموضع ؟ انهضوا ، فنهضوا بأهل بصرى فما أمسوا ذلك اليوم حتى دعوْا إلى الصلح فصالحوهم وكتبوا بينهم كتاباً ، فكانت أول مدينة فتحت من الشام صلحاً . وفيها مات سعد بن عبادة ، وكان فتحها لخمسٍ بقين من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة ، وأهل الشام يقولون : إن فحل كانت قبل فتح دمشق .

وذكر سيف بن عمر التميمي :

أنها كانت بعد فتح دمشق . والله أعلم .

وخلف الناس بعد فتح دمشق يزيد بن أبي سفيان في خيْله في دمشق وساروا نحو فحل ، فكان على الناس شُرحبيل بن حسنة ، فبعث خالداً على المقدمة وأبا عبيدة وعمراً على مُجنِّبتيه ، وعلى الخيل ضرار ، وعلى الرَّجْل عياض ، وكرهوا أن يصمدوا لهرقل وخلفهم

ثمانون ألفاً ، وعلموا أن بإزاء فحل جندَ الروم وإليهم ينظرون ، وأن الشام بعدهم سَلْم ، فلما انتهوا إلى أبي الأعور قدّموه إلى طبرية فحاصروهم ، ونزلوا على فحل من الأردن ، وقد كان أهل فحل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرَزوا إلى بيسان فنزل شرحبيل بالناس فحلاً ، والروم ببيسان ، وبينهم[1] وبين المسلمين تلك المياه والأوحال ، وكتبوا إلى عمر بالخبر ، وهم يحدثون أنفسهم بالمقام ولا يريدون أن يريموا فحل حتى يرجع جواب كتابهم من عند عمر ، ولا يستطيعون الإقدام على عدوهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال ، وكانت العرب تسمي تلك الغزاة فحل ، وذات الرَّدْغة[2] وبيسان . وأصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل ما [ترك][3] فيه المشركون : مادتهم متواصلة ، وخصبهم رغد ، فاغترهم القوم ، وعلى الروم سقلار بن مخراق ، ورجَوا أن يكونوا على غرة فأتوهم والمسلمون لا يأمنون مجيئهم فهم على حذر ، وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة . فلما هجموا على المسلمين فغافصوهم[4] فلم يناظروهم ، فاقتتلوا بفحل كأشد قتال اقتتلوه قط ليلتهم ويومهم إلى الليل فأظلم عليهم [٧٧ / أ] الليل وقد حاروا فانهزموا وهم حيارى وقد أصيب رئيسهم سقلار بن مخراق والذي يليه فيهم نسطورس ، وظفر المسلمون أحسن ظفر وأهناه ، وركبوهم وهم يرون على أنهم على قصد وجدد ، فوجدوهم حيارى لا يعرفون ما حدّهم ، فأسلمتهم هزيمتهم وحيرتهم إلى الوحل فركبوه ، ولحق أوائل المسلمين بهم وقد وحلوا ، فركبوهم وما يمنعون يد لامس فوخزوهم بالرماح فكانت الهزيمة في فحل ، وكانت مقتلتهم في الرِّداغ ، فأصيب الثمانون ألفاً لم يفلت إلا الشريد ، وكان الله عز وجل يصنع للمسلمين وهم كارهون . كرهوا البُثوق فكان عوناً لهم على عدوهم وأناة من الله عزّ وجلّ ليزدادوا بصيرة ، وجدّوا واقتسموا ما أفاء الله عز وجل عليهم ، وانصرف أبو عبيدة بخالد من فحل إلى حمص ، وصرفوا بشير بن كعب من اليرموك معهم ، ومضوا بذي كلاع ومن معه ، وخلفوا شرحبيل ومن معه .

---

(١) استدركت اللفظة في هامش الأصل .

(٢) الرَّدْغ والرَّدْغَة والرَّدَغَة : الماء والطين والوحل الكثير الشديد . والجمع رِداغ . اللسان : « ردغ »

(٣) اللفظة مستدركة من تاريخ ابن عساكر ١ / ٤٨٦

(٤) غافص الرجل مغافصة وغِفاصاً : أخذه على غِرة فركبه بمساءة . اللسان : « غفص »

باب كيف كان أمر دمشق في الفتح

فتحت دمشق في سنة أربع عشرة في رجب[1] ، وقدم عمر بن الخطاب الشام سنة ست عشرة ، فولاه الله فتح بيت المقدس على صلح ثم قفل ، وكانت اليرموك سنة خمس عشرة ، وعلى المسلمين أبو عبيدة بن الجراح .

قال ابن إسحاق :

ثم ساروا إلى دمشق ، على الناس خالد ، وقد كان عمر عزله وأمّر أبا عبيدة ، فرابطوها حتى فتح الله عزّ وجلّ . فلما قدم الكتاب على أبي عبيدة بإمرته وعزل خالد استحيا أن يقرئ خالداً الكتاب حتى فتحت دمشق في سنة أربع عشرة في رجب . قال : فأظهر أبو عبيدة إمرته وعزل خالد ثم شتّى أبو عبيدة شتيته ـ وفي نسخة : شتيه ـ بدمشق .

قال ابن الكلبي :

كان الصلح يوم الأحد النصف من رجب سنة أربع عشرة ، صالحهم أبو عبيدة بن الجراح . وقد حاصرهم أبو عبيدة رجب وشعبان وشهر رمضان وشوال ، وتم الصلح في ذي القعدة . ومنهم من قال : [٧٧ / ب] حاصروها أربعة عشر شهراً .

قال أبو عثمان الصنعاني :

لما فتح الله علينا دمشق خرجنا مع أبي الدرداء في مسلحةٍ برزة ثم تقدمنا مع أبي عبيدة بن الجراح ففتح الله بنا حمص ، ثم تقدمنا مع شرحبيل بن السمط فأوطأ الله بنا ماء دون النهر ، يعني الفرات وحاصرنا عانات وأصابنا لأواء ، وقدم علينا سلمان في مَدَد لنا .

وقال أبو عثمان أيضاً :

حاصرنا دمشق ، فنزل يزيد بن أبي سفيان على باب الصغير ، ونزل أبو عبيدة بن الجراح على باب الجابية ، ونزل خالد بن الوليد على باب الشرقي ، وكان أبو الدرداء في مسلحة برزة ، قال : فحاصرناها أربعة أشهر . قال : وكان راهب دمشق قد طلب من

---

(١) « في رجب » مستدرك في هامش الأصل .

خالد بن الوليد الصلح . قال : فشرط عليه خالد بن الوليد أشياء أبى الراهب أن يجيب إليها . قال : فدخلها يزيد بن أبي سفيان قسراً من باب الصغير حتى ركبها . قال : وذهب الراهب كما هو على الحائط فأتى خالد بن الوليد ولا يعلم خالد أنّ يزيد قد دخلها قسراً . فقال له : هل لك في الصلح ؟ قال : وتجيبني إلى ما شرطت عليك ؟ قال : نعم . فأشهد عليه ففتح له باب الشرقي ، فدخل يزيد فبلغ المقسلاط فالتقى هو وخالد عند المقسلاط ، فقال هذا : دخلتها عنوة . وقال هذا : دخلتها صلحاً فأجمع رأيهم على أن جعلوها صلحاً . قالوا : ونظروا فإذا ما بين باب الشرقي إلى المقسلاط أبعد مما بين باب الصغير إلى المقسلاط .

قال الأوزاعي :

كنت عند ابن سراقة حين أتاه أهل دمشق النصارى بعهدهم فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق ، إني أمنتهم على دمائهم وأموالهم وكنائسهم ألا تُسكن ولا تُهدم ، شهد يزيد بن أبي سفيان ، وشرحبيل بن حسنة ، وقضاعي بن عامر . وكتب في رجب من سنة أربع عشرة .

قالوا :

ولما نشَّب أصحابُ خالد بن الوليد القتالَ دنا رجل منهم وفي يده اليمنى [٧٨ / أ] سيف ، وفي اليسرى الدَّرَقَة فنادى بالبراز فقالوا : ما يقول ؟ قيل : يقول إنه يدعو للمبارزة ، فأنزلوا حبشياً كالبعير مستلئماً ، في سلاحه ، فتدانى فضربه المسلم فقتله ، ثم نادى بالبراز ، فأنزلوا إليه صاحب بَندهم ، أجلسوه على بابٍ دلّوه فتدانى فضربه المسلم فقتله ، ثم نادى بالبراز ، فقال : قل للشيطان يبارزك .

وقيل

إن أبا عبيدة بن الجراح دخلها من باب الجابية بالأمان ، ودخل خالد بن الوليد من باب الشرقي عنوة بالسيف يقتل ، فالتقيا عند سوق الزيت فلم يدروا أيّهما كان أوّل العَنوة أو الأمان ، فاجتمعوا فقالوا : والله لئن أخذنا ما ليس لنا سفكنا الدماء وأخذنا الأموال لَنَأْثَمَنَّ ، ولئن تركنا بعض مالنا لا نأثم . قال : فاجتمعوا على أن أمضوه صلحاً .

قال عباس بن سهل بن سعد :

تولى أبو عبيدة حصار دمشق ، وولى خالد بن الوليد القتال على الباب الذي كان عليه

وهو الباب الشرقي ، فحاصر دمشق بعد موت أبي بكر حولاً كاملاً وأياماً ، ثم إنه لما طال على صاحب دمشق انتظار مدد هرقل ورأى المسلمين لا يزدادون إلا كثرة وقوة ، وأنهم لا يفارقونه أقبل يبعث إلى أبي عبيدة بن الجراح يسأله الصلح ، وكان أبو عبيدة أحبّ إلى الروم وسكان الشام من خالد ، وكان يكون الكتاب منه أحبّ إليهم ، فكانت رسل صاحب دمشق إنما تأتي أبا عبيدة بن الجراح وخالد يلح على أهل الباب الذي يليه فأرسل صاحب الرجال[1] إلى أبي عبيدة فصالحه ، وفتح له باب الجابية ، وألح خالد بن الوليد على الباب الشرقي ففتحه عنوة ، فقال خالد لأبي عبيدة : اسْبِهم فإني قد فتحتها عنوة ، فقال أبو عبيدة إني قد أمنتهم فتمم لهم أبو عبيدة الصلح ، وكتب لهم كتاباً وهذا كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لأبي عبيدة بن الجراح ممن أقام بدمشق وأرضها وأرض الشام من الأعاجم ، [٧٨ / ب] إنك حين قدمت بلادنا سألناك الأمان على أنفسنا وأهل ملتنا ، إنا شرطنا لك على أنفسنا ألا نُحدث في مدينة دمشق ولا فيما حولها كنيسة ولا ديراً ولا قلاّية[2] ولا صومعة راهب ، ولا نجدد ما خرب من كنائسنا ولا شيئاً منها ما كان في خطط المسلمين ، ولا نمنع كنائسنا من المسلمين أن ينزلوها في الليل والنهار ، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل ، ولا نؤوي فيها ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكتم على من غشّ المسلمين ، وعلى ألا نضرب بنواقيسنا إلا ضرباً خفياً في جوف كنائسنا ، ولا نظهر الصليب عليها ، ولا نرفع أصواتنا في صلاتنا وقراءتنا في كنائسنا ، ولا نخرج صليبنا ولا كتابنا في طرق المسلمين ، ولا نخرج باعوثاً[3] ولا شعانين[4] ، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ، ولا نظهر

(١) في المطبوعة صحبه ، لعل الصواب : صاحب دمشق الرجال .

(٢) في اللسان « قلي » : القلاية كالصومعة ، قال ابن الأثير : واسمها عند النصارى قلاّية : تعريب كلاذة ، وهي من بيوت عباداتهم .

(٣) في كتب اللغة القديمة أن الباعوث ـ وقيل الباعوث ـ للنصارى كالاستسقاء للمسلمين ، وهو اسم سرياني . وقد تطورت اللفظة بعد ذلك من صلاة الاستسقاء إلى الدعاء في أثناء الطواف في الأعياد . انظر النهاية ، واللسان « بعث » ، ومجلة المجمع العلمي ١٦ / ٣٢٧

(٤) سعانين أو شعانين ، في كتب اللغة القديمة ـ أنه عيد للنصارى ، وهو سرياني معرب ، وفي الألفاظ السريانية : في المعاجم العربية أنها لفظة عبرانية مدلولها التسابيح ، أخذها السريان ومنهم أخذها العرب . انظر النهاية ، واللسان « سعن » ، ومجلة المجمع العلمي ٢٤ / ١٢

النيران معهم في أسواق المسلمين ، ولا نجاورهم بالخنازير ، ولا نبيع الخمور ، ولا نظهر شركاً في نادي المسلمين ، ولا نرغّب مسلماً في ديننا ، ولا ندعو إليه أحداً ، وعلى ألا نتخذ شيئاً من الرقيق الذين جرت عليهم سهام المسلمين ، ولا نمنع أحداً من قرابتنا إن أرادوا الدخول في الإسلام ، وأن نلزم ديننا حيث ملكنا ، ولا نتشبّه بالمسلمين في لبس قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا في مراكبهم ، ولا نتكلم بكلامهم ولا نتسمى بأسمائهم ، وأن نجُزّ مقادم رؤوسنا ، ونفرق نواصينا ، ونشدّ الزنانير على أوساطنا ، ولا ننقّش في خواتيمنا بالعربية ، ولا نركب السروج ، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نجعله في بيوتنا ، ولا نتقلد السيوف ، وأن نوقّر المسلمين في مجالسهم ، ونرشدهم للطريق ونقوم لهم من المجالس إذا أرادوا المجالس ، ولا نطّلع عليهم في منازلهم ، ولا نعلّم أولادنا القرآن ، ولا نشارك أحداً من المسلمين إلا أن يكون للمسلم أمر التجارة ، وأن نضيف كل [٧٩ / أ] مسلم عابر سبيل من أوسط ما نجد ، ونطعمه فيها ثلاثة أيام ، وعلى ألاّ نشتم مسلماً ، ومن ضرب منا مسلماً فقد خلع عهده . ضمنّا ذلك لك على أنفسنا وذرارينا وأزواجنا ومساكننا ، وإن نحن غيّرنا أو خالفنا عما اشترطنا على أنفسنا وقبلنا الأمان عليه فلا ذمة لنا ، وقد حلّ لك منا ما يحلّ من أهل المعاندة والشقاق . على ذلك أُعطينا الأمان لأنفسنا وأهل ملتنا ، وأقرّونا في بلادكم التي أورثكم الله عزّ وجلّ عليها . شهد الله على ما شرطنا لكم على أنفسنا ، وكفى به شهيداً .

وقيل :

إن يزيد بن أبي سفيان دخل دمشق هو ومن معه من باب الصغير قسراً . فكان يقتل هو والمسلمون ويسبون . فلما رأى ذلك الروم دلّوا أسقفهم من باب الشرقي في قفّة إلى خالد بن الوليد فأخذ لهم الأمان من خالد فأعطاهم وفتحوا له باب الشرقي فدخل خالد ومن معه حتى انتهوا إلى المقسلاط . وأجاز أبو عبيدة أمان خالد وأمضاه .

قالوا :

وكان صالح أهل دمشق على شيء مسمىّ لا يزداد عليهم إن استغنَوا ، ولا يُحطّ عنهم إن افتقروا ، فكان صالح أهل دمشق على دينارين دينارين وشيء من طعام ، وبعضهم على الطاقة ، إن زاد المال زاد عليهم ، وإن نقص ترك ذلك عنهم ، وكان اشترط على أهل الذمة بأرض الشام أنّ عليهم إرشاد الضال ، وأن يبنوا قناطر أبناء السبيل من أموالهم ، وأن يضيفوا من مرّ بهم من المسلمين ثلاثة أيام ، ولا يشتموا مسلماً ولا يضربوه ، ولا يرفعوا في

نـادي أهل الإسلام صليبـاً ، ولا يُخرجوا خنزيراً من منـازلهم إلى أفنيـة المسلمين ، ولا يمروا بـالخمر في نـاديهم ، وأن توقـد النيران للغزاة في سبيل الله عز وجلّ ، ولا يـدلّوا للمسلمين على عورة ، وألا يحدثوا بناء كنيسـة ، ولا يضربوا بنـاقوسهم قبل أذان المسلمين [٧٩ / ب] وألا يُخرجوا الرايـات في عيـدهم ، وألا يلبسوا السلاح في عيـدهم ، وألا ينحَروا في بيـوتهم ، فـإن فعلوا شيئاً من ذلك عوقبوا ، وأُخذ منهم فحُسب لهم في جزيتهم .

ومنهم من قال :

وقد كان أبو بكر توفي قبل فتح دمشق وكتب عمر إلى أبي عبيدة بالولاية على الجمـاعـة وعزل خالد ، فكتم أبو عبيدة الكتاب من خـالـد وغيرِه حتى انقضت الحرب . فكتب خـالـد الأمان لأهل دمشق وأبو عبيدة الأمير وهم لا يدرون . قال : فكان كتاب عمر بن الخطـاب إلى أبي عبيدة بنعي أبي بكر واستعماله أبا عبيدة وعزله خالدا :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى أبي عبيدة بن الجراح . سلام عليك . فإني أحمد إليك الله الذي لا إلـه إلا هو . أمـا بعـد . فـإن أبـا بكر الصـديق خليفـة رسول الله ﷺ قـد تـوفي ، فـإنـا لله وإنـا إليـه راجعـون ، ورحمـة الله وبركاتـه على أبي بكر الصـديق العـامل بـالحق والآمر بـالقسـط والآخـذ بـالعرف ، اللين السير ، الوادع ، السهـل القريب الحليم ، ونحتسب بمصيبتنا فيه ومصيبتكم ومصيبـة المسلمين عـامـة عنـد الله ، وأرغب إلى الله في العصمة والتقى برحمته والعمل بطاعته ما أحيانـا ، والحلول في جنتـه إذا توفـانـا ، فإنه على كل شيء قدير . وقد بلغنا حصاركم لأهل دمشق وقد ولّيتك جماعة الناس ، فـأثبت سراياك في نواحي أرض حمص ودمشق ، وما سواها من أرض الشام ، وانظر في ذلك برأيـك ومن حَضرك من المسلمين ، ولا يحملنّـك قـولي هـذا على أن تُعري عسكرك فيطمـع فيـك عدوك ، ولكن من استغنيت عنه فسيّره ، ومن احتجت إليه في حصارك فاحتبسه ، وليكن فيمن تحتبس خالد بن الوليد فإنه لا غنى بك عنه .

قالوا :

فدفع ذلك الكتاب إلى خالد بن الوليـد بعـد فتح دمشق بنحو من عشرين [٨٠ / أ] ليلـة فـأقبل حتى دخـل على أبي عبيـدة فقـال : يغفرُ الله لـك ، أتـاك كتـاب أمير المـؤمنين بالولاية فلم تعلمني ، وأنت تصلي خلفي والسلطان سلطانك ؟! فقـال لـه أبو عبيـدة : وأنت

يغفر الله لـك ، مـا كنتُ لأُعلمـك ذلـك حتى تَعلَمـه من غيري . ومـا كنت لأكسر عليـك حربك حتى ينقضي ذلك كله ، ثم قد كنت أُعلمك إن شاء الله . ومـا سلطـان الـدنيـا أريـد وما للدنيا أعمل ، وأنّ ما ترى سيصير إلى زوال وانقطاع ، وإنما نحن إخوان وقوّام بـأمر الله عزّ وجلّ ، وما يضير الرجل أن يلي عليه أخوه في دينه ولا دنيـاه . بل يعلم الوالي أنـه يكاد أن يكـون أدنـاهمـا إلى الفتنـة وأوقعهما في الخطيئـة لمـا يعرض من الهلكـة إلا من عصم الله ، وقليلٌ ما هم . ودفع أبو عبيدة عند ذلك إلى خالد بن الوليد الكتاب .

قال أبو حذيفة :

وولي أبو عبيدة حصار دمشق وولي خـالـد بن الوليـد القتـال على بـاب الشرقي وولاه الخيل إذا كان يوم يجتمع فيـه المسلمون للقتـال ، فحـاصروا دمشق بعـد هـلاك أبي بكر حـولاً كاملاً وأياماً . وساق الحديث .

وكان أهل دمشق قـد بعثوا إلى قيصر وهو بـأنطـاكيـة رسلاً أنّ العرب قـد حـاصرونـا وليست لنا بهم طاقة ، وقد قـاتلنـاهم مراراً فعجـَزنـا عنهم فـإن كان لـك فينـا وفي السلطـان علينا حاجةٌ فأمددنا وأعنّا ، وإلا فإنا في ضيق وجهد ، فاعذرنا ، وقد أعطانـا القوم الأمـان ورضوا منا بالجزية اليسيرة ، فسرّح إليهم أن تمسكوا بحصنكم وقاتلوا عدوكم على دينكم ، فـإنكم إن صالحتموهم وفتحتم حصنكم لهم لم يفوا لكم وجبروكم على دينهم واقتسموكم بينهم ، وأنـا مسرّح إليكم الجيش في إثر رسولي هذا ، فانتظروا جيشه فـأبطـأ عليهم . وكتب عمر إلى أبي عبيـدة يأمره بالمناهضة .

وذكر سيف بن عمر :

إن فتح دمشق كان بعد وقعة اليرموك .

وقيل في حديث آخر :

[٨٠ / ب] فلما أيقن أهل دمشق أن الأمـداد لا تصل إليهم فشلوا ووهنوا وأيسـوا ، وازداد المسلمون طمعا فيهم ، وقد كانوا يرون أنهـا كالغـارات قبل ذلـك ، إذا هجم البرد قفل الناس ، وسقط النجم والقوم مقيمون . فعند ذلك انقطع رجاؤهم ونـدموا على دخول دمشق . وولـد للبطريق الـذي على أهل دمشق مولود فصنع عليـه ، فـأكل القوم وشربوا وغفلـوا عن مواقفهم ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد . فإنـه كان لا ينـام ولا ينيم

ولا يخفى عليه من أمورهم شيء ، عيونه ذاكية وهو معنيّ بما يليه قد اتخذ حبالا كهيئة السلاليم وأوهاقا[1] .

فلما أمسى من ذلك اليوم نهد ومن معه من جنوده الذين قدم بهم عليهم ، وتقدمهم هو والقعقاع بن عمرو ومذعور بن عدي وأمثاله من أصحابه في أول نومة ، وقال : إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقُوا البناء ، وانهدوا إلى الباب . فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدمون رموا بالحبال الشُرف ، وعلى ظهورهم القِرَب التي قطعوا بها خندقهم ، فلما ثبت لهم وهقان تسلّق فيهما القعقاع ومذعور ثم لم يدعا أحبولة إلا أثبتاها ، والأوهاقَ بالشرف ، وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق ، أكثره ماء وأشدّه مدخلاً ، وتوافوا لذلك فلم يبق بمن قدم معه أحد إلا رقي أو دنا من الباب حتى إذا استووا على السور حدر عامة أصحابه ، وانحدر معهم ، وخلّفَ من يحمي ذلك المكان لمن يرتقي ، وأمرهم بالتكبير ، فكبّر الذين على رأس السور فنهد المسلمون إلى الباب ، ومال إلى الحبال بشرّ كثير فوثبوا فيها ، وانتهى خالد إلى أول من يليه فأقامهم وانحدر إلى الباب فقتل البوابين ، وثار أهل المدينة وفزع سائر الناس ، فأخذوا مواقفهم ولا يدرون ما الشأن [٨١ / أ] وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم ، فقطع خالد بن الوليد ومن معه أعلاق الباب بالسيوف ، وفتحوا للمسلمين ، فأقبلوا عليهم من داخل حتى ما بقي مما يلي باب خالد مُقاتل إلا أنيم . ولما شدّ خالد على من يليه وبلغ منهم الذي أراد عنوة وأرَز مَن أفلتَ إلى أهل الأبواب التي تلي غيره ، وقد كان المسلمون دعوهم إلى المشاطرة فأبوا وأبعدوا ، فلم يفجأهم إلا وهم يبوحون لهم بالصلح ، فأجابوهم وقبلوا منهم ، وفتحوا لهم الأبواب ، وقال : ادخلوا وامنعونا من أهل ذلك الباب فدخل أهل [كل][2] باب بصلح مما يليهم ، ودخل خالد مما يليه عنوة ، فالتقى خالد والقواد في وسطها هذا استعراضاً وانتهاباً ، وهؤلاء صلحاً وتسكيناً ، فأجرَوا ناحية خالد مجراهم وقالوا : قد فرّوا إلينا ودخلوا معنا ، فأجاز لهم ذلك عمر رضي الله عنه ، فأجرى النصف الذي أُخذ عنوة مجرى الصلح فصار صلحاً . وكان صلح دمشق على المقاسمة ، الديار والعقار ودينار عن كل رأس ، واقتسموا الأسلاب ، فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القواد ، وجرى على الديار ومن بقي في الصلح جَريب

---

(١) الأوهاق ج وهق ـ بالتحريك وقد يسكّن ـ وهو حبل تشد به الإبل والخيل لئلا تندّ . النهاية (وهق) .

(٢) استدركت اللفظة من تاريخ ابن عساكر ١ / ٥١٧

من كل جَريب أرض ، ووقف مـا كان للملوك ومن صوّب معهم فيئـاً وبعثـوا بـالبشـارة إلى عمر ، وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر بـأن اصرف جنـد العراق إلى العراق وامرهم بـالحث إلى سعد بن مالك ، فأمّر على جند العراق هاشم بن عُتبـة ، وعلى مقـدمتـه القعقـاع بن عمرو ، وعلى مُجَنِّبَتَيْـه عمرو بن مـالـك الزهري وربعي بن عـامر ، فصُرفوا بعـد دمشق نحو سَعـد ، فخرج هـاشم نحو العراق في جنـد أهل العراق . وخرج علقمـة ومسروق إلى إيليـاء فنزلا على طريقها وبقي بدمشق مع يزيـد بن أبي سفيـان من قواد أهل اليمن عـدد ، وبعث يزيـد بن أبي سفيـان دحيـة بن خليفـة الكلبي في خيـل بعـد فتـح دمشـق إلى تـدمر [٨١ / ب] وأبـا الزهراء القشيري إلى البثنيـة وحوران فصـالحوهـا على صلح دمشق ، ووليـا القيـام على فتح ما بُعثا إليه . وكان أخو أبي الزهراء قد أصيبت رجله بدمشق يوم دمشق .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام :

مدينة دمشق افتتحها خالد بن الوليد صلحاً ، وعلى هذا مدن الشام كانت كلها صلحـاً دون أرَضيها على يدي يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وأبي عبيدة بن الجراح .

وبينما المسلمون على حصار مدينة دمشق إذ أقبلت خيل عظيـمة مُحمرة بـالحرير هـابطـة من ثنيّة السَلمية فرآهم المسلمون وهم منحدرون منها ، فخرج إليهم جمـاعـة من المسلمين فيما بين بيتَ لهيـا والثنيّـة التي هبطوا منهـا ، فهزمهم الله وطلبهم المسلمـون ، يترحـل هـؤلاء وينزل هؤلاء حتى وقفوا على بـاب حمص ، فظن أهلهـا أنهم لم يـأتوا حمص إلا وقـد صـالحوا أهلهـا ، فقالوا : نحن على ما صالحتم عليه أهل دمشق ففعلوا .

وعن عقبة بن عامر الجهني أنه قال :

بعثني بعض أمراء الشام إلى عمر بن الخطاب فقدمت عليه في يوم الجمعة ، وعليّ خفـان فقال : متى أولجت خفيّك ؟ قال : قلت له : يوم الجمعة الخاليـة ، قـال : ثم لم تنزعهمابعـد ؟ قال : قلت : ثم لم أنزعهما بعد . قال : أصبت .

قال ليث :

وذلك رأينا .

وفي رواية أخرى :

فقال عمر : أصبت السُنة .

وعن عبد الرحمن بن جبير :

أن المسلمين لما افتتحوا مدينة دمشق بعثوا أبا عبيدة بن الجراح وافداً إلى أبي بكر ومبشراً بالفتح ، فقدم المدينة فوجد أبا بكر قد توفي رحمة الله عليه واستخلف عمر بن الخطاب ، فأعظم أن يأتمر أحد من أصحابه عليه ، فولاه جماعة الناس ، فقدم عليهم فقالوا : مرحباً بمن بعثناه بريداً فقدم علينا أميراً .

وقال مكحول :

إن الذي أبرد بفتح دمشق رجل من الصحابة ليس بأبي عبيدةبل هو عقبة بن عامر . وهو أصح وعليه الناس .

قال : وفي حديث عبد الرحمن [٨٢ / أ] بن جبير خطأ في مواضع ثلاثة : أحدها قوله : إن دمشق فتحت في خلافة أبي بكر ، وإنما حوصرت في حياته ، ولم تفتح إلا بعد وفاته . والثاني قوله : إن عمر ولى أبا عبيدة بالمدينة . وإنما ولاه وهو مقيم بالشام . فبعث إليه بكتاب توليته وهم محاصرو دمشق ، فكتمه أبو عبيدة خالداً حتى تم الفتح . والثالث قوله : إن أبا عبيدة كان البريدَ بفتح البلد ، وإنما كان البريدَ عقبةُ بن عامر . ويدل عليه أيضاً إجماع أهل التواريخ على أن فتح دمشق كان سنة أربعَ عشرةَ ، وبلا خلافٍ إن أبا بكر توفي سنة ثلاث عشرة في جمادى الآخرة . والله أعلم .

وعن المغيرة قال :

افتتح شرحبيل بن حسنة الأردن كلَّها عَنوة ما خلا طبرية ، فإن أهلها صالحوه وذلك بأمر أبي عبيدة . وبعث أبو عبيدة خالد بن الوليد فغلب على أرض البقاع ، وصالحه أهل بعلبك وكتب لهم كتاباً .

وقال المغيرة :

صالحهم على أنصاف منازلهم وكنائسهم ووضع الخراج .

وقال ابن إسحاق وغيره :

في سنة أربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صلحاً على يدي أبي عبيدة في ذي العقدة .

قال شباب :

ويقال في سنة خمس عشرة .

ذكر تاريخ وقعة اليرموك ومن قُتل بها

تواردت الروايات أن وقعة اليرموك في سنة خمس عشرة .

وقال ابن الكلبي :

كانت يوم الاثنين لخمس مضين من رجب .

وهذه الأقوال هي المحفوظة في تاريخ اليرموك .

وقال سيف بن عمر :

إنها كانت قبل فتح دمشق ، في أول خلافة عمر سنة ثلاث عشرة . ولم يتابَع على ذلك .

وشهد اليرموك ألف رجل من أصحاب رسول الله ﷺ . منهم نحو من مئة من أهل بدر .

وقال سعيد بن عبد العزيز :

إن المسلمين كانوا أربعة وعشرين ألفاً . وعليهم أبو عبيدة بن الجراح . والروم عشرون ومئة ألف ، عليهم باهان وسقلان يوم اليرموك .

[٨٢ / ب] وعن كعب قال :

إن لله عزّ وجلّ في اليمن كنزين جاء بأحدهما يوم اليرموك ، قال : وكانت الأردن يومئذ ثلث الناس . ويجيء بالآخر يوم الملحمة الكبرى سبعون ألفاً ، حمائلُ سيوفهم المسد .

قال محمد بن إسحاق :

مات المثنى بن حارثة فتزوج سعد امرأته سَلمى بنة حفص في سنة أربع عشرة . وأقامَ تلك الحجّة للناس عمر بن الخطاب . ودخل أبو عبيدة في تلك السنة دمشق فشتا بها . فلما ضاقت الروم سار هرقل في الروم حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام وبَلْقَين

وبَلِيّ وعاملة ، وتلك القبائل من قضاعة وغسان بشر كثير ، معه من أهل أرمينية مثل ذلك بشر كثير . فلما نزلها أقام بها . وبعث الصقلانَ ، خصياً له ، فسار في مئة ألف مقاتل ، معه من أهل أرمينية اثنا عشر ألفاً عليهم جرجة ، ومعهم من المستعربة من غسان وتلك القبائل اثنا عشر ألفاً ، عليهم جبلة بن الأيهم الغساني ، وسائرهم من الروم وعلى جملة الناس الصقلانُ ، خصيٌّ هرقل . وسار المسلمون إليهم وهم أربعة وعشرون ألفاً ، عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة ، فاقتتل الناس قتالاً شديداً حتى دخل عسكر المسلمين وقاتل نساء من قريش بالسيوف حتى دخل العسكر ، منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام حتى سايفن[1] الرجال .

وعن عبد الرحمن بن جبير

أن أمراء الأجناد اجتمعوا في خباء يزيد بن أبي سفيان وهم بالجابية يسمعون خبر عَيْن لهم من قضاعة يخبرهم بكثرة القوم ومنزلهم على نهر الرقاد ومرج الجولان إذ طاف بهم أبو سفيان فقال : ما كنت أظن أني أبقى حتى أرى غَلَمة من قريش يذكرون أمر حربهم ويكيدون عدوّهم بحضرتي لا يُحضرونيه ، فقالوا : هل لكم إلى رأي شيخكم ؟ فقالوا : ادخل أبا سفيان ، فدخل فقال : ما عندكم ؟ فأخبروه بخبر [٨٣ / أ] القضاعي فقال : إن معسكركم هذا ليس بمعسكر إني أخاف أن يأتيكم أهل فلسطين والأردن فيحولوا بينكم وبين مددكم من المدينة فتكونوا بين عسكرهم ، فارتحلوا حتى تجعلوا أذرعات خلف ظهوركم ، يأتيكم المدد والخير ، فقبلوا ذلك من رأيه . فقال : إذ قبلتم هذا من رأيي فأمّروا خالد بن الوليد على الخيول ومُروه بالوقوف بها مما يلي الرقاد وأمّروا رجلاً على المرامية ، وأخرجوا إليه كل نابض بوتر ومُروه بالوقوف فيما بين العسكرين وبين الخيول ، فإنه سيكون لرحيل العسكر من السَّحَر أصوات عالية تحدث لعدوكم فيكم طمعاً ، فإن أقبلوا يريدون ذلك لقيتهم الخيول فكفتها . وإن كانت للخيول جولة وَزّعت عنها المرامية ، فقبلوا ذلك من رأيه . ونادوا من السحر بالرحيل ، فتنادت الروم إن العرب قد هربت ، فأقبلت فلقيتها الخيول وكفتها حتى سار العسكر وتبعتها المرامية وساقتها الخيول حتى نزلوا خلف اليرموك ، وجعلوا أذرعات خلف ظهورهم ، ونزلت الروم فيما بين دير أيوب إلى ما يليها من نهر اليرموك ، بينهم النهر ، فعسكروا هنالك أياماً ، فبعث باهان صاحبُهم إلى خالد بن الوليد

(١) سايفوا واستافوا : تضاربوا بالسيوف . القاموس : « سيف »

إن رأيتَ أن تخرج إليّ في فوارس وأخرج إليك في مثلهم أذاكرك أمراً لنا ولكم فيه صلاح وخير ، ففعل خالد بن الوليد فوافقه ملياً فكان فيما عرض عليه أن قال : قد علمت أن الذي أخرجكم من بلادكم غلاء السعر وضيق الأمر بكم وإني قد رأيتُ أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وراحلة ، تحمل حملها من الطعام والكسوة والأُدْم ، فترجعون بها إلى بلادكم ، وتعيّشون بها أهاليكم سَنَتكم هذه ، فإذا كان قابل بعثتم إلينا فبعثنا إليكم بمثله ، فإنا قد جئناكم من الجيوش والعدد بما لا قبل لكم به . فقال خالد : ما أخرجنا من بلادنا الجوع ولا ضيق الأمور [٨٣ / ب] ولكنا ـ معشر العرب ـ نشرب الدماء ، فحُدثنا ألا دماء أحلى من دماء الروم ، فأقبلنا نُهريق دماءكم ونشربها . قال : فنظر أصحابه بعضهم إلى بعض فقالوا : هذا ما كنا نُحدَّث به عن العرب من شربها الدماء .

قالوا :

ثم زحف يعني باهان إلى المسلمين ، فخرج بهم أبو عبيدة وقد جعل على ميمنته معاذ بن جبل ، وعلى ميسرته قباثة بن أسامة[1] الكناني ، وعلى الرجّالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى الخيل خالد بن الوليد . وكان الأمراء عمرو بن العاص على ربع ، ويزيد بن أبي سفيان على ربع ، وشرحبيل بن حسنة على ربع ، وكان أبو عبيدة على ربع . وخرج الناس على راياتهم فيها أشراف رجال من العرب ، فيها الأزد وهم ثلث الناس ، وفيها حمير وهمدان ومذحج وخولان وخثعم ، وفيها كنانة وقضاعة ولخم وجذام وكندة وحضرموت ، وليس فيها أسد ولا تميم ولا ربيعة ، ولم تكن دارهم ، إنما كانت دارهم عراقية . فقاتلوا أهل فارس بالعراق . فلما برزوا لهم وسار أبو عبيدة بالمسلمين وهو يقول : عباد الله ، انصروا الله ينصركم ، وُيثبّت أقدامكم ، يا معشر المسلمين ، اصبروا فإن الصبر منجاة من الكفر ومرضاة للرب ، ومدحضة للعار . ولا تبرموا مصافكم ، ولا تخطوا إليهم خطوة ، ولا تبدؤوهم بالقتال ، وأشرعوا الرماح ، واستتروا بالدَّرَق ، والزموا الصمت إلا من ذكر الله عزّ وجلّ في أنفسكم حتى آمركم إن شاء الله .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي الإصابة ٣ / ٢٢١ والاستيعاب ج٣ : « قَبَاث بن أَشْيَم بن عامر بن الملوّح الكناني . وقَبَاث بفتح القاف موافق لما في اللسان والقاموس : « قبث » . قال الأخير : « قَباث ، كسحاب ، ابن أَشْيَم صحابي » . وهو في الإكمال ٧ / ٩٣ « بقاف مضمومة » وانظر حاشيتي الإكمال ١ ، ٢ من الصفحة نفسها .

قالوا :

وخرج معـاذ بن جبـل على النـاس فجعـل يـذكرهم ويقـول : يـا أهـل القرآن ، ومستحفظي الكتـاب ، وأنصـار الهدى والحق ، إن رحمة الله لا تنـال وجنّتـه لا تـدخل بالأماني ، ولا يؤتي الله المغفرة والرحمة الواسعة إلا للصـادق والمصـدّق ألم تسمعوا لقول الله عزّ وجلّ ﴿ وَعَدَ اللّهُ الّذين آمنُوا منْكُمْ وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ﴾[1] إلى آخر الآية . فـاستحيوا رحمكم الله من ربكم أن يراكم [٨٤ / أ] فرّاراً عن عـدوكم وأنتم في قبضتـه ، وليس لكم مُلتحـدٌ من دونـه ، ولا عزّ بغيره . يمشي في الصفوف ويـذكرهم ، حتى إذا بلغ من ذلـك مـا أحبّ ورأى من الناس الذي سرّه بهم ، ثم حرّضهم ، وانصرف إلى موقفه رحمه الله .

وسار في الناس عمرو بن العاص وهو أحد الأمراء كمسير أخيه معـاذ بن جبل ، فجعل يحرضهم ويقول : يا أيهـا المسلمون ، غضوا الأبصـار واجثوا على الركب ، وأشرعوا الرمـاح ، فـإذا حملوا عليكم فـأمهلوهم حتى إذا ركبـوا أطراف الأسنـة فثبـوا في وجـوههم وثبـة الأسـد ، فوالذي يرضى الصدق ويثيب عليه ، ويمقت الكذب ويجزي بالإحسان إحسـانـاً لقـد سمعت أن المسلمين سيفتحونهـا كَفْراً كفراً ، وقصراً قصراً ، فلا يَهُولَنكم جموعهم ولا عـددهم ، فـإنكم لو صدقتموهم الشدّ تطايروا تطاير أولاد الحجل . قالوا : ثم رجع فوقف في موقفه معهم أيضاً .

قالوا :

ثم رجع أبو سفيـان بن حرب وهو متطوع يومئـذ ، إنمـا استـأذن أمير المـؤمنين عمر أن يخرج متطوعاً مدداً للمسلمين متطوعين ، فجعل الله في مخرجه بركة ، فسـار في صف المسلمين وهو يقول : يـا معشر المسلمين ، أنتم العرب وقـد أصبحتم في دار العجم منقطعين عن الأهـل نائين عن أمير المؤمنين وإمداد المسلمين ، وقد والله أصبحتم بـإزاء عـدوّ كثيرٍ عـدده ، شـديـدٍ عليكم حَنَقـه ، وقـد وَتَرتُموهم في أنفسهم وبلادهم ونسـائهم ، والله لا ينجيكم من هؤلاء القـوم ولا يبلغ رضوان الله غداً إلا بصدق اللقاء والصبر في المواطن المكروهة ، ألا إنها سنة لازمـة ، وإن الأرض وراءكم وبينكم وبين أمير المؤمنين وجماعـة المسلمين صحـارى وبراري ليس لأحـد فيهـا معقل ولا معقول إلا الصبر ورجـاءً مـا وعـد الله فهو خير معقول ، فـامتنعوا بسيوفكم ، وتعاونوا بها ولتكن هي الحصون .

---

(١) سورة النور ٢٤ / ٥٥

قالوا :

ثم رجع أبو سفيان إلى النساء اللواتي مع المسلمين ، وكان كثير من المهاجرات قد حضرن يومئذ مع [٨٤ / ب] أزواجهن وأبنائهن فأجلسهنّ خلف صفوف المسلمين وأمر بالحجارة فأُلقيت بين أيديهن ، ثم قال لهن : لا يرجع إليكُنّ أحد من المسلمين إلا رميتُنّه بهذه الحجارة وقلتُن : من يرجوكم بعد الفرار عن الإسلام وأهله وعن النساء بأرض العدو ؟ فالله الله .

قال : ثم رجع أبو سفيان فنادى المسلمين فقال : يا معشر أهل الإسلام حضر ما ترون ، فهذا رسول الله ﷺ والجنة أمامكم ، والشيطان والنار خلفكم ثم وقف موقفه .

قالوا : وزحفت الروم مكانها إلى المسلمين يدفّون دفيفاً معهم الصلبان وأقبلوا بالأساقفة ، والقسيسين والرهبان والبطارقة ، لهم زجل كزجل الرعد وقد تبايع عظماؤهم على الموت ، ودخل منهم ثلاثون ألفاً ، كل عشرة في سلسلة لئلا يفرّوا .

قالوا :

فلما نظر إليهم خالد مقبلين أقبل يركض حتى قطع صف المسلمين إلى نساء المسلمين وهنّ على تل مرتفع من العسكر حيث وضعهن أبو سفيان فقال : يا نساء المسلمين ، أيّما رجل أقبل إليكن منهزماً فاقتلنه . ثم انصرف . فأتى أبا عبيدة فقال : إنّ هؤلاء قد أقبلوا بعدة زجل وفرح ، وإن لهم عدّة لا يردها شيء وليست خيلي بالكثيرة ، ولا والله لا قامت خيلي لشدة خيلهم ورجالهم أبداً . وخيله يومئذ أمام صفوف المسلمين ثلاثة . فقال خالد : قد رأيت أن أفرق خيلي فأكون في إحدى الخيلين ، وقيس بن هبيرة في الخيل الأخرى ثم تقف خيلنا من وراء الميمنة والميسرة ، فإذا حُمل على الناس ثبت الله أقدامهم . وإن كانت الأخرى حملنا خيولنا عليهم وهي جامّة[1] . وهم قد انتهت شدتهم وتفرقت جماعتهم فأرجو عندها أن يُظفر الله بهم ويجعل الدائرة عليهم . وقد رأيت أن يجلس سعيد بن زيد مجلسك هذا وتقف من ورائه بحذائه في مئتين أو ثلاث مئة يكون للناس ردءاً .

قالوا :

فقبل أبو عبيدة [٨٥ / أ] مشورته وقال : افعل ما أراك الله ، وأنا فاعل ما أردتَ . فأجلس أبو عبيدة سعيدَ بن زيد مكانه وفعل ما أمره به خالد ، فركب فرسَه وأقبل

---

(١) جامة : مستريحة . اللسان والنهاية « جمم » .

يسير في النـاس ويحرضهم ويوصيهم بتقوى الله والصبر ، ثم انصرف ، فوقف من خلف النـاس ردءاً لهم .

قيل :

إن رجلاً من المسلمين أقبل يومئذ عند وصاة أبي عبيدة هذه . فقال له : إني قـد أردت أن أقضي شأني فهل لك إلى رسول الله ﷺ حـاجـة ؟ فقـال لـه أبو عبيـدة نعم : تقرئـه مني السلام وتخبره أنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً . ثم تقدم الرجل فكان أولَ من استشهد رحمـة الله عليه .

قال :

وأقبلت الروم إليهم كأنها سحـابـة منقضـة إلى المسلمين حتى دنـا طرفُهم من ميمنـة المسلمين . قال : فبرز معاذ بن جبل فنـادى المسلمين : يـا معشر أهل الإسلام إنهم قـد تهيّؤوا للشدة ، ولا والله لا يردهم إلا الصدق عند اللقاء والصبر عند القراع .

قالوا :

ثم نزل عن فرسه فقال : من يريـد فرساً يركبـه ويقـاتل عليـه ؟ قـال : فوثب ابنـه عبد الرحمن وهو غلام حين احتلم فأخذه ، فقال : يا أبه إني لأرجو أن لا يكون فارساً أعظم غناء في المسلمين مني فارسٌ ، وأنت يا أبه راجل أعظم غناء منك فـارس . الرجّـالـة هم عظم المسلمين ، فإذا رأوك حافظاً مترجّلاً صبروا إن شاء الله وحافظوا . قـال : فقـال أبوه : وفقني الله وإياك يا بني . قال : ثم إن الروم تداعوا وتحاضّوا وذكّرهم الأساقفـة والرهبـان . قـال : فجعـل معـاذ إذا سمع كـلامهم يقـول : اللهم زلـزل أقـدامهم وأرعب قلـوبهم ، وأنـزل علينـا السكينة وألزمنا كلمة التقوى وحبّب إلينا اللقاء ورضّنا بالقضاء .

قال :

وخرج باهان صاحب الروم فجـال فيهم حتى وقف وأمرهم بـالصبر والقتـال دون ذراريهم وأمـوالهم وسلطـانهم . ثم بعث إلى صـاحب الميسرة أن احمـل وهـو الـدرنيجـان [٨٥ / ب] وكان عدو الله متنسّكاً . فقال للبطارقة والرؤوس الـذين معـه : قـد أمركم أميركم أن تحملوا . قال : فتهيأت البطارقة فشدت على الميمنة وفيها الأزد ومـذحج وحضرموت وحمير وخولان ، فثبتوا حتى صدقوا أعداء الله فقاتلوهم قتـالاً شـديـداً طويلاً . ثم إنـه ركبهم من الروم أمثـال

الجبال . فزال المسلمون من الميمنة إلى ناحية القلب وانكشف طائفة من الناس إلى العسكر ، وثبت صدر من المسلمين عظيم يقاتلون تحت راياتهم ، وانكشفت زَبيد يومئذ وهي في الميمنة ، وفيهم الحجاج بن عبد يغوث ، فتنادوا فترادّوا واجتمعوا جميعاً . واجتمعوا وهم خمس مئة رجل فشدوا شدة نهنهوا مَن قِبلهم من الروم وشغلوهم عن اتباع من انكشف من الميمنة ، وترادّ أيضاً جماعة من الميمنة المتحيزة ، فشدت حمير وحضرموت وخولان بعد ما زالوا حتى وقفوا مواقفهم في الصف ، واستقبل النساء سُرعان من انهزم من المسلمين ، معهن عمد البيوت وأخذن يضربن وجوههن ويرمين بالحجارة ، فترادّ الناس وثبت النساء على مواقفهن ، واستحرّ القتال في الأزد فأصيب منهم ما لم يقتل من القبائل ، وقتل يومئذ عَمرو بن الطفيل الدّوسي ، وحقق الله رؤيا والده الطفيل رحمه الله ، فإنه رأى يوم مسيلمة أن امرأة لقيته ففتحت له فرجها فدخله ، وطلبه ابنه هذا وحبس عنه . فقال : أولت رؤياي أن أقتل ، وإن المرأة التي أدخلتني في فرجها الأرضُ ، وإن ابني ستصيبه جراحه ويوشك أن يلحقني . فقتل هذا يوم اليرموك وهو يقول : يا معشر الأزد ، لا يؤتَيَن المسلمون مِن قبلكم . فقاتل حتى قتل . وثبت جندب بن عمرو بن حُممة ، وقاتل حتى قتل .

وبرز أبو هريرة إلى الأزد يعاونها ، وهو أحد الرؤوس من الأزد ، وأطافت به الأزد ، ثم اضطربوا حتى صارت الروم تجول في مجال واحد ، كما تدور الرحى .

[٨٦ / أ] قالوا :

ولقلّما رأى يوماً أكثر قحفاً ساقطاً ومعصماً نادراً ، وكفاً طائرة من ذلك الموطن . والناس يضطربون تحت القسطل . قالوا : وجل القبائل في الميمنة حتى القلب . قالوا : والقلب في نحو مافيه الميمنة .

قالوا :

وحمل عليهم خالد بن الوليد على الميسرة التي دخلت العسكر واضطرت ميمنة المسلمين إلى القلب ، فصارت الميمنة والقلب شيئاً واحداً ، فقَتَل هو وخيله نحواً من ستة آلاف . ودخل سائرهم بيوت المسلمين في العسكر مجرّحين . وخرج خالد بن الوليد في خيله يطرد مَن كان من الروم قريباً من العسكر حتى إذا أرادوا أن يكروا به نادى عند ذلك : يا أهل الإسلام ، لم يبق عند القوم من الجلد والقتال إلا ما رأيتم ، الشدّة الشدّة ، فوالذي نفسي

بيده ، إني لأرجو أن يمنحكم الله أكتافهم . قالوا : فاعترض صفوف الروم وإنّ في جانبه الذي يستقبل لمئـةَ ألفٍ من الروم ، فحمل عليهم ، ومـا هو إلا في نحوٍ من ألف فـارس . قـالـوا : فـوالله مـا بلغتهم الحملـة حتى فضّ الله جمعهم ، وشـدّ المسلمـون على مَن يليهم من رجـالهم فانكشفوا وأتبعهم المسلمون مـا يمتنعون من قتل ميمنتهم ولا ميسرتهم . ثم إن خـالـداً انتهى في تلك الحملة إلى الدرنيجان ، وقد قال لأصحابه : لفّوني في الثيـاب ، فلُفّ في الثيـاب وقـال : وددت أنّ الله كان عـافـاني من حرب هـؤلاء القـوم فلم أرهم ولم يروني ، ولم أُنصر عليهم ولم يُنصروا علي . وهـذا يوم شَرٌّ . ولم يقـاتل حتى غشيـه القوم فقتلوه . قـالـوا : وقـال : أيضـاً قَبـاطر وهو في ميمنـة الروم لجرجين صـاحب أرمينيـة : احمل ، فقـال لـه : أنت تـأمرني أن أحمل ، وأنا أمير مثلك ؟ فقال لـه قُبـاطر : أنت أمير وأنـا أمير ، وأنـا فوقـك ، وقـد أُمرتَ بطاعتي ، فاختلفا ، ثم إن قُباطر حمل حملةً شديدةً على كنانة وقيس وخثعم وجذام وقضاعـة وعاملـة وغسـان ، وهم فيا بين ميسرة المسلمين [٨٦ / ب] إلى القلب ، فكَشفوا المسلمين وزالت الميسرة عن مصافّهـا ، وثبت أهل الرايـات ، وأهل الحفـائـظ فقـاتلوا ، وركبت الروم أكتـاف مَن انهزم حتى دخلوا معهم العسكر ، فاستقبلهم نسـاء المسلمين بعمـد الفسـاطيـط يضربن بهـا وجـوههم ويرمينهم بـالحجـارة ويقلن : أين أين عـزُّ الإسـلام والأمهـات والأزواج . قـال : فتعطّف هؤلاء الذين انهزموا إلى المسلمين ، وتنادى الناس بالحفـائـظ والصبر وشـد قبـاثـة بن أسامة فقاتل قتالاً شديداً وكسر في القوم ثلاثة أرماح يومئذ وقطع سيفين ، وأخذ يقول كلما قطع سيفاً أو كسر رمحاً : مَنْ يُعير سيفاً أو رمحاً في سبيل الله رجلاً قد حبس نفسه مع أولياء الله ، قـد عـاهـد الله ألا يفرّ ولا يبرح حتى يقـاتل المشركين حتى يظهر المسلمون أو يموت ؟ فكان من أحسن الناس بلاء في ذلك اليوم .

ونزل أيضـاً أبو الأعـور السلمي فحرّض على القتـال ، ثم إن النـاس حيزوا إلى القلب . وفي القلب سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل حيث وضعـه أبو عبيـدة بن الجراح . فلما نظر سعيد إلى الروم وخافهم اقتحم إلى الأرض وجثـا على ركبتيـه حتى إذا دنوا منـه طعن برايتـه أول رجل من القوم ثم ثار في وجوههم كأنه الليث فأخذ يقاتل ويعطف الناس إليه .

قالوا :

وكان يزيد بن أبي سفيان يومئذ من أعظم الناس غَنـاء . وكان ممـا يلي القلب . وشـدّ

طرف من الروم على عمرو بن العاص . فانكشف هو وأصحابه حتى دخلوا أول العسكر وهم في ذلك يقاتلون ويشدون ولم ينهزموا هزيمة ولوّا فيها الظهر .

قال :

فنزلتِ النساء من التلّ بعمدهن يضربن وجوه الرجال ونادت الناسَ ابنةُ العاص وقالت : قَبّح الله رجلاً يفرّ عن حليلته ، وقبح الله رجلاً يفرّ عن كريمته ، قالوا : وسُمع نسوة من نساء المسلمين يقلن : ولستم بعولتنا إن [٨٧ / أ] لم تمنعونا .

قال :

فَتَرَادّ المسلمون وزحف عمرو وأصحابه حتى عادوا إلى قريب من موقفهم . وقاتل أيضاً شرحبيل بن حسنة في ربعه الذي كان فيه . وكان وسطاً من الناس إلى جنب سعيد بن زيد ، وانكشف عنه أصحابه فثبت وهو يقول : ﴿ إنّ اللهَ اشترى من المؤمنين أنفُسَهُم وأموالَهُمْ بأنّ لَهُمُ الجنة ﴾[1] . أين الشارو أنفسهم لله ابتغاء مرضاة ربهم ، وأين المشتاقون إلى جوار الله في داره ؟ قالوا : فرجع إليه ناس كثير وبقي القلب لم ينكشف أهله للمكان الذي كان فيه سعيد بن زيد . وكان أبو عبيدة من وراء ظهره ردءاً له وللمسلمين .

قالوا :

فلما رأى قيس بن هبيرة خيل المسلمين وراء صفّهم مما يلي ميسرة المسلمين ، وأن المسلمين قد دخلت ميسرتهم العسكر وأن الروم قد صمدت لهم ، اعترض الرومَ بخيله تلك ينتظر خيل خالد بن الوليد ، فتعطّف بعضهم إلى بعض ورجع المسلمون في آثارهم فقاتلوهم ، وحمل على من يليه من الروم ، وهو في ميمنة المسلمين حتى اضطروهم إلى صفوفهم . فلما رأى خالد بن الوليد أن قيس بن هبيرة قد كشف من يليه وأن المسلمين قد رجعت راجعتُهم إلى المسلمين حمل على من يليه من الروم فتعطّف بعضهم على بعض ، وزحف المسلمون إليهم رويداً حتى إذا دنَوا منهم إذا هم ينتقضون ، فبعث أبو عبيدة عند ذلك إلى سعيد بن زيد أن شُد عليهم . وشَدّ المسلمون بأجمعهم شدّة واحدة وأظهروا التكبير ، ثم صكوهم صكة واحدة فطعنوا بالرماح وضربوا بالسيوف ، وأنزل الله تعالى نصره . وما وعد

---

(١) سورة التوبة ٩ / ١١١

نبيه ﷺ ، فضرب الله وجوه أعدائه ومنح أكتافهم ، وأنزل الله تعالى ملائكة يضربون وجوههم حتى ولَّوا المسلمين أكتافهم .

وقال سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال :

لما جلنا هذه الجولة سمعنا صوتاً قد كاد يملأ العسكر يقول : يا نصر الله اقترب ، الثبات الثبات يا معشر المسلمين ، فتعطّفنا عليه فإذا هو أبو سفيان بن حرب تحت راية ابنه ، [٨٧ / ب] وشدّ خالد في سُرعان الناس معه يقتلون كل قتلة ، وركب بعضهم بعضاً حتى انتهَوا إلى مكان مشرف على أُهْوِيَّة فأخذوا يتساقطون فيها ، وهم لا يبصرون ، وهو يومٌ ذو ضباب . وقيلَ : كان ذلك في الليل . فأخذ آخرهم لا يعلم ما يلقى أولُهم ، يتساقطون فيها حتى سقط فيها نحو من ثمانين ألفاً فما أحصوا إلا بالقصب .

وبعث أبو عبيدة شداد بن أوس ابن أخي حسان بن ثابت بعدهم ، بعد ذلك اليوم بيوم واحد ، فوجد مَن سقط في تلك الأهوية حتى عدّهم بالقصب ثمانين ألفاً ، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً ، وسُمّيت تلك الأهوية الواقوصة من يومئذ حتى اليوم لأنهم وقصوا فيها ، وأخذوا وجهاً آخر ، وقتل المسلمون في المعركة بعدما أدبروا ما لا يحصى . وغلبهم الليل فبات المسلمون . فلما أصبحوا نظروا فإذا هم لا يرون في الوادي شيئاً ، فقالوا : كَمَن أعداءُ الله لنا ، فلما بعثوا الخيول في الوادي تنظر هل لهم من كمين أونزلوا بوطاء من الأرض ، فإذا الرعاة يخبرونهم أنهم قد سقطوا في الواقوصة . فسألوا عن عُظم الروم فقالوا : قد ترحل منهم البارحة نحو من أربعين ألفاً . ثم اتبعهم خالد بن الوليد على الخيل فقتلهم حتى مرّ بدمشق فخرج إليه رجال من أهل دمشق فاستقبلوه ، فقالوا : نحن على عهدنا الذي كان بيننا وبينكم فقال لهم : نعم أنتم على عهدكم ، ثم اتبعهم فقتلهم في القرى وفي كل وجه ، حتى قدم دمشق فخرج إليه أهلها فسألوه التمام على ما كان بينهم ففعل ، ومضى خالد يطلب عُظم الناس حتى أدركهم بثنية العُقاب وهو يهبط الهابط المغرّب منها إلى غوطة ، يدرك عظم الناس حتى أدركهم بغوطة دمشق . فلما انتهَوا إلى تلك الجماعة من الروم ، وأقبلوا يرمونهم بالحجارة من فوقهم فتقدم إليهم الأشتر وهو في رجال من المسلمين [٨٨ / أ] فإذا أمامهم رجلٌ من الروم جسيمٌ عظيم ، فمضى إليه حتى وثب عليه فاستوى هو والرومي على صخرة مستوية فاضطربا بسيفهما فأطنّ الأشترُ كفَّ الرومي ، وضرب الرومي الأشتر بسيفه فلم يضره ، واعتنق كل واحد منهما صاحبه فوقعا على الصخرة ثم انحدرا وأخذ الأشتر يقول وهو في ذلك ملازم العلج

لا يتركه : ﴿ قُلْ إنّ صلاتي ونُسُكي ومحيايَ ومماتي للهِ ربِّ العالَمين ، لا شريك لَهُ وبذلك أُمِرْتُ وأنا مِنَ المُسْلِمين ﴾[1] . فلم يزل يقول ذلك حتى انتهى إلى مستوًى في الجبل وقرار . فلما استقرّ وثب على الرومي فقتله وصاح في الناس أن جوزوا .

قال :

فلما رأت الروم أن صاحبهم قد قُتل خلّوا الثنيّة وانهزموا . وكان الأشتر ذا بلاء حسن في اليرموك . قالوا : لقد قتل ثلاثة عشر . فركب خالد والمسلمون الثنيّة ، ثم انحطوا مشرّقين وأنكوا في سائر البلاد يطلبون أعداء الله في القرى والجبال ، حتى وصلوا إلى حمص فخرج إليهم أهل حمص يسألونهم التام على عهدهم وعقدهم وحريتهم ، ففعل بهم خالد ما فعل بأهل دمشق ، وأقام بها ينتظر رأي أبي عبيدة ، ولما سار خالد بن الوليد من اليرموك في إثر من انهزم وقع أبو عبيدة في دفن المسلمين حتى غيّبهم وكفاه دفن الكفار بالواقوصة التي وقعوا فيها ، وقد كان مما يعملون أن يدفِنوا الكفار بعد ما يدفِنون المسلمين فكفاه الله الكفار بالواقوصة التي وقعوا فيها . فكتب أبو عبيدة إلى عمر بن الخطاب يصف له أمرهم .

وكان أبو بكر قد سمّى لكل أمير من أمراء الشام كورة ، فسمى لأبي عبيدة بن عبد الله بن الجراح حمص ، وليزيد بن أبي سفيان دمشق ، ولشرحبيل بن حسنة الأردن ، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مجزز فلسطين ، فإذا فرغا منها ترك علقمة وسار إلى مصر . فلما شارفوا الشام دهم كلَّ أمير منهم قوم كثير ، وأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد [٨٨ / ب] وأن يلقوا جمع المشركين بجمع المسلمين .

قالوا :

ولما رأى المسلمون خيل الروم قد توجهت للهرب أفرجوا لها ولم يُحرجوها ، فذهبت فتفرقت في البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على الرَّجْل يفضّهم ، فكأنما هدم بهم حائطاً فاقتحموا في خندقهم ، واقتحموا عليهم فعمدوا إلى الواقوصة حتى هَووا فيها ، المقترنون وغيرهم ، فمن صبر للقتال هوى به من جشعت نفسه فيهوي الواحد بالعشرة ولا يطيقونه ، وكلما هوى اثنان كان البقية عنهم أضعف ، وكان المقترنون أعشاراً فتهافَتَ في الواقوصة عشرون ومئة ألف ، ثمانون ألف مقترن وأربعون ألف مطلق ، سوى مَن قُتل في المعركة ،

---

(١) سورة الأنعام ٦ / ١٦٢

من الخيل والرَّجْل ، فكان سهم الفارس يومئـذ ألفـاً وخمس مئـة وتجلل القيقـاز وأشراف من أشراف الروم برانسهم ، وجلسوا وقـالوا : لا نحبّ أن نرى يـوم السـوْء إذا لم نستطـع أن نرى يوم السرور ، وإذا لم نستطع أن نمنع النصرانية فأصيبوا في تزمّلهم .

قـالوا : وكان الكافرون أربعين ومئتي ألف ، منهم ثمـانون ألف مقيّـد ، وأربعـون ألف مُسلسَل للموت ، وأربعون ألف مربوط بالعمائم ، وثمانون ألف فـارس ، وثمـانون ألف راجل . والمسلمون سبعـة وعشرون ألفـاً ممن كان مقيمـاً . إلى أن قـدم عليهم خـالـد في التسعـة آلاف ، فصـاروا ستـة وثلاثين ألفـاً ، وفتح الله على المسلمين آخر الليـل ، وقتلـوهم حتى الصبـاح ، ثم أصبحوا فاقتسموا الغنائم ، ودفنوا قتلى المسلمين ، وبلغوا ثلاثة آلاف ، وصلى كل أمير قوم على قتلاهم .

ذكر تاريخ قدوم عمر الجابية

قال يزيد بن عبيدة :

فُتحت بيت المقدس سنة ست عشرة . وفيها قدم عمر بن الخطاب [٨٩ / أ] الجابية .

وقال الوليد بن مسلم :

ثم عاد في العام المقبل ، يعني سنة ثمان عشرة ، حتى أتى الجابية ، يعني بعد عوده من سَرْغ سنة سبع عشرة ، فاجتمع إليه المسلمون ، فدفع إليه أمراء الأجناد ما اجتمع عندهم من الأموال ، فجند ومصّر الأمصار ثم فرض الأعطية والأرزاق ثم قفل إلى المدينة .

وقال عبد الله بن صالح في حديثه :

إن عمر قدم الجابية سنة ثمان عشرة . قال : وهذا يدل على أن عمر قدم الجابية مرتين .

وعن عبد العزيز بن مروان أنه قال لكريب بن أبرهة :

أحَضرْتَ عمر بن الخطاب بالجابية ؟ قال : لا . قال : فمن يحدّثنا عنها ؟ قال كريب : إن بعثت إلى سفيان بن وهب الخولاني حدّثك عنها ، فأرسل إليه فقال : حدثني عن خطبة عمر بن الخطاب يوم الجابية قال سفيان : إنه لما اجتمع الفيء أرسل أمراء الأجناد إلى عمر بن الخطاب أن يقدم بنفسه فقدم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد . فإن هذا المال نقسِمه على من أفاء الله بالعدل إلا هذين الحيين من لخم وجذام فلا حق لهم فيه ، فقام إليه أبو حُديدة الأجذمي[1] فقال : ننشدك الله يا عمر في العدل . فقال عمر : العدل أريد . أنا أجعل أقواماً أنفقوا في الظهر وشدوا العرض ، وساحوا في البلاد مثل قوم مقيمين في بلادهم ؟ ! ولو أن الهجرة كانت بصنعاء أو بعدن ما هاجر إليها من لخم

(١) في الأصل : « جُديرة » في الموضعين، وانظر الإصابة ٤ / ٤٧

ولا جذام أحد . فقام أبو حُديدة فقال : إن الله وضعنا من بلاده حيث شاء ، وساق إلينا الهجرة في بلادنا فقبلناها ونصرناها ، أفتلك تقطع حقنا يا عمر ؟ ! ثم قال : لكم حقكم مع المسلمين ثم قسم . فكان للرجل نصف دينار . فإذا كانت معه امرأته أعطاه ديناراً . ثم دعا ابن قاطورا صاحب الأرض فقال : أخبرني ما يكفي الرجل من القوم في الشهر واليوم فأتى بالمُدْي[1] والقسْط فقال : يكفيه هذان المُدْيان في الشهر وقِسْط زيت وقسط خلّ . [٨٩ / ب] فأمر عمر بمُدْيَيْن من قمح فطُحنا ثم عجنا ثم أدمها بقِسْطين زيتاً ثم أجلس عليهما ثلاثين رجلاً فكان كفاف شبعهم ، ثم أخذ عمر المُدْيَيْن بيمينه والقسط بيساره ثم قال : اللهم لا أُحلّي لأحد أن يُنقصها بعدي . اللهم فمن ينقصها فأنقص من عمره .

قال الهيثم بن عمر : إني سمعت جدي يقول :

لما وليّ عمر بن الخطاب زار أهل الشام فنزل الجابية ، وكانت دمشق تشتعل طاعوناً ، فهمّ أن يدخلها فقال له أصحابه : أما علمت أن النبي ﷺ قال : إذا حلّ بكم الطاعون فلا تهرُبوا منه ولا تأتوه حيث هو ، وقد علمت أن أصحاب النبي ﷺ الذين معك قرحانون[2] لم يصبهم طاعون قط ، فأرسل عند ذلك رجلاً من جديلة ـ ولم يدخلها هو ـ إلى بيت المقدس فافتتحها صلحاً . ثم أتاها عمر ومعه كعب . فقال : أبا إسحاق ، الصخرة ، أتعرف موضعها ؟ قال : إذْرعْ من الحائط الذي يلي وادي جهنم كذا وكذا ذراعاً وهي مَزْبلة ثم احفر فإنك ستجدها ، فحفروا فظهرت لهم . فقال عمر لكعب : أين ترى أن نجعل المسجد قال : اجعله خلف الصخرة فتجمع القبلتين قبلة موسى وقبلة محمد ﷺ ، فقال : ضاهيت اليهودية والله يا أبا إسحاق ، خير المساجد مقدّمها ، فبناه في مقدم المسجد .

فبلغ أهل العراق أنه زار أهل الشام فكتبوا إليه يسألونه أن يزورهم كما زار أهل الشام ، فهمّ أن يفعل فقال له كعب : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين أن تدخلها . قال : ولم ؟ قال : فيها عصاة الجن وهاروت وماروت يعلّمان الناس السحر . وفيها تسعة أعشار الشر وكل داء مُعضل . فقال عمر : قد فهمت كلّ ما ذكرته غيرَ الداء المعضل ، فما هو ؟ قال : كثرة الأموال هو الذي ليس له شفاء . فلم يأتها عمر .

(١) المُدْي : مكيال لأهل الشام ومصر يسع خمسة عشر مَكّوكاً ، والمكوك : صاع ونصف ، والقسط : نصف صاع . انظر النهاية والقاموس : « مدي » .

(٢) في الأصل « قرحانين » . والمراد أنهم لم يكن أصابهم قبل ذلك داء . انظر النهاية : « قرح » .

ونزل المسلمون الجابية وهم أربعة وعشرون ألفاً فوقع الطاعون فيهم ، فذهب منهم عشرون ألفاً ، وبقي أربعة آلاف فقالوا : هذا [٩٠ / أ] طوفان وهذا رِجْز فبلغ ذلك معاذاً فبعث فوارس يجمعون الناس ، وقال : اشهدوا المدراس اليوم عند معاذ . فلما اجتمعوا قام فيهم فقال : أيها الناس ، والله لو أعلم أني أقوم فيكم بعد مقامي هذا ما تكلفت اليوم القيام لكم . وقد بلغني أنكم تقولون هذا الذي وقع فيكم طوفان ورِجْز ، والله ما هو طوفان ولا رِجز وإنما الطوفان والرِجز كان عَذَّب الله به الأمم ، ولكنها شهادة أهداها الله لكم واستجاب فيكم دعوة نبيكم ﷺ . ألا فمن أدرك خمساً فاستطاع أن يموت فليمت : أن يكفرَ الرجل بعد إيمانه ، وأن يسفك الدم بغير حقه ، وأن يعطى مال الله بأن يكذب أو يفجر ، وأن يظهر التلاعن بينكم ، أو يقول الرجل حين يصبح : والله إن حييت أو مت ما أدري ما أنا عليه .

وقوع هذا الطاعون والوباء مصداق ماروي عن معاذ بن جبل قال : ينزل المسلمون أرضاً يقال لها الجابية أو الجويْبِية فتكثر به أموالهم ودوابّهم ، فيُبعث عليهم جرب كالدّمل تزكو فيه أموالهم وتُستشهد فيه أبدانهم .

وفي رواية : يصيبكم فيه داء مثل غدّة الجمل ، فيستشهد الله به أنفسكم وخياركم فيزكي أبدانكم .

ذكر ما اشترط عند فتح الشام على الذِّمة

عن عبد الرحمن بن غَنْمٍ قال :

كتبتُ لعمر بن الخطاب حين صالح نصارى الشام :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا ، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا وأهل ملتنا ، وشرطنا لكم على أنفسنا ألاّ نحدث في مدينتنا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا قَلِيَّةً ولا صومعة راهب ، ولا نجدد ما خرب منها ولا نحيي ما كان منها من خطط المسلمين ولا نمنع كنائسنا [٩٠ / ب] أن ينزلها أحد من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ، ولا نؤوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً ، ولا نكتم غشاً للمسلمين ، ولا نعلم أولادنا القرآن ، ولا نظهر شركاً ولا ندعو إليه أحداً ، ولا نمنع من ذوي قراباتنا الدخول في الإسلام إن أرادوه ، وأن نوقّر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس ، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر . ولا نتكلم بكلامهم ، ولا نتكنى بكناهم ، ولا نركب السرج ، ولا نتقلد السيوف ، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نحمله معنا ، ولا ننقش على خواتيمنا بالعربية ولا نبيع الخمور ، وأن نجزّ مقادم رؤوسنا ، وأن نلزم زيّنا حيثما كنّا ، وأن نشدّ زنانير على أوساطنا . وألا نظهر الصليب على كنائسنا ، ولا نظهر كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفيّاً ، ولا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من طرق المسلمين وأسواقهم ، ولا نجاورهم بموتانا ، ولا نتخذ من الطريق ماجرى عليه سهام المسلمين ، ولا نطلع عليهم في منازلهم .

فلما أتيتُ عمر بالكتاب زاد فيه : ولا نضرب أحداً من المسلمين . شرطنا لكم ذلك على

أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان . فإن نحن خالَفْنا عن شيء مما شرطناه لكم وضمنّاه على أنفسنا فلا ذمة لنا ، وقد حل لكم منا ما يحلّ من أهل المعاندة في الشقاق .

وفي طريق آخر :

ولا نخرج شعانين ولا باعوثاً ولا نرفع أصواتنا مع أمواتنا ، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين وأسواقهم .

وروى عبد الله بن المغيرة عن أبيه قال :

صالحهم أبو عبيدة على أنصاف كنائسهم ومنازلهم وعلى رؤوسهم ، وألاّ يُمنَعوا من أعيادهم ، ولا يهدمون شيئاً من كنائسهم . صالح على ذلك أهل المدينة وأخذ سائرَ الأرض عَنوة .

وقيل : صالحوهم [٩١ / أ] على من فيها من جماعة أهلها على جزية دنانير مُسمّاة ، لا تزاد عليهم إن كثروا ، ولا تنقص منهم إن قلّوا . وأن للمسلمين فضول الدور والمساكن عنهم ، وأسواقها .

وقال ابن سراقة :

كان في كتاب صلح دمشق : هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق أني أمنتكم على دمائكم وأموالكم ومساكنكم وكنائسكم أن تهدم أو تسكن ما لم تحدثوا حدثاً ، أو تؤووا محدثا مغيلة .

وعن مَسْلَمة بن عبد الله الجهني عن عمه قال :

لما قدم عمر بن الخطاب الشام كان في شرطه على النصارى أن يشاطرهم منازلهم فيسكن فيها المسلمون ، وأن يأخذ الحيز القبلي من كنائسهم لمساجد المسلمين .

وعن سالم عن أبيه

أن عمر بن الخطاب أمر أن تهدم كلّ كنيسة لم تكن قبل الإسلام ، ومنع أن تُحدَث كنيسة ، وأمر ألا يظهر صليب خارجاً من كنيسة إلا كُسر على رأس صاحبه .

وعن أسلم مولى عمر

أن عمر بن الخطاب كتب إلى أمراء أهل الجزية ألا يضعوا الجزية إلا على من جرت أو

مرّت عليه المَواسِي[1] وجزيتهم أربعون درهماً على أهل الورِق منهم ، وأربعة دنانير على أهل الذهب . وعليهم أرزاق المسلمين من الحنطة مُدْيَين وثلاثة أقساط زيت لكل إنسان كل شهر مَن كان من أهل الشام وأهل الجزيرة ، ومَن كان من أهل مصر إردبّ لكل إنسان كل شهر . ومن الوَدك[2] والعسل شيء لم نحفظه ، وعليهم من البزّ التي كان يكسوها أمير المؤمنين شيء لم نحفظه ، ويضيفون من نزل بهم من أهل الإسلام ثلاثة أيام ، وعلى أهل العراق خمسة عشر صاعاً لكل إنسان . وكان عمر لا يضرب الجزية على النساء ، وكان يختم في أعناق رجال أهل الجزية .

[3] وفي حديث آخر :

فلما قدم عمر الشام شكَوا إليه وقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنهم يكلفونا مالا نطيق ، يكلفونا الدجاج والشاء . فقال : لا تطعموهم إلا مما تأكلون مما يحل لهم من طعامكم[3] .

وعن عكرمة

أن ابن عباس سئل : هل للعجم أن يحدثوا في أمصار العرب بنياناً أو شيئاً ، فقال : أيما مصر مصَّرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه كنيسة ، أو قال : بيعة . ولا يضربوا فيه ناقوساً ، ولا يشربوا فيه خمراً ، ولا يدخلوه خنزيراً ، وأيّما مصر مصرّه العجم [٩١ / ب] ففتحه الله على العرب ، فللعجم ما في عهدهم ، وعلى العرب أن يفُوا لهم بعهدهم .

وعن عبد الله بن عمر

أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قضى على أهل الذمة بضيافة ثلاثة أيام للمسلمين ما يصلحهم من طعام وعلف دوابّهم .

قال الأوزاعي :

كتب عمر بن الخطاب في أهل الذمة أنّ مَن لم يُطق منهم فخفِّفوا عنه ، ومَن عجز فأعينوه ، فإنا لا نريدهم لعام ولا لعامين .

---

(١) أراد من بلغ الحُلُم من الكفار . وانظر اللسان : « وسى »

(٢) الودك : اسم اللحم ودهنه الذي يستخرج منه . النهاية واللسان : « ودك » .

(٣ ـ ٣) ما بين الرقمين في هامش الأصل .

وعن ضَمْرة بن جندب قال :

قال عمر بن الخطاب في أهل الذمة : سمّوهم ولا تكنوهم ، وأذِلّوهم ولا تَظلِموهم ، وإذا جمعتكم وإياهم طريقٌ فألجئوهم إلى أضيقها .

وعن عبد الملك بن عمير

أنّ عمر بن الخطاب اشترط على أنباط الشام للمسلمين أن يُصيبوا من ثمارهم وتينهم ولا يحملوا .

وعن الأحنف بن قيس

أن عمر بن الخطاب اشترط على أهل الذمة إصلاح القناطر ، والضيافة يوم وليلة ، وإن قُتل رجل من المسلمين في أرضكم فعليكم ديته .

وعن ابن أبي نجيح قال :

سألت مجاهداً : لِمَ وضع عمر على أهل الشام الجزية أكثر مما وضع على أهل اليمن ؟ فقال : لليسار .

وعن الحكم بن عمر الرُّعَيني قال :

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أمصار الشام : لا يمشينّ نصراني إلا مفروق الناصية ، ولا يلبسنّ قَباء ، ولا يمشينّ إلا بزنار من جلد ، ولا يلبسن طيلساناً ، ولا يلبسنّ سراويلا ذات خَدَمة[1] ، ولا يلبسَنّ نعلاً ذات عَذَبة[2] ، ولا يركبَنّ على سرج ، ولا يوجد في بيته سلاح إلا انتُهب .

---

(١) أراد سراويل ذات سافين . وانظر اللسان والنهاية : « خدم » .

(٢) عذَبة شراك النعل : المرسلة من الشراك . اللسان : « عذب » .

ذكر حكم الأرضين وما جاء فيه

قال : لا خلاف بين الأئمة أنّ كل بلد صولح أهلهُ على الخراج المعلوم أنه لا يجوز تغيير ما استقر عليه . وقد صح أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمضى لأهل مدينة دمشق الصلح ، لكنه لما أشكل عليه الحال في الفتح وهل سبق مَن دخلها عَنوة أو مَن دخلها بالصلح أمضاها كلها صلحاً [٩٢ / أ] لأهلها ، وقبل منهم شروطاً بذَلوها ، فأمّا ما ظهر عليه المسلمون عنوة من أعمالها ونواحيها ، وحوَوْه بالقهر والغلبة من أرضيها فقد اختُلف فيه : فذهب عمر وعلي ومعاذ بن جبل إلى أنها وَقْف على المسلمين ، لا تقسم بين مَنْ غلب عليها من الغانمين ، وتجرى غلّتها عليهم وعلى منْ بعدهم . وذهب الزبير بن العوّام وبلال بن رباح إلى أنها ملك للغانمين ، فتقسّم بينهم على ما يراه الإمام . وذهب أبو حنيفة وسفيان الثوري إلى أن الإمام في ذلك بالخيار ، إن شاء وقفها ، وإن شاء قسّمها ووزّعها على ما يراه بين مَنْ غنمها . وذهب مالك إلى أنها تصير وقفاً بنفس الاغتنام . ولا يكون فيها اختيار للإمام . وذهب الشافعي إلى أنه ليس للإمام أن يقِفها بل يلزمه أن يقسمها إلا أن يتفق على وقفها المسلمون ، فيرضى بذلك من غنمها .

[(١)] فأما ما روي عن عمر[(١)] . وعن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال :

لولا آخر المسلمين ما فتحتُ عليهم قرية إلا قسمتها كما قسّم رسول الله ﷺ خيبر .

وعنه أنه سمع عمر بن الخطاب يقول :

أما والذي نفسي بيده ، لولا أن أترك آخر الناس ببّاناً ليس لهم شيء ما فُتحت عليَّ قريةٌ إلا قسمتها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر ، ولكن أتركها لهم حِراثة .

ومعنى (ببّاناً) أي بَاجاً واحداً وشيئاً واحداً .

وعن يزيد بن أبي حبيب قال :

كتب عمر إلى سعد حين افتتح العراق : أما بعد . فقد بلغني كتابك ، تذكر أنّ الناس

(١ ـ ١) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

سألوك أن تقسم بينهم مغانمهم وما أفـاء الله عزّ وجلّ عليهم ، فـإذا أتـاك كتـابي هـذا فـانظر ما أجلب الناس به عليك إلى العسكر من كُراع أو مـال فـاقسمـه بين مَن حضر من المسلمين . واترك الأرضين والأنهار لعمالها ليكون ذلك في أعطيات المسلمين ، فـإنـك إن قسمتهـا بين مَن حضر لم يكن لمن بقي بعدهم شيء .

وعن إبراهيم السلمي قال :

لما افتتح [٩٢ / ب] المسلمون السواد قالوا لعمر : اقسمه بيننا فإنا فتحناه عَنوة . فأبى وقال : فما لمن جاء بعدكم من المسلمين ؟ وأخاف إن قسمته أن تفاسدوا بينكم في المياه . قـال : فأقر أهل السواد في أرضيهم ، وضرب على رؤوسهم الجزية وعلى أرضيهم الطَسْق .

قال أبو عبيدة :

يعني بالطسْق : الخراج .

وعن عتبة بن فرقد قال :

اشتريت عشرة أجربة من أرض السواد على شـاطئ الفرات لقَضْب[١] لـدوابيّ فـذكرت ذلـك لعمر فقـال لي : اشتريتهـا من أصحـابهـا ؟ قلت : نعم . قـال : رُحْ إليّ فرُحتُ إليـه فقال: يا هؤلاء ، أبعتموه شيئاً ؟ قالوا : لا ، قال : ابتغ مالك حيث وضعته .

[٢] وأما ما روي عن علي رضي الله عنه[٢] . وعن حارثة بن مضرّب عن عمر

أنه أراد أن يقسم السواد بين المسلمين فأمر أن يُحصوا ، فوجد الرجل يصيبه ثلاثـة من الفلاحين ، فشـاور في ذلـك فقـال لـه علي بن أبي طـالب : دعهم يكـونـوا مـادةً للمسلمين فتركهم . وبعث عليهم عثمان بن حُنيف فوضع عليهم ثمـانيـة وأربعين وأربعـة وعشرين واثني عشر ، وبهذا كان يأخذ سفيان بن سعيد وهو معروف من قوله إلا أنه كان يقول : الخيـار في أرض العَنوة إلى الإمـام إن شـاء جعلهـا غنيمـة فخمّس وقسّم ، وإن شـاء جعلهـا فيئـاً عـامـاً للمسلمين ولم يخمّس ولم يقسم .

قال أبو عبيد :

وليس الأمر عندي إلا على ما قال سفيـان إن الإمـام مُخير في العَنوة بـالنظر للمسلمين والحيطة عليهم بين أن يجعلها غنيمة أو فيئاً .

---

(١) شجر ترعاه الإبل . انظر اللسان : « قضب »

(٢ ـ ٢) مابين الرقمين في هامش الأصل وبجانبه « صح »

(١) وأما ما روي عن معاذ(١)

ولما قدم عمر الجابية أراد قسم الأرضين فقال له معاذ : والله إذن ليكونَن ما تكره ، إنك إن قسمتها اليوم كان الريع العظيم في أيدي القوم ، ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد أو المرأة ، ثم يأتي مِن بعدهم قوم يسدون من الإسلام مسداً وهم لا يجدون شيئاً . فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم . فصار عمر إلى قول معاذ .

(١) وأما ما روي عن الزبير(١) قال سفيان بن وهب الخولاني :

لما افتتحنا مصر بغير عهد قام الزبير بن العوام فقال : يا عمرو بن العاص ، [٩٣ / أ] اقسمها ، فقال عمرو : لا أقسمها ، فقال الزبير : والله لتقسمَنها كما قسم رسول الله ﷺ خيبر ، قال عمرو : والله لا أقسمها حتى أكتب إلى أمير المؤمنين ، فكتب إلى عمر ، فكتب إليه عمر أن أقرّها حتى يغزو منها حَبَلُ الحَبَلة(٢) .

(٣) وأما ما روي عن بلال(٣) - وعن نافع مولى ابن عمر قال :

أصاب الناس فتح الشام فيهم بلال ، قال : وأظنه ذكر معاذ بن جبل فكتبوا إلى عمر بن الخطاب : إن هذا الفيء الذي أصبنا ، لك خمسه ، ولنا ما بقي ، ليس لأحد منه شيء ، كما صنع النبي ﷺ بخيبر ، فكتب عمر : ليس عليّ ما قلتم ، ولكني أقِفها للمسلمين ، فراجعوه الكتاب وراجعهم ، يأبون ويأبى ، فلما أبوا قام عمر فدعا عليهم فقال : اللهم ، اكفني بلالاً وأصحاب بلال . قال : فما حال الحول عليهم حتى ماتوا جميعاً .

قال البيهقي :

قوله إنه « ليس عليّ ما قلتم » ليس يريد إنكار ما احتجوا به من قسمة خيبر ، ويشبه أن يريد به : ليست المصلحة فيما قلتم ، وإنما المصلحة في أن أقفها للمسلمين ، وجعل يأبى قسمتها لما كان يرجو من تطييبهم ذلك له ، وجعلوا يأبَوْن لما كان لهم من الحقّ ، فلما أبَوْا لم يبرم عليهم الحكم بإخراجها من أيديهم ، ووقفها ، ولكن دعا عليهم حيث خالفوه فيما رأى من المصلحة ، وهم لو وافقوه وافقه أفناء الناس وأتباعهم .

(١ - ١) مابين الرقمين في هامش الأصل وبجانبه « صح » .

(٢) « يريد : حتى يغزو منها أولاد الأولاد ويكون عاماً في الناس ... » انظر اللسان . « حبل » .

(٣ - ٣) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل

وفي رواية أن بلالاً قال :

لتقسمَنها أو لنضاربنّ عليها بالسيف ، فقال عمر : لولا أني أترك الناس ببّاناً ، لا شيء لهم ما فتحت قرية إلا قسمتها سُهاناً كما قسم رسول الله ﷺ خيبر .

زاد البيهقي والخشنامي إلى آخر الحديث :

ولكن أتركها لمن بعدهم جزيةً يقتسمونها .

قال البيهقي :

وفي أحاديث عمر التي لم يَر فيها القسمة دلالةٌ على أن عمر كان يرى من المصلحة إقرار الأراضي ، وكان يطلب استطابة قلوب الغانمين ، وإذا لم يرضَوا بتركها فالحجة في قسمه قائمة بما ثبت عن رسول الله ﷺ في قسمة خيبر [٩٣ / ب] وقد خالف الزبير بن العوام وبلال وأصحابه ، ومعاذ ، على شكٍ من الراوي ، عُمرَ فيما رأى . والله أعلم .

حدث أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو قال :

حضرتُ عند أبي الحسن أحمد بن محمد بن مدبّر ، أحضَر ذلك المجلسَ هشامَ بن عمار ودحيماً ومحمود بن خالد وعبد الله بن ذكوان وأحضرني فيمن أحضر فقال : إنكم لا تُتَّهمون على الفيء ، وإنما يُتّهم عليه أهل البدع ، لأنكم تعلمون أنه ينفق في بيضة الإسلام وفي حج البيت ومجاهدة العدو وأمن السبل ، فتكلم يومئذ أحمد بن محمد بن مدبر في ذلك فأبلغ ، وقال : أخبروني عن مدائن الساحل : هل ترَون في مستغِلّها حقاً للفيء ؟ فقال : لا حق للفيء في مستغِلّها . وأعلموه أن دمشق فتحت صلحاً ، وأن صلح حصونها بصلحها من أجل أنها الأم ، وإن ساحلها تبع لها .

قال أبو زرعة :

وأعلمته يومئذ أن بعلبك صلح ، وأن الوليد بن مسلم قد أثبت صلحها عن إسماعيل بن عياش . فقال ابن مدبّر للمشيخة : هكذا تقولون ؟ قالوا : نعم ، فقبِل ذلك منهم .

قال أبو زرعة :

وسألني ابن مدبر عن بيع الكلأ فأعلمته أن الأوزاعي يقول : الناس فيه أسوة ، فتظلم إلى ابن مدبر رجل من الرعية على رجل رعى كلأً له ، فلم يُعده . وقال : فقيه أهل الشام لا يرى لك حقاً .

قال أبو زرعة :

ورأيت أحمد بن محمد بن مدبر شديداً في الأرض ، مذهبه فيها مذهب السّلَف في إيقافها :

قال : فحدثته بحديث أرويه عن الهيثم بن عمران قال :

كتب هشام بن عبد الملك إلى كلثوم بن عياض وبلغه أن خالداً القسري اشترى أرضاً من أرض الغوطة بغير إذنه فقال : أتشتري أرضاً بغير إذني ؟ ! فأمر سالماً الكاتب أن يكتب إلى كلثوم بن عياض : عزمت عليك ألاّ تضَع كتابي من يدك حتى تغرّم الوليد بن عبد الرحمن عاملي على الغوطة أربع مئة دينار ، وتبعث بها إليّ إذ اشترَيت أرضٌ بغير إذنه ، وكتب إلى كلثوم أن اضرب وكيلَيْ القسري مئة مئة . وأطِفْ بهما ، ومُرْ من ينادي عليهما : هذا جزاء من اشترى أرضاً بغير إذن [٩٤ / أ] أمير المؤمنين . وذلك أنه وجد فيما وضع عمر بن عبد العزيز حين استُخلف قال : هل نَهتِ الولاةُ قبلي عن شراء الأرض من أهل الذمّة ؟ قالوا : لم يَنْهَوا . قال : فإني قد سلمت لمن اشترى ، ولكن من اليوم أنهى عن بيعها ، إنها أرض المسلمين ، دفعت إلى أهل الذمة على أن يأكلوا منها ويؤدّوا خراجها ، وليس لهم بيعها ، ومن اشترى بعد اليوم ، فيعاقَب البَيّع والمشتري ، وتردّ الارض إلى النبطي ، ويؤخذ الثمن من المسلم ، فيجعل في بيت المال ، لما انتهكوا من المعصية ، ويُدخل المال الذي أخذ النبطي بيت مال المسلمين لما وضع عمر في ذلك الديوان فهي المدة . ما كان قبل المدة ، يعني قبل عمر بن عبد العزيز ، وما كان بعد المدة ، يعني بعد عمر .

قال أبو زرعة :

فاستحسن أحمد بن محمد بن مدبر هذا الحديث ، وأنكر العقوبة ، فقلت له : لا تبتذله رأيه ، وأخبرته بحديث رويته عن إسحاق بن مسلم ، وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على خراج الأردن ، فكتب إلى عمر : أما بعد . فإني وجدت أرضاً من أرض أهل الذمة بأيدي أناس من المسلمين فما يرى أمير المؤمنين فيها ؟ فكتب إليه أن تلك أرض أوقفها أوّلُ المسلمين على آخرهم ، فامنع ذلك البيع . إن شاء الله والسلام .

وحدثته ما رويته عن القاسم بن زياد وكان عاملاً لعمر بن عبد العزيز على الغوطة ، فكتب إلى عمر : أما بعد . فإنّ قِبَلنا أرضاً من أرض أهل الذمة بأيدي ناس من المسلمين قد

ابتاعوها منهم ، وهم يؤدّون العشر مما يخرج منها ، أفضل مما كان عليها ، فما يرى أمير المؤمنين ؟ قال : وأنا أريد بَدًا وذوات بداً أرضاً من أرض الجبل اتخذها عمر ، فكتب إليه عمر أن تلك أرضٌ حبَسها أول المسلمين على آخرهم ، فليس لأحد أن يتموّلها دونهم ، فامنع ذلك البيع إن شاء الله .

قال أبو زرعة :

فحدثت بهذا الحديث عبد الملك بن الأصبغ من أصحاب الوليد بن مسلم فأخبرني أن عمر بن عبد العزيز لم يمت عن ضيعة بقيت في يده غير بَدًا وحزين[1] من أرض بعلبك ، وأنه أورثها عُشراً [٩٤ / ب] وعدلها على ذلك أبو جعفر المنصور فصارت بأيدي ورثة عمر .

قال أبو زرعة :

فقال لي أحمد بن محمد بن مدّبر : قد جاء فيها : من أخذ أرضاً بجزيتها فقد أتى بما يأتي به أهل الكتاب من الذل والصغار .

وأما قول الثوري فقد روي عن سفيان بن سعيد قال :

إذا ظهر على بلاد العدو فالإمام بالخيار إن شاء قسم البلاد والأموال والسبي ، بعد ما يُخْرج الخُمس من ذلك ، وإن شاء مَنَّ عليهم فترك الأرض والأموال ، وكانوا ذمّةً للمسلمين كما صنع عمر بن الخطاب بأهل السواد ، فإن تركهم صاروا عهداً توارثوا وباعوا أرضهم .

قال يحي بن آدم ـ أحد رواة هذا الحديث : وسمعت حفص بن غياث يقول : تُباع ويُقضى بها الدّين ، وتقسم في المواريث[2] .

وأما قول مالك

فإنه ذهب إلى أنّ مَن أسلم من أهل الصلح فهو أحق بماله وأرضه ، وأما أهل العنوة الذين أخذوا عنوة فمن أسلم منهم فإن أرضه وماله للمسلمين ، لأن أهل العنوة قد غُلبوا على بلادهم وصارت فيئاً للمسلمين ، وأما أهل الصلح فإنهم قوم مَنَعوا أموالهم وأنفسهم حتى صالحوا عليها ، فليس عليهم إلا ما صالحوا عليه .

---

(١) تحت اللفظة في الأصل إشارة إهمال ، ولعلها جِبْرين : قرية بين دمشق وبعلبك . معجم البلدان .

(٢) انظر كتاب الخراج ص ٤٧

وروى عنه يحيى بن عبد الله بن بُكَير قال : قال مالك :

كل أرضٍ فتحت صلحاً فهي لأهلها ، لأنهم مَنَعُوا بلادهم حتى صالحوا عليها ، وكل بلاد أُخذت عَنوةً فهي فيءٌ للمسلمين[1] .

وقال يحيى بن آدم :

كل أرض كانت لعَبَدة الأوثان من العجم أو لأهل الكتاب من العجم أو العرب ممن يقبل منهم الجزية ـ فإن أرضهم أرض خراج إن صالحوا على الجزية ـ على رؤوسهم ، والخراج على أرضيهم ، فإن ذلك يقبل منهم ، وإن ظهر عليهم المسلمون فإن الإمام يقسم جميع ما أجلبوا به في العسكر من كُراع أو سلاح أو مال بعدما يُخمّسه ، وهي الغنيمة التي لا يُوقَف شيء منها ، وذلك قوله عز وجل : ﴿ ما غَنِمْتُم من شيء فأنّ للهِ خُمُسَهُ ﴾[2] [٩٥ / أ] وأما القرى والمدائن والأرض فهي فيء كما قال الله عز وجل : ﴿ ما أفاءَ اللهُ عَلَى رَسُوله منْ أهْل القُرى ﴾[3] فالإمام بالخيار في ذلك : إن شاء وقفه وتركه للمسلمين ، وإن شاء قسمه بين من حضره[4] .

قال أبو بكر الخطيب[5] :

اختلف الفقهاء في الأرض التي يغنمها المسلمون فيقهرون العدو عليها ، فذهب بعضهم إلى أن الإمام بالخيار بين أن يقسمها على خمسة أسهم ، فيعزل منها السهم الذي ذكره الله تعالى في آية الغنيمة فقال : ﴿ واعْلَمُوا أنّ ماغَنمْتُم منْ شيءٍ فَأنّ للهِ خُمُسَهُ ﴾ الآية . ويقسم السهام الأربعة الباقية بين الذين افتتحوها ، فإن لم يختر ذلك وقف جميعها ، كما فعل عمر بن الخطاب في أرض السواد .

وممن ذهب إلى هذا القول سفيان بن سعيد الثوري وأبو حنيفة النعمان بن ثابت .

وقال مالك :

تصير الأرض وقفاً بنفس الاغتنام ، ولا خيار فيها للإمام .

---

(١) قارن مع ما ورد في كتاب الأموال ص ٢٢٨ رقم ٤٣٥

(٢) سورة الأنفال ٨ / ٤٠

(٣) سورة الحشر ٥٩ / ٦

(٤) انظر كتاب الخراج ص ٢٧

(٥) انظر تاريخ بغداد ج ١ / ٩

وقال محمد بن إدريس الشافعي :

ليس للإمام إيقافها ، وإنما يلزمه قسمتها ، فإن اتفق المسلمون على إيقافها ورضَوا أن لا تقسم جاز ذلك ، واحتجّ مَن ذهب إلى هذا القول بما روي عن عمر بن الخطاب أنه قسم أرض السواد بين غانمها وحائزها ، ثم استنزلهم بعد ذلك عنها ، واسترضاهم منها ، ووقفها .

فأما الأحاديث التي وردت عن عمر أنه لم يقسمها فإنها محمولة على أنه امتنع من إمضاء القسم واستدامته بأن انتزع الأرض من أيديهم ، أو أنه لم يقسم بعضَ السواد وقسم بعضه ، ثم رجع فيه .

قال أبو عبيد[1] :

وجدنا الآثار عن رسول الله ﷺ والخلفاء بعده قد جاءت في افتتاح الأرضين بثلاثة أحكام : أرض أسلم عليها أهلها فهي لهم ، ملك أيمانهم ، وهي أرض عُشْر ، لا شيء عليهم فيها غيره ، وأرض افتُتحت صلحاً على خراج معلوم فهي على ما صولحوا عليه ، لا يلزمهم أكثر منه ، وأرض أخذت عَنوة فهي التي اختلف المسلمون فيها ، فقال بعضهم : سبيلها سبيل الغنيمة تُخمَّس ، وتقسم ، فيكون أربعة أخماسها خِططاً بين الذين افتتحوها خاصة ، ويكون الخمس الباقي [٩٥ / ب] لمن سمّى الله تعالى ، وقال بعضهم : بل حكمها والنظر فيها للإمام : إن رأى أن يجعلها غنيمة فيخمّسها ويقسمها كما فعل رسول الله ﷺ بخيبر ، فتلك له ، وإن رأى أن يجعلها فيئاً فلا يخمّسها ولا يقسمها ، ولكن تكون موقوفة على المسلمين عامة ، ما بقوا كما صنع عمر بالسواد ، فعل ذلك .

فأما حكم الدور التي هي داخل السور فقد روي عن بنت واثلة قالت : سمعت رجلاً يقول لواثلة : أرأيت هذه المساكن التي أقطعها الناس يوم فتحوا مدينة دمشق أماضِيَة هي لأهلها ؟ قال : نعم . قال : فإنّ ناساً يقولون هي لهم سكنى ، وليس لهم بيعُها ولا إتلافها بوجه من الوجوه ، من صدقة ولا مهر ولا غير ذلك . فقال واثلة : ومن يقول ذلك ! بل هي لهم مُلك ثابت ، يسكنون ، ويمهرون ، ويتصدقون .

وأما القطائع فقد روي عن عامر قال : لم يقطع أبو بكر ولا عمر ولا علي ، وأول من أقطع القطائع عثمان ، وبيعت الأرضون في خلافة عثمان .

---

(١) انظر كتاب الأموال ٧٧

وروي عن أبي عمرو وغيره

أن عمر وأصحاب رسول الله ﷺ أجمع رأيهم على إقرار ما كان بأيديهم من أرضهم يعمّرونها ويؤدّون منها خَراجها إلى المسلمين ، فمن أسلم منهم رفع عن رأسه الخراج ، وصار ما كان في يده من الأرض وداره بين أصحابه من أهل قريته ، يؤدّون عنها ما كان يؤدّى من خراجها ، ويسلمون له ماله ورقيقه وحيوانه ، وفرضوا له في ديوان المسلمين ، وصار من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ، ولا يرَون أنه وإن أسلَم أوْلى بما كان في يديه من أرضه من أصحابه من أهل بيته وقرابته ، لا يجعلونها صافية للمسلمين ، وسمّوا من ثبت منهم على دينه وقريته ذمة للمسلمين ، ويرَون أنه لا يصلح لأحد من المسلمين شِرى ما في أيديهم من الأرض كرهاً ، لما احتجوا به على المسلمين من [أن][(1)] إمساكهم كان عن [٩٦ / أ] قتالهم وتركهم مظاهرة عدوّهم من الروم عليهم ، فهاب لذلك أصحاب رسول الله ﷺ ، وولاة الأمر قسمهم ، وأخذوا ما كان في أيديهم من تلك الأرضين ، وكرهوا للمسلمين أيضا شراءها طوعاً لما كان من ظهور المسلمين على البلاد ، وعلى من كان يقاتلهم عنها ، ولتركهم ، كان ، البعثة إلى المسلمين وولاة الأمر في طلب الأمان قبل ظهورهم عليهم . قالوا : وكرهوا شراءها منهم طوعاً بما كان من إيقاف عمر وأصحابه الأرض محبوسةً على آخر هذه الأمة من المسلمين المجاهدين لا تُباع ولا تُورَث قوةً على جهادِ مَن لم يظهروا عليه بعدُ من المشركين ، ولما ألزموه أنفسهم من إقامة فريضة الجهاد [لـ][(1)] قوله عزّ وجلّ : ﴿ وقاتِلُوهُمْ حتّى لا تَكُونَ فِتْنَة ﴾[(2)] إلى تمام الآية .

قال : فقلت لغير واحدٍ من مشيختنا ممن كان يقول هذه المقالة : فمن أين جاءت هذه القطائع التي بين ظهراني القرى الراخية والمزارع التي بيَد غيرِ واحد من الناس ؟ فقال : إن بدء هذه القطائع أن ناساً من بطارقة الروم إذ كانت ظاهرة على الشام كانت هذه القرى التي منها هذه القطائع ، كانت من الأرضين التي كانت بأيدي أنباط القرى ، فلما هزم الله الروم هربت تلك البطارقة عما كان في أيديها من تلك المزارع ، فلحقت بأرض الروم ، ومن قُتل منها في تلك المعارك التي كانت بين المسلمين والروم فصارت تلك المزارع والقرى صافية للمسلمين موقوفة يقبّلها[(3)] والي المسلمين كا يقبّل الرجل مزرعته .

(١) عن تاريخ ابن عساكر ١ / ٥٩٤ ـ ٥٩٦

(٢) سورة البقرة ٢ / ١٩٣ ، والأنفال ٨ / ٣٩

(٣) قبّلت العامل تقبيلاً ، وتقبّله العامل تقبّلا : تكفّل . اللسان : « قبل »

قالوا : فمنها أندركَيْسان يعني بدمشق . وقبيس بالبلقاء ، وما على باب حمص من جبعاثا وغيرها .

قالوا : فلم تزل تلك المزارع موقوفة مقبّلة ، تدخل قِبالتها بيت المال ، فتخرج نفقة مع ما يخرج من الخراج ، حتى كتب معاوية في إمرته على الشام إلى عثمان أن الذي أجراه عليه من الرزق في عمله ليس يقوم بمؤن من يقوم عليه من وفود الأجناد ورسل [٩٦ / ب] أمرائهم ، ومن يقدم عليه من رسل الروم ووفودها ، ووصف في كتابه هذه المزارع الصافية وسمّاها له ، فسأله أن يقطعه إياها ليقوى بها على ما وَصف له ، وأنها ليست من قرى أهل الذمة ولا الخراج فكتب إليه عثمان بذلك كتاباً .

قالوا : فلم تزل بِيَد معاوية حتى قتل عثمان ، وأفضى إلى معاوية الأمر ، فأقرّها على حالها ، ثم جعلها من بعده حُبُسا على فقراء أهل بيته والمسلمين .

قالوا : ثم إن ناساً من قريش وأشراف العرب سألوا معاوية أن يقطعهم من بقايا تلك المزارع التي لم يكن عثمان أقطعه إياها ، ففعل ، فمضت لهم أموالاً يبيعون ، ويمهرون ، ويورثون .

فلما أفضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان وقد بقيت من تلك المزارع بقايا لم يكن معاوية قد أقْطع منها أحداً شيئاً سأله أشراف الناس القطائع منها ، ففعل .

قالوا : إن عبد الملك سئل القطائع ، وقد مضت تلك المزارع لأهلها ، فلم يبق منها شيء ، فنظر عبد الملك إلى أرضٍ من أرض الخراج قد باد أهلها ، ولم يتركوا عقباً أقطعهم منها ، ورفع ما كان عليها من خراجها عن أهل الخراج ، ولم يحمله أحداً من أهل القرى وجعلها عُشراً ، ورآه جائزاً له مثل إخراجه من بيت المال الجوائز للخاصة .

قالوا : فلم يزل يفعل ذلك حتى لم يجد من تلك الأرض شيئاً . فسأل الناسُ عبد الملك والوليد وسليمان قطائع من أرض القرى التي بأيدي أهل الذمة ، فأبوا ذلك عليهم ، ثم سألوهم أن يأذنوا لهم في شرى الأرضين من أهل الذمة فأذِنوا لهم على إدخال أثمانها بيت المال ، وتقوية أهل الخراج به على خراج سنتهم مع ما ضَعُفوا عن أدائه ، وأوقفوا ذلك في الأرضين ، ووضعوا خراج تلك الأرضين عمن باعها منهم ، وعن أهل قراهم ، وصيّروها لمن اشتراها يؤدي العشر ، يبيعون ويمهرون [٩٧ / أ] ويُورّثون .

قالوا : فلما وليَ عمر بن عبد العزيز أعرض عن تلك القطائع التي أقطعها عثمان ومعاوية وعبد الملك والوليد وسليمان ، فلم يردّها عمر على ما كانت عليه صافية ، ولم يجعلها خراجاً ، وأبقاها لأهلها تؤدي العشر .

قال : وأعرض عمر عن تلك الأشرية بالإذن لأهلها فيها ، لاختلاط الأمور فيها ، لما وقع فيها من المواريث ، ومهور النساء ، وقضاء الديون ، فلم يقدر على تخليصه ولا معرفة ذلك . قال : وأعرض عن الأشرية التي اشتراها المسلمون بغير إذن ولاة الأمر ، لما وقع في ذلك من المواريث واختلاط الأمور ، وجعل الأشرية وغير الأشرية سواء ، وأمضاه لأهله ولمن كان في يديه كالقطائع للأرض عشراً ليس عليها ولا على مَن صارت إليه بميراث أو شراء جزيةٌ .

قالوا : وكتب بذلك كتاباً قرئ على الناس في سنة مئة وأعلمهم أنه لا جزية عليها ، وأنها أرض عشر . وكتب أنّ من اشترى شيئاً بعد سنة مئة فإن بيعه مردود ، وسمّى سنة مئة المدة ، فسماها المسلمون بعده : المدة . فأمضى ذلك في بقية ولايته ، ثم أمضاه يزيد وهشام ابنا عبد الملك .

قالوا : فتناهى الناس عن شراها بعد سنة مئة بسُنيّات ، ثم اشترَوا أشرية كثيرة كانت بأيدي أهلها ، يؤدون العشر ، ولا جزية عليها .

فلما أفضى الأمر إلى أبي جعفر عبد الله بن محمد أمير المؤمنين رُفعت إليه تلك الأشرية وأنها تؤدي العُشر ، ولا جزية عليها ، وأن ذلك أضرّ بالخراج وكسره ، فأراد ردّها إلى أهلها . قيل له : قد وقعت في المواريث والمهور واختلط أمرها ، [فـ][1] بعث المعدّلين إلى كُور الشام سنة أربعين أو إحدى وأربعين منهم : عبد الله بن يزيد إلى حمص ، وإسماعيل بن عياش إلى بعلبك ، في أشباه لهم ، فعدّلوا تلك الأشرية على مَن هي بيده شرى أو ميراث أو مهر ، فعدّلوا ما بقي بأيدي الأنباط من بقية الأرض على تعديل مُسمّى ، [٩٧ / ب] ولم تعدل الغوطة في تلك السنة ، وكان من كان بيده شيء من تلك الأشرية من أهل الغوطة يؤدي العشر حتى بعث أمير المؤمنين عبد الله بن محمد ، هضاب بن طوق ،

---

(١) عن تاريخ ابن عساكر ١ / ٥٩٤ ـ ٥٩٦

ومُحرز بين زُريق ، فعدّلوا الأشرية ، وأمرهم ألاّ يضعوا على شيء من القطائع القديمة ولا الأشرية خراجاً ، وأن يُمضوها لأهلها عشريّة ، ويضعوا الخراج على ما بقي منها بيد الأنباط وعلى الأشرية المحدثة من بعد سنة مئة إلى السنة التي عدّل فيها .

حدث سليمان بن عتبة

أن أمير المؤمنين عبد الله بن محمد سأله في مقدمه الشام سنة ثلاث أو أربع وخمسين ومئة عن سبب الأرضين التي بأيدي أبناء الصحابة ، ويذكرون أنها قطائع لآبائهم قديمة ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إن الله تبارك وتعالى لمّا أظهر المسلمين على بلاد الشام ، وصالحوا أهل دمشق وأهل حمص كرهوا أن يدخلوها دون أن يَتمّ ظهورهم وإثخانهم في عدوّ الله عسكروا في مرج بردى ما بين المِزة وبين مرج شِعبان جنبي بردى ، وكانت مروجا مباحة فيما بين أهل دمشق وقراها ليست لأحد منهم ، فأقاموا بها ، حتى أوطأ الله المشركين ذلاً ، وقهراً ، وأحيا كل قوم مَحلّتهم ، وهيّؤوا فيها بناء ، فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب ، فأمضاه لهم ، فبنَوْا الدور ، ونصبوا الشجر ، ثم أمضاه عثمان ، ومن بعده إلى ولاية أمير المؤمنين ، فقال : قد أمضيناه لأهله .

وأمّا الصوافي التي استصفيت عن بني أمية

فقد روي عن هَمّام بن مُسلم قال :

سئل مالك بن أنس عن دارٍ من دور الصوافي ، أُسكنُها ؟ قال : ما أدري . وسألت ابن أبي ذئب فقال : ما أدري ، وسئل عبّاد بن كَثير فقال : في هذا ما فيه . وسئل سفيان الثّوْري فقال : لا تنزلها ، فقال له الرجل : فإن أبي في صافية ويأبى أن يخرج منها فقال سفيان : فارق أباك ، قيل : فإن كان فيها مسجد ، قال : فلا تصل فيه . قال : فإن كان فيها مريض ؟ قال : فلا تعُدْه . قلت : فإن كنت أعرف أهلها أشتريها منهم ؟ قال : نعم .

وروي عن سفيان الثوري [٩٨ / أ] قال :

إن كانت ، يعني الصوافي ، لِبَني أمية حلالاً فهي على بني هاشم حرام ، وإن كانت على بني أمية حراماً فهي على بني هاشم أحرم وأحرم .

ذكر بعض ما ورد من الملاحم والفتن

يتعلّق بدمشق

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

مَنعَتِ العراق درهمها وقفيزها ، ومنعت الشام مدها ودينارها[1] ، ومَنعت مصر إردَبّها ودينارها[1] ، وعُدتم من حيث بدأتم . قالها ثلاثا . شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه .

قال أبو عبيد الهروي في هذا[2] الحديث :

قد أخبر النبي ﷺ بما لم يكن ، وهو في علم الله كائن ، فخرج لفظه على لفظ الماضي لأنه ماضٍ في علم الله عزّ وجلّ . وفي إعلامه بهذا قبل وقوعه ما دل على إثبات نبوّته ، ودلّ على رضاه من عمر ما وظّفه على الكفرة من الجِزَى في الأمصار . وفي تفسير المنع وجهان : أحدهما أن النبي ﷺ علم أنهم سيُسلمون فيسقط عنهم ما وُظف عليهم بإسلامهم ، فصاروا مانعين بإسلامهم ما وُظف عليهم . والدليل على ذلك قوله في الحديث : وعُدتم من حيث بدأتم ، لأن بدْأهم في علم الله ، وفيما قدر . وفيما قضى أنهم سيسلمون ، فعَادوا من حيث بدؤوا . وقيل في قوله : منعت العراق درهمها : إنهم يرجعون عن الطاعة . قال : وهذا وجه ، والأول أحسن .

وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال :

لا تقوم الساعة حتى يغلب أهل المُدْي على مُدْيهم ، وأهل القفيز على قفيزهم ، وأهل الإردبّ على إردبّهم ، وأهل الدينار على دينارهم ، وأهل الدرهم على درهمهم ، ويرجع الناس إلى بلادهم .

(١ ـ ١) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل . وبعده « صح » .

(٢) ورد نص الحديث في كتاب الأموال ص ١٠١ . وسوف يرد تفسير له غير هذا التفسير .

قال أبو[٢] عبيد :

فمعناه والله أعلم : إن هذا كائن . وإنه سيمنع بعد في آخر الزمان ، فاسمع قول رسول الله ﷺ في الدرهم والقفيز كما فعل عمر بأهل السواد ، فهو عندي الثبت . وفي تأويل فعل عمر أيضا حين وضع الخراج ، ووظّفه على أهله من العلم أنه جعله شاملاً عاماً على كل من لزمته المساحة [٩٨ / ب] وصارت الأرض في يده من رجل أو امرأة أو صبيّ أو مُكاتب أو عبد ، فصاروا متساوين فيها ، لم يُسْتَثن أحد دون أحد . ومما يبين ذلك قول عمر في دهقانة نهر الملك[١] حين أسلمت فقال : دعوها في أرضها ، تؤدي عنها الخراج ، فأوجب عليها ما أوجب على الرجال .

وفي تأويل حديث عمر من العلم إنما جعل الخراج على الأرضين التي تغلّ من ذوات الحبّ والثمار ، والتي تصلح للغلّة من العامر والغامر ، وعطل منها المساكن والدور ، التي هي منازلهم ، فلم يجعل عليهم فيها شيئاً .

وعن أبي نضْرة قال :

كنا عند جابر بن عبد الله فقال : يوشك أهل العراق ألا يجبى إليهم قفيز ولا درهم ، قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل العجم يمنعون ذلك . ثم قال : يوشك أهل الشام ألا يُجبى إليهم دينار ولا مُدي ، قلنا : من أين ذلك ؟ قال : من قبل الروم يمنعون ذلك ، ثم أسكت[٣] هُنيهة ثم قال : قال رسول الله ﷺ : يكون في اخر الزمان خليفة يحثي المال حثْياً ، لا يعده عداً .

قال الجُريري : فقلت لأبي نضْرة وأبي العلاء : أتريانه عمر بن عبد العزيز ؟ فقالا : لا .

---

(١) انظر كتاب الأموال ص ١٠٢ ، فقول أبي عبيد هنا جاء تفسيرا لحديث أبي هريرة السابق « منعت العراق » . وليس تفسيراً للحديث « لا تقوم الساعة » .

(٢) نهر الملك : كورة واسعة ببغداد . معجم البلدان

(٣) أي أطرق . اللسان : « سكت » .

وعن عبد الله بن عمرو[1] قال :

تُجيّش الروم فيُخرجون أهل الشام من منازلهم ، فيستغيثون بكم ، فتغيثونهم ، فلا يتخلف عنهم مؤمن ، فتقتتلون ، فيكون بينكم قتل كثير ثم تهزمونهم فيَنتهون إلى أسطوانة ، إني لا أعلم مكانها عليهم ، عندها الدنانير ، فيكالونها بالتراس فيلقاهم الصريخ . إن الدّجال يحوش ذراريكم فيلقون ما في أيديهم ، ثم يأتون .

وعن أبي الدرداء أنه قال :

لَيُخرجنّكم الروم من الشام كَفْراً كفراً حتى يوردوكم البلقاء . كذلك الدنيا تبيد وتفنى ، والآخرة تدوم وتبقى .

وعن أبي هريرة قال :

يا أهل الشام ، لَيُخرجنّكم الروم منها كَفراً كَفراً حتى تلحقوا بسُنبُكٍ من الأرض . قيل : وما ذاك السُنبُك ؟ قال : حِسْمى[2] جذام ، ولَتسيرَنّ الروم على كوادنها ، متعلقي جعابها بين بارق[3] [٩٩ / أ] ولعْلَع .

وعن خالد أنه قال :

لا يذهب الليل والنهار حتى يطرُد الروم أهل الشام من الشام ، فيموت منهم ناس كثير من العيال بالفلاة جوعاً وعطشاً .

وعن الضحاك بن مُزاحم قال :

هلاك دمشق نزول السفياني بين أظهرهم ، ثم الروم .

حدث الصُّنابحي أنه سمع كعباً يقول :

سيُعرَك العراق عرك الأديم ، وتُفَتّ مصر فتّ البعر .

ورُوي عن واهب المعافري أنه قال :

وتُشَقّ الشام شقّ الشعرة .

---

(١) هذا الخبر غير موجود في مخطوطة الظاهرية .

(٢) حِسْمى لجذام : جبال وأرض بين أيلة وجانب تيه بني إسرائيل . معجم البلدان .

(٣) بارق : ماء بالعراق من أعمال الكوفة . ولَعْلَع : منزل بين البصرة والكوفة ، بينه وبين بارق عشرون ميلاً ، معجم البلدان

قال عمر بن يزيد النصري :

يقتل أُصَيْهب قريش في دمشق ، ومعه سبعون صِدّيقاً .

وكانوا يقولون : أسعد الناس بالرايات السود من أهل الشام أهل حمص ، وأشقى الناس بالرايات السود من أهل الشام أهل دمشق ، وأسعد الناس بالرايات الصفر من أهل الشام أهل دمشق ، وأشقى الناس بالرايات الصُفر من أهل الشام أهل حمص .

قال خالد بن معدان :

يهزم السفياني الجماعة مرتين ثم يهلِك . وقال : لا يخرج المهدي حتى يُخسَف بقرية بالغوطة تسمى حَرستا .

ذكر بعض أخبار الدجال

وعن النَّواس بن سمعان الكِلابي قال :

ذكر رسول الله ﷺ الدجال فخفّض فيه ورفّع حتى ظنناه في طائفة من النخل فقال : غير الدجال أخوَفُني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم . إنه شابّ قَطَط ، عينه قائمة يشبه عبد العزى بن قطن ، فمن رآه منكم فليقرأ فاتحة الكتاب وفاتحة سورة أصحاب الكهف ، ثم قال : إنه يخرج من خَلة ما بين الشام والعراق ، فعاث يميناً وشمالاً ، يا عباد الله اثبتوا ، قلنا : يا رسول الله ، مالَبْثُه في الأرض ؟ قال : أربعين يوماً ، يومٌ كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم [٩٩ / ب] قلنا : يا رسول الله ، أرأيت ذلك اليوم الذي كالسنة يكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له . قلنا : يا رسول الله ، ما إسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم ، فيؤمنون ، ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر ، ويأمر الأرض فتُنْبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذَراً ، وأسبغه ضروعاً وأمدّه خواصر ، ثم يأتي على القوم فيدعوهم ، ويردون عليه قوله ، فينصرف عنهم تتبعه أموالهم ، فيصبحون مُمحلين ليس بأيديهم شيء ، يمرّ بالخَرِبَة فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فينطلق فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف ، ويقطعه جَزلتين رمية الغرض ، ثم يدعوه فيقبل ، يتهلل وجهه يضحك . فبينا هو كذلك إذ بُعث المسيح عيسى بن مريم عليهما السلام ، ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق ، بين مهرودتين أو مبرودتين ، واضعٌ كفيّه على أجنحة مَلَكين إذا طأطأ رأسَه قطر . وإذا رفعه تحدّر منه كجمان لؤلؤ ، ولا يحلّ لكافر يجد ريح نَفَسه إلا مات . ونَفَسه ينتهي حين ينتهي طرفه ، فيطلبه حتى يدركه عند باب لُدّ ، فيقتله الله . ثم يأتي عيسى بن مريم قوماً قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة . فبينا هو كذلك إذ أوحى الله إليه : يا عيسى ، قد أخرجت

عباداً لا يَدانِ لأحد بقتالهم ، فجوّز عبادي إلى الطور ، فيبعث الله يأجوج ومأجوج من كل حدَب ينسلون ، فيمرّ أوائلهم على بحيرة الطبريّة فيشربون ما فيها ، فيمرّ آخرهم فيقول : لقد كان في هذه ماءٌ مرةً ، فيحصر نبي الله عليه السلام حتى يكون رأس الثور خيراً لأحدهم من مئة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله عليهم [١٠٠ / أ] النغف[1] في رقابهم ، فيصبحون فَرْسَى[2] كموت نفس واحدة ، فيهبط نبي الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون موضع شبر إلا قد ملأه زَهَمهم ونتنُهم ودماؤهم ، فيرغب نبي الله ﷺ عيسى وأصحابه إلى الله عزّ وجلّ ، فيرسل عليهم طيراً كأعناق البُخْت تحملهم فتطرحهم حيث شاء الله . ثم يرسل الله مطراً لا يكنّ منه بيتُ مدرٍ ولا وبر ، يغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفة[3] ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرك وردّي بركتك ، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويبارَك في الرِّسل[4] حتى إن اللقحة من الابل لتكفي الفئام[5] من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القَبيل ، واللقْحة من الغنم لتكفي الفخذ . فبينا هم كذلك إذ بعث الله ريحاً طيبة تأخذ تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم ، ويبقى شِرار الناس يتهارجون كما تتهارج الحُمر ، فعليهم تقوم الساعة .

وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال :

إنه لم يكن نبي إلا وقد أنذر الدَّجالَ قومه ، وإني أنذركموه . إنه أعور ذو حدقة جاحظة ولا تخفى كأنها نخاعة في جنب جدار ، وعينه اليسرى كأنها كوكب درّي ، ومعه مثل الجنة والنار ، فجنّته غبراء ذات دخان ، وناره روضة خضراء ، وبين يديه رجلان ينذران أهل القرى ، كلما خرجا من قرية دخل أوائلهم فيسلط على رجل ، لا يسلط على غيره فيذبحه ثم يضربه[6] بعصا ـ وفي رواية :[6] بعصاهُ ـ ثم يقول : قم فيقوم ، فيقول لأصحابه : كيف ترون ألست بربكم ؟ فيشهدون له بالشرك . فيقول الرجل المذبوح :

(١) هي دود تكون في أنوف الابل والغنم ، ج نغفة . النهاية : « نغف » .

(٢) أي قتلى ، ج فريس . من فرس الذئبُ الشاة وافترسها . اللسان : « فرس » .

(٣) مصانع الماء . وقيل : المرآة ، شبّه الأرض بها لاستوائها ونظافتها . ويقال بالقاف أيضاً . النهاية : « زلف » .

(٤) الرِّسل : القطيع من كل شيء . اللسان

(٥) الفئام من الناس : الجماعة الكثيرة . وقد تكررت في الحديث . النهاية : « فأم » .

(٦ ـ ٦) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل و بجانبه « صح »

يا أيها الناس ، ها إنّ هذا المسيحَ الدجال الذي أنذَرنا رسولُ الله ﷺ فيَعود أيضاً فيذبحه ثم يضربه بعصاه فيقول له : قم فيَقوم ، فيقول لأصحابه : كيف ترون ألست بربكم ؟ فيشهدون له بالشرك . فيقول المذبوح : يا أيها الناس ، ها إنّ هذا المسيحَ الدجال [١٠٠ / ب] الذي أنذرنا رسول الله ﷺ ما زادني هذا فيكَ إلا بصيرة ، فيعود فيذبحه الثالثة ويضربه بعصاه فيقول : قم فيقوم ، فيقول لأصحابه : كيف ترون ألست بربكم ؟ فيشهدون له بالشرك ، فيقول : يا أيها الناس ، إن هذا المسيح الدجال الذي أنذرنا رسول الله ﷺ ما زادني هذا فيك إلا بصيرة ، ثم يعود فيذبحه الرابعة ، فيضرب الله تعالى على حلقه بصفيحة من نحاس فلا يستطيع ذبحه .

قال أبو سعيد :

فو الله ما درَيْت ما النحاس ، إلا يومئذ . قال : فيغرس الناس بعد ذلك ويزرعون .

قال أبو سعيد :

كنا نرى ذلك الرجل عمر بن الخطاب ، لما نعلم من قوته وجلده .

وعن أبي أمامة الباهلي قال :

خطبنا رسول الله ﷺ ، فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال ويحذرناه ، فكان من قوله : يا أيها الناس ، إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض أعظمُ من فتنة الدجال ، إن الله لم يبعث نبياً إلا حذّر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة ، فإن يخرج فيكم وأنا فيكم فأنا حجيج كل مسلم ، وإن يخرج بعدي فكل امرئ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم . إنه يخرج من خلة بين الشام والعراق ، فيعيث يميناً ويعيث شمالاً . يا عباد الله ، اثبتوا فإنه يَبتدئ فيقول : أنا نبيّ ، ولا نبيّ بعدي ، ثم يبتدئ فيقول : أنا ربّكم ، ولن ترَوْا ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، وإنه مكتوب بين عينيه : كافر ، يقرأه كل مؤمن ، فمن لقيه منكم فليتفُل في وجهه ، وإنّ من فتنته أنّ معه جنةً وناراً ، فناره جنة ، وجنته نار ، فمن ابتلي بناره فليقرأ فواتح سورة الكهف ، ويستغث بالله تكن عليه برداً وسلاماً ، كما كانت على إبراهيم ﷺ . وإنّ من فتنته أنّ معه شياطين تتمثل على صور الناس ، فيأتي للأعرابي فيقول : أرأيت إن بعثت لك أباك [١٠١ / أ] وأمك ، أتشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم ، فيتمثل له شيطانه على صورة أبيه

وأمه ، فيقولان له : يا بني اتبعه فإنه ربك . وإن من فتنته أن يسلّط على نفْس فيقتلها ثم يحييها ، وأن يعود بعد ذلك وأن يصنع ذلك بنفسٍ غيرها . يقول : انظروا إلى عبدي هذا ، فإني أبعثه الان يزعم أنّ له رباً غيري ، فيبعثه فيقول له : من ربك ؟ فيقول ربي الله وأنت عدو الله الدجالْ . وإن من فتنته أن يقول للأعرابي : أرأيت إن بعثت لك إبلك ، أتشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم ، فيتمثل له شيطانه على صورة إبله . وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت . وإنّ من فتنته أن يمرّ بالحي فيكذبوه ، فلا يبقي لهم سائمة إلا هلكت ، ويمر بالحيّ فيصدقوه ، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر ، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت ، فتروح عليهم مواشيهم من يومهم ذلك أعظم ما كانت وأسمنه خواصر ، وأدرّه ضروعاً . وإن أيامه أربعون يوماً ، فيومٌ كالسنة ، ويوم دون ذلك ، ويوم كالشهر ، ويوم دون ذلك ، ويوم كالجمعة ويوم دون ذلك ، ويوم كالأيام ، ويوم دون ذلك ، واخر أيامه كالشرارة في الجريدة ، يضحي الرجل بباب المدينة ، فلا يبلغ بابها الاخر حتى تغرب الشمس . قالوا : يا رسول الله ، فكيف نصلي في تلك الأيام القصار ؟ قال : تقدّرون في هذه الأيام القصار كما تقدّرون في الأيام الطوال ثم تصلّون . وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وغلب عليه إلاّ مكة والمدينة ، فإنه لا يأتيها من نقب من أنقابها إلا لقيه ملك مُصلت بالسيف ، فينزل عند الضّريب الأحمر عند منقطع السبخة عند مجتمع السيول ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج ، فتنفي المدينة يومئذ خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد . يُدعى ذلك اليوم يوم الإخلاص .

فقالت أم شريك :

يا رسول الله ، فأين المسلمون ؟ [١٠١ / ب] قال : ببيت المقدس ، يخرج حتى يحاصرهم ، وإمام المسلمين يومئذ رجل صالح ، فيقال له : صلِّ الصبح ، فإذا كبرّ ودخل في الصلاة نزل عيسى بن مريم . قال : فإذا رآه ذلك الرجل عرفه ، فيرجع يمشي القهقرى ليتقدم عيسى عليه السلام فيضع يده بين كتفيه ثم يقول : صلّ ، فإنما أقيمت الصلاة لك ، فيصلي عيسى عليه السلام وراءه ، فيقول : افتحوا الباب فيفتحونه . ومع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلُّهم ذو سلاح وسيف محلّى ، فإذا نظر إلى عيسى عليه السلام ذاب كما يذوب الرصاص في النار ، وكما يذوب الملح في الماء ، ثم يخرج هارباً فيقول عيسى : إن لي

فيك ضربة لن تفوتني بها ، فيدركه عند باب الشرقي فيقتله ، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهودي إلاّ أنطق الله عزّ وجلّ ذلك الشيء لا شجرة ولا حجر ولا دابة إلا قال : يا عبد الله المسلم ، هذا يهودي فاقْتله إلا الغَرْقدة فإنها من شجرهم لا تنطق - قال الشيخ : شوك يكون بناحية بيت المقدس - قال : ويكون عيسى في أمتي حَكَمًا عدلاً وإماماً مقسطاً ، فيقتل الخنزير ، ويدقّ الصليب ، ويضع الجزية ، ولا يسعى على شاة ولا بعير ويرفع الشحناء والبغضاء والتباغض ، فتنزع حُمَة كل ذي دَابة حتى تلقى الوليدة الأسد فلا يضرها ، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها ، ويملأ الأرض من الإسلام ، ويُسلب الكفار ملكهم ، فلا يكون ملك إلا الإسلام وتكون الأرض كفاثور[1] الفضة ، ينبُتُ نباتها كما كانت على عهد آدم عليه السلام ، يجتمع النفر على القِطْف[2] . فيشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمانة . ويكون الثور بكذا وكذا من المال ، وتكون الفرس بالدّريهات .

وعن أبي نَضْرَة قال :

أتينا عثمان بن أبي العاص يوم جمعة لنعرض على مصحفه مصحفاً ، فلما حضرت الجمعة أمر لنا بماء فاغتسلنا ، وطيبنا ثم ، رُحْنا [١٠٢ / أ] إلى الجمعة ، فجلسنا إلى رجل يحدث ، ثم جاء عثمان بن أبي العاص فتحولنا إليه ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكون للمسلمين ثلاثة أمصار : مصر بملتقى البحرين ، ومصر بالحيرةِ ، ومصر بالشام . فيفزع الناس ثلاث فزعات فيخرج الدجال في أعراض جيش ، فيهزم من قِبَل المشرق . فأول مصر يرده المصر الذي بملتقى البحرين ، فيصير أهله ثلاث فرق : فرقة تنزل بشامة وتنظر ماهو ، وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ومعهم سبعون ألفاً عليهم السيجان[3] ، وأكثر تَبَعه اليهود والنساء ، حتى يأتي المصر الذي يليهم فيصير أهله ثلاث فرق : فرقة تقيم تنزل بشامة ، وتنظر ما هو ، وفرقة تلحق بالأعراب ، وفرقة تلحق بالمصر الذي يليهم ، ثم يأتي الشام فينحاز المسلمون إلى عقبة أفيق[4] ، فيبعث المسلمون بسَرح لهم فيصاب سرحهم فيشهد عليهم ، وتصيبهم مجاعة شديدة وجهد ، حتى إنّ أحدهم ليحرِق

---

(١) الفاثور : الطست . أو الخوان من رخام أو فضة أو ذهب . القاموس : « فثر » .

(٢) القِطف : العنقود . اللسان والنهاية .

(٣) السيجان ، ج ساج ، وهو الطيلسان الأخضر . اللسان : « سوج » .

(٤) أفيق ؛ بلدة بين حوران والغور ومنه عقبة أفيق . قال الفيروز آباذي : « ولا تقل فيق » . القاموس .

وتر قوسه فيأكله ، فبينا هم كذلك إذ نادى منادٍ من السحر : أتاكم الغوث يا أيها الناس . فيقول بعضهم لبعض : إن هذا لصوت رجلٍ شبعان ، فينزل عيسى عليه السلام الفجر ، فيقول له أمير الناس : تقدم يا روح الله فصلِّ بنا ، فيقول : إنكم - معشرَ هذه الأمة - أمراءٌ بعضكم على بعض ، فتقدم أنت فصلِّ بنا ، فيتقدم أمير الناس فيُصلي لهم ، فإذا انصرف أخذ عيسى عليه السلام حربته ، ثم ذهب نحو الدجال ، فإذا رآه ذاب كما يذوب الرصاص ، ويضع حربته بين ثَنْدُوَته[1] فيقتله فينهزم أصحابه ، فليس شيء يومئذٍ يجنّ منهم حتى الشجرة تقول : يا مؤمن ، هذا كافر .

وعن أسماء بنت يزيد بن السَّكَن ، وهي ابنة عم معاذ بن جبل قالت :

أتاني رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه وذكر الدجال . فقال رسول الله ﷺ : إنّ قبل خروجه ثلاث سنين تمسك السماء [١٠٢ / ب] قال[2] رسول الله ﷺ حتى إن دوابهم تسمن وتبطر مما تأكل لحومَهم . أو كما قال .

وعن عبد الله بن مسعود قال :

لما أُسري ليلة أسري بالنبي ﷺ لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، فتذاكروا الساعة ، فبدؤوا بإبراهيم فسألوه عنها ، فلم يكن عنده منها علم ، ثم موسى ، فلم يكنْ عنده منها علم ، فتراجعوا الحديث إلى عيسى فقالَ عيسى : عهد الله إلي فيما دون وجْبَتها يعني : أما وجبتها فلا نعلمها . قال - فذكر من خروج الدجال - : فأهبط فأقتُله ، ويرجع الناس إلى بلادهم فيستقبلهم يأجوج ومأجوج ، وهم من كل حَدَب ينسلون ، فلا يمرون بماء إلا شربوه ولا يمرون بشيء إلا أفسدوه ، فيجارون[3] إلى الله تبارك وتعالى ، فيدعو الله فيميتهم فتجار الأرض إلى الله من ريحهم ، ويجارون إليّ فأدعو ، فترسل السماء بالماء فتحمل أجسامَهم فتقذفها في البحر . ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مدّ الأديم ، فعَهْدُ الله عزّ وجلّ إليّ إذا كان ذلك فإن الساعة من الناس كالحامل المتمّ ، لا يدري أهلها متى تفجأهم بولادِها ليلاً أو نهاراً .

---

(١) في القاموس : الثُندأة لك ، كالثدي لها . وإذا فتحت الكلمة فلا تهمز . هي ثَندُوَة .

(٢) ورد الحديث بخلاف في الرواية في ابن عساكر ٢ / ٢ ، ٣

(٣) الجؤر : الرجوع . القاموس : « جور » .

قال عبد الله :

فوجدت تصديق ذلك في كتـاب الله عز وجلّ : ﴿حتّى إذا فُتِحَتْ يـأجوجُ ومـأجوجُ وهُمْ منْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون واقْتَرَبَ الوَعْدُ الحَقّ ﴾[1] الآية .

قال : وجَمْع الناس من كل مَكان جاؤوا منه يوم القيامة فهو حَدَبٌ .

---

(١) سورة الأنبياء ٢١ / ٩٦ ـ ٩٧

ذكر شرف جامع دمشق وفضله

قال يزيد بن ميْسرة :

أربعة أجبل مقدسة بين يـدي الله عزّ وجلّ : طورزيتـا ، وطورسينـا ، وطورتينـا ، وطور تيمنانا . قال : فطورزيتـا : بيت المقـدس ، وطورسينـا : طور موسى ، وطورتينـا : مسجد دمشق ، وطور تيمنانا : مكة .

وعن قتادة قال :

أقسم الله تعالى بمساجد أربعة : [١٠٣ / أ] قـال : ﴿ والتين ﴾ وهو مسجـد دمشق . ﴿ والزيتون ﴾ وهو مسجـد بيت المقـدس ﴿ وطـور سينين ﴾ وهـو حيث كلّم الله مـوسى ، ﴿ و [هذا] البلد الأمين ﴾ وهو مكة .

قال محمد بن شعيب :

سمعت غير واحد من قـدمـائنـا يـذكرون أن التين مسجـد دمشق ، وأنهم أدركوا منـه شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد .

قال عبد الرحمن[1] بن إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر :

كان خارج باب الساعـات صخرة يوضع عليها القربـان ، فما تُقُبّل منـه جـاءت نـار فأخذته ، وما لم يُتقبّل بقي على حاله .

وقد روي أن النبي ﷺ ليلة أُسري به صلى في موضع مسجد دمشق .

وعن القاسم ، أبي عبد الرحمن قال :

أوحى الله تبـارك وتعـالى إلى جبـل قـاسيـون أنْ هبْ ظلـك وبركتـك لجبـل بيت المقدس ، قال : ففعل . فأوحى الله إليه : أما إذ فعلت فإنني سأبني لي في حضنك بيتـاً ، أي

(١) صحح ابن عساكر الاسم في نهاية السند قال : « صوابه يحيى بن إسماعيل » .

في وسَطك . وهو هذا المسجد ، يعني : مسجد دمشق أُعبَد فيه بعد خراب الدنيا أربعين عاماً ، ولا تذهب الأيام والليالي حتى أرد عليك ظلَّك وبركتك ، قال : فهو عند الله بمنزلة المؤمن الضعيف المتضرع .

وقال كعب الأحبار :

لَيُبْنَيَن في دمشق مسجد يبقى بعد خراب الدنيا أربعين عاماً

قال عبد الرحمن بن إبراهيم :

حيطان مسجد دمشق الأربعة من بناء هود عليه السلام ، وما كان من الفسيفساء إلى فوق فهو من بناء الوليد بن عبد الملك .

ولما أمر الوليد بن عبد الملك ببناء مسجد دمشق وجدوا في حائط المسجد القبلي لوحاً من حجر فيه كتاب نقش ، فأتوا به الوليد فبعث إلى الروم فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى العبرانيين فلم يستخرجوه ، ثم بعث إلى كل من كان بدمشق من بقية الأشبان فلم يستخرجوه ، فدُلّ على وهب بن منبّه فبعث إليه ، فلما قدم عليه أخبره بموضع ذلك اللوح فوجدوه في ذلك [١٠٣/ ب] الحائط ، ويقال : ذلك الحائط بناءُ هود النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم ، فلما نظر إليه وَهْب حرك رأسه ، فإذا هو : بسم الله الرحمن الرحيم . ابنَ آدم ، لو رأيتَ يسير ما بقي من أجَلَك لَزهدت في طويل ما ترجو من أملك ، وإنما تلقى ندمك لو قد زلّت بك قدمك ، وأسلمك أهلك وحشمك ، وانصرف عنك الحبيب ، وودعك القرينْ ، ثم صرت تُدعى فلا تجيب ، فلا أنت إلى أهلك عائد ، ولا في عملك زائد ، فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة وقبل الحسرة والندامة ، وقبل أن يحلّ بك أجلك ، وتُنزع منك روحك ، فلا ينفعك مالٌ جمعته ، ولا ولد ولدته ، ولا أخ تركته ، ثم تصير إلى برزخ الثرى ومجاورة المولى ، فاغتنم الحياة قبل الموت . والقوة قبل الضعف ، والصحة قبل السقم ، قبل أن تؤخذ بالكَظَم[1] ، ويُحال بينك وبين العمل . وكتب في زمان سليمان بن داود عليهما السلام .

وعن زيد بن واقد قال :

وكّلني الوليد على العمال في بناء جامع دمشق فوجدنا فيه مغارة ، فعرَّفنا الوليدَ

---

(١) الكظم : مخرج النَّفَس . القاموس : « كظم » .

ذلك . فلما كان الليل وافى وبين يديه الشمع ، فنزل فإذا هي كنيسة لطيفة ثلاثة أذرع في ثلاثة أذرع ، وإذا فيها صندوق ففتح الصندوق فإذا فيه سَفَط ، وفي السَّفَط رأس يحيى بن زكريا عليهما السلام مكتوب عليه : هذا رأس يحيى بن زكريا ، فأمر به الوليد فردّ إلى المكان ، وقال : اجعلوا العمود الذي فوقه مغيّراً من الأعمدة . فجُعل عليه عمود مُسَفَّط الرأس

وعن زيد بن واقد قال :

رأيت رأس يحيى بن زكريا حيث أرادوا بناء مسجد دمشق ، أُخرج من تحت ركن من أركان القبة ، وكانت البشرة والشعر على رأسه لم يتغير .

وسأل رجل الوليد بن مُسْلم :

يا أبا العباس ، أين بلغك رأس يحيى بن زكريا ؟ قال : بلغني أنه ثَمَّ ، وأشار بيده إلى العمود [١٠٤/ أ] المسفَّط الرابع من الركن الشرقي .

وعن زيد بن واقد قال :

حضرت رأس يحيى بن زكريا وقد أُخرج من اللِّيطة[1] القبلية الشرقية التي عند مجلس بجيلة ، فوضع تحت عمود للسكاسك .

وقد رُوي البلاطة بدل الليطة .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

صلاة الرجل في بيته بصلاة ، وصلاته بمسجد القبائل بخمس وعشرين صلاة . وصلاته في المسجد الذي يجمّع فيه بخمس مئة ، وصلاته في المسجد الأقصى بخمسة آلاف ، وصلاته في مسجدي بخمسين ألفاً ، وصلاته في المسجد الحرام بمئة ألف .

وعن أبي زياد الشَّعْباني أو أبي أمية الشَّعْباني قال :

كنا بمكة فإذا رجل في ظل الكعبة ، وإذا هو سفيان الثوري فقال رجل : يا أبا عبد الله ، ما تقول في الصلاة في هذه البلدة ؟ قال : بمئة ألف صلاة . قال : ففي مسجد رسول الله ﷺ ؟ قال : بخمسين ألف . قال : ففي بيت المقدس ؟ قال : أربعين ألف صلاة . قال : ففي مسجد دمشق ؟ قال : ثلاثين ألف صلاة .

---

(١) الليطة : كل شيء له صلابة ومتانة . اللسان « ليط »

وعن معاوية بن قُرّة قال : قال عمر بن الخطاب :

من صلى صلاة مكتوبة في مسجدِ مصرٍ من الأمصار كانت له كحجة مُتقبّلة ، وإن صلّى تطوّعاً كانت له كعمرة مبرورة .

وعن كعب بمعناه ، وزاد :

فإن أصيب في وجهه ذلك حُرّم لحمه ودمه على النار أن تطعمَه ، وذنبه على من قتله .

وتقدم الوليد بن عبد الملك ليلة من الليالي إلى القوّام فقال : إني أريد أن أصلي الليلة في المسجد ، فلا تتركوا فيه أحداً حتى أصلي الليلة ، ثم إنه أتى إلى باب الساعات فاستفتح الباب ففُتح له ، فدخل من باب الساعات فإذا برجل قائم بين باب الساعات وباب الخضراء الذي يلي المقصورة قائمًا يصلي ، وهو أقرب إلى باب الخضراء منه إلى باب الساعات ، فقال القوام : ألم آمركم ألا تتركوا أحداً يصلي الليلة في [١٠٤/ ب] المسجد ؟ فقال له بعضهم : يا أمير المؤمنين ، هذا الخضر عليه السلام يصلي في المسجد كل ليلة .

خرج واثلة بن الأسقع من باب المسجد الذي يلي باب جيرون فلقي كعب الأحبار فقال له : أين تريد ؟ فقال له : واثلة بن الأسقع يريد بيت المقدس ، فقال له : تعال حتى أريك موضعاً في هذا المسجد ، مَن صلى فيه فكأنما صلّى في بيت المقدس قال : فذهب به فأراه ما بين الباب الأصفر الذي يخرج منه الوالي إلى الحَنيَّة ، يعني القنطرة الغربية . قال : من صلى فيما بين هذين [فكأنما][1] صلى في بيت المقدس .

قال واثلة :

إنه لمجلسي ومجلس قومي . قال : هو ذاك .

قال أبو زرعة

مسجد دمشق خطَّه أبو عبيدة بن الجراح وكذلك مسجد حمص . وأما مسجد مصر فإنه خطه عمرو بن العاص زمن عُمَر .

قال أبو ثَوْبان :

ما ينبغي أن يكون أحد أشدّ شوقاً إلى الجنة من أهل دمشق ، لما يرون من حسن مسجدها .

---

(١) اللفظة مستدركة من تاريخ ابن عساكر ٢ / ٢٤

لما قدم المهدي يريد بيت المقدس دخل مسجد دمشق ومعه أبو عبيد الله الأشعري كاتبه ، فقال : يا أبا عبيد الله ، سبقتنا بنو أمية بثلاث . قال : وما هُنّ يا أمير المؤمنين ؟ قال : بهذا البيت ، يعني : المسجد ، لا أعلم على ظهر الأرض مثله ، وبنُبل الموالي ، فإن لهم موالي ليس لنا مثلهم ، وبعُمر بن عبد العزيز ، لا يكون والله فينا مثله أبداً . ثم أتى بيت المقدس فدخل الصخرة فقال : يا أبا عُبَيدَ الله وهذه رابعة .

ولما دخل المأمون مسجد دمشق ومعه أبو إسحاق المعتصم ويحيى بن أكثم قال : ما أعجب ما في هذا المسجد ؟ فقال له أبو إسحاق : ذهبه وبقاؤه . فإنا نهيئه في قصورنا فلا تمضي به العشرون سنة حتى يتغير . قال : ماذاك أعجبني منه . فقال له يحيى بن أكثم : تأليف رخامه ، فإني رأيت فيه عُقداً ما رأيت مثلها . قال : ما ذاك أعجبني فقالا له : ما الذي أعجبك ؟ قال : بنيانه على غير مثال متقدم .

قال المأمون لقاسم التمار :

اختر لي اسماً حسناً [١٠٥/ أ] أسمّي به جاريتي هذه . قال : سمّها مسجد دمشق ، فإنه أحسن شيء .

قال الشافعي :

عجائب الدنيا خمسة اشياء : أحدها منارتكم هذه ، يعني منارة ذي القرنين ، والثاني أصحاب الرقيم الذين هم بالروم اثنا عشر رجلاً أو ثلاثة عشر رجلاً ، والثالث مرآة ببلاد الأندلس معلّقة على باب مدينتها الكبيرة ، فإذا غاب الرجل من بلادهم على مسافة مئة فرسخ في مئة فرسخ فإذا جاء أهله إلى تلك المنارة فقعد تحتها ونظر في المرآة يرى صاحبه بمسافة مئة فرسخ ، والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الإنفاق عليه . والخامس الرخام والفسيفساء ، فإنه لا يُدرى له موضع ، فيقال إن الرخام كلها معجونة . والدليل على ذلك أنها لو وضعت على النار لذابت .

ما ذكر من هدم بقية كنيسة مَرْيحنا

وإدخالها في الجامع

عن كعب

في قول الله عز وجل : ﴿ يا أيُّها الذين آمَنُوا عَلَيْكُم أَنْفُسَكُم لا يَضُرُّكم مَنْ ضلَّ إذا اهْتَدَيْتُم ﴾(1) فقال : إذا هُدمت كنيسة دمشق فَبنيت مسجداً وظهر لُبس القصب ، فحينئذ تأويل هذه الآية . وهدمها الوليد بن عبد الملك .

وكان معاوية أراد أن يبني مسجد دمشق فقال له كعب : ذلك أخنس قريش وما اجتمع أبواه . فلما كان الوليد بن عبد الملك بعث إلى النصارى وقال لهم في كنيستهم وسألهم إياها فأبَوْا ، فقال لهم : ائتونا بالعهد فأتَوْه به فقال لهم : قد رضيتم ، فأنا أسجل البعض عليكم ، فنظروا فإذا كنيسة كذا، وكنيسة كذا ، وكنيسة كذا . ورضُوا بأن أعطوا الكنيسة وكفٌّ عن كنائسهم .

قالوا : وكان معاوية بن أبي سفيان يخرج إلى الصلاة في المسجد من الموضع الذي يصلي فيه الغرباء عند باب جيرون من عند الزجاجة الخضراء [١٠٥/ ب] فجعلت الزجاجة علامةً لمّا سُدّ البابُ من شرق المسجد خارج الباب .

قال يعقوب(2) بن سفيان :

سألت هشام بن عمار عن قصة مسجد دمشق وهَدْم الكنيسة قال : كان الوليد قال للنصارى من أهل دمشق : ما شئتم ، إنا أخذنا كنيسة توما عَنوة وكنيسة الداخلة صلحاً ، فأنا أهدم كنيسة توما . قال هشام : وتلك أكبر من هذه الداخلة . قال : فرضوا أنْ هَدَم

---

(1) المائدة ١٠٥/٥

(2) انظر المعرفة والتاريخ ج ٣٣٥/٣

كنيسة الداخلة ، وأدخلها في المسجد . قال : وكان بابها قبلة المسجد ، اليوم المحراب الذي يصلّى فيه .

قال : وهدْم الكنيسة في أول خلافة الوليد سنة ست وثمانين ، وكانوا في بنيانه سبع سنين حتى مات الوليد ولم يتمّ بناؤه ، فأتمه هشام من بعده .

وفي حديث آخر :

لما همّ بهدم الكنيسة ، كنيسة مَرْيُحَنّا(١) ليزيدها في المسجد(١) ، دخل الكنيسة ، ثم صعد منارة ذات الأضالع المعروفة بالساعات ، وفيها راهب يأوي في صومعة له فأحدره من الصومعة ، فأكثر الراهب كلامه ، فلم تزل يد الوليد في قفاه حتى أحدره من المنارة ثم همّ بهدم الكنيسة ، فقال له جماعة من نجّاري النصارى : ما نجسُر على أن نبدأ في هدمها يا أمير المؤمنين ، نخشى أن نُعزّ أو يصيبنا شيء ، فقال الوليد : تحذرون وتخافون ! يا غلام ، هات المعول ، ثم أتى بسلّم فنصبه على محراب المذبح ، وصعد فضرب بيده المذبح حتى أثّر فيه أثراً كبيراً ، ثم صعد المسلمون فهدموه ، وأعطاهم الوليد مكان الكنيسة التي في المسجد ، الكنيسة التي تعرف بحمام القاسم بحذاء دار أم البنين في الفراديس ، فهي تسمّى مريُحنا مكان هذه التي في المسجد . وحولوا شاهدها فيما يقولون إليها ، إلى تلك الكنيسة .

وكان أراد أن يبني المسجد اسطوانات إلى الكوى ـ يعني الطاقات ـ فدخل بعض البنائين فقال : لا ينبغي أن يبنى كذا ولكن ينبغي [١٠٦/ أ] أن تبنى فيه قناطر ويعقد أركانها بعضها إلى بعض ثم تجعل أساطين ، ويجعل عمد ، ويجعل فوق العمد قناطر تحمل السقف ، ويخفف عن العمد البناء ، ويجعل بين كل عمودين ركن . قال : فبني كذلك .

قالوا : ودخل المغيرة بن عبد الملك يوماً على الوليد بن عبد الملك بن مروان ، فرآه مغموماً فقال له : يا أمير المؤمنين ، ما سبيلك ؟ قال : فأعرض عنه ، ثم إنه عاوده فقال : يا أمير المؤمنين ، ما سبيلك ؟ قال : فقال له : يا مغيرة ، إن المسلمين قد كثروا وقد ضاق بهم المسجد ، وقد بعثت إلى هؤلاء النصارى أصحاب هذه الكنيسة لنُدخلها في المسجد فتأبّوا علينا ، وقد أقطعتهم قطائع كثيرة ، وبذلت لهم مالاً فامتنعوا ، فقال له المغيرة : يا أمير المؤمنين ، لا تغتمّ قد دخل خالد من باب الشرقي بالسيف ، وباب الجابية دخل منه أبو

(١ ـ ١) ما بين الرقمين في هامش الأصل

عبيدة بن الجراح في الأمان فسامحهم إلى أي موضع بلغ السيف ، فإن يكن لنا فيه حق أخذناه ، وإن لم يكن لنا فيه حق داريناهم حتى نأخذ باقي الكنيسة فنُدخله في المسجد فقال له : فرّجت عني ، فتولّ أنت هذا . قال : فتولاّه ، فبلغت المسحة إلى سوق الرَّيْحان حتى حاذى من القنطرة الكبيرة أربعة أذرع وكَسْر بالذراع القاسمي ، فإذا باقي الكنيسة قد دخل في المسجد ، فبعث إليهم فقال لهم : هذا حق قد جعله الله عزّ وجلّ لنا ، لم يصلّ المسلمون في غصب ولا ظلم ، بل نأخذ حقنا الذي جعله الله لنا ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، قد أقطعتنا أربع كنائس وبذلت لنا من المال كذا وكذا ، فإن رأيت يا أمير المؤمنين أن تتفضّل به علينا فافعل ، فامتنع عليهم حتى سألوه وطلبوا إليه . قال : فأعطاهم كنيسة حُميد بن درّة ، وكنيسة أخرى حيث سوق الجبن ، وكنيسة مريم ، وكنيسة المصلّبة . ثم إن الوليد بعث إلى المسلمين حتى اجتمعوا لهدم الكنيسة ، واجتمع النصارى فقال للوليد بعض الأقساء والفأس على كتفه وعليه قَباء سَفرجلي وقد شدّ برَقبة قبائه فقال له : [١٠٦/ ب] إني أخاف عليك من الشاهد يا أمير المؤمنين . قال : ويلك ما أضع فأسي إلا في رأس الشاهد ، ثم إنه صعد ، فأول من وضع فأسه في هدم الكنيسة الوليد . وسارع الناس في هدم الكنيسة ، وكبر الناس ثلاث تكبيرات وزادها في المسجد .

وقيل : إنه قيل للوليد : لا يهدمها أحد إلا جُنّ ، فقام يزيد بن تميم فجمع له وجوه أهل البلد حتى علا الكنيسة ثم التفت إلى يزيد فقال : أين الفأس فأتاه به فقال : إن هؤلاء الكفرة يزعمون أنّ أول من يهدمها يجنّ وأنا أول من يُجنّ في الله ، فأخذ برقبة قبائه فوضعها في منطقته ثم أخذ الفأس فضرب به ضربات ، ثم تناوله القوم وكلٌ من حضر ، ولم يجدوا من ذلك بدّاً إذ فعله أمير المؤمنين ، وصاح النصارى على الدرج وولولوا ، ثم التفت إلى يزيد بن تميم وهو على خَراجه فقال : ابعث إلى اليهود حتى يأتوا على هدمها . ففعل فجاء اليهود فهدموها .

ما ذكر في بنائه واختيار موضعه

في كتاب أخبار الأوائل أن هذه الدار المعروفة بالخضراء مع الدار المعروفة بالمَطبق مع دار المعروفة بدار الخيل مع المسجد الجامع أقاموا وقت بنائها يأخذون الطالع لها ثمانِ عشرة سنة . وقد حُفر أساس الحيطان ، حتى وافاهم الوقت الذي طلع فيه الكوكبان اللذان أرادوا أن المسجد لا يخرب أبداً ولا يخلو من العبادة . وأن هذه الدار إذا بُنيت لاتخلو من أن تكون دار الملك أو السلطنة والضرب والحبس وعذاب الناس والقتل ومأوى الجند والعساكر والبلاء والفتنة ، فبني على هذا ، والله أعلمَ . وكانت في ذلك الزمان كلها داراً واحدة .

ولما أراد الوليد بن عبد الملك بناء مسجد دمشق احتاج إلى صناع كثير ، فكتب إلى الطاغية أن وجّه إليّ بمئتى صانع [١٠٧/ أ] من صناع الروم فإني أريد أن أبني مسجداً لم يَبن مَن مضى قبلي ولا يكون بعدي مثله . فإن أنت لم تفعل غزوتك بالجيوش وأخربت الكنائس في بلدي وكنيسة بيت المقدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم في بلدي ، فأراد الطاغية أن يفضّه عن بنائه ويضعف عزمه ، فكتب إليه : « والله لئن كان أبوك فَهَمها فأغفل عنها إنها لَوصمة عليه ، ولئن كنتَ فهمتها وغيبت عن أبيك إنها لوصمة عليك ، وأنا مُوجّه إليك ما سألت » . فأراد أن يعمل له جواباً فجلس له عقلاء الرحال في حظيرة المسجد يفكرون في ذلك ، فدخل عليهم الفرزدق فقال : ما بال الناس ! أراهم مجتمعين حلقاً ، فقيل له : السبب كيت وكيت ، فقال : أنا أجيبه من كتاب الله . قال الله تعالى : ﴿ فَفَهَّمْناهَا سُلَيْمانَ ، وَكُلاً آتَيْنا حُكْماً وعِلْما ﴾[1] فسُرّيَ عنهم .

وروى أبو حفص

أن هود النبي صلى الله على نبينا وعليه وسلم أسس الحائط الذي قِبلة دمشق .

ولما بنى الوليد بن عبد الملك القبة ـ يعني : قبة مسجد دمشق ـ فلما استقلت وتمت وقعت فشَق ذلك عليه ، فأتاه رجل من البنائين فقال له : أنا أتولى بنيانها على أن تعطيني

(١) سورة الأنبياء ٧٨/٢١

عهد الله ألاّ يدخل معي أحد في بنيانها ففعل ذلك ، فحفر موضع الأركان حتى بلغ الماء ثم بناها ، فلما استقلت على وجه الأرض غطاها بالحصر وهرب عن الوليد ، فأقام يطلبه ولا يقدر عليه . فلما كان بعد سنة لم يعلم الوليد إلا وهو على بابه فقال له : ما دعاك إلى ما صنعت ! قال : تخرج معي حتى أريك ، فخرج الوليد والناس معه حتى كشف الحصر فوجد البنيان قد انحطّ حتى صار مع وجه الأرض فقال : مِن هذا كنت تؤتى ، ثم بناها بنيانها الذي عليه حتى قامت .

وقيل : لما حفر لأركانها حتى بلغ الحفر إلى الماء ألقى على الماء جران الكرم ، وبني الأساس عليه .

قال إبراهيم بن أبي[1] حوشب النصري [١٠٧/ ب] وكان جده أحد قومة المسجد في بنائه قال :

حُدثت أن الوليد بن عبد الملك بعث إليه يوماً عند فراغه من القبة الكبيرة ، فلم يبق منها إلاّ عقْد رأسها فقال له : إني عزمت أن أعمّدها بالذهب قال : فقال له : يا أمير المؤمنين ، اختلطت ؟! هذا شيء تقدر عليه ؟! قال له : يا ماجنُ تقول لي هذا ؟! فأمر به فشُق عنه وضُرب خمسين سوطاً . قال : ثم قال : اذهب فافعل ما أمرت به قال : فذكر لي أنه عمل لبنة من ذهب فحملها إليه ، فلما نظر إليه وعرف ما فيها وما تحتاج القبة إلى مثلها قال : هذا شيء لا يوجد في الدنيا ، ورضي عنه وأمر له بخمسين ديناراً .

ولما قطع الوليد بن عبد الملك بالرصاص لمسجد دمشق لأهل الكُوَر كانت كورة الأردنّ أكثرهم في ذلك ، فطلبوا الرصاص من النواويس[2] الغادية وانتهوا إلى قبر حجارة في داخله قبر من رصاص ، فأخرجوا الميت الذي فيه فوضعوه فوق الأرض ، فوقع رأسه في هوّة من الأرض وانقطع عنقه فسال مِن فيه دمٌ ، فهالهم ذلك ، فسألوا عنه فكان فيمن سألوا عنه عُبادة بن نُسيّ الكندي فقال لهم : هذا القبر قبر طالوت الملك .

وقيل : إنه لما فرغ الوليد بن عبد الملك من بناء المسجد قال له بعض وَلَده : أتعبت الناس في طينه كلّ سنة ويخرُب سريعاً ، فأمر أن يُسقف بالرصاص ، فطلب الرصاص في

---

(١) في الأصل : إبراهيم بن حوشب ، وهو ابراهيم بن أبي حوشب . ترجم له ابن عساكر ترجمة بسيطة في تاريخه قال : « حكى عن جد له حكاية منقطعة في بناء قبة الجامع . حكى عنه يزيد بن أحمد السلمي »

(٢) النواويس ، ج ناووس : مقابر النصارى . اللسان والتاج : « نوس » .

كل بلد وصل إليه ، فبقي عليه موضع لم يجد له رصاصاً ، فكتب إلى عماله يحرّضهم في طلبه ، فكتب إليه بعض عماله أن قد وجدنا عند امرأة منه شيئاً ، وقد أبت أن تبيعه إلا وزناً بوزن ، فكتب إليه : خذه ، وإن أبت إلا وزناً بوزن ، فأخذه منها وزناً بوزن ، فلما وفّاها قالت له : هو هدية مني للمسجد . قال لها : أنت أبيت أن تبيعي إلا وزناً بوزن شُحًّا منك ، فتهدينه للمسجد ؟! فقالت : أنا فعلت ذلك ظننت أن صاحبكم [١٠٨/ أ] يظلم الناس في بنائه ويأخذ رحالهم ، فلما رأيت الوفاء منكم علمت أنه لم يكن يظلم فيه أحداً ثَمَّ ، ويبتاع وزناً بوزن ، فكتب إلى الوليد في ذلك ، فأمر أن يعمل في صفائحه : لله ، ولم يدخله في جملة ما عمله . فهو إلى اليوم مكتوب عليه : لله . طبع بطابع على السقف .

وقيل : إن المرأة كانت يهودية ، وأنه كتب على الرصاص الذي أعطتهم : للإسرائيلية وذكر أنه رؤي منه شيء قبل الحريق عليه : للإسرائيلية .

ولما أراد الوليد بناء المسجد بدمشق كان سليمان بن عبد الملك هو القيم مع الصُنّاع .

وكان المشايخ يقولون : ما تمّ مسجد دمشق إلا بأداء الأمانة . لقد كان يفضل عند الرجل من القوام عليه الفأس ورأس المسمار ، فيجيء فيضعه في الخزانة .

وقيل : إن قبة دمشق الرخام التي فيها فوارة الماء [أقيمت][1] في سنة تسع وستين وثلاث مئة

وقيل : أنشئت الفوارة المنحدرة وسط جيرون في سنة ست عشرة وأربع مئة ، وجرت ليلة الجمعة لسبع ليال خلون من شهر ربيع الأول من سنة سبع عشرة وأربع مئة ، بما أمر بجرّ القصعة من ظاهر قصر حجاج إلى جيرون وإجراء مائها القاضي فخرُ الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسن بن العباس الحُسَيني . جزاه الله على ذلك خيراً .

وتحته بخط محمد بن أبي نصر الحميدي : وسقطت في صفر من سنة سبع وخمسين وأربع مئة من جِمال تحاكّت بها ، فأنشئت كرة أخرى ، ثم سقطت عمدها وما عليها في حريق اللبادين ورواق دار الحجارة ودار خديجة ، في شوال سنة اثنتين وستين وخمس مئة .

---

(١) اللفظة مستدركة من تاريخ ابن عساكر ٢ / ٣٢

كيفية ترخيمه ومعرفة المال المنفق عليه

قال إبراهيم بن هشام :

مافي مسجد دمشق من الرخام شيء إلا رخامتا المقام ، فإنه يقال إنها من عرش سبأ ، وأما الباقي فكله مرمر .

قيل : هو المقام الغربي .

[١٠٨ / ب] وقيل : هما من عرش بلقيس .

وقيل : كان في مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم .

وعن عَمرو بن مهاجر ، وكان على بيت مال الوليد بن عبد الملك

أنهم حسبوا ما أنفق على الكرمة التي في قبلة مسجد دمشق فكان سبعين ألف دينار ، وحسبوا ما أنفقوا على مسجد دمشق فكان أربع مئة صندوق في كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار .

قال : وأتاه حَرَسِيّه فقال : يا أمير المؤمنين ، إن أهل دمشق يتحدثون أن الوليد أنفق الأموال في غير حقها ، فنادى بالصلاة جامعة وخطب الناس فقال : إنه بلّغني حرسيّ أنكم تقولون إن الوليد أنفق الأموال في غير حقها ، ألا يا عَمرو بن مهاجر ، قم فأحضر ما قِبَلك من الأموال من بيت المال ، قال : فأتت البغال تدخل بالمال وتصبّ في القبة على الأنطاع حتى لم يبصر مَنْ في الشام مَنْ في القبلة ، ولا مَنْ في القبلة من في الشام .

وقال : الموازين ، فوزنت الأموال . وقال لصاحب الديوان : أحضر من قِبَلك من يأخذ رزقنا ، فوجدوا ثلاث مئة ألف ألف في جميع الأمصار ، وحسبوا ما يصيبهم فوجدوا عنده رزقَ ثلاث سنين . ففرح الناس وكبّروا وحمدوا الله عزّ وجلّ وقال : إلى ما تذهب هذه الثلاث السنين أتانا الله بمثله ، وبمثله ، ألا وإني إنما رأيتكم يا أهل دمشق تفخَرون على

الناس بأربع خصال فأحببت أن يكون مسجدكم الخامس . تفخرون على الناس بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم ، فأحببت أن يكون مسجدكم الخامس ، فاحمدوا الله ، فانصرفوا شاكرين داعين .

وقيل : إن الوليد بن عبد الملك اشترى العمودين الأخضرين الكبيرين اللَّذيْن تحت النسر من حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية بألف وخمس مئة دينار .

قال أبو مُسهر :

عملت المقصورة لسليمان بن عبد الملك حين استُخلف .

[١٠٩/أ] # ذكر ما كان عمر بن عبد العزيز

ردَّه على النصارى عند طلبه

قال علي بن أبي حَمَلة :

لما ولي عمر بن عبد العزيز قال نصارى دمشق : يا أمير المؤمنين ، قد علمتَ حال كنيستنا . قال : إنها صارت إلى ما تَرَوْن ، فعوّضهم كنيسةً من كنائس دمشق لم تكن في صلحهم يقال لها : كنيسة توما .

وقيل : إن النصارى رفعوا إلى عمر بن عبد العزيز ما أخذوا عليه العهد في كنائسهم ، لا تُهدم ولا تسكن ، وجاؤوا بكتابهم إليه فكلمهم عُمر وَرَفع لهم في الثمن حتى بلغ مئة ألف ، فأبَوْا ، فكتب عُمر إلى محمد بن سويد الفهري أن يدفع إليهم كنيستهم ، إلاّ أن يرضيَهم ، فأعظمه ذلك وأعظم الناسَ ، وفيهم يومئذ بقية من أهل الفقه ، فشاورهم محمد بن سويد فقالوا : هذا أمر عظيم ، ندفع إليهم مسجدنا وقد أذّنّا فيه بالصلاة ، وجمّعنا فيه ، يُهدَم فيعاد كنيسة ؟ ! فقال رجل منهم : ها هنا خصلة : لهم كنائس عظام حول مدينتهم : دير مرّان وباب توما والراهب وغيرها ، إن أحبوا أن نعطيهم كنيستهم ولا يبقى حول مدينة دمشق كنيسة ولا بالغوطة إلا هُدمت ، وإن شاؤوا تركت لهم كل كنيسة بالغوطة ، ونسجل لهم بها سجلاً ، وتركوا ما يطلبون . فدعاهم فعرض ذلك عليهم فقالوا : أنظرونا ننظرْ في أمرنا ، فتركهم ثلاثاً ، فقالوا : نحن نأخذ الذي عرضت علينا ، وتكتب إلى الخليفة تخبره أنّا قد رضينا بذلك ، ويسجل الخليفة من قبله سجلاً منشوراً بأمان على ما بالغوطة من كنيسة أن تهدم أو تسكن . قالوا : نعم . فكتب إلى عمر بن عبد العزيز بذلك ، فسرّه وسجّل لهم في كنائسهم التي خارج مدينة دمشق والغوطة ، أنهم آمنون أن تُخرب أو تسكن ، وأشهد لهم شهوداً .

قال عمرو بن مهاجر : سمعت عمر بن عبد العزيز ، وذكر مسجد دمشق فقال :

رأيت [١٠٩ / ب] أموالاً أنفقت في غير حقها ، فأنا مستدرك ما أدركتُ منها فرادّه إلى بيت المال ، أعمد إلى ذلك الفُسيفساء والرخام فأقلعه وأطيّنه ، وأنزع تلك السلاسل وأجعل مكانها حبالاً ، وأنزع تلك البطائن فأبيع جميع ذلك وأدخله بيت المال ، فبلغ ذلك أهل دمشق فاشتد عليهم ، فخرج إليه أشرافهم فيهم خالد القسري فقال لهم خالد : ائذنوا لي حتى أكون أنا المتكلم ، فأذنوا له . فلما أتوا دير سَمعان استأذنوا على عمر فأذن لهم ، فلما دخلوا سلّموا عليه ، فقال له خالد : يا أمير المؤمنين ، بلَغنا أنك همت في مسجدنا بكذا وكذا ، قال نعم ، رأيت أموالاً أنفقت في غير حقها ، وأنا مستدرك ما أدركت منها فرادّه إلى بيت المال ، فقال له : والله ما ذلك لك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : لمن هو ، لأمك الكافرة ؟ ! وغضب عمر ، وكانت أمه نصرانية ، أم ولد ، رومية ، فقال خالد : إن تك كافرة فقد ولدَت مؤمناً ، فاستحيا عمر ، وقال : صدقت ، فما قولك : فما ذلك لي ؟ قال : إنا كنا - معشرَ أهل الشام وإخواننا من أهل مصر وإخواننا من أهل العراق - نغزو فيفرض على الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزاً بالصغير من فسيفساء وذراعاً في ذراع من رخام ، فيحمله أهل العراق وأهل حلب إلى حلب ، ويُستأجر على ما حملوا إلى دمشق ، ويحمل أهل حمص[1] إلى حمص ، ويُستأجر على ما حملوا إلى دمشق ، ويحمل أهل دمشق ، ومَن وراءهم حصتهم إلى دمشق ، فذلك قولي : ما ذلك لك ، فسكت عمر ، ثم جاءه بَريدٌ مِن مصر من واليها يخبره أن قارباً ورد عليه من رومية فيه عشرة من الروم ، عليهم رجل منهم ، يريدون الوفود إلى أمير المؤمنين ، فكتب إليه أن وجّههم إليّ ووجّه معهم عشرة من المسلمين ، عليهم رجل منهم ، كل منهم يحسن [الكلام][2] بالرومية ، ولا يُعلمونهم ذلك [١١٠ / أ] حتى يحملوا إليّ كلامهم ، فساروا حتى نزلوا دمشق خارج باب البريد ، فسأل الروم رئيس العشرة من المسلمين أن يستأذن لهم الوالي في دخول المسجد ، فأذن لهم ، فمروا في الصحن حتى دخلوا من الباب الذي يواجه القبة ، فكان أول ما استقبلوا المقام ، ثم رفعوا رؤوسهم إلى القبة فخرّ رئيسهم مغشياً عليه ، فحُمل إلى منزله ، فأقام ما شاء الله أن يقيم ثم أفاق . فقالوا له بالرومية : ما قصتك . عهدنا بك بالرومية ، وما ننكرك ، وصَحِبْتنا في طريقنا هذه فما

---

(١) لفظتا « أهل حمص » مستدركتان في هامش الأصل وبجانبها « صح »

(٢) اللفظة مستدركة من تاريخ ابن عساكر ٢ / ٤٣

أنكرناك ، فما الذي عرض لك حين دخلت هذا المسجد ؟ ! قال : لأنّا ـ معشرَ أهل رومية ـ نتحدث أن بقاء العرب قليل ، فلما رأيت ما بَنوْا علمت أن لهم مدة سيبلُغونها ، فلذلك أصابني الذي أصابني . فلما قدموا على عُمر أخبروه بما سمعوا منه فقال عمر : ألا أرى مسجد دمشق غيظاً على الكفار . وترك ما كان همّ به من أمره .

وقيل : إن عمر بن عبد العزيز لما استُخلف أراد أن يجرّد ما في قبلة [مسجد][1] دمشق من الذهب وقال : إنه يشغل الناس عن الصلاة ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، إنه أنفق عليه عَدٌ فيء المسلمين وأعطياتهم ، وليس يجتمع منه شيء فينتفع به ، فأراد أن يبيِّضه بالجص فقيل له : تذهب النفقات فيه ، فأراد أن يستره بالخزف فقيل له : تضاهي الكعبة ، فبينما هو في ذلك إذ ورد عليه وفد الروم فاستأذنوا في دخول المسجد ، فأذن لهم ، وأرسل معهم من يعرف الرومية وقال : لا تعلموهم أنكم تعرفون الرومية ، واحفظوا ما يقولون ، فلما وقفوا تحت القبة قال رئيسهم : كم للإسلام ؟ قالوا : مئة سنة ، قال : فكيف تُصغِّرون أمرهم ؟ ما بنى هذا البنيان إلا ملك عظيم . وأتى الرسول عمر فأخبره فقال : أما إذ هو غائظ للعدو فدعه .

---

(١) اللفظة مستدركة من تاريخ ابن عساكر ٢ / ٤٤

ذكر ما في الجامع من القناديل

وما فيه وفي البلد من الطِّلَّسمات

[١١٠ / ب] كان مكحول إذا طفئت قناديل المسجد ـ يعني مسجد دمشق ـ يسُدُّ أنفه . وقال : يعتري من رائحته المسك .

قال عبد الرحيم الأنصاري : سمعت الأعراب وهم يزورون المسجد يقولون :

لا صلاة بعد القُليلة يعني [الدّرة][1] . قلت له : أرأيت القُليلة ؟ فقال : نعم . كانت تضيء مثل السراج . قلت : من أخذها ؟ قال : أما سمعت المثل : منصور سرق القلة وسليمان شرب المرة .

منصور الأمير ، وسليمان صاحب الشرطة . سليمان هو الأمير وهو ابن المنصور ، ومنصور صاحب شرطته .

وذلك أن الأمين كان يحبّ البلور ، فكتب إلى صاحب شرطة والي دمشق أن ينفذ إليه القليلة فسرقها ليلاً ، فلما قتل المأمونَ الأمينَ رد القليلة إلى دمشق ليشنع بذلك على الأمين . وكانت هذه القليلة في محراب الصحابة ، فلما ذهبت جعل موضعها بَرْنِيّة[2] من زجاج . قال الراوي : رأيتُها . ثم انكسرت بعد فلم يُجْعل في مكانها شيء .

وعن علي بن أبي حملة قال :

كنا نستر مسجد دمشق في الشتاء بلبود ـ أحسبه قال : في عهد الوليد ـ فدخلَتْه الريح فهزته ، فثار الناس فحرّقوا اللبود .

---

(١) اللفظة مستدركة من تاريخ ابن عساكر ٢ / ٤٥

(٢) البرنية : إناء من خزف . القاموس .

قال أبو مروان عبد الرحيم وهو ابن عمر المازني :

لما كان في أيام الوليد بن عبد الملك وبنائه المسجد احتفروا فيه موضعاً ، فوجدوا باباً من حجارة مغلقاً ، فلم يفتحوه ، وأعلموا به الوليد ، فخرج من داره حتى وقف عليه ، وفُتح بين يديه ، فإذا داخله مغارة فيها تمثال إنسان من حجارة على فرس من حجارة في يد التمثال الواحدة الدرة التي كانت في المحراب ويده الأخرى مقبوضة ، فأمر بها فكُسرت ، فإذا فيها حبّتان ، حبة قمح وحبة شعير ، فسأل عن ذلك فقيل له : لو تركت الكف لم تكسرها لم يسوس في هذه البلدة قمح ولا شعير .

وقيل : إنه لما دخل المسلمون دمشق وقت فتحها ووجدوا على العمود الذي في المقسلاّط على السّفود الحديد [١١١ / أ] الذي في أعلاه صنماً ماداً يده بكفّ مطبقة فكسروه ، فإذا في كفه حبة قمح ، فسألوا عن ذلك فقيل لهم : هذه الحبة القمح جعلها حكماء اليونانيين في كف هذا الصنم طِلَّسماً حتى لا يسوّس القمح ، ولو أقام سنين كثيرة .

وإنما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لأنه كان عُمل هناك ساعات يُعلم بها كل ساعة تمضي من النهار ، عليها صورة عصافير وحية وغراب . فإذا تمت الساعة خرجتِ الحية ، فصاحت العصافير وصاح الغراب ، وسقطت حصاة في الطست .

قال أبو المفضل يحيى بن علي القاضي

إنه أدرك في الجامع قبل حريقه طِلّسمات لسائر الحشرات معلقة في السقف فوق البطائن مما يلي السُّبْع ، وإنه لم يكن يوجد في الجامع شيء من الحشرات قبل الحريق . فلما احترقت الطلسمات وجدت . وكان حريق الجامع ليلة النصف من شعبان بعد العصر ، سنة إحدى وستين وأربع مئة .

حدث جماعة من شيوخ أهل دمشق قال[١]

العمود الحجر الذي بين سوق الشعير وبين سوق أم حكيم عليه حجر مدوّر مثل الكرة كبير لعسر بول الخيل . إذا دار الفرس أو الحمار ثلاث مرات انطلق البول منه . عمله حكماء

---

(١) أي راوي الحديث .

الروم من اليونانيين . مجرب . وكان على قنطرة باب سوق أم حكيم الذي بحضرة مسجد الطباخين صنم مكسور على القنطرة للحاجات . إذا دخل إنسان فيه لحاجة لم تقض .

وفي سقف مسجد الجامع طلاسم عملها الحكماء في السقف مما يلي الحائط القبلي . فمنها طلسم للصنونيات لا تدخله ولا تعشش فيه من جهة الأوساخ التي يكون منها ولا يدخله غراب . وطلسم للفأر والحيات والعقارب . ومأأبصر الناس فيه من هذا شيئاً إلا الفأر . قال : ويوشك أن يكون تغير طلّسمها ، وطلّسم للعنكبوت لا ينسج في زواياه ، ويركبه الغبار والوسخ .

[١١١ / ب]

ماورد في أمر السُبْع
وابتداء الحضور فيه

قال حسان بن عطية :

الدّراسة محدثة ، أحدثها هشام بن إسماعيل المخزومي في قَدمته على عبد الملك . فحجبه عبد الملك بعد الصبح في مسجد دمشق ، وعبد الملك في الخضراء ، فأُخبر أن عبد الملك يقرأ بقراءة هشام ، فقرأ بقراءته مولى له ، فاستحسن ذلك مَن يليه من أهل المسجد ، فقرؤوا بقراءته .

قال خالد بن دهقان :

أول من أحدث الدّراسة بدمشق هشام بن إسماعيل بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وأول من أحدث الدّراسة في فلسطين الوليد بن عبد الرحمن الجُرشي ، وكان يحضر الدّراسة جماعة ممن يُعرف بالعلم أو بالرئاسة ، ومن القضاة ومن الفقهاء ومن المحدثين . وروي عن بعضهم أنه كره اجتماعهم وأنكره . ولا وجه لإنكاره .

وسئل عبد الله بن العلاء عن الدّراسة فقال : كنا ندرس في مجلس يحيى بن الحارث في مسجد دمشق في خلافة يزيد بن عبد الملك إذ خرج علينا أميرُنا الضحاكُ بن عبد الرحمن بن عَرْزَب الأشعري من الخضراء ، فأقبل علينا منكراً لما نصنع . فقال : ما هذا ؟! أوْ ما أنتم فيه ؟! فقلنا : ندرس كتاب الله ، فقال : تدرسون كتاب الله عز وجلّ ، إن هذا لشيء ما رأيته ولا سمعت أنه كان قبلُ ، ثم دخل الخضراء . وكان الضحاك بن عبد الرحمن أميراً على دمشق في خلافة عمر بن عبد العزيز .

ذكر مساجد البلد وحصْرها

عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ :

ستكون دمشق آخر الزمان أكثر المدن أهلاً ، وأكثره أبدالاً وأكثره مساجد ، وأكثره زهاداً ، وأكثره مالاً ورجالاً ، وأقله كفاراً . وهي معقلٌ لأهلها .

وذكر عبيد الله الخولاني

أنه سمع عثمان بن عفان حين بني مسجد [١١٢ / أ] رسول الله ﷺ يقول : إنكم قد أكثرتم إني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

من بنى مسجداً ـ قال بُكير ، أحد رواته : حسبت أنه قال : يبتغي به وجه الله عزّ وجلّ ـ بنى الله له مثله في الجنة .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

من بنى بيتاً ليُعبَد اللهُ فيه من حلال ، بنى الله له بيتاً في الجنة من درّ وياقوت .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

من بنى مسجداً ولو قدر مفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة . قالت : قلت يا رسول الله ، وتلك المساجد التي في طريق مكة ؟ قال : وتلك .

قال : فغدا الحضّ على المساجد وبنيانها يدل على خَطر محلها وعظم شأنها . وقد عدد مساجد دمشق وذكرها ، وعيَّن أكثر أسمائها وخططها ، وأسماء مَن بناها ووصف أكثرها ، فكانت جملتها أربع مئة وخمسة وعشرين مسجداً على ما فصّله بالتعريف والعدد ، منها ما ذكره فقال : أوله من قبلة السوق وأنت داخل من باب الجابية ، ومساجد الناحية الشامية عن يمنة الداخل من الباب الشرقي ، وفي القلعة مئتان وواحد وأربعون مسجداً .

قال : وأما ما عداها من المساجد التي في أرباضه وظاهره مما ليس في قرية مسكونة أو معمورة من ناحية القبلة ومن الشام ومن الشرق ومن الغرب مئة مسجد وأربعة وثمانون مسجداً .

قال : وهذا يدل على اهتمام أهلها بالدين وكثرة المصلين فيها والمتعبدين .

وروي عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال :

لما افتتح عمر بن الخطاب البلدان كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ للجماعة مسجداً ، ويتخذ للقبائل مساجد ، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة ، فشهدوا الجمعة . وكتب إلى سعد بن أبي وقاص [١١٢ / ب] وهو على الكوفة بمثل ذلك . وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك . وكتب إلى أمراء أجناد الشام لا يتبدّوا إلى القرى ، وأن ينزلوا المدائن ، وأن يتخذوا في كل مدينة مسجداً واحداً . ولا يتخذ القبائل مساجد كما اتخذ أهل الكوفة والبصرة وأهل مصر . وكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده .

وروى محمد بن عطاء عن أبيه قال :

لما قدم عمر الشام أمر ألا يُتخذ في المدينة مسجدان . قال : وإنما أراد عمر بذلك المسجد الأعظم الذي تقام فيه الجمع ، وإنما فرّق بين مدائن الشام وبين الكوفة والبصرة في الحكم ، لأن مدائن الشام ممصّرة قبل الإسلام ، فلا تقام في مصر واحدٍ أكثر من جمعة ، فأما الكوفة والبصرة فكل منزل نزلته قبيلة واختطّته فهو بمنزلة مصرٍ مفرد . ولم يرد بذلك النهيَ عن اتخاذ المساجد التي لا تقام فيها الجمعة . فأما مصر فإنها وإن كانت قبل الإسلام فإن المسلمين لما افتتحوها تفرقت القبائل فيها ، واختطت بها خططاً نسبت إليها فأشبه حكمها حكم الكوفة والبصرة . والله أعلم .

ذكر فضل المساجد المقصودة بالزيارة

رُوي عن عبد الله بن عمرو أنه سُمع يقول :

ما من مسلم يأتي زيارة من الأرض أو مسجداً بني بأحجارٍ فيصلي فيه إلا قالت الأرض : سل الله في أرضه ، وأشهد لك يوم تلقاه .

وقد تقدم ، فيما قلناه ، أن ربوة دمشق هي التي سماها الله في كتابه بالربوة(١) .

قال حسان بن عطية :

إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل حضره الموت ، وأوصى بالمُلْك لرجل حتى يُدرك ابنه . فكانوا يؤمّلون أن يدرك ابنه فيملكوه ، ويكون مكان أبيه . فأتي عليه فقبض . قال : فجزعوا عليه . فلما خرجوا بجنازته وفيهم عيسى بن مريم عليه السلام فدنا من أمه فقال : أرأيت إن أنا أحييت [١١٣ / أ] لك ابنك أتؤمنين بي وتتْبعينني ؟ قالت : نعم ، فدعا اللهَ عزّ وجلّ ، فَجعلت أكفانُه تتحلّل عنه حتى استوى جالساً ، فقالوا : هذا عمل ابن الساحرة ، وطلبوه حتى انتهى إلى شِعب النِّيرب فاعتصم منهم بقلعة على صخرةٍ متعاليةٍ ، فأتاه إبليس لعنه الله ، فقال : جئتُك وما أعتذر إليك من شيء ، هذا أنت لم تنافسهم في دنياهم ولا بشبرٍ من الأرض ، صنعوا بك ما صنعوا ، فلو ألقَيت نفسك من هذا المكان فتلقّاك روح القدس ، فيذهب بك إلى ربك ، فتستريح منهم . فقال عيسى : يا غويّ ، الطويلُ الغواية ، إني أجدُ فيما علّمني ربّي عزّ وجلّ ألا أجرّب ربي حتى أعْلم أراضٍ عني أم ساخط عليّ . قال : وزجره الله عنه . قال : فأقبلت عليهم أم الغلام ، فقالت : يا معشر بني إسرائيل ، كنتم تبكون وتشقّون ثيابكم جزعاً عليه . فلما أحياه الله لكم أردتم قتله . قالوا : فما تأمرينا به ؟ قالت : ائتوه فآمنوا به ، فأتوه ، فقالوا : خصلة بيننا وبينك ، إن أنت فعلتها أمنّا بك واتبعناك ، قال : وما هي ؟ قالوا : تحيي لنا عُزَيْراً ، قال : دلّوني على قبره ، فنزل عيسى معهم حتى انْتَهَوْا إلى قبره ، قال : فتوضأ وصلّى ركعتين ودعا . قال :

---

(١) انظر ص ٨٧ من هذا الجزء .

فجعل قبرُهُ ينفرج عنه التراب فخرج قد ابيضّ نصفُ رأسه ولحيته ، وهو يقول : هذا فعلُك يابن مريم ، فقال : لم أصنع بك ، هذا فعل قومك ، زعموا أنهم لا يؤمنون بي ولا يتبعوني حتى أُحْيِيك لهم ، وهذا في هُدًى قومك يسيرٌ. قال : فأقبل عليهم يعظهم ، ويأمرهم بالإيمان به واتّباعه . قال : فقال له قومه : عهدناك وأنت أسودُ الرأس واللحية ما لنصف رأسك قد ابيضّ ؟ قال : إني سمعتُ الصيحةَ فظننتُ أنها دعوةُ الداعية ، حتى أدركني مَلَكٌ فقال : إنها هي دعوة ابن مريم فانتهى الشيب إلى ما ترى .

ويروى أن النيرب مصلّى الخضر عليه السلام .

وعن ابن عباس

أنه ولد إبراهيم [١١٣ / ب] بغوطة دمشق في قرية يقال لها برزة ، في جبل يقال له قاسيون .

وعن حسان بن عطية قال :

أغار مَلِك نَبَط هذا الجبل على لوط فسباه وأهلَه ، فبلغ ذلك إبراهيم خليل الله عليه السلام ، فأقبل في طلبه في عدةِ أهلِ بدرٍ ثلاث مئة وثلاثة عشر ، فالتقى هو وملك الجبل في صحراء يعفور ، فَعَبّأ إبراهيم ميمنةً وميسرةً وقلباً . وكان أولَ مَنْ عَبّأ الحرب هكذا ، فاقتتلوا فهزمه إبراهيم ، واستنقذ لوطاً وأهلَه فأتى هذا الموضع الذي في برزةَ الذي ينسب إلى مسجد إبراهيم فصلّى فيه .

وعن الزهري أنه قال :

مسجدُ إبراهيم عليه السلام في قرية يقال لها برزة ، فمن صلّى فيه أربع ركعات خرج من ذنوبه كيوم ولدتْهُ أمُّه ، ويسألُ اللهَ ما شاء فإنّه لا يردّه خائباً .

ومشايخ أهل دمشق يذكرون أن الآثارات التي بدمشق في برزة عند المسجد الذي يقال له مسجد إبراهيم عليه السلام التي في الجبل عند الشّقّ أنّه مكان إبراهيم . وأن الآثارات التي فوق الشق في الجبل هي موضع رَأيِ إبراهيم الكوكبَ الذي ذكر اللهُ في كتابه : ﴿ فَلَمّا رَأى كَوْكَباً قالَ : هذا رَبّي ﴾[1] أنّه كان في الجبل في ذلك الموضع ، وهو معروف ، فمن

---

(١) سورة الأنعام ٦ / ٧٦

قصده وصلّى فيه ودعا أجابه الله في دعائه . وأن ذلك الجبل كان فيه لوط النبيّ وجماعة من الأنبياء . وآثارهم في مواضع من الجبل بالقرب من مسجد إبراهيم .

قال : وأدركتُ الشيوخَ يقصدونَه ويقيمونَ فيه ويصلونَ ويدعون الله . وهو نافعٌ لقسوةِ القلوب وكثرةِ الذنوبِ ، وإنَّ بعض الشيوخ جاء من مكةَ فصلّى في الموضع الذي فوق الشقّ ، الموضع الذي يقال إنه رأى إبراهيمُ فيه الكوكبَ . وذكر أنه رأى في نومه إن أحْبَبْتَ أن ترى الموضعَ الذي رأى فيه إبراهيمُ الكوكبَ فاقصد دمشقَ ، واقصد موضعاً يقال له برزة عند مسجد إبراهيم فوق الجبل فصلِّ فيه ركعتين ثم ادعُ بما شئتَ تُجَبْ [١١٤ / أ] فقصدت الموضع .

قال أحمد بن صالح :

أدركتُ الشيوخَ بدمشق قديماً وهم يفضّلون مسجد إبراهيم الذي ببرزةَ ويقصدونه ، ويصلون فيه ويقرؤون ، ويدعون ، ويذكرون أنّ الدعاء فيه مجابٌ . وهو موضع شريف عظيم ، فهم يذكرون عن شيوخهم ومَنْ أدركوا من أهل العلم أنهم يصححونه ويفضّلونه ويقولون : إنّ مسجد إبراهيم عليه السلام ، وإن الشقّ الذي في الجبل خارج باب المسجد هو الموضع الذي اختبأ فيه إبراهيم من النمروذ الذي كان ملك دمشق في وقت إبراهيم ، والدعاء فيه مجاب ، فمن قصد الله في ذلك الموضع ودعا فيه بنيّةٍ خالصةٍ رأى الإجابة .

قال أبو الحسين الرازي :

مسجدا إبراهيم أحدهما في الأشعريين والآخر في برزة .

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : سمعت رسول الله ﷺ وسأله رجل عن دمشق ـ وقيل : عن الآثارات بدمشق ـ فقال :

بها جبلٌ يقال له قاسيون فيه قَتَلَ ابنُ آدم أخاه ، وفي أسفله في الغرب وُلد إبراهيم ، وفيه آوى الله عيسى بن مريم وأمّه من اليهود ، وما من عبدٍ أتى مَعقِل روح الله فاغتسل وصلّى ودعا لم يردّه الله خائباً ، فقال رجل : يا رسول الله ، صفه لنا ، قال : هو بالغوطة ، مدينة يقال لها دمشق ، وأزيدكم أنه جبل كلّمه الله ، وفيه وُلد أبي إبراهيم ، فمن أتى هذا الموضع فلا يعجز في الدعاء ، فقام رجل قال : يا رسول الله ، أكان ليحيى بن زكريا معقلاً ؟ قال : نعم احترسَ فيه يحيى من هداد ـ رجلٍ من عاد ـ في الغار الذي تحت دم ابن آدم المقتول ، وفيه احترس إلياسَ النبيُّ من مَلِكِ قومه ، وفيه صلّى إبراهيم ولوط وموسى

وعيسى وأيوب فلا تعجزوا في الدعاء فيه ، فإن الله أنزل عليَّ : ﴿ ادْعوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(١) وربُّنا يسمع الدعاء . قالوا : كيف ذلك ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ [١١٤ / ب] أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذا دَعانِ ﴾(٢) .

وعن كعب الأحبار أنه قال :

إنه موضع الحاجات والمواهب من الله عزّ وجلّ لا يَرُدّ سائلاً فيه .

وروي عن مكحول

أنّه صعِد مع عمر بن عبد العزيز إلى موضع الدم يسأل الله سقيانا فسقانا .

قال مكحول : وسمعت كعب الأحبار يذكر

أنّه موضعُ الحاجات والمواهب من الله ، وأنّه لا يردُّ سائلاً في ذلك الموضع .

قال هشام : وسمعت الوليد يقول : سمعت سعيد بن عبد العزيز قال :

صعدنا في خلافة هشام إلى موضع قَتْلِ ابنِ آدم أخاه نسأل الله يسقينا ، فأتى مطرٌ فأقمنا في الغار الذي تحت الدّم ثلاثةَ أيامٍ . وفي رواية : فدعونا الله فارتفع عنا وقد رَوِيَتْ الأرض .

قال الوليد بن مسلم : سمعت ابن عباس يقول :

كان أهلُ دمشقَ إذا احتبسَ عليهم القطرُ ، أو غلا بَيْعُهم أو جار عليهم سلطانٌ ، أو كانت لأحدهم حاجةٌ صعدوا موضعَ ابنِ آدم المقتول فيسألون الله ، فيعطيهم ما سألوا .

وروي عن أحمد بن كثير قال :

صعِدتُ إلى موضع دمِ ابن آدم عليهما السلام في جبل قاسيون بدمشق ، فسألت الله عزّ وجلّ الحجَّ فحججتُ ، وسألته الجهادَ فجاهدتُ ، وسألته الزيارةَ والصلاةَ في بيت المقدس وعسقلان وعكا والرباط في جميع السواحل فرزقتُ ذلك كله ، وسألته يغنيني عن الأسواق والبيع فرزقتُ . ولقد رأيت النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، وهابيل بن آدم عليهما السلام فقلت له : أسألك بحقّ الواحد الصمد وبحقّ أبيك آدم النبي ﷺ هذا دمك ؟ فقال : إيْ والواحدِ الصمدِ ، هذا دمي ، جعله الله آيةً للناس ، وإني دعوت الله عزّ وجلّ

---

(١) سورة المؤمن ٤٠ / ٦٠

(٢) سورة البقرة ٢ / ١٨٦

فقلت : اللهم ربَّ أبي آدم وأمي حواء وهذا النبي المصطفى الأمي ، اجعل دمي مستغاثاً لكل نبي وصدّيق ، ومن دعا فيه فتجيبه ، وسألك فتعطيه [١١٥ / أ] فاستجاب الله عزّ وجلّ وجعله طاهراً آمناً ، وجعل هذا الجبل آمناً ومعقلاً ومعاشاً ، ثم وكّل الله به مَلَكا يقال له عزرائيل وجعل معه من الملائكة بعدد نجوم السماء ، يحفظونه ومن أتاه لا يريد إلا الصلاة فيه ، فقال رسول الله ﷺ : قد فعل وزاد كرماً وإحساناً . وإني آتيه كلَّ خميس وصاحباي وهابيل نصلّي فيه . فقلت : يا رسول الله ، ادعُ اللهَ أن أكون مستجابَ الدعوة وعلّمني دعاءً لكلِّ مُلِمَّةٍ وحاجةٍ فقال لي : افتح فاك ، قال : ففتحته ، فتَفَل فيه ، ثم قال : رُزِقْتَ فالزمْ ، رُزِقْتَ فالزم .

وعن كعب أنه قال :

إن إلياس اختبأ من مَلِك قومه في الغار الذي تحت الدم عشرَ سنين حتى أهلك اللهُ الملكَ ووليهم غيره ، فأتاه إلياس فعرض عليه الإسلامَ فأسلم ، وأسلم من قومه خلقٌ عظيمٌ غيرَ عشرة آلاف منهم ، فأمر بهم فقتلهم عن آخرهم .

قال وهب بن منبه : سمعت ابن عباس يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

اجتمع الكفّارُ يتشاورون في أمري ، فقال النبي ﷺ : يا ليتني بالغوطة بمدينة يقال لها دمشق حتى آتي الموضع مستغاث الأنبياء حيث قَتل ابن آدم أخاه فأسأل الله أن يهلك قومي فإنهم ظالمون ، فأتاه جبريل قال : يا محمد ، ائت بعض جبال مكة فأوِ بعضَ غاراتها فإنها معقلك من قومك . قال : فخرج النبي ﷺ وأبو بكر حتى أتيا الجبل ، فوجدا غاراً كثير الدواب ... فذكر الحديث .

وعن ابن عباس قال :

موضعُ الدّم في جبل قاسيون موضعٌ شريف كان يحيى بن زكريا وأمه فيه أربعين عاماً ، وصلّى فيه عيسى بن مريم والحواريّون ، فلو كنتُ سألتُ الله أن يغفر لعبده ابن عباس يوم يُحشر البشر ، فمن أتى هذا الموضع فلا يقصّر عن الصلاة والدعاء فيه فإنه موضع الحوائج . ومن أراد أن يرى ﴿ وآوينـاهما إلى [١١٥ / ب] رَبْوةٍ ذَاتِ قَرارٍ وَمعين ﴾(١) فليأت النيرب الأعلى بين النهرين وليصعد إلى الغار في جبل قاسيون فيصلِّ فيه ، فإنه بيت

(١) سورة المؤمنون ٢٣ / ٥٠

عيسى وأمه وهو كان معقلهم من اليهود . ومن أراد أن ينظر إلى إرم فليأت نهراً في حَفَر[1] دمشق يقال له بَرَدَى ، ومن أراد أن ينظر إلى المقبرة التي فيها مريمُ بنت عمران والحواريّون فليأت مقبرة الفراديس .

وقال الزهري :

لو يعلم الناسُ ما في مغارة الدم من الفضل لما هَنَأ بهم طعام ولا شراب إلا فيها .

ذكر أبو الفرج محمد بن عبد الملك بن المُعَلّم

أنه ابتدأ بناء الكهف في سنة سبعين وثلاث مئة قال : رأيت جبريل عليه السلام في المنام ، فقال لي : إن الله سبحانه يأمرك أن تبني مسجداً يُصَلّى فيه له ويُذكَر اسمه ، وهو هذا ، فقلت : وأين هذا الموضع ؟ فسار إلى هذا الموضع الذي سمّيته أنا كهف جبريل . قلت : أنّى لي بذلك ؟ قال : إنّ الله سيوفّق لك من يُعينك عليه .

قال أبو الفرج :

وإنّما سمّيْتُه كهفَ جبريل عليه السلام ومسجد محمد ﷺ لأني رأيتهما في المنام فيه . وموضع يُرى فيه جبريل ومحمد ﷺ من أجلّ بقاع الأرض . قال : وجبل دمشق هذا ما أنبت شجرةً قط ولا ظهر فيه ثمرة ، فلما رأيت جبريل ومحمداً ﷺ أنبتَ الله عزّ وجلّ ببركتهما الشجر ، وظهر فيه الثمر ، وأكل الناس ما لم يُؤكل فيه قط ، وصار مسجداً من مساجد الله يذكر فيه اسمه ، فمن كانت له حاجةٌ فليغسلْ جسدَه بالماء ، ويلبسْ ثوباً طاهراً ثم يقصدُ إلى الكهف فيصلّي فيه ركعتين ، يقرأ في كل ركعة بالحمد وسبع مرات قُلْ هو الله أحد . فإذا فرغ من صلاته يقول : اللهم صلِّ على جبريل الروح الأمين وعلى محمدٍ خاتم النبيين سبع مرات ، ويسجد فيقول : اللهم إني أتوسل إليك بجبريل الروح الأمين [١١٦ / أ] ومحمد خاتم النبيين إلا قضيتَ حاجتي ويذكرها ، فإنّ الله سبحانه يقضيها له إن شاء الله .

ومما يُرْجى إجابة الدعاء فيه مسجد القدم عند القطيعة[2] ، يقال إن هناك قبر موسى بن عمران ﷺ .

---

(١) الحَفَر : المكان الذي حفر كخندق أو بئر . معجم البلدان ، والقاموس : « حفر » . والمقصود هنا وادي دمشق .

(٢) انظر غوطة دمشق ٢٤٢

ومسجد الباب الشرقي للصحيح عن النبي ﷺ أن فيه ينزل عيسى بن مريم عليه السلام .

ومسجد واثلة بن الأسْقَع داخل الزلاّقة على النهر وهو مسجد صغير .

ومسجد فضالة بن عُبَيْد في سوق الكبير جائزَ مسجد درب الرَّيْحان ، وهو مسجدٌ سَفَل صغير ، وداره بذلك الموضع ، ويعرف اليوم بدار التمارين .

ومسجد أوس بن أوس في درب القلي ، وهو مسجد صغير .

والمسجد الذي على باب زقاق عطّاف ، كان مسجد أيْمن بن خُرَيم .

ومسجد سوق الرَّيحان مسجد يزيد بن نُبَيْشَة وهو صحابي قرشي من بني عامر بن لؤي .

ودار أبي عُبَيْدة بن الجرّاح في حجر الذهب ، ومسجده بالسّقيفة التي عند بني عبد الصمد .

ودار خالد بن الوليد ، ومسجده عند باب توما .

وروى بسنده عن الشيخ أبي بكر بن سيد حَمْدُوية قال :

لما أراد بناء مسجده المعروف اليوم بأبي صالح وُجِدَ في المحراب لوحٌ من فخّار عليه مكتوب : هذا مسجد الأولياء ، فأصبحنا ولم نره ، وغيّبه الشيخ وقال : هذا شهرة .

ذكر فضل مواضع وجبال

بظاهر دمشق وضواحيها

قال الوضين بن عطاء : قال رسول الله ﷺ لأصحابه :

من تَكفّل لي ببيتٍ في الغوطة أتكفلُ له ببيتٍ في الجنة .

قال : وهو حديث منقطع .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

خلق الله عزّ وجلّ جمجمة جبريل عليه السلام على قدر الغوطة .

قال الوليد :

وبلغني أنّ غنم يعقوب عليه السلام كانت ترعى في مرجٍ بالغوطة .

وعن يونس بن ميسرة :

أشرف[1] عيسى بن مريم على الغوطة فقال : يا غوطة ـ وقال الأكفاني : الغوطة ـ إن عجز الغني أن يجمع منك كنزاً لم يعجز المسكين أن يشبع منك خبزاً . ولم يقل ابن الأكفاني : منك ، في الموضعين .

عن أبي مسهر ، سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول :

إنما سُميّت ثنيّة العقاب براية خالد بن الوليد حين أشرف عليها بالراية العقاب .

وعن إسحاق بن فروة

أن راية رسول الله ﷺ السوداء صارت إلى خالد بن الوليد ، فقاتل بها بني حنيفة

(١) من هذه اللفظة يبدأ خرم في الأصل بمقدار ورقة ، وقد أتممناه من تاريخ ابن عساكر المجلدة الثانية . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ص ١١٦ ـ ١٢٥ ، بعد تهذيب الأسانيد .

ومَسْلَمة . ثم مضى إلى الجزيرة ، ثم أتى الشام فقاتل بها في وقائع الشام .

حدثني ابن أبي الرجال عن محمد بن عمارة بن عامر بن عمرو بن حزم قال :

كانت راية رسول الله ﷺ التي يسير فيهـا تسمى العقـاب ، رايـة الأنصـار فقلت لـه : ياعبد الملك ، سوداء ؟ قال : لا ، ولكنها خضراء .

ذكر أبو بكر أحمد بن يحيى البلاذري هذا المعنى ثم قال :

وقوم يقولون إنها سُمّيت بعقابٍ من الطير كانت ساقطـة عليهـا . وسمعت من يقول : كان هناك مثل عقاب من حجارة .

والخبر الأول أصح .

قال قتادة : وحدثني رجل عن سعيد بن المسيّب عن عبد الله بن عمرو قال :

أرواح المؤمنين تُجمع بالجانبين ، وأرواح الكفار تجمع ببرهوت وفي سبخة بحضرموت .

قال أبو حاتم :

الجـانبين : اليمن . وبرهـوت . من نـاحيـة اليمن . ولاأدري تفسير أبي حـاتم للجـانبين محفوظاً . والله تعالى أعلم .

عن سعيد بن المسيب قال :

أرواح المؤمنين بأرض الجابية ، وأرواح الكفار بسبخة حضرموت .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

خلق الله تعالى آدم من طين الجابية ، وعجنه بماء الجنة .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

خلـق الله تعـالى آدم من طين الجنـة ، وعجنـهُ بمـاءٍ من مـاء الجنـة ، وقـال : من مـاء زمزم .

وحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وغيره

أن جنـد حمص الجنـدُ المتقـدم ، وإنهـا كانت يومئـذ ثغراً ، وإن النـاس كانوا يجتمعون بالجابية لقبض العطاء ، وإقامة البعوث من أرض دمشق ، في زمن عمر وعثمان حتى نقلهم إلى

معسكر دابق[1] معاويةَ بن أبي سفيان لقربه من الثغور . قال : فكان والي الصائفة وإمام العامة في أهل دمشق ، لأن مَن تقدمهم من أهل حمص وأهل قنّسرين وأهل الثغور مقدمة لهم . وإلى أهلها يولون إن كانت لهم جولة من عدوهم .

وعن كثير المزني عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ :

أربعة أجبل من جبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة . قيل : فما الأجبل يارسول الله ؟ قال : أُحُد جبل يحبّنا ونحبّه جبل من جبال الجنة ، وطور جبل من جبال الجنة ، ولبنان جبل من جبال الجنة ، وقاسيون جبل من جبال الجنة . والأنهار النيل والفرات وسيحون وجيحون . والملاحم بدر وأحد وخيبر والخندق .

عن ابن عباس

أنه كتب إلى خالد يسأله عن أشياء من البيت فكتب إليه : إن البيت أُسّس على خمسة أحجار : حجر من أحد ، وحجرين من طور سينا ولبنان ، وحجر من ثبير ، وحجر من حراء .

عن مجاهد قال :

بُني البيت من أربعة أجبل : من حراء ، وطور زيتا ، وطور سينا ، ولبنان .

عن قتادة قال :

ذُكر لنا أن قواعد البيت من حراء . وذكر لنا أن البيت بُني من خمسة أجبلٍ : من حراء ولبنان والجودي وطور سينا وطور زيتا .

عن قتادة

وذكر قول الله تبارك وتعالى ﴿ وإذْ بوّأْنا لإبراهيمَ مكانَ البيت ﴾[2] .

قال قتادة :

هذا حرم الله قد طاف به آدم ومَنْ بعدَه ، فلما كان إبراهيم أراه الله تعالى مكان البيت

---

(١) هي قرية شمال حلب . معجم البلدان

(٢) سورة الحج ٢٢ / ٢٦ ـ ٢٧

فأتبع منه أثراً قديماً فبناه من طور زيتا وطور سينا وجبل لبنان ومن أحد وحراء . وجعل قواعده من حراء . ثم قال : ﴿ وأذّنْ في الناس بالحج[1] ﴾

قال قتادة

في قوله تبارك وتعالى : ﴿ وإذْ يرفعُ إبراهيمُ القواعدَ مِنَ البَيْتِ وإسْماعيْلُ ﴾[2] .

قال قتادة :

إنها بنياه على أمر قديم كان قبلها ، فبنياه من خمسة أجبلٍ : من حراء ولبنان ، أو لدبنان ، والجودي وطور سينا وطور زيتا ، وبنيا القواعد من حراء .

عن ابن جريج قال :

بُني أساس الكعبة من خمسة أجبلٍ : من طور سينا ومن طور زيتا ، ومن لبنان ومن الجودي ومن حراء .

عن كعب قال :

أربعة أجبل : جبل الخليل ولبنان والطور والجودي ، يكون كل واحد منهم يوم القيامة لؤلؤة بيضاء تضيء مابين السماء والأرض ، يرجعن إلى بيت المقدس حتى تُجعل في زواياه ويضع الجبّار جلّ جلاله عليها كرسيّه حتى يقضي بين أهل الجنة والنار ﴿ وَترى الملائكة حافّيْن من حوْل العَرْش يُسبّحون بحمْد ربّهمْ ، وقُضي بينهمْ بالحقّ وقيلَ الحَمْدُ لله ربّ العالمين ﴾[3] .

عن كعب قال :

جبل لبنان كان عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

قال كعب :

ولبنان أحد الثانية أجبل تحمل العرش يوم القيامة .

---

(1) سورة الحج ٢٦/٢٢ ـ ٢٧

(2) سورة البقرة ١٢٧/٢

(3) سورة الزمر ٧٥/٣٩

عن أبي الزاهرية قال :

أنبئنا ، جبلٌ لبنان أحد حملة العرش الثانية يوم القيامة .

عن الوضين بن عطاء أن رسول الله ﷺ قال :

جبل الخليل جبل مقدس ، وإن الفتنة لما ظهرت في بني إسرائيل أوحى الله تعالى إلى أنبيائهم أن يفرّوا بدينهم إلى جبل الخليل .

وحكى بعض أهل العلم قال :

سمعت مشايخ أهل الشام يزعمون أن جبل الخليل إنما سُمي بذلك لأن الله تبارك وتعالى لما أوحى إلى الجبال : إني أريد أن أتجلّى إلى موسى على بعضكِ تطاولتْ وشمختْ غير جبل الخليل فإنه استخزى وتطامن[1] .

[١١٦ / ب] فسمي جبل الخليل .

وعن أبي هريرة وأبي الدرداء

لقي أنسٌ أبا الدرداء وأبا هريرة وابن مسعود مُقْبلين من سلسلة ، وسلسلة حصنٌ يكون في ساحل دمشق فيه مِنبر . قال : فأقمت بسلسلة ، وذلك أن جبريل عرض على رسول الله ﷺ ذكر سواحل الشام فعرض عليه سلسلة فوجدها مكتوبة في أُسْكُفّةِ بابِ عدن وهي جنة المأوى .

قال عبد الله بن مسعود :

أقمت فيها ثلاثاً فقصرت الصلاة ، والمقصّر فيها كمن أتمّ الصلاة سبعين سنة .

قال أبو الدرداء :

فصلّيتُ فيها أربع ركعات قرأت في الركعة الأولى ﴿ الحَمْدَ وقُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ وفي الثانية ﴿ الحَمْدَ وإذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ ﴾ وفي الثالثة ﴿ الحَمْدَ وقُلْ يا أيُّها الكافِرونَ ﴾ وفي الرابعة ﴿ الحَمْدَ وإذا زُلْزِلَتْ ﴾ وسمعت رسول لله ﷺ ذكره وحدث به .

قال إبراهيم اليماني :

قدمت من اليمن فأتيت سفيانَ الثَّوْري فقلت : يا أبا عبد الله ، إني جعلت في نفسي

---

(١) إلى هنا ينتهي الخرم في الأصل . وانظر ص٢٨٤ .

أن أنزل جدة فأرابط بها كلَّ سنةٍ وأعتمر في كل شهر عمرةً ، وأحجّ في كل سنة حجةٍ وأقرب من أهلي أحبَّ إليك أم آتي الشام فقال لي : يا أخا أهل اليمن ، عليكَ بسواحل الشام ، عليك بسواحل الشام ، فإنّ هذا البيت يحجّه في كل عام مئة ألف ومئتا ألف وثلاث مئة ألف ، وما شاء الله من التضعيف إلى مثل حجتهم وعمرتهم ومناسكهم .

وعن كعب قال :

يا أهل الشام ، يا أهل الشام من أراد منكم الرفق في المعيشة مع العبادة فعليه ببيسان ، ومن أراد منكم السّعة في الرزق والسلامة في الدين فعليه بعِرْقَة[1] ، ومن أراد منكم أن يجمع له دينه ودنياه فعليه بصور .

---

(١) بلد من المواصم في شرقي طرابلس وهي اخر عمل دمشق . معجم البلدان .

ذكر كنائس أهل الذمة التي صالحوا عليها

قال عمر بن عبد العزيز :

إنه كان في عهد أهل دمشق خمس عشرة كنيسة .

[١١٧ / أ] قال أبو مسهر :

أقام بعد فتح دمشق من بطارقة الروم بدمشق اثنا عشر بِطريقاً ، فأُقروا في منازلهم وكان لكل بطريق منهم في منزله - يعني كنيسة - فأقاموا بها حيناً ، ثم بدا لهم فهربوا من دمشق وتركوا تلك المنازل ، فأُقْطِعَها قومٌ من أشراف دمشق منهم ابن بَحْدل وابن مُدْلِج العَذْري وغيرهما . فلما ولي عمر بن عبد العزيز أخرج أولادهم منها وردَّها على الأعاجم ، فلما مات عمر رُدَّتْ إلى أولاد الذين أُقطعوها .

وقال رجاء بن أبي سلمة :

خاصم النصارى حسان بن مالكٍ الكلبي إلى عمر بن عبد العزيز في كنيسته بدمشق فقال له عمر : إن كانت من الخمس عشرة كنيسة التي في عهدهم فلا سبيل لك إليها .

قال علي بن أبي حَمَلة :

خاصَمَنا العجمُ في كنيسةٍ بدمشق يقال لها كنيسة بني نصر ، كان معاوية أَقْطَعهم إياها ، فأخرجهم عمر بن عبد العزيز منها ودفعها إلى النصارى . فلما ولي يزيد ردّها إلى بني نصر .

قال ابن المُعَلّى :

[١] قرأتَ كتابَ سجل من يحيى بن حمزة لِبَنْك نصارى قصبة دمشق أنهم ذكروا له أنه شجر بينهم وبين رئيسهم في دينهم وجماعتهم من أهل القرى وعَتاقَة العرب[٢] والغرباء

---

(١) سيرد هذا الخبر في الجزء الثالث من مختصر ابن منظور . انظر ترجمة أحمد بن نمير الثقفي .

(٢) هو مولى عَتاقَةٍ ومولًى عتيقٌ . القاموس : « عتق » .

اختلاف وفرقة وأنهم غلبوهم على كنـائسهم ، وسـألوا الوفـاء لهم بمـا في عهـدهم وكتـابهم الـذي كتبه لهم خالد بن الوليد عنـد فتح مـدينتهم ، فـدعوتُهم بحجتهم فـأَتَوني بكتـاب خـالـد بن الوليد لهم فيـه : بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا مـا أعطى خـالـد بن الوليـد أهلَ دمشق يوم فتحها ، أعطاهم أماناً لأنفسهم ولأموالهم وكنائسهم لا نَهْدمنَّه ولا نَسْكُنَنَّهُ ، لهم على ذلك ذمة الله وذمـة الرسول ﷺ وذمـة الخلفـاء وذمـة المؤمنين ألاّ يعرض لهم أحـد إلاّ بخير إذا أعطَـوا الـذي عليهم من الجزيـة . شهـد هـذا الكتـاب يوم كتب عمرو بن العـاص وعِيـاض بن غَنْم ويزيد بن أبي سفيـان وأبو عبيـدة بن الجراح ومَعْمَر بن عتـاب [١١٧ / ب] وشرحبيل بن حَسَنَة وعُمَيْر بن سعد ، ويزيد بن نُبَيْشة وعبد الله بن الحارث وقضاعي بن عـامر . وكتب في شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة .

وقرأت كتابهم فوجدته خاصة لهم ، وفحصت عن أمرهم فوجدت فتحها بعـد حصـار ، ووجدت ماوراء حيطانها لدفعة الخيل ومركز الرماح . ونظرت في جزيتهم [فوجـدتهـا][1] وظيفة عليهم خاصة دون غيرهم ، فقضيت لهم بكنائسهم حين وجدتهم أهل هذا العهـد وأبنـاء البلد بنكاً تُلُداً ووجدت مَن نازعهم لفيفاً طرؤوا عليهم ، وذلك لو أنّهم أسلموا بعد فتحها كان لهم صرفها مساجد ومساكن فلهم في آخر الدهر ما في أولـه ، وقضيتُ لمن نـازعهم بمـا كان لهم فيها من حليةٍ أو آنيةٍ أوكسوةٍ أو بناء أو عرصة أضافوا ذلك إليها يُدفع ذلك إليهم بأعيانـه إن قُدر عليه أو قيمة عدلٍ يومَ يُنظر فيه . شهـد عـدد كنـائس النصـارى التي دخلت في صلحهم بدمشق خمس عشرة كنيسة

(١) اللفظة مستدركة من خطط الشام ٦ / ٨

ذكر بعض الدّور التي هي داخل السُّور

لما استُخلف عبد الملك بن مروان طلب من خالد بن يزيد بن معاوية شراء الخضراء ، وهي دار الإمارة بدمشق ، فابتاعها منه بأربعين ألف دينار وأربع ضياع بأربعة أجناد الشام اختارهن ، فاختار من فلسطين عمواس ، ومن الأردنّ قصر خالد ، ومن دمشق أندركيسان ، ومن حمص دير زَكّى .

ولما بنى معاوية الخضراء بدمشق وهي دار الإمارة بالطوب . فلما فرغ منها قدم عليه رسولٌ ملك الروم فنظر إليها فقال له معاوية : كيف ترى هذا البنيان ؟ قال : أمّا أعلاه فللعصافير ، وأما أسفله فللفأر ، قال : فنقضها معاوية وبناها بالحجارة

وعدّد دوراً ليس في تعدادها كبير فائدة .

وأما ما كان من البنيان خارجاً عن السور فقد رُوي [١١٨ / أ] أنّ كعب الأحبار خرج من دمشق ومعه نفر يشيّعونه ، فخرج من باب الجابية حتى إذا كان عند الثنيّة من دير ابن أوفى[١] وقف ثم نظر إلى خلفه ثم سار حتى جاوز الكسوة ، فلما ودعوه سألوه عن ذلك فقال : أما نظري حين خرجت من باب الجابية ووقوفي على الثنيّة فإن البنيان يتصل إليها حتى يسير السائر في ضوء السراج حتى ينتهي إليها .

وروي عن كعب أنه قال :

يتصل العمران ما بين باب الجابية إلى البَضَيع[٢] .

---

(١) كان خارج باب الجابية « غوطة دمشق ٢٦٢ » .

(٢) جبل بالكسوة يسمى اليوم المضيع « غوطة دمشق ١٣ ومعجم البلدان »

وروي عن مطر[1] بن العلاء قال :

إنه كان يعرف من رأس زقاق فذايا[2] إلى قريـة تعرف بواسـط[3] في الغوطـة حوانيت ومنازل . وحكى عن شيوخه أن العمران يتصل بهذا حتى يصير سوق القمح في قرحتا[4] .

وروي أنّه كان على نهر يزيد رواشن مشرفة على النهر ، وكان أكثر ظاهر البلد منـازل القبائل وقرى متصلة وأبنية متقاربة ، فخرب أكثر ذلك في الفتن والحروب والحصارات وبـادَ أهلوه ، وتمادى عليـه الخراب إلى الآن ، وقلَّ موضعٌ حُفر إلا وجـد فيـه أثر العمارة من سـائر نواحي البلد من قبليّه وشرقيّه وشاميّه وغربيّه . والله يحرس ما بقي منها ويحميه .

---

(١) كذا عند ابن منظور وفي نسخة الظاهرية « مصر » وفي المطبوع « مضر »

(٢) من القرى الدائرة في غوطة دمشق كانت جنوبي مقبرة اليهود « غوطة دمشق ٢٣٩ »

(٣) واسط : في جنوبي دمشق بعد قرية فذايا « غوطة دمشق ٢٥٠ »

(٤) قرحتا : على بضعة كيلو مترات من دمشق « غوطة دمشق ٢٤٠ »

ذكر الأنهار المحتفرة للشرب وسقي الزرع

ذكر وَهْب بن مُنَبِّه

أنّ في رَبَض الجنة نهراً من أنهار الجنة ، فهو أصل أنهار الأرض كلها التي أظهرها الله عزّ وجلّ حيثما أراد أن يظهرها ، وأنّ النيل نهر العسل في الجنة ، ودجلة نهر اللبن في الجنة ، والفرات نهر الخمر في الجنة ، وسَيْحان وجَيْحان نهران بأرض الهند وهما نهرا الماء في الجنة .

وذكر قصة نهر يزيد وأصله ، وفصّل ذلك تفصيلاً تاماً وما تفرّع منه ومن غيره ثم قال : فهذه الأنهار التي يَنتفِع بها القاصي والداني ، وينقسم منها الماء إلى البلد في القُنِيّ فينتفع به الناس الانتفاع العام [١١٨ / ب] ويتفرق إلى البِرَك والحمامات ، ويجري في الشوارع والسقايات وذلك من المرافق الهنيّة ، والفضيلة العظيمة التي اعتُدت من فضائل هذه المدينة ، إذ الماء في أكثر البلاد لا ينال إلا بالثمن ، وهو الذي تحصل به حياة النفوس .

وقد ورد في فضل سقي الماء ما روي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

ليس صدقة أعظم أجراً من ماء .

وعن عائشة أنها قالت :

يا رسول الله ، ما لا يحلّ منعه ؟ قال : الماء والملح والنار . يا عائشة ، من سقى الماء حيث يوجد فكأنما أعتق نفساً ، ومن سقى الماء حيث لا يوجد فكأنما أحيا نفساً ، ومن أُخذ من منزله ملحٌ فطُيِّب به طعامٌ كان كمن تصدّقَ بذلك الطعام على أهله ، ومن أُخذت من منزله نارٌ لم ينتفع من تلك النار بشيء إلا كان له صدقة .

وعن أبي موسى قال : سألتُ ابن عباس :

أيّ الصدقة أفضل ؟ قال : سألت رسول الله ﷺ فقال لي : اسقِ الماء . قال : ثم ؟

قال : ألم تر إلى أهل النار إذا استغاثوا يغاثوا[1] بماء كالمهل قال : ﴿ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ ﴾[2] .

فهذه الأحاديث تدل على أنّ الصدقة بالماء من القُرَبِ الكبار .

وبدمشق قُنِيٌّ لها أوقافٌ معيَّنة مثبوتة عند متولّي الأوقاف ، وأكثرها ليس لها أوقاف ولكن يجريها المسلمون ، فيحصل بها الانتفاع وتطيب بها الأسقاع . وَعَدَّدها وفَصَّلها بمواضعها وأسمائها . وعددُ جملتِها في داخل البلد مئةٌ ونيّفٌ وثلاثون قناة . وفي ظاهر البلد تسع عشرة قناة .

فأما الحمامات ففيها وفي ظاهرها سبعة وخمسون حماماً سوى حمامات القرى .

---

(١) كذا في الأصل والمطبوع من تاريخ ابن عساكر ٢ / ١٥٤ وهي تضمين لقوله تعالى ﴿ وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ﴾ ، الكهف ١٨ / ٢٩

(٢) سورة الأعراف ٧ / ٤٩

ماورد في مدح دمشق بطيب الهواء والماء

عن وهب بن منبه قال :

لما أُري إبراهيم مَلَكوت السموات والأرض لم يَسأل إلا عن غوطة دمشق وعن جَنَّتَيْ سبأ .

كان الرشيد يقول :

الدنيا [١١٩ / أ] أربعةُ منازل ، قد نزلتُ ثلاثةً منها : أحدها الرقة ، والآخر دمشق ، والآخر الري في وسط نهر وعلى جنبتيه أشجار ملتفة متصلة وفيا بينها سوق ، والمنزل الرابع سمرقند ، وهو الذي بقي عليّ لم أنزله ، وأرجو ألا يحول الحول في هذا الوقت حتى أحلّ به .

فما كان بين هذا وبين أن توفي إلا أربعة أشهر فقط .

قال أحمد بن الخير الوراق الدمشقي :

لم تزل ملوكُ بني العباس تخفّ إلى دمشق طلباً للصحّة وحسن المنظر ، منهم المأمون فإنه أقام بها ، وأجرى إليها قناةً من نهر مَنِين في سفح جبلها إلى معسكر بدير مرّان[1] وبنى القبة التي بأعلى دير مرّان وصيّرها مرقباً يوقد في أعلاها النار لكي ينظر إلى مافي معسكره إذا جنّ عليه الليل ، وكان ضوؤها وضياؤها يبلغ إلى ثنية العقاب[2] وإلى جبل الثلج[3] .

وعن الفضل بن مروان

أنّ المأمون صار إلى دمشق وهو رقيق فغلظ وأخذ بعض اللحم ، وكان أكله قبل ذلك

---

(١) دير مرّان : يشرف على الربوة غربي دمشق « غوطة دمشق » ٢٦٧ ـ ٢٦٩ »

(٢) الجبل المطل على الغوطة والمرج وتسمى اليوم الثنايا « غوطة دمشق ١٨٠ »

(٣) هو جبل الشيخ « غوطة دمشق ١٨٠ »

في كل يوم ثمان عشرة لقمة ، فلما أقام بدمشق صار أكله في كل يوم أربعاً وعشرين لقمة بزيادة الثلث .

ويقال :

إن المأمون نظر يوماً من بناءٍ كان فيه إلى أشجار الغوطة وبهائها فحلف بالله إنها خير مغنى على وجه الأرض .

قال يحيى بن أكثم القاضي :

كنت بدمشق مع المأمون وحضرت طعامه ، فقُدم إليه طعام كثير من الفراريج ، فجعل المأمون يأكل من تلك الفراريج ويتمطّق[١] ويتلمظ[٢] ويتبسّم ، وأنا لاأدري ما مقصده بتلمّظه ، فلما استحكم له طعم الفراريج وبلغ نهاية الاستمام إلى غايته في ذوقه نظر إلى الطبّاخ فقال : بأيّ شيء سمّنتَ هذه الفراريج ؟ وبم طيّبْتَها ؟ فقال الطباخُ : هذه أرعية دمشق ، لم تُسمّن ولم تطيّب ، فقال لي : ما طعمٌ من طعام الطير ولا ريح من الروائح العذبة إلا وقد خيّل لي أنه في هذه الفراريج ، وهذا والله أرخس[٣] لحماً وأطيب طعماً وريحاً من مسمّن كَسْكر[٤] . ثم قال : أو ما علمت أنّ فراريج كسْكر فيها ثقل [١١٩ / ب] كَسْكر وروائح اجامها وكأنها من طير الماء فيها الطعم فإن لم تُعالج بالأبازير وتُطيّب بالأفواه[٥] وتروّى بالزيت المغسول لم يمكن النظر إليه فضلاً عن أكله ، وهي إذا عوينت بما وصفت وعولجت فنيها بقايا سنخها ولئن رجعت إلى العراق لا ذقتُ منها شيئاً البتة .

قال ابن أبي دُواد : قال المعتصم بالله :

ما شبّهت ساكن دمشق إلا بالصائم في شدة الكلف على الطعام فإنه جائع أبداً ، قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، فنعِمت النعمةُ هذه . قال : نعم ، خير بقاع الأرض إلا إنه يورث الشدة .

---

(١) التمطق : التذوق والتصويت باللسان والغار الأعلى . اللسان : « مطق » .

(٢) تلمظ : تتبع بلسانه بقية الطعام في الفم وأخرج لسانه فمسح شفتيه أو تتبع الطعم وتذوّق . القاموس : « لمظ » .

(٣) فوق اللفظة في الأصل ضمة . وفي الهامش كتب حرف « ط » . لعله يريد « أرحص » . وفي القاموس : « رحص » : « وأرحص السعر : أرحصه » .

(٤) كسكر : كورة واسعة قصبتها واسط بين الكوفة والبصرة . معجم البلدان .

(٥) الأفواه : التوابل جمع أفاويه . القاموس : « فوه » .

قال الاصمعي :

أحسن الدنيا ثلاثة : نهر الأُبُلَّة ، وغوطة دمشق ، وسمرقند .

وقال : حشوش الدنيا ثلاثة : عمان وأردبيل[1] وهيت .

وعن الأصمعي قال :

جنان الدنيا ثلاث : غوطة دمشق ونهر سمرقند ونهر الأُبُلَّة .

وقال غيره :

في الدنيا ثلاث جنان : مرو من خراسان ، ودمشق من الشام ، وصنعاء من اليمن ، وجنة هذه الجنان صنعاء .

وذكر بعض المغاربة قال : قال قوم من المشرقيين :

إن الله أسكنه ـ يعني آدم ـ بناحية كيكدر من كورة الصين . قال : فهي التي تعرف في زماننا بمدينة لغبور . ويقولون : الصين أطيب البلاد . وأما الذي عليه العامة في الشق الغربي أن أطيب البلاد صنعاء من اليمن ، ودمشق من الشام ، والري من خراسان ، ونجران من الحجاز .

---

(١) من أشهر مدن أذربيجان . معجم البلدان

ذكر تسمية أبوابها ونسبتها

١ ـ الباب القبلي المعروف بـالبـاب الصغير ، سمي بـذلـك لأنـه كان أصغر أبوابها حين بنيت .

٢ ـ البـاب الـذي يليـه من القبلـة بشرق : بـاب كيسـان ، ينسب إلى كيسـان مـولى معـاويـة ، وقيل : نسبتـه إلى كيسـان مـولى بشر بن عمـارة بن حسـان بن جبـار بن قرط الكلبي . وهو الآن مسدود .

٣ ـ الباب الشرقي ، سمي بـذلـك لأنـه شرقي البلـد ، وكان ثلاثـة أبواب بـاب كبير في الوسط وبابان صغيران من جانبيـه [١٢٠ / أ] سُـدّ منهـا الكبير والبـاب الصغير الـذي من قبلته وبقي الصغير الشامي .

٤ ـ باب توما من شامي البلد ، ينسب إلى عظيم من عظماء الروم واسمه توما ، وكانت له على بابه كنيسة جعلت بعدُ مسجداً .

٥ ـ باب الجينيق من الشام أيضاً منسوباً إلى محلة الجينيق ، وهو الآن مسدود .

٦ ـ باب السلامة من شام البلد أيضاً ، سمي بذلك تفاؤلاً ، لأنـه لا يتهيـأ القتـال على البلد من ناحيته لما دونه من الأنهار والأشجار .

٧ ـ بـاب الفراديس من شـآمـه أيضـاً . منسـوب إلى محلـة كانت خـارج البلــد تسمى الفراديس هي الآن خراب ، وكان للفراديس باب آخر عند باب السلامة فسـدّ ، والفراديس بلغة الروم : البساتين .

٨ ـ باب الفرج من شآمه أيضاً ، مُحْدَثٌ ، أحدثه الملك العـادل نور الـدين وسماه بهـذا الاسم تفاؤلاً لما وجد من التفريج بفتحه ، وكان بقربـه بـاب يسمى بـاب العمارة ، فُتح عنـد عمارة القلعة ثم سُدّ بعد ، وأثره باقٍ في السور .

٩ ـ باب الحديد من شآمه أيضاً ، وهو الآن خاص للقلعة التي أُحدثت غربي البلد في دولة الأتراك ، وسمي بذلك لأنه كله حديد فقيل الباب الحديد ، ثم تركت الألف واللام تخفيفاً .

١٠ ـ باب الجِنان في غربي البلد ، سمي بذلك لما يليه من الجنان وهي البساتين ، وقد كان مسدوداً ثم فتح .

١١ ـ باب الجابية من غربي البلد ، منسوب إلى قرية الجابية ، لأن الخارج إليها يخرج منه لكونه مما يليها ، وكان ثلاثة أبواب : الأوسط منها كبير ومن جانبيه بابان صغيران على مثال ما كان الباب الشرقي ، وكان من الثلاثة أبواب ثلاثة أسواق ممتدة من باب الجابية إلى الباب الشرقي ، كان الأوسط من الأسواق للناس ، وأحد السوقين لمن يشرّق بدابته ، والآخر لمن يغرّب بدابته ، حتى إنه كان لا يلتقي فيها راكبان ، فسد الباب الكبير والشامي منها ، وبقي القبلي إلى الآن .

وفي السور أبواب صغار [١٢٠ / ب] غير ما ذكرنا ، تُفتح عند وجود الحاجة إليها . منها :

١ ـ باب في حارة الحاطب يعرف بباب ابن إسماعيل .

٢ ـ وباب في المدبغة .

فضل مقابر أهل دمشق

ومن بها من الأنبياء وغيرهم

كان كعب الأحبار يقول :

في مقبرة باب الفراديس : يُبعث منها سبعون ألف شهيد يُشَفَّعون في سبعين ، كل إنسان في سبعين .

وعن كعب قال :

بطرسوس من قبور الأنبياء عشرة ، وبالمَصِّيصَة[1] خمسة ، وهي التي يغزوها الروم في آخر الزمان فيمرّون بها فيقولون : إذا رجعنا من بلاد الشام أخذنا هؤلاء أخذاً ، فيرجعون وقد تحلّقت بين السماء والأرض .

قال كعب :

وبالثغور وأنطاكية قبر حبيب النجار ، وبحمص ثلاثون قبراً ، وبدمشق خمس مئة قبر ، وببلاد الأردن مثل ذلك .

وفي رواية أخرى مثله وزاد فيه :

وبالثغور وبسواحل الشام من قبور الأنبياء ألف قبر ، وقال بعد : وببلاد الأردن مثل ذلك ، وبفلسطين مثل ذلك ، وببيت المقدس ألف قبر ، وبالعريش عشرة وقبر موسى بدمشق .

وعن عبد الله بن سلام قال :

بالشام من قبور الأنبياء ألفا قبر وسبع مئة قبر ، وقبر موسى بدمشق ، وإن دمشق مَعقِل الناس في آخر الزمان من الملاحم .

(١) المصّيصة : من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس « معجم البلدان » .

وعن ابن عباس قال :

من أراد أن يرى الموضع الذي قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وآوَيْنَاهُمَا إلى رَبْوةٍ ذاتِ قَرارٍ ومَعِيْن ﴾[1] فليأت النَيْرب الأعلى بدمشق بين النهرين ، وليصعد الغار في جبل قاسيون فيصلّ فيه ، فإنّه بيتُ عيسى وأمّه ، وهو كان معقلهم من اليهود . ومن أراد أن ينظر إلى إرم فليأت نهراً في حَفَرِ دمشق يقال له بَرَدى . ومن أراد أن ينظر إلى المقبرة التي فيها مريم بنت عمران والحواريون فليأت مقبرة الفراديس .

وفي مقبرة دمشق قبور من الصحابة الأخيار . وقد جاء في فضل [١٢١ / أ] المقابر التي يدفنون بها :

ما روي عن أوس وهو ابن عبد الله بن بُرَيْدة عن أخيه أظنّه عن أبيه قال :

مات أبي بمرو وقبره بحُصَيْن .

قال : وقال لي أبي : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول :

من مات من أصحابي بأرض فهو قائدهم يوم القيامة .

وعن بُرَيْدة قال : قال رسول الله ﷺ :

أيما رجل من أصحابي مات ببلدة فهو إمامهم يوم القيامة .

وفي رواية أخرى عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

ما أحدٌ من أصحابي يموت بأرضٍ إلا كان قائداً ونوراً لهم يوم القيامة .

وعن بريدة قال : قال رسول الله ﷺ :

إنّها ستُبعثُ بُعوثٌ فكُنْ في بعث خراسان ، ثم اسكن مدينة مرو ، فإنّه بناها ذو القرنين ، ودعا لها بالبركة ، ولا يصيب أهلها سوءٌ أبداً .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :

من مات من أصحابي بأرضٍ فهو شفيعٌ لأهل تلك الأرض .

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣ / ٥١

وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : قال رسول الله ﷺ :

لا يموت أحدٌ من أصحابي ببلد من البلدان إلا كان لهم نوراً ، وبعثه الله يوم القيامة سيّد أهل تلك البلد .

قال الراوي :

ثم قال لي موسى بن عبد الله : هذه فضيلة لكم يا أهل الكوفة ، قد مات أمير المؤمنين ببلدكم .

وأول مقبرة دفن المسلمون فيها بدمشق ماروي أن المسلمين يومئذ نشّبوا القتال من تلك الناحية ، يعني من ناحية الباب الشرقي ، يوم نزولهم على دمشق ، فقتل ناس من المسلمين فدفنوا في مقبرة باب توما ، فهي أول مقبرة بدمشق للمسلمين .

قال : وأهل العلم يذكرون أنّ بمقبرة دمشق من أصحاب رسول الله ﷺ : بلال مولى أبي بكر ، وسهل بن الحَنْظَلِيّة ، وأبو الدَّرْداء .

حدث الحافظ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني قال :

لم يتّفِق المسلمون على معرفة عَيْنِ قبرِ نبيٍّ وصحابيّ غير قبر نبيّنا محمد ﷺ ، وقبر صاحِبَيْه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما :

[١٢١ / ب] قال ابن الأكفاني :

أراني الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني قبور الصحابة الذين بظاهر دمشق بباب الصغير :

معاوية بن أبي سفيان ، وفضالة بن عُبَيْد ، وواثلة بن الأسقع ، وسهل بن الحَنْظَلِيّة ، وأوس بن أوس وهم داخل الحظيرة مما يلي القبلة . وأبو الدرداء خارج الحظيرة ، وأم الدرداء خلف الحظيرة ، وعبد الله بن أم حرام ويعرف بابن امرأة عبادة بن الصامت محاذِ طريق الجادّة ، وجماعة يقولون إنه قبر أُبيّ بن كعب . قال : وليس بصحيح ، وأم حبيب بنة أبي سفيان ، أخت معاوية ، زوجة رسول الله ﷺ على قبرها بلاطة مكتوب عليها اسمها رضي

الله عنها في جنب حظيرة [الصحابة][1] وأختها على قبرها أيضا بلاطة مكتوب عليها . وبلال بن رباح مؤذّن رسول الله ﷺ على قبره بلاطة مكتوب عليها اسمه .

قال : وأراني قبر الوليد بن عبد الملك ، وأخيه مَسْلَمة خلف الحظيرة التي فيها قبور الصحابة مقابل مقبرة أمير الجيوش ، على الجادّة .

قال : وأراني قبر بُرَيْهة بنة الحسن بن علي بن أبي طالب في قبة ، وقبر سُكَيْنَة بنة الحسين بن علي بن أبي طالب في قبة .

وفي رواية أخرى :

ووَابِصَةَ بن مَعْبَد ، وخُرَيْمُ بن فاتِك ، ومَعْبَدُ بن فاتِك ، وسَبْرَةُ بن فاتِك .

وكان بلال بن رباح نزل داريا ، فتزوج بها ، ومات بداريا ، وحمل حتى دفن هاهنا مع أصحاب رسول الله ﷺ .

ومُدْرِك بن زياد الفزاري قبره بقرية راوية من غوطة دمشق ، وهو أول صحابي توفي بظاهر دمشق .

وسعد بن عُبادة الأنصاري سيد الخَزْرَج ، قبره بقرية المَنيحة من غوطة دمشق . وقد اختلف في قبر معاوية : فيقال إنّه قُبِر خلف حائط المسجد الجامع موضع دراسة السُّبْع اليوم . قال : والأصح أنّ قبره خارج باب الصغير .

وأما قبر أمّ حبيبة فيمكن أن يكون [١٢٢ / أ] قبرها هاهنا ، لأنها قدمت الشام على أخيها معاوية ، وذكرها أبو زرعة في طبقاته قال : والأصح أن قبرها بالمدينة .

وأما بلال فقيل قبره بباب الصغير ، وهو أصحّ الأقاويل ، وقيل بباب كيسان ، وقيل بداريا ، وقيل إنّه بحلب وهو قول ضعيف .

وأما بُرَيْهة فلا أَرَى القولَ في نسبها يصحُّ لأنّ أصحاب النسب لم يذكروا في ولد الحسن ابنة اسمها بُريهة .

---

(١) اللفظة مستدركة من تاريخ ابن عساكر ٢ / ١٩٦

وأما سُكَيْنة بنت الحسين فإنها تزوجت بالأَصْبَغ بن عبد العزيز بن مروان الذي كان بمصر ، ورحلت إليه ، فمات قبل أن تصل إليه ، فيُحتمل أنها قدمت دمشق وماتت بها .
قال : والصحيح أنها ماتت بالمدينة وأمرهم الوالي ألاّ يدفنوها حتى يحضرها ، وركب إلى بعض أحواله بنواحي المدينة وكان اليوم حاراً ، فتغيّرت رائحتها ، واشتُريَ لها طيب كثير ليغلب الرائحة فلم يغلب ، ثم بعث إليهم أن ادفنوها فإنّي مشغول ، فدفنت ولم يحضر .

وسعد بن عُبادة مات بحَوْران ، فيُحتمل أنه حمل ودفن في المَنيحة .

مراجع تحقيق الجزء الأول

أخبار الزمان ومن أباده الحدثان للمسعودي ـ ط ٣ ـ دار الأندلس للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٧٨ م .

أساس البلاغة للزمخشري .

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ مطبعة نهضة مصر ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ـ تصحيح مصطفى وهبي ـ المطبعة الوهبية ١٢٨٠ هـ .

الاشتقاق لابن دريد ـ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ـ منشورات مكتبة المثنى ـ بغداد ـ العراق .

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ـ مطبعة دار السعادة ـ مصر ١٣٢٨ هـ .

الأعلام للزركلي ـ ط دار العلم للملايين .

الاكمال لابن ماكولا ـ الهند ـ حيدر آباد الدكن ـ طبعة ثانية ـ نشر محمد أمين دمج ـ بيروت ـ لبنان .

الأموال لأبي عبيد ـ تحقيق محمد خليل هراس ـ القاهرة ١٩٦٩ م .

الأنساب للسمعاني ـ ليدن ١٩١٢ م .

البداية والنهاية لابن الأثير ـ مطبعة السعادة ـ مصر ـ ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

تاج العروس للزَّبيدي ـ الطبعة الكويتية .

تاج اللغة وصحاح العربية .

تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ـ القاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م .

تاريخ دمشق لابن عساكر ـ المجلدة الأولى والثانية (القسم الأول) ـ تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية .

تاريخ الطبري - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف - مصر ١٣٨٧ هـ /١٩٦٧ م .
التاريخ الكبير للبخاري - تحقيق عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني ورفاقه - الهند ١٣٨٠ هـ .
تبصير المنتبه لابن حجر العسقلاني - تحقيق علي محمد البجاوي - المؤسسة المصرية للتأليف والنشر - القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .
تهذيب تاريخ ابن عساكر لعبد القادر بدران (١ - ٥) - دمشق ١٣٢٩ هـ ، والجزء السادس والسابع - تحقيق الأستاذ أحمد عبيد .
تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني - مطبعة مجلس دائرة المعارف - الهند - حيدر آباد الدكن ١٣٢٥ هـ .
الجرح والتعديل لابن حاتم الرازي - مطبعة دائرة المعارف النظامية - الهند ١٣٢٣ هـ .
جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي - تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون - طبعة رابعة - دائرة المعارف - القاهرة .
حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم الأصبهاني - مطبعة دار السعادة - مصر ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
الخراج ليحي بن آدم - تحقيق محمد أحمد شاكر - القاهرة ١٣٤٧ هـ .
خطط الشام لمحمد كرد علي - الطبعة الأولى - ١٩٢٥ - ١٩٢٨ م .
ديوان الأعشى الكبير - تحقيق الدكتور محمد حسين - مكتبة دار الآداب بالجماميز - مصر ١٩٥٠ م .
الطبقات الكبرى لابن سعد - دار صادر - بيروت ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين - لمحمد بن أحمد الحسني المكي - مطبعة السُّنّة المحمدية - القاهرة ١٣٧٩ - ١٣٨٨ هـ / ١٩٥٩ - ١٩٦٩ م .
غوطة دمشق لمحمد كرد علي - ط١ ١٩٤٩ م ، ط٢ ١٩٥٣ م .
القاموس الفقهي تأليف سعدي أبو جيب - الطبعة الأولى - دار الفكر ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
قرة العيون في أخبار باب جيرون لابن طولون الصالحي - تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد - دمشق ١٩٥١ م .
لسان العرب لابن منظور - دار صادر - بيروت .
اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير - مكتبة القدسي - القاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٣٦٩ هـ .

مجلة المجمع العلمي مج ٢٤ ، ٢٦ .
مسند الإمام أحمد ـ مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية في مصر ١٣١٣ هـ .
المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ـ ليدن ١٨٦٣ م .
المشترك وصفاً والمختلف صقعاً لياقوت الحموي .
المصاحف تأليف أبي بكر بن داود السجستاني ـ تحقيق آرثر جفري ـ مصر ـ المطبعة الرحمانية ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م .
معجم البلدان لياقوت الحموي ـ ليبزيغ ١٢٨٦ هـ / ١٨٦٩ م .
معجم البلدان لياقوت الحموي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان .
معجم قبائل العرب تأليف عمر رضا كحالة .
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكري ـ حققه مصطفى السقا ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م .
المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان الفسوي ـ تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ط٢ ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .
المغازي للواقدي ـ تحقيق ماردسن جونس ـ عالم الكتب ـ بيروت .
مقاييس اللغة لابن فارس ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة ١٣٦٦ هـ .
النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ـ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ـ الطبعة الثانية ١٩٧٩ م .
نهج البلاغة ـ شرح الشيخ محمد عبده ـ أشرف على تحقيقه وطبعه عبد العزيز سيد الأهل ـ دار الأندلس للطباعة والنشر ـ بيروت .
الوزراء والكتاب للجهشياري ـ تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه ـ مطبعة مصطفى بابي الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٥٧ هـ / ١٩٣٨ م .

فهرس موضوعات الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

مختصر

تاريخ دمشق لابن عساكر

مختصر

تاريخ دمشق لابن عساكر

للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور

٦٣٠ هـ - ٧١١ هـ

الجزء الثاني

السيرة النبوية

تحقيق

روحية النحاس

مراجعة

محمد مطيع الحافظ

دار الفكر

الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م
(١٥٠٠ نسخة)

سورية ـ دمشق ـ شارع سعد الله الجابري ـ ص.ب (٩٦٢) ـ س.ت ٢٧٥٤
هاتف ٢١١٠٤١ ، ٢١١١٦٦ ـ برقياً : فكر ـ تلكس Tx FKR 411745 Sy

الصف التصويري : على أجهزة C. T. T. السويسرية
الإفشاء (أوفست) : في المطبعة العلمية بدمشق

حرف الألف

ذكر من اسمه أحمد

أحمد سيدنا رسول الله ﷺ

أحمدُ ومحمدُ والحاشِرُ والمُقْفي[1] والعاقِب بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤَيّ بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النَّضْر بن كِنانة بن خُزَيْمة بن مدرِكة بن الْياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ بن عدنان ، أبو القاسم المصطفى خاتم النبيين وسيد المرسلين ونبيّ الرحمةِ صلى الله عليه وسلم .

قدِم بصرى من نواحي دمشق قبل أن يُوحَى إليه ، وهو صغير ، مع عمه أبي طالب ، ومرة أخرى في تجارة لخديجة مع مَيْسَرة غلامِها .

---

(١) هو المولى الذاهب . وقد قفى يقفي فهو مقفٍ ، ويعني أنه آخر الانبياء المتبع لم فإذا قفى فلا نبي بعده . النهاية : « قفي » .

[١٢٢ / ب] ذكر قدومه ﷺ بصرى

عن أبي موسى قال :

خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه رسول الله ﷺ في أشياخ من قريش . فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلّوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمّرون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فهم يحلّون رحالهم فجعل يتخللّهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ ، فقال : هذا سيّد العالمين ، هذا رسول رب العالمين ، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخٌ من قريشٍ : ما علّمَكَ ؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجرةٌ ولا حجرٌ إلا خرّ ساجداً ، ولا يسجُدْنَ إلا لنبيٍّ ، وإني أعرفه ، خاتم النبوة أسفلَ من غضروف كتفه مثلُ التفاحة .

ثم رجع ، فصنع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به وكان في رعية الإبل ، فقال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظلّه ، فقال : انظروا إليه ، عليه غمامة تظلّه ، فلمّا دنا من القوم وجدهم قد سبقوا إلى فيء الشجرة ، فلما جلس مال فيءُ الشجرة عليه فقال : انظروا إلى فيء الشجر مال عليه . قال : فبينا هو قائم عليهم ، وهو يناشدهم ألا يذهبوا به إلى الروم ، فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه ، فالتفت فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أنّ هذا النبي خارجٌ في هذا الشهر ، فلم يبق طريق إلا بُعث إليها ناسٌ ، وإنَّا أُخبرنا خبره ، بعثنا إلى طريقك هذا فقال لهم : هل خلفتم خلفكم أحداً هو خير منكم ؟ قالوا : لا إنا أُخبرنا خبره بطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس ردّه ؟ قالوا : لا ، قال : فتابعوه ، وأقاموا معه . قال : فأتاهم فقال : أنشدكم بالله أيكم وليُّهُ ؟ قالوا :

أبو طـالب ، فلم يـزل ينـاشـده حتى ردّه وبعث [١٢٣ / أ] معـه أبـو بكر بـلالاً وزوّده الراهب من الكعك والزيت .

وشبَّ رسـولُ الله ﷺ مع أبي طـالب يكلـؤُه الله ويحفظـه ، ويحـوطـه من أمـور الجاهلية ومعايبها لما يريد به من كرامته ، وهو على دين قومـه ، حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءةً ، وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جواراً ، وأعظمهم حلماً وأمانة ، وأصـدقهم حـديثـاً ، وأبعـدهم من الفحش والأذى ، مـا رؤي مُلاحيـاً ولا مُماريـاً أحداً ، حتى سماه قومه الأمين لما جمع الله من الأمور الصالحة فيه ، فلقد كان الغالب عليه بمكة الأمين . وكان أبو طالب يحفظه ويحوطه ، ويعضده[١] وينصره إلى أن مات .

قال ابن إسحاق[٢] :

وكان أبو طالب هو الذي إليه أمْرُ رسول الله ﷺ بعد جدّه ، فكان إليه ومعـه . ثم إن أبـا طـالب خرج في ركبٍ إلى الشـام تـاجراً . فلمـا تهيـأ للرحيل وأجمع السير هبّ لـه رسول الله ﷺ فأخذ بزمام ناقته وقـال : يـا عمّ ، إلى مَنْ تكلُني ؟ لا أبَ لي ولا أمّ لي ، فرقّ له أبو طالب وقال : والله لأخْرجَنَّ به معي ، ولا يفـارقني ولا أفـارقـه أبـداً . أو كما قال .

قال : فخرج به معه ، فلما نزل الركبُ بُصْرى من أرض الشام ، وبهـا راهبٌ يقـال له بَحيرى في صومعةٍ له ، وكان أعلم أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة قطّ راهبٌ إليـه يصير علمهم عن كتـاب فيهم فيما يزعمون يتوارثونـه كابراً عن كابر ، فلمـا نزلوا ذلـك العام ببحيرى ، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلـك ، لا يكلمهم ولا يعرض لهم ، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا به قريباً من صَوْمَعته ، فصنعَ لهم طعاماً كثيراً ، وذلـك فيما يزعمون عن شيءٍ رآه وهو في صومعتـه [يزعمون أنـه رأى رسول الله ﷺ وهو في صومعتـه][٣] في الركب حين أقبلوا وغمـامـة تُظلّـه من بين القوم . ثم أقبلوا حتى نزلوا بظـل شجرة قريبـاً

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل . وبعدها : « صح » .

(٢) الخبر بطوله في السير والمغازي لابن اسحاق ٧٣ ـ ٧٦ وسيرة ابن هشام ١ / ١٩٤ ـ ١٩٧

(٣) الزيادة عن سيرة ابن هشام .

منه ، فنظر إلى الغمامة حتى أظلت الشجرة ، وتهصّرت[1] أغصان الشجرة على رسول الله [١٢٣ / ب] ﷺ حتى استظلّ تحتها . فلما رأى ذلك بحيْرى نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ، ثم أرسل إليهم فقال : إني قد صنعتُ لكم طعاماً يا معشر قريش ، وأنا أحبّ أن تحضُروا كلّكم صغيرُكم وكبيرُكم وحرُّكم وعبدُكم فقال له رجل منهم : يا بحيرى ، إن لك اليوم لشأناً ، ما كنت تصنع هذا فيما مضى ، وقد كنا نمرّ بك كثيراً فما شأنك اليوم ؟ فقال له بحيرى : صدقت ، وقد كان ما تقول ، ولكنكم ضيْفٌ ، وقد أحببتُ أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه كلكم .

فاجتمعوا إليه ، وتخلّف رسول الله ﷺ من بين القوم ، لحداثة سنه ، في رحال القوم تحت الشجرة . فلما نظر بحيرى في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده ، قال : يا معشر قريش ، لا يتخلّف أحدٌ منكم عن طعامي هذا ، قالوا له : يا بحيرى ، ما تخلف عنك أحدٌ ينبغي له أن يأتيك إلاّ غلام هو أحدث القوم سناً تخلّف في رحالهم . قال : فلا تفعلوا ، ادعوه فليحضُرْ هذا الطعام معكم ، فقال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزّى إن هذا لَلؤم بنا ، يتخلّف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن الطعام من بيننا ! ثم قام إليه فاحتضنه ثم أقبل به حتى أجلسه مع القوم ، فلما راه بحيرى جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده ، قد كان يجدها عنده في صفته ، حتى إذا فرغ القوم من الطعام وتفرقوا قام بحيرى فقال له : يا غلام ، أسألك باللات والعزى إلا أخبرتني عما أسألك عنه ، وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أنّ رسول الله ﷺ قال له : لا تسلني باللات والعزى شيئاً ، فو الله ما أبغضت بغضَهما شيئاً فقال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما أسألك عنه ؟ فقال : سلني عما بدا لك . فجعل يسأله [١٢٤ / أ] عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده . فلما فرغ منه أقبل على عمّه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ فقال : ابني ، فقال له بحيرى : ما هو بابنك ، ما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيّاً . قال : فإنه ابن أخي . قال : فما فعل

---

(١) مالت وتدلت . القاموس : « هصر » .

أبوه ؟ قال : مات وأمه حُبْلى به ، قال : صدقتَ . قال : ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه اليهود ، فو الله إن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ لَيَبْغُنَّهُ شراً ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن ، فأسرعْ به إلى بلاده ، فخرج به عمه أبو طالب سريعاً حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام .

فزعموا فيما يتحدث الناس أن زُبيراً[1] وتَمّاماً ودَريساً - وهم نفر من أهل الكتاب - قد كانوا رأوا من رسول الله ﷺ في ذلك السَّفَر الذي كان فيه مع عمه أبي طالب أشياء ، فأرادوه ، فردّهم عنه بحيرى وذكّرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وأنهم إن أجمعوا لما أرادوا لم يخلصوا إليه حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا .

وذكر أبو الحسن الوراق

أنه قدم مع أبي طالب لعشر ليالٍ خَلَوْن من شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة من الفيل ، وقدم الشام مع مَيْسَرة لأربع عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل ، وكان الراهب الذي أخبر به في هذه القَدْمة اسمه نسطور الراهب .

روت نفيسة بنت مُنْية أخت يَعْلى بن مُنْيَة[2] قالت :

لما بلغ رسولُ الله ﷺ خمساً وعشرين سنة قال له أبو طالب : أنا رجل لا مال لي ، وقد اشتدّ الزمانُ علينا ، وهذه عير قومك قد حضر خروجها إلى [١٢٤ / ب] الشام ، وخديجة بنت خويلد تبعث رجالاً من قومك في عيَراتها ، فلو جئتَها فعرضتَ نفسكَ عليها لأسرعتْ إليك ، وبلغ خديجة ما كان من محاورة عمّه له فأرسلتْ إليه في ذلك وقالت : أنا أعطيك ضعف ما أعطي رجلاً من قومك . قال أبو طالب : هذا رزقٌ قد ساقه الله إليك ، فخرج مع غلامها ميْسرة ، وجعل عمومتُه يوصون به أهل العيرِ ، حتى قدما بصرى من الشام فنزلا في ظل شجرة ، فقال نسطور الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قطُّ إلا نبيٌّ ثم قال لميسرة : أفي عينه حمرةٌ ؟ قال : نعم ، لا تفارقه . قال : هو نبيٌّ ، وهو آخر الأنبياء .

---

(١) في سيرة ابن هشام « زَرِيْراً » .

(٢) هو يعلى بن أميّة التيمي . يعرف بجدته « مُنْية » . جمهرة أنساب العرب ٢١٣ ، ٢٢٩ ، والإكال ٧ / ٢٩٦

ثم باع سَلعتَه ، فوقع بينه وبين رجل تلاحٍ فقال له : آخذه باللات والعُزّى ، فقال رسول الله ﷺ : ما حلفتُ بهما قط ، وإني لأمرّ فأُعرِض عنهما ، فقال الرجل : القول قولك ، ثم قال لميسرة : هذا والله نبيٌّ ، تجده أحبارنا مبعوثاً في كتبهم .

وكان ميسرةُ إذا كانت الهاجرة واشتدّ الحرُّ يرى مَلَكَيْن يظلاّن رسول الله ﷺ من الشمس فوعى ذلك كله . وكان الله قد ألقى عليه المحبة من مَيْسَرة فكان كأنه عبد .

وباعوا تجارتهم وربحوا ضعفَ ما كانوا يربحون . فلما رجعوا فكانوا بمرّ الظَّهْران قال ميسرة : يا محمد ، انطلق إلى خديجة وأخبرها بما صنع الله لها على وجهك ، فإنها تعرف لك ذلك ، فقدم رسول الله ﷺ حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في عُلِيَّةٍ لها فرأت رسول الله ﷺ وهو على بعيره ومَلَكان يظلان عليه ، فأرته نساءها ، فعجِبْن لذلك ، ودخل عليها رسول الله ﷺ يُخبرها بما ربحوا في وجههم ، فَسُرَّتْ بذلك . فلما دخل مَيْسَرة أخبرته بما رأتْ فقال مَيْسرة : قد رأيتُ هذا منذ خرجنا من الشام ، وأخبرها بما قال [١٢٥ / أ] الراهب نسطور وبما قال الآخر الذي خالفه في البيع . وقدم رسول الله ﷺ بتجارتها فربحتْ ضعفَ ما كانت تربح ، وأضعفتْ له ضعفَ ما سمَّتْ له .

ذكر معرفة أسمائه وأنّه خاتم رسل الله

وعن جُبَيْر بن مُطعِم أنّ رسول الله ﷺ قال :

لي أسماء : أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يُحْشَر الناس على قدمي ، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد . وقد سمّاه الله رؤوفاً رحيماً .

وفي رواية :

والعاقب الذي ليس بعده نبي .

وفي رواية :

وأنا العاقب الذي لا نبيّ بعدي .

وعن نافع بن جُبَيْر

أنه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : أتُحْصي أسماء النبي ﷺ التي كان جُبَيْر بن مُطْعِم يعدّها ؟ قال : نعم ، هي ستة : محمد وأحمد وخاتم وحاشر والعاقب ، وقيل : وعاقب وماحٍ . فأما حاشر فبعث مع الساعة بين يدي عذاب شديدٍ ، والعاقب عاقب الأنبياء . وماحٍ محى الله به سيئات من اتبعه .

وعن حُذَيْفة قال :

بينما أنا أمشي في طريق المدينة إذا رسول الله ﷺ يمشي قال : سمعته يقول : أنا محمد وأحمد ونبيّ الرحمة ونبيّ التوبة والحاشر والمُقْفي ونبيّ الملاحم .

وعن أبي الطُفَيْل قال : قال رسول الله ﷺ :

إن لي عند ربي عشرةَ أسماءٍ . قال أبو الطفيل : حفظت منها ثمانيةً : محمد وأحمد وأبو القاسم والفاتح والخاتم والعاقب والماحي والحاشر . وقيل إن الاسمين الباقيين يس وطه .

وعن ابن عباس

في قوله عز وجل ﴿ طه ما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ القُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾[1] يا رجل ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى . فكان يقوم الليل على رجليه . فهي لغة لعكٍّ ، إن قلت [١٢٥ / ب] لعكيّ : يا رجل ، لم يلتفت ، فإذا قلت له طه التفت إليك .

وعن الخليل بن أحمد :

خمسة من الأنبياء ذوو اسمين ، محمد وأحمد نبينا ﷺ ، وعيسى والمسيح ، وإسرائيل ويعقوب ، ويونس وذو النون ، وإلياس وذو الكفل .

قال أبو زكريا :

ولنبيّنا ﷺ وعليهم أجمعين خمسة أسماء في القرآن : محمد وأحمد وعبد الله وطه ويس قال الله تعالى في ذكر محمد ﷺ ﴿ محمدٌ رسُولُ الله ﴾[2] وقال : ﴿ ومُبَشِّراً برسُولٍ يأْتي مِنْ بعْدي اسْمُهُ أحْمد ﴾[3] وقال الله في ذكر عبد الله ﴿ وأنّه لمّا قام عبدُ الله ﴾ يعني النبي ﷺ ليلة الجن ﴿ كادوا يكونُون عليه لبدا ﴾[4] وإنما كانوا يقعون بعضهم على بعض كما أنّ اللّبد يُتّخذ من الصوف فيوضع بعضه على بعض فيصير لبدا . وقال عزّ وجلّ : ﴿ طه ما أنْزلْنا عليْكَ القرْآن لتشْقى ﴾[5] والقرآن إنما نزل على رسول الله ﷺ دون غيره . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ يس ﴾[6] يعني يا إنسان ، والإنسان ها هنا العاقل وهو محمد ﷺ ﴿ إنّك لمن المُرْسلين ﴾[6] وزاد غيره فقال : سماه الله في القران رسولاً نبياً أُمياً وسمّاه ﴿ شاهداً ومُبشّرا ونذيراً وداعياً إلى الله بإذْنه وسراجاً مُنيراً ﴾[7] وسمّاه رؤوفاً رحياً . وسماه نذيراً مبيناً . وسماه مذكراً . وجعله رحمة ونعمة وهادياً وسماه عبداً ﷺ كثيراً .

---

(١) سورة طه ٢٠ / ١ ـ ٢

(٢) سورة الفتح ٤٨ / ٢٩

(٣) سورة الصف ٦١ / ٦

(٤) سورة الجن ٧٢ / ١٩

(٥) سورة طه ٢٠ / ١ ـ ٢

(٦) سورة يس ٣٦ / ١ ـ ٣

(٧) سورة الأحزاب ٣٣ / ٤٥ ـ ٤٦

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

سيّدٌ بنى داراً واتخذ مأدبةً وبعث داعياً . فالسيّد : الجبار ، والمأدبة : القرآن ، والدار : الجنة ، والداعي : أنا ، فأنا اسمي في القرآن محمد ، وفي الإنجيل أحمد ، وفي التوراة أحْيَد ، وإنما سميت أحْيَد لأني أحيد أمتي نار جهنم ، فأحِبُّوا العرب بكل قلوبكم .

وعن ابن عباس قال :

لما ولد النبي ﷺ عقّ[1] عنه عبد المطلب بكبش وسماه محمداً فقيل له : يا أبا الحارث ، ما حملك على أن سمَّيْته محمداً [١٢٦ / أ] ولم تسمّه باسم آبائه ؟ قال : أردت أن يحمد الله عزّ وجلّ في السماء ويحمده الناس في الأرض .

قال علي بن زيد بن جدعان :

تذاكروا أيّ بيتٍ من الشعر أحسن ، فقال رجل : ما سمعنا بيتاً أحسن من قول أبي طالب : [من الطويل]

وشقّ له من اسمه ليُجلّه فذو العرش محمودٌ وهذا مُحمَّدُ

---

(١) عقّ العقيقة : وهي الذبيحة التي تذبح عن المولود . النهاية : « عق » .

ذكر معرفة كنيته ونهيه أن يجمع بينها و بين اسمه

عن أنس

أن رسول الله ﷺ كان بالبقيع فنادى رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت رسول الله ﷺ فقال الرجل : لستُ إياك أعني ، فقال رسول الله ﷺ : تسمّوا باسمي ولا تَكنّوا بكنيتي .

وعن جابر قال :

ولد لرجل منا غلامٌ فسمّاه محمداً . فقال له قومه : لا ندعك تسمّيه باسم رسول الله ﷺ فانطلق بابنه حامله على ظهره فأتى به رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ولد لي غلام فسمّيْتُه محمداً فقال لي قومي : لا ندعك تسمّيه باسم رسول الله ﷺ فقال : تسمّوا باسمي ولا تكنّوا بكنيتي ، فإنما أنا قاسم أقسم بينكم .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :

تسمّوا باسمي ولا تكنّوا بكنيتي فإني أنا أبو القاسم أقسم بينكم .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

لا تجمعوا بين كنيتي واسمي أو بين اسمي وكنيتي ، أنا أبو القاسم ، الله يعطي ، وأنا أقسم .

[1]وأما نهيه عن الجمع بينها فقد[1] [روي] عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

من تسمّى باسمي فلا يَكتني بكنيتي .

وعنه ﷺ قال :

لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي .

(١ ـ ١) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

وقد روي

أنّه ﷺ أرْخَص في الجمع بينهما لولـد علي بن أبي طـالب . كما روي عن ابن الحنفيـة أن علياً قال : يا رسول الله ، إن ولد لي بعدك ولدٌ ، أسمّيه باسمك وأكنّيـه بكنيتـك ؟ فقـال : نعم . فكانت رخصة من رسول الله ﷺ لعليّ .

[١٢٦ / ب] وروي عنه ما يدل على إباحـة الجمع بينهما مطلقاً فيما روي عن عـائشـة قالت :

جاءت امرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إني قد ولدت غلامـاً فسميتـه محـمداً وكنيته أبا القاسم ، فذُكر لي أنّك تكره ذلك . فقال : ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي ، أو ما الذي حرّم كنيتي وأحل اسمي ؟

وذهب مالك إلى الأخذ بهذا فيما قال حمد بن زنجويـه في كتـاب الأدب قـال : سـألت ابن أبي أويس : ما كان مـالـك يقول في الرجل يجمع اسم النبي ﷺ وكنيتـه ؟ فـأشـار إلى شيخٍ جالسٍ معنا فقال : هذا محمد بن مالك ، سماه محمداً وكنّاه أبا القاسم . وكان يقول : إنما نهي عن ذلك في حياة النبي ﷺ كراهة أن يُدْعى أحدٌ باسمه أو كنيتـه فيلتفت النبي ﷺ . فأما اليوم فلا بأس بذلك .

وذهب الشـافعيُّ إلى أن ذلـك لا يجـوز كما روي عن الربيـع بن سليمان قـال : سمعت الشافعي يقول :

لا يحلّ لأحد أن يكتني بأبي القاسم كان اسمه محمداً أو غيره .

قال : وقد كنّاه جبريل عليه السلام أبا إبراهيم .

كما روي عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال :

لما ولد إبراهيم بن النبي ﷺ أتاه جبريل فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم .

ذكر نسبه والاختلاف فيه

عن أنس بن مالك وعن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قالا :

بلغ النبي ﷺ أن رجالاً من كِنْدة يزعمون أنه منهم فقال : إنما كان يقول ذلك العباس وأبو سفيان بن حرب إذا قدما المدينة فيأمنا بذلك ، وإنه لن ننتفي من آبائنا ، نحن بنو النضر بن كنانة .

قال : وخطب رسول الله ﷺ فقال :

أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن [١٢٧ / أ] مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار . وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما . فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية . وخرجت من نكاحٍ ولم أخرج من سِفاحٍ من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي ، فأنا خيركم نفساً ، وخيركم أباً ، ﷺ .

وقد فَصّلَ في رواية أخرى فقال :

ابن نزار بن مَعَدّ بن عدنان بن أدد .

قال محمد بن إدريس الشافعي :

اسم عبد المطلب شيبة ، واسم هاشم عمرو بن عبد مناف ، واسم عبد مناف : المغيرة بن قُصي ، واسم قُصي زيد بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب ، واسم مُدْرَكة عامر بن إلياس بن مضر .

وعن ابن عباس

أنّ النبيّ ﷺ كان إذا انتهى إلى مَعدّ بن عدنان أمسك . وقال : كذب النسابون .

قال الله عز وجل : ﴿ وَقُروناً بَيْنَ ذَلكَ كَثيراً ﴾[1] قال ابن عباس : لو شاء رسول الله ﷺ أن يعلمه لَعلمه .

وأم رسول الله ﷺ آمنة بنت وَهْب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مُرَّة .

وعن عروة بن الزبير وسليمان بن أبي حثمة قالا :

ما وجدنا في شعر شاعر ولا في علم عالم أحداً يعرف ما وراء معد بن عدنان بحق لأن الله عز وجل يقول : ﴿ وَقُروناً بينَ ذَلكَ كَثيراً ﴾[1] .

وقد اختلفوا فيما بعد عدنان اختلافا كثيرا .

واسم أم آمنة أم النبي ﷺ بَرَّة بنة عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصيّ بن كلاب ، واسم أم عبد الله أبي النبي ﷺ فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب . وأم عبد المطلب جد النبي ﷺ سلمى بنة عديّ بن زيد من بني النجار .

وحدث عبد الملك بن هشام عن زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال :

معدّ بن عدنان بن أُدد بن مُقوّم بن ناحور بن [١٢٧ / ب] تَيْرَح بن يَعْرُب بن يشْجُب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح ـ وهو آزرُ ـ بن ناحور بن شاروخ بن راغو بن فالج[2] بن عَيْبر بن شالخ بن إرْفخْشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متّوشلخ بن خنوخ ـ وهو إدريس النبي ﷺ فيما يزعمون . والله أعلم ـ وكان أول نبيٍّ أعطي النبوة وخطّ بالقلم ـ ابن يرْد بن مهْليل بن قتين بن يانش بن شيث بن آدم ﷺ[3] .

---

(١) سورة الفرقان ٢٥ / ٣٨

(٢) تختلف اللفظة في الأصل بين الإعجام : « فالج ، فالخ » وبين الإهمال : « فالح » . وقد أثبتنا ماورد في جمهرة أنساب العرب ١٤ ، ٢٦٣ ، والنهاية : « عتك » . وفي تهذيب الكمال ١ / ١٧٦ : فالخ ، وانظر أيضاً هـ ٥ .

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ١ ـ ٢ ، وتهذيب الكمال ١ / ١٧٦ ، وانظر أيضاً هـ ٦

معرفة أمه وجدّاته وعمومته وعمّاته

عن ابن عباس :

في قوله عز وجل : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ﴾[1] قال : ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ مضريّها وربعيّها ويمانيّها .

قال محمد بن السائب الكلبي :

أم رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة بن كِلاب بن مرة .

وأمها بَرّة بنت عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصيّ بن كِلاب .

وأمها أم حبيب بنت أسد بن عبد العزّى بن قُصَيّ بن كِلاب .

وأمها بَرّة بنت عوف بن عَبيد بن عَويج بن عَدِيّ بن كعب بن لؤي .

وأمها قِلابة بنت الحارث بن مالك بن حُباشة بن غَنْم بن لِحْيان بن عادية بن صَعْصَعة بن كعب بن هند بن طابخة بن لِحْيان بن هُذَيل بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر .

وأمها أُمَيمة بنت مالك بن غَنْم بن لِحْيان بن عادية بن صَعْصَعة .

وأمها دُبّ بنت ثعلبة بن الحارث بن تميم بن سعد بن هُذَيل بن مُدْرِكة .

وأمها عاتكة بنت غاضرة بن حُطَيْط بن جُشَم بن ثقيف وهو قسي بن مُنبّه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خَصَفة بن قيس بن عيلان واسمه إلياس بن مضر .

وأمها ليلى بنت عوف بن قسي ، وهو ثقيف .

وأم وهب بن عبد مناف بن زُهْرة جدّ سيدنا رسول الله ﷺ قَيْلة ، ويقال هند بنت أبي قَيْلَة وهو وجز بن غالب بن الحارث بن عمرو بن ملكان بن أفصى بن حارثة من خزاعة .

---

(١) سورة التوبة ٩ / ١٢٨

وأمها سلمى بنت لؤي بن غالب [١٢٨ / أ] بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة .

وأمها ماوية بنت كعب بن القين من قضاعة .

وأم وجر بن غالب السلافة بنت واهب بن البكير بن مجدعة بن عمرو من بني عمرو بن عوف الأوس .

وأمها ابنة قيس بن ربيعة من بني مازن بن لؤي بن ملكان بن أفصى أخي أسلم بن أفصى .

وأمها النجعة بنت عبيد بن الحارث من بني الحارث بن الخزرج .

وأم عبد مناف بن زهرة جُمل بنت مالك بن قصية بن أسعد بن مُليح بن عمرو بن خزاعة .

وأم زهرة بن كلاب أم قصي وهي فاطمة بنت سعد بن سيل وهو جبر بن حِمالة بن عوف بن عامر بن الحادر من الأزد .

وأم عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصي [عاتكة بنت عمرو بن سعد بن أسلم بن عوف الثقفي][1] .

وأم عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم وهي أقرب الفواطم إلى رسول الله ﷺ .

وأمها صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم .

وأمها تخم بنت عبد بن قصي .

وأمها سلمى بنت عامر بن عمرو بن وديعة بن الحارث بن فهر .

وأمها عاتكة بنت عبد الله بن وائلة بن ظَرِب بن عباد بن عمرو بن بكر بن يشكر بن الحارث وهو عدوان بن عمرو بن قيس ، ويقال : عبد الله بن حرب بن وائلة .

وأم هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان بن

---

(١) ليس مابين الحاصرتين في الأصل واستدركناه من ص ٢٢ من هذا الجزء .

ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وهي أقرب العواتك إلى النبي ﷺ .

وعدّد من الأمهات جماعة قال :

والعواتك ثلاث عشرة ، والفواطم عشر ، والعاتكة في كلام العرب الطاهرة .

وعن قتادة :

أن النبي ﷺ قال في بعض مغازيه :

أنا النبيُّ لا كذب أنا ابنُ عبد المطّلب

أنا ابن العواتك

وقوله ﷺ : « أنا ابن العواتك » من سليم . العواتك ثلاث نسوة [١٢٨ / ب] من سُليم تسمى كل واحدة منهن عاتكة :

إحداهن عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان وهي أم عبد مناف بن قصي .

والثانية : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان وهي أم هاشم بن عبد مناف .

والثالثة : عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان وهي أم وهب أبي آمنة أم النبي ﷺ .

فالأولى من العواتك عمة الوسطى والوسطى عمة الأخرى .

وبنو سليم تفخر بأشياء : منها أن لرسول الله ﷺ فيهم هذه الولادات .

ومنها أنها ألّفت معه يوم فتح مكة ، وأنّ رسول الله ﷺ قدّم لواءهم على الألوية يومئذ وكان أحمر .

ومنها أن عمر بن الخطاب كتب إلى أهل الكوفة وأهل البصرة وأهل مصر وأهل الشام أن ابعثوا إليّ من كل بلد بأفضله رجلاً : فبعث أهل الكوفة عتبة بن فرقد السلمي ، وبعث أهل البصرة مجاشع بن مسعود السلمي ، وبعث أهل مصر معن بن يزيد بن الأخنس السلمي ، وبعث أهل الشام أبا الأعور السلمي . فصار الفضل في هذه الأمصار كلها لسُليْم .

وروي عن النبي ﷺ أنه قال يوم أُحُد :

أنا ابن الفواطم :

فأولاهنّ فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم وهي أم عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم .

والثانية فاطمة بنت عبد الله بن رزام بن جحوش وهي أم عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم .

والثالثة فاطمة بنت عبد الله بن الحارث بن وائلة بن عمرو بن عايذ بن يشكر بن عبد القيس بن عدوان وهي أم سلمى بنت عامر بن عمرة بن وديعة بن الحارث بن فهر .

والرابعة فاطمة بنت عوف بن عدي بن حارثة البارقي بارق الأزد وهي أم مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب .

والخامسة فاطمة بنت سعد بن سيل أحد الجُدرة من خثعمة الأسد حلفاء في بني الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهي أم قصي بن كلاب [١٢٩ / أ] وزهرة بن كلاب .

والسادسة فاطمة بنت عامر بن نصر بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة الخزاعي وهي أم حُبيّ بنت جليل بن سلول الخزاعي ، وحُبيّ بنت جليل أم عبد مناف وعبد الدار وعبد العزى وعبد وتخم وبرة بني قصي بن كلاب .

والذي ثبت خمس من الفواطم .

قال أبو عبد الله العدوي :

العواتك أربع عشرة : ثلاث قرشيات وأربع سُلميات وعدْوانيتان وهذليّة وقحطانية وقضاعية وثقفية وأسديّة ، أسد خزيمة .

فالقرشيات من قِبَل أمه : آمنة بنت وهب وأمها ريطة بنت عبد العزّى بن عثمان وأمها أم حبيب وهي عاتكة بنت أسد بن عبد العزّى . وأمها ريطة بنت كعب ، وكانت ريطة أول امرأة من قريش ضربت قباب الأدم بذي المجاز . وأمها قِلابة بنت حذافة بن جمح الحظيا ويقال الخطيا .

وكان داود بن مسور المخزومي يقول : الحظيا من طريق الكلام ، وغيره يقول : الخطيا من طريق الخطوة . وأمها آمنة بنت عامر الجان ، ويقال لعامر الجان هو عامر بن غُبشان من خزاعة ، وأمه عاتكة بنت هلال بن أُهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر . وأم أُهيب بن ضبة محشية بنت محارب بن فهر . وأمها عاتكة بنت مخلد بن النضر بن كنانة وهي الثالثة .

وأما السُّلميات فولدنه من قِبَل هاشم بن عبد مناف بن قُصَيّ ، ومن قبل وهب بن عبد مناف بن زهرة ، أم هاشم بن عبد مناف عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان ، وأم مرة بن هلال عاتكة بنت مرة بن عدي بن أسلم بن أفصى من خزاعة . ويقال إن أم مرة بن هلال بن فالج هي عاتكة بنت جابر بن قنفذ بن مالك بن عوف بن امرئ القيس من سليم وهي الثانية . وأم هلال بن فالج بن ذكوان عاتكة بنت الحارث بن بُهْثَةَ بن سُلَيْم بن منصور وأم وهب بن عبد مناف بن زُهْرَة عاتكة بنت الأوقص [١٢٩ / ب] بن هلال بن فالج بن ذَكْوان . فهؤلاء العواتك السلميات .

وأما العَدْوانيتان فولدتاه من قبل أبيه عبد الله بن عبد المطلب ، ومن قبل مالك بن النضر . فأما التي ولدته من قبل أبيه عبد الله بن عبد المطلب وهي السابعة من أمهاته - ويقال الخامسة - فهي عاتكة بنت عبد الله بن ظَرِب بن الحارث بن وائلة العَدْواني ، ومن قال إنها السابعة فهي عاتكة بنت عامر بن ظرِب بن عمرو بن عايذ بن يشكر العدواني . ومن قِبَل مالك بن النضر فأُمّ مالك عاتكة بنت عمرو بن عَدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان .

وأما الهذلية فولدتْه من قبل هاشم بن عبد مناف أم هاشم عاتكةُ بنت مرة بن هلال بن فالج واسمها ماويّة بنت حورة بن عمرو بن صعصعة بن بكر بن هوزان . وأم معاوية بن بكر بن هوزان عاتكةُ بنت سعد بن هذيل الهذلية .

وأما الأَسَدية فولدته من قبل كِلاب بن مرة وهي الثالثة من أمهاته ، وهي عاتكة بنت دودان بن أسد بن خزيمة .

وأما الثقفية فهي عاتكة بنت عمرو بن سعد بن أسلم بن عوف الثقفي . وهي أم عبد

العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قُصَيّ ، وعبد العزى جد آمنة بنت وهب . أم آمنة بنت وهب بَرّةُ بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي .

وأما القحطانية فولدته من قبل غالب بن فهر ، أم غالب بن فهر ليلى بنت سعد بن هُذيل ، وأمها سلمى بنت طابخة بن الياس ، وأم سلمى عاتكة بنت الأزد بن الغوث . وعاتكة أيضاً هي الثالثة من أمهات النضر .

وأما القضاعية فولدته من قبل كعب بن لؤي وهي الثالثة من أمهاته . وهي عاتكة بنت رشدان بن قيس بن جُهينة بن زيد بن سُود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة .

قال الزبير بن بكار :

فولد عبد المطلب بن هاشم عبدَ الله أبا سيدنا رسول الله ﷺ ، وأبا طالب واسمه [١٣٠ / أ] عبد مناف ، وفي حجره كان رسول الله ﷺ بعد جدّه عبد المطلب ، وكان عليه رفيقاً شفيقاً يمنعه من مشركي قريش وآل أبي طالب . أوصى عبد المطلب برسول الله ﷺ .

والزبيرَ بن عبد المطلب وكان من أشراف قريش ووجوهها . وعبدَ الكعبة وأمّ حكيم البيضاء وهي توأمة أبي رسول الله ﷺ . وعاتكة وهي صاحبة الرؤيا في بدر ، وبَرّة وأميمة وأروى بنات عبد المطلب ، وأمّهم فاطمةُ بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم .

وحمزة بن عبد المطلب أسد الله ، وأسد رسوله من المهاجرين الأولين ، شهد بدراً وكان أسنّ من رسول الله ﷺ بأربع سنين واستشهد يوم أحد ، والمقوّم وحَجلاً[١] ، واسمه المغيرة ، وصفية ، هؤلاء الأربعة لأمّ . وصفية أسلمت وهاجرت وأمهم هالة بنت وهيب[٢] بن عبد مناف بن زهرة .

والعباس بن عبد المطلب وكان أسن من رسول الله ﷺ بثلاث سنين[٣] وكان شريفاً عاقلاً مهيباً[٣]

---

(١) في نسب قريش ص ١٧ : « وحجْل » . وفي القاموس : وحجْلٌ : عم النبي ﷺ واسمه مغيرة

(٢) جاء الاسم في هامش الأصل . وهو كذلك في جمهرة أنساب العرب ١٥ ، وفي المتن : « أهيب » وفوقه ضبّة . وهو كذلك . « أهيب » في نسب قريش ١٧

(٣ ـ ٣) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

وضرارَ بن عبد المطلب . وأمُّ العباس وضرار نتلة[1] بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة بن عامر وهو الضَحْيان بن سعد بن الخزرج من تيم الله بن النمر بن قاسط بن دُعْميّ بن ربيعة بن نزار من بني القِرِّيّة ، والقِرِّيّة أم بني عَمرو بن عامر ،[2] وكان ضرار من فتيان قريش جمالاً وسخاء ، ومات أيام أوحي إلى النبي ﷺ ولا عقب له[2] .

والحارث بن عبد المطلب وهو أكبر ولده ،وبه كان يكنى ، وحفر مع أبيه زمزم .

وقُثَم هلك صغيراً . وبه أسمى العباس ابنَه قُثَم ، وأمهما صفية بنت جُندَب بن جحش بن رِيَاب بن حُبيب بن سُواءة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان .

وأبا لهب كنّاه عبد المطلب أبا لهب من حسنه . واسمه عبد العزى . وكنيته[3] أبو عتبة وكان جواداً[3] وأمه ليلى[4] بنت هاجرَ بن عبد مناف بن ضاطِر بن حُبْشيّة بن سَلول من خزاعة .

والغَيْداق بن عبد المطلب .

[١٣٠ / ب] قال مصعب بن عبد الله[5] :

اسمه مصعب ، وقال غيره من قريش : اسمه نوفل . وإنما سمي الغيداق أنه كان أجود قريش وأكثرهم طعاماً ومالاً ، وأمه ممنّعة بنت عمرو بن مالك بن مؤمَّل من خزاعة ، وأخوه لأمه عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زُهرة بن كلاب ، وهو أبو عبد الرحمن بن عوف .

---

(١) كذا في الأصل ، وفي نسب قريش ١٨ وجمهرة أنساب العرب ١٥ : نُتيلة . وفي القاموس : وسموا نتلة ونُتيلة .

(٢ ـ ٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

(٣ ـ ٣) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

(٤) في نسب قريش ١٨ « لبنى » .

(٥) نسب قريش : ١٨

قال الكلبي :

فكم يكن في العرب بنــو أب مثــل بني عبـــد المطلب أشرف منهم ، ولا أجسم ، شمّ العرانين ، تشرُفُ أنوفهم قبل شفاههم .

والعقب من بني عبد المطلب للعباس وأبي طالب والحارث وأبي لهب . وقد كان لحمزة والمقوّم والزبير وحجل بني عبد المطلب أولاد لأصلابهم فهلكوا ، والباقون لم يعقبوا ، وكان العدد من بني هاشم في بني الحارث ثم تحول إلى بني أبي طالب ثم صار في بني العباس . ولما حضرت عبد المطلب الوفاة قال لبناته : ابكينْ عليّ حتى أسمع ، وكنّ ست نسوة .

قال محمد بن سعد[1] :

عمات رسول الله ﷺ : صفية بنت عبد المطلب . كان تزوجها في الجاهلية الحارث بن حرب بن أمية بن عبد شمس . فولدت له صُفيّاً ، رجل ، ثمّ خلف عليها العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى فولدت له الزبير والسائب وعبد الكعبة ، وأسلمت صفية وبايعت رسول الله ﷺ وهاجرت إلى المدينة ، وأطعمها رسول الله ﷺ أربعين وَسْقاً بخيبر . وقبر صفية بنت عبد المطلب بالبقيع بفناء دار المغيرة بن سعيد ، وتوفيت صفية في خلافة عمر بن الخطاب ، وروت عن رسول الله ﷺ .

وأروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وأمها فاطمة بنت عمرو بن عايذ بن عمران بن مخزوم . تزوجها في الجاهلية عمرو بن وهب بن عبد بن قصي[2] فولدت له طُليباً ، ثم خلف عليها أرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي[2] فولدت له فاطمة ، ثم أسلمت أروى بنت عبد المطلب [١٣١ / أ] بمكة وهاجرت إلى المدينة .

وقيل : ماتت صفية بنت عبد المطلب سنة عشرين . وقيل : توفيت في إمارة عثمان .

وروي أيضاً عن محمد بن سعد قال :

عاتكة بنت عبد المطلب تزوجها في الجاهلية أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن

---

(١) الطبقات ٨ / ٤١ ـ ٤٦

(٢ ـ ٢) ما بين الرقمين في هامش الأصل وبجانبه « صح » .

عمر[1] بن مخزوم ، فولدت له عبد الله وزُهيراً وقَريبة ثم أسلمت عاتكة بمكة ، وهاجرت إلى المدينة .

وكان من عماته ﷺ ممن لم يدرك الإسلام أم حكيم وهي البيضاء بنت عبد المطلب ، وكان تزوجها في الجاهلية كُريْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، فولدت له عامراً وأروى وطلحة وأم طلحة .

فتزوج أروى بنت كريز عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، فولدت له عُثْمان بن عفان ، ثم خلف عليها عقبة بن أبي مُعيط ، فولدت له الوليد وخالداً وأم كلثوم ، بني عقبة .

وبرّة بنت عبد المطلب تزوجها في الجاهلية عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمرو[1] بن مخزوم ، فولدت له أبا سلمة بن عبد الأسد ، شهد بدراً . وهو زوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة قبْل رسول الله ﷺ . ثم خلف على بَرة بعد عبد الأسد أبو رُهم بن عبد العزى بن أبي قيْس بن عَبْدودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ، فولدت له أبا سَبْرة بن أبي رُهْم . شهد بدراً .

وأمية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف تزوجها في الجاهلية جحش بن ريَاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، حليف حرب بن أمية بن عبد شمس ، فولدت له عبد الله شهد بدراً ، وعبيد الله وعبداً وهو أبو أحمد . وزينب بنت جحش زوج سيدنا رسول الله ﷺ ، وحمنة بنت جحش .

وأطعم رسول الله ﷺ أمية بنت عبد المطلب أربعين وَسْقاً من تمر خيبر[2] .

قال : الصحيح هذا . قد أسلمت أمية .

---

(١) في الأصل « عمرو » وما هنا عن جمهرة أنساب العرب ١٤١ ـ ١٤٤ ، ونسب قريش ٢٩٩ ، وتهذيب الإكمال ١ / ٢٠٢

(٢) إلى هنا ينتهي حديث محمد بن سعد عن عمات رسول الله ﷺ .

ذكر طهارة مولده وطيب أصله

[١٣١ / ب] عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ، ماولدني إلاّ نكاح كنكاح الإسلام .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

ما ولدتني بغيّ قط مذ خرجت من صلب آدم . ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب : هاشم وزهرة .

وعن ابن عباس :

﴿ وتقلُّبك في السّاجديْن[1] ﴾ قال : من نبي إلى نبي حتى أخرجت نبياً .

وقال عطاء بن أبي رباح قال :

مازال رسول الله ﷺ يتقلب في أصلاب النساء حتى ولدته أمه .

وعن الكلبي قال :

كتبت للنبي ﷺ خمس مئة أمّ ، فما وجدت فيهن سفاحاً ولا شيئاً مما كان من أمر الجاهلية .

وعن محمد بن جعفر العلوي قال : أشهد على أبي يُحدّثني عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ :

خرجت من نكاح ، ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي ، ما أصابني من سفاح الجاهلية شيء .

---

(١) سورة الشعراء : ٢٦ / ٢١٩

وروى جعفر بن محمد عن أبيه

في قوله تبارك وتعالى : ﴿ لقدْ جاءَكُم رَسُولٌ مِنْ أَنْفسِكُمْ[1] ﴾ قال : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية .

وروى ابن عباس قال :

كانت امرأة من خثعم تعرض نفسها في مواسم الحج ، وكانت ذات جمال وكان معها أدم تَطوف بها كأنها تبيعها ، فأتت على عبد الله بن عبد المطلب ـ فأظن أنه أعجبها ـ فقالت : إني والله ، ما أطوف بهذا الأدم ، ومالي بها وإلى ثمنها حاجة ، وإنما أتوسم هل أجد كفؤاً ، فإن كانت لك إلي حاجة فقم ، فقال لها : مكانَك أرجع إليك ، فانطلق إلى رحله فبدأ فواقع أهله فحملت بالنبي ﷺ . فلما رجع إليها قال : ألا أراك هاهنا ؟ قالت : ومن أنت ؟ قال : الذي واعدتك . قالت : لا ما أنت هو ، ولئن كنت هو لقد رأيتُ بين عينيك نوراً ما أراه الآن .

وفي رواية قالت :

هل [١٣٢ / أ] أتيت امرأة بعدي ؟ قال : نعم ، امرأتي آمنة بنت وهب . قالت : فلا حاجة لي فيك . إنك مررت وبين عينيك نور ساطع إلى السماء ، فلما وقعت عليها ذهب . فأخبرها أنها قد حملت خير أهل الأرض .

وقال ابن عباس :

لما انطلق عبد المطلب بابنه عبد الله ليزوجه مرّ به على كاهنة من أهل تَبالة متهوِّدة ، قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مُرّ الخثعمية ، فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت : يا فتى هل لك أن تقع عليّ الآن وأعطيك مئة من الإبل ؟ فقال عبد الله :

أمـا الحرامُ فـالمماتُ دونَـهْ والحِلُّ لا حِلَّ فأستبينَـهْ
فكيف بالأمر الذي تبغينهْ[2] ؟

فزوجه آمنة بنت وهب ، فأقام عندها ثلاثاً ، ثم إن نفسه دعته إلى ما دعته إليه

---

(١) سورة التوبة : ٩ / ١٢٨

(٢) الرجز في طبقات ابن سعد ١ / ٩٦ . باختلاف في رواية البيت الثالث ، وفي الطبري ١ / ٢٤٤ ، وفي الروض الأنف . ١ / ١٠٤ ـ برواية : فالحام دونه ، وزيادة بعد البيت الأخير : « يحمي الكريم عرضه ودينه » .

الكاهنة فأتاها فقالت : يا فتى ، ما صنعت بعدي ؟ فأخبرها ، فقالت : والله ماأنا بصاحبة ريبة ، ولكني رأيت في وجهك نوراً فأردت أن يكون فيّ ، وأبى الله تعالى أن يصيّره إلا حيث أراد ، وقالت في ذلك شعراً .

وقال ابن عباس :

إن المرأة التي عرضت على عبد الله بن عبد المطلب ما عرضت امرأة من بني أَسَد بن عبد العزى ، وهي أخت ورقة بن نوفل ، قُتَيْلة ، وكانت تنظر وتعتاف ، وقيل إنها قالت : مررت وبين عينيك غرّة مثل غُرّة الفرس ورجعت وليس هو في وجهك .

وقد روي أن التي عرضت نفسها على عبد الله لم تك بغياً ، وإنما كانت زوجة لعبد الله مع آمنة ، فمر بها وقد أصابه أثر من طين عمل به ، فدعاها إلى نفسه فأبطأت عليه لما رأت به من أثر الطين ، فدخل فغسل عنه أثر الطين ثم دخل عامداً إلى آمنة ، ثم دعته صاحبته التي كان أراد إلى نفسها فأبى للذي صنعت به أول مرة ، فدخل على آمنة فأصابها ثم خرج قد غشاها إلى نفسه [١٣٢ / ب] فقالت : لا حاجة لي بك ، مررتَ وبين عينيكَ غرّةً فرجوت أن أصيبها منك ، فلما دخلت على آمنة ذهبتْ بها منك .

قال ابن عباس :

سألت سيدنا رسول الله ﷺ فقلت : فداك أبي وأمي : أين كنت وآدم في الجنة ؟ قال : فتبسم حتى بدت نواجذه ثم قال : كنت في صلبه وركب بي السفينة في صلب أبي نوح ، وقذف ا بي ا في صلب أبي إبراهيم ، لم يلتق أبواي قط على سفاح . لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة صفيّ[1] مهْديّ لا يتشعب شعبان إلا كنت في خيرهما ، وقد أخذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإسلام عهدي ، ونَشر في التوراة والإنجيل ذكري ، وبيّن كل نبي صفتي ، تشرق الأرض بنوري ، والغمام لوجهي وعلمني كتابه وروى بي سحابه[2] ، وشق لي اسماً من أسمائه . فذو العرش محمود ، وأنا محمد ، وعدني أن يحبوني بالحوض والكوثر ، وأن يجعلني أول شافع وأول مشفّع ، ثم أخرجني من خير قرن لأمتي وهم الحمّادون ،

---

(١) كتبت اللفظة في الهامش . وفي المتن « صفى » وفوقها ضبّة .

(٢) في هامش الأصل كتب الحرف « ط » .

يـأمرون بـالمعروف ، وينهـون عن المنكر . فقـال حسـان بن ثـابت في النبي ﷺ هـذه الأبيات[من المنسرح] :

مِنْ قَبْلِهـــا طِبتَ في الظِّــلالِ وفي ... مستـــودعٍ يــومَ يُخصَفُ الــوَرَق

فقـال النبي ﷺ رحم الله حسـان ، فقـال علي بن أبي طـالب : وجبت الجنـة لحسـان ورب الكعبة .

قال : هذا حديث غريب . والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس رضي الله عنه .

كما روي عن خريم بن أوس بن جارية قال :

هـاجرت إلى رسـول الله ﷺ فقـدمت عليـه مُنْصَرفـه من تبـوك فـأسلمت فسمعت العباس بن عبد المطلب يقول : يا رسول الله ، إني أريد أن أمتدحك فقال رسول الله ﷺ : قل ، لا يَفْضُض الله فاك ، فأنشأ يقول :

مِنْ قَبْلِهـــا طبتَ في الظــلال وفي ... مستـــودعٍ حيث يُخصَفُ الــورق[1]

[١٣٣ / أ] ثم هبطت البــلاد لا بشرٌ ... أنت ولا مُضغـــــةٌ ولا عَلَـــقُ

بـل نُطفـــةٌ تركبُ السَّفين وقـــد ... ألجم نسراً وأهلـــــــه الغَرَقُ

تُنْقَـــلُ من صـــالَبٍ إلى رحِمٍ ... إذا مضى عـــالَمٌ بَـــدا طَبَــق

حتى احتـــوى بيتُـــك المهيمنُ من ... خنْـــدِفَ عليـــاءَ تحتَهـــا النُطُـقُ

وأنت لَمّـــا وُلِـــدتَ أشرقت ... الأرضُ وضـــاءَتْ بنـورِكَ الأُفُــقُ

فنحنُ في ذلـــك الضِّيـــاءِ وفي النّـــ ... ــــور وسُبـلِ الرَّشـــادِ نَخترقُ

قوله : لا يفضُض الله فـاك : أي لا يسقـط ثغرك ، والعوام تقول : لا يُفضض . وهو خطأ . إنما هو بفتح الياء وضم الضاد الأولى . يقال : سقط فم فلان ، فلم يبق لـه حـاكم ، إذا سقطت أسنانه .

وقول العبـاس : « من قبلهـا طبت في الظلال » يعني : ظلال الجنـة . وأراد أنـه كان

(١) الأبيات الأربعة الأولى في ديوان حسان ج ١ / ٤٩٨ ، رقم ٣٢٥ ، باختلاف في رواية بعض الأبيات . وهي بتمامها في مجمع الزوائد ج ٨ / ٢١٧ . وأشار اللسان إلى القصيدة هذه في مادة فضض ، وذكر بعضها متفرقة . انظر مادة « خصف ، ظلل ، صلب ، طبق » .

طيباً في صلب آدم صلى الله عليهما ، وآدم في الجنـة قبل أن يهْبط إلى الأرض ، والجنـة كلها ظل لا شمس فيها .

وقوله « في مستودع » يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون أراد بالمستودع : الموضع الـذي جعل بـه آدم وحواء عليهما السلام من الجنـة ، واستودعـاه . والآخر أن يكـون أراد الرحم أو النطفة فيه .

قال أبو عبيدة

في قـولـه تعـالى : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَـوْدَع ﴾[1] قـال : فمستقر في الصلب ومستـودع في الرحم .

وقولـه : « حيث يخصف الـورق » أي في الجنـة ، حيث خصف آدم وحـواء عليهما من ورق الجنة . والخصف هو أن تضم الشيء إلى الشيء وتشكـه معـه أو تلصقـه بـه . وكأنهما كانـا يضمان الورق إلى بعض ليكون لهما لبساً وستراً .

وقوله : « ثم هبطت البلاد » يريد أنه لما هبط آدم إلى الأرض هبطت إليه في صلبـه ، وهو إذ ذاك لا بشر ولا لحم ولا دم . يريد أنـه نطفـة لم ينتقل في هـذه المراتب التي ينتقل فيهـا الجنين إلا نـزلـه ، يقـول : بـل نطفـة تركب السفين : يريـد ركـوب نـوح السفينـة [١٣٣ / ب] في وقت الطـوفـان ، وهـو في صلبـه ، وليس أحـد الأصنـام التي كانت لقـوم نوح .

وقوله : « تنقل من صالب » يعني : الصلب . قال : ولم أسمعه بهـذه اللغـة إلا في هـذا الحديث .

وقوله : « إذا مضى عالم بدا طبق » يريد : إذا مضى قرن بـدا قرن . وإنما قيل للقرن طبق ، لأنهم طبق الأرض ثم ينقرضون ، ويأتي طبق اخر . أي ينقل من حـال الشبـاب إلى الهرم .

« والنُطُق » : جمع نطاق وهو ما انتطقت به المرأة أي شدته في وسطهـا ، وانتطق بـه

---

(١) سورة الأنعام ٦ / ٩٨

الرجل أيضاً ، ومنه سميت المنطقة . وضرب هـذا مثلاً لـه في ارتفـاعـه وتوسطـه في عشيرتـه ونجره ، فجعله في علياء وجعلهم تحته نطاقاً له .

وقوله : « وضاءت » أي : أضاءت .

وعن أبي بكرة

أن جبريل عليه السلام ختن النبي ﷺ حين طهّر قلبه .

وعن العباس بن عبد المطلب قال :

ولد النبي ﷺ مختونـاً مسروراً ، قـال : وأعجب ذلـك عبـد المطلب وحظي عنـده . وقال : ليكونَنّ لابني هذا شأن . فكان له شأن .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

من كرامتي على الله أني ولدت مختوناً ، ولم ير سَوْأتي أحد .

ذكر مولده ﷺ ومعرفة من كفله

وما كان من أمره قبل أن يوحى إليه

عن أبي قتادة قال : قال عُمر :

يا رسول الله ، أرأيت رجلاً يصوم يوم الاثنين ؟ قال : ذاك يوم ولدت فيه ويوم أُنزل عليّ .

وروى المسيب بن شريك عن شُعَيْب بن شعَيب عن أبيه عن جده قال :

حُمل برسول الله ﷺ في عاشوراء المحرم ، وولد يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان سنة ثلاثٍ وعشرين من غزوة أصحاب الفيل .

وعن ابن عباس قال :

ولد نبيكم ﷺ يوم الاثنين ، وخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل [١٣٤ / أ] المدينة يوم الاثنين ، وفتح مكة يوم الاثنين . ونزلت سورة المائدة يوم الاثنين ﴿ اليوْم أكْملْتُ لكُمْ دينَكُم ﴾[1]، ورفع الركن يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين .

وعن ابن عباس قال :

ولد النبي ﷺ يوم الاثنين في ربيع الأول ، وأنزلت عليه النبوة في يوم الاثنين في أول شهر ربيع الأول ، وأنزلت عليه البقرة يوم الاثنين في ربيع الأول . وهاجر إلى المدينة في ربيع الأول ، وتوفي يوم الاثنين في ربيع الأول .

وفي رواية أخرى :

وكان فتح بدر يوم الاثنين .

---

(١) المائدة ٥ / ٤

قال : والمحفوظ أن نزول : ﴿ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لكُم دِيْنَكُم ﴾ ووقعة بدر كانا في يومي جمعة .

وعن مكحول

أنه كان يصوم يوم الاثنين والخميس ، وكان يقول : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، وبعث يوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين ، وتُرفع أعمال بني آدم يوم الخميس .

وعن يزيد بن أبي حبيب قال :

في يوم الاثنين ولد النبي ﷺ ، وفيه بُعث ، وفيه قُبض ، وهو يوم الفرقان . وفيه نزلت هذه الاية : ﴿ اليَوْم أَكْمَلْتُ لكُم دِيْنَكُم وأَتْمَمْتُ عليْكُم نعْمتي ورضيْتُ لكُمْ الإسْلام دِيْناً ﴾ .

وقيل : إن رسول الله ﷺ ولد عام الفيل . وسُمّيت قريش آل الله وعظمت في العرب . ولد لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول . ويقال : ولد في رمضان في اثنتي عشرة منه يوم الاثنين حين طلع الفجر . قال : وكان إبليس يخرق السماوات السبع . فلما ولد عيسى حُجب من ثلاث سماوات فكان يصل إلى أربع ، فلما ولد رسول الله ﷺ حُجب من السبع ، ورُميت الشياطين بالنجوم . فقالت قريش : هذا قيام الساعة . فقال رجل من قريش يقال له : عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف : انظروا إلى العَيُّوق فإن كان قد رمي به فهو قيام الساعة . في حديث طويل .

وقيل : ولد النبي ﷺ يوم الفيل وقيل : عام الفيل ، وبين الفجار والفيل عشرون سنة . وسُمي الفجار لأنهم فجروا وأحلوا أشياء كانوا يحرمونها [١٣٤ / ب] . وكان بين الفجار وبين بناء الكعبة خمس عشرة سنة . وبين بناء الكعبة وبين مبعث رسول الله ﷺ خمس سنين . قال : فبعث نبينا ﷺ وهو ابن أربعين سنة .

وكانت عكاظ بعد الفيل بخمس عشرة سنة .

وقيل : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الأول ، وكان قدوم الفيل للنصف من المحرم . فبين الفيل وبين مولد سيدنا رسول الله ﷺ خمس وخمسون ليلة .

وقيل : كان بين الفيل وبين مولده عشر سنين . وقيل : ولد قبل الفيل بخمس عشرة سنة .

وقيل : ولد بعد الفيل بثلاثين عاماً . وقيل : بعد الفيل بأربعين عاماً .

قال : والمجمع عليه : عام الفيل .

وعن محمد بن كعب وأيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قالا :

خرج عبد الله بن عبد المطلب إلى الشام إلى غزّة في عيرٍ من عِيرات قريش يحملون تجارات . ففرغوا من تجاراتهم ثم انصرفوا ، فمروا بالمدينة وعبد الله بن عبد المطلب يومئذ مريض فقال : أتخلف عند أخوالي بني عدي بن النجار ، فأقام عندهم مريضاً شهراً ومضى أصحابه ، فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن عبد الله فقالوا : خلفناه عند أخواله بني عدي بن النجار وهو مريض ، فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث فوجده قد توفي ، ودفن في دار النابغة وهو رجل من بني عدي بن النجار في الدار التي إذا دخلتها فالدويرة عن يسارك . وأخبره أخواله بمرضه ، وبقيامهم عليه وما ولوا من أمره ، وأنهم قبروه فرجع إلى أبيه فأخبره ، فوجد عليه عبد المطلب وإخوته وأخواته وجداً شديداً . ورسول الله ﷺ يومئذ حمال ، ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة .

قال الواقدي[1] :

هذا أثبت الأقاويل والرواية في وفاة عبد الله بن عبد المطلب وسنّه .

وقيل : توفي عبد الله بن عبد المطلب [١٣٥ / أ] بعدما أتى على رسول الله ﷺ ابن شهرين . وماتت أمه وهو ابن أربع سنين . ومات جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين ، فأوصى به إلى أبي طالب . وقيل غير ذلك .

وقيل : إن عبد المطلب بعث عبد الله يمتار له تمراً من يثرب فتوفي بها .

قال عثمان بن أبي العاص حدثتني أمي

أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسولَ الله ﷺ ليلة ولدته قالت :

فما شيء أنظر إليه في البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تدنو حتى إني لأقول : لتقعنّ عليّ .

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ١ / ٩٩

قالت آمنة بنت وهب :

لقد علقت به يعني رسول الله ﷺ فما وجدت له مشقّة حتى وضعته . فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق إلى المغرب . ثم وقع إلى الأرض معتمداً على يديه ، ثم أخذ قبضة من تراب فقبضها ورفع رأسه إلى السماء . ـ وقال بعضهم : جاثياً على ركبتيه ـ وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأيت أعناق الإبل تُبصر بي ، رافعاً رأسه إلى السماء .

وولد ﷺ مختوناً مسروراً ، فأعجبَ جدّه عبد المطلب ، وحظي عنده . وقال : ليكونَنّ لابني هذا شأن . فكان له شأن .

قال أبو الحكم التنوخي :

كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه إلى نسوة في قريش إلى الصبح ، فكفأن عليه بُرمةً . فلما ولد رسول الله ﷺ دفعه عبد المطلب إلى نسوة يكفأن عليه بُرمة ، فلما أصبحن أتين فوجدن البُرمة قد انفلقت عنه . فأتين فوجدنه مفتوح العينين شاخصاً ببصره إلى السماء ، فأتاهن عبد المطلب فقلن له : ما رأينا مولوداً مثله . وجدناه قد انفلقت عنه البُرمة ، ووجدناه مفتوحةً عيناه شاخصاً ببصره إلى السماء . فقال : احفظنه فإني أرجو أن نصيب خيراً . فلما كان يوم السابع ذبح عنه ، ودعا له قريشاً فلما أكلوا قالوا : [١٣٥ / ب] يا عبد المطلب ، أرأيت ابنك هذا الذي أكرمتنا على وجهه ما سميته ؟ قال : سميته محمداً . قالوا : فما رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ ! قال : أردت أن يحمده الله في السماء ، وخلقه في الأرض .

وكانت آمنة بنت وهب أم سيدنا رسول الله ﷺ قدمت برسول الله ﷺ المدينة على أخواله من بني عامر بن النجار ثم صدرت به راجعة إلى مكة ، فتوفيت بالأبواء بين مكة والمدينة ، ورسول الله ﷺ ابن ست سنين .

قال ابن إسحاق[1] :

كانت آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ تحدث أنها أُتيتْ حين حملت محمداً ﷺ وقيل

---

(١) انظر السير والمغازي ٤٥ ، وسيرة ابن هشام ج ١ / ١٦٦

لها : إنك قد حملت بسيِّد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض فقولي :

أعيـــذُه بـــالــواحـــــد ... من شرّ كل حـــاســـدِ

في كل برّ عــــامــــدِ ... وكل عبـــدٍ رائـــدِ

يرودُ غير زائدِ

فإنّه عبـدُ الحميـدِ الماجـدْ ... حتى أراه قد أتى المشـاهـدْ

وإن اية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشـام ، فـإذا وقع فسميـه محمداً ، فإنه اسمه في التوراة أحمد ، يحمده أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه في الإنجيل أحمد ، يحمده أهل السماء وأهل الأرض ، واسمه في الفرقان محمد ، فسمّيه بذلـك . فلما وضعتـه بعثت إلى عبد المطلب جاريتها ، وقد هلك أبوه عبد الله وهي حُبلى ـ ويقـال إن عبـد الله هلـك والنبي ﷺ ابن ثمانية وعشرين شهراً ـ فقالت : قد ولد الليلة لـك غلام فـانظر إليـه . فلما جاءها خبرته وحدثته بما رأت حين حملت به . ومـا قيل لهـا فيـه . ومـا أُمرت أن تسميّـه ، فأخذه عبد المطلب فأدخله على هُبل في جوف الكعبة فقام عبد المطلب يـدعو الله ويتشكر لله عزّ وجلّ الذي أعطاه إياه فقال[1] : [الرجز]

الحمـــــدُ لله الــــــذي أعطـــــاني ... هــــــذا الغـــلامَ الطيّب الأردان

قـــد ســـاد في المهـــد على الغلمـــان ... [١٣٦/أ] أعيـــذُه بـــالبيت ذي الأركان

حتى يكـــون بلغـــــة الفتيـــــان ... أعيـــــذُه من كلِّ ذي شنــــــآن

من حـــاســـدِ مضطرب العيـــان ... ذي همـــــةٍ ليسَ لـــــهُ عينـــان

حتى أراهُ رافـــــعَ البنيـــــان ... أنت الـــــذي سُميت في الفرقـــان

في كتبِ ثـــــابتـــــة المثــــاني ... أحمـــد مكتـــوبـــاً على اللســـان

قال ابن عباس :

كان بنو أبي طالب يصبحون غمصاً رمصاً[2] ، ويصبح محمد ﷺ صقيلاً دهينا . قـال :

(١) الرجز في الروض الأنف ١ / ١٠٦ ، بعض زيادة . وبعضه في الطبقات ١ / ١٠٣

(٢) هو [illegible] الذي [illegible] العين ، وجمع في زوايا الأجفان . الرمص : الرطب منه ، والغمص : اليابس . النهاية [illegible] رمص .

وكان أبو طالب يقرب إلى الصبيان بصحيفتهم أول البكرة فيجلسون وينتهبون ويكف رسول الله ﷺ يده لا ينتهب معهم . فلما رأى ذلك عمه عزل له طعامه على حدة .

وكان رسول الله ﷺ يكون مع أمه آمنة بنت وهب ، فلما توفيت قبضه إليه جده عبد المطلب وضمّه ورقّ عليه رقة لم يرقها على ولده ، وكان يقربه منه ويُدنيه ويدخل عليه إذا خلا وإذا نام . وكان يجلس على فراشه فيقول عبد المطلب إذا رأى ذلك : دعوا ابني إنه ليؤنس ملكا ..

وقال قوم من بني مدلج لعبد المطلب :

احتفظ به فإنا لم نر قَدَماً أشبه بالقدم التي في المقام فيه ، فقال عبد المطلب لأبي طالب : اسمع ما يقول هؤلاء ، فكان أبو طالب يحتفظ به . فقال عبد المطلب لأم أيمن وكانت تحضن رسول الله ﷺ : يا بركة لا تغفلي عن ابني فإني وجدته مع غلمان قريباً من السدرة ، وإن أهل الكتاب يزعمون أن ابني نبيّ هذه الأمة . فكان عبد المطلب لا يأكل طعاماً إلا قال : علي بابني فيؤتى به إليه ، فلما حضرت عبد المطلب الوفاة أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله وحياطته ، ومات عبد المطلب فدفن بالحَجون .

وقبض أبو طالب رسولَ الله ﷺ فكان يكون معه .

[١٣٦ / ب] وكان أبو طالب لا مال له ، وكان يحبه حباً شديداً لا يحبه ولده ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ويخرج فيخرج معه ، وصبّ به أبو طالب صبابة لم يَصَبّ مثلها بشيء قط ، وكان يخصه بالطعام ، وكان إذا أكل عيال أبي طالب جميعاً أو فُرادى لم يشبعوا ، وإذا أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا ، فكان إذا أراد أن يغديهم قال : كما أنتم حتى يحضر ابني فيأتي رسول الله ﷺ فيأكل معهم ، فكانوا يفضلون من طعامهم ، وإن لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول أبو طالب : إنك لمبارك .

وعن حليمة بنت الحارث أم رسول الله ﷺ السعدية التي أرضعته قالت :

خرجت في نسوة من بني سعد بن بكر نلتمس الرضعاء بمكة على أتان لي قمراء[١]

---

(١) القمراء : شديدة البياض . النهاية والقاموس : « قمر » .

قد أذمّت[1] بالرّكب . وخرجنا في سَنَة شهباء لم تبق شيئاً ، ومعي زوجي الحارث بن عبد العزى . قالت : ومعنا شارف[2] لنا ، والله إن تبضّ علينا بقطرة من لبن ، ومعي صبيّ لي إن ننام ليلنا مع بكائه ، ما في ثديي ما يُغنيه وما في شارفنا من لبن نغذوه إلا أنا نرجو . فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة إلا عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه ، وإنما كنا نرجو كرامة رضاعةِ من والد المولود ، وكان يتيماً فكنا نقول : يتيم ، ما عسى أن تصنع أمه ، حتى لم يبق من صواحبي امرأة إلا أخذت صبياً غيري ، فكرهت أن أرجع ولم أجد شيئاً وقد أخذ صواحبي ، فقلت لزوجي : والله لأرجعَن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه .

قالت : فأتيته فأخذته فرجعت إلى رحلي . فقال زوجي : قد أخذته ؟ فقلت : نعم والله . ذلك أني لم أجد غيره . فقال : قد أصبت ، فعسى الله أن يجعل فيه خيراً ، قالت : فوالله ما هو إلا أن جعلته في حجري ، قالت : فأقبل عليه ثديي بما شاء الله من اللبن ، قالت : فشرب حتى روي وشرب أخوه يعني ابنها حتى روي ، ، وقام زوجي [١٣٧ / أ] إلى شارفنا من الليل فاذا بها حافلاً ، فحلب لنا ما شئنا فشرب حتى روي . قالت وشربت حتى رويت ، فبتنا ليلتنا تلك بخيرٍ شِباعاً رواء ، وقد نام صبياننا قالت : يقول أبوه ـ يعني زوجها ـ : والله يا حليمة ، ما أراك إلا قد أصبت نَسَمة مباركة قد نام صبيّنا وروي ، قالت : ثم خرجنا فو الله لخرجتْ أتاني أمام الركب قد قطعتهنّ حتى ما تتعلق بأحد حتى إنهم ليقولون : ويحك يا بنت الحارث ، كفي علينا ، أليست هذه أتانك التي خرجت عليها ؟ فأقول : بلى والله وهي قدامنا حتى قدمنا منازلنا من حاضر بني سعد بن بكر فقدمنا على أجدب أرض الله ، فوالذي نفس حليمة بيده إن كانوا يَسْرَحون أغنامهم إذا أصبحوا ويسْرح راعي غنمي ، فتروح غنمي بطاناً لبناً حفّلاً ، وتروح أغنامهم جياعاً هالكة مالها من لبن . قالت : فنشرب ما شئنا من اللبن ، ما من الحاضر أحد يطلب قطرة ولا يجدها فيقولون لرعاتهم : ويلكم ألا تسرحون حيث يسرح راعي حليمة ؟ ! فيسرحون في الشعب الذي يسرح فيه راعينا فتروح أغنامهم جياعاً مالها من لبن وتروح غنمي لبناً حفلاً .

---

(١) أذمّت بالركب : أي حبستهم لضعفها وانقطاع سيرها . النهاية : « دمم » .

(٢) الشارف من النوق : المسنة الهارمة كالشارفة . القاموس : « شرف » .

قالت : وكان ﷺ يشبّ في اليوم شباب الصبي في شهر ، ويشب في الشهر شباب الصبي في سنة ، فبلغ سنة ، وفي رواية : سنتين وهو غلامٌ جَفْرٌ[1] ، قالت : فقدمنا على أمه ، فقلت لها وقال لها أبوه : ردي علينا ابني فلنرجع به ، فإنا نخشى عليه أوباء مكة . قالت : ونحن أضَنّ شيء به ، مما رأينا من بركته . قالت : فلم نزل بها حتى قالت : ارجعا به فرجعنا به ، فمكث عندنا شهرين .

قالت : فبينا هو يلعب وأخوه يوماً خلف البيوت يرعيان بَهماً لنا إذ جاءنا أخوه يشتدّ فقال لي ولأبيه : أدركا أخي القرشي قد جاءه رجلان فأضجعاه فشقا بطنه ، فخرجنا نحوه نشتد ، فانتهينا إليه وهو قائم منتقع لونه فاعتنقه أبوه [١٣٧ / ب] واعتنقته ، ثم قال : ما لك أي بني ؟ قال : أتاني رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني ثم شقّا بطني فو الله ما أدري ما صنعا[2] ـ وفي رواية ـ ثم استخرجا منه شيئاً فطرحاه ثم رَدّاه كما كان[2] . قالت : فاحتملناه فرجعنا به إلى بيوتنا . قالت : يقول أبوه : والله يا حليمة ، ما أرى هذا الغلام إلا قد أصيب فانطلقي فلنردّه إلى أهله قبل أن يظهر ما نتخوّف عليه . قالت : فرجعنا به إليها . قالت : ما ردّكما به وقد كنتما حريصين عليه ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا أنا كفلناه وأدينا الحق الذي يجب علينا فيه ، ثم تخوفنا الأحداث عليه ، فقلنا : يكون في أهله . قالت : فقالت آمنة : والله ما ذاك بكما فأخبراني خبركما وخبره ، فوالله ما زالت بنا حتى أخبرناها خبره . قالت : فتخوفتما عليه ؟ ! كلا والله ، إن لابني هذا شأناً ألا أخبركما عنه : إني حملت به فلم أحمل حملا قط كان أخفّ ولا أعظم بركة منه ثم رأيت نوراً كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببصرى ، ثم وضعته فما وقع كما يقع الصبيان ، وقع واضعاً يده بالأرض رافعاً رأسه إلى السماء . دعاه والحقا بشأنكما .

وفي رواية : قالت ـ يعني آمنة ـ : أخشيتما عليه الشيطان ؟ ! كلا والله ماللشيطان عليه سبيل .

---

(١) استجفر الصبي : إذا قوي على الأكل . النهاية : « جفر » .

(٢ ـ ٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

ما جاء في الكتب من صفته

وبشّرت به الأنبياء من بعثته

عن ابن سلام

أنه لما سمع بمخرج النبي ﷺ بمكة خرج فلقيه ، فقال له النبي ﷺ : أنت ابن عالم أهل يثرب ؟ قال : نعم . قال : فناشدتك بالله الذي أنزل التوراة على موسى بطور سيناء هل تجد صفتي في كتاب الله الذي أنزل على موسى ؟ قال عبد الله بن سلام : انسب ربّك يامحمد ، فارتَجّ النبي ﷺ ، فقال له جبريل عليه السلام : ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد [١٣٨ / أ] اللهُ الصَّمد لمْ يلدْ ولمْ يُولدْ ولمْ يَكُنْ لهُ كُفُواً أحد ﴾ فقال له ابن سلام : أشهد أنك رسول الله ، وإن الله مظهرك ومظهر دينك على الأديان وإني لأجد صفتك في كتاب الله تعالى ﴿ ياأيُّها النبيُّ إنّا أرْسلْناك شاهداً ومُبشّراً ونَذيْراً[١] ﴾[٢] زاد في حديث : وحرزاً للأميين[٢] أنت عبدي ورسولي ، سمّيْتُك المتوكل ، ليس بفظٍ ولا غليظٍ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى تستقيم به الملّة المعوجّة حتى يقولوا لا إله إلا الله ويفتحوا أعيناً عمياً وأذاناً صمّاً وقلوباً غلفاً . وفي رواية : وقلوباً غلفاً أن يقولوا لا إله إلا الله .

وعن سهل مولى عثمة

أنه كان نصرانياً من أهل مرّيس وأنه كان يتيماً في حجر أمه وعمه وأنه كان يقرأ الإنجيل قال : فأخذت مصحفاً لعمي فقرأته حتى مرت بي ورقة أنكرت أكنافها حين مرّت بي ومسستها بيدي قال : فنظرت فإذا فضول الورقة ملصق بغراء قال : ففتقتها

---

(١) سورة الفتح ٤٨ / ٨

(٢ ـ ٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل

فوجدت فيها نعت محمد ﷺ : أنه لا قصير ولا طويل ، أبيض ذو ضفرين ، بين كتفيه خاتم ، يكثر الاحتباء ، ولا يقبل الصدقة ، ويركب الحمار والبعير ، ويحتلب الشاة ، ويلبس قميصاً مرفوعاً ، ومن فعل ذلك فقد برئ من الكبْر وهو يفعل ذلك ، وهو من ذرية إسماعيل ، اسمه أحمد . قال سهل : فلما انتهيت إلى هذا من ذكر محمد ﷺ جاء عمي فلما رأى الورقة ضربني وقال : مالَك وفتحَ هذه الورقة وقراءتها ؟ فقلت : فيها نعت النبي أحمد فقال : إنه لم يأت بعد .

وعن سالم بن عبد الله بن عمر قال :

بينا رجلان يحدّثُ أحدهما صاحبه ، وكعب خلفهما يسمع ، لا يعلمان بمكانه إذ قال أحدهما لصاحبه : رأيت الليلة ـ أو قال : البارحة ـ كلّ نبي في الأرض ، مع كل نبي منهم أربعةُ مصابيح : مصباحٌ من بين يديه ، ومصباح من خلفه ، ومصباح عن يمينه ، ومصباح عن شماله ، ومع كلّ رجل ممن معه مصباحٌ مصباح ، إذ قام [١٣٨ / ب] رجل منهم فأضاءت الأرض له ، في كلّ شعرة في رأسه مصباح ، ومع كل رجل ممن معه أربعةُ مصابيح : مصباح من بين يديه ، ومصباح من خلفه ، ومصباح عن يمينه ، ومصباح عن شماله . قلت : من هذا ؟ قالوا : محمد رسول الله . فقال كعب للمحدث : يا عبد الله ، عمّن تحدث ؟ قال : عن رؤيـ رأيتُها البارحة ، فقال كعب : والله ، لكأنك نشرت التوراة فقرأت هذا فيها .

وعن أبي هريرة قال :

توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول وقد استكمل عشر سنين من هجرته . قال : فلما كان صبيحة الخميس فإذا نحن بشيخ أبيض الرأس واللحية متلثم بعمامة على قعُود له ، حتى جاء فنزل فعقل قعوده بباب المسجد وأنشأ يقول وينادي : السلام عليكم ورحمة الله ، هل فيكم محمد رسول الله ؟ قال علي : أيها السائل عن محمد رسول الله ما تريد من محمد ؟ قال : أنا حَبر من أحبار بيت المقدس قد قرأت التوراة ثمانين سنة وتدبرتها أربعين صباحاً ، فوجدت فيها ذكر محمد ﷺ وأن الله تبارك وتعالى يقول في التوراة : ليس بكذاب ولا قوّال للكذب . وقد خرجت أطلب الإسلام على يديه فقال علي : أيها السائل عن أبي القاسم ﷺ ، قد أصبح أبو القاسم ﷺ

بين أطباق الثرى . فوضع الجريدة على رأسه ونادى : وا انقطـاع ظهراه ، بـأبي وأمي مَن لم أشهده ولم أره ، يا محمد المصطفى ، يـا خير مَن ولـدت النسـائم . قـال : بـالله هل فيكم قرابة محمد ﷺ فقال علي : يا بلال ، انطلق بهذا الرجل إلى منزل فاطمـة عليهـا السلام ، فانطلق به فقال لها الحبر : يا بنة رسول الله ﷺ أنا حَبر من أحبار بيت المقدس ، جئت أطلب الإسلام على يدي والدك ﷺ قالت فاطمة : يا حَبر بيت المقدس ، إن والدي قد مات فنادى الحبر : وا انقطـاع ظهراه بـأبي وأمي من لم أره ولم أشـاهـده ، بـالله يـا بنت رسول الله ﷺ أما عندك ثوب [١٣٩ / أ] من ثيـاب رسول الله ﷺ.؟ قـالت فـاطمـة للحسين : هات الثوب الذي نُشّف فيه رسول الله ﷺ فجاء به فـأخـذه الحبر فـألقـاه على وجهه وجعل ينشق ريحه ويقول : بأبي وأمي من جسد نُشّف في هذا الثوب ثم رفع رأسـه فقال : يا علي ، صف لي صفـة رسول الله ﷺ كأني أنظر إليـه فبكى عليٌّ بكاءً شـديـداً ، قال : والله ، إني كنت مشتاقاً إلى محمد ﷺ ، فأنـا أشوق إلى حبيبي منـك ثم قـال : بـأبي وأمي ، لم يكن بالطويل الـذاهب ولا بـالقصير ، كان ربعـة من الرجـال ، أبيض مُشَرَّبٌ بحمرة ، جعْـد المفرق ، شعره إلى شحمـة أذنيـه ، صلت الجبين ، واضح الخـدين ، مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، سبط الأشفار ، أقنى الأنف ، دقيق المَسْرُبة[1] ، مبلج الثنـايـا ، كث اللحيـة ، كأنّ عنقـه إبريق فضـة ، كأن الـذهب يجري في تراقيـه ، عرَقـه في وجهـه كاللؤلؤ ، شثْل[2] الكعبين والقدمين ، له شعرات ما بين لبّته إلى صـدره تجري كالقضيب ، لم يكن على بطنه ولا على ظهره شعرات غيرها ، تفوح منـه رائحـة المسـك ، إذا قـام غمر الناس ، وإذا مشى فكأنمـا يتقلّع من صخرة ، إذا التفت التفت جميعاً ، وإذا انحدر كأنمـا ينحدر في صبب ، أطهر الناس خلقاً ، وأشجع الناس قلباً ، وأسخى الناس كفّاً ، لم يكن قبله مثله ، ولا يكون بعده مثله أبداً .

قال الحبر :

يـا علي ، إني أصبت في التوراة هـذه الصفـة . أيقنت أنـه لا إلـه إلا الله وأن محمـداً رسول الله .

---

(١) المسْرُبة : بضم الراء : ما دقّ من شعر الصّدْر سائلاً إلى الجوف . النهاية : « سرب » .

(٢) الشثل ، لغة في الشثن ، أي أنهما يميلان إلى الغلظ والقصر . النهاية : « شثن » واللسان : « شثن وشثل »

وعن عبادة بن الصامت قال :

قيل : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك . قال : نعم . أنا دعوة أبي إبراهم ، وكان آخر من بشّر بي عيسى بن مريم عليهم السلام .

وعن عبد الله قال :

صاحبكم ﷺ خامسُ خمسةٍ مبشّر بهم قبل أن يكونوا : إسحاق و يعقوب بقول الله تعالى : ﴿ فبشَّرناها بإسْحاق ومنْ وراء إسحاق يعْقوب ﴾[1] . ويحيى : ﴿ إنّ الله يُبشِّرك بيحيى مُصَدّقاً ﴾[2] ، وعيسى بن مريم : ﴿ إنَّ الله يُبشِّرك بكلمةٍ منْهُ ﴾[3] ، ومحمد ﷺ قول عيسى : ﴿ يأْتي منْ بعْدي اسْمُهُ [١٣٩ / ب] أحْمد ﴾[4] فهؤلاء أخبر بهم من قبل أن يكونوا .

وعن وهب بن منبه

أن الله تعالى لما قرّب موسى نجياً قال : ربِّ ، إني أجد في التوراة أمةً خير أمةٍ أُخرجت للناس يأمرون بالمعروف ، و ينهون عن المنكر ، و يؤمنون بالله . فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد[5] . قال : رب ، إني أجد في التوراة أمة هم الآخرون من الأمم ، السابقون يوم القيامة فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد[5] . قال : يا ربّ ، إني أجد في التوراة أمةً أناجيلُهم في صدورهم يقرؤونها ، وكان منْ قبلهم يقرؤون كتبهم نظراً ولا يحفظونها فاجعلهم أمتي ، قال : تلك أمة أحمد . قال : ربّ ، إني أجد في التوراة أمةً يؤمنون بالكتاب الأول والآخر ، و يقاتلون رؤوس الضلالة حتى يقاتلوا الأعور الكذاب ، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : ربّ ، إني أجد في التوراة أمةً يأكلون صدقاتهم في بطونهم ، وكان مَن قبلهم إذا أخرج صدقته بعث الله عليها ناراً فأكلتها ، فإن لم تُقْبل لم تقربها النار ، فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : ربّ ، إني أجد في التوراة أمة إذا همَّ أحد بسيئة لم تكتب عليه فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة . وإذا همَّ أحدهم بحسنة لم يعملها كُتبت له

---

(١) سورة هود ١١ / ٧١

(٢) سورة ال عمران ٣ / ٣٩

(٣) سورة ال عمران ٣ / ٤٥

(٤) سورة الصف ٦١ / ٦

(٥ ـ ٥) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الاصل .

حسنة ، فإن عملها كُتبت له عشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد . قال : ربّ ، إني أجد في التوراة أمة هم المستجيبون المستجاب لهم فاجعلهم أمتي . قال : تلك أمة أحمد .

قال : وذكر وهب بن منبه في قصة داود النبي ﷺ وما أوحي إليه في الزبور

يا داود ، إنه سيأتي من بعدك نبيّ اسمه أحمد ومحمد صادقاً سيداً ، لا أغضب عليه أبداً ، ولا يغضبني أبداً ، وقد غفرت له قبل أن يغضبني ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأمته مرحومة أعطيتهم من النوافل مثلما أعطيت الأنبياء ، وافترضت عليهم الفرائض التي افترضت على الأنبياء والرسل ، حتى يأتوني يوم القيامة ونورهم مثل نور الأنبياء ، وذلك أني افترضت عليهم أن يتطهروا لي لكل صلاة ، كما افترضت على الأنبياء قبلهم وأمرتهم بالغسل من الجنابة كما أمرت الأنبياء قبلهم . يا داود ، إني فضلت [١٤٠ / أ] محمداً وأمته على الأمم كلها ، أعطيتهم ستّ خصال لم أعطها غيرهم من الأمم : لا أؤاخذهم بالخطأ والنسيان ، وكل ذنب ركبوه على غير عمد ، إن استغفروني منه غفرته لهم ، وما قدموا لآخرتهم من شيء طيّبةً به أنفسهم عجّلته لهم أضعافاً مضاعفة ، ولهم في المدخور عندي أضعاف مضاعفة ، وأفضل من ذلك . وأعطيتهم على المصائب في البلايا ـ إذا صبروا وقالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ـ الصلاة والرحمة والهدى ، إلى جنات النعيم ، فإن دعوني استجبت لهم ، فإما أن يروه عاجلاً ، وإما أن أصرف عنهم سوءاً ، وإما أن أدخره لهم في الآخرة . يا داود ، مَن لقيَني من أمة محمد ﷺ يشهد أن لا إله إلا الله أنا وحدي لا شريك لي صادقاً بها فهو معي في حبي وكرامتي . ومن لقيني وقد كذّب محمداً وكذّب بما جاء به واستهزأ بكتابي صببت عليه في قبره العذاب صباً ، وضربت الملائكة وجهه ودبره عند منشره من قبره ، ثم أدخله في الدرك الأسفل من النار .

وعن مقاتل بن حيان قال :

أوحى الله تعالى إلى عيسى بن مريم عليه السلام : جدّ في أمري ولا تهزل ، واسمع وأطع يا بن الطاهرة البكر البتول ، إني خلقتك من غير فحل فجعلتك آية للعالمين ، فإياي فاعبد وعليّ فتوكل ، فسرْ لأهل سوران بالسريانية ، بلّغ من بين يديك أني أنا الله الحي القيوم الذي لا أزول . صدّقوا النبي الأمي العربي صاحب الجمل والمدرعة والعمامة ـ وهي التاج ـ والنعلين والمراوة وهي القضيب ، الجعد الرأس ، الصلت الجبين ، المقرون

الحاجبين ، الأنجل العينين ، الأهدب الأشفار ، الأدعج العينين ، الأقنى الأنف ، الواضح الخدين ، الكثّ اللحية ، عَرَقُه في وجهه كاللؤلؤ ، وريح المسك ينفح منه ، كأن عنقه إبريق فضة ، وكأن الذهب يجري في تراقيه ، له شعرات من لبّته إلى سُرته ، تجري كالقضيب ، ليس على صدره ولا على بطنه شعر غيره ، شثن الكف والقدم [١٤٠ / ب] إذا جاء مع الناس غمرهم ، وإذا مشى كأنما يتقلع من صخر ، وينحدر في صبب ، ذو النسل القليل .

قال عمر بن الحكم بن رافع[1] بن سنان ـ وهو عم عبد الحميد بن جعفر ـ حدثني بعض عمومتي وآبائي

أنهم كانت عندهم ورقة يتوارثونها في الجاهلية حتى جاء الله بالإسلام وهي عندهم ، فلما قدم النبي ﷺ المدينة ذكروا له وأتوه بها . مكتوب فيها اسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب ، هذا الذكر لأمة تأتي في آخر الزمان يسبلون أطرافهم ، ويأتزرون على أوساطهم ، ويخوضون البحور إلى أعدائهم ، فيهم صلاة لو كانت في قوم نوح ما أُهلكوا بالطوفان ، وفي عاد ما أُهلكوا بالريح ، وفي هود ما أُهلكوا بالصيحة . بسم الله وقوله الحق وقول الظالمين في تباب . كأنه استقبل قصة أخرى . قال : فعجب رسول الله ﷺ لما قرئت عليه لما فيها .

إخبار الأحبار والرهبان والكهان بنبوته

عن الفَلَتان بن عاصم قال :

كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ شخص بصره إلى رجل ، فإذا هو يهودي عليه قميص وسراويل ونعلان ، قال : فجعل النبي ﷺ يكلمه وهو يقول : يا رسول الله ، فقال النبي ﷺ : أتشهد أني رسول الله ؟ قال : لا . قال رسول الله ﷺ : أتقرأ التوراة ؟ قال : نعم . قال : أتقرأ الإنجيل ؟ قال : نعم . قال : والقران ولو تشاء قرأته . فقال رسول الله ﷺ : فيا تقرأ التوراة والإنجيل ، أتجدني نبياً ؟ قال : إنا نجد نعتك ومخرجك ، فلما خرجت رجونا أن تكون فينا ، فلما رأيناك عرفنا أنك لست به . قال رسول الله ﷺ : ولم[2]

(١) في الأصل : « نافع » . وهو « رافع » كما في تهذيب التهذيب ٧ : ٤٢٦

(٢) استدركت اللفظة في هامش الأصل

يا يهودي ؟ قال : إنا نجده مكتوباً أنه يدخل من أمته سبعون ألفاً بلا حساب ، ولا نرى معك إلا نفراً يسيراً . فقال رسول الله ﷺ : [١٤١ / أ] إن أمتي لأكثر من سبعين ألفاً وسبعين ألفاً .

وعن أبي هريرة قال :

بلغني أن بني إسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور بخت نصر عليهم وفرقتهم وذِلّتهم تفرقوا ، وكانوا يجدون محمداً رسول الله منعوتاً في كتابهم ، وأنه يظهر في بعض هذه القرى العربية في قرية ذات نخل . فلما خرجوا من أرض الشام جعلوا يقتَرون[٢] كل قرية من تلك القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب فتنزل بها طائفة منهم ، ويرجون أن يلقوا محمداً فيتبعوه ، حتى نزل من بني هارون ممن حمل التوراة بيثرب منهم طائفة ، فمات أولئك الآباء وهم يؤمنون بمحمد ﷺ أنه جاءٍ ويحثّون أبناءهم على اتباعه إذا جاء ، فأدركه مَن أدركه من أبنائهم فكفروا به وهم يعرفونه .

عن نملة بن أبي نملة عن أبيه قال :

كانت يهود بني قريظة يدرسون ذكر رسول الله ﷺ في كتبهم ويُعَلمونه الولدان بصفته واسمه ومهاجره إلينا . فلما ظهر رسول الله ﷺ حسدوه وبغوْا عليه ، وقالوا : ليس به .

وعن عائشة قالت :

سكن يهودي بمكة يبيع بها تجارات . فلما كانت ليلة ولد رسول الله ﷺ قال في مجلس من مجالس قريش : هل كان فيكم من مولود هذه الليلة ؟ قالوا : لا نعلمه . قال : أخطأت والله حيث كنت أكره ، انظروا يا معشر قريش واحصوا ما أقول لكم ، وُلد الليلة نبي هذه الأمة أحمد الآخر فإن أخطأكم فبفلسطين ، به شامة بين كتفيه سوداء صفراء ، فيها شعرات متواترات ، فتصدع القوم من مجالسهم وهم يتعجبون من حديثه . فلما صاروا في منازلهم ذكروا لأهاليهم فقيل لبعضهم : وُلد لعبد الله بن عبد المطلب الليلة غلام وسماه محمداً ، فالتقوا بعدُ من يومهم فأتوا اليهودي في منزله فقالوا : أعلمت ؟ إنه ولد فينا مولود ، قال :

---

(٢) اقترى الأمر : تتبعه . اللسان : « قرا » .

أبعد خبري أم قبله ؟ قالوا : قبله واسمه أحمد . قال : فاذهبوا بنا إليه ، فخرجوا معه حتى دخلوا على [١٤١ / ب] أمه فأخرجته إليهم فرأى الشامة في ظهره فغشي على اليهودي ثم أفاق فقالوا : ويلك مالك ؟ قال : ذهبت النبوة من بني إسرائيل ، وخرج الكتاب من أيديهم ، وهذا مكتوب بقتلهم وببيْر أحبارهم ، فازت العرب بالنبوة ، أفرحتم يا معشر قريش ؟ أما والله ليسطُون بكم سطوة يخرج نبأؤها من المشرق إلى المغرب .

وعن أبي هريرة قال :

أتى رسول الله ﷺ بيت المدراس فقال : أخرجوا إليّ أعْلمكم . فقالوا : عبد الله بن صوريا ، فخلا به رسول الله ﷺ فناشده بدينه وما أنعم الله به عليهم ، وأطعمهم من المن والسلوى ، وظللهم به من الغمام ، أتعلمني رسول الله ؟ قال : اللهم نعم ، وإن القوم ليعرفون ما أعرف ، وإن صفتك ونعتك لمبيّن في التوراة ، ولكنهم حسدوك . قال : فما يمنعك أنت ؟ قال : أكره خلاف قومي ، وعسى أن يتبعوك ويسلموا فأسلم .

وعن المِسْوَر بن مخْرمة قال :

كان عبد المطلب إذا ورد اليمن نزل على عظيم من عظماء حمير ، فنزل عليه مرة من المرات فوجد عنده رجلاً من أهل اليمن ، قد أُمهل له في العمر وقد قرأ الكتب فقال له : يا عبد المطلب ، تأذن لي أن أفتش مكاناً منك ؟ قال : ليس كلّ مكان مني أذن لك في تفتيشه . قال : إنما هو منخريك . قال : فدونك . قال : فنظر إلى نار ـ وهو الشعر في منخريه ـ فقال : أرى نبوة وأرى ملكاً وأرى أحدهما في بني زُهرة ، فرجع عبد المطلب فتزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وزوّج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فولدت محمداً ﷺ فجعل الله في بني عبد المطلب النبوة والخلافة . والله أعلم حيث وضع ذلك .

وعن العباس قال : قال لي أبي عبدُ المطلب :

قدمت اليمن في رحلة الشتاء فنزلت على حبر من اليهود فقال لي رجل من أهل اليهود : يا عبد المطلب ، أتأذن لي أن أنظر إلى بدنك بعيني ، فقلت : انظر ما لم تكن عورة . قال : ففتح أحد منخري فنظر فيه ، ثم نظر في الاخر [١٤٢ / أ] فقال : أشهد أن في إحدى يديك مُلكاً وفي الأخرى نبوة ، وإني أرى ذلك في بني زهرة فكيف ذلك ؟

فقلت : لا أدري . قال : هل لك من شاغة قال : فقلت : وما الشاغة ؟ قال : زوجة . قلت : أما اليوم ، فلا . قال : إذا قدمت فتزوج فيهم . ورجع عبد المطلب مكة فتزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف فولدت له حمزة وصفية ، وزَوّج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب فولدت رسول الله ﷺ ، فقالت قريش حين تزوج عبد الله آمنة : ولج عبد الله على أبيه .

حدث يحيى بن عروة عن أبيه

أن نفراً من قريش منهم ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه ، قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيداً كانوا يعظمونه ، وينحرون له الجُزُر ، ثم يأكلون ويشربون الخمر ويعكفون عليه ، فدخلوا عليه في الليل فرأوه مكبوباً على وجهه ، فأنكروا ذلك فأخذوه فردّوه إلى حاله ، فلم يلبث أن انقلب انقلاباً عنيفاً ، فأخذوه فردوه إلى حاله ، فانقلب الثالثة . فلما رأوا ذلك اغتموا له وأعظموا ذلك . فقال عثمان بن الحويرث : ما له قد أكثر التنكس ؟ إن هذا لأمر قد حدث . وذلك في الليلة التي ولد فيها سيدنا رسول الله ﷺ فجعل عثمان يقول : [من الطويل]

أيا صَنَمَ العيد الذي صفّ حولَه ... صناديدُ وفدٍ من بعيدٍ ومِن قربِ
تكوَّسْتَ[1] مغلوباً فما ذاكَ قُلْ لنا ... أذاكَ سفيهةٌ أم تكوست للعتَبِ ؟

فإن كان من ذنبٍ أتينا فإننا ... نَبوءُ بإقرارٍ ونلوي عن الذَّنْبِ
وإن كنتَ مغلوباً تكوّستَ صاغراً ... فما أنتَ في الأوثانِ بالسيِّدِ الربِّ

قال : فأخذوا الصنم فردوه على حاله ، فلما استوى هتف بهم هاتف من الصنم ، بصوت جهير وهو يقول : [من الطويل]

تردَّى لمولودٍ أنارتْ بنورِهِ ... جميعُ فجاجِ الأرضِ بالشرقِ والغربِ
[١٤٢/ب] وخرّت لهُ الأوثانُ طراً وأُرعِدَت ... قلوبُ ملوكِ الأرضِ طراً من الرعبِ
ونارُ جميعِ الفرسِ باخَتْ وأظلَمتْ ... وقد باتَ شاهُ الفرس في أعظمِ الكَرْبِ
وصدَّت عن الكهانِ بالعتب جِنُّها ... فلا مخبرٌ عنهُمْ بحقٍ ولا كِذْبِ

---

(١) تكوس : مطاوع كاس ومعناها انقلب . اللسان : « كوس » .

فيـــــا ل قُصَيٌّ ارجعـــوا عنْ ضــــلالِكم وهُبُّــــوا إلى الإســــلام والمنزِلِ الرَّحْبِ

فلما سمعوا ذلك خلصوا نجيّاً ، فقال بعضهم لبعض : تصادقوا وليَكْتُم بعضكم على بعض . فقالوا : أجل . فقال لهم ورقة بن نوفل : تعلمون والله ما قومكم على دين ولقد أخطؤوا المحجّة وتركوا دين إبراهيم ، ماحَجَر تطيفون به لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر ؟ ! يا قوم التمسوا لأنفسكم الدين . قال : فخرجوا عند ذلك يضربون في الأرض ويسألون عن الحنيفية دين إبراهيم ﷺ ، فأما ورقة فتنصر وقرأ الكتاب حتى علم علماً . وأما عثمان بن الحويرث فصار إلى قيصر فتنصر وحسنت منزلته عنده . وأما زيد بن عمرو بن نفيل فأراد الخروج فحبس ، ثم إنه خرج بعد ذلك فضرب في الأرض حتى بلغ الرقة من أرض الجزيرة فلقي بها راهباً عالماً فأخبره بالذي يطلب فقال له الراهب : إنك لتطلب ديناً ما تجد من يحملك عليه ، ولكن قد أظلّك زمانُ نبي يخرج من بلدك يبعث بدين الحنيفية . فلما قال له ذلك رجع يريد مكة ، فغارت عليه لخم فقتلوه . وأما عبيد الله بن جحش فأقام بمكة حتى بُعث النبي ﷺ ثم خرج مع من خرج إلى أرض الحبشة ، فلما صار بها تنصر وفارق الإسلام ، فكان بها حتى هلك هنالك نصرانياً .

قال عبد الله بن محمد بن عقيل :

أراد أبو طالب المسير إلى الشام فقال له النبي ﷺ : أيْ عم ، إلى من تخلفني ههنا فما لي أمٌّ تكفلني ولا أحد يؤويني قال : فرقّ له ثم أردفه خلفه ، فخرج به فنزلوا على صاحب دير . فقال صاحب الدير : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو بابنك ولا ينبغي أن يكون له أب حيّ . قال : ولم ؟ قال : لأن وجهه وجه نبي [١٤٣ / أ] وعينه عين نبي . قال : وما النبي ؟ قال : الذي يوحى إليه من السماء فينبئ به أهل الأرض . قال : اللهُ أجلّ مما تقول . قال : فاتق عليه اليهود . قال : ثم خرج حتى نزل براهب أيضاً صاحب دير فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما هو بابنك وما ينبغي أن يكون له أب حي . قال : ولم ذاك ؟ قال : إن وجهه وجه نبي وعينه عين نبي . قال : سبحان الله [اللهُ] أجلُّ مما تقول ، فقال : يا بن أخي ألا تسمع ما يقول ؟ قال : أي عم لا تنكر لله قدرة .

وعن شعيب بن شعيب عن أبيه عن جده قال :

كان بمرّ الظهران راهب من الرهبان يدعى عيصاً من أهل الشام ، وكان متخفّراً بالعاص بن وائل ، وكان الله قد آتاه علماً كثيراً وجعل فيه منافع كثيرة لأهل مكة من طبّ ورفق وعلم ، وكان يلزم صومعةً له ويدخل مكة في كل سنة فيلقى الناس ويقول : إنه يوشك أن يولد فيكم مولود يا أهل مكة ، يدين له العرب ويملك العجم ، هذا زمانه ، ومن أدركه واتبعه أصاب حاجته ، ومن أدركه وخالفه أخطأ حاجته ، وتالله ما تركت أرض الخمر والخمير والأمن ولا حللت أرض البؤس والجوع والخوف إلا في طلبه ، فكان لا يولد بمكة مولود إلا يُسأل عنه فيقول : ما جاء بعد ، فيقال : فصفه ، فيقول : لا ويكتم ذلك ، للذي قد علم أنه لاقٍ من قومه مخافةً على نفسه أن يكون ذلك داعية إلى أدنى ما يُفضي إليه من الأذى يوماً . فلما كان صبيحة اليوم الذي وُلد فيه رسول الله ﷺ خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصاً فوقف في أصل صومعته ، ثم نادى يا عيصُ فناداه : من هذا ؟ فقال : أنا عبد الله فأشرف عليه فقال : كن أباه[1] فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدّثكم عنه يوم الاثنين ، ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين . قال : فإنه قد ولد لي مع الصبح مولود . قال : فما سميته ؟ قال : محمداً . فقال : والله لقد كنت أشتهي أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال بها نعرفه ، فقد أتى عليهن منها [١٤٣ / ب] إن نجمه طلع البارحة ، وإنّه يولد اليوم ، وإنّ اسمه محمد . انطلق إليه فإنّه الذي كنت أحدّثكم عنه ابنك . قال : فما يدريك أنّه ابني ، ولعله أن يولد يومنا مولودون عدة ؟ قال : قد وافق ابنك الاسم ، ولم يكن الله عزّ وجلّ ليشتبه على العلماء لأنه حجة ، وآية ذلك أنه الآن وجع فيشتكي أياماً ثلاثة يظهر به الوجع ثلاثاً ثم يعافى . فاحفظ لسانك ، فإنّه لم يُحْسَد حَسَدَه أحدٌ قط ، ولم يُبْغ على أحدٍ كما يُبْغى عليه . وإن تعشْ حتى تبدوَ معالمه ثم يدعو ، ثم يظهر لك من قومك ما لا تحتمله إلا على صبرٍ على ذلك ، فاحفظ لسانك ، ودارِ عنه . قال : فما عمُرُه ؟ قال : إنْ طال عمره أو قصر لم يبلغ السبعين يموتُ في وترٍ ، دونها من السنين في إحدى وستين أو ثلاث وستين . الستون أعمارُ جُلّ أمّته .

---

(١) في الأصل (كن أبوه) وفوقها ضبة إشارة إلى الخطأ . والصواب ماأثبتناه .

وعن عبد الله بن عباس قال :

قدم الجارود بن عبد الله ، وكان سيداً في قومه ، مطاعاً ، عظيماً في عشيرته ، مطاعَ الأمر ، رفيعَ القدر ، عظيمَ الخطر ، ظاهرَ الأدب ، شامخَ الحسب ، بديعَ الجمال ، حسنَ الفعال ، ذا منعةٍ ومالٍ في وفد عبد القيس من ذوي الأخطار والأقدار والفضل والإحسان والفصاحة والبرهان . كُل رجل منهم كالنخلة السحوق[1] على ناقة كالفحل العتيق قد جَنَبوا[2] الجياد وأعدوا للجلاد مجدّين في مسيرهم حازمين في أمرهم يسيرون ذميلاً[3]، ويقطعون ميلاً فميلاً ، حتى أناخوا عند مسجد النبي ﷺ فأقبل الجارود على قومه ، والمشايخ من بني عمه ، فقال : يا قوم ، هذا محمد الأغرّ سيّد العرب ، وخير ولد عبد المطلب ، فإذا دخلتم عليه ، ووقفتم بين يديه ، فأحسنوا عليه السلام ، وأقلّوا عنده الكلام ، فقالوا بأجمعهم : أيها الملك الهمام والأسد الضرغام[4] لن نتكلّم إذا حضرتَ ، ولن نجاوز إذا أمرتَ ، فقل ما شئت فإنا سامعون ، واعمل ما شئت فإنا تابعون . فنظر الجارود في كل كميّ صنديد قد [١٤٤ / أ] دوموا[5] العمائم ، وتردّوا بالصوارم[6]، يجرّون أسيافهم ويسحبون أذيالهم ، يتناشدون الأشعار ، ويتذاكرون مناقب الأخيار ، لا يتكلمون طويلاً ، ولا يسكتون عيّاً . إن أمرهم ائتمروا ، وإن زجرهم ازدجروا ، كأنهم أسدُ غيلٍ[7] يقدمها ذو لبدة[8] مهول ، حتى مثلوا بين يدي النبي ﷺ ، فلما دخل القوم المسجد وأبصرهم أهل المسجد دلف[9] الجارود أمام النبي ﷺ ، وحسر أمامه ، وأحسن سلامه ثم أنشأ يقول :

[من الخفيف]

يا نبيَّ الهدى أتَتْكَ رجالٌ قطعتْ فدْفداً وآلاً فآلا

---

(١) في هامش الأصل : « السحوق : الطويلة ، والعتيق : الفحل من الإبل » .

(٢) جنَبه جنباً : قاده إلى جنبه ومنه خيل جنائب . القاموس : « جنب » .

(٣) في هامش الأصل : « الذميل ضرب من السير أعلى من العنق » .

(٤) في هامش الأصل : « الضرغام من أسماء الأسد » .

(٥) في هامش الأصل : « دوموا من تدوير العمامة » .

(٦) في هامش الأصل : « جعلوا الصوارم أردية » .

(٧) في هامش الأصل : « الغيل : الشجر الملتف » .

(٨) في هامش الأصل : « ذو لبدة : تكاثف وبره على منكبيه » .

(٩) في هامش الأصل : « دلف : مشى بسرعة مع تقارب الخطا » .

وطوت نحوك الصحاصِحَ طَرّاً | لا تخال الكَلال فيك كَلالا
كلّ دهماءَ يقصرُ الطَّرفُ عنها | أرقلَتْها قلانصاً إرقالا
وطوتْها الجيادُ تجمحُ فيها | بكماةٍ كأنجمٍ تتلالا
تبتغي دفعَ بأسِ يومٍ عَبوسٍ | أوْجلَ القلبَ ذكرُه ثم هالا

فلما سمع رسول الله ﷺ فرح فرحاً شديداً ، وقرّبه وأدناه ، ورفع مجلسه ، وحباه وأكرمه ، وقال : يا جارود ، لقد تأخر بك وبقومك الموعد ، وطال بكم الأمد ، قال : والله يا رسول الله لقد أخطأ من أخطأك قصده وعدم رشده ، وتلك وايم الله أكبر خيبة ، وأعظم حوبة(١) ، والرائد لا يكذب أهله ولا يغش نفسه . لقد جئتَ بالحق ، ونطقتَ بالصدق والذي بعثك بالحقّ نبياً واختارك للمؤمنين ولياً ، لقد وجدتُ وصفَك في الإنجيل . ولقد بَشّرَ بك ابنُ البتول وطوّل التحية لك والشكر لمن أكرمك وأرسلك لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين . مُدَّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله . قال : فآمن الجارود وآمن من قومه كلُّ سيدٍ ، فسُرَّ النبي ﷺ سروراً ، وابتهج حبوراً وقال : يا جارود ، هل في جماعة [١٤٤ / ب] وفد عبد القيس من يعرف لنا قُساً ؟ قال : كلنا نعرفه يا رسول الله . وأنا من بين قومي كنت أقفو أثره وأطلب خبره . كان قس سبطاً(٢) من أسباط العرب صحيح النسب ، فصيحاً إذا خطب ، ذا شيبةٍ حسنةٍ ، عُمِّر سبع مئة سنة ، يتقفّر القِفار ، لا تكنّه دار ، ولا يقره قرار يتحسّى في تقفُّره بيض النعام(٣) ويأنس بالوحش والهوام ، يلبس المسوح ، ويبيع السياج على منهاج المسيح لا يفتر من الرهبانية ، مقر لله بالوحدانية ، تُضرب بحكمته الأمثال ، وتكشف به الأهوال ، وتتبعه الأبدال ، أدرك رأس الحواريين شمعان . فهو أول من تألّه(٤) من العرب ، وأعْبَد من تعبد في الحِقب ، وأيقن بالبعث والحساب ، وحذّر سوء المنقلب والمآب ، ووعظ بذكر الموت ، وأمر بالعَمل قبل الفوت ، الحسن الألفاظ الخاطب بسوق عكاظ العالم بشرق وغرب ، ويابس ورطب ،

---

(١) في هامش الأصل : « الحَوبَة : الإثم » .

(٢) في هامش الأصل : « السبط لأمه »

(٣) في هامش الأصل : « كانوا يدفنون الماء في بيض النعام في الأرض التي لا ماء فيها ، فإذا احتيج إلى الماء استخرج بيض النعام وحسي ما فيه » .

(٤) في هامش الأصل : « تأله : تعبّد » .

وأجاج وعذب ، كأني أنظر إليه ، والعرب بين يديه ، يقسم بالربّ الذي هو له ليبلّغن الكتاب أجله ، وليوفيَن كلٌّ عامل عمله . ثم أنشأ يقول : [من الخفيف]

هاج للقلبِ من جواه ادّكارُ ... وليالٍ خلالهن نهارُ
ونجومٌ يحثّها قمرُ الليـ ... ـلِ وشمسٌ في كلّ يومٍ تدارُ
ضوؤها يطمسُ العيونَ وإرعا ... دٌ شديدٌ في الخافقين مطارُ
وغلامٌ وأشمطٌ ورضيعٌ ... كلُّهم في التراب يوماً يزارُ
وقصورٌ مَشيدةٌ حوَتِ الخيـ ... ـرَ وأخرى خلَتْ فهي قفارُ
وكثيرٌ ممّا تقصّرُ عنهُ ... جوسةُ الناظرِ الذي لا يحارُ[1]
والذي قدْ ذكرتُ دلَّ على اللـ ... ـهِ نفوساً لها هدًى واعتبارُ

فقال النبي ﷺ : على رسلك يا جارود ، فلست أنساه بسوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام مونق ما أظنّ أني أحفظه فهل [١٤٥ / أ] فيكم يا معشر المهاجرين والأنصار من يحفظ لنا منه شيئاً ؟ فوثب أبو بكر الصديق رضي الله عنه قائماً فقال : يا رسول الله ، إني أحفظه ، وكنت حاضراً ذلك اليوم بسوق عكاظ حين خطب فأطنب ، ورغّب ورهّب وحذّر وأنذر ، وقال في خطبته :

أيها الناس ، اسمعوا وعوا ، وإذا وعيتم فانتفعوا . إنه من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، جميعٌ وأشتات ، وأنات بعد أنات ، إن في السماء لخبرا ، وإن في الأرض لَعبرا ، ليلٌ داج ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات رتاج ، وبحار ذات أمواج ، ما لي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضَوا بالمقامِ فأقاموا أم تُركوا هناك فناموا ، أقسم قُسٌ قسماً حقاً لا حانثاً فيه ولا آثماً إن لله ديناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه ، ونبياً قد حان حينه ، وأظلكم أوانُه ، وأدرككم إبّانُه ، فطوبى لمن آمن به فهداه ، وويل لمن خالفه وعصاه .

ثم قال : تباً لأرباب الغفلة من الأمم الخالية والقرون الماضية ، يا معشر إياد ، أين الآباء والأجداد ، وأين المريض والعُوّاد ، وأين الفراعنة الشداد ، أين من بنى وشيّد ،

---

(١) في هامش الأصل : « يحار : يرجع » .

وزخرف ونجد ، وغرّه المال والولد ، أين من بغى وطغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الأعلى ، ألم يكونوا أكثر منكم أموالا ، وأبعد منكم آمالا ، وأطول منكم آجالا ، طحنهم الثرى بكلكله ، ومزّقهم بتطاوله ، فتلك عظامهم بالية ، وبيوتهم خاوية ، عمرتها الذئاب العاوية ، كلا بل هو الله الواحد المعبود ، ليس بوالد ولا مولود ، ثم أنشأ يقول : [من مجزوء الكامل]

في الـذاهبين الأولـيـ	ـنَ من القرونِ لنـا بصـائرْ
لمّـا رأيتُ مـوارِداً	للموتِ ليسَ لها مصـادِرْ
ورأيتُ قـومي نحـوَهـا	تمضي الأصـاغِرُ والأكابِرْ
لا يرجِـعُ المـاضي إليّ	ولا من البـاقينَ غـابرِ
[١٤٥/ب] أيقنت أني لا محـا	لَة حيثُ صارَ القـومُ صائرْ

قال : ثم جلس . فقام رجل من الأنصار بعده كأنه قطعة جبل ، ذو هامة عظيمة وقامة جسيمة ، قد دوّم عمامته وأرخى ذؤابته ، منيف[١] أنوق ، أشدق ، حسن الصوت ، فقال : يا سيد المرسلين ، وصفوة ربّ العالمين ، لقد رأيتُ من قُسّ عجباً ، وشهدت منه مرغباً ، فقال : وما الذي رأيته منه وحفظته عنه ؟ . فقال : خرجت في الجاهلية أطلب بعيراً لي شرد مني أقفو أثره ، وأطلب خبره في تنائف ذات دعادع وزعازع ليس للركب فيها مقيل ، ولا لغير الجن سبيل ، وإذا بموئل[٢] مهول في طود عظيم ، ليس به إلا البوم ، وأدركني الليل فولجته مذعوراً لا آمن فيه حتفي ، ولا أركن لغير سيفي . فبتّ بليلٍ طويل كأنه بليلٍ موصول ، أرقب الكوكب ، وأرمق الغيهب ، حتى إذا عسعس الليل ، وكاد الصبح أن يتنفس هتف بي هاتف يقول : [من الرجز]

يـا أيهـا الراقـدُ في الليـل الأحمّ	قـدْ بعثَ اللهُ نبيّـاً في الحَرمْ
من هـاشمٍ أهـل الـوفـاء والكرمْ	يجلو دُجُنّات الديـاجي والبُهَمْ

قال : فأدرت طرفي فما رأيت له شخصاً ، ولا سمعت له فحصاً ، وأنشأت أقول :

---

(١) في هامش الأصل : « منيف : مشرف لطوله . وأشدق : واسع الشدقين » .

(٢) في هامش الأصل : « الموئل : المكان الذي يلجأ إليه » .

يـا أيها الهـاتفُ في داجِي الظُلَمْ أهـلاً وسهـلاً بـكَ مِن طيفٍ أَلَمّ
بيّنْ هـــداك الله في لَحنِ الكَلِمْ مـاذا الـذي تـدعـو إليـهِ يغتَنِمْ ؟

قـال : فـإذا أنـا بنحنحـة وقـائل يقول : ظهر النور ، وبطل الـزور ، وبعث الله عـزّ وجـلّ محمـداً ﷺ بـالحبـور ، صـاحب النجيب الأحمر ، والتـاج والمغفر ، والـوجـه الأزهر ، والحـاجب الأقمر والطرف الأحـور ، صـاحب قـول شهـادة أن لا إلـه إلا الله ، فـذلـك محمـد المبعوث إلى الأسود والأبيض أهل المدر والوبر ، ثم أنشأ يقول : [مجزوء الرجز]

[١٤٦ / أ] الحمـدُ للهِ الـــذي لم يخلـــقِ الخلـــقَ عبثْ
لم يخلنـــا [أبـــداً] ســـدًى مِن بعـــدِ عيسى واكترثْ[١]
أرســـلَ فينـــا أحمـــداً خيرَ نبيٍّ قـــــد بعثْ
صلّى عليــــهِ اللهُ مـــا حـــجّ لـــهُ ركبٌ وحثّ

قـال : فـذهلت عن البعير ، واكتنفني السرور ، ولاح الصباح ، واتسع الإيضـاح ، فتركت المَوْر[٢]، وأخـذت الجبل ، فـإذا أنـا بـالغسق يشقشق إلى النوق ، فملكت خطـامـه ، وعلوت سنامه ، فمرج طاعة ، وهززته ساعة ، حتى إذا لغب ، وذل منه مـا صعب ، وحميت الوسادة ، وبردت المزادة ، وإذا الزاد قد هشّ له الفؤاد ، بركتـه فبرك ، وأذنت لـه فترك في روضـة خَضِرة نَضرة عطِرة ذات حَوْذان[٣] وقُرْيـان وعبقران وعَبَيْثران ونعنـع وشيـح وحَلِيّ وأقاح وجَثْجاث وبرار وشقائق وبَهار ، كأنما قد بات الجو بها مطيرا ، أو باكرها المزن بكورا فحلالها شجر ، وقرارها نهر فجعل يرتع أبًا وأصيـد ضبًـا ، حتى إذا أكلت وأكل ، ونهلت ونهل وعَلَلْتُ وعلّ حللت عقاله ، وعلوت جِلاله وأوسعت مجاله ، فاغتنم الجملـة ومرّ كالنبلـة يسبق الريح ، ويقطع عرض الفسيح ، حتى أشرف بي على واد ، وشجر من شجر عاد مورقة مونقة

---

(١) في هامش الأصل : « اكترث : كانت له بنا عناية واهتمام » .

(٢) في هامش الأصل : « المور : الطريق السهل المُسْتَوي » .

(٣) حَوْذان : نبت له ورق وقصب ونَور أبيض . وقُرْيـان ج قرِيّ : مجرى المـاء في الروض . والعَبَيْثران : نبت طيب الرائحة من نبات البادية . والشيح : نبات له رائحة طيبة وطعم مُرّ . والحَلِيّ : نبات بعينه . والجثجاث : شجر أصفر مُرّ ، طيب الريح . والبَهار : نبت طيب الريح . اللسان

قد تهدلت أغصانها كأنما بريرها حب فلفل ، فدنوت فإذا أنا بقس بن ساعدة في ظل شجرة بيده قضيب من أراك ينكت به الأرض وهو يترنم بشعر ويقول : [من البسيط]

يا ناعيَ الموتِ والملحودُ في جدثٍ عليهمُ مِن بقايا بَزِّهم خِرَقُ
دَعْهم فإنّ لَهم يوماً يُصاحُ بهم فهم إذا انتبهُوا مِن بعضِهم فَرِقُوا
حتّى يعودُوا لحالٍ غيرِ حالِهمُ خَلْقاً جديداً كما مِن قبلِه خُلقوا
منهُمْ عراةٌ ومنهُم في ثيابِهمُ منها الجديدُ ومنها المَنهَجُ[1] الخَلَقُ

[١٤٦ / ب] قال : فدنوت منه فسلمت عليه فردّ علي السلام ، وإذا أنا بعين خرّارة في أرض خوّارة ، ومسجد بين قبرين ، وأسدين عظيمين يلوذان به ، ويتمسحان بأثوابه ، فإذا أحدهما سبق الآخر إلى الماء فتبعه الآخر يطلب الماء فضربه بالقضيب الذي في يده وقال : ارجع ثكلتك أمك حتى يشرب الذي ورد قبلك ، فرجع ثم ورد بعده فقلت له : ما هذان القبران ؟ فقال : هذان قبرا أخوين لي كانا يعبدان الله عزّ وجلّ معي في هذا الحال لا يشركان بالله عزّ وجلّ شيئاً فأدركهما الموت فقبرتُهما ، وها أنا بين قبريهما حتى ألحق بهما ، ثم نظر إليهما فتغرغرت عيناه بالدموع ، فانكب عليهما وجعل يقول : [من الطويل]

خليليّ هبّا طالما قد رقدتُما أجدَّكما لا تقضيانِ كَراكُما
ألم تريا أني بسمعانَ مفردٌ وما ليَ فيها مِن خليلٍ سواكما
مقيمٌ على قبريكما لستُ بارحاً طوالَ الليالي أو يجيبَ صداكما
أبكيكُما طولَ الحياة وما الذي يردّ على ذي عولةٍ إن بكاكما
فإنكما والموتُ أقربُ غائبٍ بروحي في قبريكما قد أتاكما
أمن طول نومٍ لا تحسّان داعياً كأنّ الذي يَسقي العقارَ سقاكما
فلو جُعلتْ نفسٌ لنفسٍ وقايةً لجُدتُ بنفسي أن تكونَ فِداكما

فقال رسول الله ﷺ : رحم الله قساً ، إني أرجو أن يبعثه الله عزّ وجلّ أمة وحده .

ولما ظهر سَيْف بن ذي يزن على الحبشة وذلك بعد مولد رسول الله ﷺ بسنتين أتته

---

(١) في هامش الأصل : « المنهج : البالي » .

وفود العرب وأمراؤها وشعراؤها تهنّئه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه ، وأتاه وفد قريش ، منهم عبد المطلب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وعبد الله بن جدعان وأسد بن عبد العزّى ووهب بن عبد مناف وقصي بن عبد الدار [١٤٧ / أ] فدخل عليه آذنه وهو في رأس قصر يقال له غمدان ، وهو الذي يقول فيه أمية بن أبي الصلت الثقفي[١] : [من البسيط]

اشربْ هنيئاً عليكَ التاجُ مرتفقاً	في رأس غَمدانَ دارٌ منكَ محلالا
واشربْ هنيئاً فقد شالَت نعامتُهم	وأسْبلِ اليومَ في بُرْدَيْك إسبالا
تلكَ المكارمُ لا قَعبانِ من لبنٍ	شِيبا بماءٍ فعادا بَعْدُ أبوالا

قال : والملك متضمخ بالعبير يلصِف[٢] وبيص المسك في مفرق رأسه ، وعليه بردان أخضران مرتدياً بأحدهما متزراً بالآخر ، سيفه بين يديه وعن يمينه وشماله الملوك والمَقاول[٣]، فأخبر بمكانهم ، فأذن لهم ، فدخلوا عليه ، ودنا منه عبد المطلب ، فاستأذنه في الكلام ، فقال : إن كنتَ ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنّا لك . فقال : إنّ الله عزّ وجلّ أحلّك أيها الملك محلاً رفيعاً شاخاً باذخاً وأنبتك نباتاً ، طابت أرومته ، وعظمت جرثومته ، وثبت أصله ، وبسق فرعه ، في أطيب موضع ، وأكرم معدن . وأنت ـ أبيت اللعن ـ ملكُ العرب الذي له ينقاد ، وعمودها الذي عليه العماد ، ومعقلها الذي يَلجأ إليه العباد ، سلفك خير سلف ، وأنت لنا منهم خير خلف ، فلن يهلك ذِكر من أنت خلَفه ، ولن يخمل ذِكر من أنت سلَفه . نحن أهل حرم الله تعالى وسدنة بيته ، أشخصَنا إليك الذي أبهجنا من كشفك الكرب الذي فدحنا ، فنحن وفد التهنئة لا وفد المَرْزِئة .

قال له الملك : من أنت أيها المتكلم ؟ قال : أنا عبد المطلب بن هاشم ، قال ابن أختنا ؟ قال : نعم . قال : ادنه ثم أقبل عليه وعلى القوم فقال : مرحباً وأهلاً ، وأرسلها

---

(١) الأبيات آخر قصيدة مؤلفة من أحد عشر بيتاً في سيرة ابن هشام ١ / ٦٩ والبيتان ١ و ٢ مع ثالث من القصيدة في معجم البلدان « غمدان » .

(٢) لصف يلصِف : برق وتلألأ ، ومثله وبص وبيصاً . اللسان : « وبص ، لصف » .

(٣) المَقاوِل ج مِقوَل ـ كمنبر ـ وهو الملك كقيل . القاموس : « قول » .

مثلاً . وكان أول من تكلم بها ، وناقة ورحلاً ومستناخاً سهلاً وملكاً رِبَحْلا[1] يعطي عطاء جزلاً . قد سمع الملك مقالتكم وعرف قرابتكم [١٤٧ / ب] وقبل وسيلتكم ، فإنكم أهل الليل والنهار ، ولكم الكرامة ما أقمتم ، والحيا إذا ظعنتم ، ثم أُنهضوا إلى دار الضيافة والوفود ، وأجرى عليهم الأنزال[2] ، فأقاموا بذلك شهراً لا يصلون إليه ، ولا يؤذن لهم في الانصراف ، ثم انتبه إليهم انتباهة ، وأرسل إلى عبد المطلب فأدناه ، ثم قال له : يا عبد المطلب ، إنيّ مفضٍ إليك من سرّ علمي أمراً لو غيرك يكون لم أبح لديه ، ولكن رأيتك معدنه فأطلعتك طلعة فليكن عندك مخبّأ حتى يأذن الله فيه :

إني أجد في الكتاب المكنون ، والعلم المخزون الذي ادّخرناه لأنفسنا ، واحتجناه دون غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جسيماً ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاة ، للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة ، فقال له عبد المطلب : مثلك أيها الملك سرّ وبرّ ، فما هو فداك أهل الوبر ، زمراً بعد زمر ؟ قال : إذا ولد بتهامة ، غلام بين يديه شامة ، كانت له الإمامة ، ولكم به الزعامة ، إلى يوم القيامة .

قال عبد المطلب : أيها الملك ، لقد أُبتُ بخيرٍ ما آب بمثله وافد قوم ، ولولا هيبة الملك وإجلاله وإعظامه لسألته من سارّه إياي ما ازداد به سرورا .

قال له الملك : هذا حينه الذي يولد فيه ، أو قد ولد ، اسمه محمد ، يموت أبوه وأمه ويكفله جده وعمه ، قد ولدناه مراراً ، والله باعثه جهاراً ، وجاعل له منا أنصاراً ، يعزّ بهم أولياؤه ، ويذلّ بهم أعداؤه ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، ويستبيح بهم كرائم الأرض ، يعبد الرحمن ، ويدحر الشيطان ، وتخمد النيران ، ويكسر الأوثان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، ويأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله .

قال له عبد المطلب : عزّ جدك ، ودام ملكك ، وعلا كعبك ، فهل الملك [١٤٨ / أ] سارّيّ بإفصاح ، فقد وضح لي بعض الإيضاح .

---

(١) الرِّبَحْلُ : العظيم الشأن من الناس . القاموس : « ربحل » .

(٢) الأنزال : ج نُزُل وهو المنزل وما هيّئ للضيف أن ينزل عليه والطعام والعطاء .

قال له سيف بن ذي يزن : والبيت ذي الحُجُب ، والعلامات على النُصُب ، إنك لجدُّه يا عبدَ المطلب غيرَ كذب .

قال : فخرّ عبد المطلب ساجداً .

فقال له ابن ذي يزن : ارفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا كعبك ، فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك ؟

قال : نعم أيها الملك ، إنه كان لي ابن ، وكنت به معجباً ، وعليه رفيقاً ، وإني زوّجته كريمة من كرائم قومي آمنةَ بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فجاءت بغلام فسميته محمداً ، مات أبوه وأمه ، وكفلته أنا وعمه .

فقال له ابن ذي يزن : إنّ الذي قلت لك كما قلت ، فاحتفظ من ابنك ، واحذر عليه اليهود ، فإنهم له أعداء ، ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا ، واطو ما ذكرت لك دون هؤلاء الرهط الذين معك ، فإني لست آمن أن تتداخلهم النُّفاسة من أن يكون لكم الرئاسة ، فينصبون له الحبائل ، ويبغون له الغوائل ، وهم فاعلون ذلك ، أو أبناء عمهم غير شك ، ولولا أني أعلم أن الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيل ورجْلٍ حتى أصير بيثرب دار ملكي ، فإني أجد في الكتاب الناطق والعلم السابق أن بيثرب استحكام أمره ، وأهل نصرته ، وموضع قبره ، ولولا أني أقيه الآفات ، وأحذر عليه العاهات لأعلنت على حداثة سنه أمره ، ولأوطأتُ على أسنان العرب كعبه ، ولكني سأصرف ذلك إليك عن غير تقصير بمن معك ، ثم دعا بالقوم فأمر لكل رجل منهم بعشرة أعبد سود وعشر إماء سود ومئة من الإبل وكَرِش[1] مملوء عنبراً ، وأمر لعبد المطلب بعشرة أضعاف ذلك . وقال : إذا حال الحول فأتني بخبره وما يكون من أمره .

قال : فمات سيف [١٤٨ / ب] بن ذي يزن قبل أن يحول عليه الحول .

---

(١) الكرش : وعاء الطيب . اللسان : « كرش » .

قال : وكان كثيراً مما يقول عبد المطلب : يا معشر قريش ، لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك ، وإن كثر ، فإلى نفاد ، ولكن يغبطني بما يبقى لي ولعقبي ذكره وفخره . فإذا قيل : وما هو ؟ قال : سيعلم ما أقول ولو بعد حين .

وعن مرداس بن قيس الدّوْسي قال :

حضرت النبي ﷺ ، وقد ذكرت عنده الكهانة ، وما كان من تغييرها عند مخرجه فقلت : يا رسول الله ، قد كان عندنا من ذلك شيء ، أخبرك أن جارية منا يقال لها خلصة لم نعلم عليها إلا خيراً ، إذ جاءتنا فقالت : يا معشر دوس ، العجب ، العجب لما أصابني ، هل علمتم إلا خيراً ؟ قلنا : وما ذاك ؟ قالت : إني لفي غنمي إذ غشيتني ظلمة ، ووجدت كحسّ الرجل مع المرأة ، وخشيت أن أكون قد حبلت . حتى إذا دنت ولادتها وضعت غلاماً أغضف[1] له أذنان كأذني الكلب ، فمكث فينا ، حتى إنه ليلعب مع الغلمان إذ وثب وثبة وألقى أزراره وصاح بأعلى صوته ، وجعل يقول : يا ويله ، يا ويله ، يا غوله ، يا غوله ، يا ويل غنْم ، يا ويل فهْم ، من قابس النار ، الخيل والله وراء العقبة ، فيهن فتيان حسان نجبة . قال : فركبنا وأخذنا الأداة ، وقلنا : ويلك ما ترى ؟ قال : هل من جارية طامث ؟ قلنا : من لنا بها ؟ فقال شيخ منا : هي والله عندي عفيفة الأم . فقلنا : فعجلها ، فأتى بالجارية ، وطلع الجبل ، وقال للجارية : اطرحي ثوبك ، واخرجي في وجوههم وقال للقوم : اتبعوا أثرها ، ثم صاح برجل منا يقال له أحمر بن حابس فقال : يا أحمر بن حابس ، عليك أول فارس ، فحمل أحمر فطعن أول فارس ، فصرعه وانهزموا ، وغنمناهم . قالوا : فابتنينا عليه بيتاً ، وسميناه ذا الخلصة ، وكان لا يقول لنا شيئاً إلا كان كما يقول حتى إذا كان مبعثك يا رسول الله قال لنا يوماً : يا معشر قريش ، نزلت بنو الحارث بن كعب فاركبوا فركبنا فقال لنا [١٤٩ / أ] اكدسوا الخيل كدساً ، واحشوا القوم رمساً ، ألقوهم غُديّة ، واشربوا الخمر عشيّة ، قال : فلقيناهم فهزمونا وفضحونا ، فرجعنا إليه فقلنا : ما حالك وما الذي صنعت بنا ؟ ! فنظرنا إليه ، وقد احمرّت عيناه ، وانتصبت[2]

---

(١) الأغضف : ذو الأذنين المسترخيتين .

(٢) في الأصل : « وانتصب » وفوقها ضبة . إشارة إلى الخطأ . والصواب ما أثبتنا .

أذناه ؟ ! وأبزم[1] غضباً حتى كاد أن ينفطر ونام ، فركبنا واغتفرنا هذه له .

ومكثنا بعد ذلك حيناً ثم دعانا فقال : هل لكم في غزوة تهب لكم عزّاً ، وتحصّل لكم حرزاً ، وتكون في أيديكم كنزاً ، قلنا : ما أحوجنا إلى ذلك . فقال : فاركبوا فركبنا ، وقلنا : ما تقول ؟ قال : بنو الحارث بن مسلمة ، ثم قال : قفوا فوقفنا ، ثم قال : عليكم بفهم ، ثم قال : ليس لكم فيهم دم ، عليكم بمضر ، هم أرباب خيل ونعم ، ثم قال : لا ، رهط دريد بن الصمة قليل العدد ، وفيّ الذمة ، ثم قال : لا ، ولكن عليكم بكعب بن ربيعة ، واشكروها صنيعة عامر بن صعصعة ، فلتكن بهم الوقيعة ، قال : فلقيناهم فهزمونا وفضحونا فرجعنا وقلنا : ويلك ماذا تصنع بنا ؟ ! قال : ما أدري كذبني الذي كان يصدقني ، اسجنوني في بيتي ثلاثاً ، ثم ائتوني ، ففعلنا به ذلك ثم أتيناه بعد ثالثة ، ففتحنا عنه ، فإذا هو كأنه جمرة نار ، فقال : يا معشر دوس ، حُرست السماء ، وخرج خير الأنبياء ، قلنا : أين ؟ قال : بمكة ، وأنا متّ ، فادفنوني في رأس جبل ، فإني سوف أضطرم ناراً ، وإن تركتموني كنت عليكم عاراً ، وإذا رأيتم اضطرامي وتلهبي فاقذفوني بثلاثة أحجار ، ثم قولوا مع كل حجر : باسمك اللهم ، فإني أهدأ وأطفأ . قال : وإنه مات واشتعل ناراً ، ففعلنا به ما أمر ، وقذفناه بثلاثة أحجار ، نقول مع كل حجر : باسمك اللهم ، فخمد وطُفئ ، وأقمنا حتى قدم علينا الحاج ، فأخبرونا بمبعثك يا رسول الله .

وعن ابن عباس

أن قريشاً أتوا امرأة كاهنة فقالوا لها : أخبرينا يا شهنا بصاحب المقام ، يعنون إبراهيم ، فقالت : إن أنتم جزرتم كبشاً على هذه السهلة ، ثم مشيتم عليها ، أنبأتكم . قال فجزروا ثم مشى الناس عليها ، فأبصرتْ أثر محمد [١٤٩ / ب] ﷺ فقالت : هذا أقربكم إليه شبهاً ، فمكثوا بعد ذلك عشرين سنة أو ما شاء الله ، ثم بعث الله محمداً ﷺ

حدث رجال من خثعم ، قال : كانوا يقولون :

إنّ مما دعانا إلى الإسلام أنّا كنا قوماً نعبد الأوثان ، فبينا نحن ذات يوم عند وثن لنا

(١) في اللسان : بزم عليه يبزم أي عضّ بمقدم أسنانه .

إذ أقبل نفر يتقاضَوْن إليه ، يرجُون الفرج من عنده لشيء شجرَ بينهم إذ هتف هاتف من الصنم فجعل يقول : [من الرجز]

يا أيُّها الناسُ ذوو الأجسام ... مِن بينِ أشياخٍ إلى غلام
ما أنتمُ وطائش الأحلامِ ... ومسنِد الحكمِ إلى الأصنام
أكلّكم في حَيرة المنام ... أم لا ترَوْنَ ما أرى أمامي
مِن ساطعٍ يجلو دُجى الظلام ... قدْ لاحَ للناظر من تهام
ذاك نبيّ سيّد الأنام ... قد جاءَ بعدَ الكفرِ بالإسلامِ
أكرمهُ الرحمنُ من إمام ... ومن رسولٍ صادقِ الكلام
أعدل ذي حكمٍ مِنَ الحكام ... يأمُرُ بالصلاة والصيام
والبّر والصلات للأرحام ... ويزجُرُ الناسَ عن الآثام
والرّجس والأوثان والحرام ... مِن هاشمٍ في ذروةِ السنامِ
مستعلياً في البلدِ الحرام

قال : فلما سمعنا ذلك تفرقنا عنه ، وأتينا النبي ﷺ فأسلمنا .

وعن طلحة قال :

وجد في البيت كتاب في حجر منقور في الهدمة الأولى فدعي رجلٌ فقرأه فإذا فيه :

عبدي المنتخب المتمكن المنذر المختار ، مولده بمكة ، ومهاجره طيبة ، لا يذهب حتى يقيم السُّنة العوجاء ، ويشهد أن لا إله إلا الله ، أمته الحمادون يحمدون الله عزّ وجلّ بكل أكمة ، يأتزرون على أوساطهم ، ويظهرون أطرافهم .

لما حضرت الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن [١٥٠ / أ] عامر الوفاةُ اجتمع إليه قومه من غسان فقالوا : إنه قد حضر من أمر الله ما ترى ، وقد كنا نأمرك بالتزويج في شبابك فتأبى ، وهذا أخوك الخزرج له خمسة بنين ، وليس لك ولد غير مالك ، فقال : لن يهلك هالك ، ترك مثل مالك ، إن الذي يخرج النار من الوثيمة[1] قادر أن يجعل لمالك نسلا

---

(١) الوثيمة : الحجر . اللسان : « وثم » .

ورجالاً بُسْلا ، وكلٌّ إلى موت . ثم أقبل على مالك فقال : أي بني ، المنيّة ولا الدنية ، العقاب ولا العتاب ، التجلد ولا التلذذ ، القبر خير من الفقر ، إنه من قلّ ذلّ ، ومن كرم الكريم الدفعُ عن الحريم ، والدهر يومان : فيوم لك ويوم عليك ، فإذا كان لك فلا تبطر ، وإذا كان عليك فاصطبر ، وكلاهما سينحسر ، ليس ينفلت منها الملك المتوج ولا اللئيم المُعَلْهَج[1] ، سلّم ليومك حيال ربك ، ثم أنشأ يقول : [من الطويل]

شهدتُ السبايا يومَ آل محرّقٍ ... وأدرك عمري صيحةَ الله في الحجر
فلم أر ذا مَلْكٍ من الناس واحداً ... ولا سوقةٍ إلا إلى الموت والقبر
فعلّ الذي أردى ثموداً وجُرهماً ... سيعقب لي نسلاً على اخر الدهر
تقرّ بهم من آل عمرو بن عامرٍ ... عيونٌ لذي الداعي إلى طلب الوتر
فإنْ تكن الأيامُ أبلَيْن جدّتي ... وشيّبن رأسي والمشيبُ مع العُمر
فإنّ لنا ربّاً علا فوق عرشه ... عليها بما تأتي من الخير والشر
ألم يأت قومي أنّ لله دعوةً ... يفوزُ بها أهلُ السعادة والبشر
إذا بُعثَ المبعوثُ من آل غالبٍ ... بمكّة فيما بين زمزم والحجر
هنالك فابغُوا نصرةً ببلادكم ... بني عامرٍ إن السعادة في النصر

ثم قضى من ساعته[2] .

---

(١) في الأصل « المعلج » ولا معنى لها . والمعلهج [illegible] .

(٢) بهذه اللفظة ينتهي الجزء الأول [illegible]

آخر الجزء الأول [١٥٠ / ب] [illegible]

علقه عبد الله محمد بن المكرم بن أبي الحسن الأنصاري [illegible] عفا الله عنه

وفرغ منه في ليلة [illegible] من يوم [illegible] صفر [illegible]

الحمد لله رب العالمين ، كما هو أهله وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه

حسبنا الله ونعم الوكيل .

[٢] باب صفة خَلْقه ومعرفة خُلُقِه[١]

عن علي بن أبي طالب قال :

كان رسول الله ﷺ ضخم الرأس ، عظيم العنق ، مُشْرَّبَ العينين من حمرة ، هَدِب الأشفار ، كثّ اللحية ، شثْن الكفين والقدمين ، أزهر اللون ، إذا مشى تكفّأ[٢] كأنما يمشي في صُعُد ، وإذا التفت التفت جميعاً .

وعن علي قال :

بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فإني لأخطب يوماً على الناس ، وحَبْرٌ من أحبار يهود واقف ، في يده سِفر ينظر فيه ، فناداني فقال : صف لنا أبا القاسم فقال علي : رسول الله ﷺ ليس بالقصير ولا بالطويل البائن[٣] ، وليس بالجعد القَطَط[٤] ولا بالسَّبْط ، هو رَجْل الشَّعر ، أسود [٥] ، ضخم الرأس ، مُشَرَّبٌ لونه حمرةً ، عظيم الكراديس[٥] ، شَثْن الكفين والقدمين ، طويل المَسْرُبة ، وهو الشعر الذي يكون في النحر إلى السرة ، هَدِب الأشفار ، مقرون الحاجبين ، صَلْت[٦] الجبين ، بعيد ما بين المنكبين ، إذا مشى يتكفأ كأنما ينزل من صبب[٧] ، لم أر قبله مثله ، ولم أر بعده مثله . قال علي : ثم سكت ، فقال لي الحَبْر : وماذا ؟ قال علي : هذا ما يحضرني . قال الحَبر : في عينيه حمرة ، حسن اللحية ، حسن الفم ، تام الأذنين ، يقبل جميعاً ويدبر جميعاً . فقال علي : هذه والله صفته ، قال

---

(١) بهذا الباب يبدأ الجزء الثاني كما قسمه ابن منظور . وقبله هذه العبارة « بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين » .

(٢) تكفأ تكفياً : تمايل إلى قدام ، وهو مهموز وغير مهموز . والهمز الأصل . اللسان والنهاية : « كفأ » .

(٣) البائن المفرط طولاً الذي بعد عن قدر الرجال الطوال .

(٤) القطط الشديد الجعودة . « اللسان والنهاية : قطط » .

(٥) الكراديس : رؤوس العظام ، النهاية واللسان « كردس » .

(٦) أي أبيض الجبين ، واضح الجبين . اللسان : « صلت » .

(٧) أراد أنه قوي البدن فإذا مشى فكأنما يمشي على صدور قدميه من القوة . اللسان : « كفأ » .

الحَبر : وشيء آخر قال علي : ما هو ؟ قال الحَبر : وفيه جَنَأ[1] . قال علي : هو الذي قلت لك كأنما ينزل من صَبَب . قال الحَبر : فإني أجد هذه الصفة في سِفْر آبائي ، ونجده يُبعث من حرم الله وأمْنِه وموضع بيته ، ثم يهاجر إلى حرَم يُحرِّمه هو ، وتكون له حرمة الحرم الذي حرّم الله ، ونجد أنصاره الذين هاجر إليهم قوماً من ولد عمرو بن عامر أهل نخل وأهل الأرض ، قبلهم يهود . قال : قال علي : هو هو [٣] رسول الله . فقال الحبر : فإني أشهد أنه نبي وأنه رسول الله إلى الناس كافةً ، فعلى ذلك أحيا ، وعليه أموت ، وعليه أبعث إن شاء الله . قال : فكان يأتي علياً فيعلّمه القرآن ، ويخبره بشرائع الإسلام ، ثم خرج عليٌّ والحَبر هنالك حتى مات في خلافة أبي بكر ، وهو مؤمن برسول الله ﷺ مصدّق به .

وفي حديث آخر : أسود الحَدَقة .

وعن رجل من الأنصار قال : سألت علي بن أبي طالب ، وهو مُحْتَبٍ بحمالة سيفه في مسجد الكوفة ، عن نعت رسول الله ﷺ فقال :

كان رسول الله ﷺ أبيض اللون مُشرباً حمرة ، أدعج العينين ، سبط الشعرة دقيق المسرُبة ، سهل الخدّ ، كث اللحية ، ذا وفرة[2] كأنّ عنقه إبريق فضة ، له شعر يجري من لَبّته إلى سُرّته كالقضيب ليس في بطنه ولا في صدره شعر غيره ، شثن الكفّين والقدم ، إذا مشى كأنما ينحدر من صبب ، وإذا مشى كأنما يتقلّع من صخر ، وإذا التفت التفت جميعاً ، ليس بالطويل ولا القصير ، ولا الفاجر ولا اللئيم ، كأنّ عرقه في وجهه اللؤلؤ ، ولريحُ عَرَقه أطيبُ من المسك الأذفر ، لم أر مثله قبله ولا بعده .

وفي رواية : كان ليس بالذاهب طولاً ، وفوق الرُّبْعة ، إذا جاء مع القوم غمرهم ، أبيض شديد الوضح ، ضخم الهامة ، أغرّ أبلج .

وفي حديث : ولم يكن بالمطهَّم[3] ولا المُكلْثَم[4] ، وكان في الوجه تدوير .

---

(١) الجنأ : ميل في الظهر ، وقيل في العنق .

(٢) الوفرة : شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن . اللسان والنهاية : « وفر » .

(٣) المطهم : المنتفخ الوجه وقيل الفاحش السِّمن . وقيل النحيف الجسم وهو من الأضداد . النهاية واللسان : « طهم » .

(٤) أراد أنه كان أسيل الوجه ولم يكن مستديراً .

وفي رواية : جليل المُشاشِ[1] والكَتَد[2] .

وفي حديث : بين كتفيه خاتَمُ النبوة ، وهو خاتِمُ النبيين ، أجود الناس كفّاً ، وأجرأ الناس صدراً ، وأصدق الناس لهجة ، وأوفاهم بذمة ، وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة ، من رآه بَداهةً هابه ، ومن خالطه معرفةً أحبَّه ، يقول ناعتُه : لم أر قبله ولا بعده مثله .

وفي حديث : كان أزهر ليس بالأبيض الأمهق[3] .

وفي حديث : في عينيه شُكْلَةٌ[4] .

وفي حديث آخر : كان شَبْح[5] الذراعين .

[٤] وعن زياد مولى سعد قال :

سألت سعد بن أبي وقاص : هل خضب رسول الله ﷺ ؟ فقال : لا ، ولا همَّ به . قال : كان شيبه في عَنْفَقَته وناصيته ، لو شاء أعُدُّها لعددتها . قلت : فما صفته ؟ قال : كان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير ولا بالأبيض الأمهق ولا بالأدم ولا بالسَبْط ولا بالقَطَط ، وكانت لحيته حسنة وجبينه صَلْتاً . مُشْرَب بحمرة ، شثْن الأصابع ، شديد سواد الرأس واللحية .

وعن عبد الله بن مسعود قال :

إن أول شيء علمته من أمر رسول الله ﷺ : قدمت مكة في عمومة لي فأرشدونا إلى العباس بن عبد المطلب فانتهينا إليه وهو جالس إلى زمزم ، فجلسنا إليه ، فبينا نحن عنده إذ أقبل رجل من باب الصفا أبيض تعلوه حمرة ، له وفرة جعدة إلى أنصاف أذنيه ، أقنى الأنف ، براق الثنايا ، أدعج العينين ، كثّ اللحية ، دقيق المسرُبة ، شَثْن الكفين والقدمين ، عليه ثوبان أبيضان ، كأنه القمر ليلة البدر يمشي على يمينه غلام أمرد حسن

(١) أي عظيم رؤوس العظام كالمِرْفقين والكتفين والركبتين . النهاية واللسان : « مشش » .

(٢) الكتد بفتح التاء وكسرها : مجتمع الكتفين وهو الكاهل . اللسان والنهاية : « كتد » .

(٣) البَهَق : بياض دون البرص . اللسان : « بهق » .

(٤) الشُكْلة ـ كهيئة الحمرة ـ تكون في بياض العين . اللسان والنهاية : « شكل » .

(٥) شَبْح الذراعين : طويلهما وقيل عريضهما . اللسان والنهاية : « شبح » .

الوجه مراهق أو محتلم تقفوه امرأة قد سترت محاسنها ، حتى قصد نحو الحجر فاستلمه ، ثم استلم الغلامَ ، ثم استلمت المرأةُ ، ثم طاف بالبيت سبعاً ، والغلام والمرأة يطوفان معه . قلنا : يا أبا الفضل ، إن هذا الدين لم نكن نعرفه فيكم أوَ شيء حدث ؟ قال : هذا ابن أخي محمد بن عبد الله ، والغلام علي بن أبي طالب ، والمرأة امرأته خديجة ، ما على وجه الأرض أحد يعبد الله بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة .

وعن أبي هريرة قال :

ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله ﷺ كأنّ الشمس تجري في وجهه ، وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله ﷺ كأنّ الأرض تُطْوَى له ، إنا لنُجهِد أنفسنا ، وإنه لغير مكترث .

وكان أبو هريرة ينعت [٥] رسول الله ﷺ فيقول :

كان شَبْح الذراعين ، بعيد ما بين المنكبين ، أهدب أشفار العينين ، يقبل جميعاً ، ويدبر جميعاً ، بأبي وأمي ، لم يكن فاحشاً ولا متفحشاً ولا صخّاباً في الأسواق .

وعن الزهري قال : سئل أبو هريرة عن صفة رسول الله ﷺ فقال :

أحسن الصفة وأجملها ، كان ربعة إلى الطول ما هو ، بعيد ما بين المنكبين ، أسِيل الخدين ، شديد سواد الشعر ، أكحل العين ، أهدب الأشفار ، إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ، ليس لها أخمص . إذا وضع رداءه عن منكبيه فكأنه سبيكة فضة ، وإذا ضحك كاد يتلألأ في الخَدَر[1] ، لم أر قبله ولا بعده مثله .

وعن أبي هريرة قال :

كان رسول الله ﷺ شَثْن القدمين والكفين ، ضخم الساقين ، عظيم الساعدين ضخم العضدين ضخم المنكبين ، بعيد ما بين المنكبين ، رحب الصدر ، رجِل الرأس ، أهدب العينين ، حسن الفم ، حسن اللحية ، تام الأذنين ، رَبْعة من القوم لا طويل ولا قصير أحسن الناس لوناً ، يقبل معاً ويدبر معاً ، لم أر مثله ، ولم أسمع بمثله .

---

(١) الخَدَر والخَدِر : الظلمة . اللسان : « خدر » .

وعنه من حديث :

كان رسول الله ﷺ كأنما صيغ من فضة ، رجِل الشعر ، مُفاض البطن[1] .

وفي حديث آخر عنه :

ما مشى مع أحد إلا طاله .

ومن حديث أنس :

بُعث وهو ابنُ أربعين ، فأقام بمكة عشراً ، وبالمدينة عشراً ، ومات وهو ابن ستين ، وفي رواية : ثلاث وستين ، وليس في رأسه ولا في لحيته عشرون شعرة بيضاء .

وفي حديث أنس :

كثير العرق ، حسن الوجه .

وعن أنس قال :

كل ريح طيب قد شممته ، فما شممت قط أطيب من ريح رسول الله ﷺ وكل شيء لين قد مسسته ، فما مسست شيئاً قطّ ألين من كفّ رسول الله ﷺ وكل شيء حسن قد رأيت ، فما رأيت شيئاً قط أحسن من رسول الله ﷺ .

وفي حديث آخر :

ولقد خدمت [٦] رسول الله ﷺ عشر سنين ، فوالله ما قال لي أفٍ قط ، ولم يقل لشيء فعلتُه : لو فعلتَ كذا ، ولا لشيء لم أفعله : ألا فعلت كذا .

وفي حديث عنه أيضاً :

إذا مشى كأنه يتوكأ . كان لون رسول الله ﷺ أسمر . قال : إنما كانت السمرة تعتري وجهه الكريم ﷺ لكثرة مقابلته للشمس .

قال : وفي الحديث الصحيح

أنه كان أبيض ، وفي حديث آخر : كان أنور المتجرِّد أي أبيض الجسم .

---

(١) أي مستوي البطن مع الصدر . النهاية : « فيض » .

من حديث آخر عنه :

أحسن الناس قَواماً ، وأحسن الناس وجهاً ، وأحسن الناس لوناً ، وأطيب الناس ريحاً ، وألين الناس كفّاً .

وعن أنس قال :

أخذت أم سُليم بيدي مَقدمَ رسول الله ﷺ المدينةَ فقالت : يا رسول الله ، هذا أنس غلام كاتب يخدمك ، قال : فخدمته تسع سنين ، فما قال لشيء صنعتُ : أسأت ولا بئس ما صنعت .

وعنه قال :

كان آخر نظرة نظرها رسول الله ﷺ يوم الاثنين كشف رسول الله ﷺ الستارة والناس صفوف خلف أبي بكر ، فأشار إليهم أن امكثوا ، وألقى السَّجْف ، وهلك من آخر يومه ، فرأيت وجهه كأنه ورقة مصحف .

وفي حديث آخر :

الوجه أبيض ، كث اللحية ، ضخم القامة ، أحمر المآقي .

وعن البراء قال :

ما رأيت من ذي لِمَّةٍ في حلة حمراء أحسن من رسول الله ﷺ ، له شعر يضرب منكبيه بعيد ما بين المنكبين ليس بالقصير وليس بالطويل .

وقال رجل للبراء :

كان وجه رسول الله ﷺ حديداً مثل السيف ؟ فقال : لا ولكن كان مثل القمر .

وعنه قال :

ما رأيت أحسن شَعْراً ، ولا أحسن بشراً في ثوبين أحمرين من رسول الله ﷺ .

وعن جابر بن سَمُرة قال :

كان في ساقَيْ رسول الله ﷺ حموشة[1] ، وكان لا يضحك إلا تبسماً . وكنت إذا

---

(١) أي دقّة . اللسان : « حمش » .

نظرت إليه قلت : أكحل [٧] العينين وليس بأكحل .

وعن سماك قال : سألت جابر بن سَمُرة عن صفة النبي ﷺ فقال :

كان أشكل العين ، ضليع الفم ، منهوس العقب .

وفي حديث :

قلت لسماك : ما ضليع الفم ؟ قال : عظيم الفم . قلت : ما أشكل العين ؟ قال : طويل شق العين ، قلت : ما منهوس العقب ؟ قال : قليل لحم العقب .

وعن سماك بن حرب أنه سمع جابر بن سمرة يقول :

كان رسول الله ﷺ قد شمِط[1] مقدم رأسه ولحيته ، فإذا ادّهن وامتشط لم يتبين وإذا شعث رأسه تبيّن[2] . وكان كثير شعر الرأس واللحية .

وقال رجل :

وجهه مثل السيف ؟ قال : لا ، وجهه كان مثل الشمس والقمر مستديراً . ورأيت عند غضروف كتفه مثل بيضة الحمامة ، تشبه جسده ﷺ .

وعن جابر بن سمرة قال :

رأيت النبي ﷺ في ليلة إضْحيان ، وعليه حلة حمراء ، فكنت أنظر إليه وإلى القمر فهو كان في عيني أحسن من القمر .

وعن جابر عن النبي ﷺ قال :

هبط عليّ جبريل فقال : يا محمد ، إنّ الله يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : حبيبي إني كسوتُ حُسنَ يوسف من نور الكرسي ، وكسوتُ حسن وجهك من نور عرشي .

وقال رجل من بني عامر بن صعصعة لأبي أمامة الباهلي :

صف لي رسول الله ﷺ فقال : كان رسول الله ﷺ أبيض تعلوه حمرة ، أدعج العينين ، أهدب الأشفار ، شثن الأطراف ، ذو مسرُبة ، عظيم الهامة ، كثير الشعر ، كأن

---

(١) الشمط في الشعر : اختلافه بلونين من سواد وبياض . اللسان : « شمط » .

(٢) لا تتضح اللفظة في الأصل وما هنا عن صحيح مسلم في كتاب الفضائل ، باب شيبه ﷺ . الحديث ١٠٩ جـ ٤ / ١٨٢٣ ومسند الإمام أحمد ٥ / ١٠٤

عَرَقه اللؤلؤ ، أعنق الناس ، آدم الوجه ، لم أر مثله قبلـه ولا بعـده في الرجـال من هو أطول منه ، وفي الرجال من هو أقصر منه ، إذا مشى تكفأ كأنما يمشي في صَعَد ، وإذا التفت التفت جميعاً ، منفتق[1] الخاصرة ، لا أخمص له ، يطأ على قدمه كلها . عليـه سَحُوليّتـان[2] ، إزاره تحت ركبتيه بأربع أصابع ، ورداؤه إذا تعطف بـه لم يحـط بـه فهو واضعـه تحت إبطـه ، بين كتفيه خاتم [٨] النبوة ، وهو أقرب إلى كتفه اليمنى .

قال : فقـدمت عرفـات ، قـال : فبينـا أنـا أستقري الرجـال إذا أنـا بموكب رسول الله ﷺ ، وإذا هو قائم وفي يده سوط طويل[3] ، فـأخـذت بخطـام راحلتـه فـاستيقـظ فضربني بالسوط ضربة ، ونزل العباس فقلت : والذي بعثك بالحق ما جئتـك أبغيـك سوءاً ، قـال : آلله ؟ فقلت : آلله ، فقرع راحلتــه فبركت ، ثم نـزل فـوضـع رداءه بين شعبتي الرحــل ، ثم أعطاني السوط ، وقال : اقتد ، قلت : منك ، لا والذي بعثك بالحق ، ما جئت إلا أسألـك أيّ عمل يدخل اللهُ تعالى بـه العبدَ الجنـةَ ؟ قـال : تقول العـدل ، وتعطي الفضل . قلت : لا أطيق ذلك . قال : فأفشِ السلام ، وأطيب الكلام ، قلت : ولا هذا أطيق ، قـال : فهل لك من ذَوْد ؟ قلت نعم ، لي ثلاثـة ذود ، قـال : فخـذ بعيراً منهـا ، فـاسق عليـه أهل بيت لا يشربون الماء إلا غِبّاً ، قال : فلعلك لا ينضى بعيرك ، ولا ينخرق سقاؤك حتى يدخلـك الله الجنة .

وفي رواية أخرى :

فـانطلق الرجل وهو يقول : والـذي بعثـك بـالحق لأفعلنّ . فبلغني أنّ الرجـل فعـل ذلك ، ثم قتل شهيداً في سبيل الله عزّ وجلّ .

وعن أبي الطفيل قال :

رأيت رســول الله ﷺ ولم يبــق على الأرض أحــد رآه غيري . قـــال : قلت : كيف

(١) أي متسع الخاصرة ، وهو محمود في الرجال مذموم في النساء . النهاية واللسان : « رفيق » .

(٢) السحولية : بفتح السين وضمها . فالفتح منسوب إلى السَّحول وهو القصّار لأنه يسحلها أي يغسلهـا ، أو إلى سَحول : قرية باليمن - وقيل هي سُحول بالضم - وأما الضم فهو جمع سَحْل وهو الثوب الأبيض النقي . والنسبة فيه على الشذوذ . لأنه نسب إلى الجمع . اللسان : « سحل » . وانظر معجم البلدان : « سحول » .

(٣) استدركت اللفظة في هامش الأصل .

رأيته ؟ قال : رأيته أبيض مليحاً مقصداً إذا مشى كأنه يهوي في صبب .

وعن إسماعيل بن أبي خالد قال : سمعت أبا جُحَيفة يقول :

رأيت رسول الله ﷺ وكان الحسن بن علي يشبهه ، قال : وأمر لنا رسول الله ﷺ بثلاث عشرة قلوصاً ، وقُبض رسول الله ﷺ قبل أن نقبضها ، فأَبَوْا أن يعطونا شيئاً ، فأتينا أبا بكر فأعطاناها .

قال إسماعيل :

قلت لأبي جُحَيفة : صفه لي ، يريد النبي ﷺ ، قال : كان أبيض قد شَمِط .

وعن شيخ من بني مالك بن كنانة قال :

رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز [٩] يتخللها يقول : ياأيها الناس ، قولوا : لاإله إلا الله تفلحوا . قال : وأبو جهل يحثي عليه التراب ويقول : ياأيها الناس ، لايغرنكم هذا عن دينكم فإنما يريد لتتركوا آلهتكم ، ولتتركوا اللات والعزى قال : وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ . قال : قلنا : انعت لنا رسول الله ﷺ قال : بين بردين أحمرين ، مربوع ، كثير اللحم ، حسن الوجه ، شديد سواد الشعر ، أبيض شديد البياض ، سابغ الشعر .

قال جهضم بن الضحاك :

مررنا بالرُّجَيْح فرأيت بها شيخاً فقيل لي : هذا العَدَّاء بن خالد فقلت : رأيتَ رسول الله ﷺ ؟ فقال : نعم ، قلت : صِفْه لي ، فقال : كان حسن السَّبَلة ، وكانت العرب وأهل الجاهلية يسمون اللحية السبلة .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

كنت قاعدة أغزل ، والنبي ﷺ يخصف نعله ، فجعل جبينه يعرق ، وجعل عرقه يتولّد نوراً فبهتُّ ، فنظر إلي رسول الله ﷺ ، فقال : مالك ياعائشة بهتِّ ؟ قلت : جعل جبينك يعرق ، وجعل عرقك يتولّد نوراً . ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره قال : وما يقول أبو كبير قالت : قلت : يقول[1] :

---

(١) البيتان في ديوان الهذليين ٩٣ ـ ٩٤ من قصيدة لأبي كبير مطلعها :

أزهير هل عن شيبة من معدل ... أم لاسبيل إلى الشباب الأوّلِ

ومُبَرَّإ من كُــلِّ غُبَّرِ حَيْضَـنـةٍ وفَســادِ مُرْضعَــةٍ وداءِ مُغْيِــلِ

وإذا نظرتَ إلى أسرةِ وجهـــه برقتْ كبرقِ العـــارضِ المتهلـــلِ

فقام النبي ﷺ وقبّل بين عينيّ ، وقـال : جزاك الله يـاعـائشة عني خيراً ، مـاسررت بشيء كسروري منك ـ وفي رواية ماسررت بشيء كسروري بكلامك .

وعن عائشة قالت :

استعرتُ من حفصة بنت رواحة إبرةً ، كنت أخيط بها ثوب رسول الله ﷺ فسقطت عني الإبرة ، فطلبتهـا فلم أقـدر عليهـا ، فـدخل رسـول الله ﷺ فتبينتُ الإبرة بشعـاع نـور وجهه ، فضحكتُ فقال : يـاحميراءُ لِمَ ضحكت ؟ قلت : كان كيت وكيت ، فنـادى بـأعلى صوته ، ياعائشـة [١٠] الويل ثم الويل ، ثلاثـاً ، لمن حُرم النظر إلى هـذا الوجـه . مـامن مؤمن ولا كافر إلا ويشتهي أن ينظر إلى وجهي .

وعن أم هانئ قالت :

مارأيت بطن رسول الله ﷺ إلا ذكرت القراطيس المثنيّ بعضها على بعض .

وعن أبي مَعْبَد الخزاعي

أنّ رسول الله ﷺ خرج ليلة هاجر من مكة إلى المدينة هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة مـولى أبي بكر ، ودليلهم عبـد الله بن أُرَيْقِـط الليثي فمرّوا بخيمتي أم معبـد الخـزاعيـة ، وكانت امرأة برزة جلدة تحتبي وتجلس بفناء الخيمة وتطعم وتسقي فسـألوهـا لحمـاً أو تمراً ، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك ، وإذا القوم مرملون[1] فقالت : لو كان عندنـا شيء مـاأعوزكم القرى . فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كِسْر خيمتها . فقال : ماهـذه الشـاة يـاأم معبـد ؟ قـالت : شاة خلّفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن فقالت : هي أجهـد من ذلـك . فقـال : أتأذنين أن أحلُبها ؟ قالت : نعم ، بـأبي أنت وأمي ، إن رأيت بهـا حلَبـاً فـاحلبهـا ، فـدعـا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها ، وذكر اسم الله وقال : اللهم بارك لها في شـاتهـا فتفـاجّت[2]

---

(١) في هامش الأصل : « مرملون : نفد زادهم » .

(٢) التفـاجّ : المبـالغـة في تفريـج مـابين الرجلين ، وهـو من الفـج : الطريـق . ومنـه حـديث أم معبـد : فتفاجّت .... » النهاية واللسان : فج .

ودرّت واجْترت ، فدعا بإناء لها يُربض[1] الرهطَ فحلب فيها ثجّاً[2] حتى علته النهال فسقاها فشربت حتى رويت ، ثم حلب وسقى أصحابه فشربوا حتى روَوا وشرب آخرهم وقال : ساقي القوم آخرهم ، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهَل حتى أراضوا[3] ثم حلب فيها ثانياً عَوْداً على بدء ، فغادره عندها ثم ارتحلوا عنها فقلّ مالبثت أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً هزلاً مخهن قليل لانقْي بهن ، فلما رأى اللبن قال : من أين لكم هذا والشاء عارقة ؟ قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، قال : والله [١١] إني لأراه صاحب قريش الذي تطلب ، صفيه لي ياأم معبد . قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة متبلّج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثُجْلة[4] ولم تَزْربه صُقْلة[4] ، وسيم قسيم ، في عينيه دعج ، وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل ، أحور أكحل أزجّ أقرن ، رجل ، في عنقه سطع وفي لحيته كثاثة إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، كأن منطقهٔ خرزات نظم يتحدّرن ، فصل لانزر ولا هذر ، أزهر اللون يعني أجهر الناس وأجمله من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، ربعة لاتشنؤه من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظراً وأحسنهم قدراً ، له رفقاء يحفّون به ، إن قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود[5] ، لا عابس ولا مقبح .

قال : هذا والله صاحب قريش الذي ذُكر لنا من أمره ماذُكر ، ولو كنت وافقته لالتمست أن أصحبه ولأفعلنه إن وجدت إلى ذلك سبيلاً .

وأصبح صوتٌ بمكة بين السماء والأرض يسمعونه ولا يدرون من يقوله وهو يقول : [من الطويل]

---

(١) فوق اللفظة في الأصل ضبة ، وفي هامش الأصل : « يرويهم حتى يثقلوا فيربضوا » ويروى بالباء : نربض . أي يرويهم بعض الري ، من أراض الحوض إذا صب فيه من الماء مايواري أرضه . والرواية المشهورة فيه بالباء . انظر النهاية واللسان : « ربض ، روض » .

(٢) في الهامش : « الثج : السيلان » وانظر أيضاً النهاية . « ثج » ففيه « ومنه حديث أم معبد : « فحلب فيه ثجاً » أي لبناً سائلاً كثيراً .

(٣) « قيل : صبوا اللبن على اللبن » النهاية : روض .

(٤) الثجلة : ضخم البطن ويروى : نُحلة أي نحول . والصقلة الدقة والنحول ويروى بالسين ، وفي تهذيب الكمال ١ / ٢٢١ : « صعْلة » وهي صغر الرأس ، وانظر النهاية واللسان : « ثجل ، نحل ، صعل ، صقل » .

(٥) محفود محشود : أي أنّ أصحابه يخدمونه ويجتمعون إليه النهاية : « حشد » .

جزى اللهُ ربُّ الناسِ خيرَ جزائِه رفيقَيْن حلّا خيمتَيْ أمِّ معبدِ
هما نزلا بالبرِ وارتحلا به فأفلحَ مَنْ أمسى رفيقَ محمّدِ
فيالَ قُصَيّ مازوى اللهُ عنكمُ به من فَعالٍ لاتُجارى وسؤددِ
سَلُوا أختَكم عن شاتِها وإنائها فإنكُمُ إن تسألُوا الشاةَ تشهدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلّبَتْ له بصريحٍ ضَرّةُ الشاةِ مزبدِ
فغادرَه رَهْناً لديها لحالِبِ لجَرتِها في مصدرٍ ثم موردِ

فأصبح الناس قد فقدوا نبيهم ﷺ فأخذوا على خيمتي أم معبد حتى لحقوا النبي ﷺ فأجابه حسان[1] فقال : [من الطويل]

لقد خابَ قومٌ زالَ عنهم نبيُّهمْ وقُدِّسَ من يسري إليهم ويغتدي
[١٢] ترحّلَ عن قومٍ فزالت عقولُهم وحَلَّ على قومٍ بنُورٍ مجدَّدِ
وهل يستوي ضُلّالُ قومٍ تسفّهوا عَمىً وهداةٌ يهتدون بمهتدِ ؟
نبيٌ يرى مالا يرى الناسُ حولَهُ ويتلو كتابَ اللهِ في كلِّ مَشْهدِ
وإن قالَ في قومٍ مقالةَ غائبِ فتصديقُها في ضحوةِ اليومِ أو غدِ
لِيَهْنِ أبا بكرٍ سَعادةُ جَدّهِ بصحبتِهِ مَن يُسعدِ الله يَسعدِ
لِيَهْنِ بني كعبٍ مكانُ فتاتِهم ومقعدُها للمؤمنين بمرصدِ

قال عبد الملك :

بلغني أن أم معبد أسلمت وهاجرت .

وعن علي بن الحسين قال : قال الحسن بن علي عليهم السلام :

سألت خالي هند بن أبي هالة عن حلية رسول الله ﷺ ، وكان وصافاً ، وأنا أرجو أن يصف لي منه شيئاً أتعلق به ، قال :

كان رسول الله ﷺ فخماً مفخّماً يتلألأ وجهه تلألُؤ القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع ، وأقصر من المشذّب ، عظيم الهامة ، رجل الشعرة ، إن انفرقت عقيصته فرق وإلا

---

(١) الديوان ص ٨٧ .

تجاوز شعره شحمة أذنه إذا هو وفره . أزهر اللون ، واسع الجبين ، أزج الحواجب ، سوابغ في غير قرن ، بينهما عرق يُدرُّه الغضب ، أقنى العِرنين ، له نور يعلوه ، يحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ، أدعج ، سهل الخدين ، ضليع الفم أشنب ، مفلّج الأسنان ، دقيق المسْرُبة ، كأن عنقه جيدٌ دمية في صفاء الفضة ، معتدل الخلق ، بادن متماسك سواء البطن والصدر ، فسيح الصدر ، بعيد مابين المنكبين ، ضخم الكراديس ، أنور المتجرّد ، موصول مابين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط ، عاري الثديين مما سوى ذلك ، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر ، طويل الزندين ، رحب الراحة ، شثن الكفين والقدمين ، سابل الأطراف ، سبط القصب ، [١٣] خَمصان الأخمصين ، مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، إذا زال زال تقلعاً ، ويخطو تكفياً ويمشي هوناً ، ذريع المشية ، إذا مشى كأنما ينحطّ من صبَب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جُلُّ نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ويبدأ من لقي بالسلام .

قلت : صف لي منطقه قال :

كان رسول الله ﷺ متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، ولا يتكلم في غير حاجة ، طويل السكوت ، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ، ويتكلم بجوامع الكلام ، فصلاً لا فضول فيه ولا تقصير ، دمثاً ليس بالجافي ولا المهين ، يعظّم النعمة وإن دقت ، لايذم منها شيئاً ، لم يكن يذم ذُواقاً[1] ولا يمدحه . ولا يُقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ، لايغضبُ لنفسه ولا ينتصر لها ، إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تعجب قلبها ، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه[2] اليمنى باطن راحته اليسرى ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا فرح غض طرفه ، جل ضحكه التبسم ، ويفترّ عن مثل حب الغمام .

فكتمتها الحسين بن علي زماناً ثم حدثته بها ، فوجدته قد سبقني إليه وسأل أباه عن ترحل رسول الله ﷺ ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه شيئاً .

---

(١) الذُواق : المأكول والمشروب . النهاية : « ذوق » .

(٢) في تهذيب الكمال ١ / ٢١٦ « براحته » .

قال الحسين : سألت أبي عليه السلام عن دخول رسول الله ﷺ فقال :

كان دخوله لنفسه مأذوناً له في ذلك ، فكان إذا أوى إلى منزله جزّأ دخوله ثلاثة أجزاء : جزءاً لله عز وجل ، وجزءاً لنفسه ، وجزءاً لأهله . ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة لايدخر عنهم شيئاً ، فكان من سيرته في جزء الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه [١٤] وقسمه على قدر فضلهم في الدين ، منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ، ومنهم ذو الحوائج ، فيتشاغل بهم ، ويشغلهم فيما أصلحهم من مسألته عنهم ، ويقول : ليبلغ الشاهد الغائب ، وأبلغوني حاجة من لايستطيع إبلاغي حاجته ، فإنه من أبلغ سلطاناً حاجة من لايستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيامة . لايذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون رواداً ولا يتفرقون إلا عن ذواق[1] ، يخرجون أدلة - يعني فقهاء -

قلت : أخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه ؟ قال : كان رسول الله ﷺ يخزن لسانه إلا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا يفرّقهم ، يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره ولا خُلقه ، ويتفقد أصحابه ، ويسأل الناس عما في الناس ، ويحسّن الحسن ويصوّبه ، ويقبّح القبيح ويوهّنه ، معتدل الأمر غير مختلف ، لايغفل مخافة أن يغفلوا أو يملّوا ، لكل حال عنده عتاد ، لايقصّر عن الحق ولا يجاوز إلى غيره ، الذين يلونه من الناس خيارهم ، وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه ؟ قال :

كان رسول الله ﷺ لايجلس ولا يقوم إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها ، وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لايحسب جليسه أنّ أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاومه[2] لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سأله حاجة لم يردّه إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق متقاربين [١٥]

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية « ذوق » : « ضرب الذواق مثلاً لما ينالون عنده من الخير » .

(٢) أي إذا قام معه ليقضي حاجته صبر عليه إلى أن يقضيها . اللسان والنهاية : « قوم » .

يتفاضلون فيه بالتقوى ، متواضعين يوقرون الكبير ، ويرحمون الصغير ، ويرفدون ذا الحاجة ، ويرحمون الغريب .

فسألته عن سيرته في جلسائه فقال :

كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخُلُق ، ليّن الجانب ، ليس بفظّ ولا غليظ ، ولا صخّاب ولا فحّاش ولا عيّاب ولا مدّاح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يُوئس منه . قد ترك نفسه من ثلاث : [المراء ، والإكثار ، وما لا يعنيه ، وترك الناس من ثلاث :][1] كان لا يذم أحداً ولا يعيِّره ، ولا يطلب عورته ، ولا يتكلم إلا فيما يرجو ثوابه ، إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير ، وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ، من تكلم نصتوا له حتى يفرغ ، حديثهم عنده حديث أولهم ، يضحك مما يضحكون منه ، ويتعجب مما يتعجبون منه ، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق . ويقول : إذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ، ولا يقبل الثناء إلا من مكافئ ، ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء أو قيام .

قلت : فكيف كان سكوته ؟ قال :

كان سكوته ﷺ على أربع : على الحلم ، والحذر ، والتقرير ، والتفكر . فأما تقريرُه ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس ، وأما تفكره ففيما يبقى ويفنى . وجُمع له الحلم ﷺ في الصبر ، فكان لا يُغضبه شيء ولا يستفزّه . وجمع له في الحذر أربع : أخذه بالحسن ليقتدى به ، وتركه للقبيح ليُنْتَهى عنه ، واجتهاد الرأي فيما يصلح أمته ، والقيام لهم فيما جمع لهم أمر الدنيا والآخرة .

وعن سعيد بن المسيب قال : قال أنس :

قدم رسول الله ﷺ المدينة وأنا يومئذ ابن ثماني سنين ، فذهبتْ بي أمي إليه فقالت : يا رسول الله ، إن رجال الأنصار ونساءهم قد أتحفوك ، غيري ، وإني لم أجد ما أتحفك به إلا ابني هذا ، فتقبلْه مني يخدمك ما بدا لك . قال : فخدمتُ رسول الله ﷺ عشرَ سنين [١٦] لم يضربني مرة قط ، ولم يسبّني ، ولم يعبس في وجهي - وفي حديث أنس بن مالك قال : لم

(١) الاستدراك عن ابن عساكر .

يكن رسول الله ﷺ سبّاباً ولا لعّاناً ولا فحّاشاً كان يقول لأحدنا عند المعاتبة : ما لـه ترب جبينه[1] .

وعن أنس بن مالك قال :

صحبت رسـول الله ﷺ في عشر سنين ، وشممت العطر كلـه فلم أشمّ نكهـة أطيب من نكهة رسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ إذا لقيه أحد من أصحابه فقام معه قـام معـه فلم ينصرف حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف عنه ، وإذا لقيه أحد من أصحابه فتنـاول يـده ناولها إياه فلم ينزع يده منه حتى يكون الرجل هو الذي ينزع يده منه . وإذا لقي أحداً من أصحابه فتناول أذنه ناولها إياه فلم ينزعها عنه حتى يكون الرجل هو الذي ينزعها عنه .

وعن أنس بن مالك قال :

دخل رسول الله ﷺ المسجد وعليه ثوب نجراني غليظ الصَّفَّة فـأتـاه أعرابي من خلفـه فأخذ بجانب ردائه فاجتبذه حتى أثّرت الصفة في صفح عنق رسول الله ﷺ فقال : يـا محمـد أعطنا من مال الله عز وجل الذي عندك ، فـالتفت إليـه رسول الله ﷺ - يعني فتبسم وأمر له .

وعن خارجة بن زيد :

دخل نفر على زيد بن ثـابت فقـالوا : حـدثنـا أحـاديث رسول الله ﷺ قـال : مـاذا أحـدثكم ؟ كنت جـاره فكان إذا نزل عليـه الوحي أرسـل إليّ فكتبت لـه ، وكان إذا ذكرنـا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنـا . وكل هذا أحدثكم عنه .

وعن أبي هريرة قال :

كنا نقعد مع رسول الله ﷺ في المسجد بالغدوات ، فإذا قام إلى بيته لم نزل قيامـاً حتى يدخل بيته ، فقام يوماً ، فلما بلغ وسط [١٧] المسجد أدركه أعرابي فقال : يا محمـد ، احمل لي على بعيرَيّ هذين ، فإنك لا تحمل من مـالـك ولا من مـال أبيـك ، وجبـذه بردائـه حتى أدركـه فحمّر رقبتـه ، فقـال رسـول الله ﷺ : لا ، وأستغفر الله ، لا أحمـل لـك حتى

---

(١) قيل : أراد به دعاءً له بكثرة السجود . اللسان : « ترب » .

تقيدني[1] ، قالها ثلاث مرات ، ثم دعا رجلاً فقال : احمل له على بعيريه : على بعير شعير وعلى بعير تمر .

وعن عائشة قالت :

ما رأيت رسول الله ﷺ ضرب خادماً له ولا امرأة له قط ، ولا ضرب بيده شيئاً إلا أن يجاهد في سبيل الله عز وجل ، ولا نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يكون لله ، فإن كان لله انتقم ، ولا عُرض عليه أمران إلا أخذ الذي هو أيسر . حتى يكون إثماً ، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه .

وعنها قالت :

ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً عن ظُلامة ظُلِمها قط إلا أن يُنتهك من محارم الله شيء ، فإذا انتهك من محارم الله شيء كان أشدّهم في ذلك . ما خيّر بين أمرين قط إلا اختار أيسرهما .

وعن سعد بن هشام قال :

قلت لعائشة : ما كان خلق النبي ﷺ ؟ فقالت : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عظيمٍ ﴾[2] فخُلُقه القرآن .

وفي حديث أبي الدرداء قال :

سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت خلقه القرآن ، يرضى لرضاه ويسخط لسخطه .

وعن عطية

في قوله تعالى : ﴿ وإنّك لعلى خُلُقٍ عظيمٍ ﴾ قال : أدب القرآن .

وعن عمرة قالت :

سألت عائشة رضي الله عنها : كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا بنسائه ؟ قالت :

---

(١) أَوَد : تقدم . اللسان والقاموس : « قود » .

(٢) سورة القلم : ٦٨ / ٤

كان كالرجل من رجالكم إلا أنه كان أكرم الناس وأحسن الناس خلقاً ، كان ضحاكاً بساماً .

وروى الزهري عن بعض آل عمر بن الخطاب

أن عمر بن الخطاب لما كان يوم الفتح ورسول الله ﷺ بمكة أرسل إلى صفوان [١٨] ابن أمية بن خلف وإلى أبي سفيان بن حرب وإلى الحارث بن هشام . قال عمر : قد أمكن الله منهم أُعَرِّفُهُمْ(١) بما صنعوا حتى قال رسول الله ﷺ : مَثَلي ومَثَلكم كما قال يوسف لإخوته : ﴿ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٢) . قال عمر : فانتضحتُ حياءً من رسول الله ﷺ كراهية أن يكون بدر مني ، فقد قال لهم رسول الله ﷺ ما قال .

وعن صفية بنت حيي قالت :

أردفني رسول الله ﷺ على عَجُز ناقته ليلاً قالت : فجعلت أنفِس فيمسني رسول الله ﷺ بيده فيقول : يا هذه يا بنت حيي ، وجعل يقول : يا صفية ، إني أعتذر إليك مما صنعتُ بقومك إنهم قالوا لي كذا ، إنهم قالوا لي كذا .

---

(١) يقال : أعرف فلان فلاناً وعرّفه إذا وقّفه على ذنبه ثم عفا عنه . اللسان : « عرف » .

(٢) سورة يوسف : ١٢ / ٩

باب تطهير قلبه من الغل

وعن أنس

أن النبي ﷺ أتاه جبريل ، وهو يلعب مع الغلمان ، وأخذه فصرعه وشق عن قلبه فاستخرج القلب ، فشق القلب فاستخرج منه علقة فقال : هذا حظ الشيطان منك ، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ، ثم لأمه فأعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يَسْعَون إلى أمه - يعني ظئره - قالوا إن محمداً قد قتل ، فاستقبلوه فرأوه منتقع اللون . قال أنس : فقد كنت أرى أثر المخيط في صدره ﷺ .

وعن أنس

أنّ الصلاة فُرضت بمكة وأن ملكين أتيا رسول الله ﷺ فذهبا به إلى زمزم ، فشقا بطنه ، فأخرجا حشوته في طست من ذهب ، فغسلاه بماء زمزم ، ثم كبسا جوفه حكمة وعلماً .

وعن أبي العجفاء قال : حدثني شداد بن أوس قال :

أقبل رجل من بني عامر شيخٌ كبير يتوكأ على عصاه حتى مثُل بين يدي رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنك تفوه [١٩] بأمر عظيم ، تزعم أنك رسول الله ، أُرسلت إلى الناس كما أرسل موسى بن عمران وعيسى بن مريم والنبيون ، وإنما أنت رجل من العُرَيب ممن يعبد هذه الحجارة والتماثيل فما لك والنبوة ؟ وإنما النبوة من بيتين ، من بيت خلافة وبيت نبوة ، ولست من هذا ولا هذا ، ولكن لكل قول حقيقة ولكل بدو شأن ، فحدثني بحقيقة قولك وبدو شأنك . قال : وكان رسول الله ﷺ حليماً لا يجهل ، فقال له : يا أخا بني عامر ، إنّ للأمر الذي سألتني عنه قصصاً ونبأ ، فاجلس حتى أنبئك بحقيقة قولي وبدء شأني ، قال فجلس العامري ، وتهافت العرب حَذْواً[1] بين يدي رسول الله ﷺ فقال

(١) الحذو والحذاء : الإزاء والمقابل . اللسان والنهاية : « حذو » .

رسول الله ﷺ : إن والدي لما بنى بأمي حملت ، رأت فيا يرى النائم أن نوراً خرج من جوفها ، فجعلت تُتبعه بصرها حتى ملأ ما بين السموات والأرض نوراً ، فقصت ذلك على حكيمة من أهلها ، فقالت لها : والله لئن صدقَتْ رؤياك ليخرجَن من بطنك غلام يعلو ذكره بين السماوات والأرض ، وكان هذا الحي من بني سعد بن هوازن ينتابون نساء أهل مكة فيحضنون أولادهم ، وينتفعون بخيرهم ، وإن أمي ولدتني في العام الذي قدموا فيه ، وهلك والدي فكنت يتيماً في حجر عمي أبي طالب ، فأقبل النسوان يتدافعنني ويقلن : ضَرَع[1] صغير لا أب له ، فما عسانا أن ننتفع به من خيره ؟ وكانت فيهن امرأة يقال لها أم كبشة بنت الحارث ، فقالت : والله لا أنصرف ، عامي هذا ، خائبة أبداً ، فأخذتني وألقتني على صدرها ، فدرّ لبنها فحضنتني ، فلما بلغ ذلك عمي أبا طالب أقطعها إبلاً ومقطعات من الثياب ، ولم يبق عمٌّ من عمومتي إلا أقطعها وكساها ، فلما بلغ ذلك النسوان أقبلن إليها فقلن : والله يا أم كبشة لو علمنا بركة هذا [٢٠] تكون هكذا ما سبقتنا إليه .

قال : ثم ترعرعتُ وكبرت ، وقد بُغِّضت إليّ أصنام قريش والعرب ، فلا أقربها ولا آتيها ، حتى إذا كان بعد زَمَين خرجتُ بين أتراب لي من العرب نتقاذف بالأجلة يعني البعر ، فإذا بثلاثة نفر مقبلين ، معهم طست من ذهب مملوء ثلجاً ، فقبضوا عليّ من بين الغلمان ، فلما رأى ذلك الغلمان انطلقوا هِراباً ، ثم رجعوا فقالوا : يا معشر النفر ، إن هذا الغلام ليس منا ولا من العرب . وإنه لابن سيِّد قريش وبيضة المجد ، وما من حيّ من أحياء العرب إلا لآبائه في رقابهم نعمة مجللة ، فلا تصنعوا بقتل هذا الغلام شيئاً ، فإن كنتم لابدّ قاتليه فخذوا أحدنا فاقتلوه مكانه . قال : فأبوا أن يأخذوا مني فدية ، فانطلقوا وأسلموني في أيديهم فأخذني أحدهم فأضجعني إضجاعاً رقيقاً فشق ما بين صدري إلى عانتي ، ثم استخرج قلبي فصدعه ، فاستخرج منه مضغة سوداء مُنتِنة فقذفها ثم غسله في تلك الطست بذلك الثلج ثم ردّه ، ثم أقبل الثاني فوضع يده على صدري إلى عانتي فالتأم ذلك كله ، ثم أقبل الثالث وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفي ويدي ، فقد لبثت زماناً من دهري وأنا أجد برد ذلك الخاتم ، ثم انطلقوا وأقبل الحيّ بحذافيرهم وأقبلتْ معهم أمي التي

---

(١) الضَّرَع : النحيف الضاوي الجسم . النهاية : « ضرع » .

أرضعتني . فلما رأت ما بي التزمتني ، قالت : يا محمد : قتلت لوَحدتـك وليُتمـك ، وأقبل الحيّ يقبّلون مـا بين عيني إلى مفرق رأسي ويقولون : قتلت لوحـدتـك وليتمـك ، احملوه إلى أهلـه لا يموت عندنا ، فحملت إلى أهلي . فلما رآني عمي أبو طالب قال : والذي نفسي بيده لا يموت ابن أخي حتى تسود بـه قريش جميع العرب ، احملـوه إلى الكاهن ، فحملتُ إليـه ، فلمـا رآني قال : يا محمد حدثني ما رأيت ، وما صُنع بك [٢١] فأنشأت أقصّ عليه القصص . فلما سمعه وثب عليّ فالتزمني وقال : يـا للعرب اقتلوه ، فوالـذي نفسي بيـده لئن بقي حتى يبلغ مبـالغ الرجال ليشتمن موتاكم ، وليسفهنّ رأيكم ، وليأتينّكم بدِين ما سمعتم بمثلـه قـط . قـال : فوثبت عليه أمي التي أرضعتني فقالت : إن كانت نفسك قد غمتك فالتمس لها[1] من يقتلها ، فإنّا غير قاتلي هذا الغلام ، فهذا بدو شأني ، وحقيقة قولي .

قال : فقال العامري : فما تأمرني يا محمد ؟ قال : آمرك أن تشهد أن لا إلـه إلا الله وأن محمـداً عبـده ورسـولـه ، وتصلّي الخمس بـوقتهن ، وتصـوم شهر رمضـان ، وتحـجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا ، وتؤدي زكاة مالـك . قـال : فمـا لي إن فعلت ذلـك ؟ قـال : جنـات عدن تجري من تحتها الأنهار ، وذلك جزاء من تزكّى . قال : يا محمد ، فأيّ المستمعات أسمع ؟ قال : جوف الليل الدامس ، إذا هـدأت العيون ، فـإن الله حيّ قيوم يقول : هل من تـائب فأتوبَ عليه ؟ هل من مستغفر فـأغفرَ لـه ذنبـه ؟ هل من سـائل فـأعطيَـه سؤلـه ؟ قـال : فوثب العامري فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

(١) لا تتضح اللفظة في الأصل ولذلك تكررت في الهامش .

باب عصمة الله بالرسالة

عما كان يرتكبه أهل الجهالة

عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ماهممتُ بقبيحٍ مما يهمّ به أهلُ الجاهلية إلا مرَّتين من الدهر كلتاهما عصمني الله منهما : قلت ليلةً لفتى كان معي من قريش بأعلى مكة في غنم لأهلها يرعاها : أبصر لي غنمي حتى أسمر هذه الليلة بمكة كما يسمر الفتيان ، قال : نعم ، فخرجت . فلما جئت أدنى دار من دور مكة سمعتُ غناءً وصوتَ دفوفٍ ومزامير فقلت : ماهذا ؟ قالوا : فلان تزوج فلانة ، لرجل من قريش تزوج امرأة من قريش ، فلهوت بذلك الغناء وبذلك الصوت حتى غلبتني عيني [٢٢] فنمت فما أيقظني إلا مسّ الشمس . فرجعت إلى صاحبي فقال : مافعلتَ ؟ فأخبرتُه ، ثم فعلت الليلة الأخرى مثل ذلك ، فخرجت فسمعت مثل ذلك فقيل لي مثل ماقيل لي فسمعت كما سمعت حتى غلبتني عيني فنمت ، فما أيقظني إلا مسّ الشمس ، ثم رجعت إلى صاحبي ، فقال : مافعلتَ ؟ فقلت : مافعلت شيئاً . قال رسول الله ﷺ : فوالله ماهممتُ بعدها بسوء مما يعمله أهل الجاهلية حتى أكرمني الله بنبوته .

وفي حديث آخر :

فكان رسول الله ﷺ يقول : مامن نبي إلا ورعى الغنم قالوا : وأنتَ يارسول الله ؟ قال : وأنا .

وعن جابر قال :

كان رسول الله ﷺ يشهد مع المشركين مشاهدهم ، فسمع مَلَكَين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : ألا تقوم خلف رسول الله ﷺ ؟ قال : فلم يَعُد أن يشهد مع المشركين مشاهدهم .

وعن أم أيمن قال [ت] :

كانت بوانة صنماً ، تحضره قريش ، تعظّمه ، تنسك له النسائك ، ويحلقون رؤوسهم

عنده ، ويعكفون عنده يوماً إلى الليل ، وذلك يوم في السنة ، وكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك العيد مع قومه ، فيأبى رسول الله ﷺ ذلك حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ، ورأيت عماته غضبن عليه يومئذ أشد الغضب فجعلن يقلن : إنا لنخاف عليك مما تضع من أحساب آلهتنا ، وجعلن يقلن : ما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثّر لهم جمعاً . قالت : فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إلينا مرعوباً فزعاً ، فقالت عماته : ما دهاك ؟ قال : إني أخشى أن يكون بي لمم ، فقلن : ما كان الله ليبتليك بالشيطان ، وفيك من خصال الخير ما فيك ، فما الذي رأيته ؟ قال : إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح : وراءك يا محمد لا تمسّه ، قالت : فما عاد إلى عيد [٢٣] لهم حتى نبّئ .

وعن عليّ قال :

قيل للنبي ﷺ : هل عبدتَ وثناً قط ؟ قال : لا ، قالوا : هل شربت خمراً قطّ ؟ قال : لا ، وما زلت أعرف أنّ الذي هُمْ عليه كفر ، وما كنت أدري ما الكتاب وما الإيمان ؟ وكذلك أُنزل في القرآن : ﴿ ما كُنْتَ تَدْرِيْ ما الكِتابُ وَلا الإيمانُ ﴾[1] .

قال ابن عباس :

كان محمد ﷺ يقوم مع بني عمته عند الصنم الذي عند زمزم واسم الصنم إساف . قال : فرفع رأسه يوماً إلى ظهر الكعبة ثم ولّى ذاهباً . قال : فقال له بنو عمته : مالك يا محمد ؟ قال : إني نهيتُ أن أقوم عند هذا الصنم .

وعن بريدة قال :

دخل جبريل عليه السلام مسجد الحرام فطفق يتقلب فبصر بالنبي ﷺ نائماً في ظلّ الكعبة . فأيقظه فقام ينفض رأسه ولحيته من التراب . فانطلق به نحو باب بني شيبة ، فلقيهما ميكائيل ، فقال جبريل لميكائيل : ما يمنعك أن تصافح النبيّ ﷺ ؟ قال : أجد من يده ريح النحاس ، فكأن جبريل أنكر ذلك ، قال : أوقد فعلت ؟ وكان النبي ﷺ نسي ثم ذكر فقال : صدق أخي ، مررت أول من أمس على إساف ونائلة فوضعت يدي على أحدهما

---

(١) سورة الشورى ٤٢ / ٥٢

فقلت : إن قوماً رضوا بكما إلهاً مع الله لقومُ سوء . قال : وإساف ونائلة كانا شابين من قريش يطوفان الكعبة فأصابا خلوة فأراد أحدهما صاحبه ، فنكسهما الله نحاساً . فجاءتهما قريش فقالوا : لولا أن الله رضي أن يعبد هذان الانسانان لما نكسهما نحاساً .

قال ابن بريدة : أما إساف فرجل وأما نائلة فامرأة من بني عبد الدار بن قصي .

وعن ابن عباس قال :

أول شيء رأى النبي ﷺ من النبوة أن قيل استتر ، وهو غلام . قال : فما رأيت عورته منذ يومئذٍ .

وعن العباس قال :

كنا ننقل الحجارة إلى البيت حين بنت قريش ، فكانت الرجال تنقل الحجارة والنساء تنقل الشِّيد [٢٤] والشيد ما يجعل بين الصخر .

قال العباس : كنت أنقل أنا وابن أخي محمد ، فكنا ننقل على رقابنا ، ونجعل أزرنا تحت الصخرة ، فإذا غشينا الناس اتزرنا ، فبينا أنا ومحمد ﷺ بين يدي ، إذ وقع فانبطح فجئت أسعى وألقيت الحجر فإذا هو ينظر إلى السماء فقلت له : ما شأنك ؟ فقام فاتزر فقال : نُهيت أن أمشي عرياناً . قال العباس : فكتمت ذلك الناس خيفة أن يروه جنوناً .

كيف كان بدء نبوّته وبعثه

عن أبي ذر الغفاري قال :

قلت : يـا رسـول الله ، كيف علمت أنـك نبي أول مـا علمت حتى علمت ذلـك واستيقنت ؟ قال : ياأبا ذر ، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحـاء مكـة فوقع أحـدهما بـالأرض وكان الآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قـال : هو هو . فقـال : زنـه برجل ، فوزنت برجل فرجحتـه ، ثم قـال : زنـه بعشرة ، فوزنوني بعشرة فـوزنتهم ، ثم قال : زنه بمئة ، فوزنوني بمئة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بـألف ، فوزنوني بـألفٍ ، فرجحتهم ، فجعلوا ينتشرون علي من كفة الميزان ، فقال أحدهما للآخر : لو وزنته بـأمتـه لرجحهـا ، ثم قال أحدهما لصاحبه : شقَّ بطنه فشق بطني ثم قال أحدهما لصاحبه : أخرج قلبه ، أو قـال : شق قلبه ، فشق قلبي فـأخرج منـه مغمز الشيطـان وعَلَق الـدم فطرحهـا ، ثم قـال أحـدهمـا للآخر : اغسل بطنه غسل الإناء ، واغسل قلبه غسل الملاءة ، ثم دعا بسكينة كأنها دَرَهْرَهَة[1] بيضاء فأدخلت قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْ بطنـه ، فخـاط بطني فجعلا الخـاتم بين كتفيّ ، فما هو إلا أن ولّيا عني ، فكأنما أعاين الأمر معاينة .

وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال :

إن إلهي جلّ وعزّ اختـارني في ثلاثـة من أهل بيتي على جميع أمتي ، أنـا سيّـد الثـلاثـة وسيّـد ولـد آدم ولا فخر . اختـارني [٢٥] وعلي بن أبي طـالب وحمـزة بن عبـد المطلب وجعفر بن أبي طـالب ، كنـا رقوداً بـالأبطح ليس منـا إلا مُسجّىً بثوبـه ، علي عن يميني ، وجعفر عن يسـاري ، وحمزة عنـد رجلي ، فمـا نبهني من رقـدتي غير حفيف أجنحـة الملائكـة وبرد ذراع علي عليه السلام تحت خدي ، فانتبهت من رقـدتي ، وجبريل في ثلاثـة أملاك ، فقال له بعض الأملاك الثلاثة : يـا جبريل إلى أي هؤلاء الأربعـة أرسلتَ ؟ فضربني برجلـه

(١) الدرهرهة : سكين معوجة الرأس تسميها العامة المنجل ، وفي رواية البرهرهة اللسان والنهاية : « دره » .

وقال : إلى هذا ، وهو سيد ولد آدم ، فقال : من هذا يـا جبريل ؟ قـال : محمـد بن عبـد الله سيد النبيين ، وهذا علي بن أبي طالب ، وهذا حمزة بن عبـد المطلب سيـد الشهـداء ، وهـذا جعفر له جناحان يطير بهما في الجنة حيث يشاء .

وعن عائشة

أن نبي الله ﷺ كان أول شأنه يرى في المنام ، فكان أول مـا رُئي جبريل عليـه السلام بأجياد[1] ، إنه خرج لبعض حـاجتـه فصرخ بـه يـا محمـد يـا محمـد[2] فنظر يمينـاً وشمالاً فلم يرَ شيئاً ، ثم نظر فلم ير شيئاً ، فرفع بصره فإذا هو يراه ثانياً ، إحدى رجليـه على الأخرى على أفق السماء ، فقال : يا محمد ، جبريل جبريل ، فهرب محمد ﷺ حتى دخل في الناس ، فنظر فلم ير شيئاً ، ثم خرج من النـاس ثم نظر فرآه فـدخـل في النـاس فلم ير شيئـاً ثم خرج فنظر فرآه فذلك قوله تبارك وتعالى : ﴿ والنَّجْمِ إذا هَوَى ☆ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴾[3] .

وعن عائشة قالت :

كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيـا إلا جـاءت مثل فلَق الصبح ، ثم حُبّب إليـه الخلاء فكان يخلو بغـار يتحنث فيـه وهو التعبد الليـالي أُولات العـدد قبل أن يرجع إلى أهلـه ، ويتزوّد لـذلـك ثم يرجع إلى خـديجـة فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق ، وهو في غار حراء ، فجاءه الملـك فقـال : اِقرأ فقـال : مـا أنـا بقارئ قال : فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال [٢٦] : اقرأ ، قلت : ما أنـا بقارئ ، فأخذني فغطني الثانية ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ ، فأخذني فغطني الثالثـة حتى بلغ مني الجهـد ، ثم أرسلني فقـال : ﴿ اِقْرَأْ بـاسْمِ رَبِّـكَ الَّـذيْ خَلَق ☆ خَلَـقَ الإنْسَـانَ مِنْ عَلَـقٍ ☆ اِقْرَأْ وَرَبُّـكَ الأَكْرَمُ ☆ الَّـذيْ عَلَّمَ بِـالْقَلَمِ ☆ عَلَّمَ الإنْسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ ﴾[4] ، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره[5] حتى دخل على خـديجـة

---

(١) موضع بمكة يلي الصفا . ويقال فيه أيضاً جياد . معجم البلدان .

(٢) فوق لفظتي « محمد » في الأصل « صح » .

(٣) سورة النجم ٥٣ / ١ ، ٢

(٤) سورة العلق ٩٦ / ١ ـ ٦

(٥) بوادره : ج بادره : وهي لحمة بين المنكب والعنق . النهاية واللسان : « بدر » .

فقال : زملوني . فزمّلوه حتى ذهب عنه الرّوع ثم قال لخديجة : أي خديجة مالي ؟ وأخبرها الخبر ، فقال : لقد خشيت على نفسي ، فقالت له خديجة : كلا ، أبشرْ واللهِ لا يخزيك الله أبداً ، والله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكَلّ ، وتكسب المعدم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق ، فانطلقت خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ، وهو ابن عمّ خديجة أخي أبيها ، وكان امرأ تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ويكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي : ابن عمّ ، اسمع من ابن أخيك ، فقال ورقة بن نوفل : يابن أخي ، ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي أنزل على موسى .

ياليتني فيها جَذَعٌ[1]

ياليتني أكون حياً حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ : أوَمخرجيّ هم ؟ فقال ورقة بن نوفل : نعم ، لم يأت رجل قطّ بما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني قَوْمك[2] أنصرك نصراً مؤزراً ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي . وفتر الوحي فترة ، حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا ، فغدا من أهله مراراً لكي يتردى من رؤوس شواهق الحرم ، فكلما أوفى ذروة جبل لكي يلقي نفسه تبدّى له جبريل فقال : يا محمد إنك رسول الله حقاً [٢٧] فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه ويرجع ، فإذا طال عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى على ذروة جبل تبدّى له جبريل فقال له : مثل ذلك .

قال جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه :

فبينا أنا أمشي سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالساً على كرسي بين السماء والأرض . قال رسول الله ﷺ فجُئِثْتُ[3] منه فرقاً ، فرجعت

---

(١) في الأصل : « جدعا » ، خطأ . والجذع : الصغير السن . يريد : ليتني أكون شاباً حين تظهر نبوته حتى أبالغ في نصرته . اللسان : « جذع » .

(٢) قام قوْماً وقياماً . اللسان : « قوم » .

(٣) أي فزعت منه وخفت ، وفي رواية أخرى : فجثثت منه بالمعنى ذاته أو بمعنى قلعت من مكاني . اللسان والنهاية : « جأث وجثث » .

فقلت : زملوني زملوني ، فدثروني ، فأنزل الله تعالى ﴿ يا أيُّها المدَّثِّرْ ☆ قُمْ فَأَنْذِرْ ☆ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ☆ وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ ☆ والرُّجْزَ فاهْجُرْ ☆ ﴾[1] وهي الأوثان . قال : ثم تتابع الوحي .

قال عروة بن الزبير :.

وقد كانت خديجة توفيت قبل أن تُفْرَضَ الصلاة ، فقال رسول الله ﷺ : أُريتُ لخديجةَ بيتاً من قصب لا سخب فيه ولا نصب وهو قصب اللؤلؤ .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

إنما أنا رحمة مهداة .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله بعثني رحمة مهداة ، بعثت برفع قوم وخفض آخرين .

وعن ابن عباس

في قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْناكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْن ﴾[2] قال : من آمن بالله ورسوله كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي من تعجيل ما كان يصيب الأمم قبل ذلك من العذاب والفتن والخسف والقذف .

---

(١) سورة المدثر ٧٤ / ١ ـ ٦

(٢) سورة الأنبياء ٢١ / ١٠٧

ذكر الوقت الذي أُوحي فيه إليه

ومعرفة أول ما نزل من الوحي

عن ابن جعفر قال :

نزل الملك على رسول الله ﷺ بحراء يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ، ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة ، وجبريل الذي كان ينزل عليه الوحي .

[٢٨] وعن ابن إسحاق

أنّ رسول الله ﷺ بُعث بعد بنيان الكعبة بخمس سنين ورسول الله ﷺ يومئذ ابن أربعين سنة كَمْلاً(١) .

وعن يحيى بن أبي كثير قال :

سألت أبا سلمة : أي القرآن نزل أول ؟ قال : ﴿ يا أيُّها المدَّثِّرْ ﴾ فقلت : ﴿ اقْرأ باسْم ربِّكَ ﴾ ؟ قال سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل أول ؟ قال : ﴿ يا أيُّها المدَّثِّرْ ﴾ قلت : ﴿ اقْرأْ باسْم رَبِّكَ ﴾ قال جابر : لا أحدثكم إلا ما حدثني رسول الله ﷺ قال : جاورت شهراً بحراء فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً ثلاث مرات ، ثم رفعت بصري إلى السماء فإذا هو على العرش في الهواء ، فجئثت فأتيت خديجة فأمرتهم فدثروني فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ يا أيُّها المدَّثِّرْ ﴾ .

---

(١) يقال : أعطاه المال كَمْلاً أي كاملاً ، هكذا يتكلم به في الجميع والوحدان سواء ولا يثنى ولا يجمع . اللسان والمصباح : « كمل » .

ذكر ما قاسى رسول الله ﷺ
من التعذيب والتكذيب

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

لقد أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد ، ولقد أتت عليّ ما بين ثلاثين من يوم وليلة ما لي طعام أكله إلا شيء يواريه إبط بلال .

وعن عائشة

أنها قالت لرسول الله ﷺ : هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ، وكان أشدّ ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل ابن عبد كُلال ، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقَرْن الثعالب[1] فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وما ردّوا عليك ، وقد بعث الله عز وجل إليك [٢٩] مَلك الجبال لتأمره بما شئت ، قال : فناداني ملك الجبال فسلّم عليّ ثم قال : يا محمد ، إن الله قد سمع قولك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربك إليك لتأمرني بأمرك بما شئت ، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله ﷺ : بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له .

قال عروة بن الزبير : سألت عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قلت : حدثني بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله ﷺ قال :

أقبل عليه ابن أبي مُعيْط ، ورسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة ، فلوى ثوبه في عنقه

---

(١) القرْن : جبل مطل بعرفات ، هو ميقات أهل اليمن والطائف ، يقال له : قرن المنازل وهو قرن الثعالب . معجم البلدان .

يخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه فدفعه عن رسول الله ﷺ ثم قال ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بالبَيِّنات مِنْ رَبِّكُمْ ﴾[1] .

وعن عروة قال : قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص :

ما أكثر ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله ﷺ فيما كانت تظهره من عداوته ؟ فقال : لقد رأيتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحِجْر ، فذكروا رسول الله ﷺ ، فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قطّ ، سفّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا وفرّق جماعتنا ، وسبّ آلهتنا ، فصبرنا منه على أمر عظيم ، أو كما قالوا ، فبينا هم في ذلك طلع رسول الله ﷺ فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت فغمزوه ببعض القول ، فعرفت ذلك في وجه رسول الله ﷺ ، فمضى فلما مرّ بهم الثانية غمزوه بمثلها ، فعرفتها في وجهه ، فمضى ثم مرّ الثالثة ، فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال : أتسمعون يا معشر قريش ، أما والذي نفسي بيده ، لقد جئتكم بالذّبح[2] ، فأخذتِ القومَ كلمتُه حتى ما منهم من رجل إلا وكأنما على رأسه طائر واقع ، وحتى إنّ أشدّهم فيه وَصاة قبل ذلك ليلقاه بأحسن ما يجد من القول حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما أنت بجهول [٣٠] ، فانصرف رسول الله ﷺ ، حتى إذا كان الغد اجتمعوا في الحجر وأنا معهم فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ، حتى إذا ناداكم بما تكرهون تركتموه . فبينا هم كذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد فأحاطوا به يقولون : أنت الذي تقول كذا وكذا ، لما كان يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول رسول الله ﷺ : نعم أنا الذي أقول ذلك ، ولقد رأيت رجلاً منهم أخذ بمجامع ردائه ، وقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبكي دونه ويقول وهو يبكي : ويلكم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّي اللهُ ﴾[3] ثم انصرفوا عنه وإن ذلك أكثر ما رأيت قريشاً بلغت منه قط .

وعن عثمان بن عفان قال :

أكثر ما نالت قريش من رسول الله ﷺ أني رأيته يوماً ، وذرفت عيناه حين ذكر ذلك ، قال :

---

(١) سورة غافر ٤٠ / ٢٨ .

(٢) الذّبح : الهلاك . اللسان : « ذبح » .

(٣) سورة غافر ٤٠ / ٢٨ .

كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ، ويده في يد أبي بكر رضي الله عنه ، وفي الحجر ثلاثة نفر جلوس : عقبة بن أبي مُعَيْط ، وأبو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، فمرّ النبي ﷺ ، فلما حاذى بهم أسمعوه بعض ما يكره ، فعرف ذلك في وجه النبي ﷺ ، فدنوت منه حتى وسطته ، فكان بيني وبين أبي بكر ، وأدخل أصابعه في أصابعي حتى طفنا جميعاً ، فلما حاذاهم قال أبو جهل : والله لا نصالحك ما بل بحر صوفة[1] وأنت تنهانا أن نعبد ما كان عبد آباؤنا ، فقال رسول الله ﷺ : أنا ذلك ، ثم مضى عنهم ، فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك ، حتى إذا كان الشوط الرابع ناهضوه ووثب أبو جهل يريد أن يأخذ بجمع ثوبه ، فدفعت في صدره ، فوقع على استه ودفع أبو بكر أمية بن خلف ، ودفع النبي ﷺ عقبة بن أبي معيط ، ثم انفرجوا عن رسول الله ﷺ ، وهو واقف ، ثم قال لهم : أما والله لا تنتهون حتى يحل الله عقابه عاجلاً . قال عثمان : [٣١] فوالله ما منهم رجل إلا وقد أخذه أَفْكَل[2] وهو يرتعد ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : بئس القوم أنتم لنبيكم . ثم انصرف إلى بيته ، وتبعناه خلفه حتى إذا[3] انتهى إلى باب بيته وقف على السدة ثم أقبل علينا بوجهه ، وقال : أبشروا ، فإن الله مظهر دينه ، ومتم كلمته ، وناصر نبيه ، إن هؤلاء الذين ترون ممن يذبح الله بأيديكم عاجلاً . ثم انصرفنا إلى بيوتنا ، فوالله لقد رأيتهم قد ذبحهم الله بأيدينا .

وعن أبي صخرة جامع بن شداد قال :

كان فينا رجل يقال له طارق ، قال : رأيت رسول الله ﷺ مرتين : أول مرة رأيته بسوق ذي المجاز[4] وقد دَمِيَتْ عرقوباه ، وهو على دابة يقول : يا أيها الناس ، قولوا لا إله إلا الله تفلحوا ، ورجل من خلفه يرميه يقول : لا تسمعوا منه ، هذا الكذاب . قال : قلت : من هذا المقدم ؟ قالوا : محمد ، وهذا المؤخر عمه أبو لهب . ثم قدمنا بعدُ فنزلنا قرب المدينة ، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال : ممن القوم ؟ قلنا : من محارب ، قال : من أين ؟ قلنا : من الربذة ، قال : هل معكم شيء تبيعونه ؟ قلنا : نعم ، هذا الجمل ، قال :

---

(١) ومن الأبديات قولهم : لا آتيك ما بلَّ بحرٌ صوفة ، والصوفة حيوان بحري . اللسان : « صوف » .

(٢) الأَفْكَل : الرعدة ، وهي تكون من البرد أو الخوف . اللسان : « فكل » .

(٣) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٤) ذو المجاز : موضع سوق بعرفة . معجم البلدان .

بكم ؟ قلنا : بكذا وكذا وسقاً من تمر ، قال : فأخذ برسنه ثم دخل المدينة ، قلنا : أي شيء صنعنا ؟ بعنا جملنا ممن لا نعرفه ومعنا ظعينة في جانب الحائط فقالت : لقد رأيت رجلاً كأن وجهه القمر لن يخيس بكم ، أنا ضامنة ثمن البعير . فلما كان الغد جاءنا رجل فقال : أنا رسول رسول الله ﷺ إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا وتكتالوا حتى تستوفوا . قال : ففعلنا ذلك . قال : ثم دخلت المدينة فرأيت رسول الله ﷺ قائماً يخطب على المنبر ، وهو يقول : يا أيها الناس ، اليد العليا خير من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول ، أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك أدناك . فضج ناس من الأنصار حول المنبر فقالوا : يا رسول الله ها هنا ناس من بني ثعلبة بن يربوع [٣٢] أصابوا منّا دماً في الجاهلية ، فاذن لنا بثأرنا ، قال : فرأيت رسول الله ﷺ رافعاً يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، وهو يقول : ألا لا تجني أم على ولدها .

وعن عبد الله قال :

كان رسول الله ﷺ يصلّي في ظلّ الكعبة فقال أبو جهل وناس من قريش ، وقد نحرت جزور في ناحية مكة ، فبعثوا فجاؤوا من سلاها فطرحوه بين كتفيه ، فجاءت فاطمة رضي الله عنها فطرحته عنه . فلما انصرف قال : وكان يستحب أن يدعو ثلاثاً . قال : اللهم عليك بقريش ثلاثاً ، بأبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وبأمية ابن خلف ، وعقبة بن أبي معيط .

قال عبد الله :

فلقد رأيتهم قتلى في قليب بدر .

قال أبو إسحاق أحد رواته :

ونسيت السابع .

وعن قيس بن أبي حازم أنه سمع خبّاباً يقول :

أتيت رسول الله ﷺ وهو يومئذ متوسد بُرْداً له في ظلّ الكعبة ، وقد بلغ منه المشركون شدة ومشقة ، فقلت : يا رسول الله ألا تدعو لنا ! قال : فجلس مغضَباً محمراً وجهه فقال : لقد كان مَنْ قبلكم ، كان يُمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم

أو عصب ، فلا يفتنه ذلك عن دينه ، وإن مَنْ كان قبلكم يوضع عليه المنشار فيشق باثنين فلا يفتنه ذلك عن دينه أو لا يصرفه ذلك عن دينه ولكنكم تعجلون ، وليَتِمَنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب ما بين صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل - وفي رواية - والذئب على غنمه .

وعن أنس بن مالك قال :

رُمي رسول الله ﷺ يوم أحد فكُسرت رباعيته . وأُدمي وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم عز وجل فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أو [٣٣] يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهم ظَالِمونَ ﴾[1] .

وعن أبي حازم

أنه سمع سهل بن سعد وهو يُسأل عن جرح رسول الله ﷺ قال : أنا والله ، إني لأعرف مَنْ كان يغسل جرح رسول الله ﷺ ومن كان يسكب الماء .

ومما روى قال :

كانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسله وعليّ يسكب الماء بالمجن ، فلما رأت فاطمة أنّ الماء لا يزيد الدم إلا كثرة أخذت قطعة من حصير فأحرقتها فألصقتها ، فاستمسك الدم ، وكُسرت رباعية رسول الله ﷺ يومئذ ، وجُرح وجهه ، وكُسرت البيضة على رأسه .

وكان رسول الله ﷺ بين شرّ جارين ؛ عُقبة بن أبي مُعَيط وبين أبي لهب ، فكان يصبح على بابه الأرجام والفرث ، فيدفعها بسِيَة قوسه ويقول : يا معشر قريش ، أي مجاورة هذه !

وعن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها قالت :

اجتمع مشركو قريش في الحجر فقالوا : إذا مرّ محمد ضربه كل رجل منا ضربة ، فسمعتهم فاطمة فدخلت على أبيها فقالت : يا أبه ، اجتمع مشركو قريش في الحجر فقالوا : إذا مرّ محمد ضربه كل رجل منا . فقال : يا بنية اسكتي ، ثم خرج عليهم فدخل المسجد

---

(١) آل عمران ٣ / ١٢٨

فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا فأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوههم ثم قال : شاهت الوجوه فما أصاب رجلاً منهم إلا قتل يوم بدر .

وعن ابن عباس :

في قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾[1] قال : المستهزئون : الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري ، والأسود بن المطلب أبو زمعة من بني أسد بن عبد العزّى ، والحارث بن عيطل[2] السهمي والعاص بن وائل ، فأتاه جبريل عليه السلام فشكاهم إليه رسول الله ﷺ فأراه الوليد أبا عمرو بن المغيرة فأومأ جبريل إلى أَبْجَله[3] فقال : ما صنعت ؟ قال : [٣٤] كفيته ، ثم أراه الأسود بن المطلب ، فأومأ جبريل إلى عينيه ، فقال : ماصنعت ؟ قال كُفيته ، ثم أراه الأسود بن عبد يغوث الزهري فأومأ إلى رأسه قال : ماصنعت ؟ قال : كُفيتَه ، ثم أراه الحارث بن عيطل السهمي فأومأ إلى رأسه ـ أو قال : إلى بطنه ـ فقال : ما صنعت ؟ قال : كفيته ، ومرّ به العاص بن وائل فأومأ إلى أخمصه ، قال : ما صنعت ؟ قال : كفيته ، فأما الوليد بن المغيرة فمرّ برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له ، فأصاب أبجله فقطعها ، وأما الأسود بن المطلب فعمي ، ومنهم من يقول : نزل تحت شجرة فجعل يقول : يا بني ألا تدفعون عني قد قتلت ، فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً وجعل يقول : يا بني ألا تمنعون عني قد هلكت ها هوذا ، أُطعن بالشوك في عيني فجعلوا يقولون : ما نرى شيئاً فلم يزل كذلك حتى عميت عيناه . وأما الأسود بن عبد يغوث الزهري فخرج في رأسه قروح فمات منها ، وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات منها . وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يوماً إذ دخل في رأسه شبرقة حتى امتلأت فمات منها . وقيل : فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شِبْرِقَة ـ يعني شوكة ـ فدخلت في أخمص قدمه شوكة فقتلته .

---

(١) سورة الحجر ١٥ / ٩٥

(٢) كذا في الأصل . والخلاف في أمرين الأول في اسمه : الحارث بن عيطلة والحارث بن قيس السهمي والحارث بن الطلاطلة الخزاعي والثاني هل هو من المستهزئين أم لا . انظر سيرة ابن هشام ٢ / ١٦ والإصابة ١ / ٢٨٧

(٣) الأبجل عرق في باطن الذراع ، وقيل هو عرق غليظ في الرجل فيا بين العصب والعظم . النهاية : « بجل » .

ذكر بعض ما ورد في فضله

من القرآن

عن أنس بن مالك قال :

بينا رسول الله ﷺ معنا إذ أغفى إغفاءة أو أغمي عليه فرفع رأسه مُتَبَسّماً قال : إما قالوا له ، وإما قال لهم : هل تدرون مِمّ ضحكت ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم فقرأ ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم : إنّا أَعْطَيْناكَ الكَوْثَر ﴾(1) حتى ختم السورة فلما قرأها قال : أتدرون ما الكوثر ؟ قال : فإنه نهر في الجنة وعدنيه ربي ، فيه خير كثير ، لذلك النهر حوض [٣٥] ترد عليه أمتي يوم القيامة ، آنيته عدد الكواكب فيختلج منهم العدد فأقول : رب إنه من أمتي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

قدر حوضي ما بين أَيْلَة(2) وصنعاء من اليمن ، وإنّ فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء .

وعن مجاهد قال :

الكوثر خير الدنيا والآخرة .

وعن عكرمة قال :

الكوثر الخير الكثير : النبوة والكتاب

وعن ابن عباس قال :

ما خلق الله عز وجل ولا ذرأ ولا برأ نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ وما سمعت الله

---

(1) سورة الكوثر ١٠٨ / ١

(2) قيل : هي آخر الحجاز وأول الشام . معجم البلدان .

حلف بحياة أحد غيره . قال ﴿ لَعَمرُكَ ، إنَّهُمْ في سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُون ﴾[1] وقال في حديث آخر : إنه وحياتك يا محمد وعمرك وبقائك في الدنيا إنهم لفي سكرتهم يعمهون .

وعن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال :

أتاني جبريل فقال : إنّ ربّي وربك يقول لك كيف رفع ذكرك ؟ قال : الله أعلم ، قال : إذا ذكرتُ ذكرتَ معي .

وعن أبي هريرة وأنس عن النبي ﷺ عن حديث ليلة أسري به قال :

لما انتهيت إلى سدرة المنتهى خررت ساجداً فرفعت رأسي فقلت : يا ربِّ اتخذتَ إبراهيم خليلاً ، وكلمتَ موسى تكليماً ، وآتيتَ داود زبوراً ، وآتيتَ سليمان ملكاً عظيماً ، فقال : فإني قد رفعت لك ذكرك ، فذكرك معي إذا ذكرتُ . ولا تجوز لأمتك خطبة حتى يشهدوا أنك رسولي وجعلت قلوب أمتك أناجيل ، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من تحت عرشي .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

سألت ربي عزّ وجل مسألة وددت أني لم أكنْ سألتها من قبل قلت : يا رب ، إنه كان قبلي رسلٌ منهم من كان يحيي الموتى ، ومنهم من سُخّرت له الريح ، قال : ألم أجدك ضالاً فهديتك ؟ قلت : بلى يا رب ، قال : ألم أجدك يتيماً فآويتك ؟ قلت : بلى . قال : ألم نشرح لك صدرك ؟ ألم أضع عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ؟ ألم أرفع [٣٦] لك ذكرك ؟ قلت : بلى يا ربي . وفي بعض الروايات زيادة : قال : فوددت أني لم أكثر مساءلته .

وعن ابن عباس

في قول الله عزّ وجل : ﴿ وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَك ﴾[2] قال : لا يُذْكَرُ الله عز وجل إلا ذكرتُ معه يعني النبي ﷺ .

---

(١) سورة الحجر ١٥ / ٧٢

(٢) سورة الانشراح ٩٤ / ٤

وعن قتادة قال :

رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ولا متشهّد إلاّ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

وفي حديث آخر :

ولا صاحب صلاة إلا ينادي فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

قال علي بن رباح :

كنت عند مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو يومئذ على مصر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص جالس معه ، فتمثل مَسلمة ببيتٍ من شعر أبي طالب فقال : لو أن أبا طالب رأى ما نحن فيه اليوم من نعمة الله وكرامته لعلم أن ابن أخيه سيّد ، قد جاء بخير كثير ، فقال عبد الله بن عمرو : ويومئذ كان سيداً كريماً قد جاء بخير كثير . فقال مسلمة : ألم يقل الله تعالى ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضالاً فَهدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾[1] فقال عبد الله بن عمرو : أما اليتيم فقد كان يتيماً من أبويه ، وأما العيلة فكل ما كان بأيدي العرب إلى القلة . قال أبو سعيد : يقول : إن العرب كلها كانت مقلّة ليس هو من بينهم حتى فتح الله تعالى عليه وعلى العرب الذين أسلموا ودخلوا في دين الله أفواجاً ، ثم توفاه الله قبل أن يتلبس منها بشيء ومضى وتركها وحذّر منها ومن فتنتها . قالوا : فذلك معنى قوله ﴿ عائلاً فأغنى ﴾ .

وكان الربيع بن خيثم يقول :

نعمَ المرء محمد ﷺ ، كان ضالاً فهداه الله ، وعائلاً فأغناه الله ، وشرح له صدره ، ويسّر له أمره ، ثم يقول عرف وما عرف ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله ﴾[2] فوض إليه فلا يأمر إلا بخير .

وعن أبي هريرة

أن رسول الله ﷺ سئل : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ

---

(١) سورة الضحى ٩٣ / ٦ ـ ٩

(٢) سورة النساء ٤ / ٨٠

نُوحٍ ﴾[1] [٣٧] قال : كنتُ أولهم في الخلق وآخرَهم في البعث .

وعن ابن عباس قال :

إن الله فضّل محمداً على أهل السماء وعلى الأنبياء قالوا : يابن عباس ، ما فضله على أهل السماء ؟ قال : إن الله تعالى قال لأهل السماء : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذلِكَ نَجْزِي الظَّالِمين ﴾[2] وقال الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّر ﴾[3] قالوا : يابن عباس ، فما فضله على الأنبياء ؟ قال : إن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلا بِلِسانِ قَوْمِهِ ﴾[4] وقال الله تعالى لمحمد ﷺ : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاّ كَافَةً لِلنَّاسِ بَشيراً وَنَذِيراً ﴾[5] فأرسله الله تعالى إلى الإنس والجن .

وعن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ :

أُنزلت عليَّ آية : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾[6] قال : شاهداً على أمتك ومبشراً بالجنة ونذيراً من النار وداعياً إلى شهادة أن لا إله إلا الله . بإذنه : بأمره ، وسراجاً منيراً : بالقرآن .

وعن ابن عباس :

﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴾[7] قال : الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة فذلك قوله : ﴿ فكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بشَهِيدٍ ﴾[8] .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ / ٧

(٢) سورة الأنبياء : ٢١ / ٢٩

(٣) سورة الفتح : ٤٨ ٠ ١ ـ ٢

(٤) سورة إبراهيم : ١٤ / ٤

(٥) سورة سبأ ٠ ٣٤ / ٢٨

(٦) سورة الفتح : ٤٨ / ٨

(٧) سورة البروج : ٨٥ / ٣

(٨) سورة النساء : ٤ / ٤١

وعن حسين بن علي

في قوله تعالى : ﴿ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾[1] قال : محمد ﷺ هو شاهد من الله عز وجل .

وعن ابن عمر

في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ كَمِشْكَاةٍ ﴾[2] قال : المشكاة : جوف محمد ﷺ ، والمصباح : النور الذي في قلبه ، والزجاجة : قلبه ﴿ تُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾[2] الشجرة : إبراهيم عليه السلام ﴿ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ ولا غَرْبِيَّةٍ ﴾ قال : لا يهودي ولا نصراني . ثم قرأ : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً ولا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً ﴾[3] . وقيل في قوله عز وجل : ﴿ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُم ﴾[4] قال : محمد ﷺ . ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴾[4] قال : الكتاب .

قال عبد الله بن يزيد المقرئ :

لم يَقُلْ هذا لنبي قبله ولا بعده . يعني قوله عزّ وجلّ : ﴿ عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الكَاذِبِينَ ﴾[5] فبدأ بالعفو قبل العتاب . [٣٨]

---

(١) سورة هود : ١١ / ١٧

(٢) سورة النور : ٢٤ / ٣٥

(٣) آل عمران : ٣ / ٦٧

(٤) سورة النساء : ٤ / ١٧٤

(٥) سورة التوبة : ٩ / ٤٣

ما ورد في اصطفائه على العالمين

وانتخابه من المرسلين

عن واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم .

وعن أبي هريرة قال : قال النبي ﷺ :

إن الله تبارك وتعالى اختار العرب واختار منهم كنانة ، أبو النضر بن كنانة ثم اختار منهم قريشاً ، ثم اختار منهم بني هاشم ، ثم اختارني من بني هاشم ، ﷺ .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ :

أنا سيّد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول من تنشقّ عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر ، وأنا أول شافع يوم القيامة ولا فخر . [1]وفي حديث آخر : وأنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر[1] .

وفي حديث آخر عن أبي سعيد قال : قال رسول الله ﷺ :

أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبيٍّ يومئذ[2] آدم فمن سواه إلا تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر . ألا وإن الدنيا خَضِرَة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، ألا وإن لكل غادر لواءً يوم القيامة ، ألا وإن لواءه عند استه ، ألا وإن أعظم الغدر غدر إمامٍ عامةٍ .

(١ـ١) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

(٢) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال :

أنا قائد المرسلين ولا فخر ، وأنا خاتم النبيين ولا فخر ، وأنا أول شافع ومشفّع ولا فخر .

وعن أبي هريرة قال :

أُتي رسول الله ﷺ بلحم ، فدُفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه ، فنهس منها نهسة ثم قال : أنا سيّد الناس يوم القيامة فهل تدرون لم ذلك ؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فيسمعهم الداعي ، وينفذهم البصر ، وتدنو الشمس ، فيَبلغ الناس من الغم [٣٩] والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون . قال : فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟ فيقول بعض الناس لبعض : أبوكم آدم فيقولون : يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول آدم : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، إنه نهاني عن الشجرة فعصيته ، نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح .

فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ، أنت أول الرسل إلى أهل الأرض ، وسمّاك عبداً شكوراً ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه !؟ ألا ترى ما بلغنا !؟ فيقول لهم نوح : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، وإنه كانت لي دعوة على قومي ، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى إبراهيم .

فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم ، أنت نبيّ الله وخليله من أهل[1] الأرض فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى .

فيأتون موسى فيقولون : يا موسى أنت رسول الله فضّلك الله برسالاته وكلماته على الناس فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فيقول : إن

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ، ولن يغضب بعده مثله ، وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها ، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى عيسى .

فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، أنت رسول الله وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه ، وكلمت الناس في المهد ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد [٤٠] بلغنا قال : يقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر له ذنباً ، نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ﷺ .

فيأتوني فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء ، غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخّر ، فاشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغنا ؟ فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، فيفتح الله لي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه بشيء لم يفتحه على أحد قبلي ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تُعْطَهْ ، واشفع تشفَّعْ ، فأقول : ربي أمتي أمتي ، يا رب أمتي أمتي ، يا رب أمتي أمتي ، يا رب . فيقول أو يقال : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، لما بين مصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجَر[1] ، أو كما بين مكة وبصرى .

وعن بشر بن شعاف عن عبد الله بن سلام قال :

كنا جلوساً عنده في المسجد يوم الجمعة فقال : إن أعظم أيام الدنيا عند الله عز وجلّ يوم الجمعة ، فيه خلق الله آدم ، وفيه تقوم الساعة ، وإنّ أكرم خليقة الله أبو القاسم ﷺ .

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال :

بُعثت من خير قرون بني آدم قرناً فقرناً حتى بعثت من القرن الذي كنت فيه .

وعن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال :

أنا قائد المرسلين ولا فخر ، وأنا خاتم النبيين ولا فخر ، وأنا أول شافع وأول مشفّع ولا فخر ، وفي رواية أخرى : أنا قائد المسلمين .

---

(١) هجَر : قرية قريبة من المدينة . اللسان : « هجر » .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله عز وجل أعطى موسى عليه السلام الكلام ، وأعطاني الرؤية ، وفضّلني بالمقام المحمود والحوض المورود .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله اختار [٤١] أصحابي على جميع العالَمين سوى النبيين والمرسلين ، واختار لي من أصحابي أربعة فجعلهم خير أصحابي ، وفي كلٍّ خيرٌ : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ، واختار أمتي على سائر الأمم ، فبعثني في خير قرن ثم الثاني ثم الثالث تترى ثم الرابع فرادى .

وعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ :

إني لسيّد الناس يوم القيامة غير فخر ولا رياء ، وما من الناس من أحد إلا وهو تحت لوائي يوم القيامة ينتظر الفرج ، وإن بيدي للواء الحمد ، فأمشي ويمشي الناس معه ، حتى آتي بابَ الجنة فأستفتحه ، فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد . فإذا رأيت ربي عز وجل خَرَرتُ له ساجداً شكراً له ، فيقال : ارفع رأسك وقُلْ تطع . واشفع تُشفَّع . قال : فيخرج من النار مَنْ قد احترق ، برحمة الله وبشفاعتي .

وعن حذيفة قال : قال أصحاب النبي ﷺ :

إبراهيم خليل الله ، وعيسى كلمة الله وروحه ، وموسى كَلَّمهُ الله تكليماً ، فماذا أعطيتَ يا رسول الله ؟ قال : ولد آدم كلهم تحت رايتي يوم القيامة ، وأنا أول من تُفتح له أبواب الجنة .

وعن حذيفة عن النبي ﷺ قال :

إني لسيد الناس يوم القيامة . وقال : إن قذف المحصنة ليهدم عمل مئة سنة .

وعن عبيد الله قال :

إن الله عزّ وجلّ اتخذ إبراهيم خليلاً ، وإن صاحبكم خليل الله ، إن محمداً لسيّد بني آدم يوم القيامة ، ثم قرأ ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مقاماً مَحْمُوداً ﴾[1]

---

(١) سورة الاسراء ١٧ / ٧٩

وعن عبد الله بن شقيق عن ابن أبي الجدعاء قال :

قلت : يا رسول الله ، متى جُعلتَ نبيّاً ؟ قال : وآدم بين الروح والجسد .

وعن أبي هريرة قال :

سئل النبي ﷺ متى وجبت لك النبوةُ ؟ قال : بين خلق آدم ونَفْخ الروح فيه .

وعن العباس بن عبد المطلب قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله يوم خلق الخلق جعلني في خير خلقه ، ثم حين فرّقهم جعلني في خير الفرقتين أو قال الفريقين ، ثم جعلهم قبائل فجعلني في خيرهم قبيلة ، ثم [٤٢] جعلهم بيوتاً فجعلني في خيرهم بيتاً فأنا خيرهم بيتاً وخيرهم نفساً .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرها قسماً وذلك قوله : ﴿ وَأَصْحابُ اليَمينِ ما أَصْحابُ اليَمين ﴾(١) ﴿ وأَصْحابُ الشِّمالِ ﴾(٢) وأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين . ثم جعل القسمين أثلاثاً ، فجعلني في خيرها ثلثاً ، فذلك قوله : ﴿ وَأَصْحابُ المَيْمَنَةِ ﴾(٣) ﴿ والسّابقون السابقون ﴾(٤) فأنا من السابقين ، وأنا خير السابقين . ثم جعل الأثلاث قبائل ، فجعلني في خيرها قبيلة ؛ وذلك قول الله تعالى ﴿ وَجَعَلْنَاكُم شُعوباً وَقَبائلَ لِتَعارَفوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٥) وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله عزّ وجل ولا فخر . ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ إنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البيت ، ويُطَهِّرَكُمْ تطْهيرا ﴾(٦) . زاد البيهقي وغيره : فأنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب .

---

(١) سورة الواقعة ٥٦ / ٢٧

(٢) سورة الواقعة ٥٦ / ٤١

(٣) سورة الواقعة ٥٦ /٨

(٤) سورة الواقعة ٥٦ / ١٠

(٥) سورة الحجرات ٤٩ / ١٣

(٦) سورة الأحزاب ٣٣ / ٣٣

وعن ابن عباس قال :

جلس نـاس من أصحـاب النبي ﷺ ينتظرونـه فخرج حتى إذا دنـا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حـديثهم فـإذا بعضهم يقول : عجباً إن الله اتخذ من خلقـه خليلاً فـإبراهيم خليله . وقال آخر : ماذا بـأعجب من أنـه كلم موسى تكليماً ، وقـال آخر : فعيسى كلمـة الله وروحـه ، وقـال آخر : وآدم اصطفـاه الله ، فخرج عليهم فسلّم وقـال : قـد سمعت كـلامكم وعجبكم ، إن إبراهيم خليل الله وهو كـذلـك ، ومـوسى نجيّـه وهـو كـذلـك ، وعيسى روحـه وكلمته وهو كذلـك ، وآدم اصطفـاه الله وهو كـذلـك ، ألا وأنـا حبيب الله ولا فخر ، وأنـا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحتـه آدم ومَنْ دونـه ولا فخر ، وأنـا أول شـافع وأول مشفَّع يوم القيـامـة ولا فخر ، وأنـا أول من يحرّك غلق الجنـة ولا فخر ، فيفتح الله فيـدخلنيهـا ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

[٤٣] إن جبريل عليـه السلام أتـاني فقـال: يـا محمـد ، إن الله عز وجل أمرني أن آتي مشارق الأرض ومغاربها وبرّها وبحرها وسهلهـا وجبلهـا فـآتيـه بخير أهل الـدنيـا ، فـأتيتهـا فوجدت خير أهل الدنيـا العرب ، ثم أمرني أن آتيـه بخير العرب فوجـدت خير العرب مضر ، يعني ، ثم أمرني أن آتيـه بخير مضر فوجـدت خير مضر قريش ، ثم أمرني أن آتيـه بخير قريش فوجدت خير قريش بني هاشم ، ثم أمرني أن آتيه بخير بني هاشم فوجـدت خير بني هـاشم بني عبـد المطلب ، ثم أمرني أن آتيـه بخير بني عبـد المطلب ، يعني فـوجـدتـك خير بني عبـد المطلب ، وما كنتَ في صنف من الناس إلا كانوا خيار أهل الدنيا .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : قال جبريل عليه السلام :

قَلبتُ الأرض مشـارقهـا ومغـاربهـا فلم أر رجلاً أفضل من محمـد ﷺ ، وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أبٍ أفضل من بني هاشم .

وعن عبد الله بن عمر قال :

كنا جلوساً ذات يوم بفناء رسول الله ﷺ فمرّت امرأة من بنات رسول الله ﷺ فقـال بعض القوم : هذه بنت رسول الله ﷺ . فقال أبو سفيان : إنما مثل محمـد في بني هـاشم كمثل الريحانة في وسط التين . فسمعت تلـك المرأة فـأبلغتـه رسول الله ﷺ فخرج أحسبـه مغضبـاً

فقعد على منبره فقال : ما بال أقوال تبلغني عن أقوام ، إن الله خلق سماوات سبعاً فاختار العليا فسكنها ، وأسكن سماواته مَنْ شاء من خلقه ، وخلق أرضين سبعاً فاختار العليا فأسكنها خلقه ، ثم اختار خلقه فاختار بني آدم ، ثم اختار بني آدم فاختار العرب ، ثم اختار العرب فاختارمضر ، ثم اختار مضر فاختار قريشاً ، ثم اختار قريشاً فاختار بني هاشم ، ثم اختار بني هاشم فاختارني ، فلم أزل خياراً من خيار كذا . فمن أحب العرب فبحبّي أحبهم ، ومن أبغض العرب فببُغضي أبغضهم .

[٤٤] وعن ابن عباس قال :

لم يزل الله تعالى يتقدم في النبي ﷺ إلى آدم فمن بعده ، ولم تزل الأمم تتباشر به وتستفتح به حتى أخرجه الله في خير أمة وفي خير قرن وفي خير أصحاب وخير بلد ، فأقام به ما شاء الله وهو حرم إبراهيم ثم أخرجه إلى طيبة وهي حرم محمد ﷺ فكان مبعثه من حرم إبراهيم ومهاجره إلى حرم محمد ﷺ .

وعن أنس

أن النبي ﷺ أُتي بالبراق ليلة أسرى به مُسرجاً مُلجماً . فلما أراد أن يركب استصعب عليه ، فقال له جبريل : ما يحملك على هذا ، فوالله ما ركبك أحد أكرم على الله منه ، فارفضّ البراق عرقاً - وفي رواية : وأقرّ .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

لما خلق الله آدم خبّره ببنيه ، فجعل يرى فضائل بعضهم على بعض فرأى نوراً ساطعاً في أسفلهم ، فقال : يا رب ، من هذا ؟ قال : هذا ابنك أحمد ، وهو أول وهو آخر ، وهو أول مشفّع - وفي رواية : وهو أول شافع .

وعن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال :

يُبعث الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تلٍّ ، ويكسوني ربّي حُلّةً خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود .

وعن أُبيّ بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ :

إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ، وأنا قائدهم إذا وفدوا ، وأنا خطيبهم إذا انصتوا ، وأنا شافعهم إذا حبسوا ، وأنا مبشرهم إذا أُبلسوا . لواء الكرم بيدي ، ومفاتيح الجنة بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربه ولا فخر . يطوف عليّ ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

[٤٥] اتخذ الله إبراهيم خليلاً وموسى نجياً ، واتخذني حبيباً . ثم قال : وعزّتي وجلالي لأوثرن حبيبي على خليلي ونجيي .

وعن العرباض بن سارية السلمي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إني عبد الله في أم الكتاب وخاتم النبيين وإن آدم منجدل في طينته ، وسوف أُنبئكم بذلك ، دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى عليه السلام ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات الأنبياء يَرَيْن .

وعن حذيفة بن اليمان قال :

سجد رسول الله يوماً فلم يرفع حتى ظننا أن نفسه قد قبضت فيها ، فلما رفع قال : إن ربي استشارني في أمتي ماذا أفعل بهم ؟ فقلت : ما شئت يا رب ، هم خَلْقُك وعبادُك ، فاستشارني الثانية فقلت له كذلك ، فاستشارني الثالثة فقلت له كذلك ، فقال تعالى : إني لن أخزيك في أمتك يا أحمد ، فبشرني أنّ أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إليّ : ادع تُجَبْ ، وسَلْ تُعْطَ ، فقلت لرسوله : أو معطي ربي تعالى سؤالي ؟ قال : ما أرسل إليك إلا ليعطيك . وقال : أعطاني من غير فخر ، غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، وأنا أمسي حياً صحيحاً ، وأنه أعطاني ألا يخزي أمتي ولا تُغْلَب ، وأنه أعطاني الكوثر نهراً في الجنة يسيل في حوضي ، وأنه أعطاني القوة والنصر والرعب يسعى بين يديّ شهراً ، وأنه أعطاني أني أول الأنبياء دخولاً الجنة ، وطَيَّبَ لأمتي الغنيمة ، وأحل لنا كثيراً مما شدد على من قبلنا ، ولم يجعل علينا في الدين من حرج . ولم أجد لي شكراً إلا هذه السجدة .

وعن عمرو بن قيس أن رسول الله ﷺ قال :

إن الله أدرك بي الأجل المرجو واختارني اختياراً ، فنحن الآخرون ونحن السابقون

يوم القيامة . وإني قائل قولاً غير فخر : إبراهيم خليل الله ، وموسى صفي الله ، وأنا حبيب الله ومعي لواء الحمد [٤٦] يوم القيامة ، وإن الله وعدني في أمتي ، وأجارهم من ثلاث : لا يغمهم بسَنة ، ولا يستأصلهم عدوّ ، ولا يجمعهم على ضلالة .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :

خيار ولد آدم ﷺ خمسة : نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ﷺ ، وخيرهم محمد ﷺ .

ذكر عروجه إلى السماء
واجتماعه بالأنبياء

حدث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة وكان من قومه عن نبي الله ﷺ أنه قال :

أتيت وأنا عند البيت بين النائم واليقظان فسمعت يقال : أحد الثلاثة بين الرجلين ، فانطلق بي فشرح مابين صدري إلى كذا وكذا . قال قتادة الراوي(١) : فقلت للذي معي : مايعني ؟ قال يقول : إلى أسفل بطنه ، أشار أنس بيده إلى أسفل بطنه ، فاستخرج قلبي ثم أتيت بطَست من ذهب فيها من ماء زمزم فغُسل ثم أعيد مكانه وَحُشِيَ أو كُنِزَ إيماناً وحكمة ، ثم أُتيت بدابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يقال له البراق ، يقع خطوه عند أقصى طرفه ، فحُملت عليه ، ثم انطلقت ومعي جبريل عليه السلام حتى انتهينا إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . ففتح لنا ، وقالوا مرحباً به ، ولنعم المجيء جاء ، قال : فأتيت على آدم عليه السلام ، فقلت : ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا أبوك آدم ، فسلمت عليه ، فقال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح .

ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثانية ، فاستفتح جبريل فقيل من هذا ؟ قال : جبريل ، قال : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، ففتحوا لنا ، وقالوا : مرحباً ولنعم المجيء جاء . قال : فأتيت على عيسى ويحي ابني الخالة عليهما السلام فقلت [٤٧] ياجبريل ، من هذان ؟ قال : هذان عيسى ويحي ، فسلّمت عليهما فقالا : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال :

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قال : ففتحوا لنا ، وقالوا : مرحباً ولنعم المجيء جاء . قال : فأتيت على يوسف عليه السلام . فقلت : ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا أخوك يوسف أو هذا يوسف ، قال : فسلمت عليه فقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الرابعة فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ففتحوا لنا وقالوا مرحباً به ولنعم المجيء جاء . قال : فأتيت على إدريس عليه السلام فقلت ياجبريل ، من هذا ؟ قال : هذا إدريس فسلمت عليه ، فقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم انطلقنا حتى أتينا السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ففتح لنا ، وقالوا مرحباً به ، ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على هارون عليه السلام ، فقلت : ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا هارون ، فسلمت عليه فقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح .

قال : ثم انطلقنا حتى أتينا السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل : من هذا ؟ قال جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، ففتح لنا وقالوا : مرحباً به ، ولنعم المجيء جاء ، فأتيت على موسى عليه السلام ، فقلت ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا موسى ، أو أخوك موسى ، فسلمت عليه فقال : مرحباً بالأخ الصالح والنبي الصالح . قال : فلما جاوز به بكى ، قال فنودي : مايبكيك ؟ فقال : ربي هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي .

ثم انطلقنا حتى [٤٨] أتينا السماء السابعة فاستفتح جبريل قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم ، قال : ففتح لنا ، وقالوا : مرحباً به ولنعم المجيء جاء . قال : فأتيت على إبراهيم عليه السلام فقلت : ياجبريل من هذا ؟ قال : هذا إبراهيم أو قال أبوك إبراهيم . فسلمت عليه فقال : مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح . قال : ثم رفعت لنا السدرة المنتهى فحدث نبي الله ﷺ أن نَبقها مثل قِلال هَجَر ، وإن ورقها مثل آذان الفيلة . وحدث نبي الله ﷺ أو قال :

رأيت أربعة أنهار يخرجن من أصلها . قلت : ياجبريل ماهذه الأنهار ؟ قال : أما النهران الباطنان فنهران في الجنة وأما النهران الظاهران فالنيل والفرات قال : وأوتيت بإناءَيْن أحدهما خمر والآخر لبن فعرضا عليّ ، فاخترت اللبن فقيل لي : أصبت أصاب الله بك أمتك على الفطرة ، وأمرت بخمسين صلاة كل يوم أو فرضت علي خمسون صلاة كل يوم ، فأقبلت حتى أتيت موسى فقال : بم أُمرت ؟ قلت بخمسين صلاة ، قال : فقال : إني قد بلوتُ الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة وإن أمتك لايطيقون ذلك ، فارجع إلى ربك فاسأل التخفيف لأمتك . قال : فرجعت إلى ربي عز وجل فحطّ عني خمساً فأقبلت حتى أتيت على موسى فقال : بم أُمرت ؟ قلت : بخمس وأربعين صلاة كل يوم ، قال : فقال : إني قد بلوتُ الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشدّ المعالجة ، وإن أمتك لايطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك . فما زلت أختلف بين ربي وبين موسى يحطّ عني خمساً خمساً حتى رجعت بخمس صلوات كل يوم فأتيت على موسى فقال : بم أمرت ؟ قلت : أمرت بخمس صلوات كل يوم [٤٩] فقال : إني قد بلوت الناس قبلك وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة وإن أمتك لايطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك قال : فقلت : لقد رجعت إلى ربي عز وجل حتى لقد استحييت منه ، ولكن أرضى وأسلم . قال : فنوديت أني قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ، وجعلت كل حسنة عشرة أمثالها .

وفي حديث آخر :

فلما علونا السماء الدنيا إذا رجل عن يمينه أسودة ، وعن يساره أسودة فإذا نظر قِبلَ يمينه تبسم ، وإذا نظر قبل يساره بكى . قال : مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح قال : قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم وهذه الأسودة[1] عن يمينه وشماله نسم بنيه فأهل اليمين هم أهل الجنة ، والأسودة التي عن شماله أهل النار ، فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى .

وفي آخر الحديث :

ثم انطلق بي حتى أتى بي سدرة المنتهى قال : فغشيها ألوان ماأدري ماهي . قال : ثم

---

(١) أسوِدَة : جمع قلة لسواد ، وهو الشخص لأنه يرى من بعيد أسود . النهاية واللسان : « سود » .

أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[1] اللؤلؤ وإذا ترابها المسك .

وفي رواية أخرى قال :

فركبته ـ يعني البراق ـ فسار بي حتى أتيت على بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي يربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت ، فأتاني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فأخذت اللبن فقال : اخترت الفطرة ، قال : ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا . وذكر باقي الحديث .

وفي آخره :

ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة ، وإن عملها كتبت عشراً ، ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم يكتب شيء وإن عملها كتبت سيئة واحدة .

وفي حديث آخر عند قوله في مراجعة الصلاة :

قد استحييت من ربي مما أختلف إليه . قال : فاهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام .

[٥٠] وعن أنس بن مالك قال :

لما جاء جبريل عليه السلام بالبراق إلى رسول الله ﷺ قال : فكأنها صرّت أذنيها فقال لها جبريل :مه يا براق ، فوالله إنْ ركبك مثله ، فسار رسول الله ﷺ ، فإذا هو بعجوز تانٍ[2] وقيل : تانئ على جنب الطريق ، فقال : ما هذه يا جبريل ؟ قال : سر يا محمد ، قال : فسار ما شاء الله أن يسير فإذا ثَمَّ شيء يدعوه فتنحى عن الطريق ، هلمّ يا محمد فقال له جبريل : سر يا محمد ، فسار ما شاء الله أن يسير قال : ثم لقي خلقاً من الخلق فقال : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، والسلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل : اردد السلام يا محمد ، قال : فردّ السلام ، ثم لقيه الثاني فقال له مثل مقالة الأول ، ثم لقيه الثالث فقال له مثل مقالة الأوّلَيْن ، حتى انتهى إلى بيت المقدس فعرض عليه الماء والخمر

---

(١) الجنابذ : جمع جُنْبُذَة وهي القبة . النهاية واللسان : « جنبذ » .

(٢) تنأ بالمكان : أقام . وقالوا تنافي المكان على التحميف . اللسان والنهاية : « تنأ » .

واللبن فتناول رسول الله ﷺ اللبن ، فقال له جبريل عليه السلام : أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقتَ وغرقت أمتك ، ولو شربت الخمر لغويتَ وغوت أمتك .

ثم بُعث له آدم عليه السلام ومن دونه من الأنبياء فأتاهم رسول الله ﷺ تلك الليلة . ثم قال له جبريل : أما العجوز التي رأيت تانٍ أو تانئ على جنب الطريق ، فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من تلك العجوز ، وأما الذي أراد أن تميل إليه فذلك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلموا عليك فذلك إبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليهم وسلم .

وفي حديث عند انتهائه إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال :

فأوحي إليّ اختر إن شئت نبياً ملكاً وإن شئت نبياً عبداً ، قال : نبياً عبداً .

حدث أبو عبيدة قال : قال رسول الله ﷺ :

أتاني جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل فحملني عليه ثم انطلق يهوي بنا . كلما صعد عقبه استوت رجلاه كذلك مع يديه وإذا هبط [٥١] استوت يداه مع رجليه حتى إذا مررنا برجل طوال سبط آدم كأنه من رجال أزد شَنوءة وهو يقول ويرفع صوته ويقول : أكرمته وفضلته ، فدفعنا إليه فسلمنا عليه فردّ السلام فقال : من هذا معك يا جبريل ؟ قال : هذا أحمد . فقال : مرحباً بالنّبي الأمي العربي الذي بلّغ رسالة ربه ونصح لأمته . قال : ثم اندفعنا فقلت : من هذا يا جبريل ؟ فقال : هذا موسى بن عمران قال : قلت : ومن يعاتب ؟ قال : يعاتب ربه فيك قال : قلت : ويرفع صوته على ربه !!؟ قال : إن الله قد عرف له حدته . قال : ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها السرج تحتها شيخ وعياله . قال : فقال لي جبريل : اغد إلى أبيك إبراهيم . قال : فدفعنا إليه فسلمنا عليه فردّ السلام وقال إبراهيم : يا جبريل من هذا معك ؟ قال : هذا ابنك أحمد ، قال : فقال : مرحباً بالنبي الأميّ الذي بلّغ رسالة ربه ونصح لأمته ، يا بني إنك لاقٍ ربك الليلة وإن أمتك آخر الأمم وأضعفهم ، فإن استطعت أن تكون حاجتك أوجلها في أمتك فافعل . قال : ثم اندفعنا حتى انتهينا إلى المسجد الأقصى فنزلت وربطت الدابة بالحلقة التي في باب المسجد التي كانت الأنبياء تربط بها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين من بين قائم وراكع

وساجد ، قال : ثم أُتيت بكأسين من عسل ولبن ، فأخذت اللبن فشربته فضرب جبريل منكبي وقال : أصبت الفطرة ورب محمد . قال : ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ثم انصرفنا فأقبلنا .

وعن عبد الله قال :

لما أُسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى ، وهي في السماء السابعة أو السادسة ، إليها ينتهي ما يخرج من تحتها فيقبض منها ، وإليها ينتهي ما هبط من فوقها فيقبض منها ﴿ إذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشَى ﴾[1] قال : فراش من ذهب ، فأعطي رسول الله ﷺ ثلاثاً : [٥٢] أعطي الصلوات الخمس ، وأعطي خواتيم سورة البقرة ، وغفر لمن لا يشرك بالله من أمته شيئاً المُقْحِمات[2] .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ :

أنه قال له أصحابه : يا رسول الله ، أخبرنا عن ليلة أُسري بك فيها قال : قال الله عزّ وجل : ﴿ سُبْحانَ الذي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إلى المَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذي بارَكْنا حَوْلَهُ ﴾[3] الآية . قال : فأخبرهم قال :

بينما أنا نائم عشاء في المسجد الحرام إذ أتاني آتٍ فأيقظني فاستيقظت فلم أر شيئاً ثم عدت في النوم ، ثم أيقظني فاستيقظت ، فلم أر شيئاً ، ثم عدت في النوم ، ثم أيقظني فاستيقظت فلم أر شيئاً ، فإذا أنا بكهيئة خيال فاتبعته ببصري حتى خرجت من المسجد فإذا أنا بدابة أدنى شبهة بدوابكم هذه ، بغالكم هذه مضطرب الأذنين ، يقال له البراق ، وكانت الأنبياء صلوات الله عليهم تركبه قبلي يقع حافره مَدَّ بصره فركبته ، فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داعٍ عن يميني : يا محمد انظرني أسألك ، يا محمد[4] انظرني أسألك ، فلم أجبه ولم أقم عليه .

---

(١) سورة النجم : ٥٣ / ١٦

(٢) أي الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار أي تلقيهم فيها . النهاية واللسان : « قحم » .

(٣) سورة الإسراء : ١٧ / ١

(٤) استدرك النداء في هامش الأصل .

فبينما أنا أسير عليه إذ دعاني داع عن يساري : يا محمد انظرني أسألك ، يا محمد انظرني أسألك فلم أجبه ولم أقم عليه .

فبينما أنا أسير عليه إذا أنا بامرأة حاسر عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله ، فقالت : يا محمد انظرني أسألك ، فلم ألتفت إليها ، ولم أقم عليها .

حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتي بالحلقة التي كانت الأنبياء توثقها به ، فأتاني جبريل عليه السلام بإناءَيْن أحدهما خمر والآخر لبن ، فشربت اللبن وتركت الخمر فقال جبريل : أصبت الفطرة ، فقلت : الله أكبر الله أكبر ، فقال جبريل : ما رأيت في وجهك هذا ؟ قال : فقلت : بينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يميني ، يا محمد انظرني اسألك فلم أجبه ، ولم أقم عليه فقال : ذلك داعي اليهود أما إنك لو [٥٣] أجبته أو وقفت عليه لتهوّدت أمتك . قال : وبينما أنا أسير إذ دعاني داع عن يساري فقال : يا محمد انظرني أسألك ، فلم ألتفت إليه ، ولم أقم عليه ، قال : ذاك داعي النصارى ، أما إنك لو أجبته لتنصّرت أمتك . قال : فبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها عليها من كل زينة خلقها الله تقول : يا محمد انظرني أسألك ، فلم أجبها ، ولم أقم عليها قال : تلك الدنيا ، أما إنك لو أجبتها أو أقمت عليها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة .

قال : ثم دخلت أنا وجبريل عليه السلام بيت المقدس فصلّى كل واحد منا ركعتين ، ثم أُتيت بالمعراج الذي تعرج عليه أرواح بني آدم فلم ير الخلائق أحسن من المعراج ، ما رأيتم الميت حين يشق بصره طامحاً إلى السماء ، فإنما يشق بصره طامحاً إلى السماء عجبه بالمعراج .

قال : فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا بملك يقال له إسماعيل وهو صاحب سماء الدنيا وبين يديه سبعون ألف ملك ، مع كل ملك جنده مئة ألف ملك ، قال : وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنودَ رَبِّكَ إلاَّ هُوَ ﴾(1) فاستفتح جبريل باب السماء قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد بعث إليه ؟ قال : نعم . فإذا

---

(١) سورة المدثر : ٧٤ / ٣١

أنا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين فيقول : روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين .

ثم مضيت هنية فإذا أنا بأخونة - يعني بالخوان المائدة التي يؤكل عليها - عليها لحم مشرح ليس يقربها أحد وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح ونتن ، عندها أناس يأكلون منها قلت : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ فقال : هؤلاء [٥٤] من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام .

قال : ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت . كلما نهض أحدهم خرّ يقول : اللهم لا تقم الساعة ، قال : وهم على سابلة آل فرعون ، قال : فتجيء السابلة فتطأهم . قال : فسمعتهم يضجون إلى الله عز وجل ، وقلت : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا ﴿ لا يَقُومُونَ إلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ ﴾[1] .

قال : ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل قال : ينفخ على أفواههم ويلقمون ذلك الحجر ثم يخرج من أسافلهم ، فسمعتهم يضجون إلى الله فقال : قلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء أمتك ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمَاً إنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾[2] .

قال : ثم مضيت هنية فإذا أنا بنساء يعلقن بثُديهن ، فسمعتهن يضجون إلى الله عز وجل قلت : يا جبريل من هؤلاء النساء؟ قال : هؤلاء الزناة من أمتك .

قال : ثم مضيت هنية فإذا أنا بأقوام يُقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال له : كُلْ ما كنت تأكل من لحم أخيك . قلت : يا جبريل ، مَن هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الهمّازون من أمتك اللمّازون .

ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا أنا برجل أحسن ما خلق الله قد فضل على الناس

---

(١) سورة البقرة ٢ / ٢٧٥

(٢) سورة النساء ٤ / ١٠

بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب قلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلّم علي .

ثم صعدت إلى السماء الثالثة فإذا أنا بيحيى وعيسى عليهما السلام ومعهما نفر من قومهما فسلمت عليهما وسلما علي .

ثم صعدت إلى السماء الرابعة فإذا أنا بادريس قد رفعه الله مكاناً علياً فسلمت عليه وسلم عليّ .

قال : ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون عليه السلام ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء تكاد [٥٥] لحيته تضرب سوءته من طولها . قلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا المحبب في قومه هذا هارون بن عمران ، ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلّم عليّ .

ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر لو كان عليه قمصان لنفذ شعره دون القميص ، فإذا هو يقول : يزعم الناس أني أكرم على الله من هذا . بل هو أكرم على الله مني قال : قلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أخوك موسى بن عمران قال : ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلّم علي .

ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن ساند ظهره إلى بيت المعمور كأحسن الرجال فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم خليل الرحمن ومعه نفر من قومه فسلمت عليه وسلّم علي .

وإذا أنا بأمتي شطرين ، شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس ، وشطر عليهم ثياب رُمد ، قال : فدخلت البيت المعمور ودخل معي الذين عليهم الثياب البيض وحُجب الآخرون الذين عليهم ثياب رمد ، وهم على خير . فصليت أنا ومن معي في البيت المعمور ثم خرجت أنا ومن معي . قال : والبيت المعمور يصلّي فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة .

ثم رفعت إلى السدرة المنتهى فإذا كل ورقة فيها تكاد أن تغطي هذه الأمة ، وإذا فيها عين تجري يقال لها سلسبيل فينشق منها نهران أحدهما الكوثر والآخر يقال له نهر الرحمة ،

فاغتسلت فيه فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر .

ثم إني رفعت إلى الجنة فاستقبلتني جارية ، فقلت : لمن أنت ؟ قالت : لزيد بن حارثة ، وإذا أنا بأنهار ﴿ من ماءٍ غيرِ آسنٍ وَأَنْهار من لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وأَنْهار مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشاربين وأَنْهار مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾[1] وإذا رمانها كأنه الدلاء عظماً ، وإذا أنا بطيرها كأنها [٥٦] بُخْتكم[2] هذه . فقال عندها ﷺ وعلى جميع الأنبياء : إن الله قد أعدّ لعباده الصالحين ما لا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر .

قال : عُرضت عليّ النار فإذا فيها غضب الله وزجره ونقمته لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها ثم أغلقت دوني .

ثم إني رفعت إلى السدرة المنتهى فتغشى[3] لي ، وكان بيني وبينه قاب قوسين أو أدنى قال : ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة . قال : وقال : فرضت علي خمسون وقال : لك بكل حسنة عشرة ، إذا هممت بالحسنة فلم تعملها كتبت لك حسنة وإذا عملتها كتبت لك عشراً ، وإذا هممت بالسيئة فلم تعملها لم يكتب عليك شيء فإن عملتها كتبت عليك سيئة واحدة .

ثم رفعت إلى موسى عليه السلام فقال : ما أمرك ربك ؟ قلت بخمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك فإن أمتك لا يطيقون ذلك ومتى لا تطقه تكفر ، فرجعت إلى ربي فقلت : يا رب خفف عن أمتي فإنها أضعف الأمم ، فوضع عني عشراً وجعلها أربعين ، فما زلت أختلف بين موسى وربي كلما أتيت عليه قال لي مثل مقالته حتى رجعت إليه فقال لي بم أمرت ؟ فقلت : أمرت بعشر صلوات قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فرجعت إلى ربي فقلت : أي رب ، خفف [عن][4] أمتي فإنها أضعف الأمم فوضع خمساً وجعلها خمساً . فناداني ملك عندها : تمت فريضتي وخففت عن عبادي فأعطيتهم بكل حسنة عشرة أمثالها ثم رجعت إلى موسى فقال : بم أُمرت قلت : بخمس

---

(١) سورة محمد ٤٧ / ١٥

(٢) البُخت : الإبل الخراسانية . وهي جمال طوال الأعناق . واللسان : « بخت » .

(٣) فوق اللفظة في الأصل إشارة إلى الهامش حيث كتب حرف « ط » .

(٤) الاستدراك عن ابن عساكر .

صلوات ، قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف فإنه لا يؤودهُ شيء فسله التخفيف لأمتك فقلت : رجعت إلى ربي حتى استحييت .

ثم أصبح بمكة يخبرهم بالعجائب [ويقول][1] إني رأيت البارحة بيت المقدس وعرج بي إلى [٥٧] السماء ورأيت كذا ورأيت كذا فقال أبو جهل بن هشام : ألا تعجبون مما يقول محمد ، يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس ثم أصبح فينا ، وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومنقلبة شهراً فهذا مسيرة شهرين في ليلة واحدة قال : فأخبرهم بعير لقريش : لما كنت في مَصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا ، وإنها نفرت . فلما رجعت رأيتها عند العقبة ، فأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا ومتاعه كذا وكذا ، فقال أبو جهل : يخبرنا بأشياء ، فقال رجل من المشركين : أنا أعلم الناس ببيت المقدس وكيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل ، فإن يكن محمد صادقاً فسأخبركم وإن يك كاذباً فسأخبركم ، فجاءه ذلك المشرك فقال : يا محمد أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرني كيف بناؤه وكيف هيئته وكيف قربه من الجبل ؟ قال : فرُفع لرسول الله ﷺ بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته [وجعل يقول][1] : بناؤه كذا وكذا وهيئته كذا وكذا وقربه من الجبل كذا وكذا فقال الآخر : صدقت فرجع إلى أصحابه فقال: صدق محمد فيما قال أو نحواً من هذا الكلام .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال :

في هذه الآية : ﴿ سُبْحَانَ الَّذي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً من المَسْجِدِ الحَرام إلى المَسْجِدِ الأقْصى ﴾[2] قال : أُتي بفرس فحمل عليه ، قال : كان خطوه منتهى أقصى بصره فسار وسار معه جبريل عليه السلام فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم ، كلما حصدوا عاد كما كان فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المهاجرون في سبيل الله ، يضاعف الله لهم الحسنة بسبع مئة ضعف وما انفصم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين .

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتّر عنهم [٥٨] من ذلك شيء فقال : يا جبريل ، من هؤلاء ؟ قال : قال : هؤلاء الذين تتثاقل

---

(١) الاستدراك عن ابن عساكر

(٢) سورة الإسراء ١٧ / ١

رؤوسهم عن الصلاة . قال : ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع ، وعلى أدبارهم رقاع . يسرحون كما تسرح الأنعام ، عن الضريع والزقوم . ووصف جهنم وحجارتها قال : ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين لا يؤدون الصدقات عن أموالهم وما ظلمهم الله وَمَا الله بظَلَّامٍ لِلْعَبد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم في قدر نضيج طيب ولحم آخر خبيث ، فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون النضيج الطيب فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هو الرجل يقوم وعنده امرأة حلال طيب فتأتي امرأة خبيثة فتبيت معه حتى يصبح .

ثم أتى على خشبة على الطريق لا يمرّ بها شيء إلا قصعته يقول الله تعالى ﴿ وَلا تَقْعُدوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُون ﴾[1] .

ثم مرّ على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد أن يزيد عليها قال : يا جبريل ما هذا ؟ قال : هذا رجل من أمتك عليه أمانة لا يستطيع أداءها وهو يزيد عليها .

ثم أتى على قوم تُقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد . كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شيء قال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء خطباء الفتنة .

ثم أتى على حجر صغير يخرج منه نور عظيم ، فجعل النور يريد أن يدخل من حيث خرج ولا يستطيع . قال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد أن يردها ولا يستطيع .

ثم أتى على واد فوجد ريحاً باردة طيبة ووجد ريح المسك وسمع صوتاً فقال : يا جبريل ما هذه الريح الباردة الطيبة ؟ وريح المسك ؟ وما هو الصوت ؟ قال هذا صوت الجنة تقول : يا ربّ ائتني بأهلي وبما وعدتني فقد كثر غرفي وحريري وسندسي واستبرقي وعبقريّ ولؤلؤي ومرجاني وفضتي وذهبي وأباريقي ، وقواريري ، وعسلي وخمري

---

(١) سورة الأعراف ٧ / ٨٦

ولبني ، فائتني بما وعدتني فقال : لك كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة ومن [٥٩] آمن بي ورسلي وعمل صالحاً ولم يشرك بي شيئاً ولم يتخذ من دوني أنداداً ، ومن خشيني أمنته ، ومن سألني أعطيته ومن أقرضني جزيته ، ومن توكل عليّ كفيته ، أنا الله لا إله إلا انا لا أخلف الميعاد ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾(١) إلى قوله ﴿ تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ ﴾ قالت : قد رضيت .

ثم أتى على واد سمع صوتاً منكراً فقال : يا جبريل ما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول : ائتني بأهلي وما وعدتني فقد كثر سلاسلي وأغلالي وسعيري وزقومي وحميمي وحجارتي وغسّاقي وغسليني ، وقد بعد قعري واشتد حرّي ، فائتني بما وعدتني فقال : لك كل مشرك ومشركة وكافر وكافرة ، وكل خبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب . قالت : قد رضيت .

قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى صخرة ثم دخل فصلّى مع الملائكة فلما قضيت قالوا : يا جبريل من هذا معك ؟ قال : محمد رسول الله وخاتم النبييّن قالوا : وقد أرسل ؟ قال : نعم . قالوا : حيّاه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء .

قال : ثم أتى أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم . قال : فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد لله الذي اتخذ ابراهيم خليلاً ، وأعطاني ملكاً عظيماً ، وجعلني أمة قانتاً يؤتم بي ، وأنقذني من النار وجعلها عليّ برداً وسلاماً .

قال : ثم إن موسى أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي كلمني تكليما ، واصطفاني برسالته وكلماته ، وقرّبني إليه نجيّاً ونزّل عليّ التوارة ، وجعل هلاك فرعون على يدي ، ونجّى بني إسرائيل على يدي .

قال : ثم إن داود أثنى على ربه فقال : الحمد الله الذي خوّلني ملكاً ، وأنزل عليّ الزّبور وألان لي الحديد ، وسخّر لي الطير والجبال ، وآتاني الحكمة وفصل الخطاب .

---

(١) سورة المؤمنون ٢٣ / ١ ـ ١٤

ثم إن سليمان أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي سخّر لي الرياح والجن والانس ، وسخّر لي الشياطين يعملون ما [٦٠] شئت ﴿ من محاريب وتماثيل ﴾[1] . .الخ الآية . وعلمني منطق الطير ، وأسال لي عين القطر وأعطاني ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي .

ثم إن عيسى بن مريم أثنى على ربه فقال : الحمد لله الذي علمني التوراة والانجيل وجعلني أبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى باذنه ، ورفعني وطهرني من الذين كفروا فأعاذني وأمي من الشيطان الرجيم فلم يكن للشيطان علينا سبيل .

ثم إن محمداً عليه السلام أثنى على ربه فقال : كلهم أثنى على ربه وأنا مثن على ربي فقال : الحمد الله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وأنزل عليّ القرآن فيه تبيان لكل شيء ، وجعل أمتي خير الأمم ، وجعل أمتي أمة وسطاً ، وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون ، وشرح صدري ووضع عني وزري ، ورفع لي ذكري ، وجعلني فاتحاً وخاتماً .

فقال إبراهيم : بهذا فَضَلَكم محمد .

قال : ثم أتي بآنية ثلاث مغطاة أفواهها فأتي بإناء منها فيه ماء فقيل له : اشرب فشرب منه يسيراً ثم رُفع إليه إناء آخر فيه لبن فشرب منه حتى روي ثم رُفع إليه إناء آخر فيه خمر فقال : قد رويت ولا أريده . فقيل له : قد أصبت أما إنه ستُحَرَّم على أمتك . ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل .

قال : ثم صعد به إلى السماء . فذكر الحديث بنحوٍ مما تقدم إلى أن قال :

ثم صعد إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل ، فقيل : من هذا ؟ قال : محمد قال : وقد أرسل ؟ قال : نعم قالوا : حيّاه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء .

فإذا برجل شمط جالس على كرسي عند باب الجنة ، وعنده قوم بيض الوجوه وقوم سود الوجوه وفي ألوانهم شيء ، فأتوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا منه وقد خلص من أنوارهم شيء ، ثم إنهم أتوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا وقد خلص من ألوانهم شيء ثم دخلوا النهر [٦١] الثالث فخرجوا وقد خلصت ألوانهم مثل ألوان أصحابهم فقال : يا جبريل من هؤلاء

---

(١) سورة سبأ ٣٤ / ١٣

بيض الوجوه وهؤلاء الذين في ألوانهم شيء فدخلوا النهر فخرجوا وقد خلصت ألوانهم ؟ فقال : هذا أبوك إبراهيم هو أول رجل شمط على سطح الأرض ، وهؤلاء بيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم قال : وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء ﴿ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحَاً وَآخَرَ سَيِّئاً ﴾[1] فتابوا فتاب الله عليهم ، وأما النهر الأول فرحمة الله ، وأما النهر الثاني فنعمة الله ، وأما النهر الثالث ﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً ﴾[2] .

ثم انتهى إلى السدرة المنتهى . فقيل لي : هي السدرة إليها ينتهي كل أحدٍ من أمتك ويخرج من أصلها : ﴿ أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفَّى ﴾[3] قال : وهي شجرة يسير الراكب في أصلها مئة عام ما يقطعها . وإن الورقة منها مغطية الخلق ، قال : فغشيها نور الخالق وغشيتها الملائكة فكلمه ربّه عند ذلك قال له : سل . قال : إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكاً عظيماً ، وكلمت موسى تكليماً ، وأعطيت داود ملكاً عظيماً وألنت له الحديد وسخّرت له الجبال ، وأعطيت سليمان ملكاً عظيماً وسخرت له الجبال والجن والإنس وسخرت له الشياطين والرياح وأعطيته ملكاً عظيماً لا ينبغي لأحد من بعده ، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموت بإذنك وأعذته وأمه من الشيطان فلم يكن له عليهما سبيل . فقال له ربه : قد اتخذتك خليلاً قال : وهو مكتوب في التوراة خليل الرحمن . وأرسلناك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً ، وشرحتُ لك صدرك ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرتَ معي - يعني بذلك الأذان - وجعلت [٦٢] أمتك خير أمة أخرجت للناس ، وجعلت أمتك وسطاً وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون ، وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أناجيلهم لا تجوز عليهم خطيئة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي ، وجعلتك أول البشر خلقاً وآخرهم مبعثاً وآتيتك سبعاً من المثاني لم أعطها نبياً قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم أعطها نبياً قبلك ، وجعلتك فاتحاً وخاتماً .

---

(١) سورة التوبة ٩ / ١٠٢

(٢) سورة الإنسان ٧٦ / ٢١

(٣) سورة محمد ٤٧ / ١٥

قال : وقال النبي ﷺ :

فضلني ربي : أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيراً ونذيراً وألقى في قلوب عدوي الرعب مني مسيرة شهر ، وأحل لي الغنائم ولم تُحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض كلها مسجداً وطهوراً ، وأوتيت فواتح الكلام وخواتيمه وجوامعه ، وعرضت عليّ أمتي فلم يخف عليّ التابع والمتبوع ، ورأيتهم أتوا على قوم ينتعلون الشعر ، ورأيتهم أتوا[1] على قوم عراض الوجوه صغار الأعين كأنما خزمت أعينهم بالمِخْيَط فلم يخف عليّ ما هم لاقون من بعدي ، وأمرت بخمسين صلاة فرجعت إلى موسى ... فذكر الحديث بمعنى ما تقدم غير أنه قال في آخره :

قال : فقيل له : اصبر على خمس فإنها تجزئ عنك بخمسين ، كل خمس بعشرة أمثالها قال : فكان موسى اشتد عليه[2] حين مرّ به ، وخبرهم حين رجع إليه .

وعن أبي بكر بن عبد الله بن أبي سبرة وغيره من رجاله قالوا :

وكان رسول الله ﷺ يسأل ربّه أن يريه الجنة والنار ، فلما كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من شهر رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً ورسول الله ﷺ نائم في بيته ظهراً أتاه جبريل وميكائيل فقالا : انطلق إلى ما سألت إليه ، فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم فأُتي بالمعراج . فإذا هو أحسن شيء منظراً [٦٣] فعرجا به إلى السماوات سماء سماء فلقي فيها الأنبياء ، وانتهى إلى سدرة المنتهى وأُري الجنة والنار .

قال رسول الله ﷺ :

ولما انتهيت إلى السماء السابعة لم أسمع إلا صريف الأقلام وفرضت عليّ الصلوات الخمس فنزل جبريل فصلّى رسول الله ﷺ الصلوات في مواقيتها .

وعن أم هانئ وابن عباس وغيرهم دخل حديث بعضهم في حديث بعض قالوا :

أُسري برسول الله ﷺ ليلة سبع عشرة من شهر ربيع الأول قبل الهجرة بسنة من شعب أبي طالب إلى بيت المقدس .

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٢) في متن الأصل : « عليهم » . وقد أشير إلى هذا الخطأ بحرف ط في الهامش حيث كتب الصواب

قال رسول الله ﷺ : حُملتُ على دابة بيضاء بين الحمار وبين البغل في فخذيها جناحان تحفز بها رجليها ، فلما دنوت لأركبها شمست فوضع جبريل يده على مُعَرَّقها ثم قال : ألا تستحين يا براق مما تصنعين ، والله ما ركب عليك عبد لله قبل محمد أكرم على الله منه ، فاستحيت حتى ارفضّت عرقاً ثم أقرّت حتى ركبها فعملت بأذنيها وقبصت الأرض حتى كان منتهى وقع حافرها طرفها ، وكانت طويلة الظهر طويلة الأُذنين ، وخرج معي جبريل لا يقويني ولا أقويه حتى انتهى بي إلى بيت المقدس فانتهى البراق إلى موقفه الذي كان يقف فربطه فيه وكان مربطَ الأنبياء قبل رسول الله ﷺ .

قال : ورأيت الأنبياء جمعوا لي فرأيت إبراهيم وموسى وعيسى فظننت أنّه لا بدّ (من أن يكون)[1] لهم إمام فقدّمني جبريل حتى صليت بين أيديهم وسألتهم فقالوا : بُعثنا بالتوحيد .

وقال بعض الرواة :

فُقد النبي ﷺ تلك الليلة فتفرقت بنو عبد المطلب يطلبونه ويلتمسونه ، وخرج العباس بن عبد المطلب حتى بلغ ذا طُوى ، فجعل يصرخ : يا محمد يا محمد ، فأجابه رسول الله ﷺ لبيك ، قال : يابن أخي عنّيت قومك منذ الليلة فأين كنت ؟ قال : أتيت من بيت المقدس ، قال : في ليلتك ؟ قال : نعم قال : هل [٦٤] أصابك إلا خير ؟ قال : ما أصابني إلا خير . وقالت أم هانئ بنة أبي طالب : ما أُسري به إلا من بيتنا ، نام عندنا تلك الليلة ، صلّى العشاء ثم نام . فلما كان قبل الفجر أنبهناه للصبح فقام فلما صلّى الصبح قال : يا أم هانئ لقد صلّيت معكم العشاء كما رأيت بهذا الوادي ، ثم قد جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة معكم ثم قام ليخرج فقلت : لا تحدث هذا الناس فيكذبوك ويؤذوك ، فقال : والله لأحدثنهم فأخبرهم . فتعجبوا وقالوا : لم نسمع بمثل هذا قط . وقال رسول الله ﷺ لجبريل : يا جبريل إن قومي لا يصدقوني ، قال : يصدقك أبو بكر وهو الصديق ، وافتتن ناس كثير كانوا قد صلوا وأسلموا . وقمت في الحجر فخيّل إليّ بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن أثاثه وأنا أنظر إليه . فقال بعضهم : كم للمسجد من باب ؟ ولم أكن

---

(١) العبارة مستدركة في هامش الأصل .

عددت أبوابه فجعلت أنظر إليها وأعدها باباً باباً وأعلمهم . وأخبرتهم عن عيرات لهم في الطريق وعلامات فيها فوجدوا ذلك كما أخبرتهم . وأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾[1] قال : كانت رؤيا عين رآها بعينه .

وعن زرّ بن حُبَيش قال :

أتاني حذيفة وأنا أحدث في بيت المقدس وأنا أقول أتاه رسول الله ﷺ فصلّى فيه ، فقال حذيفة : ما اسمك يا صلع ؟ فإني أعرف وجهك ولا أدري ما اسمك ، اقرأ القرآن فقرأت : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى ﴾[2] فلم أجد فيها أنه صلّى . قال حذيفة : والله ما صلّى فيه ، ولو صلّى فيه لكتبت عليكم صلاة فيه ، كما كتب عليكم الصلاة في البيت العتيق . والله ما زايلا ظهر البراق عودهما على بدئهما حتى رجعا . يزعمون ربطه ، أو ليس الذي سخره له قادر على أن يحبسه له ، فسئل عن البراق فقال : دابة أبيض فوق الحمار خطوه مدّ البصر .

وعن عبد الله بن سعد بن زرارة [٦٥] قال : قال رسول الله ﷺ :

أسري بي في قفص من لؤلؤ فراشه من ذهب .

---

(١) سورة الإسراء ١٧ / ٦٠

(٢) سورة الإسراء ١٧ / ١

ذكر ما خصّ به وشُرّف به
من بين الأنبياء

عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

لما عرج بي إلى السماء الدنيا مررت على نهر عجّاج يطّرد مثل السهم ، أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، وحافتاه قباب من درّ مجوّف ، فضربت بيدي إلى حمأته فإذا هو مسك ، وضربت بيدي إلى رَضراضه(١) فإذا هو درّ فقلت : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك .

وعن أنس بن مالك قال :

قيل لرسول الله ﷺ : ما الكوثر الذي أعطاك ربك ؟ قال : نهر كمثل ما بين أيْلة إلى صنعاء ـ وأيلة من أرض الشام ـ آنيتُه أكثر من عدد نجوم السماء ، يرِدُه طير لها أعناق كأعناق البُخْت ، فقال عمر بن الخطاب : والله يا رسول الله إنها لناعمة ، فقال رسول الله ﷺ : أكلُها أنعَمُ منها .

وعن عُقبة بن عامر قال :

آخر ما خطب لنا رسول الله أنّه صلّى على شهداء أحد ثم رقي المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إني لكم فَرَط وأنا عليكم شهيد ، وأنا أنظر إلى حوضي الآن وأنا في مقامي هذا ، وإني والله ما أخاف أن تُشرِكوا بعدي ، ولكني أُريت أني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض ، فأخاف عليكم أن تنافَسُوا فيها .

وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال :

إن الله عزّ وجلّ يُدخل من أمتي يوم القيامة سبعين ألفاً بغير حساب ، مع كل ألف

---

(١) الرَّضراض : الحصى الصغار . اللسان : « رضّ » .

سبعون ألفاً وثلاث حَثَيات[1] ، فقال رجل : يا رسول الله ، فمَ سعة حوضك ؟ قال : ما بين عدن وعمّان . قال : وأشار بيده وأوسعُ وأوسعُ ، وفيه مَثْعَبان[2] من ذهب وفضة . قيل : يا رسول الله ، فمَ شرابه ؟ قال : أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب ريحاً من المسك ، مَن شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً ، ولن يسودّ وجهه أبداً .

[٦٦] وعن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال :

لي حوض ، طولُه ما بين الكعبة إلى بيت المقدس ، أشدُّ بياضاً من اللبن ، آنيتُه عدد النجوم ، وكل نبيّ يدعو أمته ، ولكل نبيّ حوض فمنهم من يأتيه الفئام[3] ، ومنهم من يأتيه العُصبة ، ومنهم من يأتيه النَّفر ، ومنهم من يأتيه الرجلان والرجل ، ومنهم من لا يأتيه أحد ، فيقال : قد بلغت ، وإني أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة .

وعن ابن عباس قال :

الكوثر : الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه .

قال أبو بشر : فقلت لسعيد بن جبير : فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنّة ، فقال : النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

أنا أول شفيع يوم القيامة ، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة . إن من الأنبياء لَمن يأتي يوم القيامة وليس معه مصدّق غير واحد .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

ما من نبي من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

إن لكل نبيّ يوم القيامة منبراً من نور ، وإني على أطولها وأنورها ، فيجيء المنادي

---

(١) الحَثْيَة : الغَرفة باليد . وهي هنا كناية عن الكثرة . النهاية واللسان : « حثا » .

(٢) المثعب : الحوض . اللسان : « ثعب » .

(٣) الفئام والقِيام والفيام : الجماعة من الناس . اللسان : « فأم ، فيم » .

فينادي : أين النبي - يعني فيقولون - كلنا نبيّ الله فإلى أيّنـا أرسلت ؟ فيرجع فينـادي : أين النبي الأمي العربي فينزل محمد ﷺ حتى يأتي باب الجنة ... فذكر حديث الشفاعة بطوله .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

أعطيت فواتح الكلم ، ونصرت بـالرعب ، وبينـا أنـا نـائم البـارحـة إذ أُتيت بمفـاتيـح خزائن الأرض حتى وُضِعت في يدي ، فذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثِلونها[1] ، وربما قال : تُنَفِّلونها .

وعن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ :

فُضّلنا على الناس بثلاث : [٦٧] جعلت لنا الأرض كلهـا مسجـداً ، وجعلت تربتهـا لنا طهوراً إذا لم نَجد الماء ، وجعلت صفوفنـا كصفوف الملائكـة . وأوتيتُ هؤلاء الآيـات من آخر سـورة البقرة من بيت كنز تحت العرش ، لم يعـط منـه أحـد قبلي ولا يعطى منـه أحـد بعدي .

وعن عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ أنه قال :

أُعطينـا أربعـاً لم يُعطَهنَّ أحـدٌ كان قبلنـا ، وسـألت ربي الخـامسـة فـأعطـانيهـا وهي ما هي : كان النبي يبعث إلى قرية لا يعـدوهـا وبُعِثت كافـة للنـاس ، وأرهب مني عـدوّنـا مسيرة شهر ، وجعلت الأرض لنا طهوراً ومسجداً ، وأحلّ لنا الخُمُس ولم يحلّ لأحـد قبلنـا . وسألت ربي الخامسة فأعطانيها وهي مـا هي ، سـألتـه عز وجلّ ألا يلقـاه عبـد يوحّـده إلا دخل الجنة ، فأعطانيها .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

أُعطيت خمساً لم يُعطَها نبيّ قبلي ، ولا فخر ؛ بُعثت إلى النـاس كافـة ، للأحمر والأسود وكان مَن قبلي يُبعث إلى قومه ، وأحل لكم الغَنْم وأطعمتموه ، وكان مَن قبلي يقربونـه فتجيء نار فتأكله ، ونُصرتُ بالرعب يَفرق مني العـدو على مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجـداً وطهوراً ، وأهل الكتاب لا يصلّون إلا في كنائسهم وبِيَعهم ، وأُعطيت الشفاعة ، فـادخرتهـا لأمتي يوم القيامة ، وهي نائلة منهم من مات لا يشرك بالله شيئاً .

---

(١) أي تستخرجونها ، يعني الأموال وما فتح عليهم من زهرة الدنيا . اللسان : « نثل » .

وفي حديث عن أبي موسى :

وأعطيت الشفاعة ، وإنه ليس من نبيّ إلا وقد قدم الشفاعة ، وإني أخرت شفاعتي ، جعلتها لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

أعطيت شيئاً لا أقولهنّ فخراً ، لم يُعطهنّ أحدٌ قبلي : غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، وجعلت أمتي خير الأمم ، وأحلت لي الغنائم ولم تُحلَل لأحد كان قبلي ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأعطيت الكوثر ، ونصرت بالرعب . والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب [٦٨] لواء الحمد يوم القيامة .

وفي حديث غيره :

وخُتم بي النبيّون .

وعن جابر قال : قال رسول الله ﷺ :

أُتيت بمقاليد الدنيا على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس .

وعن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ :

لما أسرى بي جبريل سمعت تسبيحاً في السماوات العلا ، فرجف فؤادي ، فقال جبريل : يا محمد ، تقدّم ولا تخف ، فإنّ اسمك مكتوب على العرش : لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وعن حذيفة بن اليمان قال :

غاب عنا رسول الله ﷺ يوماً فلم يخرج حتى ظننا أن لن يخرج . فلما خرج سجد سجدة ظننا أنّ نفسه قُبضت فيها . فلما رفع رأسه قال : إن ربي استشارني في أمتي : ماذا أفعل بهم ؟ قلت : ما شئت يا رب ، هم خلقك وعبادك ، فاستشار الثانية فقلت له كذلك . ثم استشارني فقلت له كذلك . فقال : لم أجزك في أمتك يا محمد ، وبشّرَني أن أول من يدخل الجنة نفر من أمتي سبعون ألفاً ، مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب ، ثم أرسل إليّ ربي : ادعُ تُجَبْ ، وسلْ تعطه ، فقلت لرسوله : أو يعطي ربّي سؤلي ؟ فقال : ما أرسل إليك إلا ليعطيك ، ولقد أعطاني ربي غير فخر : إنه غفر لي ما تقدم وما تأخر ، وشرح صدري ، وإنه أعطاني ألا تجوع أمتي ، ولا تغلب ، وإنه أعطاني الكوثر نهراً في الجنة

يسيل في حوضي ، وأعطاني العزّ والنصر ، وأرعب بين يدي أمتي شهراً ، وإنه أعطاني بأني أول الأنبياء دخولاً للجنة . وطيّب لي ولأمتي الغنيمة ، وأحلَّ كثيراً مما شدّد على من قبلنا ، ولم يجعل علينا في الدين من حرج ، فلم أجد أن أشكر إلا هذه السجدة .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

لما أسري بي إلى السماء قربني ربي عز وجل حتى كان بيني وبينه كقاب قوسين أو أدنى لا ، بل أدنى ، وعلّمني السمات . قال : يا حبيبي [٦٩] يا محمد ، قلت : لبيك يا رب . قال : هل غمك أنْ جعلتك آخر النبيين ؟ قلت : يا رب ، لا . قال : حبيبي ، فهل غمّ أمتك أن جعلتهم آخر الأمم ؟ قلت : يا رب ، لا . قال : أبلغ أمتك عني السلام ، وأخبرهم أني جعلتهم آخر الأمم لأفضح الأمم عندهم ، ولا أفضحهم عند الأمم .

وعن سلمان قال :

حضرت النبي ﷺ ذات يوم ، فإذا أعرابي جاء في راحل بدوي ، قد وقف علينا فسلّم فرددنا عليه ، فقال : يا قوم ، أيكم محمد رسول الله ؟ قال النبي ﷺ : أنا محمد رسول الله ، فقال الأعرابي : إني والله لقد آمنت بك قبل أن أراك ، وأحببتك قبل أن ألقاك ، وصدقتك قبل أن أرى وجهك ، ولكني أريد أن أسألك عن خصال . فقال : سل عما بدا لك ، فقال : فداك أبي وأمي ، أليس الله عز وجلّ كلّم موسى ؟ قال : بلى . قال : وخلق عيسى من روح القدس ؟ قال : بلى ، قال : واتخذ إبراهيم خليلاً واصطفى آدم ؟ قال : بلى ، قال : بأبي أنت وأمي إيش أُعطيت من الفضل ، فأطرق النبي ﷺ وهبط عليه جبريل فقال : الله يقرؤك السلام ، وهو يسألك عما هو أعلم به منك ، الله يقول : يا حبيبي ، لم أطرقت رأسك ؟ ارفع رأسك ورُدّ على الأعرابي جوابه . قال : أقول ماذا يا جبريل ؟ قال : الله يقول : إن كنتُ اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتُك من قبل حبيباً ، وإن كنتُ كلمت موسى في الأرض فقد كلمتك وأنت معي في السماء ـ والسماء أفضل من الأرض ـ وإن كنتُ خلقت عيسى من روح القدس فقد خلقتُ اسمك من قبل أن أخلق الخلق بألفي سنة ، ولقد وطئت في السماء موطئاً لم يطأه أحد قبلك ، ولا يطؤه أحد بعدك ، وإن كنتُ اصطفيت آدم فبك ختمت الأنبياء . ولقد خلقت مئة ألف نبيّ وأربعة وعشرين ألف نبيّ ما خلقت خلقاً أكرم عليّ منك . ومن يكون أكرم عليّ منك ؟ وقد أعطيتَ الحوض [٧٠] والشفاعة والناقة

والقضيب والميزان والوجه الأقمر والجمل الأحمر والتاج والهراوة والحجر والعمرة والقرآن وفضل شهر رمضان والشفاعة . كلها لك حتى ظلّ عرشي في القيامة على رأسك ممدود ، وتاج الحمد على رأسك معقود ، ولقد قرنت اسمك مع اسمي ، فلا أُذكر في موضع حتى تذكر معي ، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك عليّ ومنزلتك عندي ، ولولاك يا محمد ما خلقت الدنيا .

وعن وهب قال :

قرأت في زبور داود عليه السلام ذكر نبينا ﷺ أنه يجوز من البحر إلى البحر ، من لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، وأنه يخرّ أهل الجزائر بين يديه على ركبهم ، ويلحس أعداؤه التراب من تحت قدميه ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، لأنه يخلّص المضطهد ممن هو أقوى منه ، ويرأف بالضعفاء والمساكين ويصلّى عليه في كل وقت ويبارك عليه في كل يوم ، ويدوم ذكره مع ذكر الله عز وجل إلى الأبد .

وعن جابر قال :

بين كتفَيْ آدم مكتوب : محمد رسول الله خاتم النبيين ﷺ .

باب مختصر من دلائل نبوّته
وماظهر من بركته

عن عبد الله قال :

بينما نحن مع رسول الله ﷺ بمنى إذ انفلق القمر فِلْقَتين ، فكانت فِلْقَة من وراء الجبل وفِلْقَة دونه ، فقال رسول الله ﷺ : اشهدوا .

وفي رواية أخرى :

فقال كفار أهل مكة : هذا سحر سَحركم به ابن أبي كبشة ، انظروا السُّفّار ، فإن كانوا رأوْا مارأيتم فقد صدق . وإن كان لم يروا مارأيتم فهو سِحر سحركم به . قال : فسئل السُّفّار ، فقدموا من كل وجهة فقالوا : رأينا .

وعن أنس بن مالك

أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم [٧١] انشقاق القمر مرتين .

وعن عبد الله بن عمر

في قوله عز وجل ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾(١)

قال :

قد كان ذلك على عهد النبي ﷺ ، انشق القمر فِلْقَتين ، فِلْقَة من دون الجبل ، وفِلْقَة من خلف الجبل فقال رسول لله ﷺ اشهدوا . وقال البيهقي : اللهم اشهد .

وعن العباس بن عبد المطلب قال :

قلت : يارسول الله ، دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوّتك ؛ رأيتك في المهد

---

(١) سورة القمر ١/٥٤

تناغي القمر وتشير إليه باصبعك ، فحيث أشرتَ إليه مال . قال : إني كنت أجذبه ويجذبني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجنته تسجد تحت العرش .

وعن ابن عباس قال :

خرجت حليمة تطلب النبي ﷺ وقد وجدت البهم تقيل ، فوجدته مع أخته فقالت : في هذا الحر ؟ فقالت أخته : ياأمه ، ماوجد أخي حرّاً ، رأيت غمامة تظل عليه إذا وقف وقفت ، وإذا سار سارت معه ، حتى انتهى إلى هذا الموضع .

وعن علي بن أبي طالب قال :

كنت مع رسول الله ﷺ بمكة في بعض نواحيها خارجاً من مكة بين الجبال والشجر فلم يمرّ بشجرة ولا جبل إلا قال : السلام عليك يارسول الله .

وفي حديث آخر :

ولا على شيء إلا سلّم عليه .

وعن جابر بن سَمُرة قال : قال رسول الله ﷺ :

إن بمكة حجراً كان يسلّم عليّ ليالي بعثت . إني لأعرفه إذا مررت عليه .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

لما استعلن لي جبريل جعلت لاأمر بحجر ولا شجر إلا قال لي : السلام عليك يارسول الله .

وعن ابن عباس قال :

جاء رجل من بني عامر إلى النبي ﷺ كان يداوي ويعالج فقال له : أي محمد ، إنك تقول أشياء ، فهل لك أن أداويك ؟ قال : إيْه . قال : وعنده نخل وشجر ، قال : فدعا رسول الله ﷺ عَذقاً منها فأقبل إليه وهو يسجد(1) .

[٧٣] يارسول الله فقال لها : ارجعي ، فرجعت فجلست على عروقها وفروعها كما كانت فقال الأعرابي : يارسول الله ، ائذن لي أن أقبّل رأسك ورجليك ، فأذن له ، ثم قال : يارسول الله ، ائذن لي أن أسجد لك ، قال : لايسجُد أحد لأحد ، ولو أمرت أن يسجُد

(1) بعد هذه اللفظة تبدأ الورقة [٧٢] وهي مخرومة من الأصل .

أحد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لِعظم حقّه عليها .

وعن يعلى بن سَيَابة الثقفي قال :

كنت مع رسول الله ﷺ فإذا وَدِيَّتَيْن[1] فأمرهما فاجتمعتا ، فاستتر رسول الله ﷺ بها ، فلما قضى حاجته قال : ارجعا إلى مكانكما ، فرجعتا ، فانطلقت فأتيت رسول الله ﷺ بإداوة من ماء وتوضأ ، إذ أقبل إليه ناضح عَوْذ وريم . فلما دنا منه برك ، ثم جعل يحك بجرانه الأرض يخنّ حتى رأيت دموعه تسيل على الأرض ، فقال : هل تدري مايقول ؟ قال : يشكو إلي صاحبه يريد أن ينحره اليوم ، فادْعُه إليّ ، فدعوته ، فقال : إن بعيرك يشتكي أنك أردت أن تنحره اليوم . قال : نعم ، قال ﷺ : فلا تفعل ، قال : نعم يارسول الله . قال : وأحسِنْ إليه ، قال : لا والله يارسول الله لايُكرَم مالٌ لي[2] كرامته .

ثم انطلق إلى البقيع ، فأتى على قبرين ، فقال : يعذَّبان ، فقالوا : وفيم يارسول الله ؟ قال : في غير كبير ، أما أحدهما فكان لا يستنزهُ من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة بين الناس . ثم أخذ جريدتين فوضعها عليهما ، قال : عسى أن يُرفّه عنهما حتى ييبسا .

وعن أسامة بن زيد بن حارثة قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حجّها ، فلما هبطنا بطن الرَّوْحاء عارضت رسول الله ﷺ امرأة معها صبي لها ، فسلمت عليه ، فوقفَ عليها فقالت : يارسول الله ، هذا ابني فلان ، والذي بعثك بالحق مازال في جُنُن[3] واحد أو كلمة تشبهها [٧٤] منذ ولدته إلى الساعة ، فاكتنع[4] إليها رسول الله ﷺ ، فبسط يده فجعله بينه وبين الرحْل ، ثم تفَل في فيه ، ثم قال : اخرج عدوَّ الله فإني رسول الله ، ثم ناولها إياه ، فقال : خذيه فلن تَرَي منه شيئاً يريبك بعد اليوم إن شاء الله .

قال أسامة :

فقضينا حجّنا ثم انصرفنا . فلما نزلنا الروحاء ، فإذا تلك المرأة أمّ الصبي قد جاءت

---

(١) الوديّة : النخلة الصغيرة : اللسان : « ودي » .

(٢) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٣) الجنن : الجنون ، محذوف منه الواو . اللسان : « جنن » .

(٤) تكنّع واكتنع فلان مني : أي دنا مني . اللسان : « كنع » .

ومعها شاة مُصْلتة ، فقالت : يارسول الله ، أنا أمّ الصبي الذي أتيتك به . قالت : لا ،والذي بعثك بالحق مارأيت منه شيئاً يريبني إلى هذه الساعة

قال أسامة :

فقال لي رسول الله ﷺ ياسَيم - وهكذا كان يدعو به - يحمشه ، ناولني ذراعها ، فامتلخت الذراع ، فناولتها إياه فأكلها ثم قال : ياسَيم ، ناولني ذراعها فامتلخت الذراع فناولتها إياه فأكلها ، ثم قال : ياسَيم ، ناولني الذراع ، فقلت : يارسول الله ، إنك قد قلت : ناولني فناولتكها فأكلتها ، ثم قلت : ناولني فناولتكها ، فأكلتها ثم قلت : ناولني الذراع ، وإنما للشاة ذراعان ، فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو أهويت إليها مازلت تجد فيها ذراعاً ماقلت لك .

ثم قال : ياسَيم قم ، فاخرج فانظر هل ترى خَمَراً لمخرج رسول الله ﷺ فخرجت فمشيت حتى حسرت ، فما قطعت الناس وما رأيت شيئاً أرى أنه يواري أحداً ، وقد ملأ الناس مابين السّدّين . قال : فهل رأيت شجراً أو رجماً ، قلت : بلى ، قد رأيت نخلات صغاراً إلى جانبهنّ رَجَم من حجارة ، فقال : ياسيم ، اذهب إلى النخلات فقل لهن : يأمركنّ رسول الله ﷺ أن يلحق بعضكنّ ببعض حتى يكنّ سترة لمخرج رسول الله ﷺ ، وقل ذلك للرّجَم ، فأتيت النخلات فقلت لهنّ الذي أمرني رسول الله ﷺ ، فوالذي بعثه بالحق [٧٥] لكأني أنظر إلى تقافزهنّ بعروقهنّ وتُرابهنّ ، حتى لصق بعضهنّ ببعض ، وكنّ كأنهنّ نخلة واحدة ، وقلت ذلك للحجارة ، فوالذي بعثه بالحق لكأني أنظر إلى تقافزهنّ حجراً حجراً حتى علا بعضهنّ بعضاً ، فكنّ كأنهن جدار ، فأتيته فأخبرته فقال : خذ الإداوة فأخذتها ، ثم انطلقنا نمشي . فلما دنونا منهنّ سبقتُه فوضعت الإداوة ، ثم انصرفت إليه ، فانطلق فقضى حاجته ، ثم أقبل وهو يحمل الاداوة ، فأخذتها منه ثم رجعنا . فلما رحل للخباء قال لي : ياسَيم ، انطلق إلى النخلات فقل لهنّ : يأمركنّ رسول الله ﷺ أن ترجع كل نخلة منكنّ إلى مكانها ، وقل ذلك للحجارة ، فأتيت النخلات فقلت لهن الذي قال رسول الله ﷺ . فوالذي بعثه بالحق لكأني أنظر إلى تقافزهن[1] حجراً حجراً ، حتى عاد كل حجر إلى مكانه ، فأتيته فأخبرته ﷺ .

---

(١) يقضي سياق الخبر أن يكون الحديث عن تقافز النخلات قد سقط سهواً .

وعن عبد الله بن جعفر قال :

أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه ، فأسرّ إليّ حديثاً لاأحدث به أحداً من الناس . قال : وكان أحبّ ماستتر به رسول الله ﷺ لحاجته هَدَف[1] أو حائش[2] نخل فدخل حائط رجل من الأنصار ، فإذا جمل : فلما رأى النبي ﷺ حنّ وذرفت عيناه ، فأتاه النبي ﷺ ، فمسح سَراته[3] وذفْراه فسكن ثم قال : مَن ربُّ هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟ فجاء فتًى من الأنصار فقال : هو لي يارسول الله ، فقال : ألا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملّكك الله عزّ وجلّ إياها ؟! فإنه شكا إليّ أنك تُجيعه وتُدئبه .

وعن أبي سعيد الخدري قال :

بينما راعٍ يرعى بالحرة شاءً إذ انتهر الذئب شاة من شائه ، فحال الراعي بين الذئب والشاة ، فأقعى الذئب على ذنبه ثم قال للراعي : ألا تتقي الله ، تحول بيني [٧٦] وبين رزق ساقه الله إليّ ، فقال الراعي : العجب من الذئب مُقعٍ على ذنبه يتكلم بكلامٍ ، كلام الإنس ، فقال الذئب للراعي : ألا أحدثك بأعجب من هذا ، رسول الله ﷺ بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ماقد سبَق ، فسَاق الراعي النبأ حتى انتهى إلى المدينة فرواها في زاوية من زواياها ، ثم دخل على رسول الله ﷺ فحدثه بما قال الذئب ، فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس فقال للزاعي : حدثهم ، فقام الراعي فأخبر الناس بما قال الذئب ، فقال رسول الله ﷺ : صدق الراعي ، ألا إن من أشراط الساعة كلامَ السباع للإنس ، ويُكلم الرجل شِراك نعله ، وعَذَبة[4] سوطه ، وتخبزة فخذه بما فعل أهله بعده .

وعن المقداد بن عمرو الكندي قال :

قدمت على رسول الله ﷺ ومعي رجلان من أصحابي ، فطلبنا هل يضيفنا أحد ، فلم يضفنا أحد ، فأتينا رسول الله ﷺ فقلنا : يارسول الله ، أصابنا جوع وجهد ، وإنا تعرّضنا هل يضيفنا أحد فلم يضفنا أحد ، فدفع إلينا أربعة أعنز فقال : يامقداد ، خذ هذه فاحتلبها

---

(١) الهدف : كل بناء مرتفع مشرف . اللسان : « هدف » .

(٢) الحائش : جماعة النخل ، لاواحد له من لفظه . اللسان : « حوش » .

(٣) سَراة كل شيء : أعلاه وأوسطه وأسفله . اللسان : « سرى » .

(٤) عذبة السوط : طرفه . اللسان : « عذب » .

فجزّئها أربعة أجْزاء ، جزءاً لي ، وجزءاً لك ، وجزأين لصاحبيك ، فكنت أفعل ذلك . فلما كان ذات ليلة ، شربت جزئي ، وشرب صاحباي جزأَيْهما ، وجعلت جزء النبي ﷺ في القَعْب وأطبقت عليه ، فاحتبس النبي ﷺ ، فقلت في نفسي : إن رسول الله ﷺ قد دعاه أهل بيت من المدينة فتعشى معهم ، ورسول الله ﷺ لايحتاج إلى هذا اللبن ، فلم تزل نفسي تزيدني حتى قمت إلى القَعْب فشربت مافيه . فلما تقارّ في بطني أخذني ماقدم وما حدث ، فقالت لي نفسي : يجيء رسول الله صلى [٧٧] الله عليه وسلم وهو جائع ظمآن ، فيرفع القَعْب فلا يجد فيه شيئاً ، فيدعو عليك ، فتسجَّيتُ كأني نائم ، وما كان بي نوم ، فجاء رسول الله ﷺ فسلّم تسليمة أسمع اليقظان ، ولم يوقظ النائم ، فلما لم ير في القعب شيئاً رفع رأسه إلى السماء فقال : اللهم أطعم مَن أطعمنا ، واسق من سقانا ، فاغتنمتُ دعوة رسول الله ﷺ فأخذت الشفرة وأنا أريد أن أذبح بعض تلك الأعنز فأطعمه ، فضربت بيدي فوقعت على ضرعها فإذا هي حافل ، ثم نظرت إليهن جميعاً فإذا هن حفّل ، فحلبت في القعب حتى امتلأ ثم أتيته ، وأنا أبتسم فقال : هيه بعض سَوْآتك يامقداد ! فقلت : يارسول الله ، اشرَب ثم أخبر ، فشرب ثم شربت مابقي منه ثم أخبرته ، فقال : يامقداد ، هذه بركة كان ينبغي لك أن تعلمني حتى توقظ صاحبينا فنسقيها من هذه البركة . قال : قلت : يارسول الله ، إذا شربت أنت وأنا البركة فما أبالي من أخطأت .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال :

خرجت مع رسول الله ﷺ من مكة ، فانتهينا إلى حيّ من أحياء العرب ، فنظر رسول الله ﷺ إلى بيت مُتَنَحٍ[1] فقصد إليه . فلما نزلنا لم يكن فيه إلا امرأة ، فقالت : ياعبْدَي الله ، إنما أنا امرأة وليسَ معي أحد ، فعليكما بعظيم الحي إن أردتما القرى ، قال : فلم نُجبها وذلك عند المساء ، فجاء ابن لها بأعنز له يسوقها ، فقالت له : يابني انطلق بهذه العنز والشفرة إلى هذين الرجلين فقل لهما : تقول لكما أمي اذبحا هذه وكُلا وأطعمانا . فلما جاء قال له النبي ﷺ : انطلق بالشفرة وجئني بالقدح . قال : إنها قد غرّبت وليس لها لبن ، قال : فانطلق فجاء بقدح ، فمسك النبي ﷺ ضرعها ثم حلب حتى ملأ القدح ثم قال :

---

(١) في متن الأصل : « متنحيا » وفوقها « ضبة » واستدركت الرواية الصحيحة في الهامش وقد ضبطت بالشكل .

انطلق به إلى أمك [٧٨] فشربت حتى رويت ثم جاء به ، فقال : انطلق بهذه وجئني بأخرى ، ففعل بها كتلك ، ثم سقى الغلام ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ثم سقا أبا بكر ، ثم جاء بأخرى ففعل بها كذلك ، ثم شرب النبي ﷺ قال : فبتنا ليلتنا ثم انطلقنا ، فكانت تسمّيه المبارَك . وكثرت غنمها حتى حلبت حلباً إلى المدينة ، فمر أبو بكر فرآه ابنها فعرفه ، فقال : ياأمه ، إن هذا الرجل الذي كان مع المبارك فقامت إليه فقالت : ياعبد الله ، من الرجل الذي كان معك ؟ قال : وما تدرين من هو ؟ قالت : لا . قال : هو النبي ﷺ ، قالت : فأدخلني عليه . قال : فأدخلها عليه فأطعمها وأعطاها .

وعن نافع

أنه كان مع رسول الله ﷺ في زهاء أربع مئة رجل ، فنزل بنا على نَمير ماء ، فكأنه اشتد على الناس ، ورأوا رسول الله ﷺ نزل فنزلوا إذ أقبلت عنز تمشي ، حتى أتت رسول الله ﷺ محدّدة القرنين . قال : فحلبها رسول لله ﷺ قال : فأروى الجند وروي . قال : ثم قال : يانافع ، املكها وما أراك تملكها ، قال : فأخذت عوداً فركزته في الأرض قال : وأخذت رباطاً فربطت الشاة ، فاستوثقت منها . قال : ونام رسول الله ﷺ ، ونام الناس ، ونمت . قال: فاستيقظت ، فإذا الحبل محلول وإذا لا شاة . قال : فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته . قال : قلت : الشاة ذهبت ، فقال لي رسول الله ﷺ : يانافع ، أوما أخبرتك أنك لاتملكها ، إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها .

وعن زيد بن ارقم قال :

كنت مع رسول الله ﷺ في بعض سِكَك المدينة . قال : فمررنا بخباء أعرابي وإذا ظبية مشدودة إلى الخباء فقالت الظبية : يارسول الله ، إن هذا [٧٩] الأعرابي قد اصطادني وإن لي خِشْفَيْن[١] في البرية وقد تعقّد اللبن في أخلافي ، فلا هو يريحني فأستريح ، ولايدعني فأرجع إلى خِشْفَيّ في البرية . فقال لها رسول الله ﷺ : إن تركتك ، ترجعين ؟ قالت : نعم ، وإلا ، عذبني الله عذابَ العَشّار[٢] قال : فأطلقها رسول الله ﷺ ، فلم يلبث

---

(١) الخِشْف : الظبي أول ما يولد . اللسان : « خشف » .

(٢) العشار : آخذ العُشْر من الأموال على ما كان يأخذه أهل الجاهلية . وفي الحديث : « إن لقيتم عاشراً فاقتلوه » لكفره أو لاستحلاله أخذ العشر إن كان مسلماً . النهاية واللسان : « عشر » .

أن جاءت تلمَّظ . فشدها رسول الله ﷺ إلى الخباء ، وأقبل الأعرابي ومعه قربة ، فقال له رسول الله ﷺ : أتبيعُنيها ؟ فقال : هي لك يارسول الله ، فأطلقها رسول الله ﷺ .

قال زيد بن أرقم :

فأنا والله رأيتها تسيح في البرية وهي تقول : لاإله إلا الله محمد رسول الله ، ﷺ .

وعن علي بن أبي طالب قال :

بينما النبي ﷺ في مجلسه يحدث الناس بالثواب والعقاب ، والجنة والنار ، والبعث والنشور إذ أقبل أعرابي من بني سُليم ، بيده اليمنى عظام نخرة ، وفي يده اليسرى ضبٌ ، فأقبل بالعظام فوضعها بين يدي رسول الله ﷺ ثم عركها برجله ثم قال : يامحمد ، ترى ربّك يعيدها خلقاً جديداً ؟ فأراد النبي ﷺ جوابه ثم انتظر الإجابة من السماء فنزل جبريل على النبي ﷺ فقال : ﴿ وَضَرَبَ لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلْقَه قالَ مَنْ يُحيي العظام وَهِيَ رَمِيم قُلْ يُحييها الَّذي أنشأَهَا أوَّلَ مَرَّة وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَليم ﴾[1] فقرأها رسول الله ﷺ على الأعرابي ، فقال : واللات والعزّى ، مااشتملت أرحام النساء ولا أصلاب الرجال على ذي لَهْجة أكذب منك ولاأبغض إليّ منك ، ولولا أن قومي يدعونني عجولاً لقتلتك ، ولسَرَرْت بقتلك الأسود والأبيض من بني هاشم ، فهمّ به علي بن أبي طالب . فقال رسول الله ﷺ . ياعلي ، [٨٠] أما علمت أن الحليم كاد يكون نبياً ؟ فقال النبي ﷺ : ياأعرابي ، بئس ماجئتنا به ، وسوء ماتستقبلني به ، والله إني لمحمود في الأرض ، أمين في السماء عند الملائكة ، فقال الأعرابي : ورمى الضب في حجر رسول الله ﷺ وقال : والله لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب ، فأخذ رسول الله ﷺ بذنبه ثم قال : ياضبّ ، قال : لبيك يازين مَن وافى يوم القيامة ، قال : مَن تعبد ؟ قال : أعبدُ اللهَ الذي في السماء عرشه ، وفي الأرض سلطانه ، وفي البحر سبيله ، وفي الجنة ثوابه ، وفي النار عذابه ، قال : من أنا ؟ قال : أنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، حتى نسبه إلى إبراهيم عليه السلام ، أنت رسول الله لايُحرم من صدّقك ، وخاب من كذبك ، فولى الأعرابي وهو يضحك ، فقال رسول الله ﷺ : إنا لله وإنّا به نستهدي فرجع إليه فقال : بأبي وأمي

---

(١) سورة يس ٣٦ / ٧٨ - ٧٩

ليس الخبر كالمعاينة ، أنا أشهد بلحمي ودمي وعظامي أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله ، فقال النبي ﷺ : جئتنا كافراً وترجع مؤمناً ، هل لك من مال ؟ قال : والذي بعثك بالحق رسولاً مافي بني سُليم أفقر مني ولاأقل شيئاً مني ، فقام رسول الله ﷺ فقال : مَن عنده راحلة تحمل أخاه عليها ؟ فقام عدي بن حاتم الطائي فقال : يارسول الله ، عندي ناقة وَبْراء حمراء عشراء إذا أقبلت دفّت[1] ، وإذا أدبرت دفّت ، أهداها إلي أشعث بن وائل غداة قدمتُ معك من غزوة تبوك ، فقال النبي ﷺ : لك عندي ناقة من درّة بيضاء .

وفي حديث آخر : قال الأعرابي :

لاأتبع أثراً بعد عين ، والله لقد جئتك وماعلى ظهر الأرض أحد أبغض إليّ منك ، وإنك اليوم أحب إلي من والدي ومن عيني [٨١] ومنّي ، وإني لأحبك بداخلي وخارجي وسرّي وعلانيتي ، وأشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : الحمد لله الذي هداك بي ، إن هذا الدين يعلو ولايُعلى عليه ، ولايُقبل إلا بصلاة ، ولاتُقبل الصلاة إلا بقرآن ، قال : فعلمني ، فعلمه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾[2] قال : زدني ، فما سمعت في البسيط ولافي الوجيز أحسن من هذا ، قال : ياأعرابي ، إن هذا لَكلام الله تعالى ، ليس بشعر ، إنك إن قرأت ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَد ﴾ مرة كان لك كأجر من قرأ ثلث القرآن ، وإن قرأت مرتين كان لك كأجر من قرأ ثلثي القرآن ، وإذا قرأتها ثلاث مرات كان لك كأجر من قرأ القرآن كلّه . قال الأعرابي : نِعم الإله إلهُنا ، يقبَل اليسير ويُعطي الجزيل ، فقال رسول الله ﷺ : ألك مال ؟ قال : فقال : مافي بني سُلَيم قاطبة رجل هو أفقر مني ، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه : أعطوه ، قال : فأعطوه حتى أبطروه ، فقام عبد الرحمن بن عوف وقال : يارسول الله ، إن له عندي ناقة عُشَراء دون البُخْتيّ ، وفوق الأَغراء[3] ، تلحق ولاتُلحَق ، أُهديت إليّ يوم تبوك ، أتقرب بها إلى الله عزّ وجلّ وأدفعها إلى الأعرابي فقال رسول الله ﷺ : قد وصفت ناقتك ، فأَصِفُ ما لك عند الله تعالى يوم القيامة ؟ قال : نعم . قال : لك ناقة من درّة جوفاء ، قوائمها من زبرجد أخضر ، وعنقها من زبرجد أصفر ، عليها هودج ، وعلى الهودج السندس والاستبرق ، وتمر بك على الصراط كالبرق الخاطف ،

(١) دفّت : سارت سيراً ليناً . اللسان : « دف » .

(٢) سورة الإخلاص ١١٢ / ١

(٣) الأعراء : مفرد العراء ، ويقصر : ولد البقرة . وكل مولود غرا حتى يشتد لحمه . اللسان : « غرا » .

يغبطك بها كلّ مَنْ رآك يوم القيامة ، فقال عبد الرحمن : قد رضيت .

فخرج الأعرابي فلقيه ألف أعرابي من بني سُليم على ألف دابة ، معهم ألف سيف وألف رمح ، فقال لهم : أين تريدون ؟ قالوا : نذهب إلى هذا الذي سفّه آلهتنا فنقتله ، قال : لا تفعلوا ، أنا[1] أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فحدثهم الحديث ، فقالوا [٨٢] بأجمعهم : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم دخلوا ، فقيل لرسول الله ﷺ فتلقّاهم بلا رداء ، فنزلوا عن رَكْبهم يقبّلون حيث وَلّوا منه وهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ثم قالوا : يا رسول الله ، مُرْنا بأمرك . قال : كونوا تحت راية خالد بن الوليد ، فلم يؤمن من العرب ولا من غيرهم ألفٌ غيرهم .

وعن ابن عباس قال :

كان النبي ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد . قال : فذهب يوماً فقعد تحت شجرة فنزع خفيه ولبس أحدهما ، فجاء طير فأخذ الخف الآخر فحلّق به في السماء ، فانسكب منه أسود سالخ[2] ، فقال النبي ﷺ : هذه كرامة أكرمني الله تعالى بها ، اللهم ، إني أعوذ بك مِن شرّ مَن يمشي على رجلين ، ومن شرّ من يمشي على أربع ، ومن شر من يمشي على بطنه .

وعن عائشة قالت :

كان لآل رسول الله ﷺ وحش ، فكان رسول الله ﷺ إذا خرج لعب واشتد ، وأقبل وأدبر ، فإذا حسّ أن رسول الله ﷺ قد دخل ربض ، فلم يترمرم[3] ما دام رسول الله ﷺ في البيت مخافةَ أن يؤذيه .

وعن مُعَرِّض بن مُعَيقيب قال :

حججتُ حجّة الوداع ، فدخلت داراً بمكة ، فرأيت فيها رسول الله ﷺ كأنّ وجهه دارة القمر ، وسمعت منه عجباً :

جاءه رجل من أهل اليمامة بصبي يوم ولد قد لفّه في خرقة ، فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) في هامش الأصل حرف « ط » .

(٢) السالخ : الأسود من الحيات شديد السواد . اللسان : « سلخ » .

(٣) لم يترمرم : سكن ولم يتحرك . اللسان : « رمم » .

يا غلام ، من أنا ؟ قال : أنت رسول الله ، قال : صدقت ، بارك الله فيك ، قال : ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب . قال : قال أبي[1] : فكنا نسميه مبارك اليمامة .

وعن ابن عباس قال :

ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم . انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ ، وقد حيل بين الشياطين [٨٣] وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟! قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب ، قالوا : ما ذاك إلا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة وهم عامدون إلى سوق عكاظ ، وهو يصلّي بأصحابه صلاة الفجر ، قال : فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فرجعوا إلى قومهم فقالوا : يا قومنا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرآناً عَجَباً يَهدِي إلى الرُّشْدِ فآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَداً ﴾[2] فأوحى الله عز وجل إلى نبيه ﷺ : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ ﴾[3] .

وعن ابن عباس قال :

كان لكل قبيل من الجن مَقعد من السماء يستمعون فيه الوحي ، وكان الوحي إذا نزل سُمع له صوت كإمرار السِّلسِلة على الصفوان ، يعني : الحجر . فلا ينزل على سماء إلا صُعقوا ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العليّ الكبير ، فإذا نزل الوحي إلى سماء الدنيا صُعقوا ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العليّ الكبير . قال : ثم يقال : يكون العام كذا ، ويكون العام كذا ، فتسمع الجن ذلك فتخبر به الكهنة ، فتخبر الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا . قال : فلما بعث الله رسوله دُحِروا . قال : فقالت العرب : هلك مَن في السماء . فجعل صاحب الإبل ينحر كل يوم بعيراً ، وصاحب البقر يذبح كل يوم بقرة ، وصاحب الشاء يذبح كل يوم شاة حتى أسرعوا في أموالهم . فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب : يا أيها الناس . أمْسِكُوا عليكم أموالكم ، فإنه

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٢) سورة الجن ٧٢ / ١ ـ٢

(٣) سورة الجن ٧٢ / ١

لن يهلك مَن في السماء ، وإن هذا ليس بانتشار ، اليس ترون إلى معالم من النجوم كما هي ؟ فقال إبليس : لقد حدث اليوم حدث . ائتوني من تربة الأرض ، فأَتَوْه من تربة كل أرض فجعل يشمّها حتى أُتي من تربة مكة فشمّها ، فقال : من هاهنا قد حدث الحدث فنظروا [٨٤] فإذا النبي ﷺ قد بُعث .

وعن أُبيّ بن كعب قال :

كان النبي ﷺ يصلي إل جذع ، وكان المسجد عريشاً ، وكان يخطب إلى ذلك الجذع ، فقال رجال من أصحابه : يا رسول الله ، نجعل لك شيئاً تقوم عليه يوم الجمعة حتى يراك الناس ، ويسمع الناس خطبتك ، فقال : نعم ، فصنع له ثلاث درجات فقام عليها كما كان يقوم ، فأصغى إليه الجذع فقال : اسكن ، ثم التفت فقال : إن تشأ أن أعرشك في الجنة فيأكل منك الصالحون ، وإن تشأ أن أعيدك رطباً كما كنت ، فاختار الآخرة على الدنيا . فلما قبض النبي ﷺ دُفع إلى أُبيّ ، فلم يزل عنده حتى أكلته الأَرَضَة .

وفي رواية أخرى :

فلما أراد رسول الله ﷺ أن يقوم على المنبر مرّ إلى الجذع الذي كان يخطب إليه . فلما جاوز الجذع خار حتى تصدّع وانشقّ ، فنزل رسول الله ﷺ لمّا سمع صوت الجذع ، فمسحه بيده حتى سكن ، ثم رجع إلى المنبر . وكان إذا صلّى صلّى إليه . فلما هدم المسجد وغيّر أخذ ذلك الجذعَ أُبيٌّ بن كعب . فكان عنده في بيته حتى بلي ، وأكلته الأَرَضَة ، وعاد رفاتاً .

وفي حديث جابر بن عبد الله :

فحنّت الخشبة حنين الناقة الخَلُوج[1] .

وفي رواية :

حنين الناقة على ولدها .

وفي رواية :

وإن الجذع الذي كان يقوم عليه أنّ كما يئنّ الصبي ، فقال النبي ﷺ : إن هذا يبكي لما فَقد مِنَ الذِّكر .

---

(١) ناقة خَلوج : جُذب عنها ولدها بذبح أو موت فحنّت إليه وقلّ لذلك لبنها . اللسان : « خلج » .

وفي رواية عن الحسن :

فحنّ الجذع ، فأتى النبي ﷺ فاحتضنه فسكَن ، فقال عليه السلام : لو لم أحتضنه لحنّ إلى يوم القيامة .

وروى الحسن عن أنس بن مالك قال :

كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إلى جنب خشبة مسنداً ظهره إليها . فلما كثر الناس قال : ابنوا لي منبراً ، فبَنَوْا له منبراً له عَتْبتان . فلما قام على المنبر يخطب حنّت الخشبة إلى رسول الله ﷺ . قال أنس : وأنا في المسجد فسمعت الخشبة [٨٥] تحنّ .

وفي رواية :

حنّت حنين الوالِهِ ، فما زالت تحنّ حتى نزل إليها رسول الله ﷺ ، فاحتضنها فسكنت . قال : فكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى ثم قال : يا عباد الله ، الخشبة تحنّ إلى رسول الله ﷺ شوقاً إليه لمكانه من الله ، فأنتم أحقّ أن تشتاقوا إلى لقائه .

وعن عمر قال :

كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقلنا : يا رسول الله ؛ إن العدو قد حضر ، وهم شباع والناس جياع ، فقالت الأنصار : ألا ننحر نواضحنا فنطعمها للناس ؟ فقال النبي ﷺ : من كان معه فضلُ طعامٍ فليجئ به ، فجعل الرجل يجيء بالمدّ والصاع وأقل وأكثر ، فكان جميع ما في الجيش بضعاً وعشرين صاعاً . فجلس النبي ﷺ إلى جنبه فدعا بالبركة ، وقال النبي ﷺ : خذوا ولا تنتهبوا ، فجعل الرجل يأخذ في جرابه وغرارته ، وأخذوا في أوعيتهم ، حتى إن الرجل ليربط كمّ قميصه فيملأه . ففرغوا والطعام كما هو . ثم قال النبي ﷺ : أشهد أنْ لا إله إلا الله وأني رسول الله ، لا يأتي بها عبد محقّ إلا وقاه الله حرّ النار .

وعن أنس بن مالك :

أن أبا طلحة لما رأى رسول الله ﷺ طاوياً جاء إلى أم سليم فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ طاوياً . هل عندك شيء ؟ قالت : عندنا نحوٌ من مدٍّ دقيق شعير . قال : فاعجنيه وأصلحيه عسى أن ندعو النبي ﷺ فيأكلَ منه . قال : فعجنته وخبزته . قال : فجاء قرصاً ، فقال لي : ادع النبي ﷺ . قال : فأتيت النبي ﷺ ومعه ناس ـ قال مبارك : أحسبه قال : بضعة وثمانون ـ فقلت : يا رسول الله ، أبو طلحة يدعوك ، فقال لأصحابه : أجيبوا أبا

طلحة ، قال : فجئت مسرعاً حتى آخبرته أنه قد جاء وأصحابه . قال : فقال : والله لَرسول الله أعلم بما في بيتي مني ، فاستقبله أبو طلحة ، فقال : يا رسول الله ، والله ما عندنا شيء إلا قُريص [٨٦] رأيتك طاوياً ، فأمرت أم سليم فجعلت لك قرصاً . قال : فدعا بالقرص ودعا بجفنةٍ ، فوضعَه فيها فقال : هل مِن سَمْن ؟ فقال أبو طلحة : قد كان في العكّة شيء . قال : فجاء بها فجعل النبي ﷺ وأبو طلحة يعصِرانها حتى خرج شيء ، فمسح النبي ﷺ به سبابته ، ثم مسح القرص ثم قال : بسم الله ، فانتفخ القرص ، فلم يزل يصنع ذلك والقرص ينتفخ ، حتى رأيت القرص في الجفنة يتميّع ، فقال : ادع لي عشرة من أصحابي ، فدعوت له عشرة ، فوضع النبي ﷺ يده وسط القرص وقال : كُلُوا بسم الله ، فأكلوا حوالَيْ القرص حتى شبعوا ، ثم قال : ادع لي عشرة أخرى . قال : فدعوت له عشرة أخرى ، فقال : كلوا باسم الله ، فأكلوا من حوالَي القرص حتى شبعوا ، فلم يزل يدعو عشرة عشرة ، يأكلون من ذلك القرص ، حتى أكلوا وأكل منه بضعة وثمانون رجلاً من حوالَيْ القرص حتى شبعوا . قال : وإن وسط القرص حيث وضع رسول الله ﷺ يده كما هو .

وعن ثابت قال :

قلت لأنس : يا أنس ، أخبرني بأعجب شيء رأيته . قال : نعم ، يا ثابت ، خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فلم يعير علي شيئاً أسأت فيه ، وإن نبي الله ﷺ لما تزوج زينب بنت جحش قالت لي أمي : يا أنس ، إن رسول الله ﷺ أصبح عروساً ، ولا أدري ـ وقيل : ولا أرى ـ أصبح له غداء فهلمّ تلك العُكّة ، فأتيتها بالعكة وبتمر فجعلت له حَيْساً[1] ، فقالت : يا أنس ، اذهب بهذا إلى نبي الله ﷺ وامرأته . فلما أتيت النبي ﷺ بتَوْر من حجارة فيه ذلك الحَيْس قال : ضعه في ناحية البيت فادع أبا بكر وعمر وعلياً وعثمان ، ونفراً من أصحابه . ثم قال : ادع لي أهل المسجد ، ومن رأيت في الطريق . قال : فجعلت أتعجب من قلة الطعام ومن كثرة ما يأمرني أن أدعو [٨٧] الناس ، فكرهت أن أعصيه حتى امتلأ البيت والحجرة ، فقال : يا أنس ، هل ترى من أحد ؟ فقلت : لا يانبيّ الله ، قال : هات ذلك التَّوْر ، فجئت بذلك التَّوْر ، فوضعتُه قدامه فغمس ثلاث أصابع في التَّوْر نحو ما جئت به ، قال : ضعه قدام زينب ، فخرجت وأسقفت باباً من جريد . قال

(١) الحيس : الأقِط يخلط بالتمر والسمن . اللسان : « حيس » .

ثابت : قلنا لأنس : كم ترى كان الذين أكلوا من ذلك التَّوْر ؟ قال لي : حسبت واحداً وسبعين أو اثنين وسبعين .

وعن أنس بن مالك عن أمه قال :

كانت لنا شاة ، فجمعت من سمنها عُكة ، فملأت العُكة ثم بعثت بها مع ربيبة فقالت : يا ربيبة ، ابلغي هذه العُكة رسول الله ﷺ يتأدّم بها ، فانطلقت بها ربيبة حتى أتت رسول الله ﷺ فقالت : يارسول الله ، هذه سمن بعثت بها إليك أم سُليم . قال : فرّغوا لها عُكتها ، ففرّغت العُكة ، فدُفعت إليها ، فانطلقت بها فجاءت وأم سليم ليست في البيت ، فعلقت العُكة على وتد ، فجاءت أم سليم ، فرأت العُكة ممتلئة ، تقطر ، فقالت أم سليم ، يا ربيبة ، أليس أمرتك أن تنطلقي بها إلى رسول الله ﷺ ؟! فقالت : قد فعلتُ ، وإن لم تصدقيني فانطلقي فَسَلي رسول الله ﷺ ، فانطلقت أم سليم . ومعها ربيبة فقالت : يارسول الله ، إني بعثت إليك معها بعكة فيها سمن . قال : قد فعَلَت ، قد جاءت بها ، فقالت : والذي بعثك بالهدى ودين الحق إنها ممتلئة تقطر سمناً ، قال : فقال رسول الله ﷺ ياأم سليم ، أتعجبين أن كان الله أطعمك كما أطعمت نبيَّه ؟ كلي وأطعمي . قالت : فجئت إلى البيت فقسمت في قعبٍ لنا كذا وكذا ، وتركت فيها ماائتدَمْنا به شهراً أو شهرين .

وعن أبي أيوب الأنصاري قال :

صنعت لرسول الله ﷺ ولأبي بكر طعاماً قدر مايكفيهما فأتيتهما به فقال رسول الله ﷺ : اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار [٨٨] قال : فشقّ ذلك عليّ ، ماعندي شيء أزيده ، قال : فكأني تثاقلتُ ، فقال : اذهب فادع لي ثلاثين من أشراف الأنصار فدعوتهم فجاؤوا ، فقال : اطعَموا ، فأكلوا حتى صدروا ، ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ ، ثم بايعوه قبل أن يخرجوا ، ثم قال : اذهب فادع لي ستين من أشراف الأنصار . قال أبو أيوب : فوالله لأنا بالستين أحرد(١) مني بالثلاثين قال : فدعوتهم ، قال : فقال رسول الله ﷺ ترفّعوا ، فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله ، فبايعوه قبل أن يخرجوا . قال : فاذهب فادع لي تسعين من الأنصار . قال : فلأنا أحرد بالتسعين والستين مني بالثلاثين ،

---

(١) الحَرْد : المنع .

قال : فدَعَوْتهم ، فأكلوا حتى صدروا ثم شهدوا أنه رسول الله ﷺ ، وبايعوه قبل أن يخرجوا . قال : فأكل من طعامي ذلك مئة وثمانون رجلاً ، كلهم من الأنصار .

وعن أبي هريرة قال :

كنّا مع النبي ﷺ في مسير ، فنفِدت أزواد القوم . قال : حتى همّ بنحر بعض حمائلهم ، قال : فقال عمر : يارسول الله ، لو جمعتَ مابقي من أزواد القوم [1]فدعوت الله عزّ وجلّ عليها ، ففعل[1] ، فجاء ذو التمر بتمره وذو البُرّ ببُرّه - وقال مجاهد : وربّ النوى بنواه - قال : فقلت : وما كانوا يصنعون بالنوى ؟ قال : يمضغونه ويشربون عليه الماء . قال : فدعا عليها حتى ملأ القوم أزوادهم . قال : فقال عند ذلك : أشهد أن لاإله إلا الله وأني رسول الله ، لايلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلا دخل الجنة .

وعن عبد الرحمن بن أبي بكر قال :

كنا مع رسول الله ﷺ ثلاثين ومئة ، فقال النبي ﷺ : هل مع أحدٍ منكم طعام ؟ فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه . فعجن ، ثم جاء رجل مشرك مُشْعانّ[2] طويل بغنمٍ يسوقها . قال رسول الله ﷺ ياذا ، بَيْع أو عطيّة ، أو قال : هبة . قال : لا ، بل بَيْع ، فاشترى منه شاة ، وأمر بها فصنعت ثم أمر [٨٩] رسول الله ﷺ بسواد البطن أن يشوى ، وايم الله ، مامن الثلاثين والمئة إلا قد حزّ له رسول الله ﷺ حُزّة من سواد بطنها ، إن كان شاهداً أعطاه ، وإن كان غائباً خبأ له . قال : وجعل منها قصعتين ، فأكلنا أجمعون وشبعنا ، وفضل في القصعتين ، فحمله على البعير . أو كما قال .

وعن أبي رجاء قال :

خرج رسول الله ﷺ حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار ، فإذا هو يسنو[3] فيه ، فقال النبي ﷺ : ما تجعل لي إن أرويت حائطك هذا ؟ قال : إني أجهد أن أرويه ، فما أطيق ذلك . فقال رسول الله ﷺ : تجعل لي مئة تمرة أختارها من تمرك ؟ قال : نعم ، فأخذ رسول الله ﷺ الغرب ، فما لبث أن أرواه ، حتى قال الرجل : غرّقت حائطي . فاختار

(١-١) مابين الرقين مستدرك في هامش الأصل . وبعده « صح » .

(٢) المشعانّ : المنتفش الشعر ، الثائر الرأس . اللسان : « شعن » .

(٣) سنا يسنو : يستقي . اللسان : « سنا » .

رسول الله ﷺ من تمره مئة تمرة قال : فأكل هو وأصحابه حتى شبعوا ثم ردّ عليه مئة تمرة كما أخذها منه .

وعن ابن عباس قال :

أصبح رسول الله ﷺ يوماً فقال : هل من ماء ، هل من شنّ ؟ قال : فجاؤوا بشَنٍّ فوُضع بين يديه ، فوضع يده عليه السلام وفرّق بين أصابعه ، فنبع الماء من بين أصابع رسول الله ﷺ فقال : يابلال ، اهتف بالناس للوضوء ، فأقبلوا يتوضؤون من بين أصابع رسول الله ﷺ وكانت همة ابن مسعود الشرب . فلما توضأ صلى بهم الصبح ثم قعد للناس ، فقال : أيها الناس ، مَنْ أعجب الخلق إيماناً ؟ قالوا : الملائكة ، قال عليه السلام : وكيف لايؤمن الملائكة وهم يعلمُون الأمرَ ؟ قالوا : فالنبيون يارسول الله ، قال : وكيف لا يؤمن النبيون والوحي ينزل عليهم من السماء . قالوا : فأصحابك يارسول الله ، قال : وكيف لايؤمن أصحابي وهم يرَوْن ما يرَوْن ؟ ولكن أعجب الناس إيماناً قوم يجيئون من بعدي ، يؤمنون بي ولم يرَوْني [٩٠] ، ويصدّقوني ولم يرَوْني . أولئك إخواني .

وعن ابن عباس قال :

أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم ، وليس في العسكر ماء ، فأتاه رجل فقال : يارسول الله ، ليس في العسكر ماء ، قال : هل عندك شيء ؟ قال : نعم ، قال : فائتني به . قال : فأتاه بإناء فيه شيء من ماء قليل ، قال : فجعل رسول الله ﷺ أصابعه على فم الإناء ، وفتح أصابعه قال : فانفجرت من بين أصابعه عيون ، وأمر بلالاً ، فقال : نادِ في الناس : الوضوء المبارك .

وعن أنس :

أن نبي الله ﷺ كان بالزَّوْراء[1] فأُتي بإناء فيه ماء ، لا يغمر أصابعه ـ أو قال : ما يواري أصابعه ـ فأمر أصحابه أن يتوضؤوا ، ووضع كفه في الماء ، فجعلنا نرى الماء ينبع من بين أصابعه حتى توضأ القوم . قلنا لأنس : كم كنتم يومئذ ؟ قال : ثلاث مئة أو زهاء ثلاث مئة .

---

(١) الزَّوْراء : موضع عند سوق المدينة ، قرب المسجد . معجم البلدان .

وعن أبي قتادة قال :

خَطَبنا رسول الله ﷺ فقال : إنكم ستسيرون عشيتكم وليلتكم وتأتون الماء إن شاء الله غداً . فانطلق الناس لا يلوي أحد على أحد . قال أبو قتادة : فبينما رسول الله ﷺ يسير حتى ابهارّ[1] الليل ، وأنا إلى جنبه . قال : فَنَعَس رسول الله ﷺ فمال عن راحلته ، فأتيته ، فدعمته من غير أن أوقظه ، حتى اعتدل على راحلته ، ثم سار حتى ابهارّ الليل ، فمال عن راحلته . قال : ثم سار حتى إذا كان من آخر السحر مال ميلة هي أشد من الأُوْلَيين حتى كاد أن ينجفل[2] فأتيته فدعمته فرفع رأسه فقال : من هذا ؟ قال : أبو قتادة . قال : متى كان هذا مسيرك مني ؟ قلت : ما زال هذا مسيري منك الليلة ، فقال : حفظك الله بما حفظت به نبيّه ، قال : هل ترانا نخفى على الناس ؛ ثم قال : هل ترى من أحد ؟ قلت : هذا راكب ، ثم قلت : هذا راكب آخر حتى اجتمعنا ، فكنا سبعة رَكْب [٩١] فعدل رسول الله ﷺ عن الطريق فوضع رأسه ثم قال : احفظوا علينا صلاتنا . قال : وكان أول من استيقظ رسولُ الله ﷺ ، والشمس في ظهره ، فقمنا فزعين ثم قال : اركبوا فركبنا ، فسرنا حتى ارتفعت الشمس نزل ، ثم دعا بميضأة كانت معي فيها شيء من ماء . قال : فتوضأ منها وُضوءاً دون وضوء . قال : وبقي فيها شيء من ماء . قال : ثم قال لأبي قتادة : احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ .

ثم أذّن بلال للصلاة ، فصلّى رسول الله ﷺ ركعتين ثم صلى الغداة ، فصنع كما كان يصنع كل يوم . قال : وركب رسول الله ﷺ وركبنا معه . قال : فجعل بعضنا يهمس إلى بعض : ما كفارة ما صنعنا بتفريطنا في صلاتنا . قال : أما لكم فيّ أسوة حسنة ؟ ثم قال : إنه ليس في النوم تفريط ، إنما التفريط على من لم يصلّ الصلاة حتى يجيء وقت الصلاة الأخرى ، فمن فعل ذلك فليصلّها حين ينتبه لها ، فإذا كان الغد فليصلّها عند وقتها ، ثم قال : ما ترَوْن الناس صنعوا ؟ ثم قال : أصبح الناس فقدوا نبيهم ﷺ . فقال أبو بكر وعمر : رسول الله ﷺ بعدكم لم يكن ليُخلفكم ، وَقال الناس : إن رسول الله ﷺ بين أيديكم ، فإن تطيعوا أبا بكر وعمر ترْشُدوا ، قال : فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار

---

(١) ابهارّ الليل : ذهبت عامّته وأكثره . اللسان : « بهر » .

(٢) ينجفل : ينقلب ويسقط . اللسان : « حفل » .

وحمي كل شيء وهم يقولون : يا رسول الله ، هلكنا عطشاً ، قال : لا هُلْك عليكم ثم قال : أطلقوا لي غُمَري[1] . قال : ودعا بالميضأة فجعل رسول الله ﷺ يصب ، وأبو قتادة يسقيهم . قال : فلم يَعْدُ أن رأى الناس ما في الميضأة فتكابّوا عليها . فقال رسول الله ﷺ : أحسنوا الملا[2] ، كلكم سيُروى . قال : ففعلوا ، فجعل رسول الله ﷺ يصب ويسقيهم حتى [٩٢] ما بقي غيري وغير رسول الله ﷺ . قال : فعرض رسول الله ﷺ فقال لي : اشرب ، فقلت : لا أشرب حتى تشرب يا رسول الله . قال : إن ساقي القوم آخرهم . قال : فشربت وشرب رسول الله ﷺ . قال : فأتى الناس الماء جامّين رِواء[3] .

قال عبد الله بن رباح :

إني لأحدّث بهذا الحديث في المسجد الجامع إذ قال عِمران بن حُصَين : انظر أيها الفتى كيف تحدث عن رسول الله ﷺ فإني أحدُ الرَّكْب تلك الليلة . قال : قلت : فأنت أعلم بالحديث . قال : فقال : ممن أنت ؟ قلت : من الأنصار . قال : حدّث فأنت أعلم بحديثكم . قال : فحدثت القوم فقال عمران بن حصين : لقد شهدت تلك الليلة ، وما شعرت أن أحداً حفظه كما حفظته .

وعن عِمران بن حُصَين قال :

كنا مع رسول الله ﷺ وإنا أسرينا ليلةً حتى إذا كان في آخر الليل وقعنا تلك الوقعة ، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها . قال : فما أيقظنا إلا حرّ الشمس ، قال : وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان - يُسمّيهم أبو رجاء ونسيهم عوف - قال : ثم عمر بن الخطاب الرابع ، وكان رسول الله ﷺ إذا نام لم يوقَظ حتى هو يستيقظ ، لأنّا لا ندري ما يحدث له في نومه ، فلما استيقظ عمر بن الخطاب رأى ما أصاب الناس . قال : وكان رجلاً أجوف جليداً . قال : فكبّر ورفع صوته بالتكبير حتى استيقظ رسول الله ﷺ ، فلما استيقظ رسول الله ﷺ شكَوْا إليه الذي أصابهم . قال : لا ضير - أولا يضير - ارتحلوا . قال :

---

(١) أي ائتوني به ، والغُمَر . قدح صغير يتصافن به القوم في السفر إذا لم يكن معهم من الماء إلا يسير على حصاة يلقونها في إناء ثم يصب فيه من الماء قدر ما يغمرّ الحصاة ، فيعطاها كل رجل منهم . اللسان : « غمر » .

(٢) المَلا : المَلء . مخفف . اللسان : « ملأ » .

(٣) جامّين رواء : أي مستريحين قد رووا من الماء . اللسان : « جمّ » .

فارتحلوا ، فسار غيرَ بعيد ، ثم نزل فدعا بوضوء فتوضأ ، ثم نودي بالصلاة فصلّى بالناس . فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصلِّ مع الناس ، فقال : ما يمنعك يا فلان أن تصلي مع القوم ؟ قال : يا رسول [٩٣] الله ، أصابتني الجنابة ولا ماء . قال : عليك بالصعيد فإنه يكفيك .

ثم سار رسول الله ﷺ واشتكي إليه العطش ، ثم دعا فلاناً ـ وكان يسميهم أبو رجاء ونسيه[١] عوف ـ ودعا علياً فقال : اذهبا وابغيا الماء . قال : فانطلقنا فتلقينا امرأة بين مَزادتين أو سطيحتين ، فقالا لها : أين الماء ؟ قالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونَفَرُنا خُلُوف[٢] . قال : فقالا : انطلقي . فقالت : إلى أين ؟ قالا : إلى رسول الله ﷺ . قالت : هذا الذي يقال له الصابئ ؟ قالا : هو الذي تعنين . فانطلقي ، فجاآ بها إلى رسول الله ﷺ ، وحدّثاه الحديث . قال : فاستنزلها عن بعيرها ، ودعا رسول الله ﷺ بإناء فأفرغ فيه من أفواه المزادتين ، أو السطيحتين ، ثم أوكأ أفواهها وأطلق العَزالي[٣] ثم نادى في الناس أن استقوا واسقوا ، قال : فسقى من شاء ، واستقى من شاء . قال : وكان آخر ذلك أن أعطى من أصابته الجنابة إناء من ماء . قال : اذهب فأفرغه عليك . قال : والمرأة قائمة تنظر ما يفعل بمائها . قال : وايم الله لقد أقلع عنها حين أقلع ، وإنه ليخيل إلينا أنها أشد مَلأً منها حين ابتدئ فيها . قال : فقال رسول الله ﷺ : اجمعوا لها ، فجُمع لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة ، حتى جمعوا لها زاداً ، فجعلوه في ثوب ، فحملوها على بعيرها ، ووضعوا الثوب بين يديها . فقال رسول الله ﷺ : أتعلمين ، والله إنا ما رزأناكِ من مائك شيئاً ، ولكنّ الله هو سقانا . قال : فأتت أهلها ، وقد احتبست عليهم فقالوا : ما حبسك يا فلانة ؟ قالت : العجب ، أتاني رجلان فذهبا بي إلى الذي يقال له الصابئ ففعل بمائي كذا وكذا ، بالذي قد كان . فوالله ، إنه لأسحر من بين هذه وهذه [٩٤] بأصبعَيْها الوسطى والسبابة ، ترفعهما إلى السماء تعني السماء والأرض ، أو إنه لرسول الله حقاً . قال : فكان المسلمون يغيرون على المشركين حولها ولا يصيبون الصِّرم الذي هي فيه . فقالت تومئ لقومها : ما أرى هؤلاء القوم يَدَعونكم عمداً ، هل لكم في الإسلام فأطاعوها ، فجاؤوا جميعاً فدخلوا في الإسلام .

(١) يلاحظ اضطراب الصائر في هذه العبارة . وكانت العبارة في الأصل : ثم دعا فلان وفلان تم شق على اللفظة الثانية ، ونسي أن يصحح الضمير في قوله : « وكان يسميهم » وانظر بداية الحبر ، ودلائل النبوة : ١٤٦

(٢) المعنى · رجالنا غُيَّب . اللسان : خلف .

(٣) العزالي ج عزلاء وهو فم المزادة الأسفل . اللسان : « عزل » .

وعن ثابت قال : قلت لأنس :

حدثني بشيء من هذه الأعاجيب لا تحدثه عن غيرك قال :

صلّى رسول الله ﷺ يوماً الظهر بالمدينة ، ثم أتى المقاعد التي كان يأتيه عليها جبريل ، فقعد عليها ، فجاء بلال فنادى بالعصر ، فقام من له أهلٌ بالمدينة يتوضؤون فيقضون حوائجهم ، وبقي رجال من المهاجرين ، لا أهل لهم بالمدينة ، فأُتي رسول الله ﷺ بقدح رَحْراح[1] ـ وقال ابن المقرئ : أروح[1] ـ فيه ماء فوضع أصابعه في القدح ، فما وسع أصابعه كلها ، فوضع هؤلاء الأربع وقال : هلموا ، فتوضؤوا أجمعون ، فقلت لأنس : كم تراهم ؟ قال : ما بين السبعين إلى الثمانين .

وفي رواية :

فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه .

وعن أنس بن مالك

أن النبي ﷺ أخذ حصيات في يده ، فسبّحن حتى سمعنا التسبيح ، ثم صيّرهن في يد أبي بكر فسبّحن حتى سمعنا التسبيح ، ثم صيّرهن في يد عمر فسبّحن حتى سمعنا التسبيح ، ثم صيّرهن في يد عثمان فسبّحن حتى سمعنا التسبيح ، ثم صيّرهن في أيدينا رجلاً رجلاً فما سبّحت حصاة منهنّ .

وعن أنس

أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من بابٍ كان نحو دار القضاء ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب ، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً ثم قال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل [٩٥] فادع الله أن يغيثنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا . قال أنس : ولا والله ما نرى في السماء من سحابٍ ولا قَزَعَة[2] ، وما بيننا وبين سَلْع من بيتٍ ولا دار ، فطلعت من ورائه سحابة مثل التُّرس . فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت . قال أنس : فلا والله ما رأينا السماء سَبْتاً . قال : ثم دخل رجل

---

(١) إناء رحراح وأروح : قريب القعر ، مع سَعة فيه . اللسان : « رحّ ، روح » .

(٢) القزعة : القطعة من الغيم . اللسان : « قزع » .

من ذلك الباب في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله قائماً فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله أن يمسكها عنا . قال : فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظِّراب[1] وبطون الأودية ، ومنابت الشجر . قال : فأقلعت ، وخرجنا نمشي في الشمس . قال شريك : فسألت أنساً : أهو الرجل الأول فقال : لا أدري .

وفي رواية :

فتقشعت على المدينة فجعلت تمطر حواليها . قال : ولقد رأيت المدينة وإنها لفي مثل الإكليل .

وعن أنس بن مالك قال :

جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، والله لقد أتيتك ومالنا بعير يَئِط[2] ، ولا صبي يَصطبِح[3] وأنشده : [الطويل]

أتيناكَ والعذراءُ تَدْمى لثاتُها ... وقد شُغِلتْ أمُّ الصَّبيِّ عن الطِّفلِ

وألقى بكفّيهِ الفتى استكانةً ... منَ الجوعِ ضعفاً ما يُمِرُّ وما يُحلي

ولا شيءَ مِمّا يأكُلُ الناسُ عندَنا ... سوى الحَنظلِ العاميّ والعِلْهزِ الفَسْلِ[4]

وليسَ لنا إلاّ إليكَ فِرارُنا ... وأينَ فِرارُ الناسِ إلاّ إلى الرُّسْلِ ؟

قال : فقام رسول الله ﷺ ، وهو يجر رداءه حتى صعد المنبر ، ثم رفع يديه نحو السماء ، وقال : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً ، مريئاً مَريعاً ، [٩٦] غَدَقاً طَبَقاً[5] عاجلاً غير

---

(١) الظراب : ج ظرب : الروابي الصغار . اللسان : « ظرب » .

(٢) أي يحنّ ويصيح . يريد ما لنا بعير أصلاً لأن البعير لا بدّ أن يئطّ . اللسان : « أطط » .

(٣) المعنى : ليس لنا لبن بقدر ما يشربه الصبي بكرة ، من الجدب والقحط فضلاً عن الكثير اللسان : « صبح » .

(٤) نبت عاميّ . يابس ، أتى عليه عام . والعلهز : شيء يتخذونه في سنيّ المجاعة . يخلطون الدم بأوبار الإبل ثم يشوونه ويأكلونه . والفَسْل : الرديء من كل شيء . والبيتان الثالث والرابع في اللسان : « علهز » . وكذا الشطر الثاني من البيت الثالث في اللسان : « عوم ، فسل » .

(٥) أي مالئاً للأرض مغطياً لها . اللسان : « طبق » .

رائث ، نافعاً غير ضار ، تملأ به الضرع ، وتنبت الزرع ، وتحيي به الأرض بعد موتها ، ﴿ وكذلكَ تُخْرَجُون ﴾[1] . قال : فوالله ما ردّ يديه إلى نحره حتى ألقت السماء بأرواقها[2] ، وجاء أهل البطانة[3] يصيحون : يا رسول الله ، الغرق الغرق ، فرفع يديه إلى السماء وقال : اللهم حوالينا ولا علينا ، فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالإكليل ، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال : لله درّ أبي طالب ، لو كان حياً قرّت عيناه ، من ينشدنا قوله ؟ فقام علي بن أبي طالب وقال : يا رسول الله ، كأنك أردت[4] :

[الطويل]

وأبيض يُستسْقى الغمامُ بوجْهِه … ثمالُ اليتامى عصمةٌ للأرامل

يلوذُ به الهُلاّكُ من آل هاشمٍ … فهمْ عنده في نعمةٍ وفواضل

كذبتم وبيت الله يُبزى[5] محمدٌ … ولمّا نقاتلْ دونه ونناضل

ونسلمه حتى نُصرّع حوله … ونذهل عن أبنائنا والحلائل

قال : وقام رجل من كنانة فقال : [المتقارب]

لك الحمدُ والحمدُ ممّن شكرْ … سُقينا بوجْه النبيّ المطرْ

دعا الله خالقهُ دعوةً … إليه وأشخص منه البصرْ

فلمْ يكُ إلاّ كإلقا الرّداء … أو اسْرع حتى رأينا الدّرَرْ

دُفاق العزاليّ جمّ البعاع[6] … أغاث به اللهُ عُلْيا مُضَرْ

وكان كما قالهُ عمُّهُ … أبو طالبٍ أبيضٌ ذو غُرَرْ

به اللهُ يسقي بصوب الغمام … وهذا العيانُ كذاك الخبرْ

ومَنْ يشكر اللهَ يلقَ المزيد … ومنْ يكفُر الله يلقَ الغيَرْ

---

(١) سورة الروم ٣٠ / ١٩

(٢) المعنى : ألقت بجميع ما فيها من الماء . اللسان والنهاية . (روق) .

(٣) في الأصل : « النطاة » وهي خيبر . ولا يستقيم . والبطانة : الخارج من المدينة . اللسان : « بطن » .

(٤) الأبيات في سيرة ابن هشام باختلاف في الرواية ١ / ٢٩١ ، ٣٠٠ و ٣٠٣ - ٢٥ ، وفي الشمائل لابن كثير : ١٧٠

(٥) يبزى : يغلب ويقهر . والبيت في اللسان : « بزا » باختلاف يسير في روايته .

(٦) بعّ المطر من السحاب : خرج . والبعاع : ما بعّ من المطر . اللسان « بعع » وهذا الشطر في اللسان : عزل باختلاف في الرواية .

فقال رسول الله ﷺ : إن يك شاعر يحسن فقد أحسنت .

[٩٧] حدث جُلْهُمة بن عُرفُطَة قال :

إني لبالقاع من نَمِرة إذْ أقبلت عير من أعلى نجد . فلما حاذت الكعبة إذا غلام قد رمى بنفسه من عجز بعير فجاء حتى تعلق بأستار الكعبة ، ثم نادى : أيا رب البنيّة ، أجرني ، وإذا شيخ جُنْدُعي[1] عَشَمَة[2] محدود[3] قد جاء ، فانتزع يده من أسجاف الكعبة ، فقام إليه شيخ وسيم قسيم عليه بهاء الملك ، ووقار الحكماء فقال : ما شأنك يا غلام ، فأنا من آل الله وأجير من استجار به فقال : إن أبي مات وأنا صغير ، وإن هذا استعبدني ، وقد كنت أسمع أن لله بيتاً يمنع من الظلم . فلما رأيته استجرت به ، فقال له القرشي : قد أجرتك يا غلام . قال وحبس الله يد الجُنْدُعي إلى عنقه .

قال جُلهمة بن عرفطة :

فحدثت بهذا الحديث عمرو بن خارجة وكان في قعدد الحي فقال : إن لهذا الشيخ لنبأ ، يعني : أبا طالب ، قال : فهرّبتُ رحلي نحو تهامة ، اكسَع[4] بها الخدود[5] ، وأعلو بها الكَذّان[6] حتى انتهيت إلى المسجد الحرام وإذا قريش عِزين[7] قد ارتفعت لهم ضوضاء يستسقون ، فقائل منهم يقول : اعمَدوا للاّت والعزّى ، وقائل منهم يقول : اعمَدوا لمناة الثالثة الأخرى . فقال شيخ وسيم قسيم حسن الوجه : حبّذا الرأي ، أنى تؤفكون وفيكم باقية إبراهيم وسلالة إسماعيل ! قالوا له : كأنك عنَيْت أبا طالب ، قال : إنها . فقاموا بأجمعهم وقمت معهم ، فدفعنا عليه بابه ، فخرج إلينا رجل حسن الوجه مضفر ، عليه إزار قد اتشح به ، فثاروا إليه فقالوا : يا أبا طالب ، أقحط الوادي ، وأجدب العيال ، فهلمّ ، فاستسق ، فقال : دونكم زوال الشمس ، وهبوب الريح . فلما زاغت الشمس أو كادت خرج أبو طالب

---

(١) رجل جُندَع : قصير . اللسان : « جندع » .

(٢) شيخ عشمة : كبير هرم . اللسان : « عشم » .

(٣) رجل محدود عن الخير : مصروف . اللسان : « حدد » .

(٤) أكسع : أتبع . اللسان : « كسع » .

(٥) ج خدّ : الحفرة المستطيلة في الأرض . اللسان : « خدد » .

(٦) الكَذّان : ج كذّانة : الحجارة التي ليست بصلبة . اللسان : « كذن » .

(٧) عزين : ج عزة : الجماعة والفرقة من الناس . اللسان : « عزا » .

ومعه غلامٌ كأنه شمس دَجْن تجلت عنه سحابة قتماء وحوله أُغَيْلِمَة ، فأخذه أبو طالب ، فألصق ظهره بالكعبة [٩٨] ولاذ بأصبعة الغلام ، وبصبصت الأغيلمة حوله وما في السماء قَزَعَة ، فأقبل السحاب من ها هنا وها هنا ، وأغدق واغدَوْدَق ، وانفجر له الوادي ، وأخصب البادي والنادي . ففي ذلك يقول أبو طالب : [الطويل]

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجهِهِ ... ربيعُ اليتامى عِصمةٌ للأرامل
يطيفُ بهِ الهلاّكُ من آلِ هاشمٍ ... فهُمْ عندَهُ في نعمةٍ وفواضلِ[1]
وميزانُ عدلٍ لا يخيسُ شَعِيْرةً ... ووزّان صدقٍ وَزْنُه غير عائلِ[2]

وعن أبي عبد الرحمن الفهري قال :

كنت مع رسول الله ﷺ في غزوة حنين ، فسرنا في يوم قائظ شديد الحر ، فنزلنا تحت ظلال الشجر ، فلما زالت الشمس لبست لأُمَتي ، وركبت فرسي ، فانطلقت إلى رسول الله ﷺ وهو في فِسطاطه فقلت : السلام عليك يا رسول الله ، ورحمة الله ، حان الرواح ؟ فقال : أجل ، فقال : يا بلال ، فثار من تحت شجرة كأنّ ظلّه ظلُّ طائر فقال : لبيك وسعديك وأنا فداؤك ، فقال : أسرج لي فرسي ، فأخرج سرجاً دَفتَّاهُ من ليفٍ ليس فيهما أشر ولا بطر . قال : فأسرج . قال : فركب وركبنا فصافقناهم عشيتنا ، فلبثنا ، وتسامت الخيلان ، فولّى المسلمون مدبرين كما قال الله عزّ وجلّ[3] ، فقال رسول الله ﷺ : يا عباد الله ، أنا عبد الله ورسوله ثم قال : يا معشر المهاجرين ، أنا عبد الله ورسوله . قال : ثم اقتحم رسول الله ﷺ عن فرسه فأخذ كفاً من تراب ، فأخبرني الذي كان أدنى إليه مني : ضرب به وجوههم . قال : شاهت الوجوه ، فهزمهم الله .

قال يعلى بن عطاء : فحدثني أبناؤهم عن آبائهم أنهم قالوا :

لم يبق منا أحد إلا امتلأت عيناه وفمه تراباً ، وسمعنا صَلْصَلة بين السماء والأرض كإمرار الحديد على الطست الحديد .

---

(١) فوق اللفظة في الأصل ضبة . وكتب في الهامش « وفضائل » .

(٢) عال الميزانُ يَعيل : جار . وقيل زاد . اللسان : « عيل » .

(٣) هو قوله تعالى : ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ سورة التوبة ٩ / ٢٥

وعن [٩٩] أبي زيد بن أخطب قال :

مسح رسول الله ﷺ رأسي ولحيتي وقال : اللهم جمّله ، وأَدِمْ جماله ، فلقد عاش بضعاً ومئة سنة . وما شاب رأسه ولحيته إلا نَبْذاً ، ولقد كان وجهه منبسطاً لم ينقبض .

وعن عكاشة بن مُحَصّن قال :

انقطع سيفي في يوم بدر فأعطاني رسول الله ﷺ عوداً ، فإذا هو سيف أبيض طويل ، فقاتلت فيه حتى هزم الله المشركين . فلم يزل عنده حتى هلك .

وعن عائذ بن عمرو قال :

أصابتني رمية وأنا أقاتل بين يدي رسول الله ﷺ يوم حنين ، في جبهتي . فلما سالت الدماء على وجهي ولحيتي وصدري تناول النبي ﷺ بيده ، فسكت ذلك الدم عن وجهي وصدري إلى ثَندوَتي[1] ثم دعا لي قال : حسرح[2] ، ـ كان يصف لنا من أثر يد رسول الله ﷺ إلى منتهى ما كان يقول لنا ، صدره ـ فإذا غُرة سائلة كغرة الفرس .

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال :

هل ترون قبلتي ها هنا ، فوالله ما يخفى علي خشوعكم ولا ركوعكم ، إني لأراكم من وراء ظهري .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

إني لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي .

وعنه أن النبي ﷺ قال للناس :

أحسنوا صلاتكم ، فإني أراكم خلفي كما أراكم قدامي .

وعن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء .

وعن عبد الله بن سَرجس قال :

أتيت رسول الله ﷺ وهو جالس في أصحابه فدُرت من خلفه ، فعرف الذي أريد

---

(١) الثُندأة لك كالثدي لها . وإذا فتحت الكلمة فلا تهمز . هي ثَنْدُوة . القاموس : « الثندأة » .

(٢) كذا في الأصل . وفوق اللفظة حرف « ط » .

فألقى الرداء عن ظهره ، فرأيت موضع الخاتم على نُغْض[1] كتفه مثل الجُمْع حوله خِيلان كأنها الثآليل ، فرجعت حتى استقبلته ، فقلت غفر الله لك يا رسول الله ، فقال : ولك ، فقال القوم : [١٠٠] استغفرَ لكَ رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، ولكم ، ثم تلا الآية : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وعن جابر بن سَمُرة قال :

رأيت خاتم النبوة بين كتفي النبي ﷺ كأنه بيضة حمامة .

وعن السائب بن زيد قال :

ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن ابن أختي وجِع ، فمسح برأسي ودعا لي بالبركة ، ثم توضأ فشربْتُ من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره ، فنظرت إلى أثر خاتمه بين كتفيه مثل زِرّ الحَجَلَة[3] .

وعن غياث البكري قال :

كنا نجالس أبا سعيد الخدري بالمدينة ، فسألته عن خاتم رسول الله ﷺ الذي كان بين كتفيه ، فقال بأصبعه السبابة : هكذا ، لحم ناشز بين كتفيه .

وفي رواية قال :

كان بضعة لحم على لون جسده .

وعن ابن عمر قال :

كان خاتم النبوة على ظهر رسول الله ﷺ مثل السَّرَقة[4] من لحم ، عليه مكتوب : محمد رسول الله .

---

(١) نُغْض الكتف : العظم الرقيق على طرفها . اللسان : « نغض » .

(٢) سورة محمد ٤٧ / ١٩

(٣) الحجلة بالتحريك : هو بيت كالقبة يُستر بالثياب ويكون له أزرار كبار . اللسان : « حجل » .

(٤) كذا في الأصل ، وهي بمعنى القطعة . والذي في الحديث : « السِّلْعَة » وهي غدة تظهر بين الجلد واللحم إذا غمزت باليد تحرّكت . النهاية واللسان : « سرق ، سلع » .

ذكر إثبات شفاعته

لأهل الكبائر من أمته

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

إن لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجّل كل نبي دعوته واختبأتَ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة ، فهي نائلة إن شاء الله يوم القيامة لمن مات لا يشرك بالله شيئاً .

وحدث أبو هريرة عن النبي ﷺ قال :

إن لكل نبي شفاعة ودعوةً دعا بها في أمته فاستجيب له . وإني أريد إن شاء الله أن أدّخر دعوتي لأمتي يوم القيامة .

وعن أبي هريرة :

في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقاماً مَحْمُودا ﴾[1] .

قال : قال النبي ﷺ :

هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي .

[2] وعن ابن عباس :

في قوله : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً ﴾[1] قال : المقام المحمود : مقام الشفاعة[2] .

وعن أبي هريرة قال :

سألت رسول الله ﷺ قلت : يا رسول الله ، ماذا ردّ إليك ربك في الشفاعة ؟ قال :

---

(١) سورة الإسراء ١٧ / ٧٩

(٢ ـ ٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

والذي نفس محمد بيده ، لقد ظننت أنك أوّل من يسألني عن ذلك من أمتي لما رأيت [١٠١]من حرصك على العلم ، والذي نفس محمد بيده ، لَمَا يهمّني من انقصافِهم[1] على أبواب الجنة أهمّ عندي من تمام شفاعتي لهم ، وشفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً ، وأن محمداً رسول الله ، يصدق لسانُه قلبَه ، وقلبُه لسانَه .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

شفاعتي لأهل الكبائرِ من أمتي .

وعن مَعْبد بن هلال العَنَزي قال :

اجتمع رهط من أهل البصرة ، وأنا فيهم ، فأتينا أنس بن مالك وتشفّعنا إليه بثابت البُناني ، فدخلنا عليه ، فأجلس ثابتاً معه على السرير فقلت : لا تسلوه عن شيء غير هذا الحديث ، فقال ثابت : يا أبا حمزة ، إخوانك من أهل البصرة جاؤوا يسألونك عن حديث رسول الله ﷺ في الشفاعة ، فقال : حدثنا محمد ﷺ قال :

إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض ، فيؤتى آدم فيقولون : يا آدم ، اشفع لذريتك ، فيقول : لستُ لها ، ولكن ائتوا إبراهيم ، فإنه خليل الله ، فيؤتى إبراهيم فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بموسى ، فإنه كليم الله ، فيؤتى موسى صفوة الله فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بعيسى ، فإنه روح الله وكلمته ، فيؤتى عيسى فيقول : لست لها ، ولكن عليكم بمحمدٍ ﷺ ، فأوتى فأقول : أنا لها ، فأنطلق فأستأذن على ربي عزّ وجلّ ، فيؤذن لي عليه فأقوم بين يديه مقاماً ، فيلهمني فيه محامد لا أقدر عليها الآن ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخرّ له ساجداً ، فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يُسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تُشفّع ، فأقول : أيْ رَبِّ ، أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال بُرَة أو مثقال شعيرة من إيمان فأخرجه . فأنطلق فأفعل ، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخرّ له ساجداً فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك وقل تُسمع ، وسل تعط ، واشفع تُشفّع ، فأقول : أيْ ربِّ ، أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه ذرّة أو مثقال خردلة من إيمان فأخرجه منها ، فأنطلق فأفعل ، [١٠٢] ثم أرجع ، فأحمده بتلك المحامد ، ثم أخرّ له

(١) الانقصاف : الاندفاع . « قال ابن الأثير : أي أن استسعادهم بدخول الجنة وأن يتم لهم ذلك أهمّ عندي من أن أبلغ أنا منزل الشافعين المشفعين » . اللسان : « قصف » .

ساجداً ، فيقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل يُسمع لك ، وسل تعطه ، واشفع تشفَّع ، فأقول : أيْ ربِّ ، أمتي أمتي ، فيقال لي : انطلق ، فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال خردلة من إيمان فأخرجه من النار .

فلما رجعت من عند أنس قلت لأصحابي : هل لكم في الحَسَن ؟ وهو مستخف في منزل أبي خليفة في عبد القيس . فأتيناه فدخلنا عليه ، فقلنا : جئنا من عند أخيك أنس ، فلم نسمع مثل ما حدثنا به في الشفاعة . قال : كيف حدثكم ؟ قال : فحدثناه الحديث حتى إذا بلغنا قال : هيه . قلنا : لم يزدنا على هذا . قال : قد حدثنا هذا الحديث ، وهو جميع[(١)] ، حدثني منذ عشرين سنة ، ولقد ترك شيئاً ، فلا أدري أنسي الشيخ أم كَرِه أن يُحدثكموه فتتّكلوا ، حدّثني .. ثم قال في الرابعة : ثم أعود فأخرّ له ساجداً ، ثم أحمد بتلك المحامد فيقال لي : يا محمد ، ارفع رأسك ، وقل تُسمع ، وسل تُعط ، واشفع تشفَّع ، فأقول : أيْ ربِّ ، ائذن فيمن قال لا إله إلا الله ، بها صادقاً . قال : فيقول : ليس لك ، وعزتي وكبريائي وعظمتي . لأُخرجنَّ منها مَن قال لا إله إلا الله . قال : فأشهد على الحسن لحدثنا بهذا الحديث يوم حدثنا به أنس .

وعن أنس بن مالك قال : حدثني نبي الله ﷺ قال :

إني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط إذ حيّاني عيسى . قال : فقال : هذه الأنبياء عليهم السلام قد جاءتك يا محمد - ينسُلون[(٢)] - أو قال : يجتمعون - إليك ، فيدعون الله عزّ وجلّ أن يفرق جميع الأمم إلى حيث يسأل الله عزّ وجلّ لِغَمِّ ما هُم فيه ، والخلق مُلْجَمون في العرق . فأما المؤمن فهو عليه كالزُّكْمة[(٣)] . وأما الكافر فيغشى من الموت ، قال : قال عيسى عليه السلام : انتظر حتى أرجع إليك ، قال : ذهب نبي الله ﷺ ، فقام تحت العرش فلقي ما لم يلق ملَك مصطفى ، ولا نبيّ مرسَل [١٠٣] فأوحى الله تبارك وتعالى إلى جبريل عليه السلام أن اذهب إلى محمد فقل له . ارفع رأسك . سل تعط ، واشفع تُشفَّع . قال : فشفعت في أمتي أن أُخرج من كل تسعة وتسعين إنساناً واحداً . قال : فما زلت أتردد على

(١) جميع : أي مجتمع القوة . اللسان : « جمع » .
(٢) نسَل في العدو ينسل : أسرع . اللسان : « نسل » .
(٣) الزُّكمة والزُّكام بمعنى . اللسان : « زكم » .

ربي ، فلا أقوم منه مقاماً إلا شفعت ، حتى أعطاني الله عزّ وجلّ من ذلك أن قال : يا محمد ، أدخِل من أمتك من خلق الله من شهد أنه لا إله إلا الله يوماً واحداً ، مخلصاً ، ومات على ذلك .

وعن ابن عمر قال :

تصير الأمم جُثىً[1] ، كل أمة مع نبيّها فيجيء رسول الله ﷺ مع أمته فيؤتى بهم على كوْم[2] مشرف على الأمم كلّها فيقال : يا فلان : اشفع ـ فيردّها بعضهم إلى بعض حتى ينتهوا إلى رسول الله ﷺ فذلك قوله : ﴿ عسى أنْ يبْعثك ربُّك مقاماً محْمُوداً ﴾[3] .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :

ما يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم . وقال : إن الشمس تدنو حتى يبلغ العرق نصف الأذن . فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول : لست صاحب ذلك ، ثم يأتون موسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد ﷺ بين الخلق ، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً ، يحمده أهل الجمع كلهم .

وعن أبي نضرة قال : سمعت ابن عباس يخطب على منبر البصرة قال : قال رسول الله ﷺ :

إنه لم يكن نبي إلا وله دعوة ينجزها في الدنيا ، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة ، وأنا سيّد ولد ادم ولا فخر ، وأول من تنشقّ عنه الأرض ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ، فأدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة ولا فخر ، ويطول يوم القيامة على الناس ويشتدّ حتى يقول بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبينا ادم أبي البشر ليشفع لنا إلى ربّه ، فيقضي بيْننا ، فينطلقون إلى أدم فيقولون : يا أدم ، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا ، فيقول أدم : لست هناكم ، إني أُخرجت من الجنة [١٠٤] بخطيئتي ، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، ولكن ائتوا نوحاً ، فيأتون نوحاً فيقولون : يا نوح ، اشفع لنا إلى ربك فيقضي بيننا ، فيقول : لست هناكم ، إني دعوت دعوة أغرقت أهل الأرض ، وإنه لا يهمني اليوم إلا

---

(١) أي جماعة . اللسان . « جثا » .

(٢) الكوم : المواضع المشرفة جمع كومة . اللسان . « كوم » .

(٣) سورة الإسراء ١٧ / ٧٩

نفسي ، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن ، فيأتون إبراهيم فيقولون : يا إبراهيم ، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا فيقول : لست هناكم ، إني كذبت في الإسلام ثلاث كذبات ـ قوله : ﴿ إنِّي سَقِيمٌ ﴾[1] وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هذا ﴾[2] وقوله للملك حين مرّ به[3] ـ فقال رسول الله ﷺ : والله ما أراد بهن إلا عزة لدين الله ـ فإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، ولكن ائتوا موسى عبداً اصطفاه الله برسالاته وكلّمه ، فيأتون موسى فيقولون : يا موسى ، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا فيقول : إني لست هناكم ، إني قتلت نفساً بغير نفس ، وإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى فيقولون : يا عيسى ، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا فيقول : إني لست هناكم ، إني اتخذت إلهاً من دون الله ، فإنه لا يهمني اليوم إلا نفسي ، أرأيتم لو كان متاع في وعاء مختوم كان يُقدر على ما فيه حتى يُفضّ الخاتم ؟ فيقولون : لا ، فيقول : فإن محمداً ﷺ خاتم النبيين وقد حضر ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتون فيقولون : يا محمد ، اشفع لنا إلى ربك فليقض بيننا ، فأقول : أنا لها حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى . فإذا أراد الله أن يقضي من خلقه نادى منادٍ : أين أحمد وأمته ؟ أين أحمد وأمته ؟ فيجيئون فنحن الأولون الآخرون ، آخر من يبعث وأول من يحاسب ، فتفرج لنا الأمم عن طريقنا ، فنمضي غُراً محجّلين من آثار الطّهور ، فتقول الأمم : كادت هذه الأمم أن تكون أنبياء كلها .

وعن عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ، [١٠٥] قال : ويبقى منبري لا أجلس عليه ـ أو قال : لا أقعد عليه ـ قائماً بين يَدَيْ ربي ، منتصباً بأمتي مخافة أن يبعث بي إلى الجنة ، وتبقى أمتي بعدي ، فأقول : يا ربّ ، أمتي أمتي . قال : فيقول الله عزّ وجلّ : يا محمد ، وما تريد أن أصنع بأمتك ؟ فأقول : يا ربّ ، عجّلْ حسابهم فيُدعى بهم فيُحاسَبون ، فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ، ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ، فما أزال

---

(١) سورة الصافات ٣٧ / ٨٩

(٢) سورة الأنبياء ٢١ / ٦٣

(٣) يريد قوله للملك الجبار حين مرّ به عن زوجه سارة بأنها أخته . انظر تفسير ابن كثير . وفي صحيح مسلم ـ كتاب الإيمان : وذكر قوله في الكوكبَ : « هذا ربّي » .

أشفع حتى أعطى صكاكاً برجال قد بعث بهم إلى النار ، حتى إن مالكاً خازن النار يقول : يا محمد ، ما تركت النار لغضب ربك في أمتك من نقمة .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال :

أعطيت خمساً ولا أقول فخراً : بُعثت إلى الأحمر والأسود . وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً . وأُحلت لي الغنائم ، ولم تحلّ لأحد كان قبلي . ونُصرت بالرعب ، يسير من أمامي مسيرة شهر . وأُعطيت الشفاعة ، وادّخرتها لأمتي إلى يوم القيامة . وهي إن شاء الله نائلةٌ مَن لا يشرك بالله شيئاً .

وعن أبي سعيد الخدري قال : سمعت نبي الله ﷺ يقول :

ألا كل نبي أعطي عطيّة فتنجّزها ، وإني اختبأت عطيتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة .

وعن عبد الله قال :

أول مَن يشفع روح القدس جبريل ثم إبراهيم ثم موسى ، ثم يقوم نبيّكم ﷺ رابعاً فيشفّع فيما لا يشفّع فيه أحد سواه .

وعن عبد الله قال :

يعذّب الله قوماً من أهل الإيمان فتخرجهم شفاعة رسول الله ﷺ ، لا يبقى منهم إلا من ذكر اللهُ منهم في القرآن : ﴿ ما سلككُمْ في سقر قالوا لمْ نكُ من المصلّين ﴾(1) إلى قوله : ﴿ فما تنفعُهُمْ شفاعةُ الشّافعين ﴾(1) ثم قال : هؤلاء الذين لا تنفعهم شفاعة الشافعين .

وعن عبد الله بن مسعود :

يُشفّع نبيكم ﷺ رابع أربعة : جبريل ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى ثم نبيكم ﷺ ، لا يشفّع أحد في أكثر مما يشفّع فيه نبيكم ، ثم النبيون ثم الصدّيقون ثم الشهداء . ويبقى قوم في جهنم فيقال [١٠٦] لهم : ﴿ ما سلككُمْ في سقرْ قالُوا لمْ نكُ من المصلّين ولمْ نكُ نُطْعمُ المسْكين ﴾(1) وإلى قوله : ﴿ فما تنْفعُهُمْ شفاعةُ الشّافعين ﴾(1) .

---

(1) سورة المدثر ٧٤ / ٤٢ ـ ٤٨

قال ابن مسعود :

فهؤلاء الذين يبقون في جهنم .

وعن ابن عباس

في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيْكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾[1] .

قال :

رضاه أن يُدخِل أمته كلَّهم الجنة .

---

(١) سورة الضحى ٩٣ / ٥

ما ضَرب لنفسه من المثل
وما ظهر من الإكمال للدين ببعثه

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

مَثَلي ومَثَل الأنبيـاء كَمَثَل قصر أُحسِن بُنيـانـه ، وتُرك منـه موضع لبنـة ، فطـاف بـه النظّـار يتعجبون من حسن بنيـانـه إلا موضع تلـك اللبنـة لا يعيبـون غيرهـا ، فكنت أنـا سددت موضع تلك اللبنة ، فتمّ بي البنيان ، وختم بي الرسل .

وفي حديث آخر :

فأنا ذلك خاتم النبيين ولا نبي بعدي .

وعن جابر بن عبد الله قال :

جـاءت مـلائكـة إلى النبي ﷺ وهـو نـائم ، فقـال بعضهم لبعض : إنـه نـائم ، وقـال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظـان ، فقـالوا : إن مَثَلـه كَمَثَل رجل بنى داراً فجعل فيهـا مـأدبـة ، وبعث داعيـاً : من أجـاب الـداعي دخل الـدار ، وأكل من المـأدبـة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقـالوا : أوِّلُوهـا لـه يفقههـا ، فقـال بعضهم : إنـه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان .

قالوا : فالدار : الجنة ، والداعي محمد ﷺ ، فمن أطاع محمداً فقـد أطـاع الله ومن عصى محمداً فقد عصى الله ، ومحمد فرّق بين الناس .

وعن أبي هريرة قال : قالْ رسول الله ﷺ :

مَثَلي كَمَثَل رجل استوقد ناراً . فلما أضـاءت مـا حولهـا جعل الفراش وهـذه الـدواب التي يقعْنَ في النار يقعن فيهـا ، وجعل يحجزهنّ ويغلِبْنَـه ويتقحّمنَ فيهـا ، فـذلكم مَثَلي ومَثَلكم . أنـا آخذ بحجزكم عن النار ، هلمّ عن النار ، هلمّ عن النار ، فتغلبوني ، تقتحمون فيها .

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ [١٠٧] قال :

إن مَثَل ما آتاني الله عزّ وجلّ من الهدى والعلم كَمَثَل غيث أصاب أرضاً ، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا منها وسقوا وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مَثَل من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِم وعلَّم ، ومَثَل مَن لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يعقل هدى الله الذي أُرسلت به .

وعن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال :

إن مَثَل ما بعثني الله به كَمَثَل رجل أتى قومه فقال : إني رأيت الجيْش ، يعني : وإني النذير ، فالنَّجاء ، فأطاعه طائفة من قومه ، فارتحلوا وانطلقوا على مهلهم فنجُوا ، وكذبت طائفة منهم ، فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم ، فذلك مَثَلي ومَثَل مَن أطاعني واتبع ما جئت به ، ومَثَل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق .

وروي عن الحسن أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

إنما مَثَلي ومَثَلكم ومَثَل الدنيا كَمَثَل قومٍ سلكوا مفازةً غبراء لا يدرون ، ما قطعوا منها أكثر أم ما بقي منها ؟ فحسر ظهرهم ، ونفِد زادهم ، وسقطوا بين ظهراني المفازة ، وأيقنوا بالهلكة ، فبينا هم كذلك إذ خرج عليهم رجل في حُلة يقطر رأسه فقالوا : إن هذا لَحديث العهد بالريف ، فانتهى فقال : ما لكم يا هؤلاء ؟ قالوا : ما ترى . حَسَر ظهرنا ، ونفِد زادنا ، وسقطنا بين ظهراني المَفازة ، لا ندري ما قطعنا منه أكثر أم ما بقي علينا ؟ قال : ما تجعلون لي إن أوردتكم ماء رَواء[1] ورياضاً خضراً ؟ قالوا : نجعل لك حكمك . قال : تجعلون لي عهودكم ومواثيقكم ألا تعصوني ؟ قال : فجعلوا له عهودهم ومواثيقهم ألا يعصوه ، فمال بهم فأوردهم رياضاً خضراً وماء روِىً[1] . فمكث يسيراً ثم قال : هلموا إلى رياض أعشبَ من رياضكم وماء أروى من مائكم [١٠٨] فقال رجلٌ من القوم : ما قدرنا على هذا حتى كدنا ألا نقدر عليه ، وقالت طائفة منهم : ألستم قد جعلتم لهذا الرجل عهودكم ومواثيقكم ألا تعصوه ، وقد صدقكم في أول حديثه ، وآخرُ حديثه مثل أوله ، فرَاح وراحوا معه ، فأوردهم رياضاً خضراً وماء روِىً ، وأتى الأخرى العدوّ من تحت ليلتهم فأصبحوا بين قتيل وأسير .

---

(١) ماء رَواء ورِوىً : عذب مُروٍ . اللسان : « روي » .

ذكر إعزازه بالهجرة إلى المدينة

عن جرير أن النبي ﷺ قال :

إن الله تبارك وتعالى أوحى إليّ : أيّ هؤلاء البلاد الثلاث نزلتَ فهي دار هجرتك : المدينة أو البحرين أو قِنّسرين .

قال أهل العلم : ثم عزم له على المدينة ، فأمر أصحابه بالهجرة إليها .

وعن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ يَلمّ بمكة ثم أمر بالهجرة وأنزل عليه : ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ واجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً ﴾[1] .

وعن ابن عباس

في قوله تعالى : ﴿ وإذْ يَمكُرُ بِكَ الَّذينَ كَفَرَوا لِيُثْبِتُوكَ ﴾[2] .

قال :

تشاورت قريش بمكة ، فقال بعضهم : إذا أصبح أثبتوه بالوثاق ، يريدون النبي ﷺ وقال بعضهم : اقتلوه ، وقال بعضهم : بل أخرجوه ، فأطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك ، فبات عليّ على فراش النبي ﷺ تلك الليلة ، وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار ، وبات المشركون يحرسون علياً ، يحسبون أنه النبي ﷺ . فلما أصبحوا ثاروا إليه[3] . فلما رأوا علياً ردّ الله مكرهم ، فقالوا : أين صاحبك هذا ؟! قال : لا أدري ، فاقتصّوا أثره . فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم ، فصعدوا في الجبل ، فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نَسْج

---

(١) سورة الإسراء ١٧ / ٨٠

(٢) سورة الأنفال ٨ / ٣٠

(٣) ثار إليه : وثب . اللسان : « ثور » .

العنكبوت ، فقالوا : لو دخل ههنا لم يكن نَسج العنكبوت على بابه . فمكث فيه ثلاثاً .

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت :

لم أعقل أبويّ قط إلا وهما يدينان الدين . ولم يمرّ علينا يوم إلا يـأتينـا فيـه رسول الله ﷺ [١٠٩] طرفي النهار بكرة وعشياً . فلما ابتُلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغِماد[1] لقيه ابن الدغُنّة وهو سيد القارَة . فقال لـه : أين تريـد يـا أبـا بكر ؟ فقـال أبو بكر : أخرجني قـومي ، أريـد أن أسيـح في الأرض ، فـأعبـد ربي عـزّ وجلّ ، فقال له ابن الدغُنّـة : فـإن مثلـك لا يُخرَج ، ولا يَخرُج ، إنـك تكسب المعـدوم ، وتصل الرحم ، وتحمِل الكلّ ، وتَقري الضيف ، وتُعين على نوائب الحـق ، فـأنـا لـك جـار ، فارجِع فاعبد ربك ببلدك ، فرجع وارتحل معه ابن الدغنـة . فطـاف ابن الـدغُنّـة عشيـة في أشراف قريش فقـال لهم : إن أبـا بكر لا يُخرَج مثلـه ولا يَخرُج ، أتُخرِجون رجلاً يُكسب المعـدوم ، ويصِل الرحم ، ويحمل الكَلّ ، ويَقري الضيـف ، ويُعين على نوائب الحـق ؟! فلم تكـذب قريش جوار ابن الـدغُنّـة ، وقـالـوا لابن الـدغُنّـة : مُر أبـا بكر فليتعبـد في داره ، وليصلّ فيها ، وليقرأ فيها ما شاء ، ولا يؤذِنا بذلك ، ولا يستعلِن به ، فـإنّـا نخشى أن يفتن أبناءنا ونساءنا ، فقال ابن الدّغُنّة ذلك لأبي بكر .

فلبث أبـو بكر بـذلـك يعبـد الله في داره ، ولا يستعلِن بصـلاتـه ولا بقراءتـه في غير داره . ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجـداً بفِنـاء داره ، وكان يصلي فيـه ، ويقرأ القرآن ، فيقف عليه نساء المشركين وأبناؤهم ، فيتعجبون منه ، وينظرون إليه ، وكان أبو بكر رجلاً بَكّـاء لا يملـك عينيـه إذا قرأ القرآن ، فـأفزع ذلـك أشراف قريش من المشركين ، فـأرسلوا إلى ابن الدّغُنّة ، فقدم عليهم فقالوا : إنا كنا أجزنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره ، فقـد جاوز ذلك ، فابْتَنى مسجداً بفناء داره ، فأعلن بالصلاة والقراءة فيـه ، وإنـا قـد خشينـا أن يفتن أبناءنا ونساءنا ، فانهَهُ ، فإنْ أحَبَّ أن يقتصر على أن يعبد ربـه في داره فعل ، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله أن يردّ إليـك ذمتـك ، فـإنـا قـد كرهنـا أن نخفِرك ، ولسنـا مُقرّي لأبي بكر [١١٠] الاستعلان .

(١) برك الغِماد : بكسر الغين وتضم : موضع وراء مكة . معجم البلدان .

قالت عائشة :

فأتى ابن الدَغُنّة إلى أبي بكر فقال : قد علمتَ الذي عاهدتُ لك عليه ، فإما أن تقتصر ، وإما أن تُرجع إليّ ذمتي ، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أُخفرت في رجلٍ عقدتُ له . فقال أبو بكر : فإني أردّ إليك جوارك ، وأرضى بجوار الله تبارك وتعالى . ورسول الله ﷺ يومئذ بمكة قد قال للمسلمين : قد رأيت أرض هجرتكم ، أُريت سبخة ذات نخل بين لابتين ـ وهما الحرّتان ـ فهاجر مَن هاجر قِبَل المدينة ، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة ، وتجهز أبو بكر قِبَل المدينة فقال له رسول الله ﷺ : على رِسْلك ، فإني أرجو أن يؤذن لي . فقال أبو بكر : هل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي ؟ قال : نعم . فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ﷺ للصحبة ، وعلف راحلتين كانتا عنده ، ورق السَمُر ـ وهو الخَبَط[1] ـ أربعة أشهر .

قالت عائشة :

فبينا نحن جلوس في بيت أبي بكر في نحْر الظهيرة ، قال قائل لأبي بكر : هذا رسول الله ﷺ منقبعاً[2] في ساعة لم يكن يأتينا فيها ، فقال أبو بكر : فداك أبي وأمي ، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر . قالت : فجاء رسول الله ﷺ واستأذن ، فأُذن له فدخل ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر : أُخرِجْ مَنْ عندك ، فقال أبو بكر : إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : فإني قد أُذن لي في الخروج . قال أبو بكر : للصحابة ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله ؟ قال : نعم . فقال أبو بكر : فخذ بأبي أنت إحدى راحلتي هاتين . قال رسول الله ﷺ : بالثمن .

قالت عائشة :

فجهزّتُها أحثّ الجهاز ، وَصنعنا لهما سفرة في جراب ، فقطعت أسماء بنت أبي بكر نِطاقها قطعتين ، فربطت به على فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين . ثم لحق رسول الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل ثور ، فكَمَنا فيه ثلاث ليال [١١١] يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر ، وهو غلام شاب لَقِن ثَقِف فيَدلج من عندهما السحر ، فيصبح مع قريشٍ كبائتٍ ،

(١) الخَبَط ، بالتحريك : ضرب ورق الشجر بالعصا ليتناثر ورقها ، وهو من علف الإبل . اللسان : « خبط » .

(٢) انقبع : أدخل رأسه في ثوبه . اللسان : « قبع » .

ولا يسمع أمراً إلا وعاه ، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ، ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولىً لأبي بكر مِنْحة[2] من غنم ، فيريحها عليهما حين يذهب ساعة من العشاء ، فيبيتان في رِسْل : وهو لبن مِنْحتهما ، حتى يَنعِق[1] عامر بن فهيرة بغَلَس ، يفعل ذلك كل ليلة من الليالي الثلاث . فاستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِّيْل وهو ابن عبد العزّى بن عدي هادياً خِرّيتاً ـ والخِرّيت : الماهر بالهداية ـ قد غمس حِلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش ، فأمّناه ، فدفعا إليه راحلتيهما ، ووعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ ، فأتاهما براحلتيهما صُبح ثلاث ، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل ، وأخذ بهم طريق الساحل .

وفي حديث آخر : فحدث عن أسماء بنة أبي بكر أنها قالت :

لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجتُ إليهم ، فقال : أين أبوك يابنة أبي بكر ؟ قالت : قلت : لا أدري والله أين أبي ؟ قالت : فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدّي لطمة ، فخرج منها قرطي . قالت : ثم انصرفوا ، فمكثنا ثلاث ليالٍ ، ما ندري أين توجّه رسول الله ﷺ ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة يغني بأبيات من شعر غِناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه فيسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة يقول : [الطويل]

جزى اللهُ ربُّ النّاسِ خيرَ جزائِهِ ... رفيقَيْن حلاّ خيمَتَيْ أمِّ مَعْبَدِ[3]
هما نزلا بالبرِّ وارتحلا بهِ ... وأفلحَ مَنْ أمسى رفيقَ محمّدِ
لِيَهْنِ بني كعبٍ مكانُ فَتاتِهِمْ ... ومَقْعَدُها للمؤمنين بمَرْصَدِ

قالت : فلما سمعنا صوته عرفنا حيث وَجّه رسول الله ﷺ [١١٢] وأن وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، وعبد الله بن أُرَيْقط دليلُهما .

---

(١) المِنْحة والمنيحة : الناقة أو الشاة التي تُعار ليستفاد منها . وقيل للّبن خاصة . اللسان : « منح » .
(٢) نعق الراعي بالغنم صاح بها وزجرها . اللسان : « نعق » .
(٣) الأبيات في سيرة ابن هشام ٢ / ١٣٢

وروى زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك

أن النبي ﷺ ليلة الغار أمر الله شجرة فخرجت في وجه النبي ﷺ تستره ، وأن الله بعث العنكبوت فنسجت ما بينهما ، فسترت وجه النبي ﷺ ، وأمر الله حمامتين وحشيتين فأقبلا يدِفّان حتى وقعا بين العنكبوت وبين الشجرة .

وأقبلت فتيان من قريش ، من كل بطن منهم رجل ، ومعهم عصيّهم وقِسيّهم وهِراوتهم حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على قدر مئتي ذراع قال الدليل سراقة بن مالك بن جُعْشم المدلجي : هذا الحجر ثم لا أدري أين وضع رجله ؟ فقال الفتيان : أنت لم تخط منذ الليلة حتى أصبحنا فقال : انظروا في الغار ، فاستقدم القومَ حتى إذا كانوا من النبي ﷺ على قدر خمسين ذراعاً فإذا الحمامتان فرجع ، فقالوا : ما ردّك أن تنظر في الغار ؟ قال : رأيت حمامتين وحشيتين بفم الغار فعرفت أن ليس فيه أحد ، فسمعها النبي ﷺ فعرف أن الله تبارك وتعالى درأ عنهما بهما فسمّت[1] عليهما وأخذهما إلى الحرم ، فأفرخا كما ترى .

وحدث أبو بكر رضي الله عنه قال :

جاء رجل من المركز حتى استقبل رسول الله ﷺ بعورته يبول ، قال : قلت : يا رسول الله ، أليس الرجل يرانا ؟ قال : لو رآنا لم يستقبلنا بعورته . يعني : وهما في الغار.

وعن قيس بن النعمان قال :

لما انطلق النبي ﷺ وأبو بكر يستخفيان في الغار مرّا بعبد يرعى غنماً ، فاستسقياه من اللبن ، فقال : والله مالي شاة تحلب ، غير أن ههنا عتاقاً حملت أوان الشتاء فما بقي لها لبن ، وقد افتجّت[2] فقال [١١٣] رسول الله ﷺ : ائتنا بها ، فدعا عليها رسول الله ﷺ بالبركة ، ثم حلب عِشاء ، فسقى أبا بكر ، ثم حلب آخر فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب ، فقال العبد : بالله من أنت ؟ ما رأيت مثلك قط ، قال رسول الله ﷺ : أو تراك إن أخبرتك تكتم عليّ ؟ قال : نعم . قال : إني محمد رسول الله . قال : أنت الذي تزعم قريش أنك صابئ ؟ قال : وإنهم ليقولون ذلك . قال : فإني أشهد أنك لرسول الله ، وأن ما جئت

---

(١) التسميت : ذكر الله على الشيء . اللسان . « سمت » .

(٢) افتجّ : سلك الفِجاج ج فجّ : وهو المضرِب البعيد . اللسان : « فجج » .

به حق ، وأنه ليس يفعل ما فعلتَ إلا نبي ، ثم قال : أتبعك؟ قال : لا ، حتى تسمع أنّا قد ظهرنا ، فإذا بلغك ذلك فاخرج . فتبعه بعدما خرج من الغار .

وعن جابر بن عبد الله قال :

لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر مهاجرَيْن فدخلا الغار، فإذا في الغار جُحر فألقمه أبو بكر عقبه حتى أصبح، مخافةَ أن يخرج على رسول الله ﷺ منه شيء. فأقاما في الغار ثلاث ليالٍ ثم خرجا حتى نزلا خيات أم معبد، فأرسلت إليه أم معبد: إني أرى وجوهاً حِساناً، وإن الحيَّ أحرصُ على كرامتكم مني. فلما أمْسَوا عندها بعثت إليهم مع ابن لها بشفرة وشاة، فقال رسول الله ﷺ : ياغلام، اردد الشفرة وهات لي فَرْقاً ـ يعني: قدحاً ـ فأرسلت إليه بأن لا لبن فيها ولا ولَد. قال: هات لي فَرقاً فجاؤوه بقدح، فضرب على ظهرها، فاجترّت ودرّت، وملأ القدح فشرب وسقى أبا بكر، ثم حلب، فبعث به إلى أم معبد.

وعن أنس بن مالك قال :

أقبل نبيّ الله ﷺ إلى المدينة وهو مُردِفٌ أبا بكر ويقول : يا أبا بكر ، شيخ يُعرف ، ونبي الله ﷺ شابّ لا يعرف . قال : فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر ، مَن هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ، فيحسب الحاسب إنما يهديه الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير .

فالتفت [١١٤] أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يانبي الله، هذا فارس قد لحق بنا. قال: فالتفت نبي الله ﷺ فقال: اللهم اصرعه، فصرعه فرسه، ثم قامت تَحَمْحَم. قال: ثم قال: يانبي الله، مُرْني بما شئت. قال: قف مكانك لا تتركَن أحداً يلحق بنا. قال: فكان أوّل النهار جاهداً على نبيّ الله ﷺ، وكان آخر النهار مَسْلَحَة(١) له.

قال : فنزل نبي الله ﷺ جانب الحرّة . ثم بعث إلى الأنصار فجاؤوا نبي الله ﷺ ، فسلّموا عليهما ، وقالوا : اركبا آمنَيْن مُطاعين . قال : فركب رسول الله ﷺ وأبو بكر ، وحفّوا حولهما بالسلاح . قال : فقيل في المدينة : جاء نبي الله ﷺ ، فاستسرعوا نبيَّ الله ﷺ ينظرون إليه ويقولون : جاء نبي الله ﷺ . قال : فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبي أيوب . قال : فإنه لَيحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخيل لأهله

---

(١) المَسْلَحَة : قوم في عُدة بموضع رَصَد قد وكّلوا به بإزاء ثغر . اللسان : « سلح » .

يخترف[1] لهم منـه ، فعجل أن يضع التي يخترف فيهـا ، فجـاء وهي معـه ، فسمـع من نبي الله ﷺ فرجع إلى أهله . فقال نبيّ الله ﷺ : أي بيوت أهلنا أقرب ؟ قـال : فقـال أبو أيوب : أنا يا نبيّ الله ، هذه داري وهذا بابي ، قال : فانطلِق فهيء لنا مَقيلاً . قـال : فـذهب فهيـأ لهما مَقيلاً ثم جاء فقال : يا نبي الله ، قد هيأت لكما مَقيلاً ، قُوما على بركـة الله فقيلا . فلمـا جاء نبي الله ﷺ جاء عبـد الله بن سلام فقـال : أشهـد أنـك رسول الله حقـاً ، وأنـك جئت بحق ، ولقـد علمت اليهود أني سيّـدهم وابن سيـدهم ، وأعلَمُهم وابن عـالمهم ، فـادعُهم فسَلْهم ، فدخلوا عليه ، فقال لهم نبيّ الله : يا معشر اليهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الـذي لا إلـه إلا الله إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئتكم بحق ، أسلموا ، قالوا : ما نعلمه : ثلاثاً .

[١١٥] وعن سُراقة بن جُعْشم قال :

جاءنا رُسل كفـار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وفي أبي بكر ديـة كل واحـد منهما لمن قتلهما أو أسرهما ، فبينا أنا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مُـدْلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا فقال : يا سراقة ، إني رأيت آنفاً أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابـه . قـال سراقـة : فعرفت أنهم هم ، فقلت : إنهم ليسوا بهم ولكن رأيت فـلانـاً وفـلانـاً انطلقـوا آنفـاً . قال : ثم ما لبثت في المجلس ساعـة حتى قمت ، فـدخلت بيتي فـأمرت جـاريتي أن تُخرج لي فرسي من وراء أكمة فتحبِسها عليّ وأخـذت رمحي ، فخرجت بـه من ظهر البيت ، فحططت برمحي الأرض ، وخفضت عالية الرمح حتى أتيت فرسي ، فركبتها فترفَّعتُها[2] تقرب بي حتى رأيت أسـودهما . فلمـا دنـوت منهم حيث أُسمعهم الصـوت عثرت بي فرسي ، فخرَرْتُ عنهـا ، فقمت وأهويت بيدي إلى كنانتي ، فـاستخرجت منهـا الأزلام ، فـاستقسمت بهـا : أضرّهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ألاّ أضرّهم ، فركبت فرسي وعصيت الأزلام ، فترفَّعتُهـا تقرب بي حتى إذا دنـوت منهم عثرت بي فرسي ، فخررْتُ عنهـا فقمت ، فـأهـويت بيـدي إلى كنـانتي ، فأخرجت الأزلام فاستقسمت بها ، فخرج الـذي أكره ألاّ أضرهم ، فعصيت الأزلام ، وركبت فرسي فترفَّعتُهـا تقرب بي ، حتى إذا سمعت قراءة النبي ﷺ وهو لا يلتفت ، وأبـو بكر يُكثر الالتفـات سـاخت يـد فرسي في الأرض حتى بلغت الركبتين ، فخررت عنهـا فـزجرتهـا ،

---

(١) خرف النخل واخترفه : اجتناه . اللسان : « خرف » .

(٢) يقال : ترفّع فلان فوق البعير إذا خشي أن يرمي به فلفة رجليه عند ثيل البعير اللسان : « رفع » .

فنهضت ، فلم تكد تُخرج يديها . فلما استوت قائمة إذا لأثرِ يدَيْها عُثان ساطع في السماء مثل الدخان .

قال معمر :

قلت لأبي عمرو[1] بن العلاء : ما العُثان ؟ فسكت ساعة ثم قال : هو الدخان من غير نار .

قال الزهري في حديثه :

فاستقسمتُ بالأزلام فخرج الذي أكره : ألا أضرهما فناديتها بالأمان ، فوقفوا ، وركبت فرسي حتى جئتهم [١١٦] . فوقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم أنه سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إن قومك جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم من أخبار سفرهم ، وما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرْزَوني[2] شيئاً ولم يسألوني إلا أن أَخْفِ عنّا ، فسألته أن يكتب لي كتاب موادعة آمَن به ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي في رقعة من أديم ثم مضى .

وعن جماعة من الصحابة دخل حديث بعضهم في بعض قالوا :

لما رأى المشركون أصحاب رسول الله ﷺ قد حملوا الذراري والأطفال إلى الأوس والخزرج عرفوا أنها دار منعة ، وقوم أهل حلقة وبأس ، فخافوا خروج رسول الله ﷺ ، فاجتمعوا في دار النَّدْوة ، ولم يتخلف أحد من أهل الرأي والحِجا منهم ليتشاوروا في أمره ، وحضرهم إبليس في صورة شيخ كبير من أهل نجد مشتمل الصَّمّاء[3] في بَتّ[4] ، فتذاكروا أَمْر رسول الله ﷺ ، فأشار كل رجل منهم برأي . كل ذلك يردّه إبليس عليهم ، ولا يرضاه لهم

---

(١) الأصل : « لأبي عمر بن العلاء » تحريف . وهو أبو عمرو بن العلاء المازني البصري ، في اسمه واسم أبيه خلاف . من أئمة اللغة والأدب ، وأحد القراء السبعة . توفي سنة ١٥٤ هـ . وانظر في ترجمته معجم الأدباء ١١ / ١٥٦ ، وغاية النهاية ١ / ٢٨٨ ، وفوات الوفيات ٢ / ٢٨

(٢) في اللسان : « رزا » : رزا فلان فلاناً : إذا قبل برّه .

(٣) الشّملة الصماء : التي ليس تحتها قميص ولا سراويل . وإنما قيل لها الصماء لأنه إذا اشتمل بها الرجل سدّ على يديه ورجليه المنافذ كلها . اللسان : « شمل ، صمم » .

(٤) البتّ : كساء غليظ . اللسان : « بت » .

إلى أن قال أبو جهل : أرى أن نأخذ من كل قبيلة من قريش غلاماً نهداً جليداً ثم نعطيه سيفاً صارماً ، فيضربونه ضربة رجلٍ واحدٍ فيتفرق دمه في القبائل ، فلا تدري بنو عبد مناف بعد ذلك ما تصنع . قال : يقول النجدي : لله درّ الفتى ، هذا والله الرأيُ ، وإلا فلا . فتفرقوا على ذلك ، وأجمعوا عليه .

وأتى جبريل رسولَ الله ﷺ فأخبرهُ الخبر ، وأمره ألا ينام في مضجعه تلك الليلة . وجاء رسول الله ﷺ إلى أبي بكر فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج . فقال أبو بكر : للصحابة يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، قال أبو بكر : فخذ بأبي أنت وأمي إحدى راحلتيّ هاتين . فقال رسول الله ﷺ : بالثمن . وكان أبو بكر اشتراها بثمان مئة درهم [١١٧] من نعم بني قُشَير . فأخذ إحداهما وهي القصواء ، وأمر علياً أن يبيت في مضجعه تلك الليلة ، فبات فيه ، وتغشى بُرداً أحمرَ حضرمياً كان رسول الله ﷺ ينام فيه .

واجتمع أولئك النفر من قريش يتطلعون من صَبير الباب فيرصُدونه ، يريدون بَياته فيأتمرون أيّهم يحمل على المضطجع صاحب الفراش . فخرج رسول الله ﷺ وهم جلوس على الباب ، فأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذرّها على رؤوسهم ويتلو : ﴿ يَس والقُرْآنِ الحَكِيْمِ ﴾(١) حتى بلغ : ﴿ سَواءٌ عَلَيْهِمْ أأنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾(١) ومضى رسول الله ﷺ فقال قائل منهم : ما تنتظرون ؟ قالوا : محمد . قال : خِبْتُم وخسِرتم ، قد والله مرّ بكم وذرّ على رؤوسكم التراب . قالوا : والله ما أبصرناه ، وقاموا ينفُضون التراب عن رؤوسهم ، وهم أبو جهل والحكم بن أبي العاص وعقبة بن أبي مُعَيط والنضر بن الحارث وأمية بن خلف وابن العيطلة وزمعة بن الأسود وطعيمة بن عدي وأبو لهب وأبيّ بن خلف ونبيه ومنبّه ابنا الحجاج . فلما أصبحوا قام عليّ عن الفراش فسألوه عن رسول الله ﷺ فقال : لا علم لي به . وجاء رسول الله ﷺ إلى منزل أبي بكر فكان فيه إلى الليل . ثم خرج هو وأبو بكر . فمضيا إلى غار ثَوْر فدخلاه ، وضربت العنكبوت على بابه بعِشاش بعضها على بعض ، وطلبت قريش رسولَ الله ﷺ أشد الطلب حتى انتهت إلى باب الغار . فقال بعضهم : إن عليه لعنكبوتاً قبل ميلاد محمد ، فانصرفوا ، وساق الحديث .

---

(١) سورة يس ٣٦ / ١ - ١٠ .

وكان خروج رسول الله ﷺ من الغار ليلة الاثنين لأربع ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول ، وقال يوم الثلاثاء بقُدَيد ، فلما راحوا منها عرض لهم سُراقة بن مالك بن جُعْشم وهو على فرس له ، فدعا عليه [١١٨] رسول الله ﷺ فرسخت قوائم فرسه . فقال : يا محمد ، ادع الله أن يطلق فرسي وأرجع عنك ، وأردّ مَنْ ورائي ففعل ، فأطلق ، ورجع ، فوجد الناس يلتمسون رسولَ الله ﷺ فقال : ارجعوا فقد استبرأت لكم ما هاهنا ، وقد عرفتم بصري بالأثر ، فرجعوا عنه .

وسلك رسول الله ﷺ في الخرّار ثم جاز ثنية المَرَة ، ثم سلك لَقْفاً ثم أجاز مَدْلَجة لَقْف ، ثم استبطن مَدلجة مَجَاح[1] ثم سلك مَرْجِح ثم بطن مَرْجِح مَجاح[2] ، ثم بطن ذات كَشْر[3] ثم علا الجدَاجِد[4] ثم علا الأذاخِر ثم بطن ربع ، فصلى به المغرب . ثم ذا سَلَم ثم أعْدا مَدْلجة[5] ثم العِثْيانة[6] ثم جاز بطن الفاجّة ثم هبط العَرْج ثم سلك في الخذوات ثم في الغائر[7] عن يمين رَكُوبه ، ثم هبط بطن العَقيق حتى انتهى إلى الجَثْجاثة فقال : من يدلّنا على الطريق إلى بني عمرو بن عوف ولا يقرب المدينة ؟ فتعلل على طريق الظَّبْيّ حتى خرج على العُصَبة[8] .

وكان المهاجرون قد استبطؤوا رسول الله ﷺ في القدوم عليهم ، فكانوا يغدون مع الأنصار إلى ظهر حرّة العَصَبة فيتحينون قدومه في أول النهار ، فإذا أحرقتهم الشمس رجعوا إلى منازلهم . فلما كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ وهو يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول ـ ويقال : اثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ـ جلسوا كما كانوا يجلسون . فلما أحرقتهم الشمس رجعوا إلى بيوتهم ، فإذا رجل من يهود يصيح على أُطُم بأعلى

---

(١) في الأصل بالإهمال . وانظر تعليق ياقوت في معجم البلدان : « مجاح » .

(٢) استدركت اللفظة في هامش الأصل .

(٣) في الأصل : « كشد » . وانظر معجم البلدان : « كشر » .

(٤) في الأصل : « الحدايد » وانظر معجم البلدان « جداجد » .

(٥) هي أعدا مدلجة تعهن : موضع على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة . معجم البلدان : « تعهن » .

(٦) في الأصل : « العثابية » تحريف . وانظر في اختلاف اسم هذا الموضع معجم البلدان : « العبابيد » .

(٧) ويقال « العائر » . وفي الأصل : « الغابر » تحريف . وانظر معجم البلدان : « عائر » .

(٨) هو موضع بقُباء . ويروى المُعَصَّب . معجم البلدان : « العصبة ، المعصب » .

صوته : يا بني قَيْلة ، هذا صاحبكم قد جاء . فخرجوا فإذا رسول الله ﷺ وأصحابه الثلاثة ، فبعث الرجّة في بني عمرو بن عوف والتكبير ، وتلبّس المسلمون السلاح . فلما انتهى رسول الله ﷺ إلى قُباء جلس [١١٩] رسول الله ﷺ ، وقام أبو بكر يذكر الناس . وجاء المسلمون يسلمون على رسول الله ﷺ . ونزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن الهِدْم ـ وهو الثبت عندنا ـ ولكنه كان يتحدث مع أصحابه في منزل سعد بن خيثمة ، وكان يسمى منزل العُزّاب ، فلذلك قيل : نزل على سعد بن خيثمة .

قالوا : وأقام رسول الله ﷺ ببني عَمرو بن عوف يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس . وخرج يوم الجمعة فجمّع في بني سالم ، ويقال : أقام ببني عمرو بن عوف أربع عشرة ليلة . فلما كان يوم الجمعة ارتفاع النهار دعا براحلته ، وحشد المسلمون وتلبسوا السلاح ، وركب رسول الله ﷺ ناقته القصواء ، والناس معه عن يمينه وشماله ، فاعترضته الأنصار ، لا يمرّ بدارٍ من دورهم إلا قالوا : هلمّ يا نبيّ الله إلى القوة والمنعة والثروة فيقول لهم خيراً ، ويدعو لهم ويقول : إنها مأمورة . فلما أتى مسجد بني سالم جمّع بمن كان معه من المسلمين وهم مئة . قالوا : ثم ركب رسول الله ﷺ ناقته وأخذ عن يمين الطريق حتى جاء بَلحُبْلى[1] ثم مضى ، حتى انتهى إلى المسجد ، فبركت عند مسجد رسول الله ﷺ ، فجعل الناس يكلمون رسول الله ﷺ في النزول عليهم ، وجاء أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب فحطّ رحله وأدخله منزله ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : المرء مع رحله ، وجاءه أسعد بن زرارة فأخذ بزمام راحلة رسول الله ﷺ فكانت عنده . وهذا الثبت .

قال زيد بن ثابت :

فأوّل هدية دخلت على رسول الله ﷺ في منزل أبي أيوب هدية دخلت بها أنا ، قصعة مثرودة : خبز وسمن ولبن ، فقلت : أرسَلَتْ بهذه القصعة أمي ، فقال : بارك الله فيك ، ودعا أصحابه ، فأكلوا فلم أرِم الباب حتى دخلت قصعة سعد بن عبادة : ثريد وعُراق[2] ، وما كان من ليلة إلا وعلى باب [١٢٠] رسول الله ﷺ الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ،

---

(١) هم بطن من الأنصار ، من بني عوف بن الخزرج . واسم الحُبلى سالم ، لقب بذلك لعظم بطنه . انظر جمهرة أنساب العرب ٢٤٨ ، والقاموس : « حبل » .

(٢) العُراق : العظم بلا لحم . اللسان : « عرق » .

يتناوبون ذلك حتى تحوّل رسول الله ﷺ من منزل أبي أيوب . قال : وكان مقامه فيه سبعة أشهر . وبعث رسول الله ﷺ من منزل أبي أيوب زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بعيرين وخمس مئة درهم إلى مكة ، فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتي رسول الله ﷺ وسَودة بنت زَمعة زوجته ، وأسامة بن زيد ، وكانت رقية بنت رسول الله ﷺ قد هاجر بها زوجها عثمان بن عفان قبل ذلك ، وحبس أبو العاصي بن الربيع امرأته زينب بنت رسول الله ﷺ . وحمل زيد بن حارثة امرأته أم أيمن مع ابنها أسامة بن زيد ، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر فيهم عائشة ، فقدموا المدينة ، فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان .

ذكر حروبه وغزواته وسراياه

قال علي بن حسين :

كنا نُعَلَّم مغازي النبي ﷺ وسراياه كما نعلم السورة من القرآن .

وعن إسماعيل بن محمد بن سعد قال :

كان أبي يعلمنا مغازي النبي ﷺ ويعدّها علينا ، وسراياه ويقول : يا بَنِيَّ ، هذه مآثر آبائكم ، فلا تضيّعوا ذكرها .

وكان الزهري يقول في علم المغازي : علم الآخرة والدنيا .

وعن قتادة قال :

غزا رسول الله ﷺ تسع عشرة غزوة : واقع فيها يوم بدر . وكان أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاث مئة وتسع عشرة ، والمشركون يومئذ ألف غير خمسين ، وكانت بدر في رمضان صبيحة سابع عشرة خلت من رمضان يوم الجمعة بعد هجرته بثمانية عشر شهراً أو ما [شاء][1] الله من ذلك [١٢١] وواقع نبي الله يوم أحد. فكان أُحُد من العام المقبل في شوال يوم السبت لإحدى عشرة ليلة مضت من شوال ، وكان أصحابه يومئذ سبع مئة والمشركون ألفين ، وما شاء الله من ذلك .

وواقع يوم الأحزاب . وكانت بعد أُحُد بسنتين من هجرته ، وأصحاب النبي ﷺ فيما

---

(١) زيادة اقتضاها السياق . وانظر في هذا الخبر الحديث عن وقعة أحد والأحزاب .

بلغنا ألف ، والمشركون أربعة آلاف وما شاء الله من ذلك . وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال : لن يغزوَكم المشركون بعد اليوم .

ثم كانت غزوة المُرَيْسيع ، وقُديد . واقع فيها نبي الله ﷺ في عام واحد سنة خمس من هجرته . وأما المُرَيسيع فلقي عليه نبي الله ﷺ خزاعة بني المصطلق . وأما قُديد فكان لهذيل .

وواقع رسول الله ﷺ يوم خيبر ، وذلك في سنة ست من هجرته في ذي القعدة ، مرجعَه من الحديبية . وأصحاب رسول الله ﷺ خمس عشرة مئة .

وواقع يوم الفتح سنة ثمان في رمضان ، وأصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار عشرة آلاف أو قريب من ذلك .

وواقع نبي الله ﷺ يوم حُنَين ، وذلك والفتح في عام واحد في شوال ، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ اثنا عشر ألفاً من المهاجرين والأنصار وألفان من الطُلَقاء من أهل مكة .

وغزا نبي الله ﷺ تسع عشرة غزوة . وواقع فيها ثماني غزوات ، وهي الثماني التي ذكرناها .

وبعث رسول الله ﷺ أربعاً وعشرين سرية ، فجميع غزو نبي الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون غزوة .

قال قتادة :

مغازي رسول الله ﷺ وسراياه ثلاث وأربعون . أربعٌ وعشرون سرية بعثها ، وتسع عشرة غزوة خرج فيها . لقي منها ثمانية بنفسه : ببدر وأحد والأحزاب والمُرَيْسيع وقُديد [١٢٢] وخيبر وفتح مكة وحُنَين ، والحديبية سنة ست . وبها كانت المُتْعَة ، وصده المشركون ومنعوه أن يدخل المسجد الحرام . فنحر رسول الله ﷺ الهَدي مكانه ، وحلقوا وقصّر بعضهم ، فاستغفر رسول الله ﷺ للمحلّقين ثلاثاً ، وللمقصّرين مرة واحدة ، وصالح المشركين أن يعتمروا من العام المقبل ، فاعتمر رسول الله ﷺ لسنة سبع ، وكان الفتح سنة ثمان .

وحج أبو بكر الصديق سنة تسع . وقرأ علي بن أبي طالب على النـاس : ﴿ بَراءَةٌ مِنَ اللهِ ورسولِهِ ﴾ ﴿ إلى النَّاسِ يَوْمَ الحَجِّ الأكْبَرِ ﴾[1] وكان مع أبي بكر .

وحج رسول الله ﷺ سنة عشر ، ثم صدر إلى المـدينـة . وتوفي رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول . وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان .

وقال ابن شهاب :

غزا رسول الله ﷺ بـدراً والكُـدْر[2] بني سُليم . وغزا غَطَفـان بنَخْل[3] ، ثم غزا قريشـاً وبني سُليم ببُحران[4] ، ثم غزا يوم أحـد ، ثم طلب العـدو حتى بلـغ حمراء الأَسَـد[5] . ثم غـزا قريشاً لموعدهم ، فأخلفوه ، ثم غزا بني النضير الغزوة التي أجلاهم فيها إلى خيبر ، ثم غزا تلقـاء نجـد يريـد مُحـارباً وبني ثعلبـة ، وهي غزوة ذات الرِّقـاع[6] ، ثم غـزوة دومـة ، ثم غـزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني المصطلق بالمُرَيْسيع ، وسبى فيهـا جويريـة بنت الحـارث بن أبي ضرار ، ثم غزوة ذات السلاسل ، ثم كانت غزوة قَطَن قتـل فيهـا مسعـود بن عُروة ، وغزوة ثنية القَرَدَة أصاب فيها عيراً لقريش ، وغزوة الجَموم[7] تلقاء أرض بني سُليم ، وغزوة حِسْمَى وغزوة الطَرَف[8] ، وغزوة وادي القرى .

وعن جماعة والسياق للبيهقي قال :

هذه مغازي رسول الله ﷺ التي قاتل فيها : بدر في رمضان سنة اثنتين ، ثم قـاتل يوم أحد في شوال سنة ثلاث ، ثم قاتل يوم الخندق [١٢٣] وهو يوم الأحزاب ، وبني قريظة في شوال من سنة أربع ، ثم قاتل بني المصطلق وبني لحيـان في شعبـان من سنـة خمس ، ثم قـاتل يوم خيبر من سنة ست ، ثم قاتل يوم الفتح في رمضان من سنـة ثمـان ، وقـاتل يوم حُنين ،

---

(١) سورة التوبة ٩ / ١ ، ٣

(٢) الكُدْر : ماء لبني سليم . معجم البلدان .

(٣) موضع بنجد من أرض غطفان . معجم البلدان .

(٤) هو معدن بالحجاز في ناحية الفُرْع ، وبين الفُرْع والمدينة ثمانية بُرُد . معجم البلدان .

(٥) موضع على بعد ثمانية أميال من المدينة . معجم البلدان .

(٦) انظر في سبب تسميتها بهذا الاسم . معجم البلدان .

(٧) في الأصل : « الجوع » وسوف يرد التعريف بها ص ١٩٨ .

(٨) الطرف : ماء على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة .

وحاصر أهل الطائف في شوال سنة ثمان . ثم حجّ أبو بكر سنة تسع . ثم حجّ رسول الله ﷺ حجة الوداع لتمام سنة عشر . وغزا رسول الله ﷺ ثنتي عشرة غزوة ، ولم يكن فيها قتال ، فكانت أول غزوة غزاها الأبواء ، وغزوة ذي العُشَيْرة من قِبَل يَنبُع يريد كُرْز بن جابر ، وكانت معه قريش . وغزوة بدر الآخرة ، وغزوة غطفان ، وغزوة الخندق يوم الأحزاب ، وغزوة بني سليم بالكُدْر ، وغزوة بُواط[١] ، وغزوة بُحْران ، وغزوة الطائف ، وغزوة الحديبية ، وغزوة تبوك وهي آخر غزوة غزاها .

وبعث رسول الله ﷺ بعوثاً ، فكان أول بَعْثٍ بَعَثه رسول الله ﷺ أن بعث عبيدة بن الحارث بن المطلب نحو قريش ، فلقوا بعثاً عظيماً على ماءٍ يُدعى أحياء[٢] وهو بالأبواء .

وبعث رسول الله ﷺ ابن جحش نحو مكة فلقيه عمرو بن الحضرمي بنخلة ، فقتله واقد بن عبد الله ، وأسروا رجلين من بني مخزوم : عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، ففُديا بعدما قدما المدينة .

وبعث رسول الله ﷺ حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكباً حتى بلغوا قريباً من سِيف البحر من الجار[٣] إلى جُهينة . فلقوا أبا جهل بن هشام في ثلاثين ومئة راكب من قريش ، فحجز بينهم مَجدِي[٤] بن عمرو الجهني .

وبعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح نحو ذي القَصّة من طريق العراق .

وبعث رسول الله ﷺ المنذر بن عمرو ـ وقال له رسول الله ﷺ ـ وقال له ـ أعنَقَ ليَموت[٥] ـ إلى بئر معونة ، فاستشهدوا جميعاً ومن معه .

وبعث رسول الله ﷺ [١٢٤] زيد بن حارثة أربع مرات : مرة نحو بني قَرَد من

(١) هو جبل من جبال جهينة من ناحية رضوى . والمغاربة يفتحون الباء والضم أشهر . معجم البلدان

(٢) الأحياء : ماء بالحجاز . معجم البلدان .

(٣) الجار ـ بتخفيف الراء ـ مدينة على ساحل بحر القلزم معجم البلدان .

(٤) رسمت اللفظة في الأصل : « مَجدى » وفوقها حرف « ط » وتكرر الحرف في الهامش . وصحح الاسم إلى جانبه كما أثبتناه . وانظر سيرة ابن هشام : ٢ / ٢٤٥

(٥) في الأصل : « أعنق لتموت » وكتب في الهامش حرف « ط » وكأنه تنبيه إلى الخطأ . ومعنى العبارة : إن المنية أسرعت به وساقته إلى مصرعه . والعَنَن : اعتراض الموت اللسان : « عنق ، عنن » .

هذيل ، ومرة نحو جُذام من نحو الوادي ، ومرة نحو مؤتة ، وغزوة الجموم من بني سليم .

وبعث رسول الله ﷺ [1]عمر بن الخطاب نحو أهل تُربَة[2] .

وبعث رسول الله ﷺ[1] بشير بن سعد الأنصاري أخا بني الحارث بن الخزرج نحو بني مرة بفَدَك .

وبعث رسول الله ﷺ عبد الله بن عتيك وعبد الله بن أُنيس ، وأبا قتادة ومسعود بن سنان وأسود بن الخزاعي[3] فقتلوا رافع بن أبي الحُقيق - وفي رواية : أبا رافع بن أبي الحقيق - وهو الصواب - بخيبر . وأمرهم عبد الله بن عتيك فقدموا على رسول الله ﷺ يوم الجمعة ، وهو على المنبر ، فلما رآهم قال : أفلحت الوجوه . قالوا : أفلح وجهك يا رسول الله . قال : أقتلتموه ؟ قالوا : نعم . فدعا بالسيف الذي قتل به فسلّه وهو قائم على المنبر ، فقال رسول الله ﷺ : أجل هذا طعامه في ذُباب السيف .

وبعث رسول الله ﷺ كعب بن عُمير نحو ذات أطْلاح من البلقاء فأصيب كعب ومنْ معه .

وبعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص نحو ذات السلاسل من مشارف الشام .

وبعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد نحو وادي القرى يوم قتل مسعود بن عروة . وليس هو الثقفي .

وبعث رسول الله ﷺ علياً كرم الله وجهه فأصيبت بنو بكر بالكَدَيْد[4] .

وبعث رسول الله ﷺ إلى القُرطاء[5] من هوازن .

وبعث رسول الله ﷺ ابن أبي[6] العوجاء قبل بني سليم فقُتل بها ابن أبي[6] العوجاء .

(1-1) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل . وبعده « صح » .

(2) تُربة : واد بالقرب من مكة . معجم البلدان .

(3) في مغازي الواقدي 1 / 293 : الأسود بن خزاعي . وفي سيرة ابن هشام 3 / 287 : خزاعي بن أسود .

(4) الكديد : موضع بالحجاز . معجم البلدان .

(5) القرطاء : من ولد أبي بكر بن كلاب : قُرط ، وقُرَيْط ، وقُرَيْطة . انظر جمهرة أنساب العرب 282

(6) في الأصل : « أبا العوجاء » وفوق اللفظة في الموضع الثاني شبه . وقد أشير إلى هذا الخطأ بحرف « ط » في الهامش . وفي تاريخ خليفة 85 : « أبو العرجاء » . وفي سيرة ابن هشام : « أبو العوجاء » . وسوف يرد الاسم صحيحاً ص 199 من هذا الجزء . وهو موافق لما في الواقدي 1 / 6 ، 2 / 74

وبعث رسول الله ﷺ عُكّاشة بن مِحصَن نحو الغَمرة[1] .

وبعث رسول الله ﷺ عاصم بن الأفلح وأصحابه نحو هُذيل .

وبعث رسول الله ﷺ سعد بن أبي وقاص إلى الحجاز وهو الخرّار .

وكان رسول الله ﷺ اعتمر ثلاث عُمَر : اعتمر من الجُحْفة [١٢٥] عام الحديبية - وفي رواية : من ذي الحُليفة عام الحديبية - فصدّه الذين كفروا في ذي القعدة سنة ستٍ ، واعتمر العام المقبل في ذي القعدة سنة سبع آمناً هو وأصحابه ، ثم اعتمر الثالثة في ذي القعدة سنة ثمان يومَ أقبل من الطائف من الجِعرانة[2] .

قال عُبيد الله بن أبي زياد :

هذا كتابٌ ما ذُكر لنا محمد بن مسلم الزهري مما سألناه عنه من أول مخرج النبي ﷺ . فذكر صدراً من الحديث وقال :

فكان أول مشهد شهده رسول الله ﷺ يوم بدر ، ورئيس المشركين يومئذ عتبة بن ربيعة بن عبد شمس . فالتقوا ببدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان ، وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً ، والمشركون بين الألف والتسع مئة ، فكان ذلك يوم الفُرقان يوم فَرَق الله بين الحق والباطل ، فكان أول قتيل قتل يومئذ[3] من المسلمين مِهْجَع مولى عمر بن الخطاب .

ثم كانت غزوة بني النَّضِير ، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر ، وكان منزلهم ونخلهم بناحية المدينة . فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على الجلاء ، وعلى أنّ لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحَلْقة وهو السلاح . فأجلاهم رسول الله ﷺ قبل الشام . فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم من أول سورة الحشر إلى قوله : ﴿ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾[4] .

---

(١) الغمرة : من أعمال المدينة على طريق نجد . معجم البلدان .

(٢) الجعرانة : في ضبط الراء خلاف : فالمحدثون يشددونها ويكسرون العين . وأهل الأدب يخففونها ويسكّنون العين . معجم البلدان .

(٣) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٤) سورة الحشر ٥٩ / ١ - ٥

ثم كانت وقعة أحد في شوال على رأس ستة أشهر من وقعة بني النَّضِير ، ورئيس المشركين يومئذ أبو سفيان بن حرب . فلما نزل أبو سفيان بالمشركين أُحُداً قال رسول الله ﷺ لأصحابه : إني رأيت الليلة أني في درْع حصينة . وإني أوّلتها المدينة ، فاجلسوا في صِنْعكم[1] وقاتلوا من ورائه ، وكانوا قد سَكّوا أزقة المدينة بالبنيان ، فقال رجال من أصحاب رسول الله ﷺ لم يكونوا شهدوا بدراً : [١٢٦] يا رسول الله ، اخرج بنا إليهم . فلم يزالوا برسول الله ﷺ حتى دعا بلأُمّته فلبسها ، فلما لبس رسول الله ﷺ لأُمّته قال : أما إني أظن الصرعى ستكثُر منكم ومنهم اليوم . إني رأيت في النوم بقراً مُنحّرة فأراني أقول : [2]بَقَرٌ والله خير[2] ، فتقدم الذين كانوا يدعونه إلى الخروج فقالوا : يا رسول الله ، امكث . قال رسول الله ﷺ : إنه لا ينبغي لنبيّ أن يلبس لأُمته ثم ينثني حتى يأتي الناس . فخرج رسول الله ﷺ بأصحابه حتى التقوا هم والمشركون بأُحُد ، والمسلمون يومئذٍ قريب من أربع مئة ، والمشركون قريب من ثلاثة آلاف ، فاقتتلوا . قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ﴾[3] إلى قوله : ﴿ واللهُ خبيرٌ بِمَا تَعْمَلُون ﴾[3] وكان فيمن قتل من أصحاب رسول الله ﷺ يومئذ : حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عُمير من بني عبد الدار ، وهو أول من جمّع الجمعة بالمدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ ، فذلك يوم نَجمَ النفاق ، وسُمّوا المنافقين ، وهم الذين حدثوا رسول الله ﷺ حين نهض إلى المشركين بأحد ، وكانوا قريباً من ثلُث أصحاب رسول الله ﷺ ، فمشوا إلى رسول الله ﷺ حتى إذا بلغوا الجبّانة وبرزوا من دور المدينة انصرفوا إلى أهلهم ، ورأسهم يومئذ عبد الله بن أبيّ ، وكان عظيم تلك البَحيرَة[4] في الجاهلية .

ثم كانت وقعة الأحزاب لسنتين ، وذلك يوم خندق رسول الله ﷺ والمسلمون الخندق بجبّانة المدينة ، ورئيس الكفار يومئذ أبو سفيان بن حرب ، فحاصر رسول الله ﷺ وأصحابه بضع عشرة ليلة فخاض إلى المسلمين الكرب والأزْل[5] حتى قال رسول الله ﷺ - كما

---

(١) الصِّنْع : « الموضع الذي يتخذ للماء » . ولعل المراد به هنا : الحصن . النهاية : « صنع » .

(٢-٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

(٣) سورة آل عمران ٣ / ١٥٢ ، ١٥٣

(٤) البَحيرة : من أسماء مدينة الرسول . معجم البلدان .

(٥) الأزْل : الضيق والشدة . اللسان : « أزل » .

أخبر سعيد بن المسيّب ـ : اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك[1] إن تشأ لا تعبـد .
وأرسلت بنو قريظة إلى أبي سفيـان ومن معـه [١٢٧] من الأحزاب أنِ اثبتوا ، فـإنـا سنغير على قبضـة المسلمين من ورائهم ، فسمع بـذلـك نعيم بن عمرو الأشجعي وهو موادع لرسول الله ﷺ ، وكان نعيم رجلاً لا يكتم الحديث . فأقبل إلى رسول الله ﷺ فأخبره وبعث الله عليهم الريح حتى ما يكاد أحدٌ منهم يهتـدي لموضع رجله . فـارتحلوا وولّوا منهزمين فـأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ يا أيُّهـا الَّـذينَ آمَنُوا اذكُرُوا نِعْمَـةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إذْ جـاءَتْكُمْ جُنُودٌ ﴾[2] إلى قولـه : ﴿ ومـا تَلَبَّثُـوا بِهَـا إلاَّ يَسِيْرا ﴾[2] . فلمـا ولّى الكفـار طلبهم رسـول الله ﷺ بمن معــه من المسلمين حتى بلغوا جبلاً يقـال لـه حمراء الأسـد . فـأنزل الله تعـالى : ﴿ وكَفَى اللهُ المُؤْمِنِينَ القِتَال ﴾[3] إلى : ﴿ وكانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَـدِيْرا ﴾[3] فـأنزل الله هـذا في طلبهم ، وسـار رسول الله ﷺ بمن معه إلى بني قُريظة ، فحاصرهم حتى نزلوا على حكم سَعْد بن معاذ .

ثم كانت غزوة الحُدَيْبِية[4] وأهلَّ النبي ﷺ من ذي الحُليفَـة بعُمرة ، ومن معـه يومئـذ بضع عشرة مئة من المسلمين ، فقال رسول الله ﷺ : إنا لم نـأت لقتـال أَحَـد ، ولكنـا جئنـا لنطوف بالبيت فمن صدّنا عنه قاتلناه ، ورئيسهم يومئذ أبو سفيـان بن حرب ، فنحر رسول الله ﷺ هديَـةً وحلق رأسـه ، ثم انصرف إلى المدينـة على أن يُخلّوا بينـه وبين البيت عـامـاً قابلاً ، فيطوف بـه ثلاث ليـالٍ . ونزل بخيبر وأنزل الله تعـالى ذكره : ﴿ وَعَـدَكُمُ اللهُ مَغَـانِمَ كَثِيْرَةً تَـأْخُـذُوْنَهـا ﴾[5] الآيـة . فغـزاهـا رسـول الله ﷺ وفتحهـا ، وقسم فيهـا لمن بـايعــه بالحديبية تحت الشجرة ، مِنْ غـائبٍ أو شـاهـد من أجل أن الله كان وعـدهم إيـاهـا . وخمّس رسول الله ﷺ خيبر ، ثم قسم سائرها مغانم بين من شهدها من المسلمين ، ومن غاب عنها من أهل الحديبيـة ، ثم اعتمر رسول الله ﷺ العـام القـابل في ذي القعـدة في المـدة آمنـاً [١٢٨] فخرج كفـار قريش من مكـة وخلّوهـا لرسول الله ﷺ وخلّفوا حُوَيْطب بن عبـد العـزّى ، وأمروه إذا طاف رسول الله ﷺ بـالكعبـة ثلاث ليـالٍ أن يـأتيـه فيسـألـه أن يرتحل ، فـأتى

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .
(٢) سورة الأحزاب ٣٣ / ٩ ـ ١٤
(٣) السورة نفسها / ٢٥ ـ ٢٧
(٤) انظر الخلاف في تشديد الياء الثانية أو تخفيفها معجم البلدان .
(٥) سورة الفتح ٤٨ / ٢٠

خويطب رسول الله ﷺ بعد ثلاث فكلمه في الرحيل ، فارتحل قافلاً إلى المدينة .

ثم كانت غزوة الفتح : فتح مكة ، فخرج رسول الله ﷺ من المدينة في رمضان ومعه من المسلمين عشرة آلاف ، وذلك على رأس ثمان سنين ونصف سنة من مقدمه المدينة ، فسار بمن معه من المسلمين إلى مكة ، فافتتح مكة لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان . وبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، فقاتل بمن معه صفوف قريش بأسفل مكة حتى هزمهم . ثم أرسل رسول الله ﷺ يومئذ بالسلاح[1] فرفع عنهم ، ودخلوا في الدين وأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إذا جاء نصْرُ الله والفتْح ﴾[2] إلى آخرها .

ثم خرج رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين وبمن أسلم يوم الفتح من قريش وبني كنانة قِبَل حنين . وحنين وادٍ قبل الطائف ذو مياه ، به من المشركين يومئذ العجّز من هوازن ، معهم ثقيف ، ورئيس المشركين يومئذ مالك بن عوف النّصْري . فاقتتلوا بحُنين فنصر الله نبيّه والمسلمين ، وكان يوماً شديد البأس . فأنزل الله تعالى : ﴿ لقدْ نصركُمُ اللهُ في مَواطنَ كثيرةٍ ﴾[3] الآية . فسبى رسول الله ﷺ يومئذ ستة آلاف سبي من النساء والذراري . وأخذ من الإبل والشاء ما لا يُدرى ما عدده . وخمّس رسول الله ﷺ السّبْي والأموال ، ثم جاءه وفد هوازن مستأمنين فقالوا : قد اجتحْت نساءنا وذرارينا وأموالنا فاردد إلينا ذلك . قال : لست رادّاً إليكم كله ، فاختاروا : إن شئتم فالنساء والذراري ، وإن شئتم [١٢٩] الأموال . قالوا : فإنا نختار نساءنا وذرارينا . فردّ رسول الله ﷺ إليهم نساءهم وذراريهم ، وقسم النّعم والشاء بين منْ معه من المسلمين بالجعرانة . ثم أهلّ منها رسول الله ﷺ بعُمرة ، وذلك في ذي القعدة ، ثم قفل إلى المدينة ، حتى إذا قدمها أمّر أبا بكر الصديق رضي الله عنه على الحج .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة تبوك ، وهو يريد الروم وكفار العرب بالشام ، حتى إذا بلغ تبوك أقام بها بضع عشرة ليلة ، ولقيه بها وفد أذْرُح ووفد أيْلة فصالحهم رسول الله ﷺ

---

(١) كذا وردت العبارة في الأصل . وقد أشير إلى هذا الاضطراب بحرفي « ط » في الهامش . والمراد هو رفع السلاح عنهم ، فرفع . وانظر سيرة ابن كثير ٣ / ٥٦٣

(٢) سورة النصر ١١٠ / ١

(٣) سورة التوبة ٩ / ٢٥

على الجَوْنَة[1] ، ثم قفل رسول الله ﷺ من تبوك ولم يُجاوزها فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلى النَّبِيِّ والمُهَاجِرِيْنَ والأَنْصَارِ ﴾[2] الآية ﴿ وَعَلى الثَّلاثَةِ الَّذِيْنَ خُلِّفُوا ﴾[2] ، وكانوا قد تخلّفوا عن رسول الله ﷺ في تلك الغزوة في بضعة وثمانين رجلاً . فلما رجع رسول الله ﷺ صَدَقه أولئك الثلاثة ، واعترفوا بذنبهم ، وكذب سائرهم ، فحلفوا للرسول ﷺ ما حبسهم إلا عُذر ، فقبل منهم رسول الله ﷺ ، ووكَلَهم في سرائرهم إلى الله عزّ وجلّ .

ولم يغز رسول الله ﷺ غزوة بعدُ حتى توفّاه الله عزّ وجلّ . فكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة عشر . ولم يغز رسول الله ﷺ غزوة قطّ يجلس فيها تحت لواء أو شُهر فيها سيوف إلا ذُكر في القرآن .

ثم حجّ رسول الله ﷺ حجّة الوداع ، وتمتّع فيها بعُمرة ، وساق الهَدْي معه . فلما قضى رسول الله ﷺ حجّة الوداع قفل إلى المدينة فلبث شهرين وبعض شهر . ثم اشتكى شكواه الذي توفاه الله عزّ وجلّ فيه .

وروى الحافظ عن جماعة من المشايخ قالوا :

قدم رسول الله ﷺ المدينة يوم [١٣٠] الاثنين لثنتي عشرة مضت من ربيع الأول ، ويقال لليلتين خلتا من ربيع الأول ـ والثبت لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول ـ فكان أول لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة بن عبد المطلب في شهر رمضان على رأس تسعة أشهر من مُهاجَر النبي ﷺ يعترض لِعير قريش .

ثم لواء عُبَيدة بن الحارث في شوال على ثمانية أشهر إلى رابغ ، وهي على عشرة أميال من الجُحْفَة ، وأنت تريد قُديداً ، وكانت في شوال على رأس تسعة أشهر .

ثم سريّة سعد بن أبي وقاص إلى الخرّار رأس تسعة أشهر في ذي القعدة .

ثم غزا رسول الله ﷺ في صفر على رأس أحد عشر شهراً حتى بلغ الأبواء ، ثم رجع ولم يلق كَيْداً . وغاب خمس عشرة ليلة .

---

(١) الجَوْنة : قرية بين مكة والطائف . معجم البلدان .

(٢) سورة التوبة ٩ / ١١٧ ـ ١١٨

ثم غزا بُواط في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً يعترض لعير قريش فيها أميّة بن خلف ومئة رجل من قريش وألفان وخمس مئة بعير. ثم رجع ولم يلق كيداً . وبُواط هي من الجُحْفة قريب .

ثم غزا في شهر ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهراً في طلب كُرز بن جابر الفِهري حتى بلغ بدراً ، ثم رجع .

ثم غزا في جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهراً يعترض لعيرات قريش حين بدت إلى الشام ، وهي غزوة ذي العُشَيْرة ، ثم رجع .

فبعث عبد الله بن جحش إلى نَخْلة[1] في رجب على رأس سبعة عشر شهراً .

ثم غزا بدر القتال صَبيحة سبع عشرة من رمضان يوم الجمعة على رأس تسعة عشر شهراً .

ثم سريّة عصماء بنت مروان قتلها عمرو بن عدي بن خَرَشة . قتلها لخمس ليال بقين من رمضان على رأس تسعة عشر شهراً .

ثم سريّة سالم بن عميرة قتل أبا عَفَك في شوال على رأس عشرين شهراً .

ثم غزوة قَيْنُقاع في النصف من شوال على رأس عشرين شهراً .

ثم غزا رسول الله ﷺ غزوة السَّويق في ذي الحجة [١٣١] على رأس اثنين وعشرين شهراً .

ثم غزا النبي ﷺ بني سُليم بالكُدْر في المحرم على رأس ثلاثة وعشرين شهراً .

ثم سرية قتل ابن الأشرف في ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً .

ثم غزوة غطفان إلى نجد ، وهي ذو أَمَر[2] في ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً .

---

(١) نخلة : بين مكة والطائف ، ولعلها التي تسمى نخلة محمود . انظر معجم البلدان ، وسيرة ابن هشام ٢ / ٢٥٢

(٢) أَمَر ـ بلفظ الفِعل ـ : موضع بنجد من ديار غطفان . معجم البلدان .

ثم سرية عبد الله بن أُنيس إلى سفيان بن خالد بن نُبَيح الهُذلي . قال عبد الله : خرجت من المدينة يوم الاثنين لخمس ليالٍ خَلَوْن من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً فغبت ثمان عشرة ليلة ، وقدمت يوم السبت لتسع بقين من المحرم .

ثم غزا رسول الله ﷺ بني سُليم ببُحران في جمادى الأولى على رأس سبعة وعشرين شهراً .

ثم سرية القردة[1] ، أميرُها زيد بن حارثة في جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهراً فيها أبو سفيان بن حرب .

ثم غزا النبي ﷺ أحد في شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً .

ثم غزا النبي ﷺ حمراء الأسد في شوال على رأس اثنين وثلاثين شهراً .

ثم سرية أميرُها أبو سَلَمة بن عبد الأسد إلى قَطَن[2] إلى بني أسد على رأس خمسة وثلاثين شهراً في المحرم .

ثم غزوة بئر معونة ، أميرُها المنذر بن عَمرو في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً .

ثم غزوة الرَّجيع في صفر على رأس ستة وثلاثين شهراً . أميرها مَرْثَد .

ثم غزا النبي ﷺ بني النضير في ربيع الأول على رأس سبعة وثلاثين شهراً .

ثم غزا النبي ﷺ بدر الموعد في ذي القعدة على رأس خمسة وأربعين شهراً .

ثم سرية ابن عَتِيك إلى ابن أبي الحقيق في ذي الحجة على رأس ستة وأربعين شهراً . فلما قُتل سلاّم بن أبي الحُقيق فزعت يهود إلى سلاّم بن مِشْكم بخيبر فأبى أن يرأسهم ، فقام

---

(١) المتفق عليه أنه موضع بنجد . واختلفوا في تحقيقه بين القاف والفاء . كما اختلفوا في ضبطه بين فتحها أو كسرها . انظر معجم البلدان : « قردة ، فردة » .

(٢) قَطَن : ماء ـ ويقال : جبل ـ من أرض بني أسد بناحية فَيْد . معجم البلدان .

أسير بن رازم[١] يُحزِّبهم[٢] .

ثم غزا النبي ﷺ ذات الرِّقاع في المحرم على رأس سبعة وأربعين شهراً .

ثم غزا دومة الجندل في ربيع الأول على رأس تسعة وأربعين شهراً .

ثم غزا [١٣٢] النبي ﷺ المُرَيْسيع في شعبان سنة خمس .

ثم غزا النبي ﷺ الخندق في ذي القعدة سنة خمس .

ثم غزا النبي ﷺ بني قريظة في ليالٍ من ذي القعدة وليالٍ من ذي الحجة سنة خمس .

ثم سريّة ابن أنيس إلى سفيان بن خالد بن نُبَيْح في المحرم سنة ست .

ثم سريّة محمد بن مَسْلَمة في المحرم سنة ست إلى القُرَطاء .

ثم غزا النبي ﷺ بني لِحْيان إلى الغابة في ربيع الأول سنة ست .

ثم غزا النبي ﷺ الغابة في ربيع الآخر سنة ست .

ثم سريّة عُكاشة بن مِحْصَن إلى الغَمْرة[٣] في ربيع الآخر سنة ست .

ثم سرية محمد بن مَسْلمة إلى ذي القَصّة في ربيع الآخر سنة ست .

[٤] ثم سرية أميرُها أبو عبيدة بن الجراح إلى ذي القَصة في ربيع الآخر سنة ست[٤] .

ثم سرية زيد بن حارثة إلى بني سُليم بالجَموم في شهر ربيع الآخر سنة ست . وكانتا في شهر واحد .

الجَموم : ما بين بطن نخلة والنُّقْرة[٥] .

---

(١) كذا في الأصل في هذا الموضع . وفي تاريخ خليفة ٧٧ وتاريخ الطبري ٣ / ١٧١ والبداية والنهاية ٤ / ٢٢١ : « يُسَيْر بن رزام » . وفي سيرة ابن هشام ٤ / ٢٦٦ : « اليُسَيْر بن رِزام . قال ابن هشام : ويقال : ابن رازم » . وفي الإصابة ـ ترجمة عبد الله بن رواحة ـ « أسير بن رقرام » ولعل الاسم الثاني محرف ، وسوف يرد الاسم بعدُ : « أسير بن زارم » بإعجام الأول ، وإشارة إهمال فوق الثاني . وهو موافق لما في مغازي الواقدي . انظر الفهرس .

(٢) يحزّبهم : أي يقوّيهم ويشدّ منهم ويجعلهم من حزبه . اللسان : « حزب » .

(٣) في الاصل : « الغمر » . وقد تقدم التعريف به ص ١٩١

(٤ ـ ٤) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

(٥) انظر الخلاف في ضبطها معجم البلدان .

ثم سرية زيد بن حارثة إلى العِرْض[1] في جمادى الأولى سنة ست .
ثم سرية زيد بن حارثة إلى الطَرَف في جمادى الآخرة سنة ست .
والطَرَف : على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة .
ثم سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمى في جمادى الآخرة سنة ست .
وحِسْمى وراء وادي القرى .
ثم سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رجب سنة ست .
ثم غزوة عليّ عليه السلام إلى فَدَك في شعبان سنة ست .
ثم غزوة زيد بن حارثة إلى أم قِرْفَة في رمضان سنة ست .
وكانت أم قرفة ناحية وادي القرى إلى جنبها .
ثم غزوة ابن رواحة إلى أسير بن زارم في شوال سنة ست .
ثم سرية كُرز بن جابر إلى العُرَنيين في شوال سنة ست .
ثم اعتمر النبي ﷺ عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست .
ثم غزا النبي ﷺ خيبر في جمادى الأولى [١٣٣] سنة سبع .
ثم انصرف من خيبر إلى وادي القرى في جمادى الآخرة فقاتل بها سنة سبع .
ثم سرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى تُرَبَة في شعبان سنة سبع .
ثم سرية أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه في شعبان إلى نجد سنة سبع .
ثم سرية بَشير بن سعد إلى فَدَك في شعبان سنة سبع .
ثم سرية غالب بن عبد الله إلى المَيْفَعة في رمضان سنة سبع .
والميفعة ناحية نجد .
ثم[2] سرية بشير بن سعد فَدَك في شعبان سنة سبع .
ثم سرية بشير بن سعد إلى الجِنَاب في شوال سنة سبع .
ثم اعتمر النبي ﷺ عمرة القضيّة [في] ذي القعدة سنة سبع .
ثم غزوة ابن أبي العوجاء السلمي في ذي الحجة سنة سبع .

---

(١) كذا في الأصل . والعِرض : كل واد فيه قرى ومياه . وقال الأصمعي : أخصب ذلك العرض وأخصبت أعراض المدينة ، وهي قراها التي في أوديتها . معجم البلدان .
(٢) لعل هذا التكرار سهو .

ثم غزوة غالب بن عبد الله إلى الكَديد في صفر سنة ثمان .

والكديد وراء قُديد .

ثم سرية شجاع بن وهب في ربيع الأول سنة ثمان إلى بني عامر بن الملوّح .

ثم غزوة كعب بن عُمير الغِفاري من سنة ثمان في ربيع الأول إلى ذات أطْلاح . ناحية الشام ، من البلقاء على ليلة .

ثم غزوة زيد بن حارثة إلى مؤتة سنة ثمان .

ثم غزوة عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل في جمادى الآخرة سنة ثمان .

ثم غزوة الخَبَط[1] أميرها أبو عبيدة بن الجراح في رجب سنة ثمان .

ثم سرية خِضْره أميرها أبو قتادة في شعبان سنة ثمان .

وخِضْرة ناحية نجد على عشرين ميلاً عند بستان أبي عامر .

ثم سرية أبي قتادة إلى إضَم[2] في رمضان سنة ثمان .

ثم غزا النبي ﷺ عام الفتح في ثلاث عشرة مضت من رمضان سنة ثمان .

ثم هدم العُزّى لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان . هدمها خالد بن الوليد .

ثم هدم سُواع . هدمه عمرو بن العاص ، وكان في رمضان .

ثم هدم مَناة ، هدمها سعد بن زيد الأشهلي في رمضان سنة ثمان .

ثم غزوة بني جذيمة [١٣٤] غزاها خالد بن الوليد في شوال سنة ثمان .

ثم غزاة النبي ﷺ حُنيناً في شوال سنة ثمان .

ثم غزاة النبي ﷺ الطائف في شوال سنة ثمان .

وحجّ الناس سنة ثمان . ويقال إن النبي ﷺ استعمل عَتّاب بن أَسيد على الحجّ . ويقال حج الناس أوزاعاً[3] بلا أمير .

ثم سرية عُيينة بن حِصن إلى بني تميم في المحرم سنة تسع .

ثم سرية قُطْبة بن عامر إلى خَثْعم في صفر سنة تسع .

---

(١) الخَبَط : موضع بأرض جهينة ، بينها وبين المدينة خمسة أيام . وهي بناحية ساحل البحر . معجم البلدان .

(٢) إضم : ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة . معجم البلدان .

(٣) هم أوزاع أي متعرقون . من التوزيع . اللسان : « وزع » .

ثم سرية بني كلاب في ربيع الأول سنة تسع . أميرها الضحاك بن سفيان .

ثم سرية عَلْقمة بن مجزّز إلى الحبشة في ربيع الآخر سنة تسع .

ثم سرية عليّ عليه السلام إلى الفُلْس[1] في ربيع الآخر سنة تسع .

ثم غزوة النبي ﷺ تبوك في رجب سنة تسع .

ثم سرية خالد بن الوليد إلى أُكَيْدر في رجب سنة تسع .

ثم هدم ذي الكَفَّيْن صنم عَمرو بن حُمَمَة الدوسي .

وحجّ أبو بكر سنة تسع .

ثم غزوة خالد بن الوليد إلى بني عبد المَدان في ربيع الأول سنة عشر .

وسرية عليّ عليه السلام إلى اليمن . يقال مرتين ، إحداهما في رمضان سنة عشر .

وحجّ النبي ﷺ بالناس سنة عشر . ورجع من مكة فمرض بضع عشرة ليلة . وعقد لأسامة بن زيد في مرضه إلى الشام .

وتوفي النبي ﷺ ، ولم يخرج حتى بعثه أبو بكر بعد وفاة النبي ﷺ .

وتوفي يوم الاثنين اثنتي عشرة مضت من ربيع الأول سنة إحدى عشرة .

فكانت مغازي النبي ﷺ التي غزا بنفسه سبعاً وعشرين غزوة .

وكان ما قاتل منها تسعاً : بدر القتال ، وأحد ، والمريسيع ، والخندق ، وقريظة ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

وكانت السرايا سَبْعاً وأربعين سرية .

واعتمر ثلاث عُمر .

ويقال : قد قاتل في بني النضير ، ولكنّ الله جعلها له نَفَلاً خاصة .

وقاتل في [١٣٥] غزوة وادي القرى مُنصرَفَه من خيبر . وقُتل بعض أصحابه .

وقاتل في الغابة حتى قُتل مُحْرِز بن نَضْلة . وقتل من العدوّ ستة .

---

(١) الفُلْس : صنم كان لطيء ؛ بعث إليه رسول الله ﷺ علياً ليهدمه . معجم البلدان .

ما ذكر من شجاعته وشدّته

عن علي قال :

كنا إذا احمرّ البأس ، ولقي القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ . فما يكون منّا أحدٌ أقرب إلى القوم منه .

وعنه قال :

لما حضر البأس يوم بدرٍ اتّقينا برسول الله ﷺ . وكان من أشدّ الناس ، ما كان أحد أقرب إلى المشركين منه .

وعنه قال :

لقد رأيتنا يوم بدر ، ونحن نلوذ برسول الله ﷺ ، وهو أقربُنا إلى العدو . وكان أشدّ الناس بأساً .

وعن ابن إسحاق ، قال :

قال رجل للبراء : أيْ أبا عمارة ، أكنتم يوم حنين ولّيتم ؟ قال : لا والله ما ولّى رسول الله ﷺ ، ولكنا لقينا قوماً رماة ، لا يكاد يسقط لهم سهم . جمع هوازن ، فرشقونا رشقاً ما يكادون يُخطئون . قال : فأقبلوا هناك إلى رسول الله ﷺ ، ورسول الله ﷺ على بغلته البيضاء . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به . قال : فنزل رسول الله ﷺ واستنصر ثم قال :

أنا النبي لا كذب ... أنا ابن عبد المطلب

قال : ثم صفّهم ، أو قال : صفّنا .

وعن البراء

أن رسول الله ﷺ لّما لقي المشركين يوم حنين نزل عن بغلته فترجّل .

وعن العباس بن عبد المطلب قال :

شهدت مع[1] النبي ﷺ يوم حُنين فلزمتُ أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسولَ الله ﷺ ، فلم نفارقه ، ورسولُ الله ﷺ على بغلة له شهباء أهداها له فروة بن ثعلبة وقيل ابن نُفاثة الجُذامي[2] . وهو الصواب . فلمّا التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون [١٣٦] منهزمين ، وطفق رسول الله ﷺ يَركُض بغلتَه نحو الكفار . قال عباس : وأنا آخذ بخطام بغلة النبي ﷺ أكفّها ، إرادةَ ألا يسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : أي عباس ، ناد في أصحاب السمُرة[3] . قال عباس : وكنت رجلاً صيّتاً[4] ، فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب الشجرة - وقيل السمُرة - قال : فوالله لكأن عطْفَتَهم ، حين سمعوا صوتي ، عِطْفَة البقر على أولادها ، فقالوا : يا لبيك يا لبيك . فاقتتلوا هم والكفار . والدعوة في الأنصار : يا معشر الأنصار ، يا معشر الأنصار . ثم قُصِرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج . فقالوا : يا بني الحارث بن الخزرج . فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم ، فقال النبي ﷺ : هذا حين حَمي الوطيسُ . قال : ثم أخذ رسول الله ﷺ حَصَيَات فرمى بهنّ وجوه الكفار ، ثم قال : انهزَموا وربّ محمد . قال : فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته على ما أراه . قال : فوالله ما هو إلا أن رماهم رسول الله ﷺ بحَصَيَاته . قال : فما زلت أرى حَدَّهم كليلاً وأمرهم مدبراً - وفي رواية : حتى هزمهم الله - قال : فكأني أنظر إلى النبي ﷺ يَركُض خلفهم على بغلته . وكان عبد الرحمن بن أزهر يحدّث أن خالد بن الوليد يومئذ خرج وهو على الخيل خيلِ رسول الله ﷺ . قال ابن أزهر : فلقد رأيت رسول الله ﷺ بعدما هزَم الله الكفار ، ورجع المسلمون إلى رحالهم يمشي في الناس ويقول : من يدل على رحل خالد بن الوليد ؟ حتى دللناه على رحله ، فإذا خالد مُستنِد إلى مؤخرة رحله ، فأتاه رسول الله ﷺ فنظر إلى جرحه ، قال الزهري : وحسبت أنه قال : وتفل فيه رسول الله ﷺ .

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٢) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٣) هي الشجرة التي كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية . اللسان : « سمر » .

(٤) رجل صيّت : شديد الصوت عاليه . اللسان : « صوت » .

وعن أنس بن مالك قال :

كان رسول الله ﷺ أجمل الناس وجهاً ، وأجرأ النـاس صـدراً . وأشجع النـاس قلبـاً . ولقـد فزع أهـل المـدينـة يـومـاً فركب [١٣٧] رسـول الله ﷺ فرسـاً لأبي طلحـة عُرْيـاً[١] [٢] وفي رواية : وفي عنقه السيف[٢] ـ ثم قال : لن تُراعوا ، لن تُراعوا . مرتين . إنه وجدتُه بحراً[٣] .

وعن ابن عمر قال :

ما رأيت أحداً أشجع ولا أجود ولا أوضأ من رسول الله ﷺ .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

فُضّلتُ على الناس بأربع : بالسماحة ، والشجاعة ، وكثرة الجماع ، وشدة البطش .

---

(١) فرس عُرْيٌ : لا سرج عليه . اللسان : « عرا » .

(٢ـ٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

(٣) المقصود بالبحر : فرس أبي طلحة . وكان يُبَطأ شبهه الرسول بـالبحر في سرعـة جريـه . انظر صحيح مسلم كتاب الفضائل .

ما روي في فصاحة لسانه ومنطقه وبيانه

عن عمر بن الخطاب أنه قال :

يا رسول الله ، ما لك أفصحُنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟! قال : كانت لغة إسماعيل عليه السلام قد دَرَست فجاء بها جبريل عليه السلام يحفّظنيها .

وروى ابن دريد[1] قال :

بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً مع أصحابه إذ نشأت سحابة فقالوا : يا رسول الله ، هذه سحابة ، فقال : كيف ترون قواعدها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد تمكّنَها ! قال : فكيف ترون رحاها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد استدارتها ! قال : فكيف ترون بواسقها ؟ قالوا : ما أحسنها وأشد استقامتها ! قال : فكيف ترون برقها ، أَوَميضاً أو خَفْواً أم يَشُقّ شقاً ؟ قالوا : بل يَشُقّ شقاً . قال : فكيف ترون جَوْنها ؟ قالوا : ما أحسنه وأشدّ سواده ! فقال رسول الله ﷺ : الحيا . فقالوا : يا رسول الله ، ما أفصحك ! ما رأينا الذي هو أفصح منك . قال : وما يمنعني وإنما نزل القرآن بلسان عربي مبين ؟ .

قال أبو بكر بن دريد : تفسير الكلام : قواعدها : أسافلها . ورحاها : وسطها ومعظمها . وبواسقها : أعاليها . وإذا استطار البرق من أعاليها إلى أسافلها فهو الذي لا يُشَكّ في مطره . والخَفْو : أضعف ما يكون من البرق ، والوميض نحو التبسم الخفيّ . يقال : وَمَض وأَوْمَض .

وعن النبي ﷺ أنه قال :

أنا أفصح العرب ، رُبّيت في أخوالي بني سعد ، بيد أني من قريش .

---

(١) انظر كتاب وصف المطر والسحاب ، لابن دريد ص ٣

وقال رجل من بني سلول :

يا رسول الله ، أيُدالِكُ الرجل امرأته ؟ قال : نعم ، إذا كان مُلْفَجا [١٣٨] فقال له أبو بكر : يا رسول الله ما قال لك ، وما قلت له ؟ قال له رسول الله ﷺ : إنه قال : أيُماطل الرجل أهله ؟ فقلت له : نعم ، اذا كان مُفلساً ، فقال أبو بكر : يارسول الله ، لقد طُفْتُ في العرب ، وسمعتُ فصحاءهم فما سمعتُ أفصح منك ، فمن أدّبك ؟ قال : أدّبني ربي ونشأتُ في بني سعد .

وعن علي بن أبي طالب

في قوله عزّ وجلّ : ﴿ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾[1] .

قال :

ما بعث الله نبياً قطّ إلا صَبيحَ الوجه ، كريمَ الحسب ، حسنَ الصوت ، وإن نبيّكم ﷺ كان صبيح الوجه ، كريم الحسب ، حسن الصوت .

وعن أنس قال :

ما بعث الله نبياً قطّ إلا حسن الوجه ، حسن الصوت . وكان نبيّكم ﷺ حسن الوجه ، حسن الصوت إلا أنه كان لا يرجّع .

وعن البراء بن عازب قال :

قرأ النبي ﷺ في العشاء : ﴿ والتّينِ وَالزَّيْتُوْن ﴾[2] ـ وفي حديث آخر : في العشاء ، يعني : الآخرة ـ قال : فلم أسمع أحسن صوتاً ، ولا أحسن صلاة منه ﷺ .

وعن سِماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سمُرة :

أكنت تجالس النبي ﷺ ؟ قال : نعم ، وكان طويل الصمت ، وكان الصحابة يتناشدون الشعر ويضحكون فيبتسم رسول الله ﷺ إذا ضحكوا .

وعن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ :

أعطيت فواتح الكلام وخواتمه وجوامعه . فقلنا : يا رسول الله ، علّمنا مما علّمك الله . فعلّمنا التشهد في الصلاة .

---

(١) سورة المؤمن ٤٠ / ٧٨

(٢) سورة التين ٩٥ / ١

وعن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال :

أُعطيت جوامع الكلام ، واختُصر لي الحديث اختصاراً .

وعن أنس بن مالك

أن رسول الله ﷺ كان إذا تكلّم بالكلمة ردّدها ثلاثاً . وإذا لقي قوماً فسلّم عليهم سلّم عليهم ثلاثاً .

وعن أنس قال :

كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً ليُعقَل عنه .

وعن عروة بن الزبير قال :

جلس رجل بفِناء حجرة عائشة فجعل يتحدث [١٣٩] قال : فقالت عائشة : لولا أني كنت أسبّح لقلت له : ما كان رسول الله ﷺ يَسرُد الحديث كَسَرْدكم . إنما كان حديث رسول الله ﷺ فَصْلاً ، تفهمه القلوب .

وعن عائشة قالت :

كان كلام رسول الله ﷺ فَصْلاً يفقهُه كلّ أحد . لم يكن يسرُده سرداً .

وعنها قالت :

لم يكن رسول الله ﷺ يسرُد الكلام كسَرْدِكم هذا . كان إذا جلس تكلّم بكلام يبيّنه ، يحفظه من سَمِعَه[1] .

وعن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ أفلج الثنيّتين ، إذا تكلم رُئي كالنور يخرج من بين ثناياه .

وعن جابر بن عبد الله قال :

كان في كلام رسول الله ﷺ ترتيل ، أو ترسيل .

---

(١) اللفظة غير واضحة في الأصل . ولذلك تكررت في الهامش مضبوطة بالشكل . وكتب فوقها : « بيان ، صح » .

ما عرف من جوده وسخائه وبذله وعطائه

عن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير ، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان . إن جبريل عليه السلام كان يلقاه في كل سنة في رمضان . وقيل في كل ليلة من رمضان حتى ينسلخ ، فيعرض عليه القرآن . فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان رسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة .

وعن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ أجود البشر ، فما هو إلا أن يدخل شهر رمضان فيُدارسه جبريل القرآن ، فلَهُو أجود من الريح .

وعنه قال :

كان رسول الله ﷺ إذا جاء رمضان أعتق كلّ أسير ، وأعطى ابن السبيل ، وإذا كان حديث عهدٍ بجبريل كان أسرع بالخير من الريح المرسلة .

وعن عائشة قالت :

كان ـ تعني رسول الله ﷺ ـ إذا كان حديث عهدٍ بنزول جبريل يُدارسه كان أجود من الريح المرسلة .

وعن جابر بن عبد الله قال :

ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قطّ فقال : لا . وما ضرب بيده شيئاً قط .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ :

لو قد جاءنا مالُ البحرين [١٤٠] لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا . وقال سفيان بيديه جميعاً : هكذا . ثلاث مرات . فقُبض رسول الله ﷺ قبل أن يجيء مال البحرين ،

فقدم على أبي بكر بعدَه مالُ البحرين . فأمر أبو بكر منادياً فنادى : من كانت له على رسول الله ﷺ عِدَة أو دَين فليأتني ، فأتيت أبا بكر فقلت : إن رسول الله ﷺ قال : لو جاءنا مال البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ، فحثا أبو بكر فقال : عدّها ، فعددتُها فوجدتها خمس مئة ، فقال : خذ مثلها مرتين .

وعن أنس

أن رجلاً أتى إلى النبي ﷺ فأسلم ، فسأله فأعطاه غنماً بين جبَلين ، فأتى الرجلُ قومه فقال : أيْ قوم أسلِموا ، فوالله إن محمداً يعطي عطاءَ رجلٍ ما يخاف فاقة . وإن كان الرجل ليأتي النبي ﷺ ما يريد إلا دنيا يُصيبها ، فما يُمسي حتى يكون دينه أحبَّ إليه من الدنيا وما فيها .

وعنه قال :

لم يُسأل رسول الله ﷺ شيئاً قطّ على الإسلام إلا أعطاه . وذكر باقي الحديث .

وعن زيد بن ثابت قال :

جاء رجل من العرب إلى رسول الله ﷺ فسأله أرضاً بين جبلين فكتب له بها ، فأسلم ، ثم أتى قومه ، فقال لهم : أسلِموا فقد جئتكم مِن عندِ رجلٍ يُعطي عطيةَ مَن[1] لا يخاف الفاقة .

وعن أنس قال :

كان رسول الله ﷺ أحسن الناس ، وأجود الناس ، وأشجع الناس .

وعن أنس بن مالك

أن النبي ﷺ عام حُنين حين سأله الناس فأعطاهم من البقر والغنم والإبل حتى لم يبق من ذلك شيء . فقال رسول الله ﷺ : قد أعطيتكم من البقر والغنم والإبل حتى لم يبق شيء من ذلك ، فماذا تريدون ؟ أتريدون أن تُبخِّلوني ؟ فوالله ما أنا ببخيل ، ولا جبان ،

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل ، وبعدها « صح » .

ولا كذوب . فجذبوا ثوبه حتى بدت رقبته ، وكأنما أنظر حين بدا منكبه مثل شقة القمر من بياضه .

[١٤١] وعن أبي سعيد قال :

دخل رجلان على رسول الله ﷺ فسألاه في ثمن بعير ، فأعانها بدينارين . فخرجا من عنده فلقيهم عمر ، فقالا ، وأثْنَيا معروفاً وشكراً ما صنع بها رسول الله ﷺ . فدخل عمر على النبي ﷺ فأخبره بما قالا . فقال النبي ﷺ : لكنْ فلان أعطيته ما بين العشرة إلى المئة فلم يقل ذلك ، إنّ أحدهم يسألني فينطلق بمسألته متأبّطها وما هي إلا نار . قال عمر : فلم تعطيهم ما هو نار ؟ قال : يأبَوْن إلا أن يسألوني ، ويأبى الله لي البخل .

وعن علي قال :

لما نزلت هذه الآية : ﴿ وأَنْذِرْ عشيرتك الأَقْرَبين ﴾[1] قال : جمع النبي ﷺ من أهل بيته ، فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا . قال : فقال لهم : من يضمن عني[2] ديْني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ، ويكون خليفتي في أهلي ؟ فقال رجل لم يسمّه شريك[3] يا رسول الله : أنت كنت بحراء[4] من يقوم بهذا ؟. قال : ثم قال لاخر . قال : فعرض ذلك على أهل بيته . فقال علي : أنا .

وعن جُبير بن مُطعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

لوْ أفاء الله ـ فقال علي : نعماً ـ عدد هذه العضاه ، لقسمتها بينكم ، ثم لا تجدوني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً .

---

(١) سورة الشعراء ٢٦ / ٢١٤

(٢) قال ابن كثير في تفسيره : « ومعنى سؤاله ﷺ لأعمامه وأولادهم أن يقضوا عنه دينه ويخلفوه في أهله يعني إن قُتل في سبيل الله . كأنه خشي إذا قام بأعباء الإنذار أن يقتل » .

(٣) في هامش الأصل : « أحد رواة الحديث » .

(٤) أي « بحراء » الجبل المعروف بمكة بالكسر والمد . « قال الخطابي : كثير من المحدثين يغلطون فيه فيفتحون حاءه ويقصرونه ويميلونه ، ولا تجوز إمالته لأن الراء قبل الألف مفتوحة .. » . اللسان : « حرى » وانظر الحديث في مسند الإمام أحمد ١ / ١١١

وعن سهل بن سعد الساعدي قال :

حِيكت لرسول الله ﷺ جبة من صوف أنمار[1] فلبسها ، فما أُعجب بثوب ما أُعجب بها ، فجعل يمسحها بيده ويقول : انظروا ما أحسنها ! وفي القوم أعرابي فقال : يا رسول الله ، هَبها لي ، فخلعها فدفعها في يده ، وكان ﷺ حيياً لا يُسأل شيئاً إلا أعطاه ، ثم أمر بمثله أن يُحاك ، فتوفي رسول الله ﷺ وهو في المحاكة[2] .

وعن سهل بن سعد قال :

جاءت امرأة ببردة ـ فقال سهل : هل تدرون ما البردة ؟ قالوا : نعم ، هذه الشَّملة منسوج في حاشيتها ـ فقالت : يا رسول الله ، إني نسجت هذه بيدي أكسوكَها ، فأخذها رسول الله ﷺ محتاجاً إليها [١٤٢] فخرج إلينا وإنها لإزارة فجسّها رجل من القوم فقال : يا رسول الله ؛ أكسُنيها قال : نعم . فجلس ما شاء الله في المجلس ثم رجع فطواها ثم أرسل بها إليه . فقال له القوم : ما أحسنت ، سألتها إياه وقد عرفت أنه لا يردّ سائلاً . فقال الرجل : والله ما سألتُها إلا لتكون كفني يوم أموت . قال سهل : فكانت كفنه .

وعن الرُّبَيِّع بنت معوّذ بن عفراء قالت :

أتيت النبي ﷺ بقِناعٍ[3] من رُطَب وأجْرٍ زُغْب[3] فأعطاني ملء كفيه أو كفه حلياً أو ذهباً .

---

(١) لعلها ذات خطوط . ففي القاموس « نمر » : والأنمار :خطوط على قوائم التور الوحشي .

(٢) في هامش الأصل حرف « ط » ولعله يريد الصواب : « أمر بمثلها ... تُحاك .. وهي .. » .

(٣) في الأصل : « قباع » . وهو المكيال الصخم . والقِناع : الطبق الذي يؤكل عليه الطعام ، ويجعل فيه الفاكهة . وأجر : ج جِرو وجِروَة ، وهو الصغير من كل شيء حتى من القثاء . أراد : صغار القثار المزغب . انظر اللسان : « زغب ، جرو ، قنع » .

ما عُرف من حسن بشره ووُصف من طيب نشره

وعن كعب بن مالك قال :

كان رسول الله ﷺ إذا سُرّ استنار وجهه ، حتى كأنّ وجهه شقّة قمر . فكنا نعرف ذلك فيه .

وعن الحسين بن علي قال :

قلت لعلي : كيف كانت سيرته في مجلسه يعني : النبي ﷺ فقال : كان رسول الله ﷺ دائم البشر ، سهل الخُلُق ، ليّن الجانب ، ليس بفظٍ ولا غليظ ، ولا سخّاب ولا فحاش ولا عيّاب ولا مدّاح .

وعن عبد الله بن الحارث بن جزء الزُبيدي قال :

ما رأيت رسول الله ﷺ قطّ إلا متبسماً .

وعنه قال :

ما رأيت أحداً كان أكثر تبسّماً من رسول الله ﷺ .

وعن عمرة قالت :

سألت عائشة قلت : كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا ؟ قالت : كان رجلاً من رجالكم ، كان أحسن الناس خُلقاً ، وكان ضحاكاً بساماً .

وعنها قالت :

سألت عائشة : كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت ؟ قالت : ألين الناس ، بسّاماً ضحّاكاً .

وعن وائل بن حجر

أن النبي ﷺ أُتي بدلو من ماء زمزم فاستنثر خارجاً من الدلو ، ومضمض وقحّ فيه مسكاً أو أطيب من المسك .

وعن جابر بن سَمُرة قال :

صليت مع رسول الله [١٤٣] ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله ، وخرجت معه ، فاستقبله وِلْدانٌ ، فجعل يمسح خدَّيْ أحدهم واحداً واحداً . قال : وأما أنا فمسح خدَّي فوجدت لِيَدِه برداً أو ريحاً كأنما أخرجها من جُونة[1] عطّار .

وفي حديث جابر بن يزيد بن الأسود السُّوائي عن أبيه قال :

ثم ثار الناس يأخذون يده يمسحون بها وجوههم . قال : وأخذت يده فمسحت بها وجهي فوجدتها أبردَ من الثلج وأطيبَ ريحاً من المسك .

وعن يزيد بن الأسود قال :

حججنا مع رسول الله ﷺ حجة الوداع . قال : فصلّى بنا صلاة الصبح . قال : فانحرف جالساً ، فاستقبل الناسَ بوجهه فإذا هو برجلين مِن وراء الناس لم يصليا مع الناس . قال : ائتوني بهذين الرجلين . قال : فأتي بهما ترعَد فرائصهما . قال : ما منعكما أن تصليا مع الناس ؟! قالا : يا رسول الله ، صلينا في الرحال . قال : فلا تفعلا . إذا صلّى أحدكم في رحله ، ثم أدرك الصلاة مع الإمام فليصلها معه ، فإنها له نافلة ، يعني : ، ونهض الناس إلى رسول الله ﷺ ونهضت وأنا يومئذ أشبّ الرجال وأجلده ، قال : فما زلت أزحَم الناس حتى وصلت إلى رسول الله ﷺ . قال : فأخذت بيده ـ فإما وضعتها على وجهي أو على صدري ـ فما وجدت شيئاً أطيبَ ولا أبرد مِن يدِ رسول الله ﷺ ، وهو يومئذ في مسجد الخَيف .

وعن أنس قال :

كان رسول الله ﷺ إذا مرّ في طريق من طرق المدينة وجدوا من ذلك الطريق رائحة المسك ، قالوا : مرّ رسول الله ﷺ في هذا الطريق ـ وفي رواية[2] : اليوم .

وعن جابر بن عبد الله قال :

كان في رسول الله ﷺ خِصال ، لم يمرّ في طريق فيتبعُه أحد إلا عرَف أنه قد سلكه من طيب عَرقه ، أو ريح عَرقه ـ والشك من إسحاق[3] ـ ولم يكن يمرّ بحجر ولا شجر إلا سجد له .

---

(١) الجونة ويُهمز : الجؤنة : التي يعد فيها الطيب ويحرز . اللسان : « جون » .

(٢) قوله : « وفي رواية » : مستدرك في هامش الأصل .

(٣) في هامش الأصل عبارة : « أحد رواة الحديث » .

وعن [١٤٤] أنس قال :

ما رأيت رجلاً قطّ التقم أذن رسول الله ﷺ فيُنَحّي رأسَه حتى يَنَحّي الرجل رأسه . وما رأيت رجلاً قطّ أخذ بيد رسول الله ﷺ فيُنزل يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزل يده . وما مسست قطّ أَلْيَن مِن قدم رسول الله ﷺ ، وما وجدت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ .

وعنه قال :

ما شَمَمت مِسكَةً ولا عنبرة أطيبَ رائحة من رسول الله ﷺ ، ولا مسست خزّة ولا حريرة أَلْيَن من كفّ رسول الله ﷺ .

وعنه قال :

صحبت رسول الله ﷺ عشر سنين وشممت العطر كله فلم أشمّ نكهة أطيبَ من نكهة رسول الله ﷺ .

وعن عبد الجبار بن وائل عن أبيه قال :

كنت أصافح النبي ﷺ أو يمس جلدي جلده فأعرف في يدي ـ بعد ثالثةٍ ـ أطيبَ من ريح المسك .

وعن أبي هريرة قال :

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني زوجت ابنتي ، وأنا أحب أن تُعينَني بشيء . قال : ما عندي شيء . ولكن إذا كان غدٌ فائتني بقارورة واسعة الرأس وعود شجرة ، فإنه بيني وبينك أن تدقّ ناحية الباب . قال : فلما كان من الغد أتاه بقارورة واسعة الرأس ، وعود شجرة . قال : فجعل النبي ﷺ يسلُتُ[1] العرق عن ذراعيه حتى امتلأت القارورة ، فقال : خذها ومُر ابنتك أن تغمس هذا العود في القارورة وتطيّب به ، قال : فكانت إذا تطيبت شمّ أهل المدينة رائحة ذلك الطيب . فسُمّوا بيوت المطيّبين .

---

(١) سلت العرق : أخذه ومسحه . المُغرب : « سلت » .

ما ذكر من حيائه وظهر من عهده ووفائه

عن أبي سعيد الخدري قال :

كان رسول الله ﷺ أشدَّ حياء من العذراء في خدرها . وكان إذا رأى شيئاً يكرهه عرفنا ذلك في وجهه .

وعن عائشة [١٤٥] رضي الله عنها قالت :

كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العواتق في خدورهنّ .

أخبر الحسن بن علي بن أبي رافع أن أبا رافع أخبره

أنه أقبل رُكبان من قريش إلى رسول الله ﷺ . قال : فلما رأيت النبي ﷺ أُلقي في قلبي الإسلام . فقلت : يا رسول الله ، إني والله لا أرجع إليهم أبداً ، فقال رسول الله ﷺ : إني لا أخيس بالعهد ، ولا أحبِس البُرُد ، ولكن ارجع إليهم ، فإن كان في قلبك الذي في قلبك الآن فارجع . قال : فرجعت إليهم ، ثم إني أقبلت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت . وكان أبو رافع قبطياً .

وعن عائشة قالت :

جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها رسول الله ﷺ : من أنت ؟ قالت : أنا حنانة المُزَنيّة . قال : بل أنت حسانة المزنية ـ وفي رواية قالت : أنا حثامة المزنية . قال : بل أنت حضانة ـ كيف أنتم ؟ كيف حالكم ؟ كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله . قالت : فلما خرجَتْ قلتُ : يا رسول الله ، تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال ! قال : إنها كانت تأتينا زمن خديجة . وإن حسن العهد من الإيمان .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت :

كانت عجوز تأتي النبي ﷺ فيبَشّ بها ويكرمها . فقلت : بأبي أنت وأمي ، إنك

لتصنع بهذه العجوز شيئاً لا تصنعه بأحدٍ ! قال : إنها كانت تأتينا عند خديجة . أما علمتِ أن كَرَم الودّ من الإيمان ؟

وعن عبد الله بن أبي الحَمْساء قال :

بايعت النبي ﷺ [1]قبل أن يبعث[1] ببيع ، فبقي له عليّ شيء فوعدته أن آتيه مكانه ، فنسيت أن آتيه يومه ذلك ومن الغد ، فأتيته اليوم الثالث ، فوجدته في مكانه ذلك . فقال لي : لقد شققت عليّ ، أنا ههنا منذ ثلاثة أيام ـ وفي رواية : أنتظرك .

وعن علي بن أبي طالب قال : قال رسول الله ﷺ :

ثلاثٌ ليس لأحدٍ من الناس فيهنّ رخصة : برّ الوالدين مسلماً كان أو كافراً ، والوفاء بالعهد لمسلم كان أو كافر ، وأداء الأمانة إلى مسلم كان أو كافر .

(١-١) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل . وبعده « صح » .

[١٤٦] ما ورد من مزاحه وسعة صدره

عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال :

لا أقول إلا حقاً . فقال بعض الصحابة : فإنك تداعبنا يارسول الله . فقال : لا أقول إلا حقاً .

وعنه قال :

قلنا : يا رسول الله ، إنك تمزح معنا ، قال : لا أقول إلا حقاً .

وعن عائشة

أنها مزحت عند رسول الله ﷺ فقالت : إنها بعض دعابات هذا الحي من بني كنانة . فقال رسول الله ﷺ : بل بعض مزحنا ، هذا الحي من قريش .

وعن أنس قال :

كان النبي ﷺ من أفكه الناس .

وعن عائشة

أن النبي ﷺ كان مزّاحاً ، وكان يقول : إن الله لا يؤاخذ المزّاح الصادق في مزاحه .

وعن عكرمة قال :

كان في رسول الله ﷺ دُعابة قليلة . يعني المزاح .

وعن أنس بن مالك قال :

كان لي أخ يقال له : أبو عمير ، وكان له عصفور يلعب به فمات العصفور ، وكان النبي ﷺ يدخل بيتنا فيقول : ياأبا عمير مافعل النُّغَير ؟

وفي حديث آخر :

كان رسول الله ﷺ أحس الناس خلقاً . وكان لي أخ يقال له : أبو عمير أحسبه فطيماً ، وكان إذا جاء قال : ياأبا عمير مافعل النُّغَير .

وعن أنس بن مالك

أن رجلاً أتى النبي ﷺ يستحمله فقال له رسول الله ﷺ : إنا حاملوك على ولد الناقة . فقال : يارسول الله ، وما أصنع بولد الناقة ؟! قال : فقال رسول الله ﷺ وهل تلد الإبل إلا النوق ؟ .

وعن ابن عباس

أن رجلاً سأله فقال : أكان رسول الله ﷺ يمزح ؟ قال ابن عباس : نعم . فقال الرجل : فما كان مزاحه ؟ قال ابن عباس إنه ﷺ كسا ذات يوم امرأة من نسائه ثوباً واسعاً ، فقال لها : البسيه واحمدي الله وجرّي منه ذيلاً كذيل العروس .

وعن أنس قال :

قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم[1] : ياذا الأذنين .

وعن سفينة قال :

كنا مع رسول [١٤٧] الله ﷺ في سفر ، وكان إذا أعيا بعض القوم ألقى عليّ سيفه ، ألقى علي ترسَه . حتى حملتُ من ذلك شيئاً كثيراً ، فقال النبي ﷺ : أنت سفينة .

وعن عائشة قالت :

أتيت النبي ﷺ بحريرة طبختُها ، فقلت لسودة والنبي ﷺ بيني وبينها : كلي فأبت . فقلت : لتأكُلِنّ أولألْطِّخنّ وجهك فأبت ، فوضعت يدي فيها فطليْتُ وجهها ، فضحك النبي ﷺ فوضع فخذه لها وقال لها : الطخي وجهها ، فلطخت وجْهي ، فضحك النبي ﷺ لها ، فمر عمر بن الخطاب فقال : ياعبد الله ، ياعبد الله ، فظن النبي ﷺ أنه سيدخل فقال : قوما فاغسلا وجوهكما . فقالت عائشة : فمازلت أهاب عمر لهيبة رسول الله ﷺ منه .

---

(١) لفظتا « ذات يوم » مستدركتان في هامش الأصل .

وعن أنس بن مالك

أن النبي ﷺ قال لعائشة ذات يوم : ماأكثر بياض عينك .

وعن أبي جعفر الخطمي

أن رجلاً كان يكنى أبا عمرة فقال لـه النبي ﷺ : يـاأم عمرة ، فضرب الرجل يـده إلى مذاكيره ، فقـال لـه النبي ﷺ : مَـهْ . قـال : والله مـاظننت إلا أني امرأة لما قلت لي يـاأم عمرة . فقال النبي ﷺ : إنما أنا بشر مثلكم أُمازحكم .

وعن خوّات بن جُبير قال :

نزلت مع رسول الله ﷺ مَرّ الظَّهران[1] ، خرجت من خبـائي فـإذا نسوة يتحـدثن . قال : فأعجبنني . قال : فرجعت فأخرجت حُلـة لي من عنـدي فلبستهـا ثم جلست إليهنّ ، وخرج رسول الله ﷺ من قبته فقال : أبا عبد الله ، مايجلسك إليهنّ ؟! قال : فهبْتُ رسول الله ﷺ فقلت : يارسول الله ، جَمَل لي شَرود ، فأنا أبتغي له قيداً . قال : فمضى رسول الله وتبعته . قال : فألقى إليّ رداءه ودخل الأراك . فلكأنّي أنظر إلى بيـاض قـدميـه في خضرة الأراك ، فقضى حاجته وتوضأ ثم جاء فقال : أبا عبد الله ، مافعل شراد جَمَلِك ؟ ثم ارتحلنـا فجعل لايلحقني في المسير إلا قال [١٤٨] السلام عليكم أبا عبد الله ، مافعل شراد جَمَلـك ؟ قال : فتعجلت إلى المدينة ، واجتنبت المسجد ومجالسة رسول الله ﷺ . فلما طال ذلـك عليّ تحيّنت ساعة خلوة المسجد ، فأتيت المسجـد فجعلت أصلي ، فخرج رسول الله ﷺ من بعض حجره . قـال : فجـاء فصلّى ركعتين خفيفتين ثم جلس ، وطوّلت الصلاة رجـاءَ أن يـذهب ويـدعني فقـال : طـوّل أبـا عبـد الله مـاشئت ، فلست بقـائم حتى تنصرف . فقلت : والله لأعتذرن إلى رسول الله ﷺ ولأبرئنّ صدره . قال : فانصرفت ، فقال : السلام عليك يـاأبـا عبـد الله ، مـافعل شراد جملـك ؟ فقلت : والـذي بعثـك بـالحق ، مـاشرد ذاك الجمـل منـذ أسلمت . فقال : رحمك ، مرتين أو ثلاثاً . ثم أمسك عني فلم يعد .

وسئل بعض السلف عن مَزح الرسول ﷺ فقال :

كانت له مهابة . فكان يبسط الناس بالدعابة .

---

(١) الظَّهران : واد قرب مكة ، وعنده قرية يقال لها : مَرّ ، تضاف إلى هـذا الوادي فيقـال : مَرّ الظهران بها عيون كثيرة ونخيل لأسلم وهذيل وغاضرة . معجم البلدان .

باب جامع في صفة أحواله وأفعاله وأقواله

وعن عائشة قالت :

كان أحب الأعمال إلى رسول الله ﷺ أربعة ؛ فعملان يُجهدان ماله ، وعملان يُجهدان جسده . فأما اللذان يجهدان ماله فالجهادُ والصدقة ، وأما اللذان يجهدان جسده فالصوم والصلاة .

وعن أنس بن مالك قال :

ماأخرج رسول الله ﷺ ـ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً ـ ركبتيه بين يَديْ جليس له ، ولا ناول يده أحداً قطّ فتركها حتى يكون هو يَدعها . وما جلس إلى النبي ﷺ أحدٌ قطّ فقام حتى يقوم . وما وجدت ريحاً قطّ أطيب ريحاً من رسول الله ﷺ .

وعن أنس بن مالك قال :

كان النبي ﷺ إذا استقبله الرجل فصافحه لاينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ، ولا يصرف [١٤٩] وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي يصرفه . ولم يُر مقدّماً ركبتيه بين يدي جليس له .

وعن أبي غالب قال : قلت لأبي أمامة : حدثنا ماسمعت من رسول الله ﷺ قال :

كان حديث رسول الله ﷺ القرآن ، ويكثر الذكر ، ويقل اللغو ، ويطيل الصلاة ، ويقصِّر الخطبة ولا يأنف ، ولا يَستكبر أن يمشي مع الضعيف والمسكين حتى يقضيَ حاجته ـ وفي رواية : والأرملة .

وعن جابر بن عبد الله

أن رسول الله ﷺ كان لايلتفت وراءه إذا مشى ، وكان ربما يتعلق رداؤه بالشجرة ولا

يلتفت حتى يرفعوه عليه . قال : لأنهم كانوا يمزحون ويضحكون قد أمنوا التفاته .

وعن عائشة أنها سئلت :

ماكان رسول الله ﷺ في بيته ؟ قالت : ماكان إلا بشراً من البشر ، كان يفلي[1] ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه .

وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه قال :

قيل لعائشة : ياأم المؤمنين ، ماكان رسول الله ﷺ يصنع إذا خلا في بيته ؟ فقالت : والله ماكان إلا بشراً ، ولكنّ الله أكرمه ، والله إنْ كان ليخصِف نعله ، ويعالج ثوبه ، وأشباه ذلك ، ويحدث أحاديث الناس ، ولقد كان يحدثنا عن حديث مَن قد مضى .

وعن عائشة

أنها سئلت : ماكان النبي ﷺ يعمل في بيته ؟ قالت : كان يخيط ثوبه ، ويخصِف نعله ، ويعمل مايعمل الرجال في بيوتهم .

وعن أبي بردة قال :

قلت لعائشة : ماكان النبي ﷺ يصنع في بيته ؟ قالت : كان في مِهنة أهله ، يعني : خدمتهم .

وعن جابر بن سَمُرة قال :

كان رسول الله ﷺ طويل العمد .

وعن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ يحب التيامُن ماستطاع ، في طهوره ونعله وترجُّله ، وفي شأنه كله .

وعن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ إذا نظر في المرآة قال : الحمد لله الذي حسَّن خَلْقي [١٥٠]

---

(١) فلا يفلو ويَفْلي وفلّى يُفَلّي رأسه : بحثه عن القمل . اللسان . « فلا » .

وخُلُقي وَزان منّي مـاشـانَ مِن غيري ، وإذا اكتحـل جعـل في [كلّ] عين اثنين وواحـد بينهما ، وكان إذا لبس نعليه بدأ باليمين . وإذا خلع بـاليسرى . وكان إذا دخل المسجـد أدخل رجله اليمنى ، وكان يحب التَّيمُّن[1] في كل شيء أخذٍ وإعطاء .

وعن أبي هريرة قال :

كان رسول الله ﷺ إذا عطس خمّر[2] وجهه ، وغض أو خفض بها صوته .

وعن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ يمشي مشياً نعرف أنه ليس بعاجز ولا كسلان .

وعن عائشة قالت :

مارأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى لَهَواته ، إنما كان يتبسّم .

وعن سماك بن حرب قال : قلت لجابر بن سَمُرة :

أكنت تجالس النبي ﷺ ؟ قال : نعم ، وكان أصحـابـه يجلسون فيتنـاشـدون الشعر ، ويذكرون أشيـاء من أمر الجـاهليـة ، فيضحكون ، ويتبسّم معهم إذا ضحكوا . يعني : النبيّ ﷺ .

وعن أنس بن مالك الأشجعي عن أبيه قال :

كنا نجلس إلى النبي ﷺ ، فما رأيت أطول صمتاً منه ، فكانوا إذا أكثروا تبسّم .

وعن البَراء قال :

كان النبي ﷺ إذا غضب رأينا لوجهه ظلالاً .

وعن أبي هريرة قال :

مـاعـاب رسول الله ﷺ طعـامـاً قـط . كان إذا أُتي بـه إن اشتهى أكلـه ، وإن كرهـه تركه . وفي رواية : إن اشتهاه أكله ، وإلا تركه .

---

(١) التيمّن : الابتداء في الأفعال باليد اليمنى والرِّجْل اليمنى والجانب الأيمن . اللسان : يمن .

(٢) خمر الشيء : ستره . اللسان : « خمر » .

وعن كعب بن مالك

أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاماً يلعَق أصابعه الثلاث التي ينال بهنّ الطعام .

وعنه قال :

كان رسول الله ﷺ يأكل بثلاث أصابع ، ولا يمسح يده حتى يلعقها .

وعن أنس

أن النبي ﷺ كان إذا شرب تنفّس في الإناء ثلاثاً . وقال : هو أهنأ ، وأمرأ ، وأبرأ .

ماورد في شَعره وشيبه وخضابه وثيابه

عن أنس قال :

كان شَعر النبي ﷺ إلى أنصاف أذنيه ـ وفي رواية : [١٥١] إلى شحمة أذنيه ـ وفي رواية : يضرب منكبيه .

وعن قتادة قال :

قلت لأنس : كيف كان شعر رسول الله ﷺ ؟ قال : كان شعراً رجْلا ، ليس بالجعد ولا بالسَّبط ، بين أذنيه وعاتقه .

وعن أنس قال :

كان لرسول الله ﷺ جمّة[1] جعدة .

وعن زيد بن ثابت

أن النبي ﷺ فرق شعره ، وكانت له جُمّة .

وعن البراء قال :

كان النبي ﷺ شديد البياض ، كثير الشعر ، يضرب شعره منكبيه .

وعن جابر بن سمُرة قال :

كأني أنظر إلى رأس رسول الله ﷺ ، وجُمته تضرب هذا المكان ، ويضرب بيده على صدره فوق ثُندوُته . وفي رواية : فوق ثدييه .

---

(١) الجُمّة من شعر الرأس : ماسقط على المنكبين . اللسان : « جمم »

وعن أبي رِمثة قال :

كان النبي ﷺ يخضب بالحناء والكَتَم . وكان شعره يبلغ كتفيه ، أو منكبيه .

وعن عروة قال : قالت لي عائشة :

يا بن أختي ، كان شعر رسول الله ﷺ فوق الوَفرة ودون الجُمّة .

وعن ابن عباس قال :

كان المشركون يفرُقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم ، وكان رسول الله ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب في بعض مالم يؤمر فيه بشيء ، فسدل رسول الله ﷺ ناصيته ثم فَرَق بعدُ .

روى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة عن عائشة قالت :

كنت إذا فَرَقتُ لرسول الله ﷺ رأسه صدعت فرقيه عن يافوخه ، فأرسلت ناصيته بين عينيه ، فالله أعلم أذلك لقول رسول الله ﷺ : كنا لانكف شعراً ، ولا ثوباً أم هي سيماء كان يتسوّم بها . وقد قال محمد بن جعفر بن الزبير : وكان فقيهاً : ماهي إلا سيماء من سيماء الأنبياء تمسكت بها النصارى من بين الناس .

وعن أم هانئ قالت :

قدم رسول الله ﷺ مكة ، وله أربع غدائر ، يعني : ذوائب .

وعن أبي إياس قال :

سئل أنس عن شيب رسول الله ﷺ فقال :

ما شانه الله عز وجل ببيضاء .

لعل أنساً أراد : بلحية بيضاء . فقد رُوي عنه وعن غيره من الصحابة [١٥٢] أنه كان شاب بعض شعره ﷺ .

وعن محمد بن سيرين قال :

سألنا أنساً : هل كان رسول الله ﷺ خضب ؟ قال : لم يبلغ الخضاب . كانت في

لحيته شعرات بيض قال : فقلت له : أكان أبو بكر يخضب قال : فقال : نعم بالحناء والكتم .

وفي حديث آخر[1] عن قتادة قال :

سألت أنساً : هل خضب رسول الله ﷺ ؟ قال : لم يبلغ ذلك . إنما كان شيبه في صُدغيه[1] ، ولكنّ أبا بكر وعمر خضبا بالحناء والكَتم .

وعن ثابت قال :

سئل أنس عن خضاب رسول الله ﷺ فقال : لو شئتُ أن أعدّ شعرات في رأسه لفعلت . وقال : لم يختضب ، وقد اختضب أبو بكر بالحناء والكتم ، واختضب عمر بالحنّاء .

وعن أنس بن مالك قال :

لم يبلغ الشيب الذي كان بالنبي ﷺ عشرين شعرة .

وعن يحيى بن سعيد الأنصاري قال :

كان الشيب الذي كان بالنبي ﷺ سبع عشرة شعرة شيبة .

وعن حُميد قال :

سئل أنس عن الخضاب فقال : خضب أبو بكر بالحناء والكتم ، وخضب عمر بالحنّاء وحده . فقيل : رسول الله ﷺ ؟ فقال : لم يكن في لحيته عشرون يعني : شعرة بيضاء . قال : وأصغى حُميد إلى رجل إلى جنبه فقال : كنّ سبع عشرة . يعني : شعرة .

وعن عبد الله بن محمد بْن عقيل قال :

قلت لأنس : أكان رسول الله ﷺ خضب قال ؟ ماأرى كان في رأسه ولحيته خمس عشرة بيضاء . قال : قلت : فإني رأيت في شعر رسول الله ﷺ الذي كان في بيتنا شعراً فيه صفرة . فقال له : كان يمسّ أصوله الصفرة .

قال أبو بكر بن عياش :

قلت لربيعة ، جالست أنس بن مالك ؟ قال : نعم ، قلت : سمعت منه ؟ قال :

(١ ـ ١) مابين الرقمين في هامش الأصل ، وبعده « صح » .

نعم . قال : كان رسول الله ﷺ لايخضب . قد شاب في مقدَّم لحيته شيبة لو عدّها العادّ أحصاها . قال له أبو بكر : شِبت يارسول الله ! قال : شيّبتني سورة هود والواقعة .

وعن جابر بن سمرة قال :

كان رسول الله ﷺ قد شمِط مقدَّم رأسه ولحيته . فإذا ادّهن ومشّطه لم يتبين ، وإذا شعث رأيته . وكان كثير [١٥٣] الشعر واللحية . فقال رجل : وجهُه مثل السيف ، قال : لا ، مثلُ الشمس والقمر ، مستدير . قال : ورأيت خاتمه عند كتفه مثل بيضة النعامة تشبه جسده .

وعن عبد الله بن همام قال :

قلت : ياأبا الدرداء ، أي شيء كان يخضِب رسول الله ﷺ ؟ قال : يابن أخي - أو يابني - ماكان بلغ من الشيب أن يخضِب . ولكن قد كان منه هاهنا - وأشار بيده إلى عَنْفَقَته[1] شعرات بيض - فكان يغسله بالحناء والسِّدر .

وعن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي جُحيفة قال :

رأيت النبي ﷺ فقلت : صفه لي فقال : أبيض قد شمِط .

قال حَريز : لقيت عبد الله بن بُسر السلمي فقلت :

أكان رسول الله ﷺ شيخاً قال : كان في عَنْفَقَته شعرات بيض .

وعن القاسم بن زهر الأسلمي قال :

رأيت شيب رسول الله ﷺ في عَنْفَقَته وناصيته . حزرته يكون ثلاثين شيبة عدداً .

وعن بشير مولى المازنيين قال :

سألت جابر بن عبد الله : هل خضب رسول الله ﷺ فقال : لا . ماكان شيبه يحتاج إلى الخضاب . كان وضح في عَنْفَقَته وناصيته ، لو أردنا أن نحصيَها أحصيناها .

قال محمد بن سيرين :

سألنا أنساً : هل كان رسول الله ﷺ خضب ؟ قال : فقال : نعم ، بالحناء والكَتَم .

---

(١) العنفقة : شعرات من مقدمة الشفة السفلى . اللسان : « عنفق » .

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت :

أتينا بمُشاقة[1] من شعر رسول الله ﷺ مخضوبة بالحناء .

وعن أبي سعَيْد ، رجل من أهل الشام قال :

دخلت مع مولاي على بعض أزواج النبي ﷺ فأخرجتْ إلينا شَعراً أحمر فقالت : هذا شَعر النبي ﷺ .

وقد روي أنه خضب بالصفرة . قال عُبيد بن جُريج :رأيت ابن عمر يصفّر لحيته ، فقلت له في ذلك فقال : إني رأيت رسول الله ﷺ يصفّر لحيته .

وعن عُبيد بن جُريج أنه قال لعبدالله بن عمر :

ياأبا عبد الرحمن ، رأيتك تصنع أربعاً لم أر أحداً من أصحابك يصنعها ! قال : وما هي ؟ [١٥٤] قال : رأيتك لاتمس من الأركان إلا اليَمانيين ، ورأيتك تلبس النعال السِّبْتيّة ، ورأيتك تصبغ بالصفرة ، ورأيتك إذا كنت بمكة أهلّ الناس إذا رأوا الهلال ، ولم تهلل أنت حتى يكون يوم التروية ، فقال عبد الله بن عمر : أما الأركان فإني لم أر رسول الله ﷺ يمس إلا اليمانيين ، وأمّا النعال السِّبتيّة فإني رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال السِّبْتيّة التي ليس فيها شَعر ويتوضأ فيها ، فأنا أحب أن ألبسها . وأما الصفرة ، فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها ، فأنا أحب أن أصبغ بها . وأما الإهلال فإني لم أر رسول الله ﷺ يُهِل حتى تنبعث به راحلته .

وعن أبي بكر الصديق قال :

قلت : يارسول الله ، عجَّلَ عليك الشيب ! قال : شيّبتني هود وصواحباتها ، يعني : الواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ، وإذا الشمس كوّرت .

وعن ابن عباس قال :

ألظّ[2] النبي ﷺ بالواقعة ، والحاقة ، وعم يتساءلون ، والنازعات ، وإذا الشمس كُوّرت ، وإذا السماء انفطرت ، فاستطار منه القَتير[3] . فقال له أبو بكر : قد أسرع فيك

(١) المشاقة : المُشاطة ، أي الشعر الذي يسقط من الرأس واللحية عند التسريح بالمشط . النهاية : « مشط » .

(٢) ألظّ بالكلمة : لزمها . اللسان : « لظ » .

(٣) القتير : الشيب . اللسان : « قتر » .

القَتير ، بأبي وأمي ، قال : شيّبتني هود وصواحباتها هذه ، وفيها المرسلات . وقال عطاء : أخواتها : اقتربت الساعة ، والمرسلات عُرْفاً ، وإذا الشمس كوّرت .

وعن أنس بن مالك قال :

بينما أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب جالسان في نحو المنبر إذ طلع عليهما رسول الله ﷺ من بيوت نسائه ، يمسح لحيته ويرفعها فينظر إليها . قال أنس : وكانت لحيته أكثر شيباً من رأسه . فلما وقف عليهما ، قال أنس : وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً ، وكان عمر رجلاً غليظاً ، فقال أبو بكر : بأبي وأمي ، لقد أسرع إليك الشيب يارسول الله ! فرفع لحيته بيده فنظر إليها ، فاغرورقت عينا أبي بكر ، ثم قال رسول الله ﷺ : أجل ، شيّبتني هود وأخواتها . [١٥٥] قال أبو بكر : بأبي وأمي ، وما أخواتها ؟ قال : الواقعة ، والقارعة ، وسأل سائل بعذاب واقع ، وإذا الشمس كوّرت .

وفي رواية : قال أبو صخر :

فأخبرت هذا الحديث ابن قُسَيْط فقال : ياحميد ، مازلت أسمع هذا الحديث من أشياخي فما تركت الحاقة ماالحاقة .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه

أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أنا أكبر منك مولداً ، وأنت خيرٌ مني وأفضل . فقال رسول الله ﷺ : شيّبتني هود وأخواتها . وما فُعل بالأمم قبل .

قال أبو علي الشبّوي :

رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له : روي عنك أنك قلت : شيّبتني هود . قال : نعم . فقلت له : ماالذي شيبك منها ، قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ فقال : لا ، ولكن قوله : ﴿ فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[1] .

وعن أنس

أن النبي ﷺ أراد أن يكتب إلى الأعاجم فقيل له : إنهم لايقبلون كتاباً إلا بخاتم . فاتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من فضة نقشه : محمد رسول الله . كأني أنظر إلى بصيصه في يده .

---

(١) سورة هود ١١ / ١١٣ ، وسورة الشورى ٤٢ / ١٥

وفي رواية عنه أيضاً :

لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم . وذكر باقي الحديث .

وعنه قال :

كان نقش خاتم النبي ﷺ ثلاثة أسطر : سطر محمد ، وسطر رسول ، وسطر الله .

وعنه قال :

كان خاتم النبي ﷺ من فضة كله ، وفَصّه منه ، قال : فسألت حميداً عن الفَصّ كيف هو ، فحدثني أنه لايدري .

وعن أنس

أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من وَرِق له فَصّ حبشي ، ونقشه : محمد رسول الله .

وعنه

أن رسول الله ﷺ لبس خاتماً من فضة في يمينه فيه فص حبشي ، وكان يجعل فصّه في بطن كفه .

وعنه

أن معاذ بن جبل بعث إلى رسول الله ﷺ بخاتم من اليمن من وَرِق ، فصّه حبشي كتب عليه : محمد رسول الله[1] وبوجهه ﷺ[1] ، فكان رسول الله ﷺ يتختم به ، ويتختم به أبو بكر ، ويتختم به عمر ، ويتختم به عثمان ست سنين من إمارته ، فبينا هو على بئر أريس[2] سقط منه فنُزحت البئر فلم يوجد .

[١٥٦] وعن أنس بن مالك

أنه رأى رسول الله ﷺ في يده خاتم من وَرِق يوماً واحداً ، ثم إن الناس اصطنعوا الخواتِم من وَرِق ولبسوها ، فطرح رسول الله ﷺ خاتمه ، فطرح الناس خواتِمهم .

قال البيهقي :

ويُشبه أن يكون ذكر الوَرِق وهماً سبق إليه لسان الزهري فحملوه منه على الوهم .

(١ ـ ١) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

(٢) بئر بالمدينة عليها مال لعثمان رضي الله عنه . وفيها سقط خاتم رسول الله ﷺ . معجم البلدان .

وهذا كما قال البيهقي رحمه الله . فإن الخاتم الذي طرحه النبي ﷺ كان من ذهب ، ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ كان يلبس خاتماً من ذهب ، ثم قام رسول الله ﷺ فنبذه وقال : لا ألبسه أبداً ، فنبذ الناس خواتيمهم .

وعنه

أن رسول الله ﷺ صنع خاتماً من ذهب ، وكان يجعل فَصّه في بطن كفه إذا لبسه في يده اليمنى . فاصطنع الناس خواتيم من ذهب ، فجلس رسول الله ﷺ على المنبر فنزعه وقال : إني كنت ألبس هذا الخاتم وأجعل فَصّه في بطن كفي ، فرمى به وقال : والله لا ألبسه أبداً ، فنبذ رسول الله ﷺ ، ونبذ الناس خواتيمهم .

وعنه

أن النبي ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب ثم ألقاه ، واتخذ خاتماً من وَرِق ونقش محمد رسول الله ، ﷺ . ونهى الناس أن ينقُشوه ، فكان إذا لبسه جعل الفصّ مما يلي بطن كفه ، وهو الخاتم الذي سقط من مُعَيْقيب في بئر أَريس .

وهذا لفظ العباس . وقال إبراهيم : لبس النبي ﷺ الخاتم وجعل فصّه مما يلي كفه ، وقال : لا ينقش أحد على نقش خاتمي .

وعنه

أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من ذهب فلبسه ثلاثة أيام ، ففشت خواتيم الذهب في أصحابه فرمى به ، واتخذ خاتماً من وَرِق نقش فيه : محمد رسول الله . فكان في يده حتى مات . وفي يد أبي بكر حتى مات . وفي يد عمر حتى مات ، وفي يد عثمان ست سنين . فلما كثرت عليه الكتب دفعه إلى رجل من الأنصار يختم به ، فأتى قَليباً لعثمان فسقط فيها ، فالتمسوه فلم يجدوه ، فاتخذ خاتماً من وَرِق [١٥٧] نقش فيه : محمد رسول الله .

حدث إياس بن الحارث بن مُعَيْقيب عن جده المعيقيب ، وجده من قِبَل أمه ابن أبي ذُباب[1] قال :

كان خاتم النبي ﷺ ملوّى بفضة . فربما كان في يدي ، وكان مُعَيْقيب على خاتم رسول الله ﷺ .

---

(١) في الأصل : « من قبل أمه أبو ذباب » . وهو ابن أبي ذباب . روى عنه سبطه إياس بن الحارث . تهذيب التهذيب ١ / ٣٨٧ .

وعن عمرو بن يحيى بن سعيد القرشي عن جده قال :

دخل عمرو بن سعيد بن العاص حين قدم من الحبشة على رسول الله ﷺ فقال : ما هذا الخاتم في يدك يا عَمرو ؟! قال : هذه حلقة يا رسول الله . قال : فما نقشُها ؟ قال : محمد رسول الله ، قال : فأخذه رسول الله ﷺ فتختمه ، فكان في يده حتى قبض ، ثم في يد أبي بكر حتى قبض ، ثم في يد عمر حتى قبض ، ثم في يد عثمان . فبينا هو يحفر بئراً لأهل المدينة يقال لها بئر أريس ، فبينما هو جالس على شفتها يأمر بحفرها سقط الخاتم في البئر ، وكان عثمان يُكثر إخراج خاتمه من يده وإدخاله ، فالتمسوه فلم يقدروا عليه .

وفي حديث أنس : قال أنس :

فاختلفنا مع أمير المؤمنين ثلاثة أيام ، نطلبه فلم نقدر عليه .

وعن عبد الله بن جعفر

أن رسول الله ﷺ كان يتختم في يمينه .

وروى قتادة عن أنس بن مالك قال :

كأني أنظر إلى وميض خاتم رسول الله ﷺ في يده اليسرى ، وهو يخطبنا .

وعن نافع بن عمر

أن رسول الله ﷺ كان يتختم في يساره .

ووجْهُ الجمع بين هذه الروايات أنه ﷺ لبس الخاتم الذهب في يمينه ثم نبذه ، واتخذ خاتم الوَرِق ولبسه في يساره . يبين ذلك ما رواه جعفر بن محمد عن أبيه أن رسول الله ﷺ تختم خاتماً من ذهب في يده اليمنى على خنصره ، حتى رجع إلى البيت فرماه فما لبسه ، ثم تختم خاتماً من وَرِق فجعله في يساره . وأن أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وحسناً وحسيناً رضي الله عنهم كانوا يتختمون في يسارهم .

[١٥٨] وعن عائشة

أن النبي ﷺ كان يتختم في يمينه ثم حوّله في يساره .

وعن جابر

أن النبي ﷺ دخل يوم الفتح مكة وعليه عمامة سُوداء .

وروى الزهري عن أنس بن مالك قال :

دخل رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء .

قال : ولا يصح هذا عن الزهري إنما حديثه :

دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح وعلى رأسه المِغْفَر .

وعن أنس بن مالك

أنه رأى النبي ﷺ يعتمّ بعِمامة سوداء .

وعن جابر قال :

كان للنبي ﷺ عمامة سوداء ، يلبسها في العيدين ويُرخيها خلفه .

وعن ابن عباس

أن النبي ﷺ خطب الناس وعليه عصابة دَسِمة[1] ، ورُوي دسماء .

وعن عبد الله بن عُمر وأبي هريرة قالا :

ما خرج رسول الله ﷺ في يوم جمعة قطّ إلا وهو معتمّ ، وإن كان في إزار ورداء . وإن لم يكن عنده عمامة وصل الخِرَق بعضها إلى بعض واعتمّ بها .

قال أبو عبد السلام :

سألت ابن عمر : كيف كان النبي ﷺ يعتم ؟ قال : كان يدير العمامة على رأسه ، ويغرزها من ورائه ، ويرسل لها ذؤابة بين كتفيه .

وعن عبد الرحمن بن عوف قال :

عمّمني رسول الله ﷺ فأرسلها من بين يدَيّ ومن خلفي .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ

أنه كان يلبس القلانس البيض والمزرورات وذوات الأردان .

وعن ابن عُمر وعن أنس

أن النبي ﷺ كان يلبس كُمّة[2] بيضاء .

---

(١) عمامة دسمة أو دسماء : سوداء . اللسان « دسم » .

(٢) الكَمّة : القلنسوة . اللسان : « كمم » .

وعن عائشة قالت :

كان لرسول الله ﷺ قلنسوة بيضاء لاطئة[1] يلبسها .

وعنها قالت :

كان رداء رسول الله ﷺ أربعة أذرع وشبراً في ذراع وشبر .

وعن ابن عمر قال :

كان النبي ﷺ يلبس رداء مربعاً .

وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت :

لم يكن من الثياب شيء أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من القميص .

وعن ابن عباس قال :

كان النبي ﷺ يلبس قميصاً [١٥٩] فوق الكعبين مستوي الكمين بأطراف أصابعه .

وعن أنس بن مالك قال :

كان رسول الله ﷺ له قميص قبطي قصير الطول ، قصير الكمين - وفي رواية : قميص قطن - وفي رواية : قميص قطني .

وعن أسماء بنت يزيد قالت :

كان كُمّ رسول الله إلى الرُّصْغ[2] .

وعن المغيرة

أن النبي ﷺ لبس جبّة رومية ضيقة الكمين .

وعنه قال :

خرجت مع رسول الله ﷺ في بعض ما كان يسافر ، فسرنا ، حتى إذا كان في وجه الصبح انطلق حتى توارى عنا ، ضرب الخلاء ، ثم جاء فدعا بطَهور وعليه جبة شامية ضيقة الكمين ، فأدخل يده من تحت الجبة ثم غسل وجهه ويديه ومسح برأسه ومسح على الخفين .

---

(١) لاطئة : لازقة . اللسان : « لطأ » .

(٢) الرصغ : لغة في الرسغ . اللسان : « رصغ » .

وعن طارق بن عبد الله المحاربي قال :

رأيت رسول الله ﷺ بسوق ذي المجاز وعليه جبة حمراء .

وعن المغيرة بن شعبة قال :

كان النبي ﷺ يصلي ، ويستحبّ أن يصلي على فروة مدبوغة .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

عليكم بالثياب البيض فيلبسُها أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم ، وعليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر ، وينبت الشعر .

وفي رواية سَمُرة بن جندب قال : قال رسول الله ﷺ :

البسوا الثياب البياض ، وكفنوا فيها موتاكم ، فإنها أطهر وأطيب . وفي رواية : فإنها من خير ثيابكم .

وفي حديث آخر عنه :

وقد كان ﷺ يعجبه لبس الحِبَرات[1] وهي البرود اليمانية .

وقال قتادة :

سألت أنساً : أي اللباس كان أحب إلى رسول الله ﷺ ، أو أعجب ، قال : الحِبَرَة .

وعن قدامة الكلابي قال :

رأيت رسول الله ﷺ عشية عَرفة وعليه حلة حبَرة .

وعن جابر بن سليم ، أو سليم بن جابر قال :

أتيت النبي ﷺ ، وإذا هو جالس مع أصحابه . قال : فقلت : أيّكم النبي ﷺ ؟ قال : ـ فإما أن يكون أومأ إلى نفسه ، وإما أن يكون أشار إليه القوم ـ [١٦٠] فإذا هو مُحتبٍ ببردة قد وقع هدبها على قدميه . قال : فقلت : يا رسول الله ؛ أجفو عن أشياء فعلمني . قال : اتق الله عزّ وجلّ ، ولا تحقرَنّ من المعروف شيئاً ولو أن تُفرغ من دلوك في إناء المستقي ، وإياك والمَخِيلة ، فإن الله تبارك وتعالى لا يحب المَخيلة ، وإن امرؤ شتمك

(١) الحبرات ج حِبرة . ضرب من برود اليمن مسمَّر . اللسان : « حبر » .

وعيّرك بأمرٍ يعْلَمه فيك فلا تعيّره بأمر تعلمه فيه ليكون لك أجره ، وعليه إثمه ، ولا تشتَمَنّ أحداً . وقد لبس النبي ﷺ الثياب السود .

وعن عائشة أنها قالت :

صنعت لرسول الله ﷺ بردة سوداء من صوف فلبسها فأعجبته ، فلما عرق فيها ، فوجد فيها ريح النَّمِرة[1] قذفها .

وعن عائشة قالت :

خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مِرْط مرحَّل[2] ، من شعر أسود . وقد لبس النبي ﷺ الثياب الخضر .

عن أبي رمْثة قال :

قدمت المدينة ولم أكن رأيت رسول الله ﷺ . قال : فخرج وعليه ثوبان أخضران . وذكر الحديث .

قال قتادة :

خرجنا مع أنس بن مالك إلى أرض له يقال لها الراوية ، فقال حنظلة السدوسي : ما أحسن هذه الخضرة ، فقال أنس : كنا نتحدّث أن أحبّ الألوان إلى الله عزّ وجلّ الخُضرة .

وقد لبس النبي ﷺ الثياب الصفر .

وعن عبد الله بن جعفر قال :

رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان مصبوغان بالزعفران : رداء وعمامة .

وعن قَيْلة

أنها رأت رسول الله ﷺ وهو قاعد القرفصاء ، وعليه أسمالُ مُلَيّتَيْن[3] كانتا تزعفران وقد نفضتا .

---

(١) النَّمِرة : بردة مخططة يلبسها الأعراب ، كأنها أخذت من لون النمر . اللسان والنهاية : « نمر » .

(٢) مرط مرحّل : إزار من خزّ عليه تصاوير رَحْل . اللسان : « مرط ، رحل » .

(٣) المُلَيّة : تصغير مُلاءة متناة المخفمة الهمز . اللسان : « ملأ » .

وقد لبس النبي ﷺ الثياب الحمر .

وعن عون عن أبيه

أن النبي ﷺ خرج في حُلة حمراء ، فركز عَنَزَةً ، فجعل يصلّي إليها بالبطحاء يمرّ من ورائها الكلب والحمار والمرأة .

وعن البَراء بن عازب قال :

ما رأيت رجلاً قطّ أحسنَ من رسول الله ﷺ في حُلة حمراء .

وعن جابر

أن رسول الله ﷺ كان يلبس برده الأحمر [١٦١] في الجمعة والعيدين .

وعن نافع قال : سمعت ابن عمر يقول :

والله ما شمل النبيَّ ﷺ في بيته ولا خارج بيته ثلاثةُ أثواب . ولا شمل أبو بكر في بيته ولا خارج بيته ثلاثة أثواب ، ولا شمل عمر في بيته ولا خارج بيته ثلاثة أثواب . غير أني كنت أرى كساءهم إذا أحرموا ، كان لكل واحد منهم مئزر ومشْمل لعلها كلها بثمن درع أحدكم . والله لقد رأيت النبي ﷺ يرقّع ثوبه ، ورأيت أبا بكر تخلَّل العباء[1] ورأيت عمر يرقع جبته برقاع من أدم وهو أمير المؤمنين . وإني أعرف في وقتي هذا من يجيز بالمئة ولو شئت لقلت ألفاً .

وعن أبي هريرة قال :

دخلت مع رسول الله ﷺ السوق ، فقعد إلى البزّازين ، فاشترى سراويل بأربعة دراهم . قال : وكان لأهل السوق رجل يزن بينهم الدراهم يقال له : فلان الوزّان . قال : فجيء به يزن ثمن السراويل فقال له النبي ﷺ أتزن وأُرجح ؟ فقال له الوزان : إن هذا القول ما سمعته من أحد من الناس ، فمن هذا[2] الرجل ؟ قال أبو هريرة : قلت : حسبك من الزهو والجفاء في دينك ألاّ تعرف نبيك ﷺ . قال : فقال : أهذا رسول الله ﷺ ؟

---

(١) العباءة والعَباء : ضرب من الأكسية . اللسان : « عبأ » . وتخلّل الكساء : جمع بين طرفيه بخلال من عود أو حديد . اللسان : « خلل » .

(٢) في هامش الأصل حرف « ط » .

قال : فأخذها ـ يعني يده ـ ليقبّلها فجذبها رسول الله ﷺ وقال : مه إنما تفعل هذا الأعاجم بملوكها . وإني لست بملِك ، وإنما أنا رجل منكم . قال : ثم جلس ، فاتزن الدراهم وأرجَح كما أمره النبي ﷺ ، فلما انصرفنا تناولت السراويل من رسول الله ﷺ لأحمِلها عنه ، فمنعني وقال : صاحبُ الشيء أحقُّ بحمله إلا أن يكون ضعيفاً ، يعجز عنه ، فيُعينه عليه أخوه المسلم . قلت : يا رسول الله ، وإنك لتلبس السراويل ؟ قال : نعم . بالليل والنهار ، وفي السفر والحضر ـ قال الإفريقي : وشككت في قوله : مع أهلي ـ إني أمرت بالتستر ، فلم أجد ثوباً أستر من السراويل .

وعن علي قال :

كنت قاعداً عند النبي ﷺ [١٦٢] بالبقيع في يوم دجن مطرٍ ، فمرت امرأة على حمار ، معها مَكاري ، فهوت يدُ الحمار في وهدة من الأرض فسقطت المرأة ، فأعرض النبي ﷺ عنها بوجهه . فقالوا : يا رسول الله ، إنها متسرولة فقال : اللهم اغفر للمتسرولات من أمتي . ثلاثاً . يا أيها الناس ، اتَّخِذُوا السراويلات ، فإنها مِن أستر ثيابكم ، وخَصُّوا بها نساءكم إذا خرجن .

وعن أنس قال :

كان لنعل النبي ﷺ قِبالان[١] .

وعن تمام قال :

نظر هشام بن عروة إلى نعل الصلت بن دينار ولها قِبالان . فقال هشام : عندنا نعل النبي ﷺ مُعَقَّبة[٢] مخصَّرة[٣] مُلسَّنة[٤] .

وعن عمرو بن حُرَيث قال :

رأيت رسول الله ﷺ يصلي في نعلين مخصوفتين .

---

(١) القبال : زمام النعل وهو السير الذي يكون بين الاصبعين . اللسان : « قبل » .

(٢) نعل معقَّبة : لها عقب . اللسان : « عقب » .

(٣) نعل مخصَّرة : قُطع خصراها حتى صارا مستدقين . اللسان : « خصر » .

(٤) نعل ملسَّنة : دقيقة على شكل اللسان . اللسان : « لسن » .

وعن بُريدة

أن النجاشي أهدى إلى رسول الله ﷺ خُفَّين أسودين ساذَجين ، فتوضأ ومسح عليهما .

وعن عائشة قالت :

كان ضِجاع رسول الله ﷺ الذي ينام عليه وسادة بالليل من أدمٍ حشوُها ليف .

وعن أبي بردة قال :

دخلنا على عائشة ، فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يُصنع باليمن . وكساء من هذه التي تدعونها الملبَّدة ، فقالت : قبض رسول الله ﷺ في هذين الثوبين .

ذكر تواضعه لربّه

ورحمته لأمته ورأفته بصحبه

عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال :

لا تُطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فإنما أنا عبده . فقولوا : عبد الله ورسوله .

وعن أنس قال :

إن رجلاً قال لنبي الله ﷺ : يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال النبي ﷺ : يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ولا تستهوينكم الشياطين . أنزلوني حيث أنزلني الله . أنا عبد الله ورسول الله .

وفي رواية عنه :

ولا يستخزينكم الشيطان . أنا محمد بن عبد الله ، رسول الله . ووالله ما أحب[1] [١٦٣] .

[١٦٤] إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة . فلما نزل قال : يا محمد ، أرسلني إليك ربك : أملكاً نبياً نجعلك أو عبداً رسولاً ؟ قال جبريل : تواضع لربك يا محمد . قال : بل عبداً رسولاً .

وعن عائشة قالت :

أُتي رسول الله ﷺ بطعام فقلت : ألا تأكل وأنت متكئ ، فإنه أهون عليك ؟

---

(١) بعد هذه اللفظة سدأ الورقة (١٦٣) وهي محرومه من الأصل .

قالت : فأصغى بجبهته حتى كاد يمسح بها الأرض قال : آكل كما يأكل العبيد ، وأنا جالس . فما رأيته أكل متكئاً حتى مضى لسبيله .

وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال :

أتاني ملك جُرْمه يساوي الكعبة . فقال اختَر أن تكون نبياً ملِكاً أو نبياً عبداً . فأومأ إليه جبريل عليه السلام أن تواضع لله تعالى فقال : بل أحبّ أن أكون عبداً نبياً ، فشكر ربي عزّ وجلّ ذلك فقال : أنت أوّل من تنشَقّ عنه الأرض وأوّل شافع .

وفي حديث آخر عنها قالت : قال رسول الله ﷺ :

يا عائشة ، لو شئتُ لَسارت معي جبال الذهب ، جاءني ملك إنّ حُجْزَتَه[1] لتساوي الكعبة . وذكر بقية الحديث .

وعن حبيب بن أبي ثابت قال :

قلت لأنس بن مالك : حدثنا بما سمعت من رسول الله ﷺ ولا تحدثنا عن غيره قال : كان النبي ﷺ يلبس الصوف ، ويركب الحمار ، ويجلس على الأرض وثيابه عليها . ويجيْبُ دعوة الكهول ، ويعتقل العَنْز[2] ويحلبها .

وسمعته ﷺ يقول . لو دعيت إلى كراع لأجبتُ .

قال : كذا قال : وثيابه عليها . قال : وأحسبُه : وينام عليها .

وعن أنس قال :

جاء جبريل إلى النبي ﷺ وهو يأكل متكئاً فقال : التُكأة[3] من النعمة فاستوى قاعداً . فما رُئي بعد ذلك متّكئاً . وقال : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأشرب كما يشرب العبد .

---

(١) حُجْزَة الإنسان : معقِد السراويل والإزار . اللسان : « حجز » .

(٢) اعتقل شاته : وضع رجلها بين ساقه وفخذه وحلبها . اللسان : « عقل » .

(٣) التكأة بوزن الهُمَزة : ما يُتّكأ عليه . اللسان : « وكأ » .

وعن علي بن حسين قال :

قيل لرسول الله ﷺ : لو اتخذنا لك شيئاً ترتفع عليه تُكلّم الناس . فقال : لا أزال بينكم تطوون عقبي حتى يكون الله يرفعني . ثم قال : لا ترفعُوني فوق حقي فإن الله اتخذني [١٦٥] عبداً قبل أن يتخذني رسولاً .

وعن أبي موسى قال :

كان النبي ﷺ يلبس الصوف ، ويركب الحمار ويأتي مَدعاة الضعيف .

وعن أبي أيوب قال :

كان رسول الله ﷺ يركب الحمار ، ويخصِف النعل ، ويرقع القميص ، ويقول : من رغب عن سنتي فليس مني .

وعن أنس قال :

كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويركب الحمار ويردف معه ، ويجيب دعوة المسكين .

وعن أنس :

يجيب دعوة العبد .

وعنه قال :

كان رسول الله ﷺ يعود المريض ، ويتبع الجنازة ، ويجيب دعوة الكهول ، ويركب الحمار . وكان يوم خيبر ويوم قريظة والنضير على حمار مخطوم ، بحبل من ليف ، وتحته إكاف من ليف .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :

من لبس الصوف ، وانتعل المخصوف ، وركب حماره ، وحلب شاته ، وأكل معه عياله فقد نحّى الله منه الكِبْر ، أنا عبد ابن عبد ، أجلس جلسة العبد وأكل أكل العبد ـ وذلك أن النبي ﷺ لم يطرِف طعاماً قطّ إلا وهو جاث على ركبتيه ـ إني قد أوحي إليّ أن تواضعوا ، ولا يبغي أحد على أحد . إن يد الله عزّ وجلّ مبسوطة في خلقه . فمن رفع نفسه وضعه الله ، ومن وضع نفسه رفعه الله وما يمشي امرؤ[1] على الأرض شبراً يبتغي فيها سلطان الله إلا أكبّه الله .

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

وعن أبي هريرة قال :

كان في رسول الله ﷺ ثلاث خلال ليست في الجبارين : كان يركب الحمار ، وكان لا يدعوه أسود ولا أحمر إلا أجابه ، وكان يجد التمرة مُلقاة فيلقيها في فيه .

وعن أنس قال :

لما دخل النبي ﷺ مكة استشرفه الناس ، فوضع رأسه على رحله تخشُّعاً .

وقال أنس بن مالك :

كان لا يشاء العبد الأسود أن يأتي رسول الله ﷺ فيأخذ بيده فيمضي به حيث سأله إلا أقعى لحاجته .

وخطب عثمان بن عفان فقال :

إنا والله صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر ، فكان يعود مرضانا [١٦٦] ويتبع جنائزنا ، ويواسينا بالقليل والكثير . وإن ناساً يُعلموني به وعسى ألا يكون أحدهم رآه قطّ .

وعن سهل بن حُنيف قال :

كان رسول الله ﷺ يأتي ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ، ويشهد جنائزهم .

وعن عاصم بن حَدْرة قال :

ما أكل النبي ﷺ على خُوان قطّ ، ولا مشى معه سواد ، وما كان له بواب قطّ .

وعن الحسن

أنه ذكر رسول الله ﷺ فقال : لا والله ، ما كانت تُغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحَجَبة ، ولا يُغدى عليه بالجفان ، ولا يُراح عليه بها ، ولكنه كان بارزاً ، من أراد أن يلقى نبي الله ﷺ لقيه . وكان والله يجلس بالأرض ، ويوضع طعامه بالأرض ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويردف معه ويلعق ـ والله ـ يده .

وعن ابن مسعود الأنصاري قال :

إن النبي ﷺ كلّم رجلاً فأرعد فقال : هوّن عليك ، فإني لست بملِك . إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد .

وعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

ما بَعث الله عزّ وجلّ نبياً إلا راعي غنم . قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : وأنا كنت أرعاها لأهل مكة بالقراريط .

وعن أبي سعيد الخدري قال :

افتخر أهل الإبل وأهل الغنم عند رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : السكينة والوقار في أهل الغنم ، والفخر والخيلاء في أهل الإبل . وقال رسول الله ﷺ : بُعث موسى وهو يرعى غنماً لأهله . قال : وبُعثتُ أنا ، وأنا أرعى غنماً لأهلي بأجياد .

وعن أنس

أن نبيّ الله ﷺ قال : إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد أن أطيلها فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي لِما أعلم من شدة وجْد أمه من بكائه .

وعنه قال :

كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالعيال والصبيان .

وعنه قال :

كان رسول الله ﷺ [١٦٧] في طريق ومعه أناس من أصحابه ، فعرضت له امرأة فقالت : يا رسول الله ، لي إليك حاجة ، فقال : يا أمَّ فلان ، اجلسي في أدنى نواحي السّكك حتى أجلس إليك ، ففعلت فجلس إليها حتى قضت حاجتها .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

اللهم ، إني اتخذت عندك عهداً لن تُخْلِفَنيه ، إنما أنا بشر ، فأي المؤمنين آذيته أو شتمته أو جلدته أو لعنته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة تقرّبه بها يوم القيامة .

وعن أبي سعيد الخدري قال :

غشي رسول الله ﷺ الأمداد من أهل اليمن وهو في المسجد مسجدِه ، فجعلوا يتمسحون به فلما غشوه قام مُوائلاً[1] إلى بيته ـ يقول : فارّاً ـ وركبوه . قال أبو سعيد : وكنت فيمن

---

(١) واءل إلى المكان : بادر . اللسان : « وأل » .

يدفع عنه ، وغلبونا عليه حتى انتزعوا رداءه وحتى أصاب منكبَه البابُ فأوجعه ، وقعد في حجرة عائشة منبهراً مما لقي منهم يقول : اللهم العنهم ، اللهم العنهم . فلما سُرّي عن رسول الله ﷺ قالت له عائشة : هلك والله القوم يا رسول الله . قال : وما ذاك يا عائشة . قالت : أو لم أسمعك تقول : اللهم العنهم ؟ فقال ﷺ كلا والله ، لقد اشترطت على ربي فقلت : اللهم ، إنما أنا بشر أغضب كما يغضبون وأجد كما يجدون ، فأي المسلمين ضربت أو سببت أو لعنت أو آذيت فاجعلها له مغفرة ورحمة وقربة تقرّبه بها يوم القيامة . كلا والله يا عائشة .

وعن الفضل بن عباس قال :

دخلتُ على النبي ﷺ في مرضه وعلى رأسه عصابة حمراء ـ أو قال : صفراء ـ فقال : ابن عمي ، خذ هذه العصابة فاشدد بها رأسي . فشددت بها رأسه : قال : ثم توكأ عليّ حتى دخلنا المسجد فقال : يا أيها الناس ، إنما أنا بشر مثلكم . ولعله أن يكون قد قَرُب مني خُفُوف[1] من بين أظهركم . فمن كنت أصبت من عرضه أو من شَعره أو من بَشَره أو من ماله شيئاً ، هذا عرض محمد وشعره وبشره وماله فليقم فليقتصّ ، ولا يقولَن أحد منكم : إني أتخوف [١٦٨] من محمد العداوةَ والشحناء . ألا وإنها ليسا من طبيعتي وليسا من خُلُقي . قال : ثم انصرف . فلما كان من الغد أتيته فقال : ابن عمي ، لا أحسب أن مقامي بالأمس أجزأ عني ، خذ هذه العصابة فاشدد بها رأسي . قال : فشددت بها رأسه . قال : ثم توكأ عليّ حتى دخل المسجد فقال مثل مقالته بالأمس ثم قال : فإنّ أحبكم إلينا من اقتصّ . قال : فقام رجل فقال : يا رسول الله ، أرأيت يوم أتاك السائل فسألك فقلت : من معه شيء يُقرضنا فأقرضتك ثلاثة دراهم ؟ قال : فقال : يا فضلُ ، أعطه . قال : فأعطيته . قال : ثم قال : ومن غلب عليه شيء فليسألنا ندعُ له . قال : فقام رجل فقال : يا رسول الله ، إني رجل جبان كثير النوم . قال : فدعا له . قال الفضل : فلقد رأيته أشجعَنا وأقلّنا نوماً . قال : ثم أتى بيت عائشة فقال للنساء مثلما قال للرجال . ثم قال : ومن غلب عليه شيء فليسألنا ندعُ له . قال : فأومأت امرأة إلى لسانها . قال : فدعا لها . قالت : فلربما قالت لي : يا عائشة ، أحسني صلاتك .

---

(١) الخفوف : قرب الارتحال . يريد قرب أجله . اللسان : « خفف »

وعن عبد الله بن عمرو

أن النبي ﷺ تلا قول الله عزّ وجلّ في إبراهيم ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُوْرٌ رَحِيْم ﴾[1] وقال عيسى : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيْزُ الحَكِيْم ﴾[2] ورفع يديه ثم قال : اللهم ، أمتي أمتي وبكى . فقال الله عزّ وجلّ : يا جبريل ، اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فاسأله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل فسأله ، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال ، وهو أعلم فقال الله عز وجل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك .

وعن أبي ذر قال :

قام النبي ﷺ بآية حتى أصبح يردّدها . والآية ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾[2]

---

(١) سورة إبراهيم ١٤ / ٣٦ .

(٢) سورة المائدة ٥ / ١١٨ .

ذكر تقلله وزهده وتبتله في العبادة

[١٦٩] عن عائشة قالت :

ما شبع رسول الله ﷺ في يوم مرتين حتى مات .

وعنها قالت :

إنْ كان لَيمرّ بنا الشهر ونصف الشهر ما تُوقد في بيت رسول الله ﷺ نار لمصباح ولا لغيره . قال : قلت : سبحان الله ! فبأي شيء كنتم تعيشون ؟ قالت : بالماء والتمر ، كان لنا نسوة جيران من الأنصار لهن منائح ، فربما أهدوا إلينا منها شيئاً .

وفي رواية أخرى[1] قالت :

والله ، لقد كان يأتي على آل محمد شهر ما نختبز فيه . قال : فقلت : يا أم المؤمنين ، فما كان يأكل رسول الله ﷺ فقالت[1] : كان لنا جيران من الأنصار جزاهم الله خيراً ، كان لهم شيء من لبن يهدون منه إلى رسول الله ﷺ .

وعنها قالت :

كان يأتي على آل محمد الشهر ما يوقِدون فيه ناراً ، إنما هو التمر والماء ، إلا أن يؤتى باللحم .

وعن عائشة قالت :

لقد أهدى لنا أبو بكر رِجل شاة لحم ، فإني لأقطعها أنا ورسول الله ﷺ في ظلمة البيت ، فقلت لها : هلا أسرجتم ؟ فقالت : لو كان لنا ما نُسرج به لأكلناه .

(١ ـ ١) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل . وتكررت عبارة كان لنا جيران في الهامش .

وعن عائشة قالت :

لقد مات رسول الله ﷺ وما في بيتي إلا شطر من شعير فكلته ففني ، فليتني لم أكله .

وقالت :

توفي رسول الله ﷺ وما خلّف ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً .

وعنها قالت :

لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين .

وعنها قالت :

والذي بعث محمداً بالحق ، ما رأى منخلاً ولا أكل خبزاً منخولاً مذ بعثه الله إلى أن قبض ﷺ . فقلت : كيف كنتم تأكلون الشعير ؟ قالت : كنا نقول : أف ، أف .

وعن عائشة قالت :

ما رَفع النبي ﷺ غداءً لعشاء ولا عشاء قطّ لغداء . ولا اتخذ من شيء زوجين : لا قميصين ، ولا رداءين ، ولا إزارين ولا من النّعال ، ولا رُئي قطّ فارغاً في بيته . إنما يخصِف نعلاً لرجل مسكين أو يخيط ثوباً لأرملة .

وعن عائشة أنها قالت :

ما شبع آل محمد ثلاثة أيام متتابعات من خبز البُرّ حتى ذاق محمد ﷺ الموت . وما زالت الدنيا علينا عسرة كَدِرة حتى مات النبي ﷺ . فلما مات النبي ﷺ [١٧٠] انصبت الدنيا علينا صبّاً .

وعنها قالت :

لقد توفي رسول الله ﷺ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد ، إلا شطر شعير في رفّ لي ، فأكلت منه حتى طال علي فكِلته ففني .

قال مسروق :

دخلت على عائشة يوماً فدعت لي بطعام ، فقالت لي : كل . فلَقلّما أشبَعُ من طعام فأشاء أن أبكي إلا بكيت . قال : قلت : يا أم المؤمنين ، وذاك مِمّه ؟ قالت : أذكر الحال التي فارقنا رسول الله ﷺ . ما شبع رسول الله ﷺ في يوم مرتين من خبز الشعير حتى لحق بالله عزّ وجلّ .

وعن عائشة قالت :

توفي رسول الله ﷺ ولم يترك ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا بعيراً ، ولم يوصِ بشيء .

وعن عمرو بن الحارث ختن رسول الله ﷺ أخي جويرية بنت الحارث قال :

والله ، ما ترك رسول الله ﷺ عند وفاته ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ولا أَمَة ولا شيئاً إلا بغلَته البيضاء ، وسلاحه ، وأرضاً جعلها صدقة .

وعن ابن عباس

أن النبي ﷺ التفت إلى أحد فقال : والذي نفسي بيده ما يسرني أن أُحداً تحوَّل لآل محمد ذهباً أنفقه في سبيل الله ، أموتُ يوم أموتُ أدعُ منه دينارين ، إلا دينارين أحدهما لدَيْن إن كان . قال : فمات وما ترك ديناراً ولا درهماً ولا عبداً ، ولا وليدة ، وترك درعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شعير .

وعن عائشة قالت :

دخلت عليّ امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله ﷺ قطيفة - وقيل : عباءة - مثنيّة ، فانطلقت فبعثت إليّ بفراش حشوه صوف ، ودخل علي رسول الله ﷺ فقال : ما هذا يا عائشة ؟ ! قالت : قلت : يا رسول الله ، فلانة الأنصارية دخلت علي فرأت فراشك ، فذهبت فبعثت إليّ بهذا . فقال : ردّيه يا عائشة . فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة . قالت : فلمْ أردّه ، وأعجبني أن يكون في بيتي ، حتى قال لي ذاك ثلاث مرات [١٧١] قالت : فقال : ردّيه يا عائشة ، فوالله لو شئت لأجرى الله معي جبال الذهب والفضة .

وعن زر بن حُبيش قال :

سـألت عـائشـة أم المؤمنين عن ميراث رسول الله ﷺ . قـالت : عن ميراث رسول الله ﷺ تسأل لا أبالك ؟ ! والله ما ورّث رسول الله ﷺ ديناراً ولا درهماً ولا شـاة ولا بعيراً ولا عبداً ولا أمة .

وعن عائشة قالت :

لو أردت أن أخبركم بكل شَبعة شبعها رسول الله ﷺ حتى مات لفعلت .

وعن عمران بن يزيد قال : حدثني والدي قال :

دخلنا على عائشة فقلنـا : سلامٌ عليـك يـا أمّـه فقـالت : وعليـك ، ثم بكت فقلنـا : ما بكاؤك يا أمّه . قالت : بلغني أن الرجل منكم يأكل من ألوان الطعـام حتى يلتمس لـذلـك دواء يَمريه ، فذكرت نبيكم ﷺ . فذلك الـذي أبكاني . خرج من الـدنيـا ولم يملأ بطنـه في يوم من طعـامين . كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الخبز ، وإذا شبع من الخبز لم يشبـع من التمر .

وعن عائشة قالت :

اشتد وجع رسول الله ﷺ وعندنا سبعة دنانير أو تسعة . فقال : يا عائشة ، ما فعلت تلـك الـذهب ؟ قـالت : هي عنـدي ، قـال : فتصـدقي بهـا . قـالت : فشُغلت ، ثم قـال : يا عائشة ، ما فعلت تلك الذهب ؟ فقلت : عندي ، قال : تصدقي بها . قالت : فشغلت ثم قال الثالثة : ما فعلت تلك الذهب ؟ فقلت : هي عندي فقال : ائتني بها ، فوضعها في يده ثم قال : ما ظن محمد لو لقي الله وهذه عنده ، ما ظن محمد لو لقي الله وهذه عنده .

وفي رواية قالت : ٨

فأخذها فبدّدها .

وعن عطاء قال :

زار أبـو هريرة قـومـه فـأتَـوْه برِقـاق من الرقـاق الأول . فلمـا رآه بكى . فقيـل لـه : ما يبكيك يا أباهريرة ؟ فقال : ما رأى رسول الله ﷺ هذا بعينه قطّ .

وعن أبي هريرة قال :

إنْ كان لَيمرّ بآل رسول الله ﷺ الأهلّة ما يُسرَج في بيت أحد منهم سراج ، ولا توقد فيه نار . إن وجدوا زيتاً ادّهنوا به ، وإن وجدوا وَدَكاً أكلوه .

[١٧٢] وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً .

وعنه عن رسول الله ﷺ أنه قال :

والله لا يقسم ورثتي ديناراً ، ما تركت من شيء بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة .

وعنه قال :

جاء رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله ، ما لي أرى لونك مُنكفتاً(١) ! قال : الخَمْص(٢) . فانطلق الأنصاري إلى رحله فلم يجد فيه شيئاً ، فخرج يطلب فإذا هو بيهودي يسقي نخلاً له فقال الأنصاري لليهودي : أسقي نخلك ؟ قال : نعم ، كلُّ دَلْو بتمرة ، واشترط الأنصاري عليه ألاّ يأخذ منه خدِرَة(٣) ولا تارِزة(٤) ولا حَشَفة ، ولا يأخذ إلا جيّده . فاستقى له بنحو من صاعين تمراً ، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال : من أين لك هذا ؟ فأخبره الأنصاري . وكان يسأل عن الشيء إذا أُتي به ، فأرسل إلى نسائه بصاع ، وأكل هو وأصحابه صاعاً . وقال للأنصاري : أتحبني ؟ قال : نعم ، والذي بعثك بالحق ـ يعني : إني لأحبك ـ قال : إن كنتَ تحبني فاتخذ البلاء كَفافاً ، فوالذي نفسي بيده لَلبلاء أسرع إلى من يحبني من الماء الجاري من قلب الجبل إلى حضيض الأرض ثم قال : اللهم ، فمن أحبني فارزقه العفاف والكفاف ، ومن أبغضني فأكثِر ماله وولده .

---

(١) كذا في الأصل . ورواية الحديث في سنن ابن ماجه : ٢ / ٨١ والنهاية واللسان : « كفأ » : « منكفئاً » وفي اللسان : « رأيت فلاناً مُكفأ الوجه ومتكفّئ اللون ومنكفت اللون أي متغير اللون » .

(٢) أي الجوع . اللسان : « خمص » .

(٣) في الأصل : « خرزة » . خطأ . وتمرة خدرة : عفنة ، اسودّ باطنها . النهاية : « خدر » .

(٤) تمرة تارزة أي حشفة يابسة . النهاية : « ترز » .

وعن أنس قال :

ما أكل النبي ﷺ على خوان ولا في سُكُرُّجَة[1] ، ولا خُبز له مرقّق . قال : قلت[2] لقتادة : فعلام كانوا يأكلون ؟ قال : على السُّفر .

وعن أنس :

أن النبي ﷺ كان لا يدّخر شيئاً لغد .

وعن أبي الربيع قال :

كنا مع أنس بن مالك في بستان له إذ أُلقيت له طنفسة ، ثم جيء بخوان فوُضع ، ثم جيء بزَهومة فوضعت على الخوان ، فلما رأى[3] ذلك أنس بكى . قال : قلنا : ما يبكيك يا أبا حمزة ؟ قال : ما رأيت رسول الله ﷺ قاعداً على طنفسة قطّ . ولا رأيت بين يديه خواناً قطّ .

[١٧٣] وعن أنس :

أن خياطاً بالمدينة جعل للنبي ﷺ طعاماً فأتى بخبز شعير وإهالة سنخة[4] وإذا فيها قَرْع ، فرأيت النبي ﷺ يعجبه القرع ، فجعلت أُقرّبه قدامه . قال أنس : فلم يزل القرع يعجبني منذ رأيت رسول الله ﷺ يعجبه .

وعن أنس قال :

كان رسول الله ﷺ يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السَّنخة فيجيب ، ولقد كانت له درع رهناً عند يهودي . فما وجد ما يفتكها حتى مات ﷺ .

وعن أنس قال :

لبس رسول الله ﷺ الصوف ، واحتذى المخصوف .

---

(١) هي إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدْم . اللسان : « سكرج » .

(٢) لفظتا « قلت لقتادة » مستدركتان في هامش الأصل .

(٣) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٤) الإهالة : الدسم ، ما كان . السنخة : المتغيرة . ويروى بالزاي . اللسان : « زنخ ، سنخ » .

وقال : أكل رسول الله ﷺ بَشِعاً ، ولبس خشناً . قال : سئل الحسن : ما البَشِع ؟ قال : غليظ الشعير ، لا يكاد يَسيغه إلا بجرعة ماء .

وعن أنس

أن فاطمة جاءت بكسرة خبز لرسول الله ﷺ فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ قالت : قرص خبزته ، فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال : أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام .

وعن جابر بن عبد الله قال :

لما حفر النبي ﷺ وأصحابه الخندق أصاب النبي ﷺ والمسلمون جهداً شديداً ، فمكثوا لا يجدون طعاماً حتى ربط النبي ﷺ على بطنه حجراً من الجوع .

وعن ابن البُجير ، وكان من أصحاب النبي ﷺ قال :

أصاب يوماً النبيَّ ﷺ الجوعُ ، فوضع على بطنه حجراً ثم قال : ألا رُبَّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا ، جائعة عارية يوم القيامة ، ألا يا رُبَّ نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة . ألا يا رُبّ مُكرِم لنفسه وهو لها مُهين ، ألا يا رُبَّ مُهين لنفسه وهو لها مُكرِم . ألا يا رُبّ منحوض[1] ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله . ما له عند الله من خَلاق ، ألا وإن عمل الجنة حَزْنة بربوة ، ألا وإن عمل النار سهل بشهوة . ألا يا رُبَّ شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً .

وعن [١٧٤] سِماك أنه سمع النّعمان بن بَشير يخطب وهو يقول :

احمدوا الله تبارك وتعالى : فربما أتى على رسول الله ﷺ الشهر يظلّ يتلوّى ، ما يشبع من الدّقَل[2] .

وعن أبي حازم قال :

سألت سهل بن سعد فقلت : هل أكل رسول الله ﷺ النَّقي فقال سهل : ما رأى

---

(١) المنحوض هنا : كثير اللحم . وهو من الأضداد . اللسان : « نحض

(٢) الدقل : رديء التمر اللسان : « دقل »

رسول الله النَّقيَّ[1] من حين بعثه الله حتى قبضه الله . قال : فقلت : هل كانت لكم في عهد رسول الله ﷺ مناخل . قال : ما رأى رسول الله ﷺ منخلاً من حين ابتعثه الله حتى قبضه . قال : فقلت : كيف كنتم تأكلون الشعير غير مُنخَّل ؟ قال : كنا نطحنه وننفخه ، فيطير ما طار وما بقي ثرَّيناه[2] فأكلناه .

وعن أحمد بن عبد الله العجلي قال :

سألت نُعيم بن حماد قلت : جاء عن النبي ﷺ أنه لم يشبع في يوم من خبز مرتين . وجاء عنه أنه كان يعدّ لأهله قوت سنة فكيف هذا ؟! قال : كان يعد لأهله قوت سنة ، فتنزل به النازلة فيقسّمه فيبقى بلا شيء .

وعن عمر بن الخطاب

أنه دخل على رسول الله ﷺ حين هجره نساؤه فوافاه على سرير رَمال[3] ـ يعني مَرْمولاً ـ متوسّداً وسادةً من أدم محشوّة ليفاً . فقال عمر : التفتُ في البيت فوالله ما رأيت شيئاً يردّ البصر إلا العباء من أدَم معطونة[4] ريحها ، فبكيت ، فقلت : يا رسول الله ، أنت رسول الله وخيرتُه وهذا كسرى وقيصر في الذهب والحرير ، فاستوى رسول الله ﷺ جالساً فقال : أوَ في شكٍ أنت يابن الخطاب ! أولئك قوم عُجّلت ، يعني : طيباتهم في حياتهم الدنيا .

وعن ابن عباس :

أن رسول الله ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء . قال : وكان عامة خبزهم خبز الشعير .

وعن ابن عمر أنه قال :

إن جبريل عليه السلام أتى النبي ﷺ فخيره بين الدنيا والآخرة ، فاختار الاخرة ولم يُرد الدنيا .

---

(١) النقي : الخبز الأبيض الحُوّارى . اللسان : « نقي » .

(٢) ثرّى التراب والسّويق : إذا بلّه . اللسان والنهاية : « ثرا » .

(٣) الرّمال : ما رُمل أي نسج . اللسان : « رمل » .

(٤) المعطون : المنتن : اللسان : « عطن » .

[١٧٥] وعن ابن عمر قال :

خرجت مع النبي ﷺ حتى دخل في بعض حيطان الأنصار ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل ، فقال لي : يابن عمر ، مالك لا[1] تأكل ؟! قال : قلت : يا رسول الله ، لا أشتهيه ، قال : لكنني أشتهيه ، وهذه صُبح رابعة مذ لم أذق طعاماً ولم أجده ، ولو شئت لدعوت ربي عزّ وجلّ فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر ، فكيف بك يابن عمر إذا بقيت في قوم يخبؤون رزق سنتهم بضعف اليقين ؟ فوالله ما برحنا ولا رُمنا حتى نزلت ﴿ وَكَأَيِّن مِنْ دابّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها اللهُ يَرْزُقُها وإيّاكُمْ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ[2] ﴾ فقال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجلّ لم يأمرني بكنز الدنيا ولا اتباع الشهوات ، فمن كنز دنيا يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله . ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأ رزقاً لغدٍ .

وعن ابن عمر :

﴿ لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَة ﴾[3] قال : في جوع رسول الله ﷺ .

وعن عبد الله قال :

اضطجع رسولُ الله ﷺ على حصير ، فأثّر الحصير بجلده . فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول : ألا أذِنْتَنا فنبسُطَ لك عليه شيئاً يقيك منه ؟ فقال : ما لي وللدنيا ، ما أنا والدنيا إلا كراكبٍ استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها .

وعن نوفل بن إياس الهُذلي أنه قال :

كان عبد الرحمن بن عوف لنا جليساً ، وكان نِعْم الجليس ، وإنه انقلب بنا ذات يوم إذ أدخلَنا بيته ، ودخل فاغتسل ، ثم خرج فجلس معنا ، وأُتينا بصحفة فيها خبز ولحم . فلما وُضعت بكى عبد الرحمن ، فقلت له : يا أبا محمد ، ما يبكيك ؟! قال : هلك رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير ، ولا أُرانا أُخِّرنا لما هو خير لنا .

---

(١) لفظة « لا » مستدركة في هامش الأصل .

(٢) سورة العنكبوت ٢٩ / ٦٠

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ / ٢١

وعن عمرو بن العاص قال : وهو على المنبر بمصر[1] للناس :

ما أبعدَ هديَكم من هدي نبيّكم ﷺ ، أما هو فأزهد الناس في الدنيا ، وأما أنتم فأرغب الناس فيها .

وعن عمرو بن العاص قال :

لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون [١٧٦] فيما كان رسول الله ﷺ يزهد فيه ؛ أصبحتم ترغبون في الدنيا ، وكان رسول الله ﷺ يزهد فيها . والله ما أتت على رسول الله ﷺ ليلة من دهره إلا كان الذي عليه أكثر مما لَهُ . قال : فقال له بعض أصحاب رسول الله ﷺ : قد رأينا رسول الله ﷺ يستسلف .

وفي رواية :

والله ، والله ما مرّ برسول الله ﷺ ليلة من الدهر إلا والذي عليه أكثر من الذي له .

وعن أبي البختري قال :

صحب سلمان رجلٌ من بني عبس ، فكان لا يستطيع أن يفضُله في عمل : إن عجن خَبز ، وإن سقى الركاب هيّأ العلف للدواب ، حتى انتهى إلى دجلة وهي تطفح ، فقال له سلمان : انزل فاشرب . قال : فشرب . فقال : ازدد فازداد . قال : كم تراك نقصت منها ؟ فقال : ما عسى أن أنقص من هذه . قال : فقال له سلمان : فكذلك[2] العلم تأخذ منه ولا تنقصه ، فعليك بما ينفعك . قال : فعبرنا إلى نهر دنٍ[3] فإذا الأكداس عليه من الحنطة والشعير فقال : يا أخا بني عبس ، أما ترى الذي فتح خزائن هذه علينا كان برأها ومحمد ﷺ حيّ ؟ قال : قلت : بلى . قال : فوالذي لا إله غيره لقد كنا نمسي ونصبح وما فينا قفيز من قمح . ثم سار حتى انتهى إلى جلولاء[4] فذكر ما فتح الله عزّ وجل عليهم فيها

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٢) في هامش الأصل حرف « ط » .

(٣) نهردنّ : من أعمال بغداد بقرب إيوان كسرى . معجم البلدان .

(٤) جلولاء : موضع في الطريق إلى خراسان قريب من خانقين . به كانت الوقعة المشهورة بين المسلمين والفرس سنة ١٦ هـ .

من الذهب والفضة . فقال : يا أخا بني عبس ، أما ترى الذي فتح هذه علينا كان برأها ومحمد ﷺ حي ؟ قلت : بلى . قال : فوالذي لا إله غيره . لقد كانوا يمسون ويصبحون وما فيهم دينار ولادرهم .

وعن أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال :

عرض عليّ ربّي بطحاءَ مكة ذهباً ، فقلت : لا يا رب ، ولكن أشبع يوماً ، وأجوع يوماً . فإذا جعت تضرعت إليك ، وإذا شبعت حمِدتك وشكرتك .

وعن أبي عسيب قال :

خرج رسول الله ﷺ ليلاً فدعاني فخرجت إليه ، ثم مرّ بأبي بكر فدعاه فخرج إليه ، ثم مرّ بعمر فدعاه فخرج إليه ، فانطلق يمشي ونحن معه [١٧٧] حتى دخل بعض حوائط الأنصار فقال : أطعمنا بُسراً ، فجاء بعذق فأكلوا ، وجاء بماء فشربوا . فقال عمر : يا رسول الله : إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : نعم إلا من ثلاثٍ : إلا من كِسرةٍ يَسدّ بها الرجل جَوْعته ؛ وخِرقة يواري بها عَورته ، وجُحر يتدخّل فيه من الحرّ والقرّ .

وعن الحسن :

حدثني من صحب رسول الله ﷺ فلم يره وضع قصبة على قصبة ولا لَبِنة على لَبنة .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ

أنه لما نزلت هذه الآية ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيْنا لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ(١) ﴾ قام وصلّى حتى انتفخت قدماه ، وتعبّد حتى صار كالشنّ البالي . فقالوا : يا رسول الله ! أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟.

وعن سفينة قال :

اعتزل رسول الله ﷺ نساءه قبل أن يموت بشهرين ، وتعبّد حتى صار كالشنّ البالي .

---

(١)سورة الفتح ٤٨ / ١ ، ٢

وعن عطاء قال :

دخلت على عائشة فقلت : أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت : وأي شأنه لم يكن عجباً ؟ إنه أتاني في ليلة فدخل معي في فراشي - أو قالت : في لحافي - حتى مسّ جلدي جلده ثم قال : يا بنت أبي بكر ذريني أتعبّد لربي ، قالت : قلت : إني أحب قربك ، فأذنت له فقام إلى قربة من ماء فتوضأ فأكثر صبّ الماء ، ثم قام يصلي فبكى حتى سالت دموعه على صدره ، ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فأذّن بالصلاة ، فقلت : يا رسول الله ، ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟! قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ، ولم لا أفعل وقد أنزل عليّ ﴿ إنّ في خلْق السّماوات والأرْض ﴾[1] الآية .

وعن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يربط نفسه بحبل كي لا ينام ، فأنزل الله تعالى ﴿ طه ما أنْزلْنا عليْك القرْآن لتشْقى ﴾[2] .

[١٧٨] وعنه :

أن النبي ﷺ أول ما نزل عليه الوحي كان يقوم على صدر قدميه إذا صلى ، فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿ طه ما أنْزلْنا عليْك القرْآن لتشْقى ﴾[2] .

وعن عاصم بن ضمْرة قال :

سألنا علياً عليه السلام عن صلاة رسول الله ﷺ من النهار فقال : إنكم لا تطيقون ذلك . قال : قلنا : من أطاق ذلك منا . فقال : كان إذا كانت الشمس من ها هنا كهيئتها من ها هنا عند العصر صلّى ركعتين . وإذا كانت الشمس من ها هنا كهيئتها من ها هنا عند الظهر صلّى أربعاً ، ويصلّي قبل الظهر أربعاً وبعدها ركعتين ، وقبل العصر أربعاً يفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين والنبيين ومَن تبعهم من النبيّين والمرسلين .

---

(١) سورة آل عمران ٣ / ١٩٠

(٢) سورة طه ٢٠ / ١ ، ٢

وعن علي عليه السلام قال :

كان النبي يصلّي التطوع ثماني ركعات وبالنهار ثنتي عشرة ركعة . وكان في نسخة : ست عشرة ركعة .

وعن عبد الله قال :

سألت عائشة أم المؤمنين فقلت : يا أم المؤمنين ، هل كان رسول الله ﷺ يخصّ شيئاً من صيامٍ بعمل ؟ قالت : كان أحبّ الأعمال إليه ما داوم عليه صاحبُه ، وأيّكم يستطيع ما كان رسول الله ﷺ يستطيع ؟.

وعن عائشة :

عن رسول الله ﷺ أنه كان يصلّي قائماً ، فلما دخل في السّنّ جعل يجلس حتى إذا بقي في السورة ثلاثون آية أو أربعون آية قام فقرأ بها ثم سجد .

وقالت :

ما رأيته يُصلّي في بيتي صلاة الليل جالساً قطّ حتى دخل في السّنّ .

وعن مُسلم بن مِخراق قال :

قلت لعائشة : يا أم المؤمنين ، إن أناساً يقرأ أحدهم القرآن في ليلة مرتين أو ثلاثاً فقالت : قرؤوا ولم يقرؤوا . كان رسول الله ﷺ يقوم ليلة التمام فيقرأ سورة البقرة وسورة آل عمران وسورة النساء ، لا يمرّ بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغِب ، ولا يمرّ بآية فيها تخويف إلا دعا الله واستعاذ .

وعن عبد الله بن شقيق قال :

سألت عائشة [١٧٩] عن صلاة رسول الله ﷺ من التطوع فقالت : كان يصلّي قبل الظهر أربعاً في بيتي ، ثم يخرج فيصلّي بالناس ، ثم يرجع إلى بيتي فيصلّي ركعتين . وكان يصلّي بالناس المغرب ، ثم يرجع إلى بيتي فيصلّي ركعتين ، ثم يصلي بهم العشاء ، ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين . وكان يصلّي من الليل سبع ركعات فيهن الوتر ، وكان يصلّي ليلاً طويلاً قائماً . وليلاً طويلاً جالساً . فإذا قرأ وهو قائم ركع وسجد وهو قائم ، وإذا قرأ وهو قاعد ركع وسجد وهو قاعد .

وعن عائشة

أن رسول الله ﷺ كان يصلّي من الليل إحدى عشرة ركعة : منها ركعتان يصلّيهما وهو جالس ، ويصلّي إذا طلع الفجر ركعتين قبل الصبح . فتلك ثلاث عشرة ركعة .

وعن عائشة

أن رسول الله ﷺ كان إذا لم يصلّ من الليل ـ منعه من ذلك نومٌ غلبه أو وجعٌ ـ صلّى من النهار ثنتي عشرة ركعة .

وعن أبي ذر أنه قال :

قلت لرسول الله ﷺ : إني أريد أن أبيت عندك الليلة فأصلي بصلاتك . قال : لا تستطيع صلاتي . فقام رسول الله ﷺ يغتسل فسترته بثوب وأنا محول عنه ، فاغتسل ثم فعلت مثل ذلك فقال : هكذا الغسل . ثم قام يصلي فقمت معه حتى جعلت أضرب برأسي الجُدُرات من طول صلاته ، ثم أتاه بلال للصلاة فقال : أفعلت ؟ قال : نعم . قال : إنك يا بلال تؤذّن إذا كان الصبح ساطعاً في السماء . وليس ذلك الصبح . إنما الصبح هكذا معترضاً . ثم دعا بسحور فتسحر ـ قال حاتم بن عدي : وكان رسول الله ﷺ يقول : لا تزال هذه الأمة بخير ما أخّروا السُّحور وعجّلوا الفطر ـ ثم خرج فقامت الصلاة .

وعن أبي أيوب الأنصاري قال :

نزل علي رسول الله ﷺ شهراً فنقبت في عمله كله ، فرأيته إذا زالت الشمس ـ أو زاغت ، أو كما قال ـ إن كان في يده عمل الدنيا رفضه ، وإن كان نائماً كأنما يُوقظ له ، فيقوم فيغتسل أو يتوضأ ، ثم يركع ركعات يتمّهنّ ويحسنُهنّ ، ويتمكّث فيهنّ . فلما أراد [١٨٠] أن ينطلق قلت : يا رسول الله ، مكثت عندي شهراً ، ولوددتُ أنك مكثت عندي أكثر من ذلك فنقبت في عملك كله فرأيتك إذا زالت الشمس ـ أو زاغت ـ فإن كان في يدك عمل من الدنيا رفضته ، وإن كنت نائماً فكأنما توقظ له ، فتغتسل أو توضأ ، ثم تركع أربع ركعات تتمّهنّ وتُحسنُهنّ وتمكّث فيهنّ . فقال رسول الله ﷺ : إن أبواب السماوات وأبواب الجنة تفتح في تلك الساعة ، فما تُرتج أبواب السماوات وأبواب الجنة حتى تصلّي الصلاة ، فأحببت أن يُصعد لي تلك الساعة خير ـ وزاد الأوزاعي فقال : فأحب أن يرفع عملي في أول عمل العابدين .

وعن حذيفة :

أنه انتهى إلى النبي ﷺ حين قام في صلاته من الليل . فلما دخل في الصلاة قال : الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة . ثم قرأ البقرة ، ثم ركع فكان ركوعه نحواً من قيامه . يقول في ركوعه : سبحان ربي العظيم ، ثم رفع رأسه ، فكان قيامه بعد الركوع نحواً من ركوعه يقول يقول : لربي الحمد ، لربي الحمد . ثم سجد فكان سجوده نحواً من قيامه بعد الركوع يقول : سبحان ربي الأعلى ، ثم رفع رأسه فكان بين السجدتين نحواً من سجوده يقول : ربّ اغفر لي ، ربّ اغفر لي حتى صلّى أربع ركعات قرأ فيهنّ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام .

وعن أنس قال :

ما كنّا نشاء أن نرى رسول الله ﷺ مصلّياً إلا رأيناه ، ولا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه .

وعن عبد الله بن مسعود قال :

كان رسول الله ﷺ لا يكون في المصلّين إلا كان أكثرهم صلاةً ، ولا يكون في الذاكرين إلا كان أكثرهم ذكراً .

ذكر بنيه وبناته وأزواجه وسُرّياته

عن عطاء وعمرو بن دينار قالا :

ما علمنا ولدت للنبي ﷺ من أزواجه إلا خديجة .

وعن ابن عباس قال :

كان أكبر وَلَد رسول الله ﷺ [١٨١] القاسم ثم زينب ثم عبد الله ثم أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية . فمات القاسم وهو أول ميت من ولده بمكة ، ثم مات عبد الله . فقال العاص بن وائل السهمي : قد انقطع نسله فهو أبتر ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إنّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر ﴾[1] ثم ولدت له مارية بالمدينة إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة فمات ابن ثمانية عشر شهراً .

قال هشام بن الكلبي : فتزوج زينب بنت رسول الله ﷺ أبو العاصي بن الربيع بن عبد العزّى بن عبد شمس بن عبد مناف . فولدت له علياً وأمامة . وكان يقال لأبي العاصي : جِرْو البطحاء[2] ، يعني أنه كان مُتْلِداً[3] بها . وخرج أبو العاصي بن الربيع في بعض أسفاره إلى الشام فقال : [البسيط]

ذكرتُ زينبَ لمّا ورّكَتْ إرَما[4] فقلتُ سَقياً لشخصٍ يسكنُ الحَرَما
بنتُ الأمينِ جزاها الله صالحةً وكلُّ بعلٍ سيُثني بالذي عَلِما

---

(١) سورة الكوثر ١٠٨ / ٣

(٢) في اللسان « حرا » أن ربيعة بن عبد العزّى هو الذي يقال له جرو البطحاء .

(٣) تلد في المكان : أقام فيه . اللسان : « تلد » .

(٤) ورّكتُ الجبل توريكاً إذا جاوزته . اللسان : « ورك » . وإرم جبل من جبال حسمى من ديار جذام . معجم البلدان .

وتوفيت زينب بنت رسول الله ﷺ سنة ثمان من الهجرة .

وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ عُتْبَة بن أبي لهب .

وتـزوج أم كلثـوم بنت رسـول الله ﷺ عُتَيْبـة بن أبي لهب ، فلم يبنِيـا بها حتى بُعث النبي ﷺ . فلمـا أنـزل الله تعـالى : ﴿ تَبَّتْ يَـدا أَبي لَهَبٍ ﴾[1] قـال لهما أبـوهمـا : رأسي من رأسكما حرام إن لم تطلّقا ابنتيه ، ففـارقـاهـا ، ولم يكونـا دخلا بها . فتزوج عثمان بن عفـان رقية بنت رسول الله ﷺ فولـدت لـه عبـد الله بن عثمان الـذي تكنّى بـه ، وبلغ ست سنين فنقره ديك على عينه فمات .

وتوفيت رقيـة بنت رسول الله ﷺ ورسـول الله ﷺ ببـدر . فقـدم زيـد بن حـارثـة المدينة بشيراً بما فتح الله على نبيه ﷺ ببدر ، فجـاء حين سُوِّي التراب على رقيـة بنت رسول الله ﷺ . وكانت بـدر صبيحـة يوم الجمعـة لسبـع عشرة ليلـة مضت من رمضـان من السنـة الثانية من الهجرة .

وزوَّج رسول الله ﷺ [١٨٢] عثمان أيضاً ابنته أم كلثوم فماتت عنده في شعبـان سنـة تسع من الهجرة ، ولم تلد له شيئاً . فقـال رسول الله ﷺ : لو كانت عنـدي ثـالثـة لزوجتهـا عثمان .

وتزوج علي بن أبي طالب فاطمـة بنت رسول الله ﷺ لليـالٍ بقين من صفر في السنـة الثـانيـة من الهجرة . فـولـدت لـه الحسن والحسين وأم كلثـوم وزينب ، بني علي . وتـوفيت فاطمة بعد النبي ﷺ بستة أشهر .

قال : وهذا أثبت الأقاويل ، وصلّى عليها العباس بن عبد المطلب ، ونزل في حفرتهـا هو وعلي والفضل بن العباس .

وعن ابن عباس قال :

ولدت خديجة من النبي ﷺ عبد الله بن محمد . ثم أبطأ عليـه الولـد من بعـده . فبينـا رسول الله ﷺ يكلّم رجلاً والعاص بن وائل ينظر إليه إذ قال له رجل : مَن هذا ؟ قـال :

---

(١) سورة اللهب ١١١ / ١ .

هذا الأبتر . يعني : النبي ﷺ . وكانت قريش إذا ولد الرجل ثم أبطأ عليه الولد من بعده قالوا : هذا الأبتر . فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر ﴾[1] إن مبغضك هو الأبتر الذي بُتر من كلّ خير . ثم ولدت له زينب ، ثم ولدت له رقيّة ، ثم ولدت له القاسم ، ثم ولدت الطاهر ، ثم ولدت المطهّر ، ثم ولدت الطيّب ، ثم ولدت المطيّب ، ثم ولدت أم كلثوم ، ثم ولدت فاطمة وكانت أصغرهم .

وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه . فلما ولدت فاطمة لم يرضعها أحد غيرها .

ثم ولدت له مارية بنت شمعون إبراهيم ، وهي القبطية التي أهداها إلى رسول الله ﷺ المقوقس صاحب اسكندرية وأهدى معها أختها سيرين وخصيّاً يقال له مابور ، فوهب رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت الشاعر ، ولدت له عبد الرحمن بن حسان وقد انقرض ولد حسان بن ثابت .

وأمُّ بني رسول الله ﷺ غير إبراهيم خديجة ـ وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة ـ بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى [١٨٣] ابن قصيّ وأمها فاطمة بنت زائدة بن جندَب ، وهو الأصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن مغيص بن عامر بن لؤي .

ويقال إن الطاهر هو الطيب ، وهو عبد الله . والله أعلم . ويقال إن الطيّب والمطيّب ولدا في بطن ، والطاهر والمطهّر في بطن .

قال الزهري :

تزوجها في الجاهلية وأنكحه إياها أبوها خويلد بن أسد ، فولدت لرسول الله ﷺ القاسم وبه كان يكنى ، وطاهر وزينب ورقية وأم كلثوم ، وفاطمة رضوان الله عليهم .

فأما زينب بنت رسول الله ﷺ فتزوّجها أبو العاصي بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف في الجاهلية ، فولدت لأبي العاصي جارية اسمها أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب بعدما توفيت بنت رسول الله ﷺ ، فقتل علي وعنده أمامة . فخلف على أمامة بعد عليّ

---

(١) سورة الكوثر ١٠٨ / ٣ .

هذا الأبتر . يعني : النبي ﷺ . وكانت قريش إذا ولد الرجل ثم أبطأ عليه الولد من بعده قالوا : هذا الأبتر . فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَر ﴾[1] إن مبغضك هو الأبتر الذي بُتر من كلّ خير . ثم ولدت له زينب ، ثم ولدت له رقيّة ، ثم ولدت له القاسم ، ثم ولدت الطاهر ، ثم ولدت المطهّر ، ثم ولدت الطيّب ، ثم ولدت المطيّب ، ثم ولدت أم كلثوم ، ثم ولدت فاطمة وكانت أصغرهم .

وكانت خديجة إذا ولدت ولداً دفعته إلى من يرضعه . فلما ولدت فاطمة لم يرضعها أحد غيرها .

ثم ولدت له مارية بنت شمعون إبراهيم ، وهي القبطية التي أهداها إلى رسول الله ﷺ المقوقس صاحب اسكندرية وأهدى معها أختها سيرين وخصيّاً يقال له مابور ، فوهب رسول الله ﷺ سيرين لحسان بن ثابت الشاعر ، ولدت له عبد الرحمن بن حسان وقد انقرض ولد حسان بن ثابت .

وأمّ بني رسول الله ﷺ غير إبراهيم خديجة ـ وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة ـ بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى [١٨٣] ابن قصيّ وأمها فاطمة بنت زائدة بن جندَب ، وهو الأصم بن هرم بن رواحة بن حجر بن عبد بن مغيص بن عامر بن لؤي .

ويقال إن الطاهر هو الطيب ، وهو عبد الله . والله أعلم . ويقال إن الطيّب والمطيّب ولدا في بطن ، والطاهر والمطهّر في بطن .

قال الزهري :

تزوجها في الجاهلية وأنكحه إياها أبوها خويلد بن أسد ، فولدت لرسول الله ﷺ القاسم وبه كان يكنى ، وطاهر وزينب ورقية وأم كلثوم ، وفاطمة رضوان الله عليهم .

فأما زينب بنت رسول الله ﷺ فتزوّجها أبو العاصي بن الربيع بن عبد شمس بن عبد مناف في الجاهلية ، فولدت لأبي العاصي جارية اسمها أمامة فتزوجها علي بن أبي طالب بعدما توفيت بنت رسول الله ﷺ ، فقتل علي وعنده أمامة . فخلف على أمامة بعد عليّ

---

(١) سورة الكوثر ١٠٨ / ٣ .

المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم ، فتوفيت عنده . وأم أبي العاص بن الربيع هالة بنت خويلد بن أسد . وخديجة خالته أخت أمه .

وهلك أبو طالب وخديجة بنت خويلد في عام واحد قبل مُهاجَر رسول الله ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين .

وعن أنس بن مالك قال :

لما ولد للنبي ﷺ ابنه إبراهيم كأنه وقع في نفسه منه شيء ، فأتاه جبريل عليه السلام فقال : السلام عليك أبا إبراهيم .

وعن عبد الرحمن بن زياد قال :

لما حَبِل لرسول الله ﷺ بإبراهيم عليه السلام أتى جبريل فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم ، إن الله تعالى وهب لك غلاماً من أم ولدك مارية ، وأمرك أن تسمّيه إبراهيم ، فبارك الله لك في إبراهيم ، وجعله قرة عين لك في الدنيا والآخرة . وكان مولد إبراهيم في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة . ومات وهو ابن ثمانية عشر شهراً .

وعن السدي قال : سألت أنس بن مالك قال : قلت :

كم كان بلغ إبراهيم بن النبي ﷺ قال : قد كان ملأ مهده ، ولو بقي لكان نبياً ، ولكن لم يكن ليبقى لأن نبيكم ﷺ [١٨٤] آخر الأنبياء .

وعنه قال :

توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وهو ابن ستة عشر شهراً فقال النبي ﷺ : ادفنوه بالبقيع فإن له مرضعاً تتم رضاعه في الجنة .

وعن إسماعيل قال :

سألت ابن أبي أوفى أو سمعته يسأل عن إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقال : مات وهو صغير ، ولو قُضي أن يكون بعد النبي ﷺ نبيٌّ لَعاش .

وعن أنس بن مالك قال :

لما مات إبراهيم ابن النبي ﷺ قال لهم النبي ﷺ : لا تدرجوه في أكفانه حتى أنظر إليه ، فجاء فانكب عليه وبكى حتى اضطرب لحياه وجنباه ﷺ .

وعن أنس بن مالك قال :

ما رأيت أحداً أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ . كان إبراهيم مسترضعاً في عوالي المدينة ، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل إلى البيت . وإنه ليدجْن[1] وكان ظئره فينا ، فيأخذه فيقبله ثم يرجع .

قال عمرو :

فلما توفي إبراهيم قال رسول الله ﷺ : إن إبراهيم ابني ، وإنه مات في الثدي وإن الظئْرَيْن يُكملان رضاعه في الجنة .

وعن أسماء بنت يزيد أنها حدثت

أنه لما توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ بكى رسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر وعمر : أنت أحق من عِلم لله حقَّه ! فقال : تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب ، فلولا أنه وَعْدٌ صادق وموعود جامع وأن الآخِر منّا يتبع الأوّل لوجدنا عليك يا إبراهيم وجْداً أشدَّ مما وجدنا . وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون .

وعن ابن أبي أوفى قال :

صلّى رسول الله ﷺ على ابنه وصلّيت خلْفه ، وكبّر عليه أربعاً .

وعن ابن عباس قال :

ـات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ : إن له مرضعاً في الجنة تتمّ ـاش لكان صدّيقاً نبياً . ولو عاش لأعتقت أخواله من القبط .

ان إبراهيم ابن رسول الله ﷺ [١٨٥] مات يوم الثلاثاء لعشر ليالٍ خلون من شهر ربيع الأول سنة عشر ودفن بالبقيع ، وكانت وفاته في بني مازن عند أم برزة بنت المنذر من بني النجار . ومات وهو ابن ثمانية عشر شهراً .

---

(١) دجن وأدجن بالمكان : أقام . اللسان : « دجن » .

وعن(١) عروة بن الزبير(١) عن عائشة زوج النبي ﷺ

أن رسول الله ﷺ لما قدم المدينة خرجت ابنته زينب من مكة معهم كنانة ـ أو ابن كنانة ـ فخرجوا في إثرها ، فأدركها هَبّار بن الأسود ، فلم يزل يطعن بعيرها برمحه حتى صرعها ، وألقت ما في بطنها وأهريقت دماً ، فحُملت فاشتجر فيها بنو هاشم وبنو أمية ، فقالت بنو أمية : نحن أحقّ بها ، وكانت تحت ابن عمهم أبي العاص فكانت عند هند بنت ربيعة ، وكانت تقول لها هند : هذا في سبب أبيك .

فقال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : ألا تنطلق فتجيء بزينب ؟ قال : بلى يا رسول الله . قال : خذ خاتمي فأعطها إياه ، فانطلق مرة ، وقال مرة ، فبرك بعيره ، فلم يزل يتلطف حتى لقي راعياً فقال : لمن ترعى ؟ قال : لأبي العاص . قال : فلمن هذه الغنم ؟ قال : لزينب بنت محمد فسار معه شيئاً ثم قال له : هل لك أن أعطيك شيئاً تعطيها إياه ولا تذكره لأحد ؟ قال : نعم . فأعطاه الخاتم ، فانطلق الراعي وأدخل غنمه ، وأعطاها الخاتم فعرفته فقالت : مَن أعطاك هذا ؟ قال : رجل . قالت : وأين تركته ؟ قال : بمكان كذا وكذا قال : فسكتت حتى إذا كان الليل خرجت إليه . فلما جاءته قال لها : اركبي بين يديه على بعيره . قالت : لا ولكن ، اركب أنت بين يدي ، فركب وركبت وراءه حتى أتت ، فكان رسول الله ﷺ يقول : هي أفضل بناتي أصيبت فيّ ، فبلغ ذلك علي بن الحسين . فانطلق إلى عروة فقال : ما حديث بلغني عنك تحدّث به تنتقص فيه حقّ فاطمة ؟ قال : فقال عروة : والله إني لا أحب أن لي ما بين المشرق والمغرب وإني أنتقص فاطمة حقاً لها . وأما بعد ذلك فلك ألا أحدث به أبداً .

وتوفيت زينب بنت رسول الله ﷺ في أول سنة ثمان من الهجرة .

[١٨٦] وعن أسماء بنت أبي بكر قالت :

كنت أحمل الطعام إلى رسول الله ﷺ وأبي ، وهما في الغار . قالت : فجاء عثمان إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني أسمع من المشركين من اللغَى(٢) فيك ما لا صبر لي عليه ، فوجهني وجهاً أتوجهه ، فلأهجرنهم في ذات الله فقال له النبي ﷺ : أزمَعت بذاك

(١ ـ ١) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل ، وبعده « صح » .

(٢) اللغو واللغى بمعنى . اللسان : « لغا » .

يا عثمان ؟ قال : نعم . قال : فليكن وجهك إلى هذا الرجل بالحبشة - يعني : النجاشي - فإنه ذو وفاء ، واحمل معك رقيّة فلا تخلّفها ، ومن رأى معك من المسلمين مثل رأيك فليتوجهوا هناك ، وليحملوا معهم نساءهم ، ولا تخلّفوهم . قال : فودع عثمان نبي الله ﷺ وقبّل يديه . قال : فبلّغ عثمان المسلمين رسالة رسول الله ﷺ وقال لهم : إني خارج من تحت ليلتي فمقيمٌ لكم بجدة ليلة أو ليلتين فإن أبطأتم فوجهتي إلى باضع[1] جزيرة في البحر . قالت : فحملت إلى رسول الله ﷺ فقال : ما فعل عثمان ورقية ؟ قلت : قد سارا فذهبا . قالت : فقال : قد سارا فذهبا ؟ قلت : نعم . فالتفت إلى أبي بكر فقال : زعمت أسماء أن عثمان ورقية قد سارا فذهبا ، والذي نفسي بيده إنه لأوّل من هاجر بعد إبراهيم ولوط عليهما السلام .

وعن ابن عباس قال :

لما عُزّي رسول الله ﷺ بابنته رقية امرأة عثمان بن عفان قال : الحمد لله ، دفن البنات من المكرمات .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

أتاني جبريل فقال : إن الله يأمرك أن تزوّج عثمان أم كلثوم على مثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها .

وعن أبي أمامة قال :

لما وُضعت أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ في القبر قال رسول الله ﷺ : « منْها خَلَقْنَاكُمْ وفيها نُعيْدُكُمْ ومنْها نُخرجُكُمْ تارةً أُخْرى »[2] ثم قال : بسم الله وفي سبيل الله ، وعلى مِلّة رسول الله ، فطفق يطرح إليهم الجَبُوب[3] ويقول : سُدّوا خلال القبر ، ثم قال : إلاّ أنّ هذا ليس بشيء ، ولكن يَطيْب بنفس الحيّ .

وفي سنة تسع [١٨٧] ماتت أم كلثوم ابنة رسول الله[4] .

---

(١) باضع : جزيرة في بحر اليمن . معجم البلدان .

(٢) سورة طه ٢٠ / ٥٥

(٣) الجبوب : التراب . اللسان : « جبب » .

(٤) قوله : « ابنة رسول الله » مستدرك في هامش الأصل .

وعن أبي جعفر قال :

دخل العباس على علي بن أبي طالب وفاطمة وهي تقول : أنا أسنّ منك . فقال العباس : أمّا أنت يا فاطمة فولدت وقريش تبني الكعبة والنبي ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة . وأما أنت يا علي فولدت قبل ذلك بسنوات .

وتزوج عليّ فاطمة في رجب بعد مَقْدَم النبيّ ﷺ المدينة لخمسة أشهر . وبنى بها مرجِعَه من بدر ، وفاطمة يوم بنى بها عليّ بنت ثمان عشرة سنة .

قال جعفر بن سليمان :

ولدت فاطمة سنة إحدى وأربعين من مولد النبي ﷺ . وماتت فاطمة وهي ابنة إحدى وعشرين سنة . وكانت كنية فاطمة عليها السلام أم أبيها .

وعن عائشة قالت :

اجتمع نساء رسول الله ﷺ عند رسول الله ﷺ فلم تغادر منهنّ امرأة . فجاءت فاطمة تمشي ، ما تخطئ مِشيتها مشية أبيها صلوات الله عليه فقال : مرحباً يا بنتي ، فأقعدها عن يمينه ـ أو عن شماله ـ فسارّها بشيء فبكت ، ثم سارّها بشيء فضحكت ، فقلت لها : خصّك رسول الله ﷺ مِن بيننا بالسّرار فتبكين ؟ فلما قام قلت لها : أخبريني بما سارّك ؟ قالت : ما كنت لأفشي على رسول الله ﷺ سرّه . فلما توفي ﷺ قلت لها : أسألك بما لي عليك من حقّ لما أخبرتِني . فقالت : أمّا الآن فنعم . قالت : سارّني فقال : إن جبريل عليه السلام كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة ، وإنه عارضني العام مرتين ، ولا أرى ذلك إلا عند اقتراب الأجل ، فاتقي الله واصبري ، فنعم السّلف أنا لك . فبكيتُ ، ثم سارّني فقال : أمَا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو قال : سيدة نساء هذه الأمة ؟

وعن المسوّر بن مخرمة أن رسول الله ﷺ قال :

إنما فاطمة بضعة مني ، يؤذيني ما آذاها ، ويغضبني ما أغضبها .

وعن علي [١٨٨] أن النبي ﷺ قال لفاطمة :

يا فاطمة ، إن الله لَيغضب لغضبك ، ويرضى لرضاك .

وعن أبي الزبير أن النبي ﷺ قال لفاطمة :

أنت أول أهلي يلحقُ بي ، فلم تمكث[1] بعده إلا شهرين .

وعن أبي جعفر قال :

ماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر .

وعن عمرو بن دينار :

بثمانية أشهر .

وقال المدائني :

ماتت ليلة الثلاثاء لثلاثٍ خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة ، وهي ابنة تسع وعشرين سنة . ولدت قبل النبوة بخمس سنين .

قالت عائشة :

ودفنت ليلاً .

وعن ابن عباس

أن النبي ﷺ قبض عن تسع ، وكان يقسم لثمان .

وعن أنس بن مالك وابن عباس قالا :

تزوج رسول الله ﷺ عدة من نساء فوافق ذلك تخيير النبي ﷺ نساءه وقصره الله على أزواجه اللاتي خيّرهنّ وآتاهنّ أجورهنّ وكان اللاتي حرّم منهن حراماً بيناً ، ودخل بهن دخولاً ثابتاً خمس عشرة ، دخل بثلاث عشرة واجتمع عنده إحدى عشرة ، وتوفي عن تسع .

فأما اللتان كلتا النسوة خمس عشرة فهما عمْرة والشنباء . فأما عمرة بنت يزيد الغفارية فإن النبي ﷺ لما أدخلت عليه وجرّدها للباءة رأى بها وضحاً فردّها ، وقد أوجب لها المهر وحرُمت على مَن بعده ، وصارت سُنّة ، فمن أدخلت عليه امرأة فأغلق باباً أو أرخى ستراً أو جرّد ثوباً أو خلا للباءة أفضى أو لم يفض فقد وجب عليه الصداق .

(١) اللفظة في متن الأصل غير واضحة ولذلك تحررت في الهامش

وعن أبي الزبير أن النبي ﷺ قال لفاطمة :

أنت أول أهلي يلحقُ بي ، فلم تمكث[1] بعده إلا شهرين .

وعن أبي جعفر قال :

ماتت بعد النبي ﷺ بستة أشهر .

وعن عمرو بن دينار :

بثمانية أشهر .

وقال المدائني :

ماتت ليلة الثلاثاء لثلاثٍ خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة ، وهي ابنة تسع وعشرين سنة . ولدت قبل النبوة بخمس سنين .

قالت عائشة :

ودفنت ليلاً .

وعن ابن عباس

أن النبي ﷺ قبض عن تسع ، وكان يقسم لثمان .

وعن أنس بن مالك وابن عباس قالا :

تزوج رسول الله ﷺ عدة من نساء فوافق ذلك تخيير النبي ﷺ نساءه وقصره الله على أزواجه اللاتي خيّرهنّ وآتاهنّ أجورهنّ وكان اللاتي حرّم منهن حراماً بيناً ، ودخل بهن دخولاً ثابتاً خمس عشرة ، دخل بثلاث عشرة واجتمع عنده إحدى عشرة ، وتوفي عن تسع .

فأما اللتان كملتا النسوة خمس عشرة فهما عَمْرة والشنباء . فأما عمرة بنت يزيد الغفارية فإن النبي ﷺ لما أدخلت عليه وجرّدها للباءة رأى بها وضحاً فردّها ، وقد أوجب لها المهر وحرّمت على مَن بعده ، وصارت سُنّة ، فمن أدخلت عليه امرأة فأغلق باباً أو أرخى ستراً أو جرّد ثوباً أو خلا للباءة أفضى أو لم يفض فقد وجب عليه الصداق .

---

(١) اللفظة في متن الأصل غير واضحة . ولذلك تكررت في الهامش .

وأما الشَّنباء فإنها لما أدخلت عليه لم تكن بالمسيرة[1] ، فانتظر بها اليُسْرَ . ومات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ على تفِئة[2] ذلك ، فقالت : لو كان نبياً ما مات أحبّ الناس إليه وأعزّه عليه فطلّقها ، وأوجب لها المهر ، وحرِّمت على الأزواج .

وأما الثلاث عشرة اللاتي بنى بهنّ [١٨٩] فخديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّى . وكانت قبله عند أبي هالة زُرارة بن النباش بن زُرارة بن حبيب أحد بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم ، وقبله عند عتيق بن عائذ[3] .

وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد وَد بن نصر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي . وكانت قبله تحت السكران بن عَمرو بن عبد شمس ، ابن عمها .

وعائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة . لم يتزوج بكراً غيرها .

وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزّى بن رِياح بن عبد الله بن قُرط بن رَزَاح بن عدي بن كعب . وكانت قبله تحت خُنَيْس بن حُذافة بن قيس بن عديّ بن سَعْد بن سَهْم .

وأم سَلَمة واسمها هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . وكانت قبله عند أبي سَلَمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

وأم حبيبة واسمها رَمْلة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وكانت قبله تحت عبيد الله بن جحش بن رياب بن يَعْمَر بن صَبِرة بن مرة بن كبير بن غَنْم بن دُودان بن أسد بن خزيمة .

وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن الحارث بن مالك بن المصطلق بن سعد بن

---

(١) في هامش الأصل حرف « ط » لعله أراد الصواب : « لم تكن باليَسَرَة » أي لم تكن لينة الانقياد . اللسان : « يسر » .

(٢) أي على إثر ذلك . النهاية واللسان : « تفأ » .

(٣) رسم الاسم في الأصل بالإهمال وما هنا عن جمهرة أنساب العرب ١٤٢ .

عمرو الخزاعي . وكانت قبله تحت مالك بن صفوان بن تولب بن ذي الشفر بن أبي سرْح بن مالك بن المصطلق .

وزينب بنت جحش بن ريـــاب بن يعْمر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غنْم بن دُودان بن أسد بن خُزيْمة . كانت قبله تحت زيد بن حارثة بن شراحيل .

وزينب بنت خزيمة بن الحـارث بن عبـد الله بن عمرو بن عبـد منـاف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وهي أم المساكين . وكانت قبله تحت الطفيل بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف .

وصفية بنت حُييّ بن أخطب بن سقيـة بن ثعلبـة بن عبيـد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النّضير . وكانت قبلـه عنـد سـلام بن مشْكم بن [١٩٠] الحكَم بن حـارثـة بن الخـزرج بن كعب بن الخـزرج بن أبي حبيب . ثم خلف عليهـا كنـانـة بن الربيع بن أبي الحقيق بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب .

وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بُجيْر بن الهُزم بن عبد الله بن رويبـة بن هلال بن عامر بن صعصعة . وكانت قبله تحت عُمير بن عمرو أحد بني عُقْدة بن غيرة من ثقيف .

وأم شريك بنت جابر بن عُكيم أحد بني عُويْص بن عامر بن لؤي . وكانت قبله تحت أبي العُكيْر الأزدي ، وكان بنو عكيم حلفاء في الأزد . ثم انقرضوا فلم يبق منهم أحد .

والشـاء بنت رفـاعـة . وبنـو رفـاعـة هـؤلاء من بني كـلاب بن ربيعـة بن عـامر بن صعصعة . وكانوا حلفـاء في بني قريظـة في بني رفـاعـة من بني قريظـة ، فـأصيبوا معهم يوم أصيبوا فانقرضوا .

فأما خديجة بنت خويلد فماتت قبل أن يُجامع أحداً من نساء النبي ﷺ .

وأما الشاء ـ حين خيّر نساءه بين الدنيا والآخرة ـ فاختارت أن تزوّج بعده فطلقها .

وأما المجتمعات عنده فسودة ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وأم حبيبة ، وجويرية ، وصفية ، وزينب بنت جحش ، وزينب بنت خُزيمة ، وميمونة ، وأم شريك .

وأما اللواتي توفي عنهنّ فعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وأم حبيبة ، وجويرية ، وصفية ، وزينب ، وزينب ـ والصواب : وسودة ـ وميمونة .

وكانت له ﷺ سُرّيتان يقسم لهما مع أزواجه : مارية القبطية ، أم إبراهيم ، وريحانة بنت شمعون الخنافية ، إحدى بني النضير .

قال ابن أبي مُلَيكة :

فسألتُ عائشة عن قسمة النبي ﷺ لأُمّي ولده فقالت : كان يقسم لهما مرة ويدعهما مرة ، فإذا قسم أضعف قسمنا ، فلإحداهنّ يوم ولنا يومان ، وعلى ذلك قسم للمرأة المملوكة النصف مما قسم للحرة . وأجمع عُمر والمسلمون أن أم الولد كالمدبرة ، إنها[1] مملوكةٌ حياة مولاها ، ثم هي حرة بعد مولاها [١٩١] حفظاً للفروج .

وروى سهل بن حُنيف في حديث قال :

ثم أعتق ريحانة من بني قريظة فلحقت بأهلها ، واحتجبت وهي عند أهلها . وطلق رسول الله ﷺ العالية بنت ظبيان . وفارق أخت بني عمرو بن كلاب ، وفارق أخت بني الجون الكندية من أجل بياضٍ كان بها . وتوفيت زينب بنت خزيمة الهلالية ورسول الله ﷺ حيّ . قال : وبلغنا أن العالية بنت ظبيان تزوجت قبل أن يحرم الله عزّ وجلّ نساءه . فنكحت ابن عمٍ لها من قومها وولدت فيهم .

[2]وزيد بن حارثة التي كانت عنده زينبُ بنت جحش هو الذي أنعم الله عليه ورسوله وفيها نزلت هذه الآية لأنها وقعت في نفسه . فقالت عائشة : وقال لها أناس من أهل العراق إنه يقال إن عندكم شيئاً من كتاب الله عزّ وجلّ لم تُظهروه فقالت : لو كتم محمد ﷺ مما أنزل الله عزّ وجلّ عليه لكتم هذه الآية : ﴿ وإِذْ تَقُوْلُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ ﴾[3] إلى آخر الآية .

وقسم عمر بن الخطاب في خلافته لنساء رسول الله ﷺ اثني عشر ألف درهم لكل

---

(١) استدركت اللفظة في هامش الأصل .

(٢) إلى جانب هذا الخبر في الأصل : « آخر الجزء التا ... من الأصل » .

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ / ٣٧

امرأة ، وقسم لجويرية وصفية ستة آلاف لأنها كانتا سبياً . وقد كان النبي ﷺ قسم لهما وحجبهما .

وقال ابن منده : وحج بهما .

وفي حديث آخر :

وتزوج رسول الله ﷺ أخت بني الجون الكندي ، وهم حلفاء في بني فزارة ، فاستعاذت منه فقال : لقد عذتِ بعظيم . الحقي بأهلك ، فطلقها ولم يدخل بها .

قال أبو جعفر :

بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي فزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان وساق عنه أربع مائة دينار .

كان عمار بن ياسر إذا سمع ما يتحدث به الناس عن تزويج رسول الله ﷺ خديجة وما يكثرون فيه يقول : أنا أعلم الناس بتزويجه إياها . إني كنت له تِرْباً ، وكنت له إلفاً وخِدناً ، وإني خرجت مع رسول الله صلى [١٩٢] الله عليه وسلم ذات يوم حتى إذا كنّا بالحَزْوَرة[١] أجزنا على أخت خديجة وهي جالسة على أدَم[٢] تبيعها فنادتني فانصرفت إليها . ووقف لي رسول الله ﷺ ، فقالت : أمَا لصاحبك من حاجة في تزويج خديجة ؟ قال عمار : فرجعت إليه فأخبرته ، فقال : بلى لعمري ، فذكرت لها قول رسول الله ﷺ فقالت : اغدُوَا علينا إذا أصبحنا . فغدونا عليهم . قال : فوجدناهم قد ذبحوا بقرة وألبسوا أبا خديجة حُلّة وصُفّرت لحيته ، وكلّمت أخاها فكلّم أباه ـ وقد سُقي خمراً ـ فذكر له رسول الله ﷺ ومكانه ، وسأله أن يزوّجه فزوّجه خديجة ، وصنعوا من البقرة طعاماً ، فأكلنا منه . ونام أبوها ثم استيقظ صاحياً فقال : ما هذه الحلّة ، وهذه النقيعة ، وهذا الطعام ؟! فقالت له ابنته التي كانت كلّمت عماراً : هذه حلّة كساكها محمد بن عبد الله ختنك ، وبقرة أهداها لك ، فذبحناها حين زوجته خديجة . فأنكر أن يكون زوّجه ، وخرج يصيح حتى جاء

---

(١) في الأصل بتشديد الواو . قال ياقوت : « بالفتح ثم السكون وفتح الواو ... وقال الدارقطني : كذا صوابه ، والمحدثون يفتحون الزاي ويشددون الواو ، وهو تصحيف . وكانت الحزورة سوق مكة ، وقد دخلت في المسجد لما زيد فيه » .

(٢) الأدَم مذكر إلا أن يقصد قصد الجلود ، فتقول : هي الأدَم . اللسان : « أدم » .

الحجر ، وخرجت بنو هاشم برسول الله ﷺ فجاؤوه فكلموه فقال : أين صاحبكم الذي يزعمون أني زوجته ، فبرز له رسول الله ﷺ فلما نظر إليه قال : إن كنت زوّجته فسبيل ذلك ، وإن لم أكن فعلت فقد زوّجته .

قال المؤمّلي :

والمجتمع أن عمها عمرو بن أسد الذي زوّجها .

وتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة قبل أن يبعثه الله نبياً بخمس عشرة سنة ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت .

وقيل : إنه تزوجها وهو ابن ثلاثين سنة .

وقال الواقدي : إنها كانت لما تزوجها رسول الله ﷺ بنت خمس وأربعين سنة .

وروي عن ابن عباس قال :

كانت خديجة يوم تزوجها رسول الله ﷺ ابنة ثمان وعشرين سنة . ومهرها ثنتي عشرة أوقية . وكذلك كانت مهور نسائه .

[١٩٣] وقال حكيم بن حزام :

تزوج رسول الله ﷺ خديجة وهي ابنة أربعين سنة ورسول الله ﷺ ابن خمس وعشرين سنة . وكانت أسنّ مني بسنتين . ولدت قبل الفيل بخمس عشرة . وولدت أنا قبل الفيل بثلاث عشرة سنة .

وتوفيت خديجة في شهر رمضان سنة عشر من النبوة وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة . فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحُجُون . ونزل رسول الله ﷺ ، في حفرتها . ولم تكن يومئذ سُنة الجنازة والصلاة عليها . قيل : ومتى ذلك ياأبا خالد ، قال : قبل الهجرة بسنوات ثلاث أو نحوها ، وبعد خروج بني هاشم من الشِّعب بيسير .

قالت عائشة :

كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكد يسأم من ثناء عليها واستغفار . فذكرها ذات يوم ، فاحتملتني الغيرة فقلت : لقد عوّضك الله من كبيرة السن ، قال : فرأيت رسول

الله ﷺ غضب غضباً أُسقطتُ في جلدي وقلت في نفسي : اللهم إنك إن أذهبت غضب رسول الله عني لم أعد أذكرها بسوء مابقيت . فلما رأى النبي ﷺ مالقيت قال : كيف قلت ؟ والله لقد آمنت بي إذ كفر بي الناس ، وآوتني إذ رفضني الناس ، وصدقتني إذ كذبني الناس ورزقت مني الولد إذ حرمتُموه مني . قالت : فغدا وراح علي بها شهراً .

ولما هلكت خديجة جاءت خولة بنة حكيم امرأة عثمان بن مظعون قالت : يارسول الله ألا تزوّج ؟ قال : مَن ؟ قالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً . قال : فمن البكر ؟ قالت : ابنة أحب خلق الله إليك ، عائشة بنة أبي بكر . قال : ومن الثيب ؟ قالت : سودة بنة زمعة قد آمنت بك واتبعتك على ماتقول . قال : فاذهبي فاذكريها علي . فدخلتْ بيت أبي بكر فقالت : ياأم رومان ، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟! قالت : وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله [١٩٤] ﷺ أخطب عليه عائشة . قالت : انتظري أبا بكر حتى يأتي . فجاء أبو بكر قالت : ياأبا بكر ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة ؟! قال : وماذا ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة . قال : وهل تصلح له ، إنما هي بنت أخيه ، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له . فقال : ارجعي إليه فقولي له : أنا أخوك في الإسلام ، وأنت أخي في الإسلام ، وابنتك تصلح لي ، فرجعت فذكرت ذلك له . قال : انتظري ، وخرج . قالت أم رومان : إن مُطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه ؛ فوالله ماوعد وعداً قطّ فأخلفه لأبي بَكر . فدخل أبو بَكر على مطعم بن عدي وعنده امرأته أم الفتى فقالت : يابن أبي قحافة ، لعلك مُصْبِئٌ صاحبنا فمدخله في دينك الذي أنت عليه إن تروّح إليك ، قال أبو بكر للمطعم بن عدي : أقَوْلَ هذه تقول ؟ قال : إنها تقول ذلك . فخرج من عنده ، وقد أذهب الله ماكان في نفسه من عدته التي وعده ، فرجع فقال لخولة : ادعي لي رسول الله ﷺ فدعته فزوجها إياه ، وعائشة يومئذ ست سنين .

ثم خرجت ، فدخلت على سوْدة بنة زمعة فقالت : ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ؟! قالت : وما ذلك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك عليه . قالت : وددت . ادخلي إلى أبي فاذكري ذلك له ـ وكان شيخاً كبيراً قد أدركته السن قد تخلف عن الحج ـ فدخلت عليه فحيّته بتحية الجاهلية فقال : من هذه ؟ فقالت : خولة بنة حكيم .

قال : فما شأنك ؟ قالت : أرسلني محمد بن عبد الله أخطب عليه سودة . قال : كُفْوٌ كريم . ماذا تقول صاحبتك ؟ قالت : تحبّ ذلك . قال : ادعيها لي فدعتها : قال : أي بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك ، وهو كفوء كريم . أتحبين أن أزوجكه ؟ [١٩٥] قالت : نعم . قال : ادعيه ، فجاء رسول الله ﷺ إليه فزوجها إياه ، فجاء أخوها عبد بن زمعة من الحج فجعل يحثي في رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم : لعمرك إني لَسفيهٌ يوم أحثي في رأسي التراب أنْ تزوَّج رسول الله ﷺ سودة بنت زمعة .

قالت عائشة :

فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج في السُنح . قالت : فجاء رسول الله ﷺ فدخل بيتنا ، واجتمع إليه رجال من الأنصار ، ونساء ، فجاءت إليّ أمي ، وإني لَفي أرجوحة بين عَذْقين ترجح بي ، فأنزلتني من الأرجوحة ولي جُميمة ، ففرقتها ومسحت وجهي بشيء من ماء ثم أقبلت تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لأنْهَج[1] حتى سكن من نفسي ، ثم دخلت بي فإذا رسول الله ﷺ جالس على سرير في بيتنا ، وعنده رجال ونساء من الأنصار فأجلسني في حجره ، ثم قالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لك فيهم وبارك لهم فيك . فوثب الرجال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتنا مانُحرت عليّ جزور ولا ذُبحت عليّ شاة ، حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله ﷺ ، إذا دار إلى نسائه . وأنا يومئذ ابنة تسع سنين .

وعن عائشة قالت :

مارأيت امرأة أحبّ إليّ أن أكون في مِسْلاخها[2] من سَودة بنت زمعة من امرأة فيها حدة . قال : فلما كبرت جعلت يومها من رسول الله ﷺ لعائشة . قالت : وكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة يومين : يومها ويوم سودة .

وتوفيت سودة في شوال سنة أربع وخمسين بالمدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان . قال : وهو الثبت عندنا . وقيل توفيت في زمن عمر .

---

(١) نهِجَ ، وأنهج الرجلُ : إذا انبهر . اللسان والنهاية : « نهج » .

(٢) أي في مثل هديها وطريقتها . النهاية : « سلخ » .

قال أبو عثمان النهدي :

كان عمرو بن العاص يحدث [١٩٦] الناس عن جيش السلاسل قال :

قلت : يارسول الله ، أي الناس أحبّ إليك ؟ قال : عائشة . قلت : من الرجال ؟ قال : أبوها أبو بكر . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : ثم عمر بن الخطاب . قلت : ثم مَنْ ؟ قال : فعدّ لي رجالاً .

قال الهيثم بن عدي :

توفيت عائشة سنة ست وخمسين .

وقال هشام بن عروة وغيره : سنة سبع وخمسين .

وقال أبو عبيد : سنة ثمان وخمسين في شهر رمضان .

وصلّى عليها أبو هريرة بالمدينة ، وكان استخلفه الوليد بن عتبة ومروان بن الحكم عليها . وتوفي في تلك السنة أيضاً : الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص ، وكانت وفاتها ليلة سبع عشرة من رمضان بعد الوتر ، فأمرت أن تدفن من ليلتها . فاجتمع الناس وحفروا فلم تر ليلة أكثر ناساً منها . نزل أهل العوالي فدفنت بالبقيع . وهي يومئذ ابنة ست وستين سنة .

قال عمر :

ولدت حفصة وقريش تبني البيت قبل مبعث النبي ﷺ بخمس سنين .

وعن حسين بن أبي حسين قال :

تزوج رسول الله ﷺ حفصة في شعبان على رأس ثلاثين شهراً قبل أحد .

قال المدائني :

تزوجها سنة ثلاث من الهجرة .

وقيل عن أبي عبيدة :

تزوجها سنة اثنتين .

وعن عمار بن ياسر

أن رسول الله ﷺ أراد أن يطلّق حفصه فجاءه جبريل فقال : لا تطلقها ، فإنها صوّامة قوّامة ، وهي زوجتك في الجنة .

وذكر ابن وهب

أن حفصة توفيت عام فتحت إفريقية . وفتحت إفريقية سنة سبع وعشرين ، وفتحت أيضاً سنة خمس وثلاثين . وفتحت أيضاً سنة ثلاث وخمسين . ويقال إنها توفيت سنة خمس وأربعين ، في شعبان في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وهي يومئذ ابنة ستين سنة .

وقال مالك بن أنس :

توفيت حفصة عام فتحت إفريقية .

قال أبو زرعة :

فنرى [١٩٧] والله أعلم أن وجه قول مالك بن أنس : توفيت حفصة عام فتحت إفريقية ، أنه سنة خمسين في إمرة مروان على المدينة .

وفي سنة ثلاث تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة من بني عامر بن صعصعة ، وهي أم المساكين . خطبها رسول الله ﷺ فجعلت أمرها إليه ، فتزوجها وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشّاً[(١)] ، في رمضان على رأس إحدى وثلاثين شهراً من الهجرة . فمكثت عنده ثمانية أشهر . وتوفيت في آخر شهر ربيع الآخر ، على رأس تسعة وثلاثين شهراً . وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع .

قال محمد بن عمر :

سألت عبد الله بن جعفر : مَن نزل في حفرتها ؟ فقال : إخوة لها ثلاثة . قلت : كم كان سنها يوم ماتت ؟ قال : ثلاثين سنة أو نحوها .

---

(١) نشّ الشيء : نصفه . اللسان : « نش ».

قال عمر بن أبي سلمة :

كان الذي جرح أبي ـ أبا سلمة ـ أبو أسامة الجُشَمي ، رماه يوم أحد بِمِعْبَلَة[1] في عضده . فمكث شهراً يداويه فبرأ ، فيما يرى . وبعثه رسول الله ﷺ ، في المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهراً إلى قَطَن ، فغاب بضع عشرة ليلة ، فلمَّا قدم المدينة انتقض الجرح ، فمات لثلاث بقين من جمادى الآخرة . فغُسل من اليُسَيْرة ـ بئر بني أمية ـ بين القَرْنَين[2] ، وكان اسمها في الجاهلية العِثْيَر فسماها اليُسَيْرة ، ثم حمل من بئر أمية فدفن بالمدينة .

قال عمر بن أبي سلمة :

واعتدّت أمي حتى خلت أربعة أشهر وعشراً ، ثم تزوجها رسول الله ﷺ . ودخل بها في ليال بقين من شوال ، فكانت أختي تقول : ما بأس في النكاح في شوال والدخول فيه .

قال خليفة بن خياط :

تزوج رسول الله ﷺ أم سلمة بنت أبي أمية في شوال سنة أربع .

وعن عمرو بن شعيب أنه دخل على زينب بنت أبي سلمة فحدثته

أن رسول الله ﷺ كان عند أم سلمة ، فجعل الحسن من شقّ والحسين من شقّ ، وفاطمة في حجره . فقال : ﴿ رَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ البَيْتِ إِنَّهُ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ ﴾[3] [١٩٨] وأنا وأم سلمة جالستان ، فبكت أم سلمة فنظر إليها رسول الله ﷺ فقال : ما يبكيك فقالت : خصصتهم وتركتني وابنتي ، فقال : أنت وابنتك من أهل البيت .

وقال أبو عبيد :

توفيت أم سلمة سنة تسع وخمسين . وقيل : سنة إحدى وستين، وقيل : توفيت سنة إحدى وستين حين جاء نَعْي الحسين .

قال : وهذا هو الصحيح . وصلى عليها أبو هريرة وقيل : صلى عليها ابن أختها عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية .

---

(١) المعبلة : نصل طويل عريض . اللسان : « عبل » .

(٢) اللفظة مهملة في الأصل . وفي الهامش حرف « ط » . والضبط عن معجم البلدان . وهو أعلى وادي دولان من ناحية المدينة . ويقال له ذات القرنين لأنه بين جبلين يُنزع منه الماء بالدلاء .

(٣) سورة هود ١١ / ٧٣

وقال عمر بن أبي سلمة :

نزلت في قبر أم سلمة أنا وأخي سلمة ، وعبد الله بن عبد الله بن أبي أمية وعبد الله بن وهب بن زمعة الأسدي ، وكان لها يوم ماتت أربع وثمانون سنة .

وفي سنة ثلاث تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش ، وذلك في سنة خمس في هلال ذي القعدة ، وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة .

وذكرت أمُّ سلمة زينبَ بنت جحش فترحمت عليها ، وذكرت بعض ما كان يكون بينها وبين عائشة ، فقالت زينب : إني والله ما أنا كأحد من نساء رسول الله ﷺ ، إنهن زُوّجن بالمهور وزوجهن الأولياء ، وزوجني الله ورسوله وأنزل الله فيّ الكتاب يقرأه المسلمون لا يُغير ولا يبدّل ﴿ وإذْ تَقُوْلُ لِلَّـذِيْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْـهِ ﴾[1] الآية . قالت أم سلمة : وكانت لرسول الله ﷺ معجبة . وكان يستكثر منها . وكانت امرأة صالحة ، صوامة قوامة ، صَنَعاً[2] ، تصدّقَ بذلك كله على المساكين .

وعن عائشة قالت :

يرحم الله زينب بنت جحش ، لقد نالت في هذه الدنيا الشرف الذي لا يبلغه شرف ، إن الله زوّجها نبيَّه في الدنيا ، ونطق به القرآن ، وإن رسول الله ﷺ قال لنا ونحن حوله : أسرعكنّ لُحوقاً بي أطولكنّ باعاً ، فبشّرها رسول الله ﷺ بسرعة لحوقها به . وهي زوجته في الجنة .

وسئلت أم عكّاشة بنت مِحْصَن

كم بلغت [١٩٩] زينب بنت جحش يوم توفيت ؟ فقالت : قدمنا المدينة للهجرة وهي ابنة بضع وثلاثين سنة . وتوفيت سنة عشرين .

قال عمر بن عثمان :

كان أبي يقول : توفيت زينب بنت جحش وهي ابنة ثلاث وخمسين سنة .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ / ٣٧

(٢) كذا في الأصل . وهي صفة للرجل . ويقال للمرأة صَناع . القاموس واللسان : « صنع » .

وقال محمد بن المنكدر :

توفيت زينب بنت جحش في خلافة عمر رضي الله عنه . وكانت أول نساء النبي ﷺ لحَاقاً به . وقيل : توفيت سنة إحدى وعشرين .

قال الواقدي :

غزوة المُرَيسيع في سنة خمس . خرج رسول الله ﷺ يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان وقدم المدينة لهلال رمضان . وغاب شهراً إلا ليلتين . قالت عائشة : كانت جويرية جارية حلوة - وفي رواية : مُلاّحة - لا يكاد يراها أحد إلا ذهبت بنفسه . فبينا النبي ﷺ عندي ونحن على الماء إذ دخلت عليه جويرية تسأله في كتابتها . قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتُها فكرهتُ دخولها على النبي ﷺ وعرفت أنه سيرى منها مثل الذي رأيت . فقالت : يا رسول الله ، إني امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وأنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بنت سيد قومه أصابنا من الأمر ما قد علمت ، ووقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وابن عم له فتخلّصني من ابن عمه بنخلات له من المدينة ، فكاتبني ثابت على ما لا طاقة لي به ولا يدان . وما أكرهني على ذلك ! ألا وإني رجوتُك صلى الله عليك فأعنّي في مكاتبتي . فقال رسول الله ﷺ : أو خيرٌ من ذلك ؟ فقالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أوفّي عنك كتابتك وأتزوّجك . قالت : نعم يا رسول الله . قد فعلت ، فأرسل [٢٠٠] رسول الله ﷺ إلى ثابت فطلبها منه . فقال ثابت : هي لك يا رسول الله بأبي وأمي . فأدّى رسول الله ﷺ ما كان عليها من كتابتها وأعتقها وتزوجها ، وخرج الخبر إلى الناس ، ورجال بالمُصطلق قد اقتَسموا ومُلكوا ، ووُطئ نساؤهم ، فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ فأعتقوا ما بأيديهم من ذلك للنبي . قالت عائشة : فأعتق مئة أهل بيت بتزويج رسول الله ﷺ إياها . فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها .

قال عبد الله بن زياد :

وأفاء الله على رسوله ﷺ عام المريسيع في غزوة بني المصطلق جويرية بنة الحارث ابن أبي ضرار وهي كعيبة من بني المصطلق ، فسباها رسول الله ﷺ فيا أفاء الله عليه عامئذٍ . فلما كانت بذي الجشير - والجشير من المدينة على بريد - أمر رجلاً من الأنصار بحفظها كالوديعة عنده حتى يسلّه عنها . فقدم رسول الله ﷺ المدينة وأقبل أبوها الحارث

ابن أبي ضرار ـ وكان من أشراف قومه ـ يفدي ابنته ، فلما قدم فكان بالعقيق نظر إلى إبله التي يفدي بها ابنته ، فرغب في بعيرين منها كانا من أفضلها فغيبها في شعب العقيق ثم أقبل إلى رسول الله ﷺ بسائر الإبل فقال : يا محمد ، أصبتم ابنتي وهذا فداؤها ، فقال رسول الله ﷺ : فأين البعيران اللذان غيّبت بالعقيق بشعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله . ولقد كان ذلك مني في البعيرين . وما اطلع على ذلك إلا الله . فأسلم الحارث بن أبي ضرار مكانه ، وأسلم معه ابنان له وأناس من قومه . وأرسل الحارث بن أبي ضرار إلى البعيرين فأتى بهما فدفع الإبل جميعها إلى رسول الله ﷺ ، ودفع إليه ابنته ، فأسلمت جويرية مع أبيها وإخوتها . وحَسُن إسلامها . وخطبها رسول الله ﷺ [٢٠١] كما بلغنا فنكحها . وكانت جويرية قبلُ عند ابن عم لها يقال له : عبد الله ذو الشُّفر[١] .

وعن أبي قلابة

أن النبي ﷺ سبى جويرية بنت الحارث ، فجاء أبوها إلى النبي ﷺ فقال : إن ابنتي لا يُسبى مثلها ، فأنا أكرم من ذلك فخلِّ سبيلها . قال : أرأيت إن خيرناها أليس قد أحسنّا ؟ قال : بلى ، وأدّيت ما عليك . قال : فأتاها أبوها فقال : إن هذا الرجل قد خيّرك فلا تفضحينا فقالت : فإني قد اخترت رسول الله ﷺ ؟ قال : قد والله فضحتنا .

وتوفيت [جويرية في][٢] ربيع الأول سنة ست وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، وصلى عليها مروان بن الحكم ، وهو يومئذ والي المدينة .

---

(١) كذا في الأصل . وتختلف المصادر في اسمه واسم أبيه : فهو في مغازي ابن اسحاق ٢٦٣ : « ابن ذي التسفر » دون ذكر اسمه ، وفي طبقات ابن سعد ٨ / ١١٦ : « صفوان بن مالك بن حذيمة ذو الشُفْر » وفي أنساب الأشراف ١ / ٤٤١ : « مسافع بن صفوان بن ذي الشفر ـ ابن أبي السرح ـ وفي الاستيعاب ٤ : « مسافع بن صفوان المصطلقي » . وفي سيرة ابن كثير ٤ / ٥٨٥ . « صفوان بن أبي الشُفر » وفي خبر آخر من المصدر نفسه والصفحة ذاتها عن سيف بن عمر : « مالك بن صفوان بن تَوْلَب ذي الشَفْر بن أبي السرح بن مالك بن المصطلق » ، ويفرد سير أعلام النبلاء ٢ / ٢٦٢ . في أنه « مسافع بن صفوان بن أبي الشَفَر » . وفي الإصابة ٤ / ٢٦٦ عن الواقدي . « مسافع بن صفوان بن ذي الشفر » .

(٢) أتت الرطوبة على هاتين اللفظتين .

قالت جويرية :

تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنت عشرين سنة ، في سنة ست .

وتوفيت جويرية سنة ستين ، وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة .

وعن عروة عن أم حبيبة

أنها كانت تحت عبيد الله بن جحش ، وكان رحل إلى النجاشي فمات . وأن رسول الله ﷺ تزوج أم حبيبة وإنها لبأرض الحبشة . زوجها إياه النجاشي ومهرها أربعة آلاف ، ثم جهّزها من عنده وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة إلى رسول الله ﷺ وجهازها كله من عند النجاشي ، ولم يرسل إليها رسول الله ﷺ شيئاً . وكان مهر أزواج النبي ﷺ أربع مئة درهم .

قال أبو بكر بن أبي خثيمة :

في سنة سبع قدمت أم حبيبة بنة أبي سفيان المدينة ، وبنى بها رسول الله ﷺ .

وعن ابن عباس

في هذه الآية ﴿ عَسَى اللهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً ﴾[1] قال : فكانت المودة التي جعل الله بينهم تزويج [٢٠٢] النبي ﷺ بأم حبيبة بنت أبي سفيان ، فصارت أم المؤمنين ، فصار معاوية خال المؤمنين .

وكان لها يومَ قدم بها المدينة بضع وثلاثون سنة ، وتوفيت سنة أربع وأربعين في خلافة معاوية بن أبي سفيان .

وعن ابنة أبي القين المزني قالت :

كنت آلف صفية من بين أزواج النبي ﷺ ، وكانت تحدثني عن قومها ممّا كانت تسمع منهم . قالت : خرجنا من المدينة حيث أجلانا رسول الله ﷺ فأقمنا بخيبر ، فتزوجني كنانة ابن أبي الحُقَيْق فأعرس بي قبل قدوم رسول الله ﷺ بأيام وذبح جَزوراً ، ودعا يهود ، وحولني في حصنه بسُلالم . فرأيت في النوم كأن قمراً أقبل من يثرب حتى وقع في حجري ، فذكرت ذلك لكنانة زوجي ، فلطم عيني ، فاخضرت فنظر إليها رسول الله ﷺ حين

(١) سورة الممتحنة ٦٠ / ٧

دخلتُ عليه فسألني فأخبرته . قالت : وجعلت يهود ذراريها في المدينة ، وجرّدوا حصون النَّطَاة[1] للمقابلة . فلما نزل رسول الله ﷺ خيبر وافتتح حصون النَّطَاة دخل عليَّ كنانة فقال : قد فرغ محمد من أهل النَّطَاة وليس هاهنا أحدٌ يقاتل ، قد قتلت يهود حيث قتل أهل النَّطاة ، وكذبتنا الأعراب ، فحولني إلى حصن النزار بالشقّ قالت : وهو أحصن مما عندنا . فخرج حتى أدخلني وبنت عمي ونشيئات معنا فسار رسول الله ﷺ إلينا قِبَل الكتيبة فسُبيت في النزار قبل أن ينتهي النبي ﷺ إلى الكتيبة ، فأرسل بي إلى رحله ، ثم جاءنا حين أمسى فدعاني فجئت وأنا متقنعة حيية فجلست بين يديه فقال [إن تكوني][2] على دينك لم أكرهك ، وإن اخترت الإسلام واخترت الله ورسوله فهو خير لك . قالت : أختار الله ورسوله والإسلام . فأعتقني رسول الله ﷺ [٢٠٣] وتزوجني . وجعل عتقي مهري . فلما أراد أن يخرج إلى المدينة قال أصحابه : اليوم نعلم أزوجة أم سُرّية . فإن كانت امرأته فسيحجبها وإلا فهي سُرّية . فلما خرج أمر بسِتر فسُترتُ به ، فعُرف إني زوجة . ثم قدم إلى البعير وقدّم فخذه لأضع رجلي عليه فأعظمت ذلك ووضعت فخذي على فخذه ثم ركبت ، فكنت ألقى من أزواجه ، يفخرن علي يقلن : يا بنت اليهودي وكنت أرى رسول الله ﷺ يلطُف بي ويُكرمني ، فدخل عليّ يوماً وأنا أبكي فقال : ما لك ؟ ! فقلت : أزواجك يفخرن عليّ ويقلن : بنت اليهودي . قالت : فرأيت رسول الله ﷺ غضب ثم قال : إذا قالوا لك أو فاخروك فقولي : أبي هارون وعمي موسى .

وعن أنس بن مالك قال :

بلغ صفية أن حفصة قالت : يا بنت يهودي ، فبكت ، فدخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي . فقال : ما يبكيك ؟ فقالت : قالت لي حفصة : أي ابنة يهودي ، قال النبي ﷺ : إنك لابنةُ نبيّ وإن عمّك لَنبي ، وإنك لتحت نبي ، فبم تفخر عليك ؟ ! ثم قال : اتقي الله يا حفصة .

وعن آمنة بنت أبي قيس الغفارية قالت :

أنا إحدى النساء اللواتي زففن صفية إلى رسول الله ﷺ . سمعتها تقول : ما بلغت

---

(١) النَّطاة : اسم أرض لخيبر ، وقيل : حصن . معجم البلدان .

(٢) ذهبت الرطوبة بالعبارة . واستدركت من مغازي الواقدي ٢ / ٧٠٧

سبع عشرة سنة يوم دخلت على رسول الله ﷺ .

قال :

وتوفيت صفية سنة اثنتين وخمسين في خلافة معاوية بن أبي سفيان وقُبرت بالبقيع . وقيل : سنة خمسين . وقيل إنها توفيت في خلافة عمر ، وصلى عليها عمر .

وقال عطاء :

كانت صفية آخر من مات بالمدينة .

وكانت وفاة ميمونة زوج النبي ﷺ سنة إحدى وخمسين ، وقيل سنة اثنتين وستين . وقيل سنة ثلاث وستين . وقيل سنة إحدى وستين ، في خلافة يزيد بن معاوية . وهي آخر من مات من أزواج النبي ﷺ . وكان لها يوم توفيت ثمانون أو إحدى وثمانون سنة . وكانت جلدة .

قال يزيد بن الأصم :

حضرت قبر ميمونة فنزل فيه [٢٠٤] ابن عباس وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد وأنا وعُبيد الله الخولاني . وصلى عليها ابن عباس .

قال ابن عساكر :

وفي هذه التواريخ نظر . فإن في الحديث الصحيح الذي في ذكر يزيد بن الأصم أن عائشة قالت له : ذهبت والله ميمونة ، ورمي برسنك على غاربك . وذلك يدل على أن ميمونة توفيت قبل عائشة . وكانت وفاة عائشة سنة سبع وخمسين .

وقوله أيضاً أن عبد الرحمن بن خالد نزل في قبرها فيه نظر . فإن عبد الرحمن بن خالد مات سنة ست وأربعين في خلافة معاوية ، إلا أن يكون لخالد ابنٌ آخر يسمى عبد الرحمن .

فهذه أسماء أزواج النبي ﷺ اللاتي دخل بهنّ . وقد تزوج بغيرهن ولم يَبْنِ عليهنّ :

منهن قُتيلة بنت قيس أختِ الأشعث . تزوجها فمات قبل أن يخبرها[1] ، فبرأها الله منه .

---

(١) في هامش الأصل كتب حرف « ط » .

روى الشعبي

أن عكرمة بن أبي جهل تزوج قتيلة بنت قيس فأراد أبو بكر الصديق أن يضرب رقبته ، فقال له عمر بن الخطاب إن رسول الله ﷺ لم يفرض لها ، ولم يدخل بها ، وارتدت مع أخيها . فبرئت من الله ورسوله . فلم يزل به حتى كفّ عنه .

وعن عروة

أن الوليد بن عبد الملك كتب إليه يسأله : هل تزوج النبي ﷺ أخت الأشعث بن قيس ، قُتيلة ؟ فقال : ماتزوجها رسول الله ﷺ ، قط . ولا تزوج كندية إلا أخت بني الجُون فملكها . فلما أتى بها وقدمت المدينة نظر إليها ، فطلّقها ، ولم يبن بها ، ويقال إنها فاطمة بنت الضحاك .

قال الزهري :

هي فاطمة بنت الضحاك بن سفيان فاستعاذت[1] منه فطلقها ، فكانت تلتقط البعر وتقول : أنا الشقية . وتزوجها رسول الله ﷺ في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة . وتوفيت سنة ستين .

ومنهن أسماء بنت كعب الجونية ، وعَمْرة بنت يزيد الكلابية تم من بني الوحيد ، ولم يدخل بأسماء حين طلقها . وكانت عمرة قبله عند [٢٠٥] الفضل بن عباس بن عبد المطلب ، فطلّقها رسول الله ﷺ قبل أن يدخل بها ، ويقال : إنها أسماء بنت النعمان .

وعن قتادة قال :

تزوج رسول الله ﷺ من أهل اليمن أسماء بنت النعمان من بني الجُون . فلما دخل بها دعاها فقالت : تعال أنت ، فطلّقها .

وعن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال :

الجُونية استعاذت من رسول الله ﷺ ، فقيل لها : أحظى لك عنده . ولم تستعذ منه امرأة غيرها ، وإنما خُدعت لما رُئي من جمالها وهيئتها . ولقد ذكر لرسول الله ﷺ مَن حَمَلها على ماقالت لرسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : إنهنّ صواحب يوسف وكيدهنّ .

---

(١) اللفظة غير مقروءة في الأصل ، ولذلك تكررت في الهامش مشكولة .

وهي أسماء بنت النعمان بن أبي الجُون . وقيل هي أمية بنت النعمان بن أبي الجون .

قال ابن عباس :

لما استعاذت أسماء بنت النعمان من النبي ﷺ خرج والغضب يُعرف في وجهه فقال له الأشعث بن قيس : لايسوءك الله يارسول الله ، ألا أزوجك من ليسن دونها في الجمال والحسب ؟ فقال : من ؟ فقال : أختي قُتيلة . قال : قد تزوجتها . قال : فانصرف الأشعث إلى حضرموت ثم حملها حتى إذا فصل من اليمن بلغه وفاة النبي ﷺ فردها إلى بلاده . وارتدّ وارتدّت معه فيمن ارتدّ . فلذلك تزوجت لفساد النكاح بالارتداد . وكان تزوجها قيس بن مكشوح المرادي .

قال ابن أبي عَون :

تزوج رسول الله ﷺ الكندية في شهر ربيع الأول سنة تسع من الهجرة .

ومنهن سَنَا بنت أسماء بن الصلت السلمية . وهي عمة عبد الله بن خازم بن أسماء بن الصلت ، وأخواها عروة وأسماء لهما صحبة . تزوجها رسول الله ﷺ فماتت قبل أن يصل إليها .

قال ابن سعد :

سَبَا ، ويقال سَنَا بنت الصلت بن حبيب بن جارية بن هلال بن حرام بن سِماك بن عوف السلمي .

قال ابن عمر :

كان في نساء رسول الله [٢٠٦] ﷺ سنا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب .

(١)وقال ابن عمر :

إن النبي ﷺ بعث أبا أسيد إلى جدي يخطب عليه امرأة من بني عامر يقال لها عمرة بنت يزيد بن عبيد بن كلاب فتزوجها فبلغه أن بها بياضاً فطلقها(١) .

(١-١) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل . وبعده : « صح » .

ومنهن مُليكة بنت كعب الليثي .

قال أبو معشر :

تزوج النبي ﷺ مُليكة بنت كعب ، وكانت تذكر بجمال بارع ، فدخلت عليها عائشة فقالت : أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك ؟ فاستعاذت من رسول الله ﷺ فطلقها . فجاء قَومُها إلى النبي ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، إنها صغيرة ، وإنها لا رأي لها ، وإنها خُدعت فارتجعْها فأبى رسول الله ﷺ ، فاستأذنوه أن يزوجوها قريباً لها من بني عذرة فأذن لهم . فتزوجها العذري وكان أبوها قُتل فتحَ مكة ، قتله خالد بن الوليد .

قال محمد بن عمر :

ومما يضعف هذا الحديث ذكر عائشة أنها قالت : ألا تستحين . وعائشة لم تكن مع رسول الله ﷺ في ذلك السفر .

قال عطاء بن يزيد الجُنْدُعي(١) :

تزوج رسول الله ﷺ مُليكة بنت كعب الليثي في شهر رمضان سنة ثمان ، ودخل بها فماتت عنده .

قال محمد بن عمر :

وأصحابنا ينكرون ذلك ويقولون : لم يتزوج كنانية قطّ .

ومنهن العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب . تزوجها رسول الله ﷺ فمكثت عنده دهراً ثم طلّقها .

ومنهن خولة بنة الهذيل التغلبية ، وشراف بنت فضالة الكلبية .

قال علي بن مجاهد :

نكح رسول الله ﷺ خولة بنة الهذيل بن هُبيرة التغلبي ، وأمها خُريق بنت خليفة أخت دِحية . فحُملت إليه من الشام ، فماتت في الطريق ، فنكح خالتها شراف بنت فضالة بن خليفة ، فحُملت إليه من الشام فماتت في الطريق .

---

(١) في الأصل بالإهمال . انظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٧ / ٢١٧ ، وضبط كنيته في الحاشية (١) بضم الجيم والدال . وفي اللباب ١ / ٢٩٥ بفتح الدال ، وضبطه ابن دريد في الاشتقاق ١٧١ ، ١٧٣ بفتح الدال وبضمها .

ومنهن امرأة من بني غِفار :

عن سهل بن زيد الأنصاري قال :

تزوج رسول الله ﷺ امرأة من غفار فدخل بها ، فأمرها فنزعت ثوبها [٢٠٧] فرأى بها بياضاً من برص عند ثدييها ، فانماز[١] رسول الله ﷺ وقال : خذي ثوبك . وأصبح فقال : الحَقي بأهلك ، فأكمل لها صَداقها .

فأما سراريه فمنهن : مارية أم إبراهيم عليه السلام :

في سنة سبع قدم حاطب بن أبي بَلْتَعة من عند المقوقس بمارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ وبغلته دُلدل وحماره يَعْفور . [٢]فأهدى أميرُ القبط إلى رسول الله ﷺ جاريتين أختين ، وبغلة ، فكان يركبُ البغلة ، واتخذ إحدى الجاريتين ، فولدت له إبراهيم ابنه[٢] .

قال عبد الله بن عبد الرحمن بن صعصعة :

كان رسول الله ﷺ يعجب بمارية القبطية وكانت بيضاء جعدة جميلة ، فأنزلها رسول الله ﷺ وأختها عند أم سُلَيم بنت ملحان ، فدخل عليهما رسول الله ﷺ فعرض عليهما الإسلام ، فأسلمتا هناك ، فوطئ مارية بالملك ، وحولها إلى مالٍ له بالعالية كان من أموال بني النضير ، فكانت فيه في الصيف ، وفي خرافة[٣] النخل ، فكان يأتيها هناك . وكانت حسنة الدين . ووهب أختها سيرين لحسان بن ثابت الشاعر فولدت له عبد الرحمن . وولدت مارية لرسول الله ﷺ غلاماً فسماه إبراهيم ، وعَقّ[٤] رسول الله ﷺ بشاة يوم سابعه ، وحلق رأسه فتصدق بزِنَة شَعره فضةً على المساكين ، وأمر بشعره فدُفن في الأرض ، وسماه إبراهيم . وكانت قابلتها سَلمى مولاة النبي ﷺ . فخرجت إلى زوجها أبي رافع فأخبرته بأنها قد ولدت غلاماً . فجاء أبو رافع إلى رسول الله ﷺ فبشّره فوهب له عبداً ، وغار نساءُ رسول الله ﷺ واشتدّ عليهنّ حين رُزق منها الولد .

---

(١) انماز . تحوّل من مقامه . اللسان : « ميز » .

(٢-٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

(٣) خرف النخل : صرمه واجتناه . اللسان : « خرف » .

(٤) عقّ عن ابنه : ذبح عنه شاة ، اللسان : « عقّ » .

وعن علي بن أبي طالب قال :

أُكثر على مارية أم إبراهيم في قبطيٍّ ابنِ عم لها ، يزورها ويختلف إليها ، فقال رسول الله ﷺ : خذ هذا السيف فانطلق فإن وجدته عندها فاقتله . قال : قلت : يا رسول الله ، أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحماة لا يثنيني شيء حتى [٢٠٨] أمضي لما أمرتني به أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ؟ قال رسول الله ﷺ : بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب . فأقبلتُ متوشحاً السيف ، فوجدته عندها ، فاخترطت السيف فلما رآني عرف أني أريده فأتى نخلاً فَرَقاً هرباً ، ثم رمى بنفسه على قفاه ثم شال برجليه ، فإذا به أجبّ أمسح ، ما له مما للرجل قليل ولا كثير . فأتيتُ رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : الحمد لله الذي صرف عنا أهل البيت .

وعن ابن عباس قال :

قال رسول الله ﷺ لأم إبراهيم حين ولدت : أعتقها ولدها .

قال محمد بن عمر :

توفيتْ مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ في المحرم سنة ست عشرة من الهجرة . فرُئي عمر بن الخطاب يحشُر الناس ليشهدوها ، وصلى عليها ، وقبرها بالبقيع .

ومنهن ريحانة بنت زيد :

قال محمد بن عمر الواقدي : قالوا :

وكانت ريحانة بنت زيد من بني النضير متزوجة في بني قريظة . وكان رسول الله ﷺ قد أخذها لنفسه صفياً . وكانت جميلة ، فعرض عليها رسول الله ﷺ أن تُسلم فأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله ﷺ ووجَد في نفسه ، فأرسل إلى ابن سعيّة فذكر له ذلك فقال ابن سعيّة : فداك أبي وأمي هي تسلم . فخرج حتى جاءها فجعل يقول لها : لا تتبعي قومك ، فقد رأيت ما أدخل عليهم حيَيّ بن أخطب ، فأسلمي يصطفيك رسول الله ﷺ لنفسه . فبينا رسول الله ﷺ في أصحابه إذ سمع وقع نعلين فقال : إن هاتين لَنعلا ابن سعيّة يبشرني بإسلام ريحانة . فجاءه فقال : يا رسول الله ، قد أسلمت ريحانة فسرّ بذلك . ثم إن رسول الله ﷺ أرسل بها إلى بيت سَلمى بنت قيس أم المنذر ، فكانت عندها حتى حاضت حيضة ثم طهرت من حيضها ، فجاءت أمُّ المنذر فأخبرت رسول [٢٠٩] الله ﷺ ، فجاءها

رسول الله ﷺ في منزل أم المنذر فقال لها رسول الله ﷺ : إن أحببتِ أن أعتقك وأتزوجك فعلت ، وإن أحببتِ أن تكوني في ملكي أطؤك بالملك فعلت . فقالت : يا رسول الله ، إنّ أخفّ عليك وعليّ أن أكون في ملكك . فكانت في ملك رسول الله ﷺ يطؤها حتى ماتت عنده .

وقال ابن أبي ذئب :

سألت الزهري عن ريحانة فقال : كانت أمةً لرسول الله ﷺ فأعتقها وتزوجها ، فكانت تحتجب في أهلها . وتقول : لا يراني أحد بعد رسول الله ﷺ .

قال الواقدي :

وهذا أثبت الحديثين عندنا . وكان زوج ريحانة قبل النبي ﷺ : الحكم .

وعن عمرو بن الحكم قال :

أعتق رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة . وكانت عند زوج لها ، [وكان] محباً لها مكرماً فقالت : لا أستخلف بعده أبداً . وكانت ذات جمال . فلما سُبيت بنو قريظة عُرض السبي على رسول الله ﷺ فكنتُ فيمن عُرض عليه ، فأمر بي فعُزِلْت ، وكان يكون له صفيّ في كل غنيمة . فلما عزلت خار الله لي فارتحل بي إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياماً حتى قتل الأسرى وفرّق السبي ، ثم دخل عليّ رسول الله ﷺ فتجنبت منه حياءً فدعاني فأجلسني بين يديه فقال : إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله ﷺ لنفسه فقلت : إني أختار الله ورسوله . فلما أسلمت أعتقني رسول الله ﷺ وتزوجني وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونشّاً ، كما كان يُصدق نساءه ، وأعرس بي في بيت أم المنذر . وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه ، وضرب عليّ الحجاب .

وكان رسول الله ﷺ معجباً بها ، وكانت لا تسأله ـ يعني شيئاً ـ إلا أعطاها ذلك . ولقد قيل لها : لو كنت سألت رسول الله ﷺ بني قريظة لأعتقهم [٢١٠] وكانت تقول : لم يخل بي حتى فرّق السبي . ولقد كان يخلو بها ويكثر منها . فلم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع ، فدفنها بالبقيع ، وكان تزويجه إياها في المحرم سنة ست من الهجرة .

وعن ابن شهاب قال :

واستسر رسول الله ﷺ ريحانةمن بني قريظة ، ثم أعتقها فلحقت بأهلها .

وقيل : كانت من بني النضير ، فكانت تكون في نخلة ، نخل الصدقة ، وكان يقيل عندها ﷺ أحياناً . وكان سباها في شوال سنة أربع . وقيل كان النخل في العالية . وزعَم بعضهم أن النبي ﷺ ابتدأه أول وجعه الذي توفي عندهم .

وذكر أبو عبيدة

أنه كان له ﷺ أربع ولائد : مارية القبطية ، وريحانة من بني قريظة ، وكانت له جارية أخرى جميلة أصابها في السبي ، فكادها نساؤه وخفن أن تغلبهنّ عليه ، وكانت له جارية نفيسة وهبتها له زينب بنت جحش ، وكان هجرها في شأن صفيّة بنت حُيّ ذا الحجة والمحرم وصفر . فلما كان شهر ربيع الأول الذي قبض فيه النبي ﷺ ، رضي عن زينب ودخل عليها . فقالت : ما أدري ما أجزيك ؛ فوهبتها له ﷺ .

وأما اللاتي خطبهن ولم يتزوجهن :

عن ابن عباس قال :

خطب رسول الله ﷺ إلى أبي طالب بنته أم هانئ في الجاهلية ، وخطبها هُبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم فتزوجها هُبيرة . فقال النبي ﷺ : يا عم ، زوجت هُبيرة وتركتني ، فقال : ابن أخي ، إنا قد صاهرنا إليهم ، والكريم يكافئ الكريم . ثم أسلمت ففرّق الإسلام بينها وبين هُبيرة ، فخطبها رسول الله ﷺ إلى نفسها فقالت : والله إن كنت لأحبّك في الجاهلية فكيف في الإسلام ، ولكني امرأة مُصْبِية[1] ، وأكره أن يؤذوك ، فقال رسول الله ﷺ : خيرُ نساءٍ ركبْنَ المطايا نساءُ قريش : أحناه على وَلَد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده ، [٢١١] وكان اسم أم هانئ فاختة .

وعن ابن عباس قال :

أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى النبي ﷺ وهو مولٍ ظهره للشمس ، فضربت على منكبه . فقال : مَن هذا أكله الأسود ؟ وكان كثيراً ما يقولها ، فقالت : أنا بنت مُطعِم الطير ، ومباري الريح ، أنا ليلى بنت الخطيم . جئتك لأعرض عليك نفسي تزوّجني . قال : قد فعلت ، فرجعت إلى قومها فقالت : قد تزوّجني النبي ﷺ فقالوا : بئس ما صنعت ، أنت

---

(١) امرأة مُصْبِيَة : ذات صبيان . اللسان · « صبا »

امرأة غيرى والنبي ﷺ صاحب نساء تغارين عليه فيدعو الله عليك ، فاستقيليه نفسك . فرجعت فقالت : يا رسول الله ، أقلني ، قال : قد أقلتك ، قال : فتزوّجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر . فولدت له . فبينا هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل إذ وثب عليها ذئب لقول النبي ﷺ فأكل بعضها ، وأدركت ، فماتت .

وعن ابن عباس قال :

كانت ضُباعة بنت عامر بن قُرْط بن سلمة بن بشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة عند هوْذة بن علي الحنفي ، فهلك عنها فورثته مالاً كثيراً ، فتزوجها عبد الله بن جُدعان التيمي ، وكان لا يولد له ، فسألته الطلاق ، فطلقها فتزوّجها هشام بن المغيرة فولدت له سلمة . فكان من خيار المسلمين ، فتوفي عنها هشام . وكانت من أجمل نساء العرب وأعظمه خلقاً ، وكانت إذا جلست أخذت من الأرض شيئاً كثيراً ، وكان يُغطى جسدُها بشعرها . فذُكر جمالها عند النبي ﷺ ، فخطبها إلى ابنها سلمة بن هشام بن المغيرة ، فقال : حتى استأمرها ، وقيل للنبي ﷺ : قد كبرت ، فأتاها ابنها فقال لها : إن النبي ﷺ خطبك إلي ، فقالت : ما قلت له ؟ قال : قلت : حتى أستأمرها ، فقالت : وفي النبي ﷺ تستأمر ؟! ارجع فزوّجه : فرجع إلى النبي ﷺ فسكت عنه .

وعن ابن عباس قال :

خطب النبي ﷺ صفيّة بنت بشامة بن نضلة العنبري ، وكان أصابها سباء فخيّرها رسول الله ﷺ فقال : إن شئت أنا ، وإن شئت زوجك ، [٢١٢] فقالت : بل زوجي فأرسلها ، فلعنتها بنو تميم .

وعن عامر في

قوله عز وجل : ﴿ تُرجّي منْ تشاءُ منْهُنّ ﴾[1] قال : كان نساء وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فدخل ببعضهن ، وأرجأ بعضاً فلم ينكحن بعده . منهن أم شريك .

---

(١) سورة الأحزاب٣٣ / ٥١

وكانت أم شريك امرأة من بني عامر بن لؤي بن صعصعة ، وهبت نفسها للنبي ﷺ فلم يَقبلها ، فلم تتزوج حتى ماتت .

عن علي بن الحسين :

أن النبي ﷺ تزوج أم شريك الدَوْسيّة .

قال محمد بن عمر :

الثبتُ عندنا أنها امرأة من دوس من الأزد .

قال محمد بن سعد :

اسمها غَزِيّة بنت جابر بن عُكَيم . وكانت امرأة صالحة . والله أعلم .

معرفة عَبيده وإمائه وخدمه وكتّابه وأمنائه[1]

١ ـ أسامة بن زيد بن حارثة ، أبو زيد الكلبي

مولى رسول الله ﷺ ، وحِبُّه وابن حِبّه ، وكان أبوه وأمه أمّ أيمن مَوْلَيَيْن للنبي ﷺ . وستأتي أخباره في ترجمته .

٢ ـ أسلم ، ويقال : إبراهيم أبو رافع القبطي

شهد أُحُداً والخندق والمشاهد بعدها ، وزوّجه رسول الله ﷺ سَلمى مولاة رسول الله ﷺ ، وشهدت سَلمى خيبر وولدت عُبيد الله بن أبي رافع ، وكان كاتباً . كتب لعلي بن أبي طالب بالكوفة . ومات أبو رافع بالمدينة بعد قتل عثمان . وقيل : كان اسمه هرمز ، كان للعباس ، فوهبه للنبي ﷺ ، فلما أسلم العباس أعتقه النبي ﷺ . شهد أحداً والخندق ، وكان على ثَقل[2] النبي ﷺ ، وشهد فتح مصر . وقيل : كان أبو رافع قبطياً .

عن أبي رافع :

أن رسول الله ﷺ بعث رجلاً من بني مخزوم على الصدقة فقال لأبي رافع : اصحبني كيما تصيب منها ، فقال : لا حتى آتي رسول الله ﷺ فأسأله ، فانطلق إلى النبي ﷺ فسأله ، فقال : الصدقة لا تحِلّ لنا وإن مولى القوم من أنفسهم .

وعن الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس قال :

قدم النبي ﷺ خيبر فأصاب الناسَ [٢١٣] بردٌ شديد ، فقال النبي ﷺ : من كان له لحاف فليَلحَفْ مَن لا لحاف له . فطلبت مَن يلحَفُني فلم أجد أحداً ، فأتيت النبي ﷺ

---

(١) نلاحظ أن ابن عساكر سوف يعيد ترجمة بعض هؤلاء المترجمين في مواضعها من تاريخه وهو يشير إلى ذلك عندما يذكر اسم المترجم له . وتابعه ابن منظور في هذا .

(٢) الثَّقَل : متاع المسافر : اللسان . « ثقل » .

فأخبرته ، فألقى عليّ من لحافه ، فبتنا حتى أصبحنا فوجد النبي ﷺ عند رجليه على فراشه حية قد تطوقت ، فرماها النبي ﷺ برجله وقال : يا أبا رافع ، اقتلها ، اقتلها .

قال أبو رافع :

كنا ـ آلّ العباس ـ قد دخلنا في الإسلام ، وكنا نستخفي بإسلامنا ، وكنت غلاماً للعباس أنحِت الأقداح . فلما سارت قريش إلى رسول الله ﷺ يوم بدر جعلنا نتوقع الأخبار ، فقدم علينا الحَيْسُمان الخزاعي بالأخبار ، فوجدنا في أنفسنا قوة وسرّنا ما جاءنا من الخبر من ظهور رسول الله ﷺ ، فوالله إني لجالس في صفة زمزم أنحِت أقداحاً لي وعندي أم الفضل جالسة ، وقد سرّنا ما جاءنا من الخبر وبلغنا عن رسول الله ﷺ إذ أقبل الخبيث أبو لهب بشرّ يجرّ رجليه قد أكبته الله وأخزاه بما جاءه من الخبر ، حتى جلس على طُنب الحجرة ، وقال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث قد قدم واجتمع عليه الناس فقال له أبو لهب : هلمّ إليّ يابن أخي ، فعندك لعمري الخبر ، فجاءه حتى جلس بين يديه فقال : يابن أخي ، خبِّرني خبر الناس فقال : نعم . والله ما هو إلاّ أن لقينا القوم فمنحناهم أكنافنا يضعون السلاح منا حيث شاؤوا . والله ، مع ذلك هلكت الناس . لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلق ، لا والله ما تُليق شيئاً ـ يقول : ما تبقي شيئاً ـ فرفعت طنب الحجرة فقلت : تلك والله الملائكة . فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة منكرة وثاورته[1] ، وكنت رجلاً ضعيفاً ، فاحتملني فضرب بي [الأرض][2] وبرك على صدري يضربني ، وتقوم أم الفضل إلى عمود من عُمُد الحجرة فتأخذه فتقول : استضعفتَه أن غاب عنه سيده ؟! وتقوم بالعمود على رأسه فتفلقه بشجة منكرة ، وقام يجرّ رجليه ذليلاً ، ورماه الله بالعَدَسة[3] . فوالله ما مكث إلا سبعاً حتى مات . ولقد تركه ابناه في بيته ثلاثاً ما [٢١٤] يدفِنانه حتى أنْتَن . وكانت قريش تتّقي هذه العدسة كما تتقي الطاعون ، حتى قال لهما رجل من قريش : ويحكما ، ألا تستحيان ، إن أباكما قد أنْتَن في بيت لا تدفنانه ؟! فقالا : إنا نخشى عدوى هذه القرحة فقال : انطلقا فأنا أعينكما عليه . فوالله ما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ،

---

(١) ثاوره : واثبه . اللسان : « ثور »

(٢) مكان اللفظة بياض في الأصل . أتممناه من سيرة ابن كثير ٢ / ٤٧٩

(٣) العَدَسة : بثرة قاتلة تخرج ، كالطاعون ، تقتل صاحبها غالباً . اللسان : عدس .

لا يدنون منه حتى احتملوه إلى أعلا مكة فأسنداه إلى جدار ، ثم رضموا عليه الحجارة .

٣ ـ أنسة ، أبو مَسْرح

مهاجريّ شهد بدراً وأُحُداً[١] . وكان من مولدي السّراة . لا تُعرف له رواية .

قال البغوي :

لا أعلم رُوي عن أنسة حديثٌ مسند ولا غير مسند . وقيل كنيته : أبو مَسْروح . وكان يأذن على النبي ﷺ إذا جلس . ومات في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

وروي عن ابن عباس قال :

قُتل أنسة مولى النبي ﷺ ببدر .

وقال محمد بن عمر :

وليس ذلك بثبت . قال : ورأيت أهل العلم يثبتون أنه لم يقتل ببدر ، وقد شهد أحداً . وبقي بعد ذلك أيضاً زماناً .

٤ ـ أيمن بنُ عُبيد بن زيد

وهو ابن أم أيمن أخو أسامة لأمه . أمها أم أيمن حاضنة النبي ﷺ[٢] . وكان أيمن فيمن[٢] ثبت يوم حُنين مع رسول الله ﷺ من أصحابه . وقتل يوم حُنين . وفيه نزلت وفي أصحابه : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوْ لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَملاً صَالِحاً ﴾[٣] الآية .

وهو أيمن بن عُبيد بن عمرو بن بلال بن أبي الحارث بن قيس بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج .

روى عطاء عن أيمن بن أم أيمن رفعه قال :

لاقطع إلا في ثَمَن المجنّ ، وثمنه يومئذ دينار .

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٢ـ٢) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل مقروناً بلفظة « صح » .

(٣) سورة الكهف ١١٠/١٨ .

وروى أيضاً عطاء عن أيمن الحبشي قال :

لم يقطع رسول الله ﷺ السارق إلا في المجنّ . وكان ثمن المجن يومئذ دينار .

وروى أيضاً عطاء عنه

أن النبي ﷺ قطع اليد في مِجَنّ . وقيمته يومئذ دينار .

حديث محمد بن إدريس الشافعي قال :

وقد روى شريك حديث مجاهد عن أيمن بن أم أيمن فقلت : لا علم لك بأصحابنا : أيمن أخو أسامة ، قتل مع النبي ﷺ يوم حنين [٢١٥] قبل مولد مجاهد . ولم يبق بعد النبي ﷺ فيحدث عنه .

٥ ـ باذام يذكر مع طهمان

٦ ـ ثَوْبان بن يجدد أبو عبد الكريم الألهاني

عربي ، أصابه سِباء ، فاشتراه النبي ﷺ وأعتقه . نذكره في حرف الثاء .

٧ ـ حُنين مولى النبي ﷺ

عن ابن حنين أخي إبراهيم بن عبد الله بن حنين عن ابنة أخيه عن خالها يقال له : ابن الشاعر

أن حنيناً جدّه كان غلاماً للنبي ﷺ ، فوهبه لعمه عباس فأعتقه ، فكان حنين عند النبي ﷺ يخدمه . وكان إذا توضأ رسول الله ﷺ خرج بوضوئه إلى أصحابه ، فكان إما شربوه ، وإما تمسّحوا به . فحبس حنين الوضوء ، فكان لا يخرج به إليهم ، فشكَوْه إلى النبي ﷺ فسأله فقال : احتبستُه عندي ، فجعلته في جرّ ، فإذا عطشتُ شربت منه ، فقال رسول الله ﷺ : هل رأيتم غلاماً أحصى ما أحصى هذا ، ثم وهبه لعمه[1] عباس فأعتقه .

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

٨ - ذكوان يذكر مع طهمان

٩ - رافع ويقال : أبو رافع

كان مولىً لسعيد . كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم أن افحص لي عن أسماء خدم رسول الله ﷺ من الرجال والنساء ومواليه . فكتب إليه يخبره ، قال : وكان رافع غلاماً لسعيد بن العاص فورثه ولده ، فأعتق بعضُهم في الإسلام وتمسك بعضٌ ، فجاء رافع إلى النبي ﷺ يستعين به على مَن لم يُعتق حتى يعتقه . فكلمه يومئذ فيه فوهبه له فأعتقه رسول الله ﷺ . فكان يقول : أنا مولى رسول الله ﷺ .

وهو رافع أبو البهيّ .

قال أبو بكر بن أبي خيثمة قال :

وأبو رافع ابنه البهيّ بن أبي رافع ، وكان يقال للبهيّ : رافع . وكان أبو رافع لأبي أُحَيْحة سعيد بن العاص الأكبر ، فورثه بنوه . وأعتق ثلاثةٌ منهم أنصباءهم ، وقتلوا يوم بدر جميعاً . وشهد أبو رافع [٢١٦] معهم بدراً ، ثم اشترى أبو رافع أنصباء بقية بني سعيد إلا نصيب خالد بن سعيد فوهب خالد نصيبه لرسول الله ﷺ فأعتقه رسول الله ﷺ . فكان أبو رافع يقول : أنا مولى رسول الله ﷺ . ويقوله ابنه البهيُّ رافعُ بن أبي رافع من بعده . فلما ولي عمرو بن سعيد المدينة دعا البهي فقال له : مَن مولاك ؟ قال : رسول الله ﷺ فضربه مئة سوط ثم سأله ، قال : مولاي رسول الله ﷺ فضربه مئة سوط ، حتى ضربه خمس مئة سوط ثم قال : أنا مولاكم . فلما قتل عبدُ الملك عَمرو بن سعيد قال رافع بن أبي رافع[1] : [الطويل]

صحَّت ولا شَلَّتْ وضرَّت عدوَّها	يمينٌ هراقَتْ مُهْجَةَ ابن سعيدِ
هو ابن أبي العاصي مراراً وينتمي	إلى أسرةٍ طابَتْ لَهُ وجدودِ

وكان عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع بن آخي البهي شيخاً مُسنّاً قد سبق اللَحن[2] . وقد رويت عنه أيضاً .

---

(١) البيتان في تاريخ الطبري ١٧١/٣ .

(٢) في هامش الأصل حرف « ط » .

والصحيح أنه رافع ، وهو المراد بالحديث الذي روي عن عبد الله بن عمرو . قال : قلنا : يا رسول الله ، مَن خير الناس ؟ قال : ذو القلب المخموم واللسان الصادق . قال : قلنا : قد عرفنا اللسان الصادق فما القلب المخموم ؟ قال : هو التقي النقي الذي لا إثم فيه ولا بغي ولا حسد . قلنا : فمن على إثره ؟ قال : الذي يَشنأ الدنيا ويحب الآخرة . قال : ما يعرف هذا فينا إلا رافع مولى رسول الله ﷺ . فَمن على إثره ؟ قال : مؤمن في خُلُق حَسَن . قلنا : أما هذا فإنه فينا .

١٠ ـ رباح الأسود

غلام سيدنا رسول الله ﷺ ، كان يأذن على رسول الله ﷺ .

عن عمر بن الخطاب قال :

لما اعتزل نبيّ الله ﷺ نساءه ، وكان قد وجد عليهن قال عمر : فدخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصا ، ويقولون : طلق رسول الله صلى الله [٢١٧] عليه وسلم نساءه ، وذكر الحديث . وقال فيه : قال عمر : فذهبت فإذا رباح غلامُ رسول الله ﷺ قاعد على أُسْكُفَّة الغرفة مُدَلٍّ رجليه على نقير ، يَعْني : جِذعاً منقوراً . قال : فقلت : يا رباح ، استأذن لي على رسول الله ﷺ فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي فسكت ثم قلت : يا رباح ، استأذن لي على رسول الله ﷺ . فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إليّ فسكت ، قال : فرفعت صوتي فقلت : استأذن لي يا رباح على رسول الله ﷺ فإني أظن أن رسول الله ﷺ يظن أنما جئتُ من أجل حفصة . والله لئن رأى رسول الله ﷺ أن أضرب عنقها لأضربَنّ عنقها . فنظر رباح إلى الغرفة ثم نظر إلي ثم قال بيده هكذا ، يعني أنه أشار بيده أن ادخل . في حديث طويل .

١١ ـ رويفع مولى رسول الله ﷺ

أتى رويفع عمر بن عبد العزيز وهو خليفة . ففرض له .

قال : ولا عقب لرويفع .

١٢ ـ أبو أسامة زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي

يذكر في حرف الزاي .

١٣ ـ زيد مولى رسول الله ﷺ

قال بلال بن يسار بن زيد مولى النبي ﷺ : سمعت أبي حدثني عن جدي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول :

من قال : أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم وأتوب إليه . غُفر له وإن كان فرّ من الزحف .

قال البغوي :

لا أعلم لزيد مولى رسول الله ﷺ غير هذا الحديث .

١٤ ـ سفينة أبو عبد الرحمن ويقال : أبو البختري

قيل : كان اسمه مهران ، وقيل : أحمر ، ويقال : رُومان . فسماه رسول الله ﷺ سفينة . وكان لأم سلمة زوج النبي ﷺ فأعتقته ، واشترطت عليه أن يخدمه ما عاش ، وكان سفينة من مولّدي الأعراب . وروي أن سفينة كان مولى أم سلمة زوج [٢١٨] النبي ﷺ . له صحبة . وقيل : هو مولى رسول الله ﷺ . وروى عنه بنوه عبد الرحمن ومحمد وزياد وكثير ، وسعيد بن جُمْهان .

(١)وعن عمران البجلي عن مولى لأم سلمة قال :

كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بواد أو نهر فكنت أُعبّر الناس فقال لي رسول الله ﷺ : ما كنت منذ اليوم إلا سفينة .

حدث سفينة قال : قال رسول الله ﷺ :

الخلافة في أمتي تكون سنّة ثم مُلكاً بعد ذلك . وذكر الحديث .

قال الراوي(٢) : قلت لسعيد :

أين لقيت سفينة قال : لقيته ببطن نخلة في زمان الحجاج . فأقمت عنده ثمان ليالٍ أسأله عن أحاديث رسول الله ﷺ : قال : قلت : ما اسمك ؟ قال : ما أنا بمخبرك . سمّاني

---

(١) في هامش الأصل حرف « ط » .

(٢) عبارة « قال الراوي » مستدركة في هامش الأصل .

رسول الله ﷺ سفينة . فقلت : ولِمَ سمّاك سفينة ؟ قال : خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه فثقل عليهم متاعهم ، فقال لي : ابسط كساءك ، فبسطت فجعلوا فيه متاعهم ثم حملوه علي . فقال لي رسول الله ﷺ : احمل فإنما أنت سفينة . فلو حملت يومئذ قدر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ما ثقل علي إلا أن يخفوا .

وفي رواية :

كنّا مع النبي ﷺ في سفر ، فكلما أعيا بعض القوم ألقى علي سيفه وترسه ورمحه حتى حملت شيئاً كثيراً ، فقال النبي ﷺ : أنت سفينة .

قال سفينة : قالت أم سلمة :

أعتقك على أن تخدم رسول الله ﷺ ما عشتَ . قلت : ولو لم تشترطي عليّ لخدمت رسول الله ﷺ ، أو ما فارقت رسول الله ﷺ . فأعتقتني وشارطتني أن أخدم رسول الله ﷺ ما عشت .

وعن سفينة قال :

خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين .

وعنه قال :

لقيني الأسد فقلت : أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ [٢١٩] قال : فضرب بذنبه الأرض وقعد .

وعن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال :

كنت في سفر فعرض لي الأسد فقلت : يا أبا الحارث ، أنا سفينة ، مولى رسول الله ﷺ قال : فولّى رافعاً ذنبه يُهَمْهِم . وكان النبي ﷺ يتوضأ بالمدّ ، ويغتسل بالصاع من الجنابة .

وعنه قال :

ركبنا في سفينة تجاراً في البحر ، فانكسرت السفينة ، فرمى بنا البحر ، فخرجت أمشي لا أدري أين أتوجه . فكان أول شيء رأيت الأسد . فقلت : أيْ أبا الحارث ، أنا مولىً لرسول الله ﷺ فهَمْهَم فدفعني برأسه ، فجعلت أندفع حتى أوقفني على الطريق ، وفي رواية : ثم هَمْهَم ، فظننت أنه السلام .

١٥ ـ سلمان أبو عبد الله الفارسي

كان مولى لرجل من يهود ، فكاتب على نفسه ، وأعانه النبي ﷺ في كتابته حتى عتق . فكان مولاه . وقال فيه : سلمان منا أهل البيت . وسنذكره في السين .

١٦ ـ شقران الحَبَشي مولى رسول الله ﷺ واسمه صالح بن عدي

ورثه عن أبيه هو وأم أيمن . وقيل : كان حبشياً . وقيل : كان لعبد الرحمن بن عوف فوهبه للنبي ﷺ . وقد انقرض ولده .

قال : وقد كان له ولد بالبصرة . ولا أعلمه بقي منهم أحد .

قال محمد بن سعد :

كان شقران لعبد الرحمن بن عوف ، فأعجب رسول الله ﷺ فأخذه منه بالثمن ، وكان عبْداً حبشياً . شهد بدراً وهو مملوك ، واستعمله رسول الله ﷺ على الأسرى . ولم يُسهم له فجَداه[1] كل رجل له أسير ، فأصاب أكثر مما أصاب رجلٌ من القوم من المقسم . وحضر بدراً أيضاً ثلاثة أعبد مماليك . غلام لعبد الرحمن بن عوف ، وغلام لحاطب بن أبي بلتعة ، وغلام لسعد بن معاذ . فجداهم رسول الله ﷺ ولم يُسهم لهم .

وعن أبي بكر بن عبد الله بن أبي حثمة العدوي قال :

[٢٢٠] استعمل رسول الله ﷺ شقران مولاه على جميع ما وجد في رحال أهل المُرَيْسيع من رِثة المتاع والسلاح والنَّعَم والشاء . وجمع الذرية ناحية .

حدث شقران قال :

رأيت النبي ﷺ يصلي على حمار متوجهاً إلى خيبر .

قال شقران :

أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله ﷺ في القبر .

---

(١) جدوته : أعطيته . اللسان : « جدا » .

١٧ ـ ضُمَيرة بن أبي ضُميرة الحميري

أصابه سِبَاء ، فابتاعه النبي ﷺ وأعتقه ، وكانت له الدار بالبقيع وولد .

عن ضميرة

أن رسول الله ﷺ مرّ بأم ضُميرة وهي تبكي ، فقال لها رسول الله ﷺ : ما يبكيك ؟ أجائعة أنت أو عارية أنت ؟ قالت : يـا رسول الله : فرّق بيني وبين ابني ، فقـال رسول الله ﷺ : لا يفرق بين الوالدة وولدها . ثم أرسل رسول الله ﷺ إلى الذي عنده ضُميرة فدعـاه ، فابتاعه منه ببكر .

قال ابن أبي ذئب :

ثم أقرأني كتاباً عنـده : بسم الله الرحمن الرحيم . هـذا كتـاب من محمـد رسول الله لأبي ضُميرة وأهل بيته أن رسول الله ﷺ ، أعتقهم وأنهم أهلُ بيت من العرب ، إن اختاروا أقـاموا عنـد رسول الله ﷺ ، وإن أحبّوا رجعوا إلى قـومهم ، فـلا يعرض لهم بحـقٍ ، ومَن لَقِيهم من المسلمين فليستوصِ بهم خيراً . وكتب أبيّ بن كعب .

١٨ ـ طهمان مولى النبي ﷺ

عن عطاء بن السائب قال :

أوصى إليّ بشيء لبني هاشم ، فأتيت أبا جعفر بالمدينـة ، فبعثني إلى امرأة عجوز كبيرة ابنة لعلي فقالت : حدثني مولى لرسول الله ﷺ يقـال لـه طهمان أو ذكوان . قـال : قـال لي رسول الله ﷺ : يـا طهمان ـ أو يـا ذكوان ـ إن الصـدقـة لا تحل لي ولا لأهل بيتي ، وإن مولى القوم من أنفسهم .

وروى هذا الحديث وسماه مهران ، وقيل ميمون . وقيل باذام [٢٢١] وقيل كيسان .

قال : فلا أدري أيّها الصواب .

١٩ ـ عُبيد مولى رسول الله ﷺ

روى شيخ عن[1] عبيد مولى النبي ﷺ قال :

قلت : هل كان النبي ﷺ يأمر بصلاة بسوى المكتوبة ؟ قال : صلاة بين المغرب والعشاء .

وعن عُبيد مولى رسول الله ﷺ

أن امرأتين صامتا وأن رجلاً قال : يا رسول الله ، إنّ ههنا امرأتين قد صامتا ، وإنهما كادتا أن تموتا من العطش ، فأعرض عنه ـ أو سكت ـ ثم عاد قال ـ وأراه قال : بالهاجرة ـ قال : يا نبي الله ، إنهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا قال : ادعهما . قال : فجاءتا ، قال : فجيء بقدح أو عُس[2] فقال لإحداهما : قيئي ، فقاءت قيحاً ودماً وصديداً ولحماً حتى قاءت نصف القدح . ثم قال للأخرى : قيئي ، فقاءت من قيح ودم وصديد ولحم عبيط وغيره حتى ملأت القدح . ثم قال : إن هاتين صامتا عمّا أحلّ الله لهما ، وأفطرتا عمّا حرّم الله عليهما ، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس .

٢٠ ـ فضالة مولى النبي ﷺ

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن افحص لي عن ـ يعني ـ أسماء خدم رسول الله ﷺ من الرجال والنساء ومواليه ، فكتب إليه قال : وكان فضالة مولى له ثمان ، نزل الشام بعدُ ، وكان أبو مويهبة مولّداً من مولدي مزينة ، فأعتقه .

قال الحافظ :

ولم أجد ذكر فضالة هذا في موالي النبي ﷺ إلا من هذا الوجه .

٢١ ـ قفيز مولى النبي ﷺ

روى أنس قال :

كان للنبي ﷺ غلام يقال له « قفيز » . أوله قاف وآخره زاي .

---

(١) لفظتا « شيخ عن » مستدركتان في هامش الأصل ، وبعدهما « صح » .

(٢) العُسّ : القدح الضخم . اللسان : « عسّ » .

٢٢ ـ كركرة مولىً للنبي ﷺ كان على ثَقَله

كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم أن افحص لي عن أسماء خدم رسول الله ﷺ من الرجال والنساء [٢٢٢] ومواليه . فكتب إليه يخبره أن

أم أيمن ، بركة ، كانت لأبي رسول الله ﷺ ، فورثها رسول الله ﷺ فأعتقها . وكان عبيد بن عمرو الخزرجي قد تزوجها بمكة ، فولدت له أيمن .

ثم إن خديجة ملكت زيد بن حارثة فسأل رسول الله ﷺ أن تهب له زيداً ، وذلك بعد أن تزوجها فوهبته له ، فأعتقه رسول الله ﷺ .

وكان أبو كبشة من مولدي مكة فأعتقه .

وكان أَنَسة من مولدي السَّراة فأعتقه .

وكان صالح[1] وهو شقران[2] غلاماً له فأعتقه .

وكان سفينة غلاماً له فأعتقه .

وكان ثوبان رجلاً من أهل اليمن ، ابتاعه رسول الله ﷺ بالمدينة فأعتقه ، وله ست إلى الثمان .

وكان رباح أسودَ فأعتقه .

وكان يسار نوبياً أصابه في غزوة بني عبد بن ثعلبة فأعتقه .

وكان أبو رافع للعباس ، فوهبه لرسول الله ﷺ ، فلما أسلم العباسُ بشَّر به رسولَ الله ﷺ فأعتقه واسمه أسلم .

وكان فضالة مولىً له نزل الشام بعد زمان .

وكان أبو مُويهبة مولداً من مولدي مزينة فأعتقه .

---

(١) في هامش الأصل كتب حرف « ط » .

(٢) تتكرر لفظتا «هو شقران » في هامش الأصل .

وكان رافع غلاماً لسعيد بن العاص فورثه ولده فأعتقه بعضُهم في الإسلام ، وتمسّك بعضٌ ، فجاء رافع إلى النبي ﷺ يستعين به على مَن لم يُعتقه حتى يعتقه ، فكلمه يومئذ فيه فوهبه له فأعتقه رسول الله ﷺ فكان يقول : أنا مولى رسول الله ﷺ .

وكان مِدعَم غلاماً للنبي ﷺ وهبه له رفاعة بن زيد الجذامي من مولدي حِسْمى قتل بوادي القُرى ، رُوي عن أبي هريرة أنه شهد خيبر ثم انصرف إلى وادي القرى فلم يزل يحط رحل [رسول الله ﷺ][1] بوادي القرى فجاءه سهم غرب[2] فقتله ، فقيل : هنيئاً له الشهادة فقال رسول الله ﷺ : كلا والذي نفسي بيده إن الشَّملة التي غلّ يوم خيبر تحترق عليه [٢٢٣] في النار .

قال : وكان كرْكرة غلاماً للنبي ﷺ أهداه له[3] .

كذا فيه ولا أعلم لكركرة رواية . ولكن له ذكر في حديث .

عن عبد الله بن عمرو قال :

كان على رحل ـ وقال مرة : على ثقل ـ للنبي ﷺ رجل يقال له : كركرة فمات ، قال : هو في النار . فنظروا فإذا عليه عباءة قد غلّها ، وقال مرة : أو كساء قد غلّه .

قال أبو عبد الله بن منده :

كركرة له صحبة ، ولا تعرف له رواية إلا أنه ذكر في حديث عمرو بن دينار عن سالم .

٢٣ ـ كَيْسان مولى النبي ﷺ

عن أم كلثوم بنت علي قالت :

قال رسول الله ﷺ لمولىً لنا يقال له كيسان ـ أو قالت هرمز ـ يا كيسان ، إن مولى القوم لَمِن أنفسهم ، وإنّا لا نأكل الصدقة ، فلا تأكلن .

---

(١) ما بين المعقوفتين غير واضح في الأصل بسبب التصوير أتممناه من ترجمة : « مدعم » .

(٢) سهمٌ غرْبٍ أو سهمٌ غربٌ ـ بفتح الراء وسكونها ـ لا يُعرف راميه . وسوف ترد روايه أخرى بلفظ « سهم عائر » والمعنى واحد . اللسان : « غرب ، عور » .

(٣) في هامش الأصل كتب حرف « ط » .

وفي رواية :

فلا تأكل الصدقة .

٢٤ ـ مابُورا القبطي الخصيّ ، مولى النبي ﷺ

رُوي عن مصعب قال :

أهدى المقوقس إلى رسول الله ﷺ خصيّاً يُقال له : مابورا . والمقوقس صاحب الإسكندرية من القبط .

٢٥ ـ مِدعَم من مولدي حَسْمى

عن أبي هريرة قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ عام خيبر . فلمْ نغنم ذهباً ولا وَرِقاً إلا الأموال والمتاع والثياب . فأهدى رجل من بني الضُبَيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً أسود ، يقال له : مِدعم فوجّه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى ، حتى إذا كانوا بوادي القرى . فبينا مِدْعم يحُط رحل رسول الله ﷺ إذ جاءه سهم عائر فقتله . فقال الناس : هنيئاً له الجنة ، فقال رسول الله [٢٢٤] ﷺ : كلا والذي نفسي بيده ، إن الشَّمْلة التي أخذها يوم خيبر من الغنائم لم تُصبها المقاسم لَتشتعل عليه ناراً . فلما سمعوا ذلك من رسول الله ﷺ جاء الرجل بشِراك أو شراكين إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : شراكٌ من نارٍ أو شراكان من نار .

وفي حديث آخر عن أبي هريرة :

ومع رسول الله ﷺ عبدٌ له وهبه رجل من بني جذام يُدعى رفاعة بن زيد . ولم يسمّه .

وفي حديث آخر :

ففزع الناس ، فجاء رجل بشِراك أو شراكين فقال : يا رسول الله ، أصبت هذا يوم خيبر . فقال رسول الله ﷺ : شراك من نار أو شراكان من نار .

٢٦ ـ مَهران مولى النبي ﷺ

عن عطاء بن السائب قال :

أوصى إليّ رجل بوصية من الزكاة أو الصدقة فأتيت أم كلثوم بنت علي فقالت : أحذّر شبابنا أن يأخذوا منها شيئاً . فإنه حدثني ميون ـ أو مهران ـ أنّه مر على رسول الله ﷺ فقال : يا ميون ـ أو يا مهران ـ إنا قوم نُهينا عن الصدقة ، وإنّ موالينا من أنفسنا فلا تأخذن من الصدقة .

وروي أيضاً في غير شكّ قال : وقالت :

حدثني مولى للنبي ﷺ يقال له : مَهران أن النبي ﷺ قال : إنّا آل محمد لا تحلّ له الصدقة ، ومَولى القوم من أنفسهم .

٢٧ ـ ميمون مولى النبي ﷺ

عن عطاء بن السائب قال : حدثتني أم كلثوم بنة علي قال :

أتيتها بصدقة وكانت أُمِرَتها قالت : أحذّر شبابنا ، فإن ميمون ـ أو مهران ـ مولى النبي ﷺ أخبرني أنه مرّ على النبي ﷺ فقال له : يا ميمون ـ أو يا مهران ـ إنا أهل بيتٍ نُهينا عن الصدقة ، وإن موالينا من أنفسنا ، فلا تأكل الصدقة .

٢٨ ـ نافع مولى رسول الله ﷺ

عن نافع مولى رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ [٢٢٥] يقول :

لا يدخل الجنة شيخ زانٍ ، ولا مسكين مستكبر ، ولا منّان بعمله على الله عزّ وجلّ .

٢٩ ـ نُفَيع ويقال مَسْروح . أبو بكرة

مولى ثقيف ، تدلى إلى رسول الله ﷺ في حصار الطائف في بكرة ، فكنّاه أبا بكرة ، وأعتقه فكان من مواليه . نذكره في حرف النون .

٣٠ ـ واقد ويقال له : أبو واقد مولى النبي ﷺ

عن واقد مولى النبي ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :

من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلّت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن ، ومن عصى الله فلم يذكره ، وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن .

وقد رُوي هذا الحديث أيضاً عن أبي واقد ، وقيل (1)في موضع آخر(1) واقد مولى رسول الله ﷺ . روى عن النبي ﷺ . وذكر الحديث .

٣١ ـ هرمز أبو كيسان ، مولى رسول الله ﷺ

عن فاطمة بنت علي أو أم كلثوم بنت علي قالت : سمعت مولىً لنا ، يقال له هرمز ، يكنى أبا كيسان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

إنا أهل بيت لا تحل لنا الصدقة ، وإن موالينا من أنفسنا . فلا تأكلوا الصدقة .

وعن معاوية بن قُرّة قال :

شهد بدراً عشرون مملوكاً ، منهم مملوك للنبي ﷺ يقال له هرمز ، فأعتقه النبي ﷺ وقال : إن الله تبارك وتعالى قد أعتقك . وإن مولى القوم منهم ، وإنا أهل بيت نُبتلى بأكل الصدقة . فلا تأكلها .

٣٢ ـ هشام مولى رسول الله ﷺ

عن هشام مولى رسول الله ﷺ قال :

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن امرأتي لا تدفع يد لامس . قال : طلّقها ، قال : إنها تعجبني . قال : فتمتع بها .

٣٣ ـ يسار مولى النبي ﷺ

عن يعقوب بن عتبة قال :

خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى قرارة الكُدْر [٢٢٦] وكان الذي هاجه على ذلك أنه بلغه أن بها جمعاً من غطفان وسُليم . فسار رسول الله ﷺ إليهم وأخذ عليهم الطريق ، حتى جاء فرأى آثار النَّعَم ومواردها ، ولم يجد في المحالّ أحداً ، فأرسل في أعلى الوادي نفراً من أصحابه ، واستقبلهم رسول الله ﷺ في بطن الوادي ، فوجد رعاء فيهم غلام يقال له : يسار ، فسألهم عن الناس ، فقال يسار : لا عِلْم لي بهم وإنما أورِد لخمس ، وهذا يوم ربعي ، والناس قد ارتفعوا إلى المياه ، وإنما نحن عُزّاب في النَّعَم(2) فانصرف رسول الله ﷺ وقد ظفر

(1-1) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل مقروناً بلفظة « صح » .

(2) عزب الرجل بإبله : إذا رعاها بعيداً من الدار التي حلّ بها الحيّ . اللسان : « عزب » .

بالنعم . فانحدر إلى المدينة ، حتى إذا صلى الصبح إذا هو بيسار فرآه يصلي ، فأمر القوم أن يقتسموا غنائمهم فقال القوم : يا رسول الله ، إن أقوى لنا أن نسوق النعم جميعاً ، فإن فينا من يضعُف عن حظ الذي يصير له ، فقال رسول الله ﷺ : اقتسموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إن كان أغنى بك العبد الذي رأيته يصلي فنحن نعطيكه في سهمك . فقال رسول الله ﷺ : قد طبتم به نفساً ؟ قالوا : نعم . قال : فقبله رسول الله ﷺ وأعتقه . وارتحل الناس . فقدم رسول الله ﷺ ، واقتسموا غنائمهم . فأصاب كل رجل منهم سبعة أبعرة ، وكان القوم مئتين ويسار هو الذي قتله العُرَنيّون[1] .

٣٤ ـ أبو الحمراء واسمه هلال بن الحارث السلمي

أصابه سِباء . خدم النبي ﷺ .

قال أبو الحمراء :

رابطتُ المدينة سبعة أشهر كيوم فكان رسول الله ﷺ يأتي باب علي وفاطمة كل غداة فيقول : الصلاة الصلاة ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[2] .

وعن أبي الحمراء قال :

مرّ النبي ﷺ برجل عنده طعام في وعاء ، فأدخل يده فيه فقال : [٢٢٧] غَشَشْتَه . من غشّنا فليس منا .

قال يحيى بن معين :

أبو الحمراء صاحب رسول الله ﷺ . اسمه هلال بن الحارث . وكان يكون بحمص . قال يحيى : وقد رأيت بها غلاماً من ولده .

وقال عمرو بن إسحاق بن إبراهيم :

إن اسم أبي الحمراء : هلال بن الحارث بن ظفر السلمي . منزله خارج حمص .

---

(١) هم رهط ارتدوا فقتلهم النبي ﷺ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ / ٣٣

٣٥ ـ أبو سَلمى راعي النبي ﷺ ، ويقال : أبو سلام ، واسمه حُريث

وعداده في الشاميين .

عن أبي سلمى راعي رسول الله ﷺ قال : سمعت النبي ﷺ يقول :

من لقي الله يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وآمن بالبعث والحساب دخل الجنة . قلنا : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ فأدخل اصبعيه في أذنيه ثم قال : أنا سمعت هذا منه غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع .

٣٦ ـ أبو صَفية مولى النبي ﷺ

روى أبو كعب عن جده بقيّة عن أبي صفية مولى النبي ﷺ :

أنه كان يوضع له نِطع ويُجاء بزَبيل[1] ، فيتغمى[2] فيسبّح به إلى نصف النهار ، ثم يرفع ، فإذا صلى الأولى يسبّح حتى يمسي .

٣٧ ـ أبو ضُميرة ، والد ضُميرة وزوج أم ضُميرة مولى النبي ﷺ

حدث حسين بن عبد الله بن أبي ضميرة

أن الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لأبي ضُميرة : بسم الله الرحمن الرحيم : كتابٌ من محمد رسول الله لأبي ضُميرة وأهل بيته أنهم كانوا أهل بيت من العرب ، وكانوا مما أفاء الله على رسوله ، فأعتقهم رسول الله ﷺ ، ثم خيّر أبا ضُميرة ، إن أحب أن يلحق بقومه فقد أذن له رسول الله ﷺ ، وإن أحب أن يمكث مع رسول الله ﷺ ، فيكونون من أهل بيته فاختار اللهَ ورسولَه ، ودخل في الإسلام ، فلا يعرض لهم أحد إلا بخير . ومَن لقِيهم من المسلمين فليستوصِ بهم خيراً . وكتب أبَيّ بن كعب .

قال [٢٢٨] إسماعيل بن أبي أويس :

وهو مولى رسول الله ﷺ ، وهو أحد حِمْير ، وخرج قوم منهم في سفر ومعهم هذا الكتاب . فعرض لهم اللصوص ، فأخذوا ما معهم . فأخرجوا هذا الكتاب إليهم ، وأعلموهم ما فيه فقرؤوه ، فردوا عليهم ما أخذوا منهم ، ولم يعرضوا لهم .

---

(١) الزَّبيل : الجراب . اللسان : « زبل » .

(٢) التغمية : التغطية . اللسان : « غما » .

ووفد حسين بن عبد الله بن ضُميرة إلى المهدي أمير المؤمنين ، وجاءه معه بكتابهم هذا فأخذه المهدي فوضعه على بصره ، وأعطى حسيناً ثلاث مئة دينار .

٣٨ ـ أبو عُبيد ، مولى رسول الله ﷺ

عن أبي عُبيد

أنه طبخ لرسول الله ﷺ قدراً فيها لحم فقال رسول الله ﷺ : ناولني ذراعها ، فناولته ، فقال : ناولني ذراعها ، فناولته فقال : ناولني ذراعها ، فناولته ، فقال ناولني ذراعها فقال : يا نبي الله ، كم للشاة من ذراع ؟ ! قال : والذي نفسي بيده لو سكتّ لأعطيتني ذراعاً ما دعوتٌ به .

٣٩ ـ أبو عسيب[1] مولى رسول الله ﷺ

عن أبي عسيب مولى رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ قال :

أتاني جبريل عليه السلام بالحمى والطاعون ، فأمسكت الحمى بالمدينة ، وأرسلت الطاعون إلى الشام . فالطاعون شهادة لأمتي ورحمة لهم ، ورجس على الكافر .

وعنه قال :

خرج رسول الله ﷺ ليلاً ، فمرّ بي فدعاني فخرجت إليه ، ثم مرّ بأبي بكر فدعاه ، فخرج إليه ، ثم مرّ بعمر فدعاه فخرج إليه ، ثم انطلق يمشي حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار فقال رسول الله ﷺ لصاحب الحائط : أطعمنا بُسْراً ، فجاء به فوضعه فأكل رسول الله ﷺ وأكلوا جميعاً ، ثم دعا بماء فشرب منه ثم قال : إن هذا النعيم ، لَتُسألُنّ يوم القيامة عن هذا ، فأخذ عمر العَذْق فضرب به الأرض حتى تناثر البُسر ثم قال : يا نبي الله ، إنا لمسؤولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال : نعم ، إلا من ثلاثة : خِرْقة يستّر بها الرجل عورته ، أو كِسرة يسُد [٢٢٩] بها جَوْعته ، أو جُحر يدخل فيه ، يعني من الحَرّ والقُرّ .

وعن أبي عسيب أو أبي عسيم قال بَهز :

إنه شهد الصلاة على رسول الله ﷺ قالوا : كيف نصلي عليه قال : ادخلوا أرسالاً

---

(١) انظر الخلاف في كنيته : الإصابة ٤ / ١٣٤

أرسالاً . قال : فكانوا يدخلون من هذا الباب ، فيصلون عليه ، ثم يخرجون من الباب الآخر . قال : فلما وُضع في لَحْده ﷺ قال المغيرة : قد بقي من رجليه شيء لم تصلحوه . قالوا : فادخل فأصلِحْه ، فدخل وأدخل يده فمسّ قدميه فقال : أهيلوا عليَّ التراب ، فأهالوا عليه ، حتى بلغ أنصاف ساقيه ثم خرج فكان يقول : أنا أحدثكم عهداً برسول الله ﷺ .

وعن ميمونة بنت أبي عسيب قالت :

كان أبو عسيب يواصل بين ثلاث في الصيام . وكان يصلي الضُحى قائماً فعجز . فكان يصلي قاعداً . وكان يصوم البيض . قالت : وكان في المَرِيرة[1] جُلجُل فيعجز صوته حتى يناديها به ، فإذا حرّكه جاءت .

٤٠ ـ أبو كبشة يقال : اسمه سليم مولى رسول الله ﷺ

شهد معه بدراً . وكان من مولّدي أرض دوس .

قال عمران بن مَنّاح :

لما هاجر أبو كبشة مولى رسول الله ﷺ إلى المدينة نزل على كلثوم بن الهِدْم ، وقيل نزل على سعد بن خيثمة .

قال محمد بن عمر :

شهد أبو كبشة مع رسول الله ﷺ بدراً وأحداً والمشاهد كلها . وتوفي أول يوم استُخلف فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وذلك يوم الثلاثاء لثمان ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

وفي رواية المفضّل :

توفي في ولاية عمر بن الخطاب .

وقيل

توفي سنة ثلاث وعشرين .

---

(١) المريرة : الحبل الشديد الفتل . اللسان : « مرر » .

٤١ ـ أبو مُوَيْهبة مولى رسول الله ﷺ

شهد المُرَيْسيع مع رسول الله ﷺ وكان يقود بعائشة رضي الله عنها بعيرَها .

روى أبو مويهبة قال :

أهبّني رسول الله ﷺ من الليل فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أُمرت أن [٢٣٠] أستغفر لأهل هذا البقيع . فخرجت معه ، حتى أتينا البقيع ، فرفع يديه فاستغفر لهم طويلاً ، ثم قال : لِيَهْنِ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه . أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرُها أولَها ، والآخرة شرّ من الأولى ، يا أبا مُوَيْهبة ، إني قد أعطيت مفاتيح خزائن الدنيا والخُلد فيها ثم الجنة فخُيِّرتُ بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة . فقلت : يا رسول الله ﷺ ، بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة ، فقال : والله ، يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي عزّ وجلّ ثم الجنة وانصرف رسول الله ﷺ ، فلما أصبح ابتدأ وجعه الذي قبضه الله عزّ وجلّ فيه .

إماؤه ﷺ

١ ـ بركة : وتكنى أم أيمن

وهي حاضنته .

عن أنس بن مالك قال :

قال أبو بكر بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن ، نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها . فلما انتهينا إليها بكت . فقالوا لها : ما يبكيك ؟ ما عند الله خيرٌ لرسوله ﷺ . قال : فقالت : ما أبكي ألاّ أكون أعلم أنّ ما عند الله خير لرسوله ﷺ ، ولكن أبكي أن الوحي انقطع من السماء .

وفي رواية

فهيَّجتهما على البكاء فجعلا يبكيان معها .

وعن ابن شهاب قال :

لما مات النبي ﷺ بكت أم أيمن ، وهي أم أسامة بن زيد فقيل لها : ما يبكيك ؟ فقالت : انقطع عنا خبرُ السماء . فلما مات عمر قالت : اليوم وهى الإسلام .

وعن أم أيمن قالت :

كان لرسول الله ﷺ فخارة يبول فيها ، فكان إذا أصبح يقول : يا أم أيمن صُبّي ما في الفخارة . فقمت ليلة وأنا عطشى فغلطت فشربت ما فيها ، فقال النبي ﷺ : يا أم أيمن ، صُبّي ما في الفخارة فقلت : يا رسول الله ، قمت وأنا عطشى ، فشربت ما فيها . فقال : إنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا .

[٢٣١] حدث الواقدي عن أصحابه المدنيين قالوا :

نظرت أم أيمن إلى النبي ﷺ وهو يشرب فقالت : يا رسول الله ، اسقني فقالت

عائشة : يا أم أيمن ، أتقولين هذا لرسول الله ﷺ ؟ ! قالت : ما خدمته أطولَ . فقال رسول الله ﷺ : صدقتِ ، فجاء بالماء فسقاها .

قال عثمان بن القاسم :

لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الرَّوحاء . قال : وهي صائمة ، قال : وأصابها عطشٌ شديد حتى جهدها . قال : فدُلّي عليها دلو من السماء برشاء أبيض ، فيه ماء . قالت : فشربتُ ، فما أصابني عطش بعدُ ، وقد تعرضتُ للعطش بالصوم وفي الهواجر ، فما عطشت بعدُ .

وعن شقيق بن عقبة قال :

كانت أم أيمن تلطُف للنبي ﷺ ، وتقوم عليه فقال رسول الله ﷺ : من سرَّهُ أن يتزوج امرأة من أهل الجنة فليتزوج أم أيمن ، فتزوجها زيد بن حارثة ، فولدت له أسامة بن زيد .

قال ابن شهاب :

كانت أم أيمن تحضن النبي ﷺ حتى كبر ، فأعتقها ، ثم أنكحها زيد بن حارثة ، ثم توفيت بعد النبي ﷺ بخمسة أشهر . وقيل : إنها بقيت بعد قتل عمر بن الخطاب .

قال الواقدي :

كانت أم أيمن اسمها بركة ، وكانت لعبد الله بن عبد المطلب ، وصارت للنبي ﷺ ميراثاً ، وهي أم أسامة بن زيد فأعتقها ، وكان زيد بن حارثة لخديجة فاستوهبه رسول الله ﷺ من خديجة .

وقيل : كان النبي ﷺ يقول :

أم أيمن أمي بعد أمي .

وقيل :

كان رسول الله ﷺ يقول لأم أيمن : يا أمّه . وكان إذا نظر إليها قال : هذه بقية أهل بيتي .

٢ ـ خضرة مولاة النبي ﷺ

روى عبد الله بن علي بن أبي رافع عن جدته سلمى قالت :

كان خَدَمَ رسول الله ﷺ أنا ، وخضرة ، ورضوى ، وميمونة بنت سعد . أعتقهن رسول الله ﷺ كلهن .

٣ ـ رزينة مولاة النبي ﷺ

[٢٣٢] والصحيح أنها كانت لصفيّة بنت حُيَيّ زوج النبي ﷺ ، وكانت تخدم النبي ﷺ .

عن رزينة مولاة رسول الله ﷺ

أن النبي ﷺ سبى صفية يوم قريظة والنضير حين فتح الله عليه ، فجاء بها يقودها سبية . فلما رأت النساء قالت : أشهد أن لاإله إلا الله وأنك رسول الله فأرسلها . وكان ذراعها في يده ، فأعتقها ثم خطبها ، وتزوجها ، وأمهرها رزينة .

قال أبو عبد الله بن منده :

رزينة مولاة صفية زوج النبي ﷺ : ابنتها أمة الله . ولها صحبة .

٤ ـ رَضوى مولاة رسول النبي ﷺ

قال محمد بن عمر :

قالت امرأة أبي رافع : كنّا نخدم رسول الله ﷺ أنا واسمي سلمى ، وخضرة ، ورَضوى ـ كنّ إماءً له فأعتقهن ـ وميمونة بنت سعد .

٥ ـ سَلمى وهي أم رافع مولاة النبي ﷺ

وكانت تخدمه ﷺ .

عن سلمى أنها قالت :

صنعت للنبي ﷺ حريرة فقربتها يأكلها . ومعه ناس من أصحابه ، فبقي منها قليل . فمرّ بالنبي ﷺ أعرابي ، فدعاه النبي ﷺ ، فأخذها الأعرابي كلّها بيده ، فقال له

النبي ﷺ : ضعها فوضعها ، وقال له : قل بسم الله ، وخذ من أدناها . قالت : فشبع منها ، وفضلت فضلة .

وعن عائشة قالت :

جاءت سَلمى مولاة رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ تستعدي على زوجها أبي رافع مولى رسول الله ﷺ . زعمت أنه ضربها ، فقال النبي ﷺ : يا أبا رافع ، لم ضربتها ؟ قال : إنها تؤذيني . قال : يا سلمى ، بم آذيته؟ قالت : والله ما آذيته بشيء إلا أنه قام يصلّي فضرط في الصلاة فقلت : إن رسول الله ﷺ قد [كان][1] أمر المسلمين : إذا خرج منهم الريح أن يتوضؤوا ، فضحك النبي ﷺ وقال : يا أبا رافع ، إنها أمرتك بخير .

وعن أم رافع مولاة رسول الله ﷺ [٢٣٣] قالت :

لم يكن يُصيب رسول الله ﷺ قرحة ولا نكبة[2] إلا وضع عليه الحناء .

قال مصعب :

شهدت سَلمى خيبر ، وولدت عُبيد الله بن أبي رافع .

٦ ـ شيرين أخت مارية القبطية

خالة إبراهيم بن النبي ﷺ . أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية للنبي ﷺ ، فوهبها لحسان بن ثابت .

عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال :

كان رسول الله ﷺ يُعجب بمارية القبطية . وكانت بيضاء ، جعدة ، جميلة ، فأنزلها رسول الله ﷺ وأختها على أم سليم بنت ملحان ، فدخل عليها رسول الله ﷺ ، فعرض عليها الإسلام ، فأسلمتا هناك ، فوطئ مارية بالملك ، وحوّلها إلى مال له بالعالية ، كان من أموال بني النضير ، فكانت فيه في الصيف ، وفي خَرافة النخل ، فكان يأتيها هناك . وكانت حسنة الدين . ووهب أختها سيرين لحسان بن ثابت الشاعر ، فولدت له عبد الرحمن .

---

(١) اللفظة لا تتضح في الأصل .

(٢) النكبة : أن ينكبه الحجر أي يناله . اللسان : « نكب » .

وولدت مارية لرسول الله ﷺ غلاماً فسماه إبراهيم ، وعقّ رسول الله ﷺ بشاة يوم سابعه ، وحلق رأسه فتصدق بزِنَة شعره فضة على المساكين ، وأمر بشعره فدفن في الأرض ، وسماه إبراهيم ، وكانت قابلتها سَلمى مولاة النبي ﷺ ، وغار نساءٌ لرسول الله ﷺ ، واشتد عليهنّ حين رُزق منها الولد .

وعن عائشة في حديث الإفك بطوله . قالت فيه :

وقعد صفوان بن المعطِّل لحسان بن ثابت ، فضربه ضربة ، فقال صفوان لحسان في الشعر حين ضربه . [الطويل]

تلَقَّ ذُبابَ السيفِ مني فإنني ... غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ[1]
ولكنّني أحمي حماايَ وأتقي ... من الباهتِ الرامي البَراءَ الطَّواهرِ

فصاح حسان واستغاث الناسَ على صفوان ، فلما جاء الناس فرّ صفوان ، وجاء حسان إلى النبي ﷺ فاستعداه على صفوان في ضربه إياه بالسيف ، فسأله [٢٣٤] النبي ﷺ أن يهب له ضربَة صفوانَ إياه ، فوهبه للنبي ﷺ فعاضه منها حائطاً من نخل عظيم ، وجارية قبطية تدعى شيرين ، فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن الشاعر .

٧ ـ ميمونة بنت سعد مولاة النبي ﷺ .

عن ميمونة قالت :

سئل رسول الله ﷺ عن عتق ولد الزنى فقال : لأن أجهّز نعلين في سبيل الله أحبُّ إليّ من أن أعتق ولد زنى .

قالت :

وسئل النبي ﷺ عن رجلٍ قبّل امرأته وهما صائمان فقال : قد أفطرا .

وفي رواية :

سئل عن ولد الزنى . قال : لا خير فيه . نعلان أجاهدُ بهما في سبيل الله أحبُّ إليّ من أن أعتق ولد الزنى .

---

(١) البيت الأول في سيرة ابن هشام ٣ / ٣١٨

وعن ميمونة بنت سعد وكانت تخدم النبي ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ :

الرافلة في الزينة في غير أهلها كالظلمة يوم القيامة لا نور لها .

وعن ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت :

يا نبيّ الله أفْتِنا في بيت المقدس فقال : أرضُ المنشر والمحشر ، ائتوه فصلُّوا فيه ، فإنّ صلاةً فيه كألف صلاة . قالت : أرأيت من لم يطق أن يتحمل إليه ، أو يأتيه ؟ قال : فليهد إليه زيتاً يسرج فيه ، فإنه من أهدى له كان كمن صلّى فيه .

٨ ـ أم ضُميرة زوج أبي ضُمَيرة مولاة رسول الله ﷺ

تقدم ذكرها في ترجمة ابنها ضميرة .

٩ ـ أم عياش خادم النبي ﷺ

حدثت أم عياش ـ وكانت خادم النبي ﷺ ـ بعث بها مع ابنته إلى عثمان قالت :

كنت أمْغث[1] ـ يعني لعثمان ـ التمر غدوة فيشربُه عشيّة ، وأنبذه عشية فيشربه غدوة ، فسألني ذات يوم فقال : تخلطين منه شيئاً ؟ قلت : أجل . قال : فلا تعودي .

(١) أصل المغث : الدَّلْك بالأصابع . اللسان « مغث » .

خدمه ﷺ

١ ـ أنس بن مالك ، أبو حمزة الأنصاري

يأتي ذكره إن شاء الله .

٢ ـ الأسلع بن شريك بن عوف الأعرجي

ويقال : اسم الأسلع ميمون بن [٢٣٥] سنباذ .

عن الأسلع قال :

كنت أخدم النبي ﷺ وأرحّل له[١] ، فقال ذات ليلة : يا أسلع ، قم فارحَل . قال : قلت : أصابتني جنابة يا رسول الله ، قال : فسكت ساعة ، وأتاه جبريل بآية الصعيد . قال : فتمسحت وصليت . فلما انتهيت إلى الماء قال : يا أسلع ، قم فاغتسل ، وضرب رسول الله ﷺ يديه إلى الأرض ثم نفضهما ثم مسح بهما وجهه ثم ضرب بيديه إلى الأرض ثم نفضهما فمسح بهما ذراعيه باليمنى على اليسرى ، وباليسرى على اليمنى ظاهرهما وباطنهما .

قال الربيع :

وأراني أبي[٢] كما أراه أبوه ، كما أراه الأسلع كما أراه رسول الله ﷺ . قال الربيع : فحدثت بهذا الحديث عوف بن أبي جميلة[٣] فقال : هكذا والله رأيت الحسن يصنع .

---

(١) رحل البعيرَ وارتحله : جعل عليه الرَّحْل . اللسان : « رحل » .

(٢) اللفظة مستدركة في هامش الأصل . وبعدها « صح » .

(٣) كذا في الأصل ، وانظر الخلاف في كنيته الإكمال ٢ / ١٣٠

٣ ـ ٤ ـ أسماء بن حارثة الأسلمي . أخو هند بن حارثة

وكانا يخدمان النبي ﷺ .

عن يحيى بن هند بن حارثة ـ وكان هند من أصحاب الحديبية ، وأخوه الذي بعثه رسول الله ﷺ يأمر قومه بالصيام يوم عاشوراء ، وهو أسماء بن حارثة ـ فحدث يحيى بن هند عن أسماء بن حارثة

أن رسول الله ﷺ بعثه فقال : مُرْ قومك بصيام هذا اليوم . قال : أرأيت إن وجدتَهم قد طعِموا ؟ قال : فليُتِمّوا آخرَ يومهم .

وعن حبيب بن هند بن أسماء الأسلمي عن أبيه هند قال :

بعثني رسول الله ﷺ إلى قوم من أسلم فقال : مُرْ قومك فليصوموا هذا اليوم ، يوم عاشوراء ، ومَن وجدتَ منهم أكل في أول يومه فليصم آخره .

وفي كتاب محمد بنَ سعد :

أسماء بن حارثة بن سعيد بن عبد الله بن عباد[1] بن سعد بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى . صحب النبي ﷺ ، وكان من أهل الصفّة . وتوفي سنة ست وستين بالبصرة . وهو يومئذ ابن ثمانين سنة .

وعن أبي هريرة قال :

ما كنت أظن هنداً وأسماء ابني حارثة الأسْلَمِيَّيْن إلا مملوكَيْن لرسول الله ﷺ .

قال محمد بن عمر :

كانا يخدمانه ، لا يريمان بابه هما وأنس بن مالك .

٥ ـ بلال بن رباح المؤذن [٢٣٦] أبو عبد الله مولى أبي بكر الصديق

كان يخدم النبي ﷺ . وسنذكره أيضاً في حرف الباء .

قال عبد الله الهَوْزَني :

لقيت بلالاً مؤذن رسول الله ﷺ فقلت : يا بلال ، حدثني كيف كانت نفقة رسول

---

(١) كذا في الأصل . وفي جمهرة أنساب العرب ٢٤٢ : عتاب ، وفي الإصابة ١ / ٣٩ : غياث . وصنفه ابن ماكولا ٦ / ١٣٥ في باب المختلف فيه بين عتاب وغياث .

الله ﷺ ، فقال : ما كان له شيء . كنت أنا الذي ألي ذاك منه ، منذ بعثه الله حتى توفي ﷺ ، وكان إذا أتاه الإنسان المنثلم فرآه عارياً يأمرني به . فأنطلق ، فأستقرض فأشتري البردة وأكسوه وأطعمه ، حتى اعترضني رجل من المشركين فقال لي : يا بلال ، إن عندي سَعة فلا تستقرض من أحدٍ إلا مني ، ففعلت . فلما كان ذات يوم توضأت ثم قمت أؤذن بالصلاة ، فإذا المشرك قد أقبل في عصابة من التجار . فلما رآني قال : يا حبشي ، قلت : يا لبيك ، فتجهمني وقال لي قولاً عظيماً ، فقال : أتدري كم بينك وبين الشهر ؟ قلت : قريب ، قال : إنما بينك وبينه أربع ، وآخذك بالذي لي عليك ، فإني لم أعطك الذي أعطيتك من كرامتك ولا كرامة صاحبك عليّ ، ولكن إنما أعطيتك لأتخذك عبداً ، فأردّك ترعى الغنم كما كنت ترعى قبل ذلك . فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس الناس . فانطلقت ، فأذنت بالصلاة ، حتى إذا صليت العتمة رجع رسول الله ﷺ إلى أهله فاستأذنت عليه فأذن لي فقلت : يا رسول الله ، إن المشرك الذي كنت ادّنتُ منه قال لي كذا وكذا ، وليس عندك ما تقضي عني ، وليس عندي ، وهو فاضحي فائذن لي فآبق إلى بعض هؤلاء الأحياء الذين قد أسلموا حتى يرزق الله رسوله ﷺ ما يقضي عني .

فخرجتُ حتى أتيت منزلي ، فجعلت سيفي وحرابي ومجنّي ونعلي عند رأسي ، واستقبلت بوجهي الأفق . فكلما نمت ساعة انتبهت ، فإذا رأيت عليّ ليلاً نمتُ حتى انشقّ عمود الصبح الأول ، فأردت أن أنطلق فإذا إنسان يسعى يدعو : [٢٣٧] يا بلال ، أجب رسول الله ﷺ فانطلقت حتى أتيته فإذا أربع ، وكانت مناخات ، عليهنّ أحمالهنّ ، فأتيت رسول الله ﷺ فاستأذنت ، فقال لي رسول الله ﷺ : أبشِر فقد جاءك الله بقضائك ، فحمِدت الله . وقال : ألم تمرّ على الركائب المناخات الأربع ؟ قلت : بلى ، قال : فإن لك رقابَهنّ ، وما عليهنّ ، فإن عليهنّ كسوةً وطعاماً ، أهداهنّ لي عظيم فَدَك ، فاقْبضهنّ ثم اقض دينك ، ففعلت ، فحططت عنهنّ أحمالهنّ ثم عَلَفْتُهنّ ، ثم قُمت إلى تأذيني لصلاة الصبح ، حتى إذا صلّى رسول الله ﷺ خرجت إلى البقيع ، فجعلت أصبعيّ في أذني فأذنت فقلت : من كان يطلب رسول الله بدَيْن فليحضر ، فما زلت أبيع وأقضي حتى لم يبق على رسول الله ﷺ دين في الأرض ، حتى فضل في يدي أوقيتين أو أوقية ونصف ، ثم انطلقت إلى المسجد ، وقد ذهب عامة النهار وإذا رسول الله ﷺ قاعد في المسجد وحده فسلّمت عليه ، فقال لي : ما فعل ما قبلك ؟ قلت : قضى الله كل شيء كان على رسول الله ﷺ فلم

يبق شيء . فقال : أفَضَل شيء ؟ فقلت : نعم . فقال : أنظر أن تريحني منها ، فإني لست داخلاً على أحد من أهلي حتى تريحني منه . فلم يأتنا أحد حتى أمسينا ، فلما صلى رسول الله ﷺ العتمة دعاني فقال : ما فعل ما قبلك ؟ قلت : معي ، لم يأتنا أحد . فبات رسول الله ﷺ في المسجد حتى أصبح ، وظل فيه اليوم الثاني حتى إذا كان آخر النهار جاء راكبان ، فانطلقت بهما . فأطعمتهما وكسوتهما ، حتى إذا صلى العتمة دعاني فقال لي : ما فعل الذي قبلك ؟ قلت : قد أراحك الله منه يا رسول الله ، فكبر وحَمد الله ، شفَقاً من أن يُدركه الموت وعنده ذلك . ثم اتبعته حتى جاء أزواجه ، فسلم على امرأة امرأة حتى أتى مبيته ، فهو الذي سألتني عنه .

٦ - بُكير بن شدّاخ الليثي . ويقال بكْر

عن عبد الملك بن يعلى الليثي

أن بَكْر بن شدّاخ الليثي [٢٣٨] وكان ممن يخدم النبي ﷺ ، وهو غلام . فلما احتلم جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إني كنت أدخل على أهلك ، وقد بلغتُ مبلغ الرجال ، فقال النبي ﷺ : اللهم ، صدّق قوله ، وَلَقِّه الظفر ، فلما كان في ولاية عمر جاء وقد قتل يهودياً فأعظم ذلك عمر وجزع وصعد المنبر قال : أفيا ولاّني الله واستخلفني يقتل الرجال ؟! أذكّر اللهَ رجلاً كان عنده علم إلا أعلمني ، فقام إليه بكير بن شداخ فقال : أنا به ، فقال : الله أكبر بُؤْتَ بدمه ، فهاتِ المخرج . قال : بلى . خرج فلان غازياً ووكلني بأهله ، فجئت إلى بابه فوجدت هذا اليهودي في منزله وهو يقول : [الوافر]

وأشعثَ غرّه الإسلامُ منّي ... خَلَوْتُ بعرسِه ليلَ التّمام(١)
أبيتُ على ترائبها وتُمسِي ... على قَوْدِ الأعنّةِ والحزامِ
كأنّ مجامِعَ الرَّبَلاتِ(٢) منْها ... فِئامٌ ينظرون إلى فِئامِ

قال : فصدّق عمر قولَه ، وأبطل دمه بدعاء النبي ﷺ .

---

(١) البيت الأول في جمهرة أنساب العرب ١٨١ . والبيت الثالث في اللسان « ربل ، فأم » .

(٢) الرُّبْلة والرَّبَلة : باطن الفخذ .

٧ ـ ذو مَخْمر ويقال : ذو مُخَيمر الحبشي

ابن أخي ـ ويقال : ابن أخت ـ النجاشي ملك الحبشة .

عن ذي مخمر ، وكان رجلاً من الحبشة يخدم النبي ﷺ قال :

كنا معه في سفر فأسرع السير حتى انصرف ، وكان يفعل ذلك لقلة الزاد فقال له قائل : يا رسول الله ، قد انقطع الناس قال : فحبس ، وحبس الناس معه حتى تكاملوا إليه فقال لهم : هل لكم أن نهجع هجعة ـ أو قال له قائل ـ ونزلوا فقال : من يكلؤنا الليلة ؟ فقلت : أنا جعلني الله فداك ، فأعطاني خطام ناقته وقال : هاك ، لا تكوننّ لكعاً قال : فأخذت بخطام ناقة رسول الله ﷺ ، وخطام ناقتي ، فتنحيت غير بعيد فخليت سبيلهما يرعيان ، فإني كذلك أنظر إليهما حتى أخذني النوم ، فلم أشعر بشيء حتى [٢٣٩] وجدت حرّ الشمس على وجهي ، فاستيقظت فنظرت يميناً وشمالاً فإذا أنا بالراحلتين مني غير بعيد ، فأخذت بخطام ناقة النبي ﷺ وخطام ناقتي ، فأتيت أدنى القوم فأيقظته فقلت له : أصلَّيْتَ ؟ قال : لا ، فأيقظ الناسُ بعضهم بعضاً حتى استيقظ النبي ﷺ فقال : يا بلال ، هل في الميضأة ماء ؟ ـ يعني في الإداوة ـ فقال : نعم ، جعلني الله فداك ، فأتاه بوضوء فتوضأ لم يلتّ[١] منه التراب فأمر بلالاً فأذّن ، ثم قام النبي ﷺ فصلى الركعتين قبل الصبح ، وهو غير عجل ، ثم أمره فأقام الصلاة ، فصلى وهو غير عجل ، فقال له قائل : يا نبيّ الله ، أفرّطنا ؟ قال : لا ، قبض الله أرواحنا وقد ردّها إلينا ، وقد صلّينا .

٨ ـ ربيعة بن كعب أبو فراس الأسلمي

كان يخدم النبي ﷺ .

عن ربيعة بن كعب قال :

كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع ، حتى يصلي رسول الله ﷺ عشاء الآخرة . فأجلس ببابه إذا دخل بيته ، أقول : لعله أن يحدث لرسول الله ﷺ حاجة ، فما أزال أسمع رسول الله ﷺ يقول : سبحان الله ، سبحان الله وبحمده ،

---

(١) لتّ : بلّ . اللسان : « لتّ » .

حتى أملّ فأرجع ، أو تغلبني عيني فأرقد . قال : فقال لي يوماً ، لما يرى من خفّتي له وخدمتي إياه : يا ربيعة ، سَلْني ، أعطك . قال : فقلت : أنظر في أمري يا رسول الله ثم أعلمك ذلك . قال : ففكرت في نفسي ، فعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة ، وإن لي فيها رزقاً سيكفيني ، ويأتيني . قال : فقلت : أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي فإنه مِن الله بالمنزل الذي هو به . قال : فجئته فقال : ما فعلت يا ربيعة ؟ قال : فقلت : نعم ، يا رسول الله ، أسألك أن تشفع لي إلى ربك ، فيعتقني من النار . قال : فقال : من أمرك بهذا يا ربيعة ؟ قال : فقلت : لا والذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ، ولكنك لمّا قلت : سلني أعطك ، وكنتَ من الله بالمنزل الذي أنتَ به نظرتُ في أمري ، فعرفت أن الدنيا منقطعة [٢٤٠] وزائلة ، وأن لي فيها رزقاً سيأتيني ، فقلت أسأل رسول الله ﷺ لآخرتي . قال : فصَمَتَ رسول الله ﷺ طويلاً ، ثم قال : إني فاعل ، فأعنّي على نفسك بكثرة السجود .

وعن ربيعة الأسلمي ـ وكان يخدم النبي ﷺ ـ قال :

فقال لي ذات يوم : يا ربيعة ، ألا تَزَوّج ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، ما أُحبّ أن يشغلني عن خدمتك شيء . قال : فسكت . قال : فلما كان بعدُ قال لي : يا ربيعة ، ألا تزوّج ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، ما أحب أن يشغلني عن خدمتك شيء ، وما عندي ما أعطي المرأة . قال : فقلت بعد : رسول الله ﷺ أعلم بما عندي مني . يَدعوني إلى التزويج . لئن دعاني هذه المرة لأجيبنّه . قالْ : فقال لي : يا ربيعة ، ألا تزوّج ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، ومَن يُزَوّجني ، وما عندي ما أعطي المرأة . قال : فقال لي : انطلق إلى بني فلان فقل لهم : إن رسول الله ﷺ يأمركم أن تُزوّجوني فتاتكم فلانة . قال : فأتيتهم فقلت : إن رسول الله ﷺ أرسلني إليكم لتزوجوني فتاتكم فلانة . قالوا : فلانة ؟. قالوا : مرحباً برسول الله ﷺ ومرحباً برسوله ، فزوّجوني . فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، أتيتك من خيرِ أهل بيت ، صدّقوني وزوّجوني فمن أين لي ما أعطي صَداقي ؟ فقال رسول الله ﷺ لبُريدة الأسلمي : يا بريدة ، اجمعوا لربيعة في صداقه وَزْنَ نواة من ذهب . قال : فجمعوها ، فأعطوني فأتيتهم فقبلوها ، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، قد قبلوا فمن أين لي ما أُولم ؟ قال : فقال : يا بريدة ، اجمعوا لربيعة في ثمن كبش . قال : فجمعوا . وقال لي : انطلق إلى عائشة فقل لها ، فلتدفع إليك ما عندها من الشعير ، قال : فأتيتها فدفعَت إلي . فانطلقت بالكبش والشعير ، فقالوا : أما

الشعير فنحن نكفيكه ، وأما الكبش فمُرْ أصحابك أن يذبحوه وعملوا الشعير ، فأصبح والله عندنا خبز ولحم .

ثم إن رسول الله ﷺ [٢٤١] أقطع أبا بكر أرضاً له فاختلفنا في عَذَق فقلت : هو في أرضي ، وقال أبو بكر : هو في أرضي فتنازعنا ، فقال لي أبو بكر كلمةً كرهتُها ، فندم فأخبرني فقال لي : قل لي كما قلتُ . قال : قلت : لا والله لا أقول لك كما قلت لي ، قال : إذاً آتي رسول الله ﷺ . قال : فأتى رسول الله ﷺ ، وتبعته ، فجاءني قومي يتبعوني فقالوا : هو الذي قال لك وهو يأتي رسول الله ﷺ فيشكو ! قال : فالتفتُ إليهم فقلتُ : تدرون من هذا ؟ هذا الصِّدِّيق وذو شيبة المسلمين . ارجعوا ، لا يلتفت فيراكم ، فيظن أنكم إنما جئتم لتُعينوني عليه ، فيغضب ، فيأتي رسول الله ﷺ فيخبره ، فيهلك ربيعة . قال : فأتى رسول الله ﷺ فقال : إني قلت لربيعة كلمةً كرِهها ، فقلت له يقول لي مثلما قلت له فأبى ، فقال رسول الله ﷺ : يا ربيعة ، ومالك وللصدِّيق ؟ قال : قلت : يا رسول الله ، لا والله لا أقول له كما قال لي . قال : أجل ، لا تقل له كما قال لك ، ولكن قل : غفر الله لك يا أبا بكر .

٩ ـ سَعْد مولى أبي بكر الصديق

كان يخدم النبي ﷺ وقيل إنه كان مولى له .

عن سَعْد قال :

قرّبتُ بين يدي رسول الله ﷺ تمراً ، فجعلوا يقرنون ، فنهى رسول الله ﷺ عن القِران .

وعن سَعْد مولى أبي بكر ـ وكان يخدم النبي ﷺ ، وكان يعجبه خدمته ـ فقال :

يا أبا بكر ، أعتق سعداً ، فقال : يا رسول الله ، ما لنا ماهن[1] غيره . قال : فقال رسول الله ﷺ : أعتق سعداً ، أتتك الرجال ، أتتك الرجال . قال أبو داود : يعني السبي .

---

(١) الماهن : العبد . وقيل الخادم . اللسان : « مهن » .

١٠ ـ عبد الله بن مسعود ، أبو عبد الرحمن الهذلي

كان يَلي طهور النبي ﷺ ، ويحمل نعليه ، ويَرْحَل راحلته . وسنذكره في حرف العين .

١١ ـ مهاجر مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ

كان يخدمه .

[٢٤٢] قال مُهَاجر مولى أم سلمة زوج النبي ﷺ :

خدمت النبي ﷺ عشر سنين أو خمس سنين لم يقل لشيء صنعتُه : لم صنعْتَه ؟ ولا لشيء تركتُه ؛ لم تركتَه ؟.

١٢ ـ أبو السَّمْح خادم النبي ﷺ

حدث أبو السمح قال :

كنت أخدم رسول الله ﷺ . كان إذا أراد أن يغتسل قال : ناولني إداوتي . قال : فناولته ، وأستره . فأتي بحسن ، أو حسين ، فبال على صدره ، فجئت لأغسِله . قال : يُغسَل من بول الجارية ، ويُرشُّ من بول الغلام .

كتّابه ﷺ

١ ـ أبان بن سعيد بن العاص الأموي

نذكره فيما بعد .

٢ ـ أُبيّ بن كعب

قال ابن أبي خيثمة :

كان أول من كتب لرسول الله ﷺ أبيّ بن كعب . فكان إذا لم يحضر أبيّ دعا زيد بن ثابت ، فكانا يكتبان له الوحي ، ويكتبان إلى مَنْ كاتبه من الناس ، وكان يكتب له عثمان بن عفان وخالد بن سعيد وأبان بن سعيد رضي الله عنهم .

قال محمد بن سعد :

وكان أُبيّ بن كعب يكتب في الجاهلية قبل الإسلام . وكانت الكتابة في العرب قليلة ، وكان يكتب في الإسلام الوحي لرسول الله ﷺ .

وكانوا يقولون :

أول من كتب لرسول الله ﷺ عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، ثم ارتد . فكتب له عثمان بن عفان ، وخالد وأبان ابنا سعيد بن العاص . وكتب له العلاء بن الحضرمي وشرحبيل بن حسنة . وكتب علي بن أبي طالب الموادعة في غزوة الحديبية . وكتب علي كتابَ أهل نجران .

٣ ـ أرقم بن أبي الأرقم المخزومي

عن عمرو بن حزم :

إن هذه قطائع أقطعها رسول الله ﷺ لهؤلاء القوم :

هذا كتابٌ من محمد [٢٤٣] رسول الله ﷺ لعُظَيم بن الحارث المحاربي أن له فخّاً[1] لا يُحاقّه فيها أحد . وكتب الأرقم : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لعُظَيم بن الحارث المحاربي أن له المَجْمَعة من رأس فخّ لا يُحاقّه فيها أحد . وكتب الأرقم .

عن إبراهيم بن المنذر قال :

والأرقم بن أبي الأرقم ـ اسم أبي الأرقم عبد مناف بن أسد بن جُندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يَقَظَة بن مرة بن كعب . وأمه أمية بنت عبد الحارث الخزاعية . وبقي الأرقم إلى عهد معاوية . ومات في سنة خمس وخمسين . وهو الذي كان رسول الله ﷺ مستخفياً في داره بأصل الصفا . آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبد الله بن أنيس ، وقد شهد بدراً . ولم يشهدها عبد الله بن أنيس .

وقال عثمان بن الأرقم :

توفي أبي الأرقم سنة ثلاث وخمسين ، وهو ابن خمس وثمانين سنة . ويكنى أبا عبد الله . وصلى عليه سعد بن أبي وقاص ، ودفن بالبقيع . كان رسول الله ﷺ حين تغيَّب من قريش تغيّب في داره . وهي التي تعرف بالخيزران عند الصفا .

روى عثمان بن أرقم عن أبيه ـ وكانت له صحبة ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الذي يتخَطّى رقاب الناس يوم الجمعة ، ويفرق بين الاثنين ـ والإمام يعني يخطب ـ كالجارّ قُصْبَه[2] في النار .

٤ ـ ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري

روى علي بن محمد المدائني بأسانيده عن شيوخه في وفود العرب على النبي ﷺ قالوا :

قدم عبد الله بن عَلَس الثّمالي ومُسْلية بن هزّان الحُدّاني على رسول الله ﷺ في رهط من قومها بعد فتح مكة ، فأسلموا ، وبايعوا على قومهم ، وكتب لهم رسول الله ﷺ كتاباً بما

---

(١) فخّ : ماء أقطعه النبي ﷺ عظيم بن الحارث المحاربي . معجم البلدان .

(٢) القُصْب : المعى . اللسان : « قصب » .

فرض عليهم من الصدقة في أموالهم . كتبه ثابت بن قيس بن شماس وشهد فيه [٢٤٤]
سعد بن عبادة ومحمد بن مسلمة .

قال محمد بن إسحاق :

استشهد من الأنصار ، ثم من بني الحارث بن الخزرج : ثابت بن قيس بن شماس ، استشهد باليمامة .

قال ابن منده :

ثابت بن قيس بن شمّاس بن ثعلبة بن زهر بن امرئ القيس بن مالك بن الحارث بن الخزرج ، كنيته أبو محمد . قتل باليمامة شهيداً ، وشهد له النبي ﷺ بالجنة .

روى عنه أنس بن مالك ، ومحمد وإسماعيل وقيس ، بنوه .

روى ثابت بن قيس قال :

قُتل يوم قريظة رجل من الأنصار يُدعى خلاداً فقيل لأمه : يا أم خلاد قتل خلاد ، فجاءت وهي متنقبة فقيل لها : قتل خلاد وتجيئينا متنقبة ؟! قالت : إن رزئت خلاداً ، فلا أرزأ أحبائي . فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال : أما إن له أجر شهيدين ، قيل : يا رسول الله ، ولم ؟ قال : لأن أهل الكتاب قتلوه .

عن أنس قال :

كان ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار . فلما نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوْا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُوْنَ ﴾[1] قال ثابت : أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ ، وأنا من أهل النار ، فقال رسول الله ﷺ : بل هو من أهل الجنة . بل هو من أهل الجنة .

---

(١) سورة الحجرات ٤٩ / ٢

٥ ـ حنظلة بن الربيع التميمي الأُسَيّدي الكاتب

قال حنظلة : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

مَن حافظ على الصلوات الخمس ,ركوعهنّ وسجودهنّ ووضوئهنّ ومواقيتهنّ ، وعلم أنهنّ حقّ مِن عند الله تبارك وتعالى دخل الجنة . أو قال : وجبت له الجنة .

وسنذكر حنظلة في حرف الحاء .

٦ ـ خالد بن سعيد بن العاص الأموي

كتب خالد بن سعيد عن رسول الله ﷺ [٢٤٥] كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى محمد رسول الله راشدَ بن عبد ربّ السّلامي[١] ، أعطاه غَلْوتين[٢] بسعجى[٣] وغَلوة بحجَر برُهاط[٤] . فمن حاقّه فلا حقّ له . وحقُّه حقّ . وكتب خالد بن سعيد .

وأقام خالد ـ يعني : ابن سعيد بن العاص ـ بعد أن قدم من أرض الحبشة مع رسول الله ﷺ بالمدينة . وكان يكتب له . وهو الذي كتب كتاب أهل الطائف لوفد ثقيف وهو الذي مشى في الصلح بينهم وبين رسول الله ﷺ .

وسنذكر خالداً في حرف الخاء .

---

(١) كذا في الأصل . وفي طبقات ابن سعد ١ / ٧٤ ، وسيرة ابن كثير ٤ / ٦٧٦ : « السلمي » . وذكر ابن حجر في الإصابة ١ / ٤٩٥ : راشد بن عبد ربه السلمي ، وذكر بعده ترجمة راشد بن عبد رب من غير لقب . قال : « ويحتمل أن يكون الذي قبله » .

(٢) الغَلْوة : قدر رمية بسهم . اللسان : « غلو » .

(٣) كذا في الأصل .

(٤) رُهاط . من أرض يَنبع ، وينبع عرض من أعراض المدينة . معجم البلدان .

٧ ـ خالد بن الوليد ، أبو سُليمان المخزومي

وسنذكره في حرف الخاء .

عن عمرو بن حزم :

إن هذه قطائع أقطعها رسول الله ﷺ لهؤلاء القوم :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى المؤمنين : إن عضاه وج[1] وصيدَه ، لا يُعْضَد صَيْده ولا يُقتل ، فمنْ وُجد يفعل من ذلك شيئاً فإنه يُجلد ، وتُنزع ثيابه ، وإن تعدّى ذلك أحدٌ فإنه يؤخذ ، فيبلَّغ محمداً النبي ﷺ . وإن هذا من محمد النبي ﷺ . وكتب خالد بن الوليد بأمر النبي محمد بن عبد الله ﷺ ، فلا يتعداه أحدٌ فيظلِم نفسه فيما أمره به محمد ﷺ .

قال : كذا . قال : وأظنه خالد بن سعيد .

٨ ـ الزبير بن العوام أبو عبد الله الأسدي القرشي

نذكره في حرف الزاي .

عن عمرو بن حزم :

إن هذه قطائع أقطعها رسول الله ﷺ لهؤلاء القوم . فذكرها . وقال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من محمد النبي ﷺ لبني معاوية بن جرول إلى الضّبابيين ، لمن أسلم منهم فأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وأطاع الله ورسوله ، وأعطى من المغانم خمس الله وسهم النبي رسولِه ﷺ ، وفارق المشركين ، وأشهد على إسلامه فإنه آمِنٌ بأمان الله ومحمد . وإن لهم ما أسلموا عليه من بلادهم ومياههم . وغَدْوَة الغنم من وراء بلادهم [٢٤٦] التي أسلموا عليها مبيّنة . وكتب الزبير .

٩ ـ زيد بن ثابت ، أبو سعيد الأنصاري الخزرجي

نذكره في حرف الزاي .

---

(١) وادي وجّ هو الطائف . معجم البلدان .

١٠ ـ سِجِلٌّ الكاتبُ

عن ابن عباس قال :

كان للنبي ﷺ كاتب يسمى السِجِلّ . وهو قوله : ﴿ يَوْمَ نَطْوِيْ السَّمَاءَ كَطَيِّ السِجِلّ لِلْكِتَاب ﴾[1] قال : كما يطوي السجل الكتاب كذلك نطوي السماء . وقال في حديث آخر : السجل هو الرَّجل .

وعن ابن عمر قال :

وكان للنبي ﷺ كاتب يقال له سِجل ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِجِلّ لِلكِتابِ ﴾[1] .

وقال أبو جعفر :

السجلّ هو المَلَك .

١١ ـ سعد بن أبي سَرح . والمحفوظ عبد الله بن سَعْد القرشي العامري

عن خليفة بن خياط

في تسمية كتّاب رسول الله ﷺ : زيد بن ثابت كاتب الوحي . وقد كتب له معاوية بن أبي سفيان ، وكتب له حنظلة بن ربيعة[2] الأُسَيِّدي ، وكتب له سعد بن أبي سرح ثم ارتدّ ولحق بمكة . وكان يأذن عليه أنسة مولاه . وبلال على نفقاته . ومُعَيقيب بن أبي فاطمة خازنه . ويقال : كان معيقيب على خاتمه . وأنس بن مالك يخدمه . ومؤذناه بلال وابن أم مكتوم . وحرسه ببدر سَعيد بن زيد ، وحين رجع من بدر ذكوان بن عبد القيس الأنصاري وبأُحُد محمد بن مسلمة ، وفي الخندق الزبير بن العوام أو غيره ، وبخيبر ليلة بنى بصفية أبو أيوب ، وبتبوك أبو قتادة ، وقد حرسه سعد بن مالك وعائذ بن عمرو المزني .

---

(١) سورة الأنبياء ٢١ / ١٠٤ . قرأ حفص وحمزة والكسائي : « للكتب » بالجمع ، وقرأ الباقون : « للكتاب » ولكل حجته . وانظر الكشف عن وجوه القراءات ٢ / ١١٤

(٢) فوق اللفظة في الأصل ضبة ، ولعله يريد « الربيع » انظر الترجمة رقم (٥) وانظر تاريخ خليفة ١ / ٧٧ ، والاستيعاب ١ / ٢٧٩ ، والإكمال ١ / ١١٨ ، وسيرة ابن كثير ٤ / ٦٧٣ ، والإصابة ١ / ٢٥٩

١٢ ـ أبو بكر الصديق ، عبد الله بن عثمان القرشي التيمي

خليفة رسول الله ﷺ . نذكره في حرف العين .

عن سُراقة بن جعشُم قال :

لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة جعلت قريش لمن يرده مئة ناقة . قال : فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا فقال : والله لقد رأيت رَكَبَة ثلاثة ، مروا علي آنفاً ، إني لأراهم محمداً [وأصحابه][1] قال : فأهويت له يعني أن اسكت . قال : وقلت : إنما هم بنو فلان يبغون ضالة [٢٤٧] لهم . قال : لعلّه ، ثم سكت . فمكثتُ قليلاً ثم قمت فأمرت بفرسي فقيد إلى بطن الوادي ، وأخرجت سلاحي من وراء حجرتي ، ثم أخذت قداحي التي أستقسم بها ثم لبسْتُ لأُمَتي ثم أخرجت قداحي فاستقسمت بها ، فخرج القسم الذي أكره : لا يضره ، قال : وكنت أرجو أن أرده فآخذ المئة ناقة . قال : فركبت في إثره . قال : فبينا فرسي يشتدّ حتى عثر ، فسقطت عنه . قال : فأخرجت قداحي فاستقسمت فخرج السهم الذي أكره : لا يضره . قال : فأبيْتُ إلا أن أتبعه فركبت . فلما بدا لي القوم ونظرتُ إليهم عثر فرسي ، وذهبت يداه في الأرض وسقطتُ عنه ، واستخرج يديه واتبعهما دخان مثل الإعصار ، فعرفت أنه قد مُنع مني وأنه ظاهر فناديتهم فقلت : انظروني فوالله لا أريبُكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه ، فقال رسول الله ﷺ : قل له : ماذا تبتغي ؟ فقلت : اكتب لي كتاباً يكون بيني وبينك آية . قال : اكتب له يا أبا بكر . فكتب ثم ألقاه إليّ فرجعت ، فسكتّ . فلم أذكر شيئاً مما كان حتى إذا فتح الله عزّ وجلّ على رسوله ﷺ مكة وفرغ من حُنين خرجت إلى رسول الله ﷺ لألقاه ، ومعي الكتاب الذي كتب لي . قال : فبينا أنا عامدٌ له دخلت بين ظهراني كتيبةٍ من كتائب رسول الله ﷺ ، وهو على ناقة أنظر إلى ساقه في غَرْزِه[2] كأنها جُمّارة[3] قال : فرفعت يدي بالكتاب . فقلت : يا رسول الله ، هذا كتابك . قال : فقال رسول الله ﷺ : هذا يوم وفاء وبرّ . ادنُهْ . قال : فأسلمت . ثم ذكرت شيئاً أسأل عنه رسول الله ﷺ فما ذكرت شيئاً إلا أني

---

(١) ليست اللفظة في الأصل . واستدركناها من سيرة ابن هشام ٢ / ١٣٤

(٢) الغرز : ركاب الرحل . اللسان : « غرز » .

(٣) الجُمّارة : قلب النخلة وشحمتها . شبّه ساقه ببياضها . اللسان : « جمر » .

قلت : يا رسول الله ، الضالة تغشى حِياضنا قد ملأتها لإبلي ، هل لي من أجرٍ أن أسقيها ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم ، لك في كل ذات كبد حرّى أجر . قال : فانصرفت ، وسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي .

١٣ ـ عبد الله بن أرقم بن أبي الأرقم المخزومي

[٢٤٨]عن عبد الله بن الزبير

أن النبي ﷺ استكتب عبد الله بن الأرقم بن عبد يغوث . كذا نسَبه ابن حميد . وكان يجيب عنه الملوك . وبلغ من أمانته عنده أنه كان يأمره أن يكتب إلى بعض الملوك ، فيكتب ويختِم ما يقرأه لأمانته عنده . واستكتب أيضاً زيد بن ثابت . وكان يكتب الوحي ويكتب إلى الملوك أيضاً . فلم يزالا كذلك حتى قبض النبي ﷺ ، وخلافة أبي بكر وجعل أبو بكر رضي الله عنه إلى عبد الله بن الأرقم بيت المال . فلم يزل كذلك حتى قبض أبو بكر ، وولي عمر رضي الله عنه حتى قتل . ثم إن عثمان عزل عبد الله بن الأرقم عن الكتابة وبيت المال ، وجعلها إلى زيد بن ثابت . فأما النبي ﷺ فكان إذا غاب ابن الأرقم وزيد بن ثابت واحتاج أن يكتب إلى بعض أمراء الأجناد والملوك ، أو يكتب لإنسان كتاباً أمَر مَن حضر أن يكتب . وقد كتب عُمر ، وعلي ، وزيد ، والمغيرة بن شعبة ، ومعاوية ، وخالد بن سعيد بن العاص . وغيرهم ممن سمّى من العرب .

وعن عبد الله بن عمر قال :

أتى النبيَّ ﷺ كتابُ رجل فقال لعبد الله بن الأرقم : أجب عني . فكتب جوابه ، ثم قرأه عليه فقال : أصبت ، وأحسنت ، اللهم وفقه . فلما ولي عمر كان يشاوره .

وعن عبد الله بن الأرقم

أنه حجّ فكان يصلي بأصحابه ، يؤذّن ويقيم . فأقام يوماً الصلاة وقال : ليصلّ أحدكم ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا أراد أحدكم أن يذهب إلى الخلاء وأقيمت الصلاة فليذهب إلى الخلاء .

قال الأعمش : قلت لشقيق :

مَن كان كاتب رسول الله ﷺ ؟ قال : عبد الله بن أرقم . قال : وقد أتانا كتاب أبي بكر بالقادسية ، في أسفله ؛ وكتب عبد الله بن أرقم .

قال الغلاّبي[1] : وهذا خطأ ، إنما كانت القادسية في زمن عمر .

وقد ورد في حديث قال :

وأتانا كتاب عمر بالقادسية وفي أسفله : وكتب عبد الله بن أرقم .

[٢٤٩] وقال في حديث آخر : قال أبيّ :

والصحيح عندنا أن معاوية كان كاتب النبي ﷺ .

١٤ ـ عبد الله بن سعد بن أبي سَرح القرشي العامري

[٢]قال ابن عباس[٢] :

كان يكتب لرسول الله ﷺ فأزلّه الشيطان ، فلحق بالكفار ، فأمر به رسول الله ﷺ أن يُقتل فاستجار له عثمان بن عفان ، فأجاره رسول الله ﷺ ، وكان أخا عثمان بن عفان من الرضاعة . وقيل إنه استأمن له يوم فتح مكة .

نذكره في حرف العين .

١٥ ـ عبد الله بن زيد بن عبد ربه ، أبو محمد الأنصاري الخزرجي

كتب لرسول الله ﷺ . كتب رسول الله ﷺ لمن أسلم من جُرَش ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وأعطى حظ الله وحظ الرسول ، وفارق المشركين ، فإنه آمن بذمة الله وذمة محمد ﷺ . ومَن رجع عن دينه فإن ذمة الله وذمة محمد رسوله ﷺ منه بريئة . ومَن شهد له مسلم بإسلامه فإنه آمن بذمة محمد ﷺ وإنه من المسلمين ، وكتب عبد الله بن زيد .

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

(٢-٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل . وبعده « صح » .

وعن عبد الله بن زيد قال :

رأيت في المنام رجلاً نزل من السماء عليه بردان أخضران أو ثوبان أخضران فقام على جِذْم[1] حائط فنادى بالأذان : الله أكبر الله أكبر . مثنى مثنى ، ثم قعد قعدة ، ثم عاد ، فأقام مثنى مثنى ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : نِعْمَ ما رأيت علِّمْها بلالاً .

وفي رواية :

فقال : ألقه على بلال ، فألقيته فأذّن . قال : فأراد أن يقيم ، فقلت : يا رسول الله ، أنا رأيتُ ، أُريد أن أقيم . قال : فأقم أنت . فأقام هو وأذّن بلال .

وفي رواية :

قال : ألقهن على بلال . فإنه أندى منك صوتاً . قال : فلما أذّن بلال ندم عبد الله بن زيد فأمره رسول الله ﷺ أن يقيم .

وعن عبد الله بن زيد

أنه تصدق بحائط له فأتى أبواه إلى النبي ﷺ فقالا : يا رسول الله ، إنها كانت قيم وجوهنا ، ولم يكن لنا شيء غيرها . فدعا عبد الله فقال : إن الله عزّ وجلّ [٢٥٠] قد قبل صدقتك ، وردَّ على أبويك . قال : فتوارثاها بعد ذلك .

عن محمد بن عبد الله بن زيد أن أباه حدثه

أن أباه شهد النبي ﷺ عند المنحر ، ومعه رجل من الأنصار ، وقسم رسول الله ﷺ ضحايا ، فلم يُصبه ولا صاحبه بشيء . فحلق رسول الله ﷺ رأسه في ثوبه ، فقسم منه على الرجال ، وقلّم أظفاره ، فأعطاه وصاحبه . قال : فإنه عندنا مخضوب بالحناء والكتم .

وحدث محمد بن عبد الله أيضاً

أن أباه كان يكنى أبا محمد ، وكان رجلاً ليس بالقصير ولا بالطويل .

قال محمد بن عمر :

وكان عبد الله بن زيد يكتب بالعربية قبل الإسلام ، وكانت الكتابة في العرب قليلاً .

---

(١) جذم كل شيء : أصله . اللسان : « جذم » .

وقال محمد بن سعد :

عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن ثعلبة بن زيد بن الحارث بن الخزرج .

وقال عبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري :

ليس في آبائه ثعلبة ، وهو عبد الله بن زيد بن عبد ربه بن زيد بن الحارث . وثعلبة بن عبد ربه أخو زيد وعمّ عبد الله . فأدخلوه في نسبه . وهذا خطأ .

وكان لعبد الله بن زيد من الولد : محمد ، وأمّه سعدة بنت كعب بن يساف بن عِنَبَة بن عمرو ، وهي ابنة أخي خُبَيْب بن يساف . وأم حميد بنت عبد الله ، وأمها من أهل اليمن . ولعبد الله بن زيد عقب بالمدينة . وهم قليل .

وشهد عبد الله العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعاً . وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ . وكانت معه راية بني الحارث بن الخزرج في غزوة الفتح ، وهو الذي أُري الأذان .

قال محمد بن عبد الله بن زيد

توفي أبي عبدُ الله بن زيد بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين . وهو ابن أربع وستين سنة ، وصلى عليه عثمان بن عفان .

١٦ ـ عامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر الصديق

كتب عن النبي ﷺ كتاب أمان لسُراقة بن مالك بن جُعشُم .

وعن سراقة [٢٥١] بن جُعشُم ، وذكر خبر هجرة النبي ﷺ . وقال فيه :

فقلتُ له : إن قومك جعلوا فيك الدية ، وأخبرتُهم من أخبار سفرهم ، وما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يَرْزوني[1] منه شيئاً . ولم يسألوني إلا أن أخْفِ عنّا . فسألته أن يكتب لي كتاب موادعة آمن به ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب لي في رقعة من أديم ثم بيض . وقد جاء من وجه آخر أن أبا بكر كتب ذلك الكتاب . والله أعلم .

---

(١) رُزت ما عند فلان : طلبته . اللسان : « روز » .

وعن عامر بن فُهيرة قال :

تزوَّد أبو بكر الصديق مع رسول الله ﷺ في جيش العُسرة نَحي[1] سمنٍ وعُكيكة عسل ، على ما كنا عليه من الجهد .

وعن عائشة ـ في حديث لها طويل ـ قالت :

وكان عامر بن فهيرة للطفيل بن الحارث أخي عائشة لأمها أمِّ رومان ، فأسلم عامر فاشتراه أبو بكر فأعتقه ، وكان يرعى عليه مِسحة له مِن غنم .

قال يزيد بن رومان :

أسلم عامر بن فهيرة قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ، وقبل أن يدعوَ فيها .

قال عروة بن الزبير :

كان عامر بن فهيرة من المُستَضعَفين من المؤمنين ، وكان ممن يعذَّب بمكة ليرجع عن دينه .

وعن عاصم بن عمر بن قتادة قال :

لما هاجر عامر بن فهيرة إلى المدينة نزل على سعد بن خيثمة . قالوا : آخى رسول الله ﷺ بين عامر بن فهيرة والحارث[2] بن أوس بن معاذ . وشهد عامر بن فهيرة بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة سنة أربع من الهجرة . وكان يوم قتل ابن أربعين سنة .

قال عروة :

لم يكن مع رسول الله ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة إلا أبو بكر وعامرُ بن فهيرة ورجلٌ من الدُّئل مشرك ، كان دليلاً لهم .

وعن عروة قال :

قال عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية : هل تعرف أصحابك ؛ قال : قلت : نعم . قال : فطاف فيهم وجعل يسأل عن أنسابهم فقال : هل تفقد منهم من أحد ؟ قال : أفقد مولىً لأبي بكر يقال له عامر بن فهيرة فقال : كيف كان فيكم ؟ قال : قلت : كان من

---

(١) النّحي عند العرب : الزق الذي فيه السمن خاصة . اللسان : « نحا » .

(٢) كذا في الأصل . والذي عليه كتب السيرة أن الرسول عليه السلام آخى بينه وبين أوس بن معاذ .

أفضلنا ، ومن أوّل أصحاب نبينا ﷺ . قـال : ألا أخبرك خبره ؟ [٢٥٢] وأشـار إلى رجلٍ فقال : هذا طعنه برمحه . ثم انتزع رمحه ، فذهب بـالرجل علوّاً في السماء حتى والله مـا أراه . قال عمرو : فقلت : ذلك عامر بن فهيرة . وكان الذي قتله رجل من بني كلاب يقـال لـه : جَبّار بن سَلمى . ذكر أنه لما طعنه قال : سمعته يقول : فُزْتُ والله . قال : فقلت في نفسي : ما قوله فُزْت ؟ قال : فأتيت الضحاك بن سفيـان الكلابي فـأخبرتـه بمـا كان ، وسـألتـه عن قولـه : فزتُ . فقـال : الجنـة . قـال : وعرض عليّ الإسلام فـأسلمت . ودعـاني إلى الإسـلام مـا رأيت من مقتل عـامر بن فهيرة مِنْ رفعـه إلى السماء علـوّاً . قـال : وكتب الضحـاك إلى رسول الله ﷺ يخبره بإسلامي وما رأيت من مقتل عامر بن فهيرة . فقـال رسول الله ﷺ : فإن الملائكة وارت جثته وأُنزل عِلّيّين .

وعن عروة

أن عامر بن الطفيل كان يقول : مَنْ رجلٌ منكم لما قتل رأيتـه رفع بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه ؛ قالوا : عامر بن فهيرة .

وعن عائشة قالت :

رُفع عامر بن فهيرة إلى السماء ، فلم توجد جثته ، يروون أن الملائكة وارته .

١٧ ـ عمر بن الخطاب ، أبو حفص القرشي العدوي ، أمير المؤمنين

كتب للنبي ﷺ . وسنذكره في حرف العين .

١٨ ـ عثمان بن عفان بن أبي العاص ، أبو عمرو الأموي ، أمير المؤمنين

روى عن جماعة من أهل العلم .

قالوا :

قدم نَهْشَل بن مـالـك الوائلي من بـاهلـة على رسول الله ﷺ وافـداً لقوم . وكتب لـه رسول الله ﷺ ولمن أسلم من قـومـه كتـابـاً فيـه شرائـع الإسـلام . وكتبـه عثمان بن عفـان . وسنذكر عثمان في حرف العين .

١٩ ـ علي بن أبي طالب ، أبو الحسن الهاشمي ، أمير المؤمنين

كتب للنبي ﷺ كتاب صلح الحديبية ، وغيره من الكتب . وسنذكره في حرف العين .

عن عمرو بن حزم

أن هذه قطائع أقطعها [٢٥٣] رسول الله ﷺ لهؤلاء القوم فذكرها ، وقال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من محمد رسول الله ﷺ لتميم بن أوس الداري أنّ له عَيْنُون[١] قريتها كلها : سهلُها وجبلها وماؤها وحرثها وكرومها وأنباطها[٢] وبقرها . ولِعقِبه من بعده ، لا يُحَاقّه فيها أحد ، ولا يدخله عليه[٣] بظلم ، فمن أراد ظلمهم أو أخذه منهم فإن عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وكتب علي .

٢٠ ـ العلاء بن الحضرمي . واسم الحضرمي : عباد ، ويقال : عبد الله بن عباد

كان يكتب للنبي ﷺ .

عن ابن سيرين

أن العلاء بن الحضرمي ، كتب إلى النبي ﷺ فبدأ بنفسه .

وكان العلاء عاملاً للنبي ﷺ على البحرين . فتوفي النبي ﷺ وهو عليها . وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين .

٢١ ـ العلاء بن عقبة

كان كاتباً للنبي ﷺ .

عن عمرو بن حزم

أن هذه قطائع أقطعها رسول الله ﷺ لهؤلاء القوم فذكرها وذكر فيها :

---

(١) عَينون ويقال عين أُنا : قرية بين الصّلا ومَدْيَن على الساحل . معجم البلدان .

(٢) الأنباط ج نَبَط وهو الماء الذي ينبع من البئر إذا حُفِرت . اللسان : « نبط » .

(٣) في هامش الأصل حرف « ط » ولعله يريد « عليهم » . وانظر طبقات ابن سعد ١ / ٢٦٧

بسم الله الرحمن الرحيم : هـذا مـا أعطى النبي محمـد ﷺ عبــاس بن مرداس السلمي ، أعطاه مدفورا فمن حاقّه فيها فلا حقّ له فيها ، وحقّه حقّ ، وكتب العلاء بن عقبة وشهد .

ثم قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، هـذا مـا أعطى محمـد رسول الله عوسجـة بن حرملـة الجهني من ذي المروة[1] وما بين بَلْكَثة[2] إلى الطيبة إلى الجعلاب إلى جبل القِبلة ، لا يُحاقّـه فيها أحد ، فمن حاقّه فلا حق له ، وحقّه حقّ . وكتب العلاء بن عقبة .

وكتب رسول الله ﷺ لبني شَنْخ من جُهينة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أعطى محمد النبي ﷺ بني شَنْخ من جهينـة ، أعطـاهم مـا خطّـوا من صُفَيْنَـة[3] ومـا حرثـوا ، ومن حَـاقّهم فـلا حـقّ لهم . وحقُّهم حـقّ . وكتب العلاء بن عقبة وشهد .

[٢٥٤]   ٢٢ ـ محمد بن مسلمة الأنصاري

نذكره في حرف الميم .

روى علي بن محمد المدائني بأسانيده قالوا :

قدم وفد مَهْرَة عليهم مهري بن الأبيض فعرض عليهم رسول الله ﷺ الإسلام فأسلموا ، ووصلهم وكتب لهم . فذكر الكتاب . وقال ؛ وكتب محمد بن مسْلمة الأنصاري .

٢٣ ـ معاوية بن أبي سفيان ، أبو عبد الرحمن القرشي الأموي

كاتب النبي ﷺ . نذكره في حرف الميم .

عن جابر

أن النبي ﷺ استشار جبريل في استكتاب معاوية فقال : استكتبه . فإنه أمين .

---

(١) ذو المروة : قرية بوادي القرى . معجم البلدان : « المروة » .

(٢) بَلْكَثة أو بلاكِث ، قارة عظيمة فوق ذي المروة . معجم البلدان .

(٣) صُفَيْنة : قرية بالحجاز ذات نخل وزروع . معجم البلدان .

٢٤ ـ المغيرة بن شعبة ، أبو عيسى الثقفي

نذكره في حرف الميم .

عن عمرو بن حزم

أن هذه قطائع أقطعها رسول الله ﷺ لهؤلاء القوم فذكرها . وقال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتابٌ من محمد رسول الله ﷺ لحُصَين بن نضلة الأسدي أن له تَرْمُد[1] وكَثيفَة ، لا يُحَاقّه فيها أحد . وكتب المغيرة .

---

(١) موضع في بلاد بني أسد . معجم البلدان .

أمناؤه ﷺ

١ ـ عامر بن عبد الله بن الجراح ، أبو عُبيدة القرشي الفهري

٢ ـ وعبد الرحمن بن عوف ، أبو محمد الزهري

ونذكرهما في حرف العين .

٣ ـ مُعَيقيب بن أبي فاطمة الدَّوْسي

كان على خاتمه . ويقال : كان خازنه .

روى إياس بن الحارث بن مُعَيْقِيب عن جدّه المعيقيب وجده مِن قِبَل أمه ابن أبي[1] ذُباب قال :

كان خاتم رسول الله ﷺ من حديد ملوى بفضة . فربما كان في يدي . قال : وكان مُعَيْقِيب على خاتم رسول الله ﷺ .

وعن معيقيب قال :

قيل للنبي ﷺ : المسح في المسجد ـ يعني الحصا ـ فقال : إن كنت لا بدّ فاعلاً فواحدة . والله أعلم .

---

(١) في الأصل : « أبو ذباب » وهو الحارث بن عبد الرحمن بن عبد الله ـ أو عبد الله بن عبد الرحمن بن الحارث ـ بن سعد بن أبي ذباب . انظر تهذيب التهذيب ٢ / ١٤٧ ، و ٥ / ٢٩٢ .

[٢٥٥]

ذكر سلاحه ومركوبه

ومعرفة مطعومه ومشروبه

عن ابن عباس

أن رسول الله ﷺ ـ يعني ـ غنم سيفه ذا الفقار يوم بدر ، وهو الذي رأى فيه الرؤيا يوم أحد . قال : رأيت في سيفي ذي الفقار فلاً . فأوّلته فلاً يكون فيكم ، ورأيت أني مردِف كبشاً فأوّلته كبش الكتيبة . ورأيت أني في درع حصينة فأوّلته المدينة . ورأيت بقراً يذبح فبقرٌ والله ، خير ، فبقرٌ والله ، خير . فكان ذلك على ما رأى رسول الله ﷺ .

وعن سعيد بن المسيب

تنفّل رسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار يومئذ ـ يعني ـ بدراً ، وكان لمنبّه بن الحجّاج ، وكان رسول الله ﷺ قد غزا إلى بدر بسيفٍ وهبه له سعد بن عبادة يقال له العضْب ، ودرعه ذات الفضول .

وعن ابن عباس

أن الحجاج بن عِلاط أهدى لرسول الله ﷺ سيفه ذا الفقار ، وأن دحية الكلبي أهدى رسول الله ﷺ بغلته الشهباء .

قال ابن سيرين :

صنعْتُ سيفي على سيف سَمُرة . وقال سمرة : صنعت سيفي على سيف رسول الله ﷺ وكان حنيفياً[١] .

وعن مرزوق الصّيقل

أنه صقل سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار . وكانت له قبيعة من فضة وبكرة في وسطه من فضة وحلقتها من فضة .

وعن عبد الرحمن بن عوف قال :

قدم رسول الله ﷺ المدينة في الهجرة بسيف كان لأبيه مأثوراً[٢] .

(١) السيوف الحنيفية : ضرب من السيوف تنسب إلى الأحنف بن قيس لأنه أول من أمر باتخاذها . اللسان : « حنف » .

(٢) سيف مأثور : في متنه أثر ، أي رونق . اللسان : « أثر » .

وعن عبد الرحمن بن عطاء صاحب الشارعة[1] قال :

كانت درع رسول الله ﷺ ذات الفضول ، أرسل بها سعد بن عبادة إلى رسول الله ﷺ حين سار إلى بدر ، يقال له العضب ، فشهد بها بدراً حتى غنم سيفه ذا الفقار يوم بدر من منبّه بن الحجاج .

وعن مروان بن أبي سعيد بن المُعَلى الأنصاري [٢٥٦] قال :

أصاب رسول الله ﷺ من سلاح بني قينُقاع ثلاثة أسياف : سيفاً قَلَعياً[2] ، وسيفاً يدعى بتاراً . وسيفاً يدعى الحتف . وكان عنده بعد ذلك رَسُوب[3] والمخذم ، أصابها عند صنم طيء ، وأخذ من سلاح بني قينقاع ثلاثة أرماح وثلاث قسيّ : قوس اسمها الروحاء[4] ، وقوس من شَوْحَط[5] تدعى البيضاء ، وقوس صفراء تدعى الصفراء ، من نَبْع . وأصاب درعين يومئذ من سلاحهم : درع يقال لها السُّغْدية ، ودرع تدعى فضة .

وقال محمد بن مَسْلَمة الأنصاري :

رأيت على رسول الله ﷺ يوم أحد درعين : درعه ذات الفضول ، ودرعه فضة ، كانت للقينقاعي ، وكان من أبطالهم . ورأيت عليه يوم خيبر درعين : ذات الفضول والسُّغْدية ، درع عُكَيْر القينقاعي . وأصاب من سلاحهم مِغْفراً موشحاً .

وقال مروان بن أبي سعيد قال :

كان للنبي ﷺ قوس تدعى الكتوم ، من نَبْع ، كسرت يوم أحد ، أخذها قتادة بن النعمان .

---

(١) في هامش تهذيب التهذيب ٦ / ٢٣٠ عن هامش الخلاصة : « التارعة : هي أرض عند رواقي رومة بطرف المدينة . ولم يذكره ياقوت في معجمه .

(٢) سيف قَلَعي : منسوب إلى القَلَعة . موضع بالبادية تنسب إليه السيوف . معجم البلدان ، واللسان « قلعة » .

(٣) كذا فى المتن ، وفي هامش الأصل « رسوف » وفوق اللفظة كتب الحرف « ط » كأنه إشارة إلى أن الصواب ما ورد في المتن ، وانظر اللسان : « رسب » .

(٤) سيرد الاسم : « الروحات » .

(٥) الشوحط : ضرب من النبع تتخذ منه القسي . اللسان : « شحط » .

وعن عامر قال :

أخرج إلينا علي بن الحسين سيف رسول الله ﷺ فإذا قَبيعته من فضة وإذا حلقته التي تكون فيها الحمائل من فضة ، وسلسلته ، وإذا هو سيف قد نحل ، كان لمنبّه بن الحجاج السهمي ، أصابه يوم بدر .

وعن جعفر بن محمد قال :

رأيت سيف رسول الله ﷺ قائمه من فضة ، ونَعْله[1] من فضه ، وبين ذلك حلق من فضة . قال : هو الآن عند هؤلاء يريد : آل عباس .

قال الأصمعي :

دخلت على هارون الرشيد فإني لَجالسٌ عنده في جماعة إذ قال : أريكم سيف رسول الله ﷺ ذا الفقار ؟ فقلنا : نعم يا أمير المؤمنين ، فقام فجاء به بنفسه . فما رأيت شيئاً قط أحسن منه . إذا نُصب لم يُر فيه شيء ، وإذا بُطح على الأرض عُدَّ منه سبع فقر ، وإذا هو صفيحة يمانية يحار الطرف فيه من حسنِه .

قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد :

أُراه ذو الفقار [٢٥٧] كان فيه ثُقَب صغار .

حدث أبو إسحاق عن أبيه عن جده قال :

كانت للنبي ﷺ قوس تدعى الكتوم من نَبْع ، كُسرت يوم أحد ، كسرها قتادة بن النعمان . ثم إنه أصاب من سلاح بني قينقاع ثلاثة أقسية : قوس تدعى البهاء ، وقوس صفراء تدعى الصفراء ، وقوس تدعى الروحات . وكانت له درعان : درع تدعى الصغدية والأخرى تدعى فضة . وثلاثة أسياف : سيف قَلَعي . وكان عنده المِخْذَم ورسوب[2] . وكانت عنده ذات الفضول ، وسيف يقال له الفضة وذو الفقار . وكانت له ثلاثة أرماح أصابها من سوق بني قينقاع . وأصاب من سلاحهم مغفراً موشحة بشَبَه .

---

(١) نَعْل السيف : الحديدة التي تكون في أسفل القِراب . اللسان : « نعل » .

(٢) في متن الأصل . « رسوف » . وقد أشير إلى هذا الخطأ بحرف « ط » في الهامش . وانظر هـ ٣ من الصفحة السابقة .

وعن سعد القَرَظ قال :

خرجت مع النبي ﷺ ، فرأيت الزنج يتراطنون حين رأوْه ليس معه أحد . ولم يدر به الناس . قال : فارتقيتُ على نخلة فأذّنت . قال : فقال رسول الله ﷺ : ما هذا يا سعد ؟ ! مَن أمرك بهذا ؟ ! قال : قلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، إني رأيت الزنج يتراطنون ، ولم يكن معك أحد فخفتُهم عليك ، فأردت أن يُعلم أنك قد جئت حتى تجمع الناس . فقال : أصبت . إذا لم يكن معي بلال فأذّن .

قال : وكان النجاشي قد أهدى له عَنَزتين[1] ، فأعطى بلالاً واحدة ، فكان يمشي بها بين يدي النبي ﷺ حتى توفي . قال : فجاء بلال إلى أبي بكر الصديق فقال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أفضل أعمالكم الجهاد في سبيل الله . وقد أردت الجهاد . فقال له أبو بكر : أسألك بحقي إلاّ ما صبرت ، إنما هو اليوم أو غد حتى أموت . فأقام بلال معه يمشي بالعَنَزة بين يديه حتى توفي أبو بكر . فجاء إلى عمر فقال له كما قال لأبي بكر ، فسأله عمر بما سأله أبو بكر فأبى فقال : مَن يؤذّن ؟ قال : سَعْد القَرَظ ، فإنه قد كان أذّن بين يدي رسول الله ﷺ فأعطاه العَنَزة فمشى بين يدي عمر ، حتى قتل ، ثم بين يدي عثمان ، ثم لم يزل يمشي بها بين يدي الأمراء . هلم جرّا . [٢٥٨] قال : حتى قدم أمير المؤمنين المهدي فغدونا بها . قال : وإذا بالحراب قد طلع بها من كل وجه فقلنا : إن عَنَزة النبي ﷺ لا يمشى معها بحربة . فرد الحراب ومشينا بها بين يديه حتى غرزناها في القِبلة قال : وأُتي بدابة يركبها إلى المصلّى فقلنا له : إن رسول الله ﷺ خرج إلى المصلى ماشياً ، ذاهباً وراجعاً .

فهذه رواية آل سعد القرظ التي كانت هذه الحربة عندهم .

وعن عروة

أن هذه الحربة دفعها النجاشي إلى الزبير في بعض حروبه ، فقاتل بها ثم قدم بها معه . فلما كان يوم أحد أخذها رسول الله ﷺ من يده فقتل بها أُبيّ بن خلف ، فسأل النبي ﷺ الزبيرَ : كيف كانوا يصنعون بها ؟ قال : كانوا يمشون بين يديه ، فدفعها إلى بلال فقال : امشي بها بين يدي . قال : فهي في أيدي المؤذّنين .

---

(١) العَنَزة : عصا في قدر نصف الرمح فيها سِنان مثل سِنان الرمح . اللسان : « عنز » .

وعن علي قال :

كان فرس رسول الله ﷺ يقال له : المُرْتَجز ، وكانت بغلته دُلدل ، وحماره عُفَير ، وناقته القَصْواء ، ودرعه ذات الفضول ، وسيفه ذو الفقار .

وروى جعفر عن أبيه قال :

كانت ناقة النبي ﷺ تسمى العضباء ، وبغلته الشهباء ، وحماره يَعْفور ، وجاريته خَضِرة .

وعن عامر قال :

أخرج إلينا علي بن الحسين درع رسول الله ﷺ فإذا هي يمانية رقيقة ذات زَرافين[1] إذا عُلِّقت بزرافينها لم تمسّ الأرض ، وإذا أُرسلت مسّت الأرض .

وعن مكحول قال :

كان لرسول الله ﷺ ترس فيه تمثال رأس كبش ، فكره النبي ﷺ مكانه ، فأصبح وقد أذهبه الله عزّ وجلّ .

وعن يونس بن عُبيد ، مولى محمد بن القاسم قال :

بعثني محمد بن القاسم إلى البراء بن عازب أسأله عن راية رسول الله ﷺ ما كانت ، قال : كانت سوداء مربعة من نَمِرة .

وروى عبد الله بن بُريدة عن أبيه

أن راية رسول الله ﷺ كانت سوداء ، ولواؤه أبيض .

وعن ابن عباس قال :

كانت رايات [٢٥٩] - أو قال راية - رسول الله ﷺ سوداء ، ولواؤه أبيض .

وعن جابر قال :

كان لواء رسول الله ﷺ يوم دخل مكة أبيض .

---

(١) الزُّرفين : حلقة الباب . اللسان : « زرفن » .

وعن أبي هريرة قال :

كانت راية النبي ﷺ قطعة قطيفة كانت لعائشة فسألها فشقتها - وكان لواؤه أبيض - وكان يحملها سعد بن عبادة حتى ركزها في الأنصار في بني عبد الأشهل . وهي الراية التي دخل بها خالد بن الوليد من ثنيّة دمشق ، فسميت بثِنية العُقاب .

وفي رواية :

وهي(١) الراية التي دخل بها خالد بن الوليد ثنية دمشق(١) ، وكان اسم الراية العُقاب ، فسميت ثِنية العُقاب .

وعن عائشة

أن النبي ﷺ كانت عِمامته سوداء تسمى العقاب . ولواؤهُ أسود .

وعن عائشة قالت :

كان لواء رسول الله ﷺ يوم الفتح أبيض ، ورايته سوداء قطعة من مِرْط لي صوف مرحّل(٢) ، وكانت الراية تسمى العقاب .

وعن أبي هريرة قال :

كانت راية النبي ﷺ سوداء تسمى العقاب .

وعن زهير بن محمد قال :

اسم راية رسول الله ﷺ العقاب . وفرسه المرتجِز ، وناقته العضباء والقصواء والجدعاءَ ، والحمار يَعْفور ، والسيف ذو الفقار ، والدرع ذات الفضول ، والرداء الصبح(٣) ، والقدح الغمر .

وكان عند سهل بن سعد ثلاثة أفراس للنبي ﷺ يعلفهن وأسماؤهن : لِزاز واللُّحيف(٤)

(١ - ١) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل ، وبعده « صح » .

(٢) مرط مرحّل : عليه صور الرحال . اللسان : « رحل » .

(٣) كذا في الأصل في هذا الموضع . وسوف يرد « الفتح» انظر ص ٣٦٥ .

(٤) اللفظة مهملة في هذا الموضع وفيما سيأتي . و« اللُّحيف » . اسم فرسه ﷺ ، لطول ذنبه ، كأنه يلحف الأرض بذنبه أي يغطّيها به . ورواه بعضهم بالجيم ، فإن صح فهو من السرعة . ورواه البخاري : « اللخيف » ولم يتحققه . والمعروف بالحاء المهملة . اللسان عن ابن الأثير : « لجف ، لحف ، لخف » . وفي القاموس « اللحيف ، واللخيف » كأمير أورُبَيْر .

والظراب[1] . فأما لِزاز فأهداه له المقوقس . وأما اللُّحيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء ، فأثابه عليه فرائض من نَعَم بني كلاب ، وأما الظَّرِب فأهداه له فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي[2] من البلقاء . ويقال[2] وأهدى تميم الداري لرسول الله ﷺ فرساً يقال له الوَرْد ، فأعطاه عمر ، فحمل عليه عمر في سبيل الله فوجده يُباع[3] .

وعن الحسن قال :

كان اسم فرس رسول الله ﷺ السَّكْب ، وبغلته دُلدُل ، وناقته العضباء ، وحماره يعفور وسيفه ذا الفقار ، ودرعه ذات الفضول ، ورايته العقاب ، وقوسه العقفاء .

قال : وكان اسم كبش إبراهيم عليه السلام حرير ، واسم عجل بني اسرائيل الذي عبدوه بهيوت . واسم هدهد سليمان عُفير ، واسم كلب أصحاب الكهف قطمير ، وهبط آدم [٢٦٠] بالهند وحواء بجدّة . وابليس بدست بيسان بأرض البصرة . وهبطت الحية بأصبهان .

وأول فرس ملكه رسول الله ﷺ فرس ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فزارة بعشر أواق . كان اسمه عند الأعرابي الضَّرِس ، فسماه رسول الله ﷺ السَّكب . وكان أول ما غزا عليه يوم أحد ، وليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره ، وفرس لأبي بردة بن نِيَار يقال له مُراوِح ، وفي رواية ملاوح .

وقال يزيد بن أبي حبيب :

كان لرسول الله ﷺ فرس يدعى السَّكْب .

وقال ابن عباس :

كان لرسول الله ﷺ فرس يدعى المرتجِز .

---

(١) كذا في الأصل في هذا الموضع وسوف ترد بعد قليل . الطرب . وفي الحديث « كان لرسول الله ﷺ فرس يقال له الظرب تشبيهاً بالجبيل لقوته ، والجمع ظراب ، وفي اللسان : الطَّرَب · فرس سيدنا محمد ﷺ . انظر النهاية : « طرب» . واللسان : « طرب » .

(٢ ـ ٢) مابين الرقمين مستدرك في هامش الأصل يتلوه كلمات ذهب بها التصوير .

(٣) كذا في الأصل وطبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠ ، وتمامه كما في شرح المواهب للزرقاني ٣ : ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، برخص ، فأراد شراءه ، فقال ﷺ : لاتشتره » .

وانظر موطأ مالك ١ : ٢٨٢ كتاب الزكاة ، باب اشتراء الصدقة والعود فيها . وصحيح البخاري ٣ : ١٤٣ كتاب الهبة ، باب لايحل لأحد أن يرجع في هبته . ومسلم ٣ : ١٢٣٩ كتاب الهبات ، باب كراهة شراء الإنسان ماتصدق به .

قال محمد بن عمر : فسألت محمد بن يحيى بن سهل عن المرتجز فقال : هو الفرس الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت . وكان الأعرابي من بني مرة . يعني حيث جاء خزيمة بن ثابت الأنصاري والأعرابي يقول لرسول الله ﷺ : لم أبعك الفرس ، وذلك أنهم أعطوه به أكثر من الثمن [الذي][1] ابتاعه به رسول الله ﷺ فرجع عن البيع ، ورسول الله ﷺ يقول له : قد بعتَنيه . فقال الأعرابي : مَن يشهد لك بذلك ؟ فقال خزيمة : أنا أشهد أنك قد بعته من رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ لخزيمة : كيف شهدت بهذا ؟ ! قال : أشهد أن كل ما قلت هو الحق والصدق ، فجعلت شهادة خزيمة كشهادة رجلين .

وقيل :

كانت خيل رسول الله ﷺ خمسة أفراس : لِزاز ، ولحاف ، والمرتجِز ، والسَّكْب ، واليَعْسوب .

وقيل :

كانت له خمسة أفراس ، فكانت عند سهل بن سعد . أسماؤها : اللُّحيف ويقال اللُّجيف ، ولِزاز والظَّرِب . وكان الظَّرِب لجُنادة بن المعلّى المحاربي ، وكانت له فرس يقال له المرتجز كان لسَوادة بن الحارث بن ظالم بن سهم المحاربي . وكانت دُلدُل بغلة النبي ﷺ أول بغلة [٢٦١] رُكِبت في الإسلام أهداها المقوقس ، وأهدى معها حماراً يقال له عُفير ، وكانت قد بقيت حتى كان زمن معاوية .

روى محمد بن إسحاق عن رجل قال :

رأيت بغلة رسول الله ﷺ في منزل عبد الله بن جعفر يجشّ ، أو يدق لها الشعير ، وقد ذهبت أسنانها .

وعن زامل بن عمرو قال :

أهدى فروة بن عمرو الجُذامي إلى رسول الله ﷺ بغلة يقال لها فضة ، فوهبها لأبي بكر الصديق ، وحماره يعفور مُنصَرَفه من حجة الوداع .

---

(١) زيادة اقتضاها السياق .

وقال الزهري

دُلدُل أهداها فروة بن عمرو الجذامي ، وحضر رسول الله ﷺ عليها القتال يوم حنين .

قال علقمة بن أبي علقمة :

بلغني أن اسم فرس النبي ﷺ السَّكْب ، وكان أغرَّ محجَّلاً طلق اليمين . واسم بغلته الدُّلدُل . وكانت شهباء . وكانت بينبع حتى ماتت ثَم . واسم حماره اليعفور ، وكان رسَنه من ليف . واسم ناقته القصواء ، وسيفه ذا الفقار ، واسم رايته العقاب . وكانت دُلدُل بغلة رسول الله ﷺ بقيت بعد رسول الله ﷺ حياة أبي بكر وعمر وعثمان حتى كان زمن معاوية ، وكانت مع علي بن أبي طالب عليه السلام ، وشهد عليها القتال يوم النهروان حيث قاتل الخوارج .

وعن ابن القعقاع قال :

رأيت علياً عليه السلام على بغلة رسول الله ﷺ الشهباء ، يطوف بين القتلى ، ثم رُدّت البغلة بعد علي إلى المدينة .

وعن عبد الله بن مسعود قال :

كانت الأنبياء يلبسون الصوف ، ويحلُبون الشاء ويركبون الحمر . وكان لرسول الله ﷺ حمار يقال له عُفير .

وعن ابن مطور قال :

لما فتح رسول الله ﷺ - يعني : خيبر - أصاب أربعة أزواج ثقال . وأربعة أزواج خفاف ، وعشر أواقي ذهب وفضة ، وحماراً أسود مكبلاً . قال : فكلم رسول الله ﷺ الحمار فكلمه الحمار ، فقال له النبي ﷺ ما اسمك ؟ قال يزيد بن [ ][1] أخرج الله عزّ وجلّ من نَسْل جدي ستين حماراً ، كلهم لم يركبهم إلا نبيّ . قد كنتَ [٢٦٢] أتوقعك أن تركبني ، لم يبق من نسل جدي غيري ، ولا من الأنبياء غيرك . قد كنت مِن قَبْلك لرجلٍ يهودي ، وكنت أتعثر به عمداً ، وكان يُجيع بطني ، ويضرب ظهري . قال : فقال له النبي

(١) لا يتضح الاسم في الأصل .

ﷺ : فأنت يعفور . يا يعفور قال : لبيك . قال : أتشتهي الإناث ؟ قال : لا . قال : فكان رسول الله ﷺ يركبه في حاجته ، وإذا نزل عنه بعث به إلى باب الرجل ، فيأتي الباب فيقرعه برأسه ، فإذا خرج إليه صاحب الدار أومأ إليه أن أجب رسول الله ﷺ . فلما قبض النبي ﷺ جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن التَّيِّهان فتردّى فيها جزعاً على رسول الله ﷺ فصارت قبره .

وكانت القصواء من نَعَم بني الحَرِيش ، ابتاعها أبو بكر - وأخرى معها - بثمان مئة درهم ، فأخذها رسول الله ﷺ منه بأربع مئة ، فكانت عنده حتى نفقت ، وهي التي هاجر عليها . وكانت حين قدم رسول الله ﷺ المدينة رباعية ، وكان اسمها القصواء والجدْعاء والعضْباء .

وعن موسى بن جبير قال :

كانت لرسول الله ﷺ لقائح تكون بذي الجَدْر[1] ولقائح تكون بالحِماء[2] ، وكان كرز ابن جابر أغار عليها من الحمى[2] ، وكرَّ يومئذ ثلاث لقائح مع سرح المدينة : لقحة من اللقائح التي بذي الجَدْر تدعى مَهْرة ولقحة تدعى الشقراء ولقحة تدعى الريّا . وكانت مَهْرة أرسل بها سعد بن عبادة من نعم بني عُقَيل وكانت غزيرة ، وكانت الشقراء أو الريّا ابتاعها بسوق النبط من المدينة من بني عامر . وكن يُحتلبن ويُسرَح إليه بألبانها كل ليلة ، فيشربها أهله وأضيافه . فلما كانت اللقاح بذي الجَدْر التي أغار عليها العُرَنيّون سبع لقاح ، فيها غلام للنبي ﷺ يقال له يسار الذي أصابه في بني عبد بن ثعلبة فأعتقه ، وهو نوبي فقتلوه يومئذ .

وقيل :

كانت لقائح رسول الله ﷺ التي أغار عليها القوم بالغابة قد بلغت [٢٦٣] عشرين لقحة . وكانت التي يعيش بها آل محمد رسول الله ﷺ يُراح إليهم كل ليلة بقَرْبتين عظيمتين

---

(١) ذو جَدْر : مسرح على ستة أميال من المدينة بناحية قباء ، كانت فيها لقاح رسول الله ﷺ . معجم البلدان : « جدر » .

(٢ - ٢) كذا رسمت اللفظة في الأصل بالمد وبالقصر . قال ياقوت : « الحمى : يُمدّ ويقصر » .

من لبن ، وكان فيها لقاح غُزُر : الحقاء ، والسمراء ، والعُرَيِّس ، والسَّعْدية ، والبَغوم ، واليُسَيْرة .

وعن أم سلمة قالت :

كانت عيشتنا مع رسول الله ﷺ اللبن ، أو أكثر عيشتنا . كانت لرسول الله ﷺ لقاح بالغابة . فكان قد فرقها على نسائه . فكانت لي لقحة - تحلب - غزيرة يقال لها العُرَيّس ، فكنا منها فيما نشاء من اللبن . وكانت لعائشة لقحة تدعى السمراء ، ولم تكن كلقحتي ، فكانتا تحلبان ، فتوجد لقحتي أغزر منها بمثل لبنها وثلاثة .

وعن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ يلبث الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون العَشاء ، وكان عامة خبزهم خبزَ الشعير .

وعن يوسف بن عبد الله بن سلام قال :

رأيت النبي ﷺ أخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها تمرة وقال : هذه إدام هذه ، وأكلها .

وعن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام قال :

أمر أبي بحريرة فصُنعت ، ثم أمرني فأتيت بها رسول الله ﷺ فقال : ما هذا يا جابر . ألحم ذا ؟ قال : فقلت : لا يا رسول الله ، ولكن أبي أمر بحريرة ، وأمرني أن آتيك بها فأخذها . ثم أتيت أبي فقال : هل رأيت رسول الله ﷺ ؟ قلت : نعم . قال : هل قال شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : ما قال ؟ قال : ألحم ذا يا جابر ؟ فقلت : لا يا رسول الله ، ولكن أبي أمر بحريرة فصنعت ، وأمرني فأتيتك بها . فقال لي : عسى أن يكون رسول الله ﷺ اشتهى اللحم ، فقام إلى داجن له ، فأمر بها فذبحت ، ثم أمر بها فشويت ، ثم أمرني فحملتها إلى رسول الله ﷺ ، فأتيته وهو في مجلسه فقال لي : ما هذا يا جابر ؟ فقلت : أتيت أبي فقال لي : هل رأيت رسول الله ﷺ ؟ فقلت : نعم . فقال : هل قال شيئاً ؟ قلت : نعم . قال : ما هذا يا جابر . ألحم ذا ؟ فقال أبي : عسى أن يكون رسول الله ﷺ قد اشتهى اللحم ، فقام إلى داجن فأمر بها فذبحت ثم [٢٦٤] أمر بها فشويت ثم أمرني

فأتيتك بها فقال : جزاكم الله معشر الأنصار خيراً ، ولا سيما آل عمرو بن حزام وسعد بن عبادة .

وعن أبي الدرداء قال :

ما دُعي رسول الله ﷺ إلى لحم إلا أجاب ، ولا أهدي له إلا قبله .

وعن سليمان بن يسار

أنه دخل على أم سلمة زوج النبي ﷺ فحدثته أنها قدّمت إلى رسول الله ﷺ جَنْباً مشوياً ، فأكل منه ، ثم قام إلى الصلاة ولم يتوضأ .

وعن أنس

أن خياطاً دعا رسول الله ﷺ لطعام صنعه ، قال أنس : فذهبت مع رسول الله ﷺ فقَرب إليه خبز من شعير ومرق فيه دُبّاء وقديد . قال أنس : فرأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدُّبّاء من حول الصحيفة ، فلم أزل أحب الدُّبّاء بعد .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

خير الإدام اللحم . وهو سيد الإدام .

وعن عبد الله بن مسعود قال :

كان أحب العُراق إلى رسول الله ﷺ الذراع ، ذراع الشاة ، وكان قد سُمّ فيها ، وكان يرى أن اليهود سمّوه .

وعن عائشة قالت :

ما كان الذراع أحب اللحم إلى رسول الله ﷺ ، ولكنه كان لا يجد اللحم إلا قليلاً ، فإذا وجده تعجل إليه ، وكان الذراع أسرعه نضجاً .

وعن زَهْدَم الجَرمي قال :

دخلت على أبي بوجيء[1] وهو يأكل دجاجة فقال : أدنِه ، فإني رأيت رسول الله ﷺ يأكله .

---

(١) كذا في الأصل . وفي اللسان : « وجأ » : الوجيئة : تمر يبلّ بلبن أو سمن ثم يدق حتى يلتئم .

وعن سفينة قال :

أكلت مع رسول الله ﷺ لحم حُبارى .

وعن عائشة أم المؤمنين

أن النبي ﷺ كان يأتيها وهو صائم فيقول : أصبح عندكم شيء تطعمونيه ؟ فتقول : لا ، ما أصبح عندنا شيء كذلك فيقول : إني صائم . ثم جاءها بعد ذلك فقالت : أهديت لنا هدية فخبأناها لك . قال : ما هي ؟ قالت : حَيْس ، قال : قد أصبحت صائماً فأكل .

وعن سَلمى قالت :

دخل عليّ الحسن بن علي وعبيد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر فقالوا : اصنعي لنا طعاماً مما كان النبي ﷺ [٢٦٥] يحب أكله . قالت للحسن : إنكَ يا بني لا تشتهيه اليوم فأطـ [...][1] تسقيه ، وجعلت منه خبزة ، وجعلت أدمه الزيت ونثرت عليه [...] فقربته إليهم فقالت : كان النبي ﷺ يحب هذه ، ويحسن أكلها .

وعن أنس

أن النبي ﷺ كان يعجبه الدُّبَّاء ، وهو القرع .

وعن ابن عباس قال :

دخل رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على أم هانئ بنت أبي طالب ، وكان جائعاً ، فقال : هل عندك طعام آكله ؟ فقالت : إن عندي لكسراً يابسة ، وإني لأستحي أن أقربها إليك ، فقال : هلميها ، فكسرها في ماء ، وجاءته بملح فقال : ما من إدام ؟ فقالت : ما عندي يا رسول الله إلا شيء من خلّ فقال : هلميه ، فلما جاءت به صبّه على طعامه ، فأكل منه ، ثم حمد الله عزّ وجلّ ، ثم قال : نعم الإدام الخل ، يا أم هانئ ، لا يفقر بيت فيه خل .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

سيد إدامكم الملح .

---

(١) ما بين معقوفتين مخروم من الأصل .

وعن سُويد بن النعمان صاحب رسول الله ﷺ قال :

أُتي رسول الله ﷺ بسويق فأكل ، وأكلنا معه ، ثم تمضمض ، فقام فصلى المغرب ، ولم يتوضأ .

وعن ابني بُسْر السُّلَمِيَّيْن قالا :

دخل علينا رسول الله ﷺ بيتنا ، فوضعنا تحته قطيفة لنا فجلس عليها ، وأُنزل عليه الوحي في بيتنا ، وقدّمنا إليه زبداً وتمراً ، وكان يحب الزُبد .

وعن عبد الله بن بُسْر قال :

جاء رسول الله ﷺ إلى أبي فنزل عليه ، فذكر طعاماً فأتاه به ، وذكر سويقاً وشيئاً آخر ، وأتاه بشراب ، فناول مَن على يمينه ، وأتاه بتمر فجعل يأكل . فلما قام ليركب أخذ بلجام دابته وقال : ادع لي يا رسول الله . قال : اللهم ، بارك لهم فيما رزقتهم ، واغفر لهم ، وارحمهم .

وعن ابن عباس

أن خالته أم حميد أهدت إلى النبي ﷺ سمناً وأَقْطاً وضبّاً ، فأكل السمن والأقط وترك الضب ، فلم يأكل منها . فأُكلت على مائدة رسول الله ﷺ .

وعن عائشة قالت :

كان [٢٦٦] رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل .

وعن ليث بن أبي سليم قال :

أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان . قدِمت عليه عير تحمل النَّقِي[١] والعسل فخلط بينهما ، وعمل الخبيص وبعث به إلى منزل أم سلمة ، فلم يصادف النبي ﷺ . فلما جاء وضعته بين يديه ، فأكله واستطابه فقال : مَن بعث بهذه ؟ قالت : عثمان بن عفان . فقال النبي ﷺ : اللهم إن عثمان يترضاك فارض عنه .

---

(١) الدقيق الحوّارَى .

وفي رواية :

أن النبي ﷺ خرج إلى المِربد فإذا عثمان بن عفان يقود ناقة تحمل دقيقاً وسمناً وعسلاً فقال له رسول الله ﷺ : أنخ فأناخ . ثم دعا ببُرْمة ، فجعل فيها من السمن والعسل والدقيق ، ثم أمر فوُقد تحتها حتى أدرك أو قال : نضج ، ثم قال رسول الله ﷺ : كلوا ، فأكل منه . ثم قال : هذا شيء تدعوه فارس : الخبيص .

عن عبد الله بن جعفر قال :

رأيت رسول الله ﷺ يأكل القِثّاء بالرطب .

وعن أنس

أن رسول الله ﷺ كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره ، فيأكل الرطب بالبطيخ ، وكان أحب الفاكهة إليه .

وعن عائشة

أن النبي ﷺ كان يعجبه البطيخ[1] بالرطب .

وعن جابر بن عبد الله قال :

كان رسول الله ﷺ يعجبه أن يُفطر على الرُّطب ما دام الرطب ، وعلى التمر إذا لم يكن رطب ، ويختِم بهنّ ويجعلهنّ وِتراً . ثلاثاً أو خمساً أو سبعاً .

وعن ابن عمر قال :

رأيت النبي ﷺ يأكل جُمّار[2] نخل .

وعن أم أكيدر بنت قيس الأنصارية قالت :

دخل عليَّ رسول الله ﷺ ومعه عليّ رضي الله عنه ، وعليٌّ ناقِهٌ من مرض ولنا دوالٍ[3] معلقة ، فقام رسول الله ﷺ يأكل منها وقام عليّ يأكل منها . فطفق النبي ﷺ يقول لعلي : مه ، إنك ناقِه حتى كفّ .

---

(١) اللفظة في الأصل « الطبيخ » وفوقها حرف « ط » ويتكرر الحرف نفسه في الهامش . إشارة إلى هذا الخطأ .

(٢) الجُمّار : ج جُمّارة : شحمة النخل ، وهي رخصة تؤكل بالعسل . اللسان : « جمر » .

(٣) الدوالي : عنب أسود غير حالك ، عناقيده أعظم العناقيد . اللسان : « دلا » .

قـالت : وصنعت [٢٦٧] شعيراً وسَلَقـاً فجئت بـه . فقـال النبي ﷺ لعليّ : مِن هـذا أصِبْ فهو أنفع لك .

وعن ابن عباس قال :

رأيت النبي ﷺ يأكل العنب خَرْطاً[١] .

وعن أبي هريرة قال :

ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قـط ، إن اشتهـاه أكلـه ، وإلا لم يعِبْـه . وفي روايـة : وإلا تركه .

وعن عائشة

أن النبي ﷺ كان يُستقى لـه العـذب من بئر السقيـا[٢] . وربمـا قـال : يُستعـذب لـه الماء .

وعن عائشة

أن النبي ﷺ كان يعجبه الحلو البارد .

وعنها قالت :

كان أحبَّ الشراب إلى النبي ﷺ الحلو البارد .

قال ثمامة بن حَزن القشيري :

لقيت عائشة فسألتها عن النبيذ ، فحدثتني أن وفـد عبـد القيس سـألوا النبي ﷺ عن النبيذ فنهاهم أن يشربوا في الدُّبَّاء والنَّقير والمُزَفَّت والحَنْتَم[٣] . فدعت عائشة جاريـة حبشيـة فقالت : سَلْ هذه ، إنها كانت تنبِذ لرسول الله ﷺ فقـالت : كنت أنبِـذ لرسول الله ﷺ في سقاء من الليل ، وأوكيه وأعلّقه ، فإذا أصبح شرب منه .

---

(١) خرط العنقـود واخترطـه إذا وضعـه في فيـه ثم يـأخـذ حبـه ، ويخرج عرجـونـه عـاريـاً منـه . اللســان : « خرط » .

(٢) السقيا : منزل بين مكة والمدينة . معجم البلدان ، واللسان : « سقى » .

(٣) الدباء والنقير والمزفت والحنتم أوعية كانوا ينتبذون فيها .

وعن أنس قال :

لقد سقيت بقدحي رسول الله ﷺ اللبن والماء والعسل والنبيذ .

وعن ابن عباس قال :

كانت للنبي ﷺ منائح ، سبعة أعنز ، ترعاهنّ أم أيمن .

قال : وقال عبد الملك بن سليمان بن أبي المغيرة عن محمد بن عبد الله بن الحصين قال :

كانت منائح رسول الله ﷺ ترعى بأُحُد ، وتروح كل ليلة على بيته في البيت الذي يدور فيه ، وسماهنّ إبراهيم بن عبد الله بن عنبسة بن غزوان . قال : كنّ سبع منائح : عجوة ، وزمزم ، وسقياء ، وبركة ، وورسة ، وأطلال ، وأطراف .

وعن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ يلبَس القلانس تحت العمائم ، وبغير العمائم ، ويلبس العمائم بغير قلانس . وكان رسول الله ﷺ يلبس القلانس اليانية وهن البيض المضرية ، ويلبس ذوات الآذان [٢٦٨] في الحرب . منها ما يكون من السِّيجان الأخضر ، وكان ربما نزع قلنسوته ، فجعلها سترة بين يديه . وهو يصلي . وكان من خُلُق رسول الله ﷺ أن يسمي سلاحه ، ودوابه ومتاعه .

وكان للنبي ﷺ أربعة أسياف : المِخْذَم والرَّسوب ، أهداهما له زيد الخيل الطائي حين وفد عليه فسماه رسول الله ﷺ زيد الخير . وكان له أيضاً العضب ، وذو الفقار صار إليه يوم بدر . كان للعاص بن منبّه بن الحجاج ، وكان لا يفارقه في الحرب . وكان قَبِيعة سيفه وقائمته وحلقته وذؤابته وبكراته ونَعْله من فضة . وكان له حلقتان في الحمائل في موضعها من الظهر .

وكانت له أربعة أدراع : ذات الوِشاح ، والبتراء ، وذات المراسي ، والخرنق .

وكانت له أربعة أفراس : المرتجِز ، وذو العقال ، والسَّكْب ، والسبحى[1] ، ويقال : البحر . وكان يركب البحر . وكان كُمَيتاً .

---

(١) كذا في الأصل . ولعل الصواب : سَبْحة . انظر النهاية : « سبح » .

وكانت مِنطَقته من أدم مبشور فيها ثلاث حلق من فضة ، والإبزيم[1] والحلق على صيغة الفلك المقرونة من فضة .

وكان اسم رمحه المثري ، وكانت له حربة يقال لها العَنَزة ، وكان يمشي بها ويدعم عليها ، وكانت تحمل بين يديه في الأعياد فيركزها أمامه ويستتر بها . ويصلي إليها . وكان له مِحْجَن قدر ذراع يمشي به ويركب به ، ويعلقه بين يديه على بعيره . وكانت له مِخصرة تسمى العرجون ، وكان اسم قوسه الكَتُوم ، واسم كنانته الكافور ، ونَبله الموصلة ، وترسه الدلوق ، ومغفره ذو السُّبُوغ .

واسم عمامته السحاب ، واسم ردائه الفتح[2] .

واسم رايته العقاب ، وكانت سوداء من صوف ، وكانت ألويته بيضاء ، وربما جعل فيها السواد ، وربما كان من خُمُر نسائه .

وكانت له بغلة شهباء يقال لها الدُلدُل ، وكانت بيضاء أهداها له المقوقس ملك الاسكندرية وهي التي [٢٦٩] قال لها في بعض الأماكن : اربضي دُلدُل فربضت . وكان علي يركبها بعد رسول الله ﷺ . وقال غير ابن عباس : وكان عثمان بن عفان يركبها . وركبها الحسن بن علي ، ثم ركبها الحسين ومحمد بن علي بن الحنفيّة رضي الله عنهم حتى كبرت ، وعميت ودخلت مبطحة لبني مذحج فرماها رجل بسهم فقتلها . وكانت له بغلة يقال لها الأيلية . وكانت مخدوفة ، طويلة ، كأنما تقوم على رماح ، حسنة السير فأعجبته ، وهي التي قال له عليّ فيها : إن كانت أعجبتك هذه البغلة فإنا نصنع لك مثلها قال : وكيف ذلك ؟ قال : هذه أمها فرس عربية وأبوها حمار فلو أنزينا على فرسٍ عربية حماراً لجاءت بمثل هذه البغلة . فقال : إنما يفعل ذلك الذين لا يعلمون .

قال ابن عباس : فأبى النبي ﷺ ، ثم تقدم إلينا ـ معاشرَ بني هاشم خاصة ـ ألاّ نُنزي الحُمُر على الخيل العِراب . فمضت السنّة من أصحاب رسول الله ﷺ عامة ذلك . وكان له

---

(١) الإبزيم : الحلقة . اللسان : « برم » .

(٢) وردت اللفظة ص ٢٥٣ : « الصبح » .

حمار يدعى عُفَير ، ويقال له اليعفور . وكان أخضر . وكان له ناقة تسمى العضباء ويقال القصواء . وكانت صهباء . وكانت له شاة يشرب لبنها يقال لها غيثة ويقال لها غوثة .

وكان له قدحان اسم أحدهما الريان والآخر المضَبب ، وكان يسع كل واحد منهما قدر مدّ فيه ثلاث ضبات حديد وحلقة يعلق بها . وكان له تَوْر[1] من حجارة يقال له المِخضب والمِخضد يتوضأ فيه . وكان له مِخضَب[2] من شَبَه يكون فيه الحناء والكتم من حرٍّ كان يجده في رأسه ﷺ . وكانت له رَبْعة[3] اسكندرانية أهداها المقوقس ملك مصر .

وكانت له نعلان من السِّبْت[4] . وكانت مخصَّرة[5] ذات قِبالَيْن[6] وكانت صفراء . وكان له خفان ساذجان أهداهما له النجاشي ملك الحبشة ، فكان ربما لبسهما النبي ﷺ ويمسح عليهما [٢٧٠] . وكان له سرير وقطيفة وقصعة وجارية اسمها رَوْضة .

---

(١) التَّوْر : إناء من صُفر أو حجارة . اللسان : « تور » .

(٢) المِخضب : شبه الإناء تغسل فيه الثياب . اللسان : « خضب » .

(٣) الرَّبعة : إناء مربع . اللسان : « ربع » .

(٤) السِّبْت : كل جلد مدبوغ . اللسان : « سبت » .

(٥) نعل مخصَّرة : مستدقّة . اللسان : « خصى » .

(٦) قِبال النعل : زمامه . اللسان : « قبل » .

باب إعلام الله نبيه بتوفيه

عن ابن عباس قال :

لما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والْفَتْح ﴾[1] قال رسول الله ﷺ : نُعِيَت إليّ نفسي . فمات في تلك السنة .

وعن سعيد بن جُبير عن ابن عباس قال :

كان عمر يُدخلني مع أشياخ بدرٍ فقال بعضهم : لِمَ يدخلُ هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله ؟! فقال : إنه ممن قد علمتم . قال : فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم . قال : وما رُئيته دعاني يومئذ إلا ليُريهم مني . فقال : ما تقولون في ﴿ إذا جَاءَ نَصْرُ اللهِ والْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ ﴾[2] حتى ختم السورة ؟ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وقال بعضهم : لا ندري ، ولم يقل بعضهم شيئاً . فقال لي : يابن عباس ، أكذلك تقول ؟ قلت : لا . قال : فما تقول ؟ قلت : هو أجَلُ رسول الله ﷺ أعلمه الله له ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْح ﴾[2] فتح مكة . فذلك علامة أجَلِك ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾[2] قال عمر : ما أعلم منها إلا ما تعلم .

والذي عاتب عمر في ذلك عبد الرحمن بن عوف . بيّن ذلك شعبة بن الحجاج في حديثه .

وعن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه : يا عائشة ، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السمّ .

---

(١) سورة النصر ١١٠ / ١ ـ ٣ .

(٢) سورة النصر ١١٠ / ١ ـ ٣ .

وعن أبي هريرة قال :

لما نزلت ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْح ﴾ قال : عِلْم وَحَدٌّ حدَّه الله لنبيه ﷺ ، ونعى إليه نفسه بأنه لا يبقى بعد فتح مكة إلا قليلاً .

وعن علي قال :

نعى الله لنبيّه ﷺ نفسه حين أنزل عليه ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْح ﴾ فكان الفتح من مهاجر رسول الله ﷺ في سنة ثمان . فلما طعن في سنة تسع من مهاجره تتابع عليه القبائل تسعى ، فلم يدْرِ متى الأجل ليلاً أو نهاراً فعمل على قدر ذلك . فوسَّع السُّنَن وشدّد الفرائض وأظهر الرخص ونسخ كثيراً من الأحاديث [٢٧١] فنسخت الرخصة الشدة والشدة في بعض الرخصة ، وغزا رسول الله ﷺ تبوك ، وفعل فعل مودِّع .

وعن عكرمة قال :

لما نزلت هذه الآية ﴿ وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى ﴾[1] قال العباس : لا يدع الله نبيه ﷺ فيكم إلا قليلاً لِما هو خير له .

وعن أبي سعيد الخدري

أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر فقال : إن عبداً خيّره الله بين أن يؤتيَه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده فاختار ما عنده ، فبكى أبو بكر الصديق وقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ، فعجبنا له ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبدٍ خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده وهو يقول : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . فكان رسول الله ﷺ هو المخيّر وكان أبو بكر أعلمنا به ، فقال رسول الله ﷺ : إن أمَنَّ الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متّخذاً خليلاً لاتّخذتُ أبا بكر خليلاً ؛ ولكن خلّة الإسلام . لا تبقين في المسجد خَوْخة إلا خَوْخة أبي بكر .

---

(١) سورة الضحى ٩٣ / ٣

وعن أبي المُعَلّى بمعناه . وفي آخره :

فقال رسول الله ﷺ : ما أحد أمَنّ علي في صحبته ولا في ذات يده من ابن أبي قحافة . لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت ابن أبي قحافة ، ولكن ودّ وإخاءُ إيمان ، وإن صاحبكم خليل الرحمن ، يعني نفسه ﷺ .

وعن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال :

أهبّني رسول الله ﷺ في المحرَّم مَرجعَه من حجّته ، وما أدري أما مضى من الليل أكثر أو ما بقي عليه ؟ فقلت : أين تريد بأبي وأمي ؟ فقال : يا أبا مويهبة ، انطلق ، فإني قد أُمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع . قال : فخرج وخرجت معه حتى إذا جاءه استغفر لهم طويلاً ، قائماً وقاعداً ثم قال : ليهنِكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس . أقبلتِ الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أوّلها . الآخرة شرّ من الأولى . يا أبا مويهبة ، إني قد أُعطيت خزائن [٢٧٢] الدنيا والخلد فيها ثم الجنّة ، فخيّرت بين المُلك والجنة وبين لقاء ربي عزّ وجلّ والجنة ، فقلت : بأبي أنت وأمي ، خذ خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة . فقال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة على ذلك . قال : ورجع رسول الله ﷺ واشتكى بعد ذلك بأيام .

وفي رواية :

فما لبث بعد ذلك إلا سبعاً أو ثماني حتى قبض .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

جاء جبريل عليه السلام بمفاتيح خزائن الدنيا فقال : يا محمد ، هذه مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنّة أحبّ لك أم لقاء ربك ثم الجنة ؟ فقال رسول الله ﷺ : لقاء ربي ثم الجنة ، وكان مع جبريل مَلَك الموت فقبض نفسه ، وأشخص رسول الله ﷺ بصره إلى سقف البيت وهو يقول : مع الرفيق الأعلى . وقبض .

وعن الحارث بن مرّة الجُهَني قال :

رأيت عنده رقّاً مكتوباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر ، ثم جمعنا بعد ذلك بخمس عشرة ليلة في بيت أمّنا عائشة ونحن أربعون ،

فنظر إلينا ، فدمعت عيناه ، وقد أَرَمّ[1] القوم ونظروا إلى الأرض ، ثم تشدّد فقال : مرحباً بكم ، وحياكم الله ، أبشروا ببشرى الله عزّ وجلّ ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : اتقوا الله ، فإن تقوى الله خيرُ ما تواصى به عباد الله ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبْ ﴾[2] ومن حيث لا يأمُل ولا يرجو ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ . قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾[2] ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾[2] فارضَوا بقضاء الله ، فإن الأمر أمره . وسلِّموا لأمر الله ، فإن القليل تبعٌ للكثير . ألا فليسلِّم القليل الكثير ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَقُوْلُوْا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ إلى قوله ﴿ كَانَ ظَلُوماً جَهُوْلاً ﴾[3] من الله لا منّي . مرحباً بكم ، وحيّاكم الله ، رحمكم الله ، آواكم الله ، حفظكم الله ، نصركم الله ، رفعكم الله ، رفعكم الله [٢٧٣] هداكم الله ، رزقكم الله ، وفّقكم الله ، سلّمكم الله ، قبلكم الله ، أوصيكم بتقوى الله ، وأُلجئكم إلى الله ، وأؤديكم إليه ، وأؤدي إليكم عنه ، إني لكم منه نذير مبين ، وأستخلفه عليكم ، فاتقوا الله ، ولا تعلوا على الله في عباده وبلاده ﴿ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْن ﴾[4] وقال : ﴿ أَلَيْسَ في جَهَنَّمَ مَثْوى لِلْمُتَكَبِّرِيْن ﴾[5] وإنّ هذا آخرُ ما أخلص بكم ، وتُخلصون بي .

اسمع ـ يا أبا بكر ـ ما أقول لكم ، ثم اعمل على ذلك ، وأنت تعلم أنه كذلك . إن دعائي آتٍ بكم على كل ما أشتهي إلا ما رددت عنه من بأس بينكم واختلاف كلمتكم ، والمؤمنون شهود الله في الأرض ، فالحَسَن ما حسَّنوا ، والقبيح ما قبَّحوا . نظر امرؤ لنفسه عند اختلاف الأمة ، وكفَّ لسانه ، واستبرأ قلبه ولزم الجماعة ، وآثرها على الفرقة ، وركب السَّبيل ، فسلكه ، ونكَّب السُّبل ، وإن يد الله على الجماعة ، الأمر أمرهم ، والقليل تبع للكثير ، سل يا أبا بكر ، فقال : يا رسول الله ، دنا الأجل . فقال : قد دنا الأجل ، وتدلّى ، فقال : ليهنِك يا نبي الله ما عند الله . فليت شعري عن مُنقلَبنا . فقال : إلى الله وإلى سدرة المنتهى ثم إلى جنة المأوى والعرش الأعلى والكأس الأوفى والرفيق ، والحظ والعيش الهنيء .

(١) أرمّ القوم : سكتوا وخافوا . النهاية : « رمم » .

(٢) سورة الطلاق ٦٥ / ٢ ـ ٤

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ / ٧٠ ـ ٧٢

(٤) سورة الأعراف ٧ / ١٢٨ ، وسورة القصص ٢٨ / ٨٣

(٥) سورة الزمر ٣٩ / ٦٠

فقال : يا نبي الله ، من يلي غسلك ؟ فقال : رجالُ أهلِ بيتي الأدنى فالأدنى . قال : ففيم نكفّنك ؟ فقال : في ثيابي هذه وفي حلة يمنية ، وفي بياض مصر . فقال : كيف الصلاة عليك منا ؟ وبكى فقال : مهلاً . غفر الله لكم ، وجزاكم عن نبيكم خيراً . إذا غسلتموني وكفّنتموني فضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير قبري ، ثم اخرُجوا عني ساعة . فإن أوّل مَن يصلّي عليّ اللهُ عزّ وجلّ ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾[1] ثم يأذن الله للملائكة فأوّلُ مَن يدخل عليّ مِن خلق الله ويصلّي عليّ جبريلُ ثم ميكائيل ثم إسرافيل ثم مَلَك الموت مع جنود كثيرة ، ثم الملائكة بأجمعها . ثم أنتم ، فادخلوا عليّ أفواجاً فصلوا علي أفواجاً زمرةً زمرة ، وسلّموا تسليماً ، ولا تؤذوني بتزكية ولا صيحة ولا رنّةٍ [٢٧٤] وليبدأ زمركم الإمام وأهل بيني الآدنى فالأدنى ثم زمر النساء ثم زمر الصبيان . قال : فمن يُدخلك القبر ؟ قال : زمر أهل بيتي الأدنى فالأدنى مع ملائكة كثير لاترونهم ، يرونكم . قوموا فأدّوا عني إلى مَن بعدي .

فقلت : مَن حدثك بهذا ؟ قال : عبد الله بن مسعود .

وفي حديث آخر عن عائشة بمعناه[2] قال :

ولا تؤذوني بباكية ولا برنّة ولا بصيحة ، ومَن كان غائباً مِن أصحابي فأبلِغوه عنّي السلام ، وأُشهدكم أني قد سلّمت على من دخل في الإسلام ، ومن بايعني على ديني هذا منذ اليوم إلى يوم القيامة . وساق بقية الحديث[2] .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ / ٤٣

(٢-٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل .

ذكر مرضه وتوفيه وتسمية اليوم الذي قبض فيه

عن عائشة قالت :

رجع رسول الله ﷺ من البقيع ـ وفي رواية : من جنازة من البقيع ـ فدخل فوجدني وأنا أحد صداعاً في رأسي وأنا أقول : وارأساه . قال : بل أنا والله ياعائشة وارأساه . ثم قال : وما يضرّك لو متّ قبلي فقمتُ عليكِ فكفنتكِ ثم صلّيت عليكِ ودفنتُك ؟ قالت : والله لكأني بك لو فعلت ذلك قد رجعت إلى بيتي ، فأعرست فيه ببعض نسائك . قالت : فتبسم رسول الله ﷺ . قال : وتتامّ به وجعه حتى استُعِزَّ[1] به ، وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فسألهن أن يأذنّ له أن يمرض في بيتي ، فأذنّ له ، فخرج رسول الله ﷺ يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر ، تخطّ قدماه ، عاصباً رأسه حتى جاء بيتي .

قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث عبد الله بن عباس قال : تدري مَن الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا . قال : عليّ . ثم غُمّي على رسول الله ﷺ واشتدّ به وجعه ثم أفاق . قال : أهريقوا عليّ سبع قرب من آبار شتى حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدناه في مِخضب لحفصة بنت عمر ، فصببنا عليه الماء حتى طفق يقول بيده : حسبكم حسبكم . قال : ثم خرج عاصباً رأسه ، فجلس على المنبر ، فكان أوّلَ ما تكلم به أن صلّى على أصحاب أحُد ، فأكثر الصلاة عليهم ثم قال : إنّ عبداً من عباد الله خيّره الله بين الدنيا وبين ما عند [٢٧٥] الله فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر فبكى ، وعرف أن رسول الله ﷺ نفسه يريد . قال : على رسلك يا أبا بكر . انظروا هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسدوها إلا ما كان من بيت أبي بكر ، فإني لا أعلم أحداً كان أفضل عندي في الصحبة منه .

وروى ابن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وأبي بكر بن عبد الله

أن الذي كان ابتدأ به رسول الله ﷺ من وجعه الذي لزِمه أن دخل على عائشة وهو يجد صداعاً ، فوجدها تُصَدَّع وتقول : وارأساه . فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه ،

---

(١) استُعِزّ به : أي اشتد به المرض وأشرف على الموت . اللسان : « عزّ » .

فوالله لطار عني ما أجد ، وكدت أن أستطار ، فسكّنني بالمزاح على تجشّم منه . فقال : وما ضرَّك يا عائشة لو متّ قبلي ، فأقوم عليك وأليك وأصلّي عليك فقالت له : فما نجاني مما خشيت الحذر ، فقلت : أجل والله ، لكأني بك لو قد فعلت قد أعرست ببعض نسائك في بيتي من آخر ذلك اليوم ، فتبسّم رسول الله ﷺ . ثم تمادى به وجعه وهو في ذلك يدور على نسائه حتى استُعِزّ برسول الله ﷺ وهو في بيت ميمونة . قالت : فلما راد ما به أجمع رأي مَن في البيت على أن يلدّوه ، وتخوّفوا أن يكون به ذات الجنب ففعلوا ، ثم فرّج عن رسول الله ﷺ وقد لدّوه فقال : من صنع هذا فهبنه واعتلَلْنَ بالعباس ، فاتخذ جميع من في البيت العباسَ سبباً ، ولم يكن له في ذلك رأي فقالوا : يا رسول الله ، عمُّك العباس أمر بذلك وتخوّفنا أن يكون بك ذات الجنب ، فقال : إنها من الشيطان ، ولم يكن الله ليسلِّطه عليّ ولا يرميني بها ، ولكن هذا عمل النساء . لا يبقى في البيت أحد إلا لُدّ إلا عمي العباس ، فإن يميني لا يناله ، فلُدُوا كلُّهم ولُدَّت ميمونة وكانت صائمة لقول رسول الله ﷺ ، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى بيت عائشة - وكان يومها - بين العباس وعلي ، والفضل مُمسكٌ نظهره ، ورجلاه تخطان الأرض ، حتى دخل [٢٧٦] على عائشة . فلم يزل عندها مغلوباً لا يقدر على الخروج وغيرَ مغلوب وهو يقدر على الخروج من بيتها إلى غيره .

وعن عبد الله بن مسعود قال :

كان أحب العُراق إلى رسول الله ﷺ ذراع الشاة . وكنا نرى أنه سُمَّ في ذراع شاة . وكنا نرى أن اليهود سمّوه .

عن عُبيد الله بن عبد الله قال :

دخلت على عائشة فقلنا : أخبرينا عن مرض رسول الله ﷺ قالت : اشتكى ، فكان ينفُث نَفث آكل الزبيب ، وكان يدور على نسائه . فلما اشتدّ شكوُه استأذنهنّ أن يكون في بيت عائشة ، ويدُرْن عليه ، فأذِنّ له . فدخل رسول الله ﷺ عليّ بين نفسين أحدهما العباس ورجلاه تخطاه في الأرض . قال ابن عباس : فما أخبرتك مَن الآخر ؟ قال : لا . قال : هو عليّ عليه السلام .

وعن عبيد الله بن عبد الله قال :

دخلت على عائشة فقلت : ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ قالت : بلى ، ثقُل

رسول الله ﷺ فقال : صلّى الناس ؟ فقلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله . قال : ضعوا لي ما في المِخْضَب ففعلنا فاغتسل فذهب لينوء[1] فأُغمي عليه ثم أفاق ، قال : أصلى الناس ؟ فقلت : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ، قال : ضعوا لي ما في المخضب ، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه ثم أفاق فقال : أصلّى الناس ؟ فقلنا : لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله ، فقال : ضعوا لي ما في المخضب ، ففعلنا فاغتسل ثم ذهب لينوء فأُغمي عليه ثم أفاق فقال : أصلّى الناس ؟ فقلنا : لا . هم ينتظرونك يا رسول الله . قالت : والناس عُكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلّي بالناس . وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً فقال : يا عمر ، صلّ بالناس فقال : أنتَ أحقُّ بذلك فصلّى بهم أبو بكر بدل الإمام ، ثم إن رسول الله ﷺ وجد خفّة فخرج بين رجلين ـ أحدهما العباس ـ لصلاة الظهر . فلما رآه أبو بكر ذهب [٢٧٧] ليتأخر ، فأومأ إليه أن لا تتأخر ، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه ، فجعل أبو بكر يصلّي قائماً ورسول الله ﷺ يصلي قاعداً .

فدخلت على ابن عباس فقلت : ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض رسول الله ﷺ ؟ قال : هات ، فحدثته ، فما أنكر منه شيئاً . غير أنه قال : سَمَّتْ لك الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا . قال : هو عليّ .

وعن عائشة :

أن النبي ﷺ بدأه مرضه الذي مات فيه في بيت ميمونة ، فخرج عاصباً رأسه ، فدخل بين رجلين تخُطّ رجلاه الأرض ، عن يمينه العباس بن عبد المطلب ، وعن يساره رجل لا أبالي ألا أذكره ـ قال عبيد الله : أخبرني ابن عباس أن الذي عن يساره علي بن أبي طالب ـ قالت عائشة : فلما رأيته قلت : وارأساه ، أنا والله أموت . فقال رسول الله ﷺ أما والله لوَدِدتُ أنك تموتين فأكفّنك وأصلّي عليك . قالت : فغضبتُ من قوله وقلت : أما والله إذاً لتعرّس ببعض نسائك قبل أن تُمسي . ثم قال النبي ﷺ : وارأساه ، ألا أرسلي إلى ابن أبي قحافة وابنه ، فلا يطمع في الأمر طامع ثم قال : كلا يدفع الله ويدفع بالمؤمنين .

---

(١) ينوء : ينهض . اللسان : « نوأ » .

قال موسى بن يعقوب : إنه يعني بقوله : وابنه : عبد الرحمن .

وعن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ يقرأ على نفسه بالمعوّذات . فلما مرض وثقل كنت أقرأ بها في يديه ، وأمسح بها جسده ، ألتمسُ بذلك بركة يديه ، فدخلَت عليه في مرضه أم بشر بن البراء بن معرور فقالت : يا رسول الله ، ما وجدتُ مثلَ هذه الحمى التي عليك على أحد ، فقال : إنا يُضاعَف لنا البلاء كما يضاعَف لنا الأجر . ما يقول الناس ؟ قالت : يقولون يا رسول الله ﷺ : ذات الجنب . فقال رسول الله ﷺ : ما كان الله ليسلِّطها على رسوله ، إنها همزة من الشيطان . ولكنها من الأُكْلة التي أكلت أنا وأبيك بخيبر من الشاة . كان نصيبي منها عدادَ مرةٍ بعد مرة . فكان هذا أوان انقطع أبهري . فمات رسول الله ﷺ شهيداً .

وعن [٢٧٨] أبي هريرة

أن جبريل أتى النبي ﷺ في مرضه الذي قبض فيه فقال : إن الله عزّ وجلّ يُقرئك السلام ويقول : كيف تجدك ؟ قال : أجدني وجِعاً يا أمين الله . ثم جاءه من الغد فقال : يا محمد ، إن الله يُقرئك السلام ويقول : كيف تجدك قال : يا أمين الله . أجدني وجِعاً ، ثم جاءه يوم الثالث ومعه ملَك الموت فقال : يا محمد ، إنّ ربّك يُقرئك السلام ويقول : كيف تجدك ؟ فقال : أجدني يا أمين الله وجِعاً . مَن هذا معك ؟ قال : هذا ملك الموت ، وهذا آخر عهدي بالدنيا وآخر عهدك بها ، ولن آسى على هالك من ولد آدم بعدك . ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك أبداً . فوجد النبي ﷺ سكرة الموت وعنده قدح فيه ماء . فكلما وجد سكرة أخذ من ذلك الماء فمسّ به وجهه ويقول : اللهم ، أعني على سكرة الموت .

وعن عائشة قالت :

كان جبريل يأتي النبي ﷺ في وجعه كل يوم وليلة ، فيسلم عليه ويقول : إن ربَّك يقرأ عليك السلام ويقول : كيف تجدك يا محمد ؟ ـ وهو أعلم بالذي تجد منك ، ولكنه أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً ، وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن يكون سنّة في أمتك ـ فيحدثه بقدر الذي يجد من شدة أو رخاء . فإذا قال : أجدني شاكياً قال جبريل : يا محمد ، إن الله لم يشدد عليك أن يكون من خلقه أحد هو أكرم عليه منك ، ولكن أحبّ أن تدعوه وتضرَع إليه ولا تكفّ عن ذلك حتى تلقاه لِلذي أعدّ لك في ذلك من الثواب والفضيلة على

الخلق . وإذا قال : أجدني مُريحاً قال : اِحْمَدِ الله واشكره . فإن ربّك يحبّ أن يُحمَد ويُشكر ، ليزيدك إلى ما أعطاك .

وعن عائشة قالت :

إن مما أنعم الله عليّ به أن رسول الله ﷺ قُبض في بيتي ويومي وبين سَحْري ونحري ، وجمع الله بين ريقي وريقه عند الموت : دخل عليّ أخي عبد الرحمن وأنا مسندة رسول الله ﷺ إلى صدري وبيده سواك ، فجعل ينظر إليه ، وكنت أعرف أنه يعجبه السواك ويؤلفه [٢٧٩] فقلت : آخذه لك ؟ فأومأ برأسه أن نعم . فناولته إياه ، فأدخله في فيه . فاشتد عليه فتناولته وقلت : أُليّنه لك ؟ فأومأ برأسه أن نعم فليّنتُه له فأمرّه ، وبين يديه ركوة ـ أو قالت عُلْبة[1] ـ فيها ماء ، فجعل يدخل يده فيها ويمسح بها وجهه ويقول : لا إله إلا الله . إن للموت سكرات ثم نصب يده[2] ـ وأشار أين ابني حُسَين[2] ـ بأصبعه يقول : الرفيق الأعلى ، الرفيق الأعلى حتى قبض ومالت يده .

وعن عائشة قالت :

قبض رسول الله ﷺ ورأسه بين ثديي ونحري فسمعته يقول : أفّ من كرب الموت . أفّ من غمّ الموت ، ورأيته يدخل يده في الركوة وينضح على وجهه الماء . قال : قلت : يا نبي الله ، تقول كذا وأنت نبي الله ؟ ! فلم يزل يردّدُها حتى قبض .

وعن عائشة قالت :

حتى إذا كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ رأَوْا منه في أول النهار خفّة ، فتفرّق عنه الرجال إلى منازلهم وحوائجهم مستبشرين . وأخلوا رسول الله ﷺ بالنساء . فبينا نحن على ذلك ، لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والهزج قبل ذلك ، قال رسول الله ﷺ اخرجن عني ، هذا المَلَك يستأذن عليّ . فخرج مَنْ في البيت غيري ورأسه في حِجري ، فجلس وتنحيت في ناحية البيت فناجى الملك طويلاً ، ثم إنه دعاني فأعاد رأسه في حجري وقال للنسوة : ادخلن فقلت : ما هذا بحسّ جبريل . فقال رسول الله ﷺ أجل يا عائشة . هذا

---

(١) العلبة : قدح من خشب . وقيل من جلد وخشب . اللسان : « علب » .

(٢ ـ ٢) ما بين الرقمين مستدرك في هامش الأصل مقروناً بلفظة « صح » .

ملك الموت جاءني فقال : إن الله عزّ وجلّ أرسلني إليك وأمرني ألا أدخل عليك إلا بإذن ، فإن لم تأذن لي أرجع ، وإن أذنت لي دخلت ، وأمر ألاّ أقبضك حتى تأمرني ، فمرني أمرك . فقلت : اكفف عني حتى يأتيني جبريل فهذه ساعة جبريل فخرج . فاستقبلنا بأمر لم يكن عندنا جواب ولا رأي ، فوجمنا وكأنما ضربنا بصاخّة ما نحير إليه شيئاً ، ولا يتكلم أحد من أهل البيت إعظاماً لذلك الأمر وهيبة ملأت أجوافنا . قالت عائشة : وجاء جبريل في ساعة فسلم ، فعرفنا حسّه ، وخرج أهل البيت فدخل فقال : إن [٢٨٠] الله جلّ وعزّ يقرأ عليك السلام يا محمد ويقول : كيف تجدك ؟ ـ وهو أعلم بالذي تجد منك . ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفاً . وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق ، وأن تكون سنّة في أمتك ـ فقال : أجدني وجِعاً فقال : أبشر فإن الله أراد أن يبلغك ما أعدّ لك . قال : يا جبريل ، إن ملك الموت ليستأذن عليّ وأخبره الخبر . فقال جبريل : يا محمد ، إن ربك إليك مشتاق[١] . أعلمك الذي يريد بك . لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا استأذن عليه أبداً إلا أن ربك متمّ شرفك ، وهو إليك مشتاق . قال : فلا تبرح إذاً حتى يجيء ، وأذِن للنساء فقال : ادني يا فاطمة ، فأكبّت عليه فناجاها ، فرفعت رأسها وعيناها[٢] بأربع ، وما تُطيق الكلام ، ثم قال : أدني مني رأسك ، فأكبّت عليه فناجاها ، فرفعت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام . فكان الذي رأينا منها عجباً ، فسألناها بعدُ فقالت : أخبرني أنه قال : إني ميت اليوم فبكيت ، ثم قال : إني دعوتُ الله أن يُلحقك بي في أوّل أهلي وأن يجعلك معي . فأضحكني ، وأدنت ابنَيْها منه فشمّهما .

وفي حديث آخر عن عائشة قالت :

وخرج جبريل عليه السلام وقال : عليك السلام يا رسول الله . هذا آخر ما أُنزِلُ فيه إلى الأرض أبداً ، طوي الوحي وطويت الدنيا ، وما كانت لي في الأرض حاجة غيرك ، ومالي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفي ، ولا والذي بعث محمداً بالحقّ ما في البيت أحد يستطيع أن يحير إليه في ذلك كلمة ولا يبعث إلى أحد من رجاله أعظم ما يسمع من حديثه ووجْدِنا وإشفاقنا .

---

(١) بعدها كلمة غير مقروءة .

(٢) بعد هذه اللفظة بياض في الأصل بمقدار كلمة . وفي الهامش كتب حرف « ط » .

وعن محمد بن عمر الواقدي قال :

قالوا ولما كان قبل وفاة رسول الله ﷺ بثلاثة أيام هبط إليه جبريل فقال : يا محمد ، إن الله أرسلني إليك إكراماً وتفضيلاً لك وخاصة لك ، أسألك عما هو أعْلَم به منك : كيف تجدك ؟ قال : أجدني يا جبريل مغموماً ، وأجدني يا جبريل مكروباً . فلما كان الغد أتاه جبريل فقال : يا محمد ، إن الله أرسلني [٢٨١] إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك ، أسألك عما هو أعْلَم به منك يقول : كيف تجدك ؟ فقال رسول الله ﷺ : أجدني يا جبريل مغموماً ، وأجدني يا جبريل مكروباً ، فلما كان اليوم الثالث هبط جبريل ومعه ملك الموت ، فهبط معهما ملك يكون في الهواء يقال له اسماعيل على سبعين ألف ملك ، ليس منهم مَلَك إلا على سبعين ألف مَلَك فسبقهم جبريل فقال : يا محمد ، إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك . أسألك عما هو أعلم به منك : كيف تجدك ؟ فقال رسول الله ﷺ ، أجدني يا جبريل مغموماً ، وأجدني يا جبريل مكروباً . واستأذن مَلَك الموت على الباب . فقال له جبريل : يا محمد ، هذا ملك الموت يستأذن عليك ، ما استأذن على آدمي قبلك ، ولا يَستأذِن على آدمي بعدك ، فقال رسول الله ﷺ : ائذن له فأذن له جبريل فأقبل من [حيث][1] وقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إن الله أرسلني إليك . وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني ، إن أمرتني بقبض نفسك قبضتها ، وإن كرهت تركتها ، فقال رسول الله ﷺ : وتفعل ذلك يا ملك الموت ؟ قال : نعم . بذلك أمرت أن أطيعك فيما أمرتني . فقال جبريل : يا محمد ، إن الله قد اشتاق إلى لقائك فقال رسول الله ﷺ ، يا ملك الموت امض لما أُمرت به . فقال جبريل : هذا آخر موطئي الأرضَ ، إنما كانت حاجتي في الدنيا . فلما توفي رسول الله ﷺ وجاءت التعزية ـ جاءت تسمع حسّه ، ولا ترى شخصه ـ فقالت : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله . ﴿ كُلّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُوْرَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾[2] إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك . ودَرْكاً من كل ما فات . فبالله فثِقوا ، وإياه فارجوا ، إنما المصاب من حُرم الثواب . والسلام عليكم ورحمة الله ، فقال علي : أتدرون من هذا ؟ قالوا : لا . قال : هذا الخضر عليه السلام .

---

(١) زيدت اللفظة للسياق .

(٢) سورة آل عمران ٣ / ١٨٥ .

وفي حديث آخر : إنهم سمعوا التعزية مرتين فقال أبو بكر : هذا الخضر واليسع ، حضرا النبي ﷺ .

[٢٨٢] وعن عائشة قالت :

قمت إلى النبي ﷺ حتى أضع رأسه بين يدي ، وأمسكت بصدره ، وجعل يغمى عليه حتى يغلب ، وجبهته ترشح عرقاً ما رأيته من إنسان قط ، فجعلتُ أسلِت[1] ذلك العرق ، وما وجدت رائحة شيء قط أطيب منه ، فكنت أقول له إذا أفاق : بأبي وأمي ونفسي وأهلي ما تلقى جبهتُك من الرشح فقال : يا عائشة ، إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ، والكافر تخرج مِن شِدْقه كنفس الحمار ، فعند ذلك ارتَبْنا وبعثنا إلى أهلينا ، فكان أوّل رجل جاءنا ولم يشهده ، أخي ، بعثتُه إلى أبي فمات رسول الله ﷺ قبل أن يجيئنا أحد ، وإنما صدّهم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل صلى الله عليهما .

قال أنس بن مالك :

دخلت فاطمة بنت رسول الله ﷺ على رسول الله ﷺ وقد أغمي عليه فقالت : واكرباه لكربك يا أبتاه . قال : فرفع رأسه ونظر إليها فقال : يا بنية ، لا كَرْب على أبيك بعد اليوم ، لقد حضر من أبيك ماليس اللهُ بمؤخّرٍ عنه أحداً لموافاة يوم القيامة . قال : ثم أغمي عليه ، فأتاه آتٍ فقال : السلام عليك ، أأدْخل ؟ فقال مَنْ حول رسول الله ﷺ : إن كنت من المهاجرين أو من الأنصار فارجع فإن رسول الله ﷺ عنك مشغول ، فرفع رأسه فقال : من تطردون ؟ تطردون داعي ربي عزّ وجلّ ، ادخل يا ملك الموت . قال : وكان أُمِرَ ألاّ يدخل عليه إلا بإذن فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت أقبض روحك . قال : جئت تقبض روحي ؟ ولم ألق حبيبي يا ملك الموت ؟ أنظِرني حتى ألقى حبيبي جبريل . قال : ذلك لك يا محمد . قال : وكان أمَرَه بذلك . فخرج ملك الموت ، فلقيه جبريل فقال : أين يا ملكَ الموت ، قال : إنه سألني ألا أقبض روحه حتى يلقاك . قال : يا ملك الموت ، أما ترى أبواب السماوات قد فُتحت لجيئة محمد ﷺ ؟ . أما ترى أبواب الجنان قد فتحت لجيئة محمد ﷺ ؟ [٢٨٣] أما ترى الملائكة قد نزلوا لجيئة محمد ﷺ ؟ قال : فأقبلا جميعاً حتى دخلا عليه ، فسلما فقال رسول الله ﷺ : يا جبريل ، مابدّ من الموت ؟ قال :

---

(١) أي : أمسح . اللسان : « سلت » .

يا محمد ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[1] قال : يا جبريل ، فمن لأمتي ؟ قال : يا محمد ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُوْرِ ﴾[2] قال : فقبضهُ ملك الموت ، وإنّ رأسه لفي حجر جبريل عليه السلام . فلما قبض قالت فاطمة : واأبتاه ، إلى جبريل ننعاه ، من ربّه أدناه ، أهل السماوات بالبشرى تلقاه ، والرسل به تحظى في غرف الجنان مأواه . ثم إنها قعدت فقالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ثم إنا لله وإنا إليه راجعون . انقطع الخبر من السماء ، وما جبريل بنازل علينا أبداً أبداً .

وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال :

لما رأت الأنصار أن رسول الله ﷺ يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد ، فدخل العباس إلى النبي ﷺ فأعلمه بمكانهم وإشفاقهم ، ثم دَخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه عليّ فأخبره بمثل ذلك فمدّ يده وقال : ها فتناولوه فقال : ما يقولون ؟ قالوا : يقولون : نخشى أن يَموت . وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهم إلى النبي ﷺ ، فثار النبي ﷺ فخرج متوكئاً على عليّ والفضل ، والعباس أمامه ، والنبي ﷺ معصوب الرأس يخُط برجليه ، حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر وثاب الناس إليه . فحمد الله وأثنى عليه . وقال :

أيها الناس ، بلغني أنكم تخافون عليّ الموت ، كأنه استنكار منكم للموت ، وما تنكرون من موت نبيكم ألم أُنع إليكم ؟ وينعى لكم أنفسكم ؟ هل خُلّد نبيّ قبلي فيمن بُعث إليه ؟ فأخلدَ فيكم ؟ ألا إني لاحقٌ بربي وإنكم لاحقون به . وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً وأوصي المهاجرين فيما بينهم فإن الله تعالى [٢٨٤] يقول : ﴿ وَالعَصْرِ إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِيْ خُسْرٍ ﴾[3] ـ إلى آخرها ـ وإن الأمور تجري بأمر الله . فلا يحملنكم استبطاء أمرٍ على استعجاله ، فإن الله لا يعجّل لعجلة أحد . ومن غالَب الله غلبه ، ومن خادَع الله خدعه ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ

---

(١) سورة الأنبياء ٣٤/٢١ ، ٣٥

(٢) سورة آل عمران ١٨٥/٣

(٣) سورة العصر ١/١٠٣ ،٢

تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوْا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوْا أَرْحَامَكُمْ ﴾(1) أوصيكم بالأنصار خيراً ، فإنهم الذين تبوّؤا الدار والإيمان ؟ مِن قبلهم أن يحسنوا إليكم ، ألم يشاطروكم الثمار ؟ ألم يوسعوا عليكم في الديار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة ؟ ألا فمن وُلي أن يحكم بين رجلين فليَقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم . ألا ولا تستأثروا عليهم . ألا وإني فَرَط لكم وأنتم لاحقون بي . ألا وإن موعدكم الحوض . حوضٌ أعرَض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن يصُبّ فيه ميزاب الكعبة ماء أشدّ بياضاً من اللبن وألين من الزبد ، وأحلى من الشهد . مَن شرب منه لم يظمأ أبداً ، حصباؤه اللؤلؤ ، وبطحاؤه في مسك ، من حُرمه في الموقف غداً حُرِم الخير كله . ألا فمن أحبَّ أن يَردِه عليّ غداً فليكفُف يده ولسانه إلا مما ينبغي . فقال العباس : يا نبي الله أوصِ بقريش ، فقال : إني إنما أوصي بهذا الأمر قريشاً ، الناس تبع لقريش برّهم لبَرّهم ، وفاجرهم لفاجرهم ، فاستوصوا آل قريش بالناس خيراً . يا أيها الناس ، إن الذنوب تغيِّر النعم ، وتبدّل القسم ، فإذا برّ الناسُ برَّهم أئمتهم ، وإذا فَجَر الناس عقوهم . قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوْا يَكْسِبُوْن ﴾(2) .

وعن عائشة قالت :

فتح رسول الله ﷺ باباً بينه وبين الناس ـ أو كشف ستراً ـ فرأى أبا بكر والناس يصلّون خلفه ، فحمِد الله على ما رأى من حسن حالهم ، ورجا أن يخلفه فيهم بالذي رأى فيهم فقال : أيها الناس ، أيّما أحدٌ من أمتي أُصيب من المؤمنين بمصيبة من بعدي فليتعزَّ بمصيبتي عن المصيبة التي تصيبه بعدي ، فإن أحداً [٢٨٥] من أمتي لم يُصَب كمصيبته بي .

وعن أنس بن مالك في حديث قال :

فلما توفي رسول الله ﷺ دفنّاه ، قال : قال أنس : مررت بفاطمة . قال : فقالت : يا أنس ، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب ؟

وعن أنس قال :

لما مرض رسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه أتاه بلال ، فأذن بالصلاة فقال :

---

(1) سورة محمد ٢٢/٤٧

(2) سورة الأنعام ١٢٩/٦

يا بلال ، قد بلّغت ، فمن شاء فليصلّ ومن شاء فليدع . قال : يا رسول الله ، فمن يصلي بالناس ؟ قال : مُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس . فلما تقدم أبو بكر رفعت الستور عن رسول الله ﷺ ، فنظرنا إليه كأنه ورقة بيضاء عليه خميصة سوداء ، فظن أبو بكر أنه يريد الخروج فتأخر ، فأشار إليه رسول الله ﷺ أنْ صلّ مكانك ، فصلّى أبو بكر ، ومارأينا رسول الله ﷺ حتى مات من يومه .

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك قال :

لما كان يوم الاثنين كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة ، فرأى أبا بكر وهو يصلي بالناس . قال : فنظرتُ إلى وجهه كأنه ورقة مصحف ، وهو يبتسم ، فكدنا أن نفتتن في صلاتنا فرحاً برؤية رسول الله ﷺ . قال : فأراد أبو بكر أن ينكُص . قال : فأشار إليه أنْ كما أنت ، ثم أرخى الستر فقُبض من يومه ، فقام عمر فقال : إن رسول الله ﷺ لم يمت ، ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى ، فمكث عن قومه أربعين ليلة . والله إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيديَ رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون ـ أو قال : يقولون ـ إن رسول الله ﷺ قد مات .

وعن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جده قال :

قال رسول الله ﷺ في مرضه : ادعوا إلي أخي قال : فدعي له عليّ . فقال : ادن مني فدنوت منه ، فاستند إليّ فلم يزل مستنداً إليّ ، وإنه ليكلمني حتى إن بعض ريق النبي ﷺ ليصيبني ، ثم نزل رسول الله ﷺ وثقل في حجري [٢٨٦] فصحت يا عباس ، أدركني فإني هالك . فجاء العباس ، فكان جهدهما جميعاً أن أضجعاه .

وعن عائشة

أنها سمعت النبي ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مستند إلى صدرها يقول : اللهم اغفر لي ، وارحمني ، وألحقني بالرفيق .

وفي رواية :

وألحقني بالرفيع الأعلى .

وعن عائشة قالت :

كان رسول الله ﷺ إذا مرض إنسان من أهله مسّحه بيده اليمنى ثم يقول : أذهب

الباس ربَّ الناس ، واشف ، أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يغادر سقماً . قالت : فلما ثقل رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه أخذتُ يده ، فجعلتُ أمسح بها وأقولها قال : فنزع يده مني وقال : رب اغفر لي ، وألحقني بالرفيق الأعلى . قالت : فكان هذا آخر ما سمعته من كلامه .

وعن عائشة

أن أبا بكر أقبل على فرس ومسكنه بالسُّنْح[1] حتى نزل ، فدخل وأكب عليه ، فقبله وبكى . قال : بأبي أنت . والله لا يجمع الله عليك موتتين أبداً ، أما الموتة التي كتبت عليك فقَدْ متَّها .

وعن ابن عباس

أن أبا بكر خرج وعمر يكلّم الناس فقال : اجلس ، وأبى عمر أن يجلس فقال : اجلس ، فأبى أن يجلس ، فتشهد أبو بكر ، فمال الناس إليه وتركوا عمر فقال : أيها الناس ، مَن كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت . قال الله تعالى ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُوْلٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِيْ اللهُ الشَّاكِرِيْن ﴾[2] قال : والله لكأنّ الناس لم يكونوا يعلَمون أن الله أنزل الآية حتى تلاها أبو بكر ، فتلقاها الناس كلهم ، فما سُمع بشرٌ إلا يتلوها . قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها عَقِرتُ[3] ، حتى ما تلتقي رجلاي ، فأهويت إلى الأرض ، وعرفت حين سمعته تلاها أن رسول الله ﷺ قد مات .

[٢٨٧] قال : وإن أبا بكر لما توفي دفن مع رسول الله ﷺ . فلما حضر عمرَ بن الخطاب الموتُ أوصى قال : إذا أنامتّ فاحملوني إلى باب بيت عائشة فقولوا لها : هذا عمر بن الخطاب يقرئك السلام ويقول : أدخل أم أخرج . قال : فسكتت ساعة ثم قالت : أدخلوه فدفنوه معه ، أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره . قالت : فلما دفن عمر أخذت الجلباب

---

(١) السُّنح : موضع قرب المدينة . معجم البلدان .

(٢) سورة آل عمران ١٤٤/٣ .

(٣) عقر : فجئه الرَّوْع فدهش فلم يقدر أن يتقدم أو يتأخر . اللسان : « عقر » .

فتجلببت . قال : فقيل لها : مالَك والجلباب ؟! قالت : كان هذا زوجي وهذا أبي . فلما دفن عمر تجلببت .

[(1)] وفي حديث عائشة

فاقتحم الناس حيث ارتفعت الرنة وسجّى رسولَ الله ﷺ الملائكةُ بثوبه ، وكذّب بعضٌ بموته ، وأحرج بعض فما تكلم ، وأقعد البعض وخلط آخرون فلاثوا[2] الكلام بغير بيان ، وبقي آخرون ومعهم عقولهم وأقعد آخرون . فكان عمر بن الخطاب ممن كذب بموته ، وعليّ ممن أقعد ، وعثمان فيمن أُخرس . فخرج مَن في البيت على الناس ورسول الله ﷺ مسجىً فقالوا : إن رسول الله ﷺ لم يمت . ويرجعه الله عزّ وجلّ وليقطعن أيدي وأرجل رجال من المنافقين يتمنون لرسول الله الموت ، إنما واعده ربه عزّ وجلّ كما واعد موسى وهو آتيكم . وتوفي يوم الاثنين لثنتي عشرة من ربيع الأول . وأما علي فأقعد ولم يبرح الباب ، وأما عثمان فجعل لا يكلم أحداً ، يؤخذ بيده فيجاء به ، ويذهب به .

وفي موضع آخر :

لم يكن أحد من المسلمين في مثل جَلَد أبي بكر والعباس قال الله عزّ وجلّ
[ ][(1)]

وعن سالم بن عُبيد ، وكان من أصحاب الصفة

أن النبي ﷺ لما اشتد مرضه أغمي عليه . فلما أفاق قال : مُرُوا بلالاً فليؤذّن ، ومُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس ، ثم أغمي عليه فقالت عائشة : إن أبي رجل أسيف ، فلو أمرت غيره . قال : إنكنّ صواحبات يوسف ، مُرُوا بلالاً فليؤذّن ، ومُرُوا أبا بكر فليصلّ بالناس ، فأرسل إلى بلال يؤذن ، وأرسل إلى أبي بكر يصلي بالناس . قال : ثم أفاق فقال : أقيمت الصلاة ؟ قالوا : نعم . قال : ادعوا لي إنساناً أعتمد عليه ، فجاءت بريرة وإنسان آخر فانطلقوا يمشون به وإن رجليه تخطان في الأرض قال : فأجلسوه إلى جنب أبي بكر ، فذهب أبو بكر يتأخر فحبسه حتى فرغ الناس من الصلاة . فلما توفي قال : كانوا قوماً آمنين ، لم يكن فيهم نبيّ قبله ، فقال عمر : لا يتكلم أحد بموته إلا ضربته بسيفي هذا . قال : فقالوا

(1ـ1) مابين القوسين مستدرك في هامش الأصل ، وما بين المعقوفتين كلام غير مقروء .

(2) لاث والتاث : أبطأ . اللسان : « لوث » .

لي : اذهب إلى صاحب نبيّ الله فادعُـه ، يعني أبـا بكر . قـال : فـذهبت أمشي فوجـدتـه في المسجـد . قـال : فـأجهشتُ أبكي فقـال : لعـل نبيّ الله ﷺ تـوفي . قلت : إن عمر قـال : لا يتكلم أحد بموتـه إلا ضربتـه بسيفي هـذا . قـال : فـأخـذ بساعـدي ، ثم أقبل يمشي حتى دخل ، فأوسعوا له ، فأكب على رسول الله ﷺ حتى كاد وجهه يمسّ وجـه رسول الله ﷺ ، فنظر بنفسـه يَخْبُره حتى استبـان لـه أنـه تـوفي ، فقـال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُوْن ﴾(١) [٢٨٨] قالوا : يا صاحب رسول الله ، توفي رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قـال : فعلموا أنـه كما قـال . قـالوا : يـا صـاحب رسول الله ﷺ ، هـل يُصلّى على النبي ﷺ ؟ قـال : نعم . قال : يجيء نفر منكم فيُكَبّرون ، ويَدْعون ، ويَذهبون ، حتى يفرغ النـاس . قـال : فعلموا أنه كما قال . قالوا : يا صاحب رسول الله ﷺ ، هل يُـدفن النبي ﷺ قـال : نعم . قـالوا : أين يُـدفن ؟ قـال : حيث قبضَ الله روحـه ، فـإنـه لم يقبض إلا في موضع طيب . قـال : فعرفوا أنه كما قال . ثم قال : عندكم صاحبكم ، ثم خرج فاجتمع إليـه المهـاجرون ، أو مَنِ اجتمع إليه منهم فقـال : انطلقوا إلى إخوانـا من الأنصـار ، فـإن لهم في هـذا الحق نصيبـاً . قـال : فذهبوا حتى أتَوْا الأنصار . قال : فإنهم لَيتآمرون إذ قال رجل من الأنصـار : منـا أمير ومنكم أمير ، فقال عمر : وأخذ بيد أبي بكر فقـال : سيفـان في غمـدٍ إذ لا يصطلحـان ثم قـال : مَن الذي له هذه الثلاثة ﴿ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُوْلُ لِصَاحِبِهِ ﴾(٢) فَمَن صـاحبـه ﴿ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا ﴾(٢) مع مَنْ ؟ قال : وبسـط يـد أبي بكر فضرب عليهـا ، ثم قـال للنـاس : بـايعوا فبَايع الناسُ أحسن بيعة .

وفي حديث عكرمة

توفي رسول الله ﷺ يـوم الاثنين فحبس بقيـة يـومـه وليلتـه والغـد ، حتى دفن ليلـة الثلاثـاء . وقـالوا : إن رسول الله ﷺ لم يمت ، ولكنـه عرج بروحـه كما عرج بروح موسى . والله لا يموت رسـول الله حتى يقطـع أيـدي أقـوام وألسنتهم ، فلم يـزل عمر يتكلم حتى أزبـد شدقاه مما توعَّد ويقول ، فقام العباس فقال : إن رسول الله ﷺ قد مات ، وإنه لَبشر وإنـه يأسَن كما يأسَن البشر . أيْ قوم ، فادفِنوا صاحِبكم ، فإنه أكرم على الله من أن يميته إماتَتَيْن ،

---

(١) سورة الزمر ٣٠/٣٩

(٢) سورة التوبة ٤٠/٩

أيميت أحدكم إماتة ويموته اثنتين ؟! هو أكرم على الله من ذلك . أي قوم ، فادفنوا صاحبكم ، فإن يك كما تقولون فليس يعزب على [٢٨٩] الله أن يَنجُث[1] عنه التراب . إن رسول الله ﷺ والله ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً ، فأحلّ الحلال ، وحرّم الحرام ، ونكح وطلق ، وحارب وسالم . ما كان راعي غنم يتبع بها صاحبها رؤوس الجبال ، يخبط عليها بعصاه بمخبطه ويمدر[2] حوضها بيده بأدأبَ ولا أنصَب من رسول الله ﷺ كان فيكم . أيْ قومِ ، فادفِنوا صاحبكم . قال : وجعلت أم أيمن تبكي فقيل لها : يا أم أيمن ، تبكين على رسول الله ﷺ فقالت : أي والله ، ما أبكي على رسول الله ﷺ ألاّ أكون أعلَمُ أنه قد ذهب إلى ماهو خيرٌ له من الدنيا ، ولكن أبكي على خبر السماء انقطع .

قال أنس :

لما كان اليوم الذي أحل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كلّ شيء . فلما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله ﷺ أظلم منها كل شيء . قال : وما نفضنا عن رسول الله ﷺ الأيدي وإنا لفي دفنه حتى أنكرنا قلوبنا .

---

(١) ينجث هنا : يخرج . اللسان : « نجث » .

(٢) مدر الحوض : أصلحه بالمَدَر أي قِطَع الطين اليابسة . اللسان : « مدر » .

تاريخ وفاته والخلاف في قدر حياته

عن محمد بن قيس قال :

توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين لليلتين مضتا من ربيع الأول ، سنة إحدى عشرة .

وقال الواقدي : وقالوا :

بـدئ برسول الله ﷺ يوم الأربعـاء لليلتين بقيتـا من صفر . وتوفي يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من ربيع الأول . قال : وهو الثبت عندنا . ودفن ليلة الثلاثـاء وقيل دفن ليلـة الأربعاء .

وعن الليث بن سعد قال :

توفي رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول ، في يوم الاثنين لليلـة خلت منـه . وقيـل : يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الأول لتمام عشر سنين من مَقْدَمه المدينة .

وعن الفضل بن دُكين قال :

توفي رسول الله ﷺ يوم الاثنين مستهلّ ربيع الأول ، سنـة إحـدى عشرة من مقـدمـه المدينة .

[٢٩٠] وعن عائشة أنها قالت :

ما علمنا يُدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي[1] في جوف ليلة الأربعاء .

وعن أنس بن مالك قال :

نبئ رسول الله ﷺ وهو ابن أربعين سنة ، فمكث بمكة عشر سنين ، وبالمدينـة عشراً . وتوفي وهو ابن ستين سنة . ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

---

(١) المساحي : ج مِسحاة : المجرفة من حديد . اللسان : « مسح » .

وفي رواية عنه أيضاً بمثله إلا أنه قال :

وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة . ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء .

قال : والمحفوظ عن ربيعة أنه مات وهو ابن ستين سنة .

وعن أنس عن النبي ﷺ قال :

أعمار أمتي كعمري إلا الأقل . فقيل لأنس بن مـالـك : فكم كان عمره ؟ قـال : اثنتين وستين .

وعن مكحول قال :

ولـد رسول الله ﷺ يوم الاثنين ، وأوحي إليـه يوم الاثنين ، وهـاجر يـوم الاثنين ، وتوفي يوم الاثنين لثنتين وستين سنة ونصفاً . وقيل : وأشهر . وكان لـه قبل أن يوحى إليـه ثنتان وأربعون سنة ، واستخفى عشر سنين وهو يوحى إليه ، ثم هاجر إلى المدينـة ، فمكث يقاتل عشر سنين ونصف . وكان يوحى إليه عشرين سنة ونصفاً ثم توفي .

قال الهيثم : وتوفي فمكث ثلاثة أيام لا يدفن ، فدخل النـاس عليـه رَسَلاً رَسَلاً يصلون عليه ، والنساء مثل ذلـك ، وطهره ابنـا عمـه الفضل بن عبـاس وعلي بن أبي طـالـب . وكان يناولهم عباس الماء . وكُفن في ثلاث رياط بيض يمانية . فلمّا كفن وطهر دخل النـاس عليـه في تلك الأيام الثلاثة يصلون عليه عُصَباً عُصَباً . تدخُل العصبة فتُصلي وتسلم . وقال الهيثم : يصلون عليه عُصَباً عُصَباً لا يصفّون ، فلا يصلي بين أيديهم مُصَلٍّ ، حتى فرغ من يريد ذلك ثم دفن ، فأنزله في القبر عباس وعلي والفضل . وقال عند ذلك رجل من الأنصـار : أشرِكونـا في موت رسول الله ﷺ ، فإنه قد أشرَكنا في حياته . فنزل معهم في القبر وولي ذلك معهم .

[٢٩١] وعن ابن عباس قال :

بُعث النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنـة ، فـدعـا النـاس إلى الإسـلام ، ولم يـؤذن لـه في القتـال ثلاث عشرة سنـة . وكانت الهجرة عشر سنين ، وقبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين .

وفي رواية أخرى عنه قال :

أنزل على النبي ﷺ بمكة وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، فمكث بمكة عشراً ، وبالمـدينـة

عشراً . وقبض وهو ابن ثلاث وستين .

وعن معاوية قال :

بلغ رسول الله ﷺ ثلاثاً وستين ، وأبو بكر ثلاثاً وستين ، وعمر ثلاثاً وستين ، وأنا ابن ثلاث وستين .

وعن عائشة قالت :

تذاكر رسول الله ﷺ وأبو بكر ميلادهما عندي ، فكان رسول الله ﷺ أكبر من أبي بكر . وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وتوفي أبو بكر بعده وهو ابن ثلاث وستين . لسنتين ونصف التي عاش بعد رسول الله ﷺ .

وعن الشعبي قال :

قرن إسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين ، يسمع الصوت ولا يرى أحداً ، ثم قرن به جبريل عشرين سنة ، وذلك حين أوحي إليه ، فأقام بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشراً . فقُبض رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين .

قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل :

الثبت عندنا : ثلاث وستون سنة .

وعن الحسن قال :

بُعث وهو ابن خمس وأربعين ، فأقام بمكة عشراً وبالمدينة ثماني . وتوفي وهو ابن ثلاث وستين . وقيل : إنه بلغ خمساً وستين سنة .

عن عمار مولى بني هاشم قال :

سألت ابن عباس : كم أتى لرسول الله ﷺ يوم مات ؟ قال : ما كنت أرى مثلك في قوم يخفى عليك ذلك ! قال : قلت : إني قد سألت فاختلف عليّ فأحببت أن أعلم قولك فيه . قال : أتحسُب ؟ ، قلت : نعم . قال : امسك أربعين بُعث لها ، وخمس عشرة أقام بمكة يأمن ويخاف ، وعشراً مهاجره بالمدينة .

وعن ابن عباس

أن رسول الله ﷺ أقام بمكة خمس عشرة سنة : ثمـاني سنين أو سبع يرى الضوء ويسمع الصوت [٢٩٢] وثماني سنين أو سبع يوحى إليه . وأقام بالمدينة عشراً .

وعن سعيد بن جبير[1]

أن رجلاً أتى ابن عباس فقـال : أُنزل على النبي ﷺ عشراً بمكـة ، وعشراً بـالمـدينـة . فقال : مَن يقول ذلك ؟ لقد أُنزل عليه بمكة عشراً وخمساً . وستين وأكثر .

---

(١) انظر مسند الإمام أحمد ١ / ٢٣٠

ذكر من حضر غسله ومن غسّله وما كفّن فيه
وصفة قبره

وعن ابن عباس قال :

لما اجتمع القوم لغسل رسول الله ﷺ وليس في البيت إلا أهله : عمّه العباس بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وقُثَم بن عباس ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وصالح مولاه . فلما اجتمعوا لغسله نادى من وراء الباب أوسُ بن خَوْليّ ـ الأنصاري ، ثم أحد بني عوف بن الخزرج ، وكان بدرياً ـ عليَّ بن أبي طالب فقال : يا علي ، ننشدك الله وحظّنا من رسول الله ﷺ . قال : فقال له علي : ادخل ، فدخل فحضر غسل رسول الله ﷺ ، ولم يل من غسله شيئاً . قال : فأسنده عليّ إلى صدره وعليه قميصه . وكان العباس والفضل وقثم يقلّبونه مع عليّ ، وكان أسامة بن زيد وصالح مولاه هما يصبان الماء . وجعل عليّ يغسله ولم يُر من رسول الله ﷺ شيء مما يُراه من الميت . وهو يقول : بأبي وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً . حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله ﷺ ، وكان يغسل بالماء والسدر جففوه ، ثم صُنع به ما يصنع بالميت ، ثم أدرج في ثلاثة أثواب : ثوبين أبيضين وثوب حِبَرَة . قال : ثم دعا العباس رجلين فقال : ليذهب أحدكما إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وكان أبو عبيدة يضرَح[1] لأهل مكة ، وليذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري ، وكان أبو طلحة يلحَد لأهل المدينة . قال : ثم قال العباس لهما : حين سرّحهما : اللهم خِرْ لرسولك . قال : فذهبا فلم يجد صاحبُ أبي عبيدة أبا عبيدة ، ووجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة فلحِد لرسول الله ﷺ .

[٢٩٣] وعن ابن عباس قال :

لما أخذنا في جهازه أمر أبي بالباب فغُلّق دون الناس ، فنادت الأنصار : نحن أخوالك ، ومكاننا من الإسلام مكاننا ، وهو ابن أختنا ، فنادت قريش : نحن عصبته ،

(١) اللحد : الشق الذي يكون في جانب القبر . والضريح : ما كان في وسطه . اللسان : « لحد ، ضرح » .

فصاح أبو بكر : يا معشر المسلمين ، كل قوم أحق بجنازتهم من غيرهم ، فانطلقوا إلى العباس ، فكلّموه فكلمته الأنصار ، فأدخلوا أوس بن خَوْلي فكان في ناحية البيت . قال ابن عباس : فبينا هم يختلفون في غسله ، وقد أحضروا الماء من بئر غَرْس[1] ، وأحضروا سِدراً وكافوراً أرسل الله عليهم النوم ، فما منهم رجل إلا واضعاً لحيته على صدره ، وقائل يقول ما يُدرى مَن هو : اغسلوا نبيكم وعليه قميصه . فغسل في القميص ، وغسل الأولى بالماء القراح ، والثانية بالماء والسدر ، والثالثة بالماء والكافور ، وغسله عليّ والفضل بن عباس ، وكان الفضل رجلاً أيِّداً ، فكان يقلبه شقران مولى رسول الله ﷺ . وكان العباس بن عبد المطلب بالباب . فقال : لم يمنعني أن أحضر غسله إلا أني كنت أراه يستحيي أن أراه حاسراً .

وفي رواية :

وكان أوس بن خَولي رجلاً شديداً يحمل جرّة الماء بيده .

وعن جابر بن عبد الله

أن كعب الأحبار قدم زمن عمر فقال ونحن جلوس عند عمر : يا أمير المؤمنين ، ما كان آخِر ما تكلم به رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : سَل علياً . قال : أين هو ؟ قال : هو ها هنا ، فسأله فقال علي : أسندته إلى صدري ، فوضع رأسه على منكبي فقال : الصلاة الصلاة ، فقال كعب : كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أُمروا وعليه يقضون . قال : فمن غسله يا أمير المؤمنين ؟ قال : سَل علياً . قال : فسأله فقال : كنت أنا أغسله ، وكان عباس جالساً ، وكان أسامة وشقران يختلفان إليّ بالماء .

وعن أبي غطفان قال :

سألت ابن عباس : أرأيت رسول الله ﷺ توفي ورأسه في حجر أحد ؟ قال : توفي وهو إلى صدر عليّ . قلت : فإن عروة حدثني عن عائشة أنها قالت : توفي رسول الله ﷺ [٢٩٤] بين سحري ونحري . فقال ابن عباس : أيعقل ! والله لَتوفي رسول الله ﷺ وإنه لمسندٌ إلى صدر عليّ ، وهو الذي غسله ، وأخي الفضل بن عباس ، وأبي أبى أن يحضر ، وقال : إن رسول الله ﷺ كان يأمرنا أن نستتر ، فكان عند الستر .

---

(١) هي بئر بالمدينة كان النبي ﷺ يستطيب ماءها . معجم البلدان .

قال عليّ عليه السلام :

أوصى النبي ﷺ ألا يغسّله أحد غيري ، فإنه لا يرى عورتي إلا طُمست عيناه . قال عليّ : فكان الفضل وأسامة يناولاني الماءَ من وراء الستر ، وهما معصوبا العين . قال علي : فما تناولت عضواً إلا كأنما يقلّبه معي ثلاثون رجلاً ، حتى فرغت من غسله .

وعن عائشة قالت :

لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا : والله ما ندري كيف نغسله : أنجرده من ثيابه كما نجرّد موتانا أم نغسّله وعليه ثيابه ؟ فبينا هم كذلك ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم مكلّم من ناحية البيت لا يدرون من هو : اغسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه ، فقاموا إلى النبي ﷺ فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء من فوق القميص ، ويدلكونه بالقميص دون أيديهم ، وكانت عائشة تقول : لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسّله إلا نساؤه .

وعن عبد الله بن الحارث في حديثه قال :

فغسله عليّ ، يدخل يده تحت القميص ، والفضل يمدّ الثوب عليه ، والأنصاري ينقل الماء ، وعلى يد عليّ خرقة يدخل يده وعليه القميص .

قال عبد الله بن قيس :

فما كنا نريد أن نرفع منه عضواً نغسُله إلا رُفع لنا ، حتى انتهينا إلى عورته ، فسمعنا من جانب البيت صوتاً : لا تكشفوا عن عورة نبيّكم ﷺ .

وفي حديث العَلْباء بن أحمر قال :

كان عليّ والفضل بن العباس يغسلان رسول الله ﷺ فنودي : علي ، ارفع طرفك إلى السماء .

وفي حديث ابن عباس

فتنبهوا لقائل يقول ، لا يدرون من هو : اغسلوا نبيكم وعليه قميصه فغسل [٢٩٥] رسول الله ﷺ في قميصه .

وعن محمد بن علي أبي جعفر قال :

إن رسول الله ﷺ غسل ثلاثاً بماء وسِدْر ، وغسل من بئر يقال لها : بئر غَرْس ، كانت

لسعْد بن خيثمة ، وكان النبي ﷺ يشرب منها . وولي غسل سفلته عليّ ، والفضل محتضنه والعباس يصب الماء إن شاء الله ، والفضل يقول : أرحني قطعت وتيني إني لأجد شيئاً يتنزّل . وكفّن في ثلاثة أثواب ، ثوبين صحاريين[1] وبُرد حبرة .

وعن عمر بن الحكم قال : قال رسول الله ﷺ :

نعم البئر بئر غرْس ، هي من عيون الجنة ، وماؤها أطيب المياه . وكان رسول الله ﷺ يُستعذب له منها ، وغسل من بئر غرْس .

وعن ماهان الحنفي عن ابن عباس قال :

قلت : كيف كان غسل النبي ﷺ ؟ قال : ضرب عليه العباس كلّةً له من يمانية صفاق ، فصارت سنّة هنا ، وفي كثير من صالحي الناس ، ثم أذن لرجال من بني هاشم فقعدوا بين الحيطان والكلة ، وسأله الأنصار أن يُدخل لهم رجلاً ، فأدخل أوس بن خوْليّ ، ثم دخل العباس الكلّة ودعا علياً والفضل وأبا سفيان وأسامة . فكان الفضل يصب الماء والمعونية في أسفله الصّب ، أعقبه أبو سفيان وأسامة[2] . فلما اجتمعوا في الكلّة أُلقي عليهم النعاس ، وعلى مَن وراء الكلّة في البيت حتى ما منهم أحد إلا وذقنه في صدره يغطّ ، فناداهم منادٍ أن انتبهوا وهو يقول : ألا لا تغسلوا النبي ﷺ فإنه كان طاهراً . فقال العباس : ألا بلى . وقال أهل البيت : صدق فلا تغسلوه ، فقال العباس : لا ندع سنّة لصوت لا ندري ما هو ، وغشيهم النعاس ثانية فناداهم منادٍ فانتبهوا وهو يقول : اغسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه . فقال أهل البيت : ألا ، لا ، فقال العباس : ألا نعم . وقد كان العباس حين دخل قعد متربعاً ، وأقعد عليّاً متربعاً فتواجها وأقعد النبي ﷺ على حجرهما فنودوا أن أضجعوا رسول الله [٢٩٦] ﷺ على ظهره . ثم اغسلوه ، واستروا ، فبازوا[3] عن الصفيح وأضجعاه ، فغرّبا رجل الصفيح وشرّقا رأسه ، ثم أخذوا في غسله وما يريان أنه ينبغي لهما أن يأتيا على شيء إلا قلب لهما ورفع لهما ، وعليه قميص ومجْول[4] مفتوح الشق ، ولم يغسل

---

(١) ثوب صُحاري : نسبة إلى صُحار . قرية باليمن . معجم البلدان . واللسان : « صحر » .

(٢) هكذا وردت العبارة في الأصل ، وهي مضطربة ، وفي سيرة ابن كثير ٥٢١/٤ : « ... ودعا علياً والفضل ، فكان إذا ذهب إلى الماء ليعاطيهما دعا أبا سفيان بن الحارث فأدخله » .

(٣) باز عنه : حاد . اللسان : « بيز » .

(٤) المجول : ثوب يثنى ويخاط من أحد شقيه . اللسان : « جول » .

إلا بالماء القَراح ، وطيبوا بالكافور ثم اعتَصر قميصه ومِجْوَله ، وحنّطوا مساجده ومفاصله ، ووضّؤوا به ذراعيه ووجهه وكفيه ثم أدرجوا أكفانه على قميصه ومجوله وجمّروه عوداً ونَداً ، ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره وسجّوه .

وعن علي في حديث آخر قال :

وإن معنا لحفيفاً في البيت كالريح الرخاء ويُصوت بنا : ارفقوا برسول الله ﷺ فإنكم ستُكْفَوْن .

وعن علي رضي الله عنه قال :

غسلت رسول الله ﷺ فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أر شيئاً ، وكان طيّباً حياً وميتاً . وولي دفنه وإجنانه(١) دون الناس أربعة : علي بن أبي طالب ، والعباس ، والفضل بن العباس ، وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه . وأُلحد لرسول الله ﷺ لَحدٌ ونُصب عليه اللبن نصباً .

وعن جابر قال :

كُفّن رسول الله ﷺ في برد . قال جابر : ذلك الثوب نَمِرة .

وعن ابن عباس قال :

كفن رسول الله ﷺ في ثوبين سَحوليين . أبيضين وزاد في رواية : وبرد أحمر .

وفي رواية عنه قال :

كُفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب : قميصه الذي مات فيه ، وحلّة حمراء نجرانية ، وإزار .

وعنه قال :

كفن في حلة حمراء كان يلبسها وقميص .

وعن علي قال :

كفن في ثلاثة أثواب : ثوبين سَحوليين وبُرد حِبَرة .

---

(١) الإجنان : الدفن والستر . والفعل أجنّه . اللسان : « جنن »

وعن أبي هريرة :

كُفِّن[1] في رَيْطتين وبُرد نجراني .

وعن علي قال :

كفن بسبعة أثواب .

وعن ابن عمر قال :

كفن في ثلاثة أثواب بيض سجي بها .

وعن سالم عَن أبيه

أنه كفن في ثلاثة أثواب : ثوبين صُحاريين وبُرد حبَرة .

وعن ابن عمر

أنه كفّن في ثلاثة أثواب .

وعن جابر بن سمرة

أنه كفّن في ثلاثة أثواب : قميص وإزار ولفافة .

[٢٩٧] وعن عائشة قالت :

كفّن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب أحدها بُرد أحمر .

قال الحافظ :

ذِكْر البُرد في رواية عائشة وَهْم ، وكلّ من ذكر البرد في روايته إنما شُبّه عليه ، فإنه كفن فيه ثم نزع عنه ، وذلك بيّنٌ فيما روي عن عائشة قالت : أدرج رسول الله ﷺ في يُمْنة[2] كانت لعبد الله بن أبي بكر ثم نزعت عنه ، وكفن في ثلاثة أثواب سَحُولية ليس فيها قميص ولا عمامة ، فرفع عبد الله الحلة فقال أُكَفَّن فيها ، ثم قال : لم يكفن فيها رسول الله ﷺ وأكفّن فيها؟ فتصدق بها . وقيل : كان لعبد الرحمن بن أبي بكر .

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل

(٢) اليُمنة : ضرب من برود اليمن . اللسان : « يمن » .

وفي رواية عن عائشة

أنه كفن بثلاثة أثواب بيض سَحولية من ثياب اليمن .

وعن عائشة قالت :

كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب سَحُولية بيض ليس فيها قميص ولا عمامـة ، أدرج فيها إدراجاً .

وعنها

أنه كفن في ثلاثة أثواب يمانية بيض كُرْسُف ـ يعني : قطن ـ ليس في كفنـه قميص ولا عمامة .

وفي رواية عنها[1] :

فقيل : إنهم يزعمون أنـه ﷺ كُفِّن في ثوب حَبَرة قـالت : قـد جـاؤوا بثوب حبرة فلم يكفن فيه .

وفي رواية عنها

أنه كفن في ثلاثة رياط يمانية .

وعن ابن إسحاق قال :

رفعت على مجلس بني عبـد المطلب وهم متوافرون فقلت لهم : في كم كُفِّن النبي ﷺ ؟ قـالوا : في ثلاثـة أثواب ، ليس فيهـا قميص ولا قَبـاء[2] ولا عِمَـامـة فقلت : كم أُسر منكم يوم بدر ؟ قالوا : العباس ونوفل وعقيل .

قال معاذ بن جبل :

أوصى رسول الله ﷺ بالصلاة حتى مضى . وذلك آخر ما حضّ عليه وتكلَّم بـه الصلاة وصية الله ووصية الرسول احفظوا وصية الله ووصية الرسول يحببكم الله ويُحَبِّبكم إلى خلقـه . قـال : ثم قـال رسـول الله ﷺ : إذا جهـزتمـوني فـأمسكـوا عني ، فـإن أول الخلـق يصلي علي جبريل والملائكـة بـأسرهـا ، ثم مُسْلِمو الجن والإنس ، وصَلوا عليّ أفواجـاً ، وليبـدأ أفـواجَكم

---

(١) اللفظة مستدركة من هامش الأصل

(٢) القباء من الثياب . الذي يلبس . مشتق من القَبْو لاجتماع أطرافه . اللسان : « قبو » .

العباس والإمام ، ثم الأفواج على الولاء الأول فالأول [٢٩٨] فدخل العباس وبنوه وسائر بني هاشم وفيهم أبو بكر . فلما فرغ الرجال جاء النساء . فلما فرغن جاء الصبيان . فلم ير الناس بعدُ بصلاة النساء على الجنائز بأساً . وكان الآخر من الأمور هو الناسخ للأول .

وفي حديث عائشة :

ثم سجّوا عليه ، وأدنوا الناس أرسالاً وهو في البيت ، فجعلوا يصلون عليه حوله على غير إمام ، ثم يستغفرون ويصلّون ، ويُسلّمون ، ولا يعجلهم أحد ، ويدخل قوم ، ويخرج آخرون عامّةَ يومه وليلته .

وعن ابن عباس قال :

كان رسول الله ﷺ موضوعاً على سريره من حين زاغت الشمس يوم الثلاثاء ، فصلى الناس عليه ، وسريره على شَفير قبره . فلما أرادوا أن يقبروه نحّوا السرير قِبَل رجليه فأُدخل من هناك . ودخل في حفرته العباس بن عبد المطلب ، والفضل بن عباس ، وقثم بن العباس ، وعلي ، وشقران .

وعن ابن أبي عُسَيْم قال :

لما قبض النبي ﷺ قالوا : كيف نصلي ـ يعني ـ عليه ؟ قال : ادخلوا من هذا الباب أرسالاً أرسالاً ، ثم صلوا عليه ، واخرجوا من الباب الآخر . فلما وضع في لَحْده قال المغيرة بن شعبة : إنه قد بقي من قدميه شيء لم يصلح . قال : فادخل فأصلحه . قال : فدخل فمسّ قدم النبي ﷺ فقال : أهيلوا عليّ التراب فأهالوا عليه التراب ، حتى بلغ أنصاف ساقيه ثم خرج فقال : أنا أحدثكم عهداً برسول الله ﷺ .

وعن سعيد بن المسيب

أن المسلمين لما أرادوا الصلاة على نبيهم ﷺ اجتمع رأيهم على أنه الإمام ولا إمام عليه . فدخل أبو بكر فكبر عليه[1] أربعاً ، ثم دخل عمر فكبر عليه أربعاً ، ثم دخل عثمان فكبر عليه أربعاً ، ثم دخل طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، ثم تتابع الناس أرسالاً ، يكبرون عليه ولا إمام لهم عليه .

---

(١) اللفظة مستدركة في هامش الأصل .

وقال ابن أبي حبيب :

إن علي بن أبي طالب أشار عليهم بذلك فقبلوه من قوله .

وفي حديث :

فلما صلي عليه نادى عمر : خلّوا الجنازة وأهلها .

وفي حديث أبي حازم المدني

[٢٩٩] أن النبي ﷺ حيث قبضه الله دخل المهاجرون فوجاً فوجاً يصلون عليه ويخرجون ، ثم دخلت الأنصار على مثل ذلك ، ثم دخل أهل المدينة ، حتى إذا فرغت الرجال دخلت النساء ، فكان منهن صوت وجزع كبعض ما يكون منهن ، فسمعن هدّة في البيت ، فَفَرِقْنَ فسكتْنَ فإذا قائل يقول : في الله عزاء عن كل هالك ، وعوض من كل مصيبة ، وخلف من كل ما فات ، والمجبور من جَبَره الثواب ، والمصاب من لم يجبُره الثواب .

قال موسى بن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، قال :

وجدت هذا في صحيفة خط أبي فيها : لما كفّن رسول الله ﷺ ووضع على سريره دخل أبو بكر وعمر فقالا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ومعهما نفر من المهاجرين والأنصار قدر ما يسع البيت ، فسلّموا كما سلّم أبو بكر وعمر ، وصفّوا صفوفاً لا يؤمهم عليه أحد ، فقال أبو بكر وعمر وهما في الصف الأول حيال رسول الله ﷺ : اللهم إنا نشهد أنْ قد بلّغ ما أُنزل عليه ، ونصح لأمته ، وجاهد في سبيل الله حتى أعزّ الله دينه ، وتّمت كلماته ، فأومن به وحده لا شريك له ، فاجعلنا يا إلهنا ممن يتّبع القول الذي أنزل معه ، واجمع بيننا وبينه حتى يعرفنا ونعرفه بنا فإنه كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً . لا نبغي بالإيمان بدلاً ، ولا نشتري به ثمناً أبداً ، فيقول الناس : آمين ، آمين ثم يخرجون ، ويدخل آخرون حتى صلوا عليه : الرجال ثم النساء ثم الصبيان . فلما فرغوا من الصلاة تكلموا في موضع قبره .

وعن علي قال :

لما وضع رسول الله ﷺ على السرير قال علي : لا يقوم عليه أحد هو إمامكم حياً وميتاً ، فكان يدخل الناس رَسَلاً رَسَلاً فيصلون عليه صفاً صفاً ليس لهم إمام ، ويكبرون

وعليّ قائم حيال رسول الله ﷺ يقول : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، اللهم إنا نشهد أن قد بلّغ ما أنزل إليه ، ونصح لأمته ، وجاهد في سبيل الله حتى أعزّ الله دينه وتمت كلمته ، اللهم فاجعلنا ممن يتّبع ما أنزل إليه وثبتنا بعده واجمع بيننا وبينه [٣٠٠] فيقول الناس : آمين ، حتى صلى عليه الرجال ثم النساء ثم الصبيان .

وعن ابن عباس قال :

كان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وقُثَم بن العباس ، وشقران مولى رسول الله ﷺ وقد قال(1) أوس بن خَوْليّ لعلي بن أبي طالب : يا عليّ أنشدك الله وحظّنا من رسول الله ﷺ فقال له : انزل فنزل مع القوم فكانوا خمسة(1) . وقد كان شقران حين وُضع رسول الله ﷺ في حفرته أخذ قطيفة قد كان رسول الله ﷺ يلبسها ويفترشها فدفنها معه في القبر . وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك ، فدفنت مع رسول الله ﷺ .

وعن ابن عباس :

دخل قبر النبي ﷺ عليّ والفضل وأسامة ، وقيل إنهم أدخلوا عبد الرحمن بن عوف . قال : فكأني أنظر إليهم في القبر أربعة . وقيل : هم العباس وعليّ والفضل وعبد الرحمن . قال : وكان بعض الأخوال يدخل مع العمومة القبر . وقيل : هم العباس وعليّ والفضل وقُثَم .

وعن سعد

أنه قال في مرضه : إذا أنا متّ فالحدوا لي لحداً . وفي رواية : وانصبوا عليّ اللَّبن نصباً ، قال : واصنعُوا بي مثلما صُنع برسول الله ﷺ .

وعن ابن عمر

أنه لُحد لرسول الله ﷺ ولأبي بكر ولعمر .

وعن أبي طلحة قال :

اختلفوا في الشقّ واللحد للنبي ﷺ فقال المهاجرون : شُقّوا كما يحفر أهل مكة .

(1-1) ما بين الرقين مستدرك في هامش الأصل . وبعده : « صح » .

وقالت الأنصار : الحَدوا كما نحفر بأرضنـا ، فلمـا اختلفوا في ذلـك قـالوا : اللهم خِر لنبيّـك ، وبعثوا إلى أبي عبيـدة وإلى أبي طلحـة فـأيّهما جـاء قبل الآخر فليعمل عليـه . قـال : فجـاء أبو طلحة فقال : والله إني لأرجو أن يكون الله قـد خـار لنبيـه ﷺ . إنـه كان يرى اللحـد فيعجبـه . قـال : واختلفوا فقـال قـائل : بـالبقيع فـإنـه كان يكثر الاستغفـار لأهـل البقيـع وأصحابه ، فادفنوه به . وقـال قـائل : ادفنوه عنـد قبره ، وقـال قـائل : ادفنوه في مُصلاّه . قال أبو بكر : إن عندي فيما تختلفون فيه علماً : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مـا مـات نبيّ قطّ إلا دُفن حيث يُقبض ، فخـطّ حول الفراش ثم حوّل رسول الله ﷺ بـالفراش في نـاحيـة البيت . وحفر أبو طلحة القبر ، فانتهى به إلى أصل الجـدار إلى القبلـة وجعل [٣٠١] رأس رسول الله ﷺ مما يلي بابه الذي كان يخرج منه للصلاة .

وعن الحسن قال :

جُعل في قبر النبي ﷺ قطيفة حمراء كان أصـابهـا في يوم حنين . قـال : جعلوهـا لأن المدينة أرض سبخة .

وعن سليمان بن موسى قال :

جعلوا في لحد رسول الله ﷺ تحتـه قطيفـة بيضـاء ، كان يجعلهـا على رحلـه إذا سـافر لتَقيه سبخة المدينة ، وبنوا عليه اللَّبِن بنياناً كبناء القباب ، حتى لحق البناء بجدار القبر .

وعن الحسن قال :

قال رسول الله ﷺ : افرشوا لي قطيفتي في لحدي ، فإن الأرض لم تسلـط على أجسـاد الأنبياء .

قالت عائشة :

ما علمنا بدفن رسول الله ﷺ حتى سمعنا صوت المساحي من جوف ليلة الأربعاء .

وعن أم سلمة قالت :

نحن نبكي على رسـول الله ﷺ في بيـوتنـا ، لم نَنم ولم نسكن لرؤيتـه على السرير ، فسمعنا صوت الكَرازين[٢] في ليلة الثلاثاء . قالت أم سلمـة : فصحنـا فصـاح أهل المسجـد ،

(١) الكِرزِن والكَرزَن والكِرزين : الفأس . والجمع كرازن وكرازين . اللسان والنهاية والقاموس : « كرزن » .

فارتجت المدينة صيحة واحدة ، وأذّن بلال بالفجر ، فلما بلغ ذكر النبي ﷺ بكى فانتحب ، فزادنا حزناً ، وعالج الناس الدخول إلى قبره . فغُلّق دونهم ، فيا لها مصيبة . فما أصبت بعده بمصيبة إلا هانت عليّ إذا ذكرتُ مصيبتنا به عليه السلام .

وعن القاسم بن محمد قال :

دخلت على عائشة فقلت : يا أماه ، اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه ، فكشفت لي عن ثلاثة قبور ، لا مُشْرفة ولا لاطئة مبطوحة ببطحاء العَرْصة الحمراء . فرأيت رسول الله ﷺ مقدماً . وأبا بكر رأسه بين كتفي النبي ﷺ وعمر رأسه عند رجل النبي ﷺ . النبيُّ ﷺ ، أبو بكر رضي الله عنه ، عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

[٣٠٢]وعن وَردان وكان بنى مسجد رسول الله ﷺ في إمرة عمر بن عبد العزيز على المدينة . قال وَردان :

كان بيت عائشة سقط شقّه الشرقي . قال : فدُعيت فجئت إلى عمر بن عبد العزيز . قال وردان : فقلت له : إنا نخاف أن يغلبنا الناس على قبر النبي ﷺ ، فأمرت بالعمد فأتيت بها ، ثم أمرت بالصياصي فجعلت سُرادقاً عليه . فكان ذلك السُّرادق أول سُرادق رؤي بالمدينة ، فسترت عليه . فلما أصبحنا قال لي عمر : ادخل يا وردان فدخلت وحدي وأبناء المهاجرين والأنصار والعرب يتناولون ما أُخرج من التراب ، حتى وصلت الجدار الذي كان فيه قدم عمر بن الخطاب . فلما رأيتها قلت : أيّها الأمير هذه قدم قد بدت لي فارتاع لها وارتاع مَن معه من قريش والأنصار والعرب فقال له سالم : أيها الأمير لم تُرَع ، هذه قدم أبي وأبيك عمر بن الخطاب . سمعت ابن عمر يقول : كان رجلاً طُوالاً فضاق عنه اللحد فحفروا لقدميه في الجدار . فقال : غيّبها رحمك الله يا وردان . قال وردان : فبنيت طامّاً على قدميه .

وعن محمد بن قيس قال :

انهدم الحائط الذي على قبر رسول الله ﷺ ، فرأيت قبره مرتفعاً من الأرض ، وقبر أبي بكر وعمر . فقبر رسول الله ﷺ مقدم في القبلة . وقبر أبي بكر وراءه من قبل رأس النبي ﷺ ، وقبر عمر وراء قبر النبي ﷺ من قبل رجليه بحذاء قبر أبي بكر . كأن رسول الله ﷺ إمام وهما خلفه .

وعن سفيان التمار قال :

رأيت قبر رسول الله ﷺ وقبر أبي بكر وقبر عمر مُسَنَّمة .

وعن مالك بن إسماعيل قال : ـ أظنه ـ مولى لآل الزبير قال :

دخلت مع مصعب بن الزبير البيت الذي فيه قبر رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر فرأيت قبورهم مستطيلة .

وعن أبي بكر بن حفص بن عمر بن سعد قال :

كان قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر مسنَّمة ، عليها نَقَل[1] .

[٣٠٣] وقال القاسم بن محمد :

اطلعت وأنا صغير على القبور فرأيت عليها حصباء حمراء .

وعن موسى بن طلحة قال :

كان قبر النبي ﷺ ، وقبور أهل أُحُد مُسنَّمة . وقد كانوا يجمهرون[2] ، وكان الجمهور من الناس يسنّمون ، ثم الذين يلونهم الذين يجمهرون . وكان يربّع آخرون . وهم قليل .

---

(١) النَقَل : صغار الحجارة أشباه الأثافيّ . النهاية واللسان : « نقل » .

(٢) جمهر القبر : جمع عليه التراب ولم يطينه . اللسان : « جمهر » .

ذكر موضع قبره واختلافهم في أمره

عن عائشة قالت :

[لمّا][1] قبض النبي ﷺ اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الله يقبض نبيه في أحب الأمكنة إليه . فدفنوه حيث قبض .

وروت عَمرة بنة عبد الرحمن عن أمهات المؤمنين

أن أبا بكر يوم توفي رسول الله ﷺ قال : كيف نصنع بكفنه ؟ فاجتمع رأيهم على أن كفنوه في ثلاثة أثواب سُحول ليس فيها قميص ولا عمامة ، أدرج فيهن إدراجاً ، بعضهن على بعض ثم قالوا : أين ندفنه ؟ قال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما قبض الله نبياً إلا في خير الأرض له ، فدفنه تحت فراشه ثم قالوا : كيف نبني قبره نجعله مسجداً ؟ قال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالوا : كيف نحفر له ؟ قال أبو بكر : إن من أهل المدينة رجلاً يَلحَد ومن أهل مكة رجلاً يشقّ ، اللهم فأطلع علينا أحبَّهما إليك أن يُعمل لنبيّك فأطلع أبو طلحة ، وكان يلحد ، فأمروه أن يلحد لرسول الله ﷺ ثم دفن . وكان صلاتهم عليه أن يُدخل عليه ، فيصلون عليه عشرة لا يؤمهم عليه أحد ، ثم نصبوا عليه اللَّبِن ، وكان فيمن نصب عليه اللبن المغيرة بن شعبة ، فلما قيل : اصعدوا صعدوا . قال المغيرة : إن خاتمي في قبره سقط مني فاقتحم في القبر فنظر إلى نبي الله ﷺ من خللٍ تَركَه بين [٣٠٤] البنيان . وكان يقول : أنا أحدثكم عهداً بنبيّ الله ﷺ .

وقال عبد العزيز بن أبي وَرّاد :

إنهم قالوا : ندفنه في بقيع الغَرْقَد . قال : يوشك عُوّاذ يعوذون بقبره من عبيدكم

---

(١) موضع اللفظة بياض في الأصل ، أتممناه من البداية ٥ / ٢٦٦

وإمائكم فلا تُعاذون . قال : فقال قائل : ادفِنوه في مسجده . فقالوا : وكيف وقد لَعن قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ؟! قالوا : نحمله إلى حرم الله وأمنه ومولده ودار قومه . قال : كيف تفعلون ذلك ولم يعهد إليكم عهداً ؟ فأشار عليهم أبو بكر بدفنه في موضع فراشه ، فقبلوا ذلك من رأيه .

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده :

أن علياً عليه السلام غسّل النبي ﷺ والعباس يصب الماء ، والفضل بن العباس ينقل الماء ، وأسامة وشقران يُجيفان[1] الباب . فلما فرَغوا قال العباس - لحزنه على رسوله ﷺ - : لا أدفِن رسول الله ﷺ في التراب . ولكن أُعِدّ له صندوقاً فأجعله في بيتي ، فإذا كربني أمر نظرت إليه . فقال عليّ للعباس : يا عمّ ما رأيتَ رسول الله ﷺ يدفِن أولاده ؟ قال : ثم تلا هذه الآية : ﴿ مِنْها خَلَقْنَاكُمْ وَفِيْها نُعيْدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴾[2] ثم تلا : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً أَحْياءً وَأَمْواتًا ﴾[3] فبينما هم كذلك إذ هتف بهم هاتف من ناحية البيت : السلام عليكم أهل البيت ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾[4] و﴿ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُوْنَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَاب ﴾[5] فقال عليّ للعباس : اصبر يا عم ، فقد ترى ما وعد الله عزّ وجلّ على لسان نبيه . فقال العباس : يا عليّ فأين سمعت رسول الله ﷺ يقول يكون قبور الأنبياء ؟ قال : في موضع فرشهم . قال : فكفّنوه في قميصين أحدهما أرقّ من الآخر ، وصلّى عليه العباس وعليّ صفاً واحداً . وكبّر عليه العباس خمساً ، ودفنوه ﷺ .

وعن عائشة قالت :

رأيت في حجرتي ثلاثة أقمار ، فأتيت أبا بكر فقال : ما أوّلتها ؟ قلت : أوّلتها ولداً من رسول الله ﷺ ، فسكت أبو بكر حتى قبض النبي ﷺ فأتاها [٣٠٥] فقال : هذا خير أقمارك ذهب به ، ثم كان أبو بكر وعمر . دفنوا جميعاً في بيتها .

---

(١) أجاف الباب : ردّه . اللسان : « جوف » .

(٢) سورة طه ٢٠ / ٥٥

(٣) سورة المرسلات ٧٧ / ٢٥ ، ٢٦

(٤) سورة آل عمران ٣ / ١٨٥ وسورة الأنبياء ٢١ / ٣٥ وسورة العنكبوت ٢٩ / ٥٧

(٥) سورة الزمر ٣٩ / ١٠

باب من زار قبره بعد وفاته

كمن زار حضرته قبل وفاته

عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :

من حجّ بعد وفاتي وزار قبري كان كمن زارني في حياتي .

وعن حاطب قال : قال النبي ﷺ :

مَن زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي . ومن مات في أحد الحرمين بُعث يوم القيامة من الآمنين .

وعن أنس بن مالك

أن رسول الله ﷺ قال : من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة .

وعن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ :

مَن جاءني زائراً لم تَنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة .

وعن علي بن أبي طالب قال :

مَن سأل لرسول الله ﷺ الدرجة الوسيلة حلّت له شفاعتي يوم القيامة . ومن زار قبر رسول الله ﷺ كان في جوار رسول الله ﷺ .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

مَن صلى عليّ عند قبري وكل الله بها ملكاً يبلّغني ، وكُفي أمر دنياه وآخرته . وكنت له شهيداً وشفيعاً . وفي رواية : يوم القيامة .

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال :

مَن صلى عليّ عند قبري سمعته . ومَن صلى عليّ نائياً عنه أُبلغته . وفي رواية : من بعيد ، أبلغته .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال :

ما من أحد يسلّم علي إلا ردّ الله عليّ روحي حتى أردّ عليه السلام .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ :

من رآني في المنام كان كمن رآني في حياتي . ومن زارني حتى ينتهي إلى قبري كنت له يوم القيامة شهيداً . أو قال : شفيعاً .

وعن عليّ عليه السلام عن رسول الله ﷺ قال :

لا تجعلوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً ، وصلّوا علي وسلّموا حيثما كنتم ، فإن صلاتكم وتسليمكم تبلغني حيثما كنتم .

[٣٠٦] وعن عليّ قال : قال رسول الله ﷺ :

إن لله ملائكةً يَسبحُون في الأرض يُبلغوني صلاة مَنْ صلّى عليّ من أمتي .

وعن ابن عباس قال :

ليس أحد من أمة محمد ﷺ يصلّي عليه صلاةً إلا وهي تَبلُغه . يقول له المَلَك : فلان يصلّي عليك كذا وكذا صلاة .

وعن كعب الأحبار قال :

ذكروا النبي ﷺ عند عائشة فقال كعب : ما مِن فجرٍ يطلع إلا هبط سبعون ألف مَلَك ، يضربون القبر بأجنحتهم ويحفّون به ، ويستغفرون له ، وأحسبه قال : ويصلّون عليه حتى يُمسوا . فإذا أمسَوْا عرجوا ، وهبط سبعون ألف مَلَك ، يضربون القبر بأجنحتهم ، ويحفّون به ، ويستغفرون له . قال : وأحسبه قال : ويصلّون عليه حتى يُصبحوا . فكذلك حتى تقوم الساعة ، فإذا كان يوم القيامة خرج النبي ﷺ في سبعين ألف ملَك . وفي رواية : يزفّونه .

وعن سُليم بن سُحيم قال :

رأيت النبي ﷺ في النوم قلت : يا رسول الله ، هؤلاء الذين يأتونك فيسلّمون عليك ، أتفقّه سلامهم ؟ قال : نعم ، وأردّ عليهم .

وعن محمد بن حرب قال :

دخلت المدينة فأتيت قبر النبي ﷺ فزرته وجلست بحذائه ، فجاء أعرابي فزاره ثم قال : يا آخر الرسل ، إن الله أنزل عليك كتاباً صادقاً قال فيه : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾[1] وإني جئتك مستغفراً ربك من ذنوبي ، مستشفعاً فيها بك ، ثم بكى وأنشأ يقول : [من البسيط]

يا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعِ أعظُمُهُ ... فطابَ مِنْ طِيبهنّ القاعُ والأكَمُ

نفسي الفِداءُ لقبرٍ أنتَ ساكِنُهُ ... فيهِ العَفافُ وفيهِ الجودُ والكرمُ

ثم استغفر وانصرف . فرقدت فرأيت النبي ﷺ في نومي وهو يقول : الحقِ الرجل فبشّره بأن الله قد غفر له بشفاعتي . فاستيقظت فخرجت أطلبه ، فلم أجده .

---

(١) سورة النساء ٤ / ٦٤

[٣٠٧] ذكر كيفية الصلاة عليه

عن ابن مسعود الأنصاري قال :

أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة ، فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله يا رسول الله أن نصلي عليك ، فكيف نصلي عليك ؟ قال : فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنّينا أنه لم يسأله ، فقال رسول الله ﷺ : قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم . وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين . إنك حميد مجيد . والسلام كما قد علمتم .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهلَ البيت فليقل : اللهم صلّ على محمد وأمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم . إنك حميد مجيد .

وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال :

لقيني كعب بن عُجْرة فقال : ألا أهدي لك هدية سمعتها من رسول الله ﷺ ؟ قال : قلت : بلى . قال : فأهداها لي قال : سألنا رسول الله ﷺ فقلنا : يا رسول الله ، كيف الصلاة عليكم أهلَ البيت ، فإن الله قد علّمنا كيف نسلّم ؟ قال : قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم . إنك حميد مجيد .

وعن كعب بن عُجْرة قال :

لمّا نزلت : ﴿ إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾[1] فسألنا النبيّ ﷺ عن الصلاة عليه فقال : يعني : قولوا : اللهم صلّ على

(١) سورة الأحزاب ٣٣ / ٥٦

محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد . قال : ونحن نقول : وعلينا معهم .

وعن بُريدة الأسلمي قال :

قلنا : يا رسول الله ، أخبرنا كيف نصلي عليك [٣٠٨] فقد علّمتنا كيف نسلّم عليك . قال : قولوا : اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد كما جعلتها على إبراهيم . إنك حميد مجيد .

وعن علي قال :

من صلّى على النبي ﷺ بهؤلاء الكلمات فقد صلّى عليه بصلاة جميع الخلائق . قال : يقول : صلوات الله وملائكته وأنبيائه ورسله وجميع خلقه على محمد وعلى آل محمد وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته . قال : من صلّى عليه بهنّ كل يوم ثلاث مرات ، ويوم الجمعة مئة مرة حُشر يوم القيامة في زمرة رسول الله ﷺ ، وأخذ رسول الله ﷺ بيده حتى يُدخله الجنة .

وعن سلامة الكندي قال :

كان عليّ يعلمنا الصلاة على النبي ﷺ :

اللهم داحي المدحوّات وبارئ المسموكات ، وجبّار القلوب على فِطراتها ، شقيّها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك ، الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعلن للحقّ بالحقّ ، والدامغ جَيْشات الأباطيل كما حُمِّل ، فاضطلع بأمرك لطاعتك ، مستوفزاً في مرضاتك لغير نُكل في قَدَم ، ولا وهي في عزم ، واعياً لوحيك ، حافظاً لعهدك ، ماضياً على نفاذ أمرك حتى أورى قبساً لقابس آلاء الله ، يصل بأهله أسبابه به ، فهُديت القلوب بعد خَوْضات الفتن والإثم(١) ، مُوضحات الأعلام ، ونائرات الأحكام ، ومنيرات الإسلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازن علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة . اللهم افسح له

---

(١) كذا في الأصل . وفي نهج البلاغة ١٢٧ : « الفتن والآثام وأقام بموضحات الأعلام » . ولعلها أفضل .

مَفسَحاً في علاك أو عَدَنك ، وأجزه مضاعفات الخير من فضلك له ، مهنئات غير مكـدرات ، من فوز ثوابك المحلول ، وجزيل عطائك المغلول ، اللهم أعلِ على بناء البانين بنـاءه ، وأكرم مثواه لديك [٣٠٩] ونزلَه ، وأتمّ له نوره ، وأجِزه من ابتعاثك لـه مقبولَ الشهـادة ، مَرضيّ المقالة ، ذا مَنطق عَدْل ، وخطبة فَصْل ، وبرهان عظيم .

وعن عبد الله بن مسعود :

إذا صليتم على رسول الله ﷺ فـأحسنـوا الصـلاة عليـه ، فـإنكم لا تـدرون لعـل ذلـك يُعرض عليه . فقالوا له : علّمنـا . قـال : قولوا : اللهم اجعل صلواتـك وبركاتـك ورحمتـك على سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين محمـدٍ عبـدك ورسولـك ، إمـام الخير وولـد الخير ، ورسول الرحمة . اللهم ابعثه مقـامـاً محموداً يغبطـه بـه الأولون والآخرون . اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صلّيت على إبراهيم وآل إبراهيم ، إنك حميد مجيد ، وبـارك على محمـد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد .

ذكر ما أعده الله من الثواب لمن صلى عليه

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

من صلّى عليّ واحدة صلى الله عليه عشراً .

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ [قال][(١)] :

من ذُكرت عنده فليصلّ عليّ مئة . من صلّى علي مرة صلى الله عليه عشراً .

وعنه عن النبي ﷺ قال :

من صلّى عليّ صلاةً صلى الله عليه عشر صلوات . وحُطّت عنه عشرُ خطيئات . ورفع له عشر درجات .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

صلوا عليّ ، فإن الصلاة عليّ كفّارة لكم ، فمن صلّى عليّ صلّى الله عليه .

وعن أنس بن مالك قال :

دخلتُ على رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله ، ما رأيتك أسرّ وجهاً ولا أشرق لوناً منك اليوم . قال : وما يمنعني وإنما خرج جبريل من عندي أنفاً ؟ قال : يا محمد ، من صلى عليك صلاةً واحدة كُتبت له بها عشرُ حسنات ، ورُدّ عليه مثلُ ما صلّى عليك .

وعنه أن رسول الله ﷺ قال :

أتاني جبريل عليه السلام فقال : من صلى عليك صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً ، ورفعه عشر درجات .

---

(١) زيادة اللفظة السابقة

وعن أبي طلحة الأنصاري قال :

دخلت على رسول الله ﷺ [٣١٠] فعرفت البِشر في وجهه فقلت له : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما رأيتك قطّ أحسنَ بِشراً منك اليوم . قال : وما يمنعني وهذا المَلَك بعثه الله آنفاً إليّ وأومأ بيده يقول لي : يا محمد ، أما يرضيك ألا يصلي عليك أحد من أمتك إلا صلّيتُ عليه أنا وملائكتي عشراً ، ولا سلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت أنا وملائكتي عليه عشراً ؟

وعن أبي طلحة قال :

دخلت على النبي ﷺ وأسارير وجهه تَبْرُق فقلت : يا رسول الله ، ما رأيتك أطيبَ نفساً ولا أظهرَ بِشراً منك في يومنا هذا ، فقال : وما لي لا تطيب نفسي ويظهر بِشري وإنما فارقني جبريل الساعة وقال : يا محمد ، من صلّى عليك من أمتك صلاة كتب الله لها بها عشر حسنات ، ومحى عنه عشر سيئات ، ورفعه عشر درجات ، وقال له المَلَك مثلما قال لك . قال : يا جبريل ، وما ذاك المَلَك ؟ قال : إن الله عزّ وجلّ وكل بك ملكاً من لَدُن خَلَقك إلى أن يبعثك لا يصلّي عليك أحد إلا قال : وأنت صلّى الله عليك .

وفي رواية :

وردّ الله عليه مثل قوله . وعرضت عليّ يوم القيامة .

وعن أنس قال : قال رسول الله ﷺ :

من صلّى عليّ في كل يوم جمعة أربعين مرة محى الله عنه ذنوب أربعين سنة . ومن صلّى علي مرة واحدة فتَقبّلت منه محى الله عنه ذنوب ثمانين سنة . ومن قرأ : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾[1] أربعين مرة حتى يختِم السورة بنى الله له مناراً في جسر جهنم حتى يجاوز الجسر .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

من صلى عليّ صلاة تعظيماً لحقّي جعل الله له من تلك الكلمة مَلَكاً ، جناح له في المشرق وجناح له في المغرب ، ورجلاه في تخوم الأرض وعنقه ملوى تحت العرش يقول الله له : صلِّ على عبدي كما صلّى على نبيّي ، فيصلي عليه إلى يوم القيامة .

---

(١) سورة الإخلاص ١١٢ / ١

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

[٣١١] يا أيها الناس ، إنّ أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم عليّ في دار الدنيا صلاة ، إنه قد كان في الله وملائكته كفاية . إن الله قال : ﴿ إنّ الله وَمَلائِكتَهَ يُصَلُّوْن على النّبيّ يا أيُّها الّذيْن آمنُوا صلُّوا عليْه وسلِّمُوا تسْليماً ﴾[1] خصّ بذلك المؤمنين ليثبتهم عليه .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

من صلّى عليّ كنت شفيعه يوم القيامة .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :

من كتب عني علماً ، وكتب معه صلاة عليّ لم يزل في أجْرٍ ما قُرئ ذلك الكتاب .

وعن علي بن أبي طالب عن أبي بكر الصديق أنه قال :

الصلاة على النبي ﷺ أمحق للذنوب من الماء للنار ، والسلام على النبي ﷺ أفضلُ من عتق الرقاب . والزكاة على النبي ﷺ أفضل من مُهَج الأنفس في سبيل الله عزّ وجلّ ، وحُب رسول الله ﷺ أفضلُ من ضَرْب البيد في سبيل الله عزّ وجلّ .

وعن عبد الرحمن بن عوف قال :

كان لا يفارق رسول الله ﷺ منا خمسةٌ أو أربعةٌ من أصحاب النبي ﷺ لما ينوبه من الخروج بالليل والنهار . قال : فجئته وقد خرج ، فاتبعته فدخل حائطاً من حيطان الأشراف ، فصلّى فسجد ، فأطال السجود . قلت : قبض الله روحه . قال : فرفع رأسه فدعاني فقال : ما لك ؟ فقلت : يا رسول الله ، أطلت السجود ، قلت : قبض الله روح رسوله ، لا أراه أبداً . قال : سجدت شكراً لربي فيما أبلاني في أمتي : من صلّى عليّ صلاة من أمتي كتبت له عشر حسنات ، ومحي عنه عشر سيئات .

وفي حديث اخر بمعناه :

[٣١٢] من صلّى عليّ منهم صلاة كُتبت له بغير حساب .

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣ / ٥٦

وعن عبد الرحمن بن عوف

أن رسول الله ﷺ خرج يوماً وفي وجهه السرور فقال : إن جبريل عليه السلام جاءني فقال : ألا أبشرك يا محمد بما أعطاك الله من أمتك وما أعطى أمتك منك : من صلّى عليك منهم صلاة صلّى الله عليه ، ومن سلّم عليك سلم الله عليه .

وعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :

إن أَوْلاكم بي يوم القيامة أكثركم عليّ صلاة .

وعن عامر بن ربيعة أن رسول الله ﷺ قال :

من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه وملائكته ، فليكثر عبدٌ أو ليقلّ .

وعن ابن عباس قال :

ليس أحد من أمة محمد ﷺ يصلّي عليّ صلاة إلا وهي تبلُغه . يقول له المَلَك : فلان يصلّي عليك كذا وكذا صلاة .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :

من صلّى عليّ في كتابٍ لم تزل الصلاة جاريةً له ما دام اسمي في ذلك الكتاب .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

من صلّى عليّ في كتابٍ لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب . ﷺ .

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ :

أكثروا من الصلاة عليّ فإنها لكم زكاة ، وإذا سألتم الله فسَلُوه الوسيلة ، فإنها أرفع درجة في الجنة ، وهي لرجل ، وأنا أرجو أن أكون .

وعن الحسن بن علي بن أبي طالب قال :

قالوا : يا رسول الله ، ما معنى قول الله عزّ وجلّ : ﴿ إنَّ اللهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا صَلُّوْا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْمًا ﴾[1] فقال ﷺ : إن هذا من المكتوم ،

(١) سورة الأحزاب ٣٣ / ٥٦

ولولا أنكم سألتموني ما أخبرتكم ، إن الله وكل بي ملكين ، فلا أُذكَر عند عبدٍ فيصلّي عليّ إلا قال الملَكان : غفر الله لك . وقال الله عزّ وجلّ ؛ وملائكته جواباً للملكين : آمين . ولا أُذكَر عند عبدٍ فلا يصلّي علي [٣١٣] إلا قال الملَكان : لا غفر الله لك . وقال الله عزّ وجلّ وملائكته جواباً للملَكين : آمين .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول :

إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثلما يقول ، ثم صلّوا عليّ . فإن من صلّى - يعني : عليّ - صلاة صلى الله عليه عشراً ، ثم سلوا لي الوسيلة ، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله . وأرجو أن أكون أنا هو ، فمن سأل لي الوسيلة حلّت عليه الشفاعة .

وعنه قال :

مَن صلّى على رسول الله ﷺ صلاة صلّى الله عليه وملائكته بها سبعين صلاة ، فليقلّ مِن ذلك أو ليُكثِر .

وعن عمّار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ :

إن الله أعطاني ملَكاً من الملائكة يقوم على قبري إذا أنا متّ ، فلا يصلّي عليّ عبدٌ صلاةً إلا قال : يا محمد ، فلان بن فلان يصلي عليك ، يسميه باسمه واسم أبيه ، فيصلي الله عليه مكانها عشراً .

وفي رواية

أن الله عزّ وجلّ أعطى ملَكاً من الملائكة أسماع الخلق ، فهو قائم على قبري إلى يوم القيامة ، لا يصلّي عليّ أحد صلاة إلا سماه باسمه واسم أبيه . وقال : يا محمد ، صلّى عليك فلان بن فلان ، وكفل لي الربّ أن أردّ عليه بكل صلاة عشراً .

وفي رواية

فيصلّي الربّ على ذلك الرجل بكل واحدة عشراً .

وعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ :

لا تجعلوني كقدح الراكب . قال : قيل : يا رسول الله ، وما قدح الراكب ؟ قال : الراكب يملأ قدحه ، فإن أراد أن يشرب منه شرب ، وإن أراد أن يتوضأ توضأ منه وإلا

أهراقه . اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره .

وعن رويفع بن ثابت الأنصاري أن رسول الله ﷺ قال :

من صلّى على محمد ﷺ فقال : اللهم ، أنزله المقعد المقرّب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي .

قال محمد بن المكرم :

جامع هذا المختار هذا جدنا الذي ننتسب إليه رحمه الله .

[٣١٤] وعن مصعب بن عمير الأنصاري عن أبيه وكان بدرياً قال : قال رسول الله ﷺ :

مَن صلّى عليّ من أمتي صلاةً مخلصاً من قلبه صلّى الله عليه بها عشر صلوات ، ورفعه بها عشر درجات ، وكتب له بها عشر حسنات . ومحى عنه بها عشر سيئات .

وعن أبي أمامة قال : قال رسول الله(١) ﷺ :

أكثِروا عليّ من الصلاة في كل يوم جمعة ، فإن صلاة أمتي تُعرَض عليّ في كلّ يوم جمعة ، فمن كان أكثرهم عليّ صلاةً كان أقربَهم مني منزلة .

وعن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال :

من ذُكرت عنده فلم يصلِّ علي خُطِيَ به يوم القيامة من الجنة إلى النار .

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال :

لا يجلس قوم مجلساً لا يصلّون فيه على رسول الله ﷺ إلا كان حسرةً ، وإن دخلوا الجنة ، لِما يرون من الثواب .

وعن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ :

ما من عبد صلّى عليّ صلاة إلا عَرج بها ملاكٌ حتى يجيء بها وجهَ الرحمن فيقول : اذهبوا بها على قبر عبدي تستغفر لصاحبها وتقرّ بها عينه .

وعن عائشة قالت :

زيّنوا مجالسكم بالصلاة على النبي ﷺ .

---

(١) لفظتا « رسول الله » مستدركتان في هامش الأصل .

وعن وهب بن منبّه قال :

الصلاة على النبي ﷺ عبادة .

وعن الأصمعي[1] قال :

سمعت المهدي على منبر البصرة يقول : إن الله أمركم بأمرٍ بدأ فيه بنفسه وثنّى بملائكته فقال : ﴿ إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبيِّ يا أَيُّها الَّذِيْنَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيْماً ﴾[2] أثرةً أثره الله بها من بين الرسل ، واختصكم بها من بين الأمم ، فقابلوا نعمة الله بالشكر .

وروى الواحدي[1] بسنده عن سهل بن محمد بن سليمان قال :

هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به نبينا ﷺ يقول : ﴿ إنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّوْنَ عَلَى النَّبيِّ[2] .. ﴾ أبلغ وأتمّ من تشريف آدم بأمر الملائكة بالسجود له ، [٣١٥] لأنه لا يجوز أن يكون الله تعالى مع الملائكة في ذلك التشريف ، وقد أخبر تعالى عن نفسه بالصلاة على النبي ﷺ ثم عن الملائكة بالصلاة عليه . فتشريفٌ صدر عنه أبلغ من تشريف تختص به الملائكة من غير جواز أن يكون الله معهم في ذلك .

قال الواحدي[1] :

وهذا الذي قاله سهل منتزع من قول المهدي ، ولعله رآه ونظر إليه فأخذه منه وشرحه وقابَل ذلك بتشريف آدم فكان أبلغ وأتم منه . والله أعلم[3] .

---

(١) الخبر في أسباب النزول ٢٤٣

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ / ٥٦

(٣) بعد هذا الخبر كلام ذهبت ببعضه الرطوبة . وقد أثبتنا المقروء منه . وهو :

« ..... إن شاء الله عز وجل ، حرف الألف . وتسعين وست مئة . اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

مراجع تحقيق الجزء الثاني

أسباب النزول للواحدي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م .

الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ـ تحقيق علي محمد البجاوي ـ مطبعة نهضة مصر ١٩٨٠هـ/١٩٦٠م .

الاشتقاق لابن دريد ـ تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ـ منشورات مكتبة المتنبي ـ بغداد ـ العراق .

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ـ مطبعة دار السعادة ـ مصر ١٣٢٨هـ .

الإكمال لابن ماكولا ـ الهند ـ حيدر آباد الدكن ط٢ ـ نشر محمد أمين دمج ـ لبنان ـ بيروت

أنساب الأشراف للبلاذري ـ تحقيق د. محمد حميد الله ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٩٥٩م .

البداية والنهاية لابن كثير ـ مطبعة دار السعادة ـ مصر ١٣٥١هـ/١٩٣٢م .

تاريخ خليفة بن خياط ـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ط٢ ـ مطبعة محمد هاشم الكتبي ـ دار القلم ـ دمشق ـ بيروت ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م .

تاريخ الطبري ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف ـ مصر ـ ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

تاريخ ابن عساكر ـ مخطوطة الظاهرية (عام ٣٣٦٦) .

تهذيب التهذيب . لابن حجر العسقلاني ـ مطبعة مجلس دائرة المعارف ـ الهند ـ حيدر آباد الدكن ١٣٢٥هـ .

تهذيب الكمال في أسماء الرجال لأبي الحجاج يوسف المزي ـ حققه وضبط نصه وعلق عليه الدكتور بشار عواد معروف ـ ط١ ـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .

جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ـ تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ط٤ ـ دار المعارف ـ القاهرة .

ديوان حسان بن ثابت = شرح ديوان حسان
ديوان الهذليين ـ دار الكتب المصرية ١٩٤٥م .
الروض الأنف للسهيلي ـ مطبعة الجمالية ـ مصر ١٣٣٢هـ/١٩١٤م .
سير أعلام النبلاء للذهبي ـ ط١ ـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠١هـ/١٩٨١م .
السير والمغازي لابن إسحاق ـ تحقيق د. سهيل زكار ط١ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
سيرة ابن كثير ـ تحقيق مصطفى عبد الواحد ـ ط٢ ـ دار الفكر ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م
السيرة النبوية لابن هشام ـ حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ط٣ ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ١٣٩١هـ/١٩٧١م .
سنن ابن ماجه ـ ط٢ ـ دار الفكر ـ بيروت .
صحيح مسلم ـ مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ـ مصر .
صحيح مسلم ـ ط٢ ـ دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م .
شرح ديوان حسان ـ وضعه وضبط الديوان وصححه عبد الرحمن البرقوقي ـ مطبعة السعادة ـ مصر .
الطبقات الكبرى لابن سعد ـ دار صادر ـ بيروت .
غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ـ باعتناء ج. براجشتراسر ـ مطبعة دار السعادة ـ مصر ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م .
فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت .
القاموس المحيط للفيروز أبادي .
كتاب وصف المطر والسحاب لابن بكر بن دريد ـ حققه وقدم له وشرحه عز الدين التنوخي ـ مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .
كتاب الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب القيسي ـ تحقيق د. محيي الدين رمضان ـ مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .
لسان العرب لابن منظور ـ دار صادر ـ بيروت .
مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للحافظ نور الدين الهيثمي ـ مكتبة القدسي ـ القاهرة .

مسند الإمام أحمد ـ مصورة عن طبعة المطبعة الميمنية في مصر ١٣١٣هـ .
المصباح المنير للفيومي ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م .
معجم الأدباء لياقوت الحموي ط٣ ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م .
معجم البلدان لياقوت الحموي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
مغازي الواقدي ـ تحقيق ماردسن جونس ـ عالم الكتب ـ بيروت .
المغرب (معجم لغوي) للمطرّزي ـ حققه محمود فاخوري وعبد الحميد مختار ط١ ـ حلب ـ سورية ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
نسب قريش للزبيري ـ باعتناء إ . ليفي بروفينسال ـ دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٥٣م .
النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ـ تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ط٢ ـ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م .
نهج البلاغة ـ شرح الشيخ محمد عبده ـ أشرف على تحقيقه وطبعه عبد العزيز سيد الأهل ط٢ ـ دار الأندلس للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م .

موضوعات الجزء الثاني

الموضوع	صفحة

MUKTASAR TĀRĪK DIMAŠQ LI IBN'ASĀKIR

IBN MANḌŪR

DAR AL FIKR AL MOUASER
Beiruth - Lebanon

DAR AL FIKR
Damascus - Syria